

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر 3

الرقم التسلسلي: كلية علوم الإعلام والاتصال
قسم علوم الإعلام

اتجاهات الصحافة الفرنسية نحو
الاسلام والمسلمين

بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001)
بالولايات المتحدة الأمريكية

دراسة تحليلية لصحيفة " لوموند Le Monde " الفرنسية، غداة الأحداث (2001) وبعد ثمان سنوات
منها (2009) .

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في علوم الإعلام والاتصال

إعداد

إشراف الأستاذ

الدكتور محمد الطاهر بن خرف الله

محمد البشير بن طبة

لجنة المناقشة

| الأستاذ | الصفة | الجامعة الأصلية |
|-----------------------------|-------|-------------------------|
| أ.د محمد الطاهر بن خرف الله | مشرفا | جامعة الجزائر 3 |
| أ.د/ عبد الله بوجلال | رئيسا | جامعة الأمير عبد القاور |
| د/بوجمعة رضوان | عضوا | جامعة الجزائر 3 |
| أ.د/ عامر مصباح | عضوا | جامعة الجزائر 3 |
| أ.د/ بن الزاوي | عضوا | جامعة الجزائر 3 |

السنة الجامعية : 2013/2014 م - 1433, 1434 هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي
أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ
أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي
ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ
الْمُسْلِمِينَ ﴾

الأحقاف الآية 15

الإهداء

- ❖ إلى الوالدين الكريمين
- ❖ إلى يدي اليمنى ولباسي الطاهر
- ❖ إلى زهرتي عمري ونور فؤادي (وسيم
ولينة)
- ❖ إلى جميع الإخوة والأخوات ، وكل من قدم
لي يد العون من قريب أو بعيد .
- ❖ إلى كل مسلم .

الشكر

الشكر لله تعالى من قبل ومن بعد

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا يشكر الله من لا يشكر الناس "

لزاما علي أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى الأستاذ الدكتور الطاهر بن خرف الله . الذي تكرم علي بالإشراف على هذا العمل .

إلى أستاذي الفاضل الدكتور عبد الله بوجلال صاحب أول مشورة وأول تسديد لهذا الموضوع إلى كل من أضاء بعلمه عقل غيره وأهدى بالجواب الصحيح حيرة سائله فأظهر بسماحته تواضع أهل العلم وبرحابته سماحة العارفين .

خطة الدراسة

| الرقم | الموضوع | صفحة |
|--------------|---|------|
| - | الإهداء | - |
| - | الشكر | - |
| - | فهرس الموضوعات | - |
| - | مقدمة | - |
| الفصل الأول | الإطار المنهجي للدراسة | - |
| 1-1 | إشكالية الدراسة وتساؤلاتها. | |
| 2-1 | فرضيات الدراسة . | |
| 3-1 | ضبط مفاهيم الدراسة . | |
| 4-1 | أهمية الدراسة وأهدافها. | |
| 5-1 | نوع الدراسة ومنهجها. | |
| 6-1 | أسلوب الدراسة وأداة جمع البيانات. | |
| 7-1 | وصف أداة التحليل . | |
| 8-1 | الدراسات السابقة . | |
| الفصل الثاني | المتغيرات الدولية قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر | |
| 1-2 | اقترابات نظرية . | |
| 2-2 | ميلاد النظام الدولي الجديد. | |
| 3-2 | النظام الجديد والافتراضات النظرية المصاحبة (مقاربة نقدية) . | |
| 4-2 | النظام الدولي الجديد : نهاية الدولة وتقويض السيادة الوطنية. | |
| 5-2 | السمة العسكرية والجيواستراتيجية للنظام الدولي الجديد : | |
| 6-2 | النظام الجديد و تحولات العولمة الإعلامية والاتصالية والاقتصادية | |
| 7-2 | العالمين العربي والإسلامي في ظل التغيرات الدولية الجديدة . | |
| 8-2 | النظام الدولي الجديد رؤية نقدية | |

| | |
|--|-----------------|
| أحداث الحادي عشر من سبتمبر وتداعياتها الدولية | الفصل الثالث |
| السمات العامة لأحداث الحادي عشر من سبتمبر. | 1-3 |
| المقاربات التحليلية في تفسير أحداث الحادي عشر من سبتمبر. | 2-3 |
| التداعيات الفكرية والإستراتيجية للسياسة الدولية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001. | 3-3 |
| المقاربة الثقافية في الحرب على الإرهاب بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر. | 4-3 |
| التداعيات المؤسسية والقانونية لأحداث الحادي عشر من سبتمبر على العالم. | 5-3 |
| التداعيات الأمنية والعسكرية لأحداث الحادي عشر من سبتمبر على الأمن والسلام العالمين. | 6-3 |
| التداعيات الاقتصادية لأحداث الحادي عشر من سبتمبر على الاقتصاد العالمي. | 7-3 |
| الاسلام في الإعلام الغربي قبل وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (مقاربة تاريخية في ميلاد وتطور صورة الاسلام في الإعلام الغربي) | الفصل الرابع |
| الشرق والغرب (تجاذبات المد والجزر) | 1-4 |
| ميلاد الاستشراق وتداعيات المركزية الغربية | 2-4 |
| مؤسسات الاستشراق والسياسة الاستعمارية لبلاد الاسلام | 3-4 |
| الاسلام والمسلمين في التراث الغربي المسيحي | 4-4 |
| الاسلام والمسلمين في المناهج والكتب الدراسية الغربية | 5-4 |
| دور الإعلام الغربي في تشكيل الصورة النمطية للإسلام والمسلمين | 6-4 |
| الصورة الاسلام والمسلمين في الإعلام الغربي قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001. | 7-4 |
| الصورة الاسلام والمسلمين في الإعلام الغربي بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001. | 8-4 |
| سبل تجاوز الصورة النمطية للإسلام في الإعلام الغربي، وتصحيحها. | 9-4 |

| | | |
|--|--|-----------------|
| | الدراسة التحليلية ونتائجها الكمية (العرض الكمي لنتائج تحليل المضامين والاتجاه) | الفصل الخامس |
| | مجتمع الدراسة وعينتها | 1-5 |
| | مجتمع الدراسة | 1.1-5 |
| | عينة الدراسة | 2.1-5 |
| | الأساليب الإحصائية | 3.1-5 |
| | القراءة الكمية المقارنة لنتائج تحليل فئة الموضوع (ماذا قيل ؟) | 5-5 |
| | القراءة الكمية المقارنة لنتائج التحليل فئة القيم | 6-5 |
| | المقارنة لنتائج التحليل فئة الشكل (كيف قيل ؟) | 7-5 |
| | القراءة الكمية المقارنة لنتائج تحليل اتجاه مضامين فئات الموضوع | 8-5 |
| | التحليل الكيفي المقارن لنتائج دراسة (المضامين والاتجاه) فترتي التحليل (2009/2001) | الفصل السادس |
| | القراءة الكيفية لفئة علاقة الإسلام والمسلمين بظاهرة الإرهاب. | 1-6 |
| | القراءة الكيفية لفئة المسلمون وأطروحتي نهاية التاريخ وصراع الحضارات . | 2-6 |
| | القراءة الكيفية لفئة المسلمون وقيم الحضارة الغربية. | 3-6 |
| | القراءة الكيفية لفئة الإسلاموفوبيا أو الخوف المرضي من الإسلام. | 3-6 |
| | القراءة الكيفية لفئة الإسلام وقضايا المسلمين في فرنسا. | 4-6 |
| | القراءة الكيفية لفئة قيم الإسلام ومبادئه الأصيلة. | 6-6 |
| | القراءة الكيفية لفئة الإسلام وقضايا المسلمين الدولية . | 7-6 |
| | القراءة الكيفية لفئة القضية الفلسطينية. | 8-6 |
| | استنتاجات الدراسة | 9-6 |
| | خاتمة | |
| | قائمة المصادر والمراجع | |
| | ملحق | |

تلعب الصورة المشكّلة عن أيّ شعب من الشعوب دورا حاسما في تحديد علاقته بغيره، و تسهم إلى حد بعيد في تحديد هامش حركته على الصعيدين الإقليمي والدولي..... والملاحظ أن صورة الإسلام كدين ومعتقدوه قد تأثرت تأثرا بالغا بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر (2001)، مع أن الصورة النمطية المشوهة للإسلام والمسلمين ليست وليدة الراهن في الإعلام و الفكر الغربيين قطعا، إلا أن هذه الأحداث أعادت بعث هذه الصورة عن الإسلام والمسلمين من جديد، وبكثافة عالية في التغطية والتأويل والتوجيه، وبنبرة حادة أبانت في العديد من المواقف عن ترسبات ذهنية كارهة وحاقدة على الإسلام والمسلمين، داعية إلى ضرورة ممارسة سياسات أكثر حزما وضغطا على المجتمعات والدول والحكومات المسلمة، هذه الأخيرة التي وجدت نفسها في موقع الجاني والمتهم. وفي ظل تصاعد صيحات الغضب الغربي من الأحداث، عمدت جماعات وأنظمة في الغرب إلى السعي نحو " شيطنة " الإسلام، بل وتقديم الشرق بعمومه نقيضا للغرب. فهو الإرهاب وهو الجهل وهو الظلام وهو الخطر وهو الخوف... وهو كل ذلك الإسلام.

إن ما يميز أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001) ليس الحدث في حد ذاته - على جسامته وخطورته - بل في ما يستبطنه من دلالات رمزية بالغة، وما لحقه من تحولات وتداعيات تعدت حدوده لتخترق جغرافيتنا وواقع حياتنا الاجتماعية والثقافية والسياسية والدينية في العالمين العربي والإسلامي، والملمح البارز غداة الأحداث :

أ- أنها المرة الأولى التي تضرب فيها الدولة الأمريكية -شرطي هذا العالم وحامل لوائه العسكري والتقني والأمني والاقتصادي والثقافي- ضربة قاسية جدا في عقر دارها، وبل وعند أكبر رموزها السياسية والاقتصادية، ممن ؟ ... من " عدو لا وجه له " كما وصفه الرئيس الأمريكي حينها (جورج بوش G.W. Bush)، أفقد القوة العظمى في العالم شرفها وندس عذريتها على حد وصف أحد الباحثين الأمريكيين.¹

ب- مع صرعة الأحداث تحولت كل الأنظار في العالم صوب الإسلام والمسلمين بصفة تلقائية، وبالذات نحو تنظيم القاعدة، بل وأعلن بعد مدة هذا التنظيم تبنيه للأحداث معتبرا إياها غزوة من غزواته في سبيل الله.

¹ Debra Merskin : « The Construction of Arabs as Enemies(Post-September 11 Discourse of George W. Bush) ». **Mass Communication & Society**, School of Journalism & Communication, University of Oregon, 2004, p 168.

ج- وأنها -تلك الضربة- جاءت و في ظروف هيمنة اليمين الديني والسياسي على القرار العالمي، ليس في الولايات المتحدة وحسب، بل وفي بعض أوروبا أيضا.

د- حرص " الولايات المتحدة " على فرض " التغيير "، ولو باللجوء للقوة العسكرية، كما حصل بعد في احتلال " أفغانستان والعراق "، على أن تتضمن حيثيات التغيير، إدخال مبادئ الديمقراطية، والتطوير الاقتصادي، والتجارة الحرة، إلى كل ركن من أركان العالم، والتركيز على " محاربة من يسمون الإرهابيين والطغاة" - بالمعيار الأمريكي طبعاً -.

وعليه غدت الولايات المتحدة الأمريكية، وهي التي في وقت ليس ببعيد - العقدين الأخيرين القرن الماضي - تدعم وتصنع أقصى نماذج التشدد الإسلامي سواء في بعض الدول العربية، أو بتحالفها مع المجاهدين الأفغان ضد الغزو السوفييتي- ضمن إطار محاربة الشيوعية على مستوى العالم ومحاربة الأنظمة القومية الثورية في المنطقة العربية - نجدها اليوم بعد هول الصدمة تلوح بالانتهام مشرقاً ومغرباً لكل الأنظمة والأشخاص والحركات والتيارات المنضوية تحت لواء الإسلام، باعتبارها خلفيات تحبذ العنف، وترفض القيم الغربية السمحة، فأندرت بشن حرب لا هوادة فيها ولا نهاية لها ضد من لم يكن معها، مصداقاً لخطاب رئيسها آنذاك والذي جاء فيه " من لم يكن معنا فهو مع الإرهابيين " وضمنه عبارة كانت أحدثت فجة في العالم الإسلامي مفادها " سنعلنها حرباً صليبية " ¹.

لقد أدت الأحداث و التطورات السابقة لأحداث الحادي عشر من سبتمبر إلى انفراد النظام الرأسمالي بقيادة العالم، و بدا هذا النظام يقدم إيديولوجيته و فكره باعتباره المؤهل لقيادة العالم، و انه سيسعى إلى تعميم ثقافته و قيمه على الآخرين، و أن حضارته قد انتصرت و يجب الأخذ بها كما روج لذلك بعض منظريه. ²

فكانت أحداث الحادي عشر من سبتمبر فرصة مهمة لإعادة الحديث من جديد عن إشكالية الثقافات وطبيعة العلاقة بين الحضارات، وعن النموذج الأصح لعالم ما بعد الأحداث، ورافق هذا الحديث العالمي بروز العديد من الافتراضات الثقافية والسياسية التي تحاول تقريب فهم أصول هذا الواقع العالمي الجديد، وتستشرف معالمة في ظل الصراعات الآنية والقادمة، وربما كان هذا أولى زلات هذه الافتراضات بعد أن بنت تقسيمها للعالم على افتراض الصراع والتطاحن في حين، كان من المنطقي النظر برؤية أكثر شمولية وسلمية وموضوعية

¹ George W. Bush : Address to the Nation .the White House archive, September 20, 2001
[On-line] <http://www.presidentialrhetori.com/speeches/09.20.01.html>,17.03.2013.11:00h.

² من أمثال صموئيل هنتغتون، فرانسيس فوكوياما، بول كيندي.

وتكافؤًا، وعليه صار الحديث عن انقسام العالم إلى عالم الخير الذي تمثله حضارة الغرب و عالم الشر الذي تمثله بعض الدول العربية و الإسلامية والجماعات والتنظيمات الممانعة، وبعض الدول ممن وصفت بالمارقة، والدول المعارضة للتوجهات الرأسمالية الأمريكية .

لقد سعت أمريكا بعد أحداث سبتمبر حمل الجميع على تقبل خطابها الأخلاقي الذي تملي بموجبه على شعوب العالم مفهومها الخاص والوحيد للشر و الخير، العدو والصديق، الصالح والطالح، وفي ظل مناخ الهيمنة الأمريكية على العالم، وحدث الولايات المتحدة في المتغير الإعلامي سبيلها لعولمة القهر- على حد وصف جلال أمين- وبذلك صلت مع كثير من دول العالم العربي والإسلامي إلى حدود المطالبة بالتدخل في الأصول والخصوصيات الثقافية و التعليمية ، فيما سمي بمشروع " الشرق الأوسط الكبير " ثم الشرق الأوسط الموسع " ، وذلك لتجفيف واستأصال منابع الإرهاب، ومنع كل قادم تحول له نفسه الوقوف على الند لثقافة العولمة و فكر الغرب وحضارته.

وفي هذا لعبت - ولا تزال - وسائل الإعلام دورا حاسما في تحمل عبء هذه المسؤولية الثقافية والسياسية والأيديولوجية، وأثارت - نتيجة تبني رؤى مغالطة تعكس سوء فهم أو منهجية قائمة على أسس غير علمية، و أخرى مقصودة تتم عن نظرة مريضة تجاه الإسلام - في العالم هستيريا معاداة الإسلام في الغرب والرهاب الإسلامي أو الخوف من الإسلام من دون أن تلقى بالا لردود الفعل الصادرة عن المسلمين أو مؤسسات المجتمع التي ينتمون إليها، وبتواطؤ معلن وغير معلن أحيانا مع الأنظمة والكيانات الرسمية الغربية، واللوبيات المناوئة، ووظفت لذلك أساليبها ولغتها الخاصة القائمة على التعميم والاختزال، والإسقاطات الاستيهامية على الإسلام والمسلمين، وإثارة العناوين الطنانة والتعابير المجازية التي تحيل إلى المسلمين (المتعصبون، الراديكاليون، الإرهاب الإسلامي، الظلاميون، الهويليغانز، أفراد الطابور الخامس، حصان طروادة، البربريون، الوحشيون، القتلة، القبلة الموقوتة، واللاعقلانيون ورجعيو القرون الوسطى و أعداء المرأة... وغيرها)، والمبالغة في نشر عدد معتقفي الإسلام من الغربيين، و الإشارة إلى وصولهم إلى مناصب رفيعة لإشعار المجتمع بالخطر القادم، و تكرار الحدث السيئ المنسوب إلى المسلمين في وسيلة الإعلام الواحدة مرات عدة من دون مبرر، و الخلط بين التدين عموما وبين الحركات المتطرفة المسماة بالأصولية الإسلامية و الضرب على وتر المشاعر و الأحاسيس الإنسانية ، والتأثير في المتلقي باستغلال جهله بالإسلام.

و أكثر من ذلك عملت كثير من وسائل الإعلام الغربية على محاولة استبعاد استضافة المحللين المنصفين أو على الأقل المحايدين¹ في الغرب للتعليق على الحدث، بل والتعظيم عليهم إعلاميا، والسبب البسيط والمباشر هو أن أطروحات وأراء هؤلاء لا تتماشى وسياقات " الفبركة " و ألعيب التزييف و التضليل الذي تقوم به الآلة الإعلامية الغربية في عرض الأحداث و فق قراءتها هي و ليس وفق الواقع.

وفي السياق تجدر الإشارة إلى نتائج إحدى الدراسات الغربية الرسمية، تحت عنوان " صورة المهاجرين العرب و المسلمين في ايطاليا بين وسائل الإعلام و المجتمع المدني "، وبدعم من المبادرة الأوروبية، إن المتابعة المتواصلة لوسائل الإعلام على مدى السنتين الماضيتين، كشفت أن (95 %) من حديث وسائل الإعلام عن الإسلام يدور حول العنف الذي ترتكبه بعض المجموعات باسم الإسلام في العالم.² واستغلت جل قضايا المسلمين تغطية عن أحداث محلية أو انتخابية أو على مشكلات اجتماعية، فثمة من يرى أن " وسائل الإعلام الفرنسية تخلق هواجس الحجاب الإسلامي و التطرف والإرهاب في محاولة لتجنب طرح الأسئلة الحقيقية التي تعرفها الضواحي في فرنسا و هي البطالة و المخدرات "³.

وأخطر ما نزعته إليه بعض وسائل الإعلام هو " شيطنة العدو " وهو هنا الإسلام و المسلمون ، و الهدف من ذلك نزع الصفة الإنسانية عن العدو، بحيث تستبعد كل الدبلوماسية والقوانين و حقوق الإنسان في معادلة العلاقة مع هذا العدو. وكثيرا ما عبرت دراسات المضامين الإعلامية الغربية، والمؤلفات المنشورة حديثا في الغرب و في العالم الإسلامي، عن هذه الحقيقة، وأن المركزية الأوروبية انعكست على الموقف الغربي ذاته حول ما يتعلق بالعرب و الإسلام وقضايا المسلمين، الأمر الذي كرس " شيطنتهم " حقا و اعتبارهم مجرد مضرين يقتاتون على أطراف هذه الحضارة العالمية من دون أن يساهموا في إنتاجها و صياغاتها، و تذهب صورة العرب و المسلمين في المناهج الدراسية الأمريكية و الإعلام الأمريكي إلى أدنى مستويات التحقير والإهانة على حد وصف (نيكولاس فون هوفمان N.V. Hoffman) الصحفي بجريدة " واشنطن بوست " قائلا: " لم تشوه سمعة جماعة دينية أو ثقافية أو قومية و حط من قدرها بشكل مركز و منظم، كما حدث للعرب و

¹ من أمثال : (روجيه غارودي R. Garaudy ، بورجا Borgia ، فانسان جيسير V. Jesser ، جوسلين سيزاري J.Cesari ، جيل كيپال G. Kippel ، روبرت فيسك R. Fisk ، ونعم تشومسكي N. Chomsky ، وادوارد سعيد E. Said ، وطارق رمضان...)

² نظام بركات . « تداعيات أحداث سبتمبر على النظام الدولي » . [On-line]

<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/.htm>, 1703.2013.11:45h.

³ Joachim Véliocas : **Ces Maires qui courtisent l'Islamisme**. Ed Tatamis, Pais France, 2007.pp 4-7.

المسلمين في الإعلام والثقافة الأمريكية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر"¹، و من المفارقة أن هذه الصورة البشعة للعرب في الإعلام والفكر الغربي تقابلها دائما صورة تقترن بالإنسانية والمدنية والحداثة و الديمقراطية لدول أخرى مزيفة على غرار " الكيان الصهيوني " .

ولئن كانت ظاهرة تشويه صورة الإسلام في وسائل الإعلام الغربية قديمة ممارستها، حتى إنها لتعود إلى عشرينيات القرن الفائت، فإن أحداث الحادي عشر من سبتمبر كانت مناسبة وفرصة مهمة لوسائل الإعلام لإعادة بعث وتكريس الصورة النمطية المضللة والمشوهة للإسلام، فتقرنه بالعنف والإرهاب والتطرف والجمود، وتروجه بأنه دين رافض للحداثة والتمدن بكل المقاييس، وغير قابل للتحديث، وغير ذلك من التهم -القريبة والبعيدة- عن حقيقة الدين الإسلامي، والأصعب أنها تأتي في سياق حرب إعلامية وثقافية ضروس تطال كل ما صلت إليه بشأن العرب و المسلمين، بدء بالحركات والتنظيمات المتشددة لتصل إلى الكتب والمقررات والمناهج الدراسية، مروراً بالسينما و المسرح و الكاريكاتير وكتابات الصحفيين ...، ما غرس في المخيال الغربي خوفاً متزايداً ومستمرًا من الإسلام والمسلمين، وازدادت الظاهرة استفحالاً بفعل تصرفات بعض المسلمين السلبية في البلدان الأوروبية والغربية بل وحتى في بلادهم، جعلت كثير من الغربيين يقبلون (الإسلاموفوبيا) على أنها مسألة طبيعية لا تدعو إلى القلق وتأنيب الضمير ... طالما أنها إسلامية شكلاً أو مضموناً² .

لكن ما ينبغي الإشارة له في السياق أن شخصيات و مؤسسات مدنية مرموقة في الغرب ، ظلت غير متأثرة بهذا الإعلام المغرض بل قامت بانتقاده، وكشف زيفه وعبرت عن موقفها الرافض لهذا التضليل، وفي هذا يقول البروفيسور (ماريو مورشيليني M. Morcelini) مدير قسم الإعلام و الاتصالات في الجامعة الإيطالية بروما - شارك في إعداد الدراسة المشار إليها سابقاً - " إن وسائل الإعلام في إيطاليا تبدو عاجزة عن فهم الظواهر الجديدة ، عجزاً في الفهم ، وآخر في التحليل ، إضافة للضعف المعرفي بالظواهر ، وعدم التقيد بالمعايير

¹ Christopher A. Bail : «The Fringe Effect: Civil Society Organizations and the Evolution of Media , Discourse about Islam since the September 11th Attacks ». **American Sociological Review**, American Sociological Association, SAGE, 2012 [On-line].

http://billtammeus.typepad.com/files/asr_dec_2012_bail_study_final.pdf,17.03.201,12:24h.

² Voir Alain Gresh : **L'islam, La République Et Le Monde** . Édition Casabah , Algérie 2006, p p 87-88.

الأخلاقية ، والمهنية في العرض و الاستخلاص ... وغير مقبولة " ¹ ، و يؤكد (هيلموت شميت H. Smith) المستشار الألماني السابق بقوله : " المشكلة تكمن في أن الرؤية الصحيحة للإسلام غير واضحة و غير كافية لدى الغرب المسيحي " ² .

أما في فرنسا فيكفي أن نطالع تعليق " (كزافيه ترنيزيان X. Ternisien) - مختص في دراسة الأقليات اليهودية والإسلامية في فرنسا - قائلا : " يجب أن نقر بضرورة وجود فهم أفضل، واحترام أكبر لفرنسا التي أصبحت أيضا مسلمة منذ أصبح فيها الإسلام الديانة الثانية. ليس فرنسا الإعلام بل تلك التي يعيش فيها المسلمون و غالبيتهم من الفرنسيين و الذين تطرح أمامهم مشكلات الحياة اليومية كما يعيشها مئات الآلاف من المؤمنين، والأسئلة اللاهوتية و السياسية التي يحاولون الإجابة عنها ³ . بل يذهب (جيسير V. Geisser) إلى حد اتهام المحابرات وبعض رجال بتعمد إشاعة التخويف من الاسلام والمسلمين في الوعي الفرنسي ⁴ .

فهذه المظاهر رغم أنها تكشف بعمق مدى جهل أو تجاهل الغربيين بعالمنا و ثقافتنا وأنماط حياتنا... إلا أنها تكشف من جهة أخرى أن في العقل الغربي من يتساءل و يحاول أن ينتقد ويراجع تصورات و انطباعاته عن الإسلام والعالم العربي والشرق عموما... بعيدا عن ضغط الواقع و أحداثه التي لم تستطع الآلة الإعلامية حجبتها و طمسها، و بات كثير منهم يشعر أن ثمة كيانات إسلامية مفكرة وقادرة أن تقدم للعالم الكثير بإبداعاتها و علومها وفنونها و ثقافتها.

عند هذه النقطة بالذات ، وتدعيما لهذه المواقف المنصفة في الغرب يتعين على الإعلام - العربي والإسلامي - أن يقوم هو أيضا بدوره، ويخرج عن قوقعته، و خضوعه و نمطيته، لينهض بدوره الفاعل في تصحيح صورة العرب والإسلام والمسلمين، وينفض بعضا من الغبار عن ثروته التاريخية والحضارية والقيمية والإنسانية التي ليست أقل شأنًا من حضارة الغرب وقيمه، إن لم نقل أكثر تفوقا منه. مع أن نجاحه في هذه المهمة يبقى رهنا قدرته على ترتيب بيته الداخلي بداية، ثم التواصل الآخر، ومخاطبته بنفس التقنية والمهارة التي يتمتع بها.

¹ Enzo Traverso : **La fabrique de la haine Xénophobie et racisme en Europe** . International Institute for Research and Education – Amsterdam , Août 2012 . [On-line] <http://fileservet.iire.org/ys12/D6/6-FR.pdf>

² Ibidem.

³ Xavier Ternisien : « Plus pratiquants, les musulmans de France sont aussi mieux intégrés » . **Le Monde**, N°17814 ,03.avril.2002.p 13.

⁴ Vincent Geisser : **La Nouvelle Islamophobie** . Ed La découverte , Paris, 2003, P 29.

كما أن نجاح هذا الإعلام يبقى رهن مدى تحرر هذا الخطاب (سياسيا، علميا، دينيا، ثقافيا)، ليصدر مقنعا، رصينا، متكاملا ومتناسقا مع مرجعياته و أهدافه . ولا يتحقق ذلك على الوجه الأمثل إلا بالسعي لبناء منظومة إعلامية متكاملة كفيلة بتحقيق الأهداف الكبرى لهذه الأمة.

وتبقى الخطوة الأهم في هذا السياق، والمنفذ الوحيد للتواصل والتأثير في المجتمع والإعلام الغربيين - والتي تأتي في ضوئها دراستنا اتجاهات الإعلام الغربي نحو قضايا الإسلام والمسلمين بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر - هي معرفة من نخاطبه معرفة علمية موضوعية، عميقة و دقيقة، لا تغفل سياقاته الثقافية والتاريخية وبنيته النفسية والاجتماعية التي ينطلق منها.

ولعل في الدراسة ما ينحوا نحو ذلك الهدف، ويجفر في طريقه عسى أن تكون ممهدا أو مسلكا لفهم أكبر يأتي بعد، وكانت الدراسة - قبل أن تختزل إلى ما هي عليه كرها- تسعى لرصد طبيعة أداء الإعلام الغربي تجاه الإسلام والمسلمين بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001) من خلال أحد أكبر صحفيتين عالميتين انتشارا، ألا وهما صحيفة " نيويورك تيمز الأمريكية " و"لوموند الفرنسية " بعد الأحداث، إلا أن الصعوبات المادية والتقنية حالت دون الحصول على العدد الكافي من أعداد الصحفيتين وخاصة صحيفة " نيويورك تيمز الأمريكية "، فاقترنت الدراسة - قصرا- بعد عناء كبير الاكتفاء -وفي حدود ما أتيج - بصحيفة " لوموند " الفرنسية، على أهميتها خاصة أنها تتعلق بفرنسا ومؤسساتها السياسية والإعلامية والمدنية، هذه التي تربطنا بها - باعتبارنا جزائريين ومسلمين - علاقات خاصة جدا قد لا تتشابه وباقي الدول الغربية الأخرى، فالقرب الجغرافي والتاريخي والثقافي له دوره وأهميته في هذا السياق، ولأجل مقارنة إشكالية الدراسة والبحث في اتجاهات الإعلام الفرنسي نحو الإسلام والمسلمين، بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001)، وبالذات صحيفة "لوموند" أحد أكبر الصحف الفرنسية، والغربية بل والعالمية انتشارا وتأثيرا في الرأي العام، قدمنا خطة تضمنت قسمين أساسيين الأول نظري والثاني تحليلي وفق الآتي :

ضم الأول (القسم النظري) : أربعة فصول أساسية تناول الفصل الأول منها الإجراءات المنهجية للدراسة، وضم : إشكالية الدراسة وتساؤلاتها، فرضيات الدراسة، أهمية الدراسة، أهداف الدراسة، منهج الدراسة وأداة جمع البيانات. أما الثاني فخص لتناول التغيرات الدولية التي سبقت أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001)، وضم : ليتناول الفصل الثالث، السمات العامة لأحداث الحادي عشر من سبتمبر، بداية

المقاربات التحليلية في تفسير أحداث الحادي عشر من سبتمبر، التداعيات الفكرية والإستراتيجية للسياسة الدولية بعد الأحداث، المقاربة الثقافية في الحرب على الإرهاب، التداعيات المؤسسية والقانونية للأحداث، متبوعة بالتداعيات الأمنية والعسكرية، ثم التداعيات الاقتصادية. أما الفصل الرابع فخص لتقصي أبعاد صورة الإسلام والمسلمين في الوعي الغربي ودور وسائل الإعلام في ذلك، وسبل تقديم مقاربة لبناء استراتيجيه إعلامية عربية - إسلامية - بديلة .

أما (القسم الثاني) فقد خص للدراسة التحليلية، وقد تضمن فصلين أساسين الأول منه- وهو الفصل الخامس في الدراسة - فتناول التعريف بالدراسة التحليلية وإجراءاتها المنهجية، ونعني بذلك مجتمع الدراسة وعينتها، وأسلوب التحليل الإحصائي إضافة إلى عرض النتائج الكمية لتحليل مضامين واتجاه صحيفة " لوموند " تجاه الإسلام والمسلمين بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر. فيما تطرقت الدراسة في الفصل الأخير - - وهو الفصل السادس - إلى عرض القراءة الكيفية لمضامين القراءة الكمية المصنفة في الفصل الخامس، من أجل تفسير نتائجها، واستنتاج الإجابة على التساؤلات المطروحة في سياق الإشكالية، وتحقيق الفرضيات المقدمة .

وأخيراً، ليس من زلة الأذهان أمان ولا من تسطير البنان اطمئنان، وقد قيل الكتاب كالمؤلف لا يسلم من المؤاخذة، ولا يرتفع عنه القلم، فرحم الله من أوقفني على خطأ فصحه لا جرحه، وكان لي عاذراً لا عادلاً ، والله الموفق وعليه التكلان.

الفصل الأول

الإطار المنهجي للدراسة

- 1-1 إشكالية الدراسة وتساؤلاتها.
- 2-1 فرضيات الدراسة .
- 3-1 ضبط مفاهيم الدراسة .
- 4-1 أهمية الدراسة وأهدافها.
- 5-1 نوع الدراسة ومنهجها وأسلوبها،
- 6-1 أداة جمع بيانات الدراسة .
- 7-1 الدراسات السابقة .

1-1-أ إشكالية الدراسة

ظلت ولا تزال ثنائية "إسلام/غرب" محل جدل ونقاش كبيرين على كثير من المنابر الأكاديمية والثقافية والسياسية والإعلامية، لما تستبطنانه من تراث مشترك وسلسلة من التصورات-المشوهة والمغلوبة- التاريخية والنفسية المتبادلة ذات الجذور الراسخة والعميقة، والتي سرعان ما تتجدد حضورا كلما هزت أركان هذه الثنائية أزمة من الأزمات، ولعل أشدها وقعا في هذا في هذا القرن، أحداث الحادي عشر من سبتمبر سنة (2001) بالولايات المتحدة الأمريكية، هذه الأخيرة التي ستظل على مر التاريخ الإنساني نقطة فاصلة بكل ما تحمل الكلمة من معنى، إذ شهد الواقع العالمي بعدها تغيرا حادا عما كان قبله، جغرافيا، إستراتيجيا، أمنيا، سياسيا، اقتصاديا، إعلاميا وثقافيا (...). ومهما حاول البعض إنكار هذه الحقيقة أو التهوين من شأنها، فإن الأحداث العالمية التي ألفت بظلالها منذ ذلك التاريخ إلى اليوم تظل شاهدة وبخاصة فيما له علاقة بالإسلام والمسلمين.

لقد غدا مجرد ذكر مصطلح الإسلام -كمثال لا الحصر- في سياق الخطاب، يبعث في أفق المخيال الغربي كثيرا من التعميمات والهواجس والتصورات (...). عن ردود أفعال "متوجسة"، أو "ناقمة وحاقدة"، أو خطر "يهدد" منجزات المدنية والحداثة الغربية. بمختلف مظاهرها المادية والمعنوية.

إن مما يؤسف له في ظل هذه التغيرات المتعاقبة هو الأسلوب المتحيز والفاضح الذي عاجلت به قطاعات واسعة من الإعلام الغربي قضايا تتعلق أساسا بـ "الإسلام وأتباعه" من جهة، وظاهرة ما يسمى بـ "الإرهاب"، "التطرف"، "العنف" ... من جهة ثانية، حتى غدا شبه حتمية في المخيال الغربي، وأدبيات خطابه الإعلامي أن "الإسلام" و "العنف"، أو "الإرهاب" وجهان لعملة واحدة، وهذا النوع من التداخل والتعميم المشوه والمغلوط إنما يؤسسه الحقد الدفين المتوارث من جهة، والجهل المتبادل وعدم وضوح الرؤية وغلبة الانفعال على التفكير النقدي من جهة ثانية، وقد يكفي لبيان مدى اعتبارية ربط أحدهما بالآخر أن يلاحظ المرء أن "الإرهاب" في عصرنا اليوم ظاهرة عامة، وذات دوافع مختلفة، يعاني منها العالم من اليابان إلى أوروبا وأمريكا، عبر آسيا وإفريقيا، ومع ذلك يصير الخطاب الإعلامي الغربي إصرارا شديدا على ربط

"الإرهاب" بـ "الإسلام" في البلدان العربية خاصة، والإسلامية عامة متجاهلا في ذلك كل العوامل الموضوعية التي أنتجت، - على فرض التسليم بأنه إرهاب أصالة- في حين عندما يتعلق الأمر بـ "الإرهاب" خارج الدائرة الإسلامية يصرف النظر تماما عن ربطه بالدين، ليقع البحث والتركيز عن مبرراته وأسبابه الموضوعية وغير الموضوعية،¹ لقد ساعدت بشكل كبير هذه التغطية المتحيزة في تكريس تصورات ذهنية، وقيم، ومفاهيم جديدة غاية في الإساءة وسوء الفهم كما " الإرهاب الإسلامي"، " الإسلاموفوبيا"، " محور الشر"، " الصليبيون الجدد"... الخ.

وما نود مقارنته في دراستنا هو اتجاه معالجة الإعلام الغربي - الفرنسي على وجه التحديد- الاسلام والمسلمين بعد الأحداث في ظل هذا التراكم العدائي المغلوط، وهيمنة الايدولوجيا المتصهينة على طبيعة العلاقات الدولية أو ما يمكن أن نلخصه في الرؤية² الأمريكية.

لقد عمدت الإدارة الأمريكية الجمهورية إلى رد فعل عنيف وقوي عقب الأحداث مباشرة، منتهجة في ذلك إستراتيجية أكثر عنفا وترهيبا ضد المسلمين شعوبا وحكومات وتنظيمات ومؤسسات،³ إستراتيجية تقاطع فيها الدور السياسي مع العسكري والاقتصادي مع الثقافي والإعلامي، تحت شعارات متعددة، وغاية واحدة " الحملة ضد الإرهاب الإسلامي".

وهو موقف رأت فيه بعض دول أوروبا - ومنها فرنسا- مروقا عن الشرعية الدولية، بل ولا يساير إستراتيجيتها المستمسكة بالطرق السلمية والحوار في حل الأزمات الدولية، خصوصا بعدما ما أدركت أن إدارة الجمهوريين في أمريكا لا تهتم كثيرا بمشاركة الأوربيين الفعالة ضد الإرهاب، بقدر اهتمامها بانتزاع الدعم السياسي منهم، وصحت وسائل الإعلام الأوروبية عن دورها التابع، والملمع لسياسة الجمهوريين، واكتشفت معه أن " الحرب على الإرهاب" بالمفهوم الأمريكي مجرد فزاعة لتحقيق مآرب أخرى، ولا حتم مصيرها الفشل، طالما أنها تتجاهل عمدا الدواعي المنطقية والجذور الخفية ومن باب أولى المصالح الأوروبية (...). هذه

¹ محمد عابد الجابري : مسألة الهوية " العروبة والإسلام والغرب". ط3، مركز دراسات الوحدة العربية، (سلسلة الثقافة القومية)، 27. قضايا الفكر العربي (3)، بيروت، لبنان، 2006، ص: 177.

² جدير بالذكر أننا وظفنا هذا المصطلح عمدا تشبيها بموقف فرعون مع بني إسرائيل وقد استقينا من القرآن الكريم وهو يصف حالة غطرسة فرعون وهيمنته على بني إسرائيل ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ سورة غافر، الآية 29.

³ دافيد راي قريفيين : شبهات حول 11 سبتمبر(أسئلة مقلقة حول ادارة بوش و أحداث 09/11). (تر) مركز التعريب والترجمة، ط1، الدار العربية للعلوم، لبنان، 2005، ص: 14.

الأخيرة التي بدأ السؤال يطرح في أوساطها الشعبية والسياسية وعلى منابرها الإعلامية-الفرنسية منها على وجه الخصوص- حول الخلفية والمصالح والأهداف غير المعلنة والتطلعات لهذه الإستراتيجية الجديدة¹ وقد لخصها صراحة وزير الخارجية الفرنسي السابق (هوبير فيديران H. Fondin) بقوله : إن الإجراءات الأمريكية في الحرب على الإرهاب "تبسيطية"².

عند هذا المستوى من التفاوت الاستراتيجي بين الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا تأتي إشكالية الدراسة لبحث عن اتجاهات الصحافة الفرنسية نحو الإسلام والمسلمين بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001)، مستندة في ذلك إلى مقارنة نظرية للمؤرخ الفرنسي (فرديناند بروديل F. Braudel)، القائمة على افتراض التمييز بين " التاريخ الحديث " الآني ذي الإيقاع السريع، أي زمن الأحداث اليومية المتتالية، و" التاريخ اللاحدثي " ذي الإيقاع البطيء، أي زمن البنات العميقة والتحويلات الهيكلية غير الظاهرة³.

حيث يذهب "بروديل" إلى أن الزمن الحديث الذي يسميه أيضا "زمن الحروب والمعاهدات" هو الذي استأثر باهتمام المؤرخين والسياسيين والإعلاميين رغم أنه نسي، جزئي ومضلل أحيانا، بوصفه يقف عند التموجات السريعة التي لا يتسنى فهمها وضبطها إلا في سياقها البنوي الأعمق، فيما تناسوا أبعاد "التاريخ اللاحدثي" وأهميته في ضبط وفهم الظواهر الإنسانية والثقافية المعقدة، في ضوء هذا السياق النظري تم ضبط إشكالية الدراسة وفق التساؤل الرئيس الآتي :

ما هي اتجاهات صحيفة " لوموند Le Monde " تجاه الإسلام والمسلمين غداة أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001) بالولايات المتحدة الأمريكية، وبعد مرور ثماني سنوات عن الحدث ؟

1 كما يورد الدبلوماسي والصحفي في جريدة "لوموند ديبلوماسيك الفرنسية (Eric Rouleau) مجموعة من المقالات المتسلسلة سنوات 2002، تضم مجموعة مكثفة من الأسئلة تستكشف نوايا وتطلعات وأهداف الإستراتيجية الأمريكية للحرب ضد الإرهاب 2003.... ينظر : **Le Monde Diplomatique**, Le 02 Mai 2003, [On-line], <http://www.monde-diplomatique.fr/2003/02/ROULEAU/9986>, le 02/06 /2013, 10:30 h.

² Hubert Védrine : « La France et sa politique étrangère » . **Le Monde** , N° 19633, le 04 .p1/3.

³Voir Fernand Braudel: Ecrits sur l'histoire. Champ Flammarion, Paris, France, 1993.

1-1- ب تساؤلات الدراسة

تهدف الدراسة بشكل رئيس إلى معرفة : اتجاهات صحيفة " لوموند Le Monde " تجاه الإسلام بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001) بالولايات المتحدة الأمريكية، وبالتالي ضرورة البحث في المضامين ما كتب عن الاسلام والمسلمين وسياقاتها وطبيعة مصادرها وقيمتها، وبالنظر إلى خصوصية المنهج المتبع، وأسلوب الدراسة الأنسب، ولأجل صياغة المشكلة البحثية صياغة دقيقة فقد تم تفريع التساؤل الرئيس إلى التساؤلات الفرعية الآتية :

- 1- ما هي الموضوعات التي أثارها صحيفة " لوموند Le Monde " عند تغطيتها مضامين الإسلام والمسلمين خلال فترتي التحليل من الدراسة ؟ وهل ثمة فروق ذات دلالة إحصائية تعزى إلى ذلك ؟
- 2- ما القيم التي أثارها صحيفة " لوموند Le Monde " في معالجها الإعلامية لموضوعات الإسلام والمسلمين خلال فترتي الدراسة ؟ وهل ثمة فروق ذات دلالة إحصائية تعزى إلى ذلك ؟
- 3- ما أساليب الإقناع التي وظفتها صحيفة " لوموند Le Monde " لمعالجة موضوعات الإسلام والمسلمين خلال فترتي الدراسة ؟ وهل ثمة فروق ذات دلالة إحصائية تعزى إلى ذلك ؟
- 4- ما هي المصادر التي اعتمدها صحيفة " لوموند Le Monde " الفرنسية في معالجة موضوعات الإسلام والمسلمين خلال فترة الدراسة ؟ وهل ثمة فروق ذات دلالة إحصائية تعزى إلى ذلك ؟

2-1 فرضيات الدراسة

1-2-1 الفرضية الرئيسية :

ليست هنالك فروق في اتجاهات صحيفة " لوموند Le Monde " تجاه الإسلام وقضايا المسلمين غداة أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001) بالولايات المتحدة الأمريكية، وبعد مرور ثماني سنوات من الحدث .

2-2-1 الفرضيات الفرعية :

تتبعاً لمسار التساؤلات فرعت الفرضية الرئيسة إلى الفرضيات الآتية :

1- يغلب موضوعاً " علاقة الإسلام بظاهرة الإرهاب " و"قضايا الإسلام السياسي" على تغطية صحيفة " لوموند Le Monde " لمضامين الإسلام والمسلمين خلال فترتي التحليل من الدراسة، مع عدم وجود فروق دال إحصائياً.

2- تغلب القيم السلبية على القيم الإيجابية في المعالجة الصحافية لموضوعات الإسلام والمسلمين في صحيفة " لوموند Le Monde " خلال فترتي التحليل من الدراسة، مع عدم وجود فروق دال إحصائياً.

3- تبرز الصحيفة موضوعات الإسلام والمسلمين على " صفحتها الأولى والأخيرة " تمييزاً لهم، خلال فترتي التحليل، وخاصة فترة التحليل من سنة (2001) .

4- تركز صحيفة " لوموند Le Monde " على اعتماد أسلوب الاستمالات العاطفية، والإحصاءات والأرقام في الإقناع عند موضوعات الإسلام والمسلمين فترتي التحليل من الدراسة، مع عدم وجود فروق دال إحصائياً.

5- تغلب صحيفة " لوموند Le Monde " المصادر الذاتية على المصادر الخارجية أثناء المعالجة الصحافية لموضوعات الإسلام والمسلمين خلال فترتي التحليل من الدراسة، مع عدم وجود فروق دال إحصائياً.

1-3-1 الاتجاه

أ- **التعريف اللغوي** : جاء في لسان العرب (...). تجاه أصله وجاه، قال وقد اتجهنا وتجهنا، وفي حديث صلاة الخوف قال صلى الله عليه وسلم " طائفة تجاه العدو أي مقابلتهم "، والتاء فيه بدلا من واو وجاه أي مما يلي وجوههم.¹

توجه إليه : ذهب واتجه له رأي أي سنع، وهو افتعل، صارت الواو ياء لكسر ما قبلها، وأبدلت منها التاء، وأدغمت ثم بني عليه قولك قعدت تجاهك، وتجاهك أي تلقائك. واتجهت إليه أي توجهت لأن أصل التاء فيهما واو، والجهة والوجهة جميعا: الموضع الذي تتوجه إليه وتقصده.²

توجهات: من وجه وهو مستقبل كل شيء، ومنه (توجه إليه) أي أقبل عليه.³ وعليه فصدر اتجاه " و ج ه " على ما جاء في " معجم المقاييس "، والواو والجيم والهاء : أصل واحد يدل على مقابلة لشيء. والوجه مستقبل لكل شيء ... والوجهة كل موضع استقبلته.⁴

ب- **التعريف الاصطلاحي**

تعد الاتجاهات مؤشرا مهما يستخدمه الإعلاميون وعلماء النفس والاجتماع والاقتصاد وغيرهم من أجل رصد وتوقع السلوك المميز للفرد في المواقع الاجتماعية المختلفة، بل تعتبر من الجوانب الوجدانية الأساسية المرتبطة بمشاعر الفرد ومعتقداته وحاجاته، ويستدل عليها من خلال سلوكه الملاحظ أو استجاباته اللفظية أو غير اللفظية لمقاييس الاتجاهات بأنواعها المختلفة، فالإتجاه يدفع بالفرد إلى قبول فكرة ما أو رفضها، وقيمة الإتجاه هي التي تحدد درجة هذا الرفض أو القبول.

وإن رجعنا إلى التعريف العلمي للإتجاه فنكاد لا نجد تعريفا جامعاً مانعاً له، شأنه في ذلك شأن العديد من المصطلحات النفسية والاجتماعية والإعلامية صعبة التعقيد، إذ على الرغم من البحوث العديدة التي تناولت

¹ جمال الدين ابو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور المصري الإفريقي : لسان العرب . تحقيق عام احمد حيدر، المجلد السابع، دار الكتب العلمية، ص 1058.

² المصدر نفسه، ص 1130.

³ محمد مرتضى الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس. المجلد السابع، منشورات مكتبة دار الحياة، بيروت، 1965، ص:535.

⁴ أبي الحسن احمد بن فارس بن كريات : معجم مقاييس اللغة . تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، ج6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1979، ص 89.

الاتجاهات، وكذا الكتب والمراجع التي اتخذت لها من هذا الموضوع عنوانا، والمقالات والدراسات العلمية التي تناولت بالدراسة شتى جوانب الاتجاهات : مكوناتها، ونظرياتها، وكيفية تكوينها وتعديلها وتغييرها، وعلاقتها بغيرها من الظواهر النفسية، فإن علماء النفس لم يصلوا بعد إلى تعريف موحد لماهية الاتجاهات¹ بل وإلى الكثير من المصطلحات النفسية والاجتماعية المماثلة لها مثل الذكاء والتفكير، والسمة، لما يعترها من مشكلات، أهمها عدم الاتحاد والاتفاق على مفهوم واضح لها، فهي مفاهيم غير ملاحظة بطريقة مباشرة، فهذه المصطلحات وغيرها من المصطلحات التي تشكل متغيرات خفية فرضية لا تلاحظ مباشرة، ولكنها تظهر عن طريق الاستنتاج، وقد جمع (البورت Allport) ما يربو على السبعة عشر تعريفا للاتجاه منذ أكثر من نصف قرن من الزمان، وذكر (ماكجواير Maguire) في مسحه لتعريفات الاتجاه سنة (1969 م) ما يقرب من ثلاثين تعريفا،² وتتكون لدى الفرد خلال مراحل النمو المختلفة اتجاهات مختلفة سواء نحو الأفراد أو الجماعات أو المؤسسات والمواقف والموضوعات الاجتماعية، وكل ما يقع في المجال البيئي للفرد يمكن للفرد أن يكون موضوع اتجاه من اتجاهاته.

لهذا أشارت الدراسات إلى أن وجود ما يربو عن (500) تعريف للاتجاه مختلفة عن بعضها، وأنه في (70) من (200) دراسة تم تعريف الاتجاه بأكثر من معنى، واختلفت نتائج الدراسات حسب التعريف الإجرائي المستخدم.³

وعرف (البورت G.W. Allport) الاتجاه بأنه "حالة استعداد عقلي وعصبي، منظمة حول الخبرة، ويوضح تأثيرا ديناميكيا مباشرا على استجابة الفرد لكل الموضوعات والمواقف التي تتعلق بها".⁴ وعرفه (بوجاردوس Bougardus) بأنه نزعة نحو أو ضد بعض العوامل البيئية، تصبح لهذه النزعة قيمة إيجابية أو سلبية، وهو بهذا أكثر عمومية من الرأي كون الاتجاه يشير إلى ما نحن على استعداد لعمله، أما الرأي فيشير إلى ما نعتقد أنه صواب.⁵

¹ Martin Fishbein : **Belief, Attitude and Behaviour**. Addison wesley, co, London 1976, P 73.

² ينظر زايد بن عمر الحارثي: بناء الاستفتاء وقياس الاتجاهات . دار الفنون، جدة، 1992، ص ص . 23-25.

³ ينظر : سعيد شويل العامدي : اتجاه المعلمين نحو التقاعد المبكر في مكة المكرمة. (رسالة ماجستير منشورة)، جامعة أم القرى كلية التربية، قسم علم النفس، مكة المكرمة، 1422هـ.، ص32.

⁴ عبد الرحمن عيسوي : دراسات في علم النفس الاجتماعي. دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، 1994، ص 194.

⁵ ينظر المرجع نفسه : ص 197.

ويعرفه (ثورستون **Thurston**) بأنه مجموعة ميول الفرد ومشاعره وانحيازاته مع أو ضد وكذا أفكاره ومخاوفه نحو موضوع نفسي معين، ويقصد (ثورستون) بالموضوع النفسي رمزا أو شعارا أو شخصا أو موقفا أو فكرة، إذ يمكن أن يختلف الناس في عاطفتهم نحو هذا الموضوع النفسي".¹

ويعرفه (هاري ايشوا **Harry Aichoa**) بأنه المواقف التي يتخذها الأفراد في واجهة القضايا والأمور المحيطة بهم، بحيث يمكن أن يستدل على هذه المواقف من خلال النظر إلى الاتجاه باعتباره يتكون من ثلاثة أجزاء(الجزء المعرفي، الجزء السلوكي، الجزء الانفعالي).²

وعرفه الباحث (زايد بن عمر الحارثي) الاتجاه بأنه " استعداد أو تهيؤ عقلي وعصبي خفي متعلم، منظم حول الخبرة للاستجابة بانتظام بطريقة محبة وغير محبة فيما يتعلق بموضوع الاتجاه".³

كما عرفه (أحمد عبد اللطيف وحيد) بأنه "استعداد نفسي أو حالة عقلية ثابتة نسبيا مستمدة من البيئة يستدل عليها من استجابة الفرد قبولاً أو رفضاً لموقف معين".⁴

في حين عرفه (حامد زهران) بأنه " تكوين فرضي أو متغير كامن أو متوسط يقع فيما بين المثير والاستجابة، وهو عبارة عن استعداد نفسي، وتهيؤ عقلي عصبي متعلم للاستجابة الموجبة أو السالبة-القبول أو الرفض-نحو أشخاص أو أشياء أو موضوعات أو مواقف في البيئة التي تستثير هذه الاستجابة".⁵

ويلاحظ على التعاريف آنفة الذكر الغربية ومنها والعربية أنها لم تقف على توصيف دقيق لمعنى الاتجاه، فعند بعضهم نزعة وعند آخرين موقف والآخرين استعداد، ومركب .. وهي كلها مصطلحات يصعب الوقوف على معانيها الدقيقة، ومع ذلك نلمح أن هذه التعاريف قدمت جملة من المحددات المهمة لمفهوم الاتجاه يمكن إجمالها في النقاط الآتية :

- الاتجاه استجابة عامة من الفرد أو الجماعة تجاه موضوع معين.
- الاتجاه يتضمن حالة تأهب، أو استعداد لدى صاحبه.
- إن هذه الاستجابة تكون في الغالب سريعة ودون تكلف أو تفكير عميق إزاء موضوع معين.

¹ .هاشم جاسم السامرائي: المدخل في علم النفس . مطبعة مير ، بغداد :، 1988، ص 94.

² عبد الفتاح محمد دويدار: سيكولوجية العلاقة بين مفهوم الذات والاتجاهات. دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1992، ص 154.

³ زايد بن عمر الحارثي: مرجع سابق، ص25.

⁴ احمد عبد اللطيف وحيد : علم النفس الاجتماعي . دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 2001، ص42.

⁵ حامد زهران : علم النفس الاجتماعي، القاهرة : عالم الكتب، 1974، ص 136.

- فضلا على تكونها فإنها تبقى وتثبت نسبيا، كما أنها قد تتغير أصلا.
- يتكون الاتجاه وتتأثر درجاته من خلال ما يتوفر لدى الفرد من معارف ومعتقدات ترتبط بموضوع الاتجاه.
- يحمل الاتجاه درجة قد تكون مؤيدة أو معارضة وربما محايدة ترتبط بموضوع الاتجاه.
- يتضمن الاتجاه ثلاثة مكونات أساسية معرفية، ووجدانية، وسلوكية.

وفي سياق إشكالية الدراسة وتساؤلاتها وفي ضوء هذه المحددات يمكن ضبط المفهوم الإجرائي في هذه الدراسة للاتجاه بأنه: المحصلة الكلية لتوجه واستعداد صحيفة " لوموند Le Monde " للاستجابة السلبية أو المحايدة أو الإيجابية، أثناء المعالجة الصحافية لموضوعات الإسلام والمسلمين خلال فترة الزمنية للدراسة، انطلاقا من تحليل الموضوعات والقيم والمصادر وأساليب الإقناع .

1-3-2 الصحافة الفرنسية .

الصحافة

أ- **التعريف اللغوي** : الصحافة، بكسر الصاد، من صحيفة، وجمعها: صحائف أو صحف. والصحيفة هي الصفحة، وصحيفة الوجه، أو صفحة الوجه، هي بشرة جلده. والصحف وصحائف هي الكتاب، بمعنى الرسالة، وفي القرآن الكريم: ﴿إِن هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى، صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى الآية : 18-19] والصحف، هنا، بمعنى الكتب المنزلة عليهما¹... وفي الحديث: عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿لَا تَسْأَلِ الْمَرْأَةَ طَلَاقَ أُخْتِهَا لِتَسْتَفْرِغَ مَا فِي صَحْفَتَيْهَا﴾² والصحيفة ما يكتب فيه من ورق ونحوه³، هي والتصحيف: الخطأ في الصحيفة.⁴

في اللغة الإنجليزية (Journalisme) من الأصل (Journal) أحد مشتقات كلمة (Jour) الفرنسية، أي يوم، وكلمة (journal) في الفرنسية تعني في الأساس يومي، من يوم، أما الجريدة فتسمى بالفرنسية (Journal) أي يومية، وتعني النشرة المطبوعة التي تصدر يوميا وتشمل موضوعات متنوعة، أهمها الأخبار،

¹ ينظر ابي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي : **الجامع لأحكام القرآن** . الجزء العشرون، دار الكتاب المصرية، القاهرة، 1950، ص 24.

² رواه البخاري، رقم 4857.

³ محمد ناصر الدين الألباني : **السلسلة الصحيحة** . الجزء السادس، ط 1، مكتبة دار المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 141هـ - 1996 م، ص 726.

⁴ ينظر جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور المصري الإفريقي : **مصدر سابق**، المجلد الخامس، ص : 590-591.

ولكن قد يتوسع في المعنى، فيقصد بها المجلة الأسبوعية أو أي دورية تقدم تقريرا عن الأحداث،¹ وبالإنجليزية (News Paper) وهي كلمة مركبة من (News) أي أخبار، و(Paper) أي ورق، ومعناها مجردة " ورق الأخبار".²

وعربيا أول من استعمل لفظ الصحافة، بمعناها الحالي، كان (نجيب الحداد)، منشئ صحيفة " لسان العرب"، في الإسكندرية، وحفيد الأديب (ناصيف اليازجي)، وإليه يرجع الفضل في انتشار المصطلح "صحافة" في أدبيات الصحافة وأقسام الإعلام، ثم قلده سائر الصحفيين، بعد ذلك.³

ب- **التعريف الاصطلاحي** : تعرف الصحافة في أدبيات الإعلام والاتصال، بأنها جمع الأخبار ونشرها، ونشر المواد المتصلة بها، في مطبوعات، مثل الجرائد، المجلات، الرسائل الإخبارية، المطويات، الكتب، وقواعد البيانات المستعينة بالحاسبات الإلكترونية. أما الاستعمال الشائع للصحافة فينحصر في إعداد الجرائد، وبعض المجلات، وإن كان يمكن أن يتسع ليشمل باقي صور النشر الأخرى.

والصحافة كذلك هي صناعة الصحفي، والصحافيون هم القوم الذين ينتسبون إليها، ويعملون بها. والمقصود منها في الدراسة : كل الصحف على اختلاف اختصاصها أو جغرافية توزيعها أو دورية صدورها التي تصدر في فرنسا في حدود المجال الزمني للدراسة-أي بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001) -، وقد اختيرت صحيفة لوموند (Le monde) الفرنسية كأمثلة لهذه الصحافة.

1-3-3 الإسلام

أ- **التعريف اللغوي** : جاء في " معجم مقاييس اللغة "، كتاب السين : أن السين واللام والميم معظم بابه من الصحة والعافية؛ ويكون فيه ما يشد، والشاذ عنه قليل، فالسلامة: أن يسلم الإنسان من العاهة والأذى. قال أهل العلم: الله جل ثناؤه هو السلام؛ لسلامته مما يلحق المخلوقين من العيب والنقص والفناء. قال الله جل جلاله ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ ﴾ [يونس 25]، فالسلام الله جل ثناؤه، وداره الجنة. ومن الباب أيضا الإسلام، وهو الانقياد؛ لأنه يسلم من الإباء والامتناع.⁴ يقال أسلم فلان أي خضع وإنقاد ومن ذلك قول الله تعالى ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْعُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾

¹ أحمد زكي بدوي : معجم مصطلحات الإعلام. تقدم أحمد خليفة، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1994، ص 90.

² محمد منير حجاب : الموسوعة الإعلامية. المجلد الرابع، دار الفجر للنشر والتوزيع، ص1490.

³ المرجع نفسه. المجلد الرابع، ص 1490.

⁴ أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا : الجزء الأول، مصدر سابق، ص 97.

[آل عمران83]، ويطلق الاسلام على كل من اتبع تعاليم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ صلى الله عليه وسلم¹

ب - **التعريف الاصطلاحي** : الإسلام هو الدين الحنيف الذي ارتضاه الله تعالى لعباده المؤمنين، خاتم الرسالات، بوحى القرآن على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، بقواعده الأساسية الخمس وأركانه الإيمانية الست، وعليه فالدراسة تلتزم بالمفهوم الشامل للإسلام وتتعرض بالتحليل والنقد لكل ما يتعلق به كمصطلح، على غرار التسميات المتداولة حاليا في وسائل الإعلام اليوم مثل (الاسلاموية، الاسلاموفوبيا، الأسلمة، الإسلام الراديكالي، الإسلام الحدائثي، الإسلام المتطرف، الإسلام الأوربي) كما يندرج ضمن هذا المفهوم كل ما يمت إلى الإسلام بصلة على مستوى العقائد والتشريع والأخلاق والمذاهب والعادات والتقاليد .

1-4 أهمية الدراسة وأهدافها.

أ- أهمية الدراسة :

شكلت أحداث الحادي عشر من سبتمبر نقطة فاصلة في التاريخ بكل ما تحمله الكلمة من معنى، مهما حاول البعض إنكار هذه الحقيقة أو التهوين من شأنها، فالواقع السياسي والاقتصادي والثقافي والاجتماعي العالمي بعد هذا اليوم اختلف جوهريا عما كان قبله، والتداعيات العالمية التي رافقته مع الضغط الذي وقع على العالم الإسلامي إثرها (الحرب على أفغانستان، ثم العراق، قضية الإرهاب الدولي، ، الحجاب، المآذن في سويسرا، الرسوم المسيئة...) كلها تؤكد هذه الحقيقة.

في هذا السياق من المشهد الدولي المتغير تبرز أهمية الدراسة وهي تعالج شقا من أحد أشد المواضيع حساسية وحيوية وتأثيرا في عالم اليوم، ألا وهو الإسلام في المنظر الغربي بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001) بالولايات المتحدة، فالأحداث وإن وقعت - جغرافيا- في الولايات المتحدة الأمريكية ، إلا أن أبعادها والتأثر بها تعدى ليشمل ويجرّك الضمير الجمعي الغربي في غالبه، مما جعل منها موضوعا للإسلام مقابل الغرب .

- تبرز أهمية الدراسة من كونها تناولت طبيعة المعالجة وحدود تأثير الإعلام الغربي(الفرنسي) بأحداث الحادي عشر من سبتمبر أثناء تناوله موضوعات الإسلام والمسلمين، فصورة الإسلام والمسلمين تعرضت - عن قصد وغير قصد - لكثير من التشويه والتحريف والتضليل خاصة عبر وسائل الإعلام الغربية ، التي أضحت تروج

¹ ينظر السيد سابق : دعوة الاسلام . دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دت، ص 4.

صوراً نمطية قائمة تثير كثيراً من الشك والريبة والخوف، بل وتشيع أسباب النفور من كل ما له صلة بالدين الإسلامي .

- إن محاولة رصد الملامح العامة لصورة الإسلام اليوم، في الوعي الثقافي الغربي تتسم إجمالاً بالضبابية والارتباك، إذ ثمة كم هائل من الصور النمطية والأحكام القبلية يحول دون إدراك حقيقة الإسلام ومقاصده النبيلة، وهو ما أدى في الأخير إلى تشويه كثير من الحقائق وتأليب للرأي العام -الغربي والعالمي - ضد المسلمين في كل مكان... غير أن ذلك أدى من جهة أخرى بداية تنامي وعي مسؤول على الصعيد الإسلامي بضرورة النظر في قضية إعادة تصحيح الصورة المغلوطة والمشوهة للإسلام والمسلمين في العالم، وتبلور هذا الوعي على صعيد الجامعات ومؤسسات المجتمع المدني في العالمين الإسلامي والغربي، والمنظمات الإقليمية كمنظمة المؤتمر الإسلامي، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، حتى لدى كثير من الجهات الرسمية¹، إذ تم تخصيص العديد من الندوات والمؤتمرات الدولية والإقليمية لتسليط الضوء على ظاهرة التشويه الإعلامي للإسلام وسبل مواجهتها، وخطورة الظاهرة وتأثيراتها على العالمين العربي والإسلامي وعلى العقل الغربي في حد ذاته .

- وعليه تأتي الدراسة في سياق ثقافي وحضاري يحتم علينا ضرورة السعي لمحاولة فهم المواقف والانطباعات العامة التي كونها الإعلام والرأي العام الغربيين تجاه الإسلام والمسلمين بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001) بالولايات المتحدة، وتقديرها بما يمكننا من تجاوز هذه التحديات والرهانات المفروضة. لذلك تأتي الدراسة لاستعراض تاريخ التصورات الغربية تجاه الإسلام والمسلمين من اجل وضع الانطباعات المعاصرة في سياقها التاريخي الصحيح .

- حري بنا اليوم وضع السياسات والمواقف الغربية عموماً - الفرنسية خصوصاً نحن الجزائريون - في سياق العملية التاريخية للعلاقات الإسلام والغرب، وتطور مواقف هذه الدول بخاصة الأوروبية بفعل القرب الجغرافي والاستراتيجي من جهة والخلفيات التاريخية والثقافية من جهة ثانية، من دون تقزيم أو تجاهل لتطورات المواقف الغربية الأخرى -البعيدة فيما يبدو جغرافياً- كالموقف الأمريكي أو الروسي أو الياباني... وغيرهم من القضايا المتعلقة بالإسلام والعرب عموماً.

¹ برنامج الرد على حملات التشويه الإعلامي للإسلام وللحضارة الإسلامية، الذي صادق عليه وزراء الثقافة العرب في ديسمبر 2004 بالجزائر، ينظر : المحجوب بن سعيد : الإسلام والاعلاموفوبيا (الإعلام الغربي والإسلام تشويه وتخويف). دار الفكر ، دمشق 2010، ص8.

ب- أهداف الدراسة

- تهدف الدراسة إلى محاولة الحفر في الذاكرة الثقافية والتاريخية التي أسست لمفهوم " الشرق والغرب "، وشكلت في كل مرة المنهل والمعين لبناء المواقف وتشكيل الصور والانطباعات المختلفة عن الآخر في المخيال الغربي.
- تتطلع الدراسة إلى معرفة العوامل والأسباب والدوافع والمتغيرات التي مكنت من سيادة الجهل المتبادل، والفهم المغلوط، والصور النمطية القائمة عن الإسلام والمسلمين في الوعي الغربي، خاصة فيما يتصل بالأحداث الدولية التي هزت عالم اليوم، وكان للمسلمين وعلى المسلمين الهم الأكبر منها.
- تهدف الدراسة بالتناول والتحليل أحد أكبر الظواهر تحدياً وتعقيداً، تتعلق بالإسلام على مستوى العالم وهي ظاهرة (الإسلاموفوبيا)، أو الخوف المرضي من الإسلام، ودور الإعلام الغربي على تكريسها وتعميمها في الوعي الغربي، خاصة وقد وجد في أحداث الحادي عشر من سبتمبر القشة التي يمكن ان تقسم ظهر البعير.
- بيان جوانب القصور في ممارسات الإعلام الغربي عموماً والصحافة الفرنسية خصوصاً فيما يكتب ويذاع أو يصور عن الإسلام والمسلمين، ومصادره التي يعتمد عليها في ذلك، والتي كثيراً ما تطغى عليها الرؤية التعميمية والمتحيزة التي لا تفرق بين الإسلام كدين وبين المسلمين كمعتنقين، كما لا يسعها التفريق بين التنوع في الداخل الإسلامي بين التيار المتشدد والمعتدل والسفلي والجهادي بل تجعل الكل في سلة واحدة، وهذا راجع بطبيعة الحال إلى كثير من العوامل التاريخية الثقافية لعل أهمها الخلفية الصليبية والاستعمارية القديمة التي صنعها وكرسها الفكر الاستشراقي في الوعي الغربي.
- معرفة طبيعة الاتجاهات والأوصاف والأفكار النمطية السلبية أو الإيجابية السائدة عن الإسلام وقضايا المسلمين من خلال فئات المواضيع الجزئية.
- تهدف الدراسة إلى محاولة قراءة واستنباط ما لم تقله الصحيفة عينة الدراسة حول الإسلام والمسلمين بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، أو ما يعرف بالقراءة بين السطور، خاصة وأن تقنية تحليل المضمون الوصفي الاستدلالي تتوفر القراءة الكمية والكيفية في آن واحد، بما يسمح الكشف عن الأيديولوجية غير المعلنة من خلال الموقف الصريح أو الضمني أو التبريري.
- تهدف الدراسة إلى الاستفادة قدر الإمكان من المنهجية التحليلية التي تقوم على التفحص الدقيق لما يرد في مضامين الخطاب الإعلامي الغربي حول ما يتعلق بالإسلام وقضايا المسلمين، وبخاصة في سياق حساسية الفترة

وصرعة الأحداث، ثم ما يمكن أن يشوبه من استفزازات فكرية وإعلامية وإيديولوجية أصبحت تلقي بظلالها الثقيلة على العلاقات الإنسانية والثقافية - وغيرهما - بين الإسلام والغرب.

- تهدف الدراسة بعد الوقوف على اتجاهات القائم بالاتصال، والصورة الذهنية المتداولة طرح مقترحات وحلول ذات توجه علمي ومنهجي لتحسين صورة الإسلام في الإعلام الغربي عموماً والفرنسي منه على وجه الخصوص .

5-1 نوع الدراسة ومنهجها وأسلوبها.

أ- نوع الدراسة

لما كانت الدراسة قائمة على وصف وتحليل طبيعة اتجاهات صحيفة " لوموند " نحو الإسلام وقضايا المسلمين بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، فإنها تندرج ضمن حقل الدراسات الوصفية التي تقوم على رصد ومتابعة دقيقة لظاهرة أو حدث بطريقة كمية أو نوعية في فترة زمنية¹، ودراسة جمهور المتلقين، وتصنيف الدوافع والحاجات، والأنماط السلوكية، ومستويات الاهتمام والتفضيل،² ومن ثم تحليلها وتفسيرها وصولاً إلى حقائق دقيقة، وفي كثير من الحالات لا تقف البحوث الوصفية عند حد الوصف أو التشخيص الوصفي، بل تتعدى إلى الاهتمام بتقرير ما ينبغي أن تكون عليه الأشياء والظواهر التي يتناولها البحث وذلك في ضوء قيم أو معايير معينة واقتراح الخطوات أو الأساليب التي يمكن أن تتبع للوصول بها إلى الصورة التي ينبغي أن تكون عليه في ضوء هذه المعايير أو القيم.³

ب- منهج الدراسة

بالرجوع إلى إشكالية الدراسة وتساؤلاتها وأبعادها فإن منهج المسح يعد الأنسب في تحقيق ذلك، خاصة أنه " أساس في البحوث الوصفية التي تستهدف وصف سمات أو آراء أو اتجاهات أو سلوكيات عينات من الأفراد ممثلة لمجتمع ما، بما يسمح بتعميم نتيجة المسح على المجتمع الذي سحبت منه العينة⁴، وعليه تقوم هذه الدراسة على منهج المسح الإعلامي، الذي يعد من أهم المناهج التي تعنى بدراسة جمهور وسائل الإعلام في إطاره الوصفي والتحليلي، من خلال جمع المعلومات والبيانات وتفسيرها، للدلالة على ما يحدث فعلاً، من أجل التوصل إلى استنتاجات وتعميمات.⁵

ج- أسلوب الدراسة :

¹ ربحي مصطفى عليان، محمد عثمان غنيم : **مناهج وأساليب البحث العلمي**، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2000، ص43.

² محمد عبد الحميد : **البحث العلمي في الدراسات الإعلامية** . ط2، عالم الكتب، القاهرة، 2004، ص 56.

³ ينظر فان دالين : **مناهج البحث في التربية وعلم النفس** . (تر) محمد نبيل نوفل وآخرون، ط5، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1994، ص ص 292-293.

⁴ راسم محمد الجمال : **مقدمة في مناهج البحث في الدراسات الإعلامية** . مركز جامعة القاهرة للتعليم المفتوح، القاهرة، 1999، ص143.

⁵ كامل محمد المغربي : **أساليب البحث العلمي**. دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، 2007، ص97.

من أجل تحقيق فرضيات الدراسة والإجابة على تساؤلاتها، خاصة وأنها تستوجب تحليل محتوى وسيلة إعلامية، فإن أسلوب تحليل المحتوى الإعلامي¹ يعد الأنسب في السياق، وتحليل المحتوى بهذا اللفظ المترجم عن اللغة الإنجليزية Content analysis، أسلوب أو أداة للبحث العلمي يمكن أن يستخدمه الباحثون في مجالات بحثية متنوعة لوصف المحتوى الظاهر والصريح للمادة المراد تحليلها من حيث الشكل والمضمون².

ويرى (لازويل Lasswill) أن تحليل المحتوى يستهدف الوصف الدقيق والموضوعي لما يقال عن موضوع معين في وقت معين، ويعرفه (بيرلسون Berlson) القاضي باعتباره: طريقة بحث يتم تطبيقها من أجل الوصول إلى وصف كمي هادف ومنظم لمحتوى أسلوب الاتصال³ أما (كابلان Kaplan) فيرى بأن تحليل المحتوى يهدف إلى التصنيف الكمي لمضمون معين في ضوء نظام للفئات صمم ليعطي بيانات مناسبة لفروض محددة خاصة بهذا المضمون، ويرى (جانيس Janis) بأنه أسلوب لتصنيف سمات الأدوات الفكرية في فئات طبقا لبعض القواعد التي يراها المحلل كباحث علمي⁴. وعرفه (محمد عبد الباسط) بقوله: تحليل المحتوى أسلوب يهدف إلى الوصف الموضوعي المنظم الكمي للمحتوى الظاهر للاتصال⁵.

ويلاحظ أن هذه التعريفات ركزت بشكل أساسي على البعد الكمي في التصنيف والتحليل، وهذا دأب غالب التعاريف الأولى لهذا الأسلوب، وهو بعد مهم جدا ومنطقي ويضفي كثيرا من الموضوعية على عملية التحليل، غير أن تحليل المحتوى بالإمكان أن يقدم خدمة كبيرة لمجال البحث الإعلامي في بعده الكيفي، خاصة إذا ما تمكن الباحث من ضبط مؤشرات ووحدات التحليل والتسجيل بصفة دقيقة، من هذا الوجه رأت الدراسة أن تتخذ من البعد الكمي منطلقا للغوص في القراءة الكيفية للمحتوى، منطلقا في ذلك مما قدمه مجموعة من

¹ جدير بالذكر أن ثمة خلاف كبير بين الباحثين في اعتبار هذا الأسلوب منهجا أو مجرد أداة أو طريقة في البحث يتوصل بها إلى قراءة دلالة مضمون معين، وكل فريق انتصر لرأيه. بمررات، وإن كان في واقع الحال تحليل المحتوى لا يعدوا أن يكون مجرد وصف لأداة وأسلوب في قراءة النصوص وتحليلها، أكثر من اعتباره منهجا قائما بذاته، بقواعده وأدواته.

² سمير محمد حسين: تحليل المضمون تعريفاته ومفاهيمه ومحدداته. عالم الكتب، القاهرة، 1983، ص 19.

³ محمد عبد الحميد: تحليل المحتوى في بحوث الإعلام. دار الشروق، القاهرة، 1980، ص 16.

⁴ المرجع نفسه، ص 16.

⁵ محمد عبد الباسط: أصول البحث الاجتماعي. دار الشروق، القاهرة، 1980، ص 10.

الباحثين الغربيين تحت إشراف (جين دي بون فيل Jean de bonville)¹ وما أشار إليه كذلك (محمد صالح العساف) في المحددات الآتية :

- تحليل المحتوى لا يجري بغرض الحصر الكمي لوحدة التحليل فقط، وإنما يتعداه لمحاولة تحقيق هدف معين.
- أنه يقتصر على وصف الظاهر وما قاله الإنسان أو كتبه صراحة فقط دون اللجوء إلى تأويله .
- أنه لم يحدد أسلوب اتصال دون غيره ولكن يمكن للباحث أن يطبقه على أي مادة اتصال مكتوبة أو مصورة.

- أنه يعتمد على الرصد التكراري المنظم لوحدة التحليل المختارة.²
- عملية التحليل تتضمن مستويين، الأول : المستوى الوصفي وفيه يتم وصف المضمون الصريح . والنوع الثاني: المستوى التحليلي الذي يكشف عن النوايا الحقيقية في النص (المحتوى). وباجتماعهما يقاربان الكمال في تحديد مضامين الرسالة الإعلامية.

1- 6 أداة جمع بيانات الدراسة.

من أجل جمع بيانات الدراسة وتحقيق أهدافها، قام الباحث بإعداد استمارة استبيان خاصة بدراسة اتجاه المضامين ليتعرف بوساطتها على اتجاهات "صحيفة لوموند Le Monde نحو الإسلام والمسلمين بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001) بالولايات المتحدة الأمريكية"، وبعد إطلاع الباحث على الأدبيات ذات الصلة بموضوع الدراسة، خاصة دراسة الباحثة (عائشة كعباش) الموسومة : " صورة الإسلام والمسلمين في الصحافة الفرنسية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001) "، والتي شكلت أرضية مهمة للانطلاق في بناء استمارة الدراسة التحليلية، وبالرجوع إلى الإطار العام لبناء مقاييس الاتجاه، ثم إعداد استمارة استبيان للاتجاه مضامين صحيفة لوموند، وفق مقياس (ليكرت Likert) مصغر، وتكونت هذه الاستمارة من ثلاثة أقسام أساسية :

القسم الأول : تناول المعلومات الخاصة بالعدد.

¹Jean de Bonville Et Autres : **L'analyse de contenu des médias: De la problématique au traitement statistique** . Paris , Bruxelles; De Boek université , 2000, pp 09 – 17.

² صالح محمد العساف : المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية . مكتبة العبيكان ، الرياض ، 1989، ص 235.

القسم الثاني : شمل الفئات الخاصة بالمضمون (ماذا قيل ؟).

القسم الثالث : شمل الفئات الخاصة بالشكل (كيف قيل ؟).

- صدق أداة الدراسة : لضمان صدق أداة الدراسة وصلاحياتها لقياس ما وضعت من أجله ، قام الباحث بإجراءات الصدق الآتية :

- صدق المحتوى أو الصدق الظاهري :

للتحقق من صدق محتوى أداة الدراسة، تم عرض فقراتها على مجموعة من المحكمين، من أصحاب الخبرة في الجامعة الجزائرية والعربية، وكان جميع المحكمين من حملة شهادة الدكتوراه فأكثر، والمختصين في مجال الدراسات السياسية، أو الإعلامية أو النفسية، وطلب الباحث من المحكمين إبداء رأيهم حول كفاية أداة الدراسة من حيث عدد الفقرات، وشموليتها، وتنوع محتواها واستقلاليتها، ومدى مناسبة كل فقرة لقياس المجال الذي تمثله، واعتمد الباحث بعد استشارة الأستاذ المشرف أن موافقة (80%) من المحكمين على مناسبة كل فقرة دلالة على صدقها في قياس المجال الذي أعدت لقياسه، وأخذ الباحث بملاحظات المحكمين من حيث الإضافة أو الحذف والتصويب، وقام الباحث بتصميم استمارة الاستبيان بصورتها النهائية التي تكونت من (38) فقرة وبمحاورها.

جدول رقم (01) يوضح قائمة بأسماء الأساتذة الذين أشرفوا على تحكيم الاستمارة، ورتبهم العلمية وتخصصاتهم، وجامعاتهم الأصلية .

| الجامعة الأصلية | التخصص | الرتبة العلمية | الأستاذ |
|-------------------------|-------------------------|----------------|-------------------------|
| الجزائر 3 | علوم الإعلام والاتصال | أستاذ دكتور | محمد الطاهر بن حرف الله |
| جامعة الأمير عبد القادر | علم النفس وعلوم التربية | أستاذ دكتور | عمر لعويوة |
| جامعة الأمير عبد القادر | علوم الإعلام والاتصال | أستاذ دكتور | نصير بوعلي |
| جامعة سكيكدة | علوم الاعلام والاتصال | دكتور | جمال بن زروق |
| جامعة قاصدي مرباح ورقلة | العلوم السياسية | أستاذ دكتور | بوحنية قوي |
| جامعة محمود منتوري 3 | علم الاجتماع | أستاذ دكتور | فضيل دليو |

| | | | |
|-------------------------|-------------|-----------------------|---------------|
| بن زروق جمال | أستاذ محاضر | علوم الإعلام والاتصال | جامعة سكيكدة |
| فوزية العلي | أستاذ دكتور | إعلام إذاعي وتلفزيون | جامعة الشارقة |
| على عوض | أستاذ محاضر | اتصال جماهيري | جامعة الشارقة |
| وائل إسماعيل عبد البارئ | أستاذ محاضر | اتصال جماهيري | جامعة الشارقة |
| صوريا البدوي | أستاذ محاضر | اتصال جماهير | جامعة الشارقة |

- ثبات الاتساق الداخلي لاستمارة التحليل :

من اجل تحقيق إجراءات صدق وثبات الاتساق الداخلي لعبارات الاستمارة، قام الباحث بالاستعانة بمجموعة من الباحثين المختصين في اللغة الفرنسية وعلوم الإعلام، بعد أن عرفهم بطبيعة الدراسة وأهدافها ومنهجها وأداة التحليل، وأجرى برفقتهم تدريبا على تحليل عدد من الأعداد جماعة، قدم لهم عينة من الأعداد اختيرت بصفة عشوائية، ليقوموا بتحليلها انطلاقا من الاستمارة بعد التحكيم، وذلك بعد تجزئتها استمارة الاستبيان إلى محاور أساسية بغية احتساب معامل ثباتها باستخدام معادلة (ألفا كرونباخ Cronbach Alpha) ¹ فكانت نتائج التحليل كالآتي:

جدول (02) يوضح دلالة ثبات محاور الاستمارة باستخدام معادلة (ألفا كرونباخ

(Cronbach Alpha

| المجال (المحور) الأول | معامل الثبات (معامل كرونباخ ألفا). |
|--|------------------------------------|
| 1- علاقة الإسلام والمسلمين بظاهرة الإرهاب | (%53.5) |
| 2- المسلمون وأطروحة صراع الحضارات | (%69.5) |
| 3- المسلمون وقيم الحضارة الغربية | (%83.1) |
| 4- الاسلامو فوبيا أو الخوف المرضي من الإسلام | (%63.3) |
| 5- الإسلام والمسلمون في فرنسا | (%66.4) |
| 6- مبادئ الإسلام وقيمه الأصيلة. | (%86.1) |
| 7- الموقف من بعض قضايا المسلمين العالمية. | (%83.1) |
| المجال (المحور) الثاني | معامل الثبات (معامل كرونباخ ألفا). |

¹ يذكر أن الباحث استخدم برنامج البحث الإحصائي (spss)، بعد أن تلقى تكويننا معمقا في استخدامه .

| | |
|--|---------|
| 1- علاقة الإسلام والمسلمين بظاهرة الإرهاب | (%53.5) |
| 2- المسلمون وأطروحة صراع الحضارات | (%69.5) |
| 3- المسلمون وقيم الحضارة الغربية | (%83.1) |
| 4- الاسلامو فوبيا أو الخوف المرضي من الإسلام | (%63.3) |
| 5- الإسلام والمسلمون في فرنسا | (%66.4) |
| 6- مبادئ الإسلام وقيمه الأصيلة. | (%86.1) |
| 7- الموقف من بعض قضايا المسلمين العالمية. | (%83.1) |

وهذا يعني أن استمارة التحليل بمحاورها تتمتع بدرجة ثبات مناسبة لاستخدامها لأغراض هذه الدراسة.

1-6-1 فئات التحليل

أولاً : الفئات الخاصة بالمضمون (ماذا قيل؟)

أ/ فئة الموضوع

1- علاقة الإسلام و المسلمون بظاهرة الإرهاب

- 1- المسلمون هم من نفذ هجمات الحادي عشر من سبتمبر في الولايات المتحدة.
- 2- المسلمون وراء أحداث الحادي عشر من سبتمبر (تمويلا و تدريبا).
- 3- الإسلام مسؤول عن أحداث الإرهاب في العالم.
- 4- الإرهاب الإسلامي.
- 5- الإسلام يشجع على العنف ضد غير المسلمين.
- 6- مصادر الإسلام الأساسية (القرآن، السنة) تقدر الجهاد وتدعو له.
- 7- الخلط بين الإرهاب و الجهاد و الأصولية و الإسلام .
- 8- المهاجرون المسلمون يوفرون الدعم المادي للمجاهدين في العراق، و أفغانستان، وفلسطين.

2- الإسلام و أطروحة صراع الحضارات

- 1- أحداث الحادي عشر من سبتمبر تؤكد صدام الحضارات .
- 2- الهجمات الإرهابية في العالم بداية صراع أكبر بين الإسلام والغرب .
- 3- الإسلام والغرب على طريق تصادم حتمي .
- 4- الحرب الصليبية الجديدة.
- 5- الإسلام هو العدو الجديد بعد الشيوعية.
- 6_ التهديد الإسلامي حقيقة يجب صدها و محاربتها.

7-الإسلام يقف سدا منيعا أمام المدينة الغربية.

8-الإسلام السياسي يشكل تحديا في وجه الحضارة الغربية.

3-الإسلام و قيم الحضارة الغربية

1-قيم الإسلام غريبة عن منجزات الحضارة الغربية.

2-الإسلام يصادر الحريات العامة والخاصة.

3-الإسلام يرفض العقلانية و كل قيم الحداثة الغربية.

4-الإسلام دين الرجعية.

5-الأصولية الإسلامية، تشكل تهديداً لحضارة الغرب ومستقبله.

6-الإسلام لا يحض على احترام معتقدات الأديان الأخرى

7- المسلمون المغتربون غير مواليين (من الولاء) للبلدان التي يعيشون فيها.

8-العالم الإسلامي يعتبر نفسه في حرب ضد الحضارة الغربية.

9-الربط بين الإسلام والرجعية والتخلف.

10- و صف المسلمين بالبداعة و محي الجنس.

11-الإسلام دين لا يقبل التغيير .

4-الاسلامو فوبيا أو الخوف المرضي من الإسلام

1-بعد أمريكا الدور على أوروبا .

2-المهاجرون المسلمون يشكلون خطرا على الغرب.

3-الحركات الإسلامية تهدد استقرار العالم .

4-المدارس والجامعات الإسلامية تصنع الإرهاب.

5- ملاحقة الإسلاميين ومحاصرتهم.

6-الحد من حقوق وحرريات المسلمين في الغرب.

7-سن تشريعات قاسية ضد الأصوليين المسلمين.

8-المسلمون لهم مظالم سياسية وعسكرية على حساب الغير.

9-يجب إقصاء المسلمين بعيدا عن حدود المجتمعات الغربية.

5-الإسلام والمسلمون في فرنسا

1-الإسلام خطر يهدد فرنسا.

2-يصعب التعايش مع المسلمين في فرنسا.

3-حضر الحجاب وباقي الرموز الدينية في فرنسا.

4- تزايد المسلمين خطر على مستقبل فرنسا.

5- المسلمون وراء الاضطرابات في فرنسا.

6- الشعور بالدونية.

7- التأثير بشعارات العنصرية.

8- التمكين السياسي للمسلمين في فرنسا.

6- مبادئ الإسلام وقيمه الأصيلة.

1- الإسلام رسالة تحترم الإنسانية .

2- محمد رسول عظيم.

3- الإسلام دين سلام .

4- الإسلام يدعو إلى التسامح .

5- الإسلام يدين العنف و قتل الأبرياء.

7- الموقف من بعض قضايا المسلمين العالمية .

1- هجرة المسلمين إلى الغرب .

2- حوار الأديان.

3- حركات المقاومة الإسلامية في فلسطين.

4- الإسلام السياسي.

5- المرأة في الإسلام.

6- تركيا و الاتحاد الأوروبي.

ب/ فئة الاتجاه : تتعدد تعريفات المشتغلين بالدراسات الإنسانية بشكل عام لمفهوم الاتجاه، ذلك انه عملية نفسية وعقلية معقدة، يصعب تدقيق ملامحها ، مما يجعل من عملية تحديد الوجهة التي تأخذها الرسالة الإعلامية من موقف أو قضية معينة ، تحديدا دقيقا واحدا من أصعب المعضلات الإعلامية التي تواجه الباحثين . و مع ذلك تنطلق هذه التعريفات في أغلبها من مرتكزات أساس تتقارب في اللفظ كما تتقارب في المعنى والدلالة. مبينة أنه " حالة من التهيؤ للإدراك والتفكير و الشعور والسلوك نحو شيء أو شخص أو مسألة بطريقة معينة " ¹ و القصد أنه الجانب الذي تأخذه الرسالة أو الانحياز من القضية أو الموقف المدروس، فالإتجاه على هذا النحو بمثابة نسق أو منظومة تشمل «ردود أفعال Réactions» الفرد الوجدانية والمعرفية والسلوكية نحو موضوع الإتجاه.

¹ كمال الدين جعفر عباس : الاتصال السياسي . ط1، المكتب الإسلامي، دمشق، 2004، ص141.

وكما اختلف الباحثون في وصف الاتجاه، تباينت كذلك طروحاتهم في معرفة و وصف مستوياته، أقلها المستويات الثلاثة المعروفة "مؤيد"، "معارض"، "محايد" مع أن الباحث بإمكانه أن يصل إلى استخدام مستويات أكثر تبعا لخصوصيات الدراسة، و على خلفية ذلك و في سياق ما كشف عنه التحليل المبدئي تم تقسيم هذه الفئة ضمن الحدود الموضوعية و الزمنية للبحث إلى مستويات ثلاثة :

1-الاتجاه الايجابي. 2-الاتجاه المتوازن. 3-الاتجاه السلبي.¹

جدير بالذكر أن الدراسة اعتمدت في ضبط الاتجاه اعتبار السياق العام للمحتوى بدل الالتزام بالتكرار وحده، وذلك لاعتقادنا أن قياس و ضبط الاتجاه لا يمكن أن يتم بمجرد رصد التكرارات، فليس ضرورة أن يكون على سبيل المثال كثرة تكرار اسم شخص معين مؤشر على اتجاه أو موقف سلبي أو إيجابي تجاهه، كما لا يمكن رصده كذلك انطلاقا من فئة واحدة بعينها إذ لا بد من مجموعة فئات التصنيف (المضمون والشكل)، كما يرى كثير من الباحثين، ومن هنا ركزنا في رصد و توصيف الاتجاه زيادة على التكرار، اعتبار السياق العام الذي يرد فيه النص، معتبرين في ذات الوقت كلا من فئتي "المضمون"، و "الشكل".

ج/ فئة القيم : تشكل القيم في جوهرها تنظيمات معقدة لأحكام عقلية انفعالية معممة نحو الأشخاص أو الأشياء أو المعاني سواء أكان التفضيل الناشئ عن هذه التقديرات متفاوتة صريحا أو ضمينا، وان من الممكن التصور أن هذه التقديرات على أساس أنها امتداد يبدأ بالتقبل ويمر بالتوقف وينتهي بالرفض.²

و تتبع غالبا من التجربة الاجتماعية وتتوحد بها الشخصية ، وهي عنصر مشترك في تكوين البناء الاجتماعي والشخصية الفردية، تكون أحيانا واضحة تحدد السلوك تحديدا قاطعا، و أحيانا أخرى غامضة متشابهة تجعل الموقف ملتبسا محتلطا، والمهم في السياق أن مثل هذه الفئة مهمة جدا في تصنيف المعتقدات، و الأعراف التي يمكن أن تؤثر في سلوكهم وفي أفكارهم تجاه القضايا المطروحة،³ و عليه صنفت القيم إلى نوعين أساسيين :

- **القيم الايجابية** وحاولت الدراسة حصرها - بعد التحكيم - في :
التقبل - التعاون - الاحترام - الإقرار بإيجابية الإسلام - التفهم - الصدق.
- **القيم السلبية** وحاولت الدراسة حصرها - بعد التحكيم - في :
الرفض - التمييز - التعصب - الغضب - التحيز - التحامل.

¹ محمد عبد الحميد : تحليل المحتوى في بحوث الإعلام . مرجع سابق، ص ص 124-125.

² عطية محمود هناء : التوجيه التربوي والمهني . مكتبة النهضة المصرية 1959م .

³ المرجع نفسه : ص 126.

د- فئة المصدر : و تفيد هذه الفئة في معرفة الشخص أو الجهة مصدر المعلومة، بمعنى تجيب على السؤال إلى ما هو مرجع أو مصدر المعلومة المتداولة في المحتوى الإعلامي... و تتمثل غالبا في مصادر العمل الصحفي المتداولة كالأشخاص، الصحف، وكالات الأنباء، المحطات الإذاعية أو التلفزيونية، الكتب، القراء... وتكتسب أهميتها مما ينطوي عليه مصدر الخبر من تأثير في هويته، و مصداقيته، والغايات الواضحة والكامنة من ورائه،¹ وفي الدراسة تكشف هذه الفئة عن "القائم بالاتصال" و "مصادره" التي تعمل على إعداد الرسائل التي يراد نشرها تجاه الإسلام و قضايا المسلمين - وارتأت الدراسة حصرها بعد مراجعة آراء التحكيم - في :
وكالات الأنباء- المراسل الصحفي- شخصيات- صحف أخرى - قراء - محطات تلفزيونية - دون توقيع.

ثانيا الفئات الخاصة بالشكل (كيف قيل ؟)

فئة الشكل وتناول التقسيم على أساس فنون الكتابة الصحفية، وقوالب التحرير المستخدمة، ونماذج عرض المادة الإعلامية المنشورة، وقد وقع اختيارنا على بما يخدم هذه الدراسة في أبعادها المنهجية .
أ/فئة أساليب الإقناع : و هي الوسائل التي يوظفها المرسل من أجل تأكيد أقواله، أو تحقيق أهدافه قيمه²، وحددت في الدراسة وفق : الأسلوب المباشر ، الأسلوب الاستدلالي، أسلوب الاستمالات العاطفية، الأسلوب العلمي الأكاديمي الاستدلال بالمصادر والمراجع، والدراسات المتخصصة .

ب/فئة موقع النشر : وتوضح مدى الاهتمام بعرض، وإبراز الموضوع على صفحات الصحيفة، فدون شك ما يخير له الصفحة الأولى سوف لن يكون كالذي يكون في الأخير، وإشارات الدراسات³ أن الصفحة الأولى أكثر مقروئية من الأخيرة، والأخيرة أكثر مقروئية من الصفحة الثانية، ثم التي تليها فالتالي تليها... و اعتمادا على ذلك تم تصنيفنا للصفحات على النحو الآتي :
الصفحة الأولى. الصفحة الأخيرة. الصفحات الداخلية. صفحة مفردة (خاصة).

1-2.6 : وحدات التحليل

تعتبر أصغر الوحدات في عملية التحليل كلها، و هي التي يمكن إخضاعها للعد والقياس بسهولة، و يعطي وجودها، أو غيابها و تكرارها، أو إبرازها دلالات تفيد الباحث في تفسير النتائج الكمية وطريقة العمل

¹ سمير محمد حسين: مرجع سابق، ص 95.

² ينظر محمد عبد الحميد : تحليل المحتوى في بحوث الإعلام . مرجع سابق، ص 132.

³ ريتشارد بن لويس و آخرون : تحليل مضمون الإعلام - المنهج و التطبيقات العربية - (تر) محمد ناجي الجوهري، مديرية المكتبات والوثائق الوطنية، 1992، ص 41.

المعهودة هي من النوع الكمي، إذ نتحدث في هذه الحالة عن وحدات العد، فهي في النهاية ما قام الباحث حقيقة باحتسابه، و تم تصنيف هذه الوحدات في ضوء ما انتهى إليه تقسيم بعض الباحثين¹ في مجال " تحليل المضمون"، إلى مستويين :

1- **مستوى وحدات التسجيل** : و هي اصغر جزء في المحتوى يختاره الباحث و يخضعه للعد والقياس، و يعبر ظهوره أو غيابه، و تكراره عن دلالة معينة في رسم نتائج التحليل ، وهي الكلمة، والجملة، و الفقرة.

2- **مستوى وحدات السياق** : و هي وحدات لغوية داخل المحتوى (قد تكون إما جملة أو فقرة أو موضوعا) تفيد في التحديد الدقيق لمعاني وحدات التسجيل التي يتم عليها العد والقياس، فهي الوحدات الأكبر لوحدة التسجيل التي يتم عليها العد والقياس، فمثلا : إذا كانت الكلمة وحدة التسجيل فإن الجملة تصبح وحدة سياق، والجملة يصعب ترميزها وحدها دون الفقرة.²

يمثل هذا المستوى من التحليل دعامة أساسا في تحليل المواد الإعلامية، و الدعائية، و الاتجاهات، والقيم، والمعتقدات فضلا عن كونها تعطي تحليلا أعمق و تضيف أبعادا هامة، و جديدة أثناء عملية التحليل رغم ما يكتنفها في هذا المستوى من صعوبات- عملية التحليل- عدها البعض أصعب وحدات "تحليل المضمون".³

وقد ركزت الدراسة في هذا التحليل على عناصر البناء اللغوي التي شملت كلا من الكلمة/الجملة/الفقرة، زيادة على الفكرة كوحدة مهمة في فهم السياقات، وتحديد الاتجاهات، و الأحكام التي يحويها المضمون الإعلامي.

3- **مستوى وحدات الشخصية** : تستخدم وحدات الشخصية كوحدة تحليل، كونها تسهل وضع توصيف دقيق للصور الذهنية، والشخصيات، و الخيالات التي يريد المرسل ترسيخها في ذهن القارئ أو السامع أو من خلال عرض تكرار السمات المميزة لهذه الشخصيات، وتحلل الشخصيات في مثل هذا المستوى إما بصفة مباشرة، كما يمكن أن تحلل بصفة غير مباشرة من خلال المحددات التي يمكن أن تدل على الشخصية غير المعلنة - وهو ما آثرت الدراسة اعتماده - لأن السمة الشخصية هي في النهاية وحدة من وحدات اللغة (كلمة

¹ أمثال محمد عبد الحميد، ومن نقل عنه من الباحثين في هذا المجال .

² ينظر : رشدي طعيمة : مرجع سابق، ص 137.

³ ينظر كمال الدين جعفر عباس : مرجع سابق، ص 249.

أو جملة تعبر عن صفة من الصفات) فإن رسم الصورة الذهنية في هذه الحالة من خلال تكرار السمات يقترب كثيرا من استخدام هذه الوحدات كوحدة للتحليل.¹

1-3.6 : وحدات العد والقياس : و هو المطلب النهائي في عملية الترميز، و يمهّد للعرض الإحصائي،

و عقد المقارنات و دراسة الارتباطات و تفسير النتائج الكمية المعبرة عن السمات الخاصة بمحتوى الإعلام.

و وحدات العد أو التسجيل هي الوحدات التي يتم تسجيلها في التحليل، بحيث يتم بمقتضاها عملية التحليل، و في ضوء منهجية البحث و مراميه، الساعية لكشف « اتجاهات الصحافة الغربية » إزاء المشكلة المدروسة، فقد تم اعتماد الوحدات الآتية على اعتبار أنها الأكثر استجابة لمتطلبات البحث و تحقيق أهدافه. و أهم الوحدات التي تم استخدامها :

1- الوحدة الطبيعية للمادة الإخبارية : وهي الفئة التي يقع عليها العد ابتداء للتبويب، و التحليل بالنسبة لفئة القوالب الصحفية، وذلك للكشف عما يمكن أن يكون من توافق أو تباين بين أفراد العينة على أكثر من مستوى.

2- الكلمة و الفقرة : كوحدة لغوية ، و تتأكد هاتين الأخيرتين كوحدة للتسجيل، لما لهما من أهمية في ضبط، و حصر المصطلحات و الكلمات و العبارات الوصفية، و السمات المعبرة بحق عن اتجاه الصحيفة-خاصة في موضوعنا هذا- و بالأخص وحدات التحليل الخاصة بالمضمون.

3- الفكرة : وهي عبارة عن جملة أو عبارة تتضمن الفكرة التي يدور حولها موضوع التحليل، و تكون عادة جملة مختصرة محددة تتضمن مجموعة من الأفكار التي يحتوي عليها موضوع التحليل.²

4- الموضوع : وهو من أهم وحدات التحليل، و أبرزها في الدلالة على مؤشر الاتجاه، حيث تظهر نتائج الإحصاء الكمي، و ترتيبها، قيمته في الإشارة إلى حقيقة مستوى الاهتمام، و اتجاهه.

1-4.6 أسلوب العد والقياس : و هو التسجيل الكمي لوحدات المضمون و فئاته و متغيراته الخارجية،

بطريقة منظمة تعيد بناء المضمون في شكل أرقام و أعداد، يمكن من خلال المعالجة الإحصائية لها، الوصول إلى النتائج الكمية التي تسهم في التفسير والاستدلال و تحقيق أهداف الدراسة³

¹ محمد عبد الحميد : تحليل المحتوى في بحوث الإعلام . مرجع سابق، ص 147.

² سمير محمد حسين : مرجع سابق ، ص 79-83.

³ المرجع نفسه، ص 181.

و هناك في الغالب أربعة طرق أساسية للعد في تحليل المحتوى و هي :

الأولى : اكتشاف ما إذا كانت الفئات أو الوحدات موجودة أو غير موجودة.

الثانية: التكرار الذي تظهر به الفئات أو الوحدات.

الثالثة: كمية أو مساحة الفئات.

الرابعة: قياس درجة الشدة التي تظهر بها الفئات أو الوحدات في المحتوى¹.

و في الدراسة هذه تم اعتماد الأسلوب التسلسلي الآتي :

1- رصد وجود أو عدم وجود الظاهرة أصلا .

2- رصد وجود أو عدم وجود فئات التصنيف .

3- عد الفئات و الوحدات وحساب التكرار.

1-5.6 مستويات العد و القياس : عادة ما ينتج عن عملية العد و القياس تباين ما في النتائج يتخذ

كأساس للمقارنة، ويستخدم في ذلك عدد من الأساليب يطلق عليها في التراث المنهجي مستويات، أو مجالات القياس².

و قد تم اختيار مستويين هما من الأهمية بمكان في مثل دراستنا.

أ- **القياس الاسمي « The Nominal »** : و يقصد به الملاحظة الكيفية لظهور هذه الوحدات أو غيابها، كثرتها أو قلتها... كلها سمات يعبر عنها بالألفاظ أو الرموز التي تحمل في مفهومها التباين القائم بين الفئات و الوحدات.

ب- **القياس الترتيبي « The Ordinal »** : و يقتضي هذا المستوى وضع ترتيب لنتائج الرصد يوضح التباين في الظهور من خلال هذا الترتيب، حتى يمكن التعبير عنها بصفات لفظية تتفق مع مستويات هذا الترتيب. وقد تم اعتماده لإيضاح ما يمكن أن يكون من تباين في نتائج العد والقياس، قد يكشف في بعض ملامحه عن أسبقيات الاهتمام في موضوعات الاتجاه.

ت-

¹ ينظر محمد عبد الحميد : تحليل المحتوى في بحوث الإعلام . مرجع سابق، ص 183.

² ينظر المرجع نفسه، ص 187.

1-7-1 الدراسات السابقة العربية .

- الدراسة الأولى : دراسة الباحثة (عائشة كعباش) " صورة الإسلام والمسلمين في الصحافة الفرنسية بعد أحداث سبتمبر (2001) (دراسة تحليلية لصحيفتي **le figaro et le Monde** أمودجا)¹ .
إشكالية الدراسة : انطلقت الباحثة في ضبط إشكالية الدراسة من خلال جملة من التساؤلات على النحو الآتي .
- ما هي الصورة الخاصة بالإسلام والمسلمين التي قدمتها الصحافة الفرنسية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001) ؟
- ما هي الخلفية التاريخية والثقافية لتكوين الصورة النمطية عن الإسلام والمسلمين في الغرب ؟
- ما هي أبرز ملامح الصورة التي ترسمها وتقدمها صحيفتي " le figaro le Monde " للإسلام والمسلمين قبل وبعد الحادي عشر من سبتمبر (2001) ؟
- كيف كانت معالجة الصحيفتين لأحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001) ؟
- هل تفرق الصحيفتان أثناء تغطيتهما للحدث بين الإسلام كدين وبين المسلمين وتصرفاتهم أم لا تفرق ؟
- ما مدى الاتفاق والاختلاف في اهتمام اليوميين بالمسلمين بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ؟

منهج الدراسة : اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي متخذة من أسلوب تحليلي المحتوى، أداة لجمع البيانات الأساسية للدراسة .

مجتمع الدراسة وعينتها الدراسة: عمدت الدراسة إلى أسلوب العينة القصدية التي شملت صحيفتين يوميتين مشهورتين في الساحة الإعلامية الأوروبية وهما " le figaro et le monde " في الفترة التي تزامنت مع أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001) فاختارت شهرا واحدا كاملا لكلتا الصحيفتين ، وهو شهر سبتمبر (2001) .

نتائج الدراسة : كشفت الدراسة التحليلية للصحيفتين عينة الدراسة ان الصورة التي قدمتها الصحيفتان بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001) ، ما هي إلا عملية استعادة للصورة السلبية المتراكمة في ذهن الصحفي الفرنسي سواء مما تعلمه في المدرسة بأطوارها المختلفة، أو من أفكار المستشرقين المتوارثة عبر

¹عائشة كعباش: صورة الإسلام والمسلمين في الصحافة الفرنسية بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 (le figaro et le monde) أمودجا . رسالة ماجستير(منشورة)، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، 2005-2006.

الأجيال، دون إغفال ما اكتسبه من وسائل إعلام، كل هذا الموروث ساهم في صياغة الرسالة الإعلامية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر .

- صورة المسلمين قبل الأحداث لا تختلف عنها بعد الأحداث .

- تربط صحيفة " Le Figaro " أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001)، بأحداث التسعينيات في الجزائر وتعتبر جماعة "Gia" الجزائرية شبكة من شبكات القاعدة، وبهذا تقدم صورة سلبية عن الجزائر.

- تبين أن قيمة الحدث-درامية الحدث- أثرت كثيرا على الاهتمام المحوري للصحيفتين في قضية علاقة الإسلام والمسلمين بهذا الحدث، ظهر البعد السياسي قويا في علاقة أمريكا والدول الغربية عموما بالدول العربية والإسلامية، كما حللت علاقة الإسلام بالإرهاب ، وعلاقة الجهاد بالإرهاب والصراع بين الإسلام والغرب، وبهذا كانت الصحيفتان تعالجان بعمق علاقة الإسلام والمسلمين بالحدث مع كونهما يوميتان تهتمان بالخبر أكثر من التحليل، إلا أن التحليل موجود فيهما بقوة.

- رغم تفوق صحيفة " Le Monde " في المقالات والمواضيع التي عالجت من خلالها صورة الإسلام والمسلمين بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، إلا إن صحيفة " Le Figaro " قدمت صورة سلبية وقائمة ومشوهة عن الدين الإسلامي بدرجة أولى، ثم المسلمين بدرجة ثانية، بينما قدمت " Le Monde " المسلمين بصورة سلبية، إلا أن اتجاهها نحو الإسلام لم يظهر جليا، إذ التزمت الحياد في اغلب الأحيان.

- تحمل صحيفة " Le Figaro " الإسلام كدين سماوي المسؤولية الكاملة عن الأحداث ، وتعتبر مصادره الأصلية القرآن والسنة مولدة للإرهاب والعنف من خلال الدعوة إلى الجهاد، بينما تحمل " Le Monde " المسؤولية بالدرجة أولى للإسلاميين وتركز على المتطرفين منهم، وتحمل جزءا من المسؤولية عن الأحداث للولايات المتحدة لسياستها التعسفية الدولية المنحازة إلى إسرائيل.

- عكست صحيفة " Le Figaro " صورة سلبية عن الفلسطيني فوصفته بالإرهابي الانتحاري، ووصفت المنظمات الفلسطينية ما هي إلا منظمات إرهابية تابعة لتنظيم القاعدة التي تسببت في أحداث الحادي عشر من سبتمبر، ولحقت إلى إمكانية تورط الفلسطينيين في الأحداث.

- لا تفرق صحيفة " Le Figaro " بين الإسلام كدين سماوي له قيمه ومبادئه، وبين تصرفات المسلمين بل اعتبرت أن تصرفاتهم مستقاة أصلا من هذا الدين، في حين تفرق صحيفة " Le Monde " بينهما في اغلب المواقف .

- تخلط الصحيفتان بن مصطلح "المسلم" المعتنق للإسلام والمتنزم بمبادئه وبين مصطلح الإسلامي الذي يحمل معنى سياسيا، وهذا الخلط أدى إلى تشويه صورة المسلمين بصفة عامة.
- عكست الصحيفتان صورة سلبية عن المسلمين بتوظيفهما لسمات سلبية كثيرة ومتنوعة، خاصة سمة الإرهابي، والمتطرف، الأصولي، المتعصب، الانتحاري، الراديكالي وغيرها من السمات التي تحمل دلالات التخويف والترهيب من المسلمين في العالم، خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر .
- أما عن المصادر المعتمدة من الصحيفتين، فلنلاحظ تشابها كبيرا، حيث احتل الصحفي المرتبة الأولى في كلتا اليوميتين، مما يدل على الاحتراف في الكتابة الصحفية الفرنسية، ويليه باقي المصادر بنفس الترتيب تقريبا، مع انفراد " Le Monde " بمصدر "المراسل الصحفي".
- ودل موقع المادة الإعلامية للصحيفتين على اهتمامهما بتحليل قضية الإسلام والمسلمين بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، حيث وردت بشكل ابرز في الصفحات الداخلية المختصة في الغالب بالمقالات التحليلية وبالنسبة للقوالب الصحفية التي برزت، فقد تصدر المقال المرتبة الأولى في كلتا الصحيفتين، ولان الحدث يحتاج إلى تحليل عميق من طرف الخبراء والمختصين، ففتحتا لهم منبرا للآراء الحرة حتى يتضح الحدث وتحليلاته، وانعكاساته المستقبلية على العالم، كما استعانت الصحيفتان ببعض المراجع لتأكد أقوالهما، ووظفتا إستمارات عاطفية مثل استمالة التخويف، ولتحذير والترهيب، للتأثير في الرأي العام، خاصة "Le Figaro" في حين قدمت " Le Monde " الأسلوب المباشر على الإستمارات العاطفية في رسالتها الإعلامية.
- وخلصت الباحثة في النهاية إلى أن صحيفة "Le Monde" أكثر اعتدالا في معالجتها لقضية الإسلام والمسلمين بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر من صحيفة "Le Figaro" التي يظهر تحيزها واضحا .

التعليق على الدراسة :

شكلت هذه الدراسة سندا مهما لدراستنا في بعديها النظري والتحليلي، خاصة وإلها اهتمت بصورة الإسلام في الصحافة الفرنسية واختارت لذلك صحيفتي " Le Monde و Le Figaro " خلال شهر سبتمبر (2001)، إن ما يلاحظ على هذه الدراسة وان كان موضوعها يتقاطع كثيرا مع دراسة اتجاه الصحافة الفرنسية غير أن إطارها التحليلي ومجالها الزماني كان شحيحا وضيقا، فضلا على شدة التصاقه بتاريخ الحدث مما يعني أن ردود الفعل والانفعالات العاطفية تجاه الإسلام والمسلمين تكون حادة وقوية في المجتمعات الغربية،

وبخاصة في ظل تبني وسائل إعلام أخرى كثيرة وكبيرة حملة إصااق التهمة بالإسلام والمسلمين ، وهو ما جعلنا نقارب هذا الموضوع من بعد آخر يتجاوز نظريا حدود رد الفعل والانفعال، إلى حدود التعاطي الهادئ والنقاش العقلي -المفترض توفره - انطلاق من نظرية برود يل حول التاريخ الحداثي والتاريخ اللاحداثي، وهو ما يجعل دراستنا تشكل أرضية مهمة للتأكيد أو النفي فيما يمكن أن تتبناه الصحافة الفرنسية تجاه الإسلام والمسلمين.

فضلا على أن دراستنا اتجهت نحو الاختصاص في قياس اتجاه صحيفة الفرنسية نحو الإسلام وبعض قضايا المسلمين الأساسية، بما فيها القضايا المتعلقة بالشأن الداخلي الفرنسي، وهذا الاتجاه في المعالجة يتجاوز حدود وصف الصورة النمطية إلى رصد وقياس طبيعة الاتجاه الذي تحمله صحيفة " Le Monde " نحو الإسلام وقضايا المسلمين بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001).

- الدراسة الثانية (علي بن شويل القرني) " صورة المملكة العربية السعودية في الصحافة البريطانية بعد الحادي عشر من سبتمبر"¹.

جاءت هذه الدراسة لتعالج موضوع الصورة السلبية عن العرب والمسلمين في الإعلام الغربي، وخص ذلك الباحث دراسة صورة المملكة العربية لما لاقته هذه الأخير من موجات عدائية ودعائية كبيرة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، لذا سعت الدراسة إلى تحليل الصحافة البريطانية و تغطيتها عن المملكة العربية السعودية خلال الفترة التي أعقبت أحداث الحادي عشر من سبتمبر، فجاءت تساؤلاتها وفق الآتي :

- 1- ما طبيعة المادة الصحفية التي تنشرها الصحف البريطانية عن المملكة العربية السعودية؟
- 2- ما المصادر التي تعتمد عليها الصحف في نقلها عن موضوعات وقضايا عن المملكة.
- 3- ما القضايا الخاصة التي تنشرها هذه الصحف عن المملكة؟
- 4- ما الاتجاهات التي تتسم بها التغطيات الصحافية عن موضوعات المملكة، سلبا أو إيجابا ؟
- 5- كيف تغيرت طبيعة وحجم التغطية خلال الفترة التي أعقبت الحادي عشر من سبتمبر ؟

منهج الدراسة : اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي متخذة من أسلوب تحليل المضمون أداة لجمع بيانات الدراسة تحليلية.

¹ علي بن شويل القرني : صورة المملكة العربية السعودية في الصحافة البريطانية بعد الحادي عشر من سبتمبر . جامعة الملك سعود، مركز بحث كلية الآداب، 1428هـ/2007م.

عينة الدراسة : شملت عينة الدراسة كلا من صحيفتي " التايمز اللندنية والديلي"، " تيليغراف" في الفترة الزمنية سبتمبر (2001) إلى سبتمبر (2005) ، وتم استخدام أسلوب العينة العشوائية المنتظمة لاختيار مفردات المواد الصحافية من هاتين الصحيفتين، حيث تم اعتماد مادة صحافية من كل عشرة مواد بعد ترتيبها زمنيا. نتائج الدراسة: معظم التغطيات التي قدمتها الصحيفتان اعتمدت على المواد الإخبارية ، أكثر من اعتمادها على المواد المقالية، وهي في " الدايلي تيلغراف " أعلى منها في التايمز.

- فيما يتعلق بالموضوعات العامة عن التغطية، أشارت الدراسة إلى القضايا الأمنية والعسكرية تصدرت باقي الموضوعات من مجمل تغطية الصحيفتين، غير أن " الدايلي تيلغراف " تزيد في نسبة التغطية عن التايمز .
- كشفت الدراسة أن هناك موضوعات سعودية داخلية تم تناولها من قبل الصحيفتين، وجاءت في مقدمتها الموضوعات الأمنية ثم الاقتصادية، ثم موضوع الإرهاب الداخلي، وبالمقارنة بين الصحيفتين، اتضح أن الموضوع الأمني احتل الصدارة في كليهما، تلاه الاقتصاد في التايمز، وموضوعا الإرهاب الداخلي والإسلام في " الدايلي تيلغراف " .

- فيما يتعلق بالمصادر الصحافية التي اعتمدت عليها الصحيفتان كمرجعيات خبرية أو مقالية، أشارت الدراسة إلى أن المصادر الأمريكية (مثلة في البيت البض، وزارة الخارجية، وزارة الدفاع) احتلت مقدمة المصادر من بين مجمل المصادر الرسمية، كما أن المصادر الرسمية البريطانية كانت موجودة ولكنها محدودة، وجاءت مصادر دولية خارجية بنسبة كبيرة في مجمل هذه التغطيات، وعلى صعيد المقارنة بين الصحيفتين، اتضح أن نسبة الاعتماد على المصادر الأمريكية كان متقاربا إلى حد ما، وكانت " الدايلي تيلغراف " متصدرة في توظيفها للمصادر البريطانية مقارنة مع التايمز.

- واستعرض التحليل لكلا الصحيفتين تكرار تعرضها للشخصيات السعودية الرسمية، تلتها شخصية وزير الداخلية (الأمير نايف)، ثم الأمير تركي الفيصل السفير السعودي بالمملكة المتحدة.

- في إطار النظر إلى التغطية من الناحية الزمنية، أشارت الدراسة إلى ثبات واستمرار التغطية خلال الاثني والأربعين شهرا التي تمثل فترة العينة، مع وجود قفزات في بعض الفترات بدأ من شهر سبتمبر (2001)، ثم خلال فترات أخرى واكبت بعض تطورات الأحداث عن الإرهاب والحب في العراق وبعض الأحداث الأخرى في منطقة الشرق الأوسط أو تداعياتها في الولايات المتحدة الأمريكية، أما على صعيد المقارنة بين الصحيفتين فيمكن الاستنتاج أن هناك أحداثا معينة فرضت تشابها بين الصحيفتين، إلا أن " الدايلي تيلغراف " كانت تغطيتها أكبر خلال شهر سبتمبر من العام (2001)، خلال فترات الذكرى السنوية للأحداث، وقد زادت

تغطيات التايمز في فترات أخرى في صيف (2002)، إضافة إلى فترة مايو (2003) التي واكبت بداية سلسلة الأعمال الإرهابية في المملكة وخلال صيف (2004)، وفي مطلع عام (2005).

التعليق على الدراسة : شكلت هذه الدراسة هي الأخرى سندا مهما لنا خاصة في الجانب التحليلي وبالذات عند بناء استبيان الدراسة، وتتفق هذه الدراسة في موضوعها ومنهجها ونتائجها مع نتائج دراستنا، فمن حيث الموضوع تناولت موضوع المملكة العربية السعودية، وهذه المملكة تشكل رمزا مهما للإسلام في المخيال الغربي، وتعتمد العديد من الوسائل الإعلام اختزال العالم الإسلامي وكثير من قضايا الإسلام في واقع المملكة العربية السعودية، مما يجعل المملكة والإسلام قد يمثلان وجهان لعملة واحدة في المخيال الغربي، وتتفق دراستنا مع منهج هذه الدراسة الوصفية واستخدمت نفس أدوات التحليل، وقد وفرت لنا أداة التحليل التي وظفها الباحث س ندا كبيرا في وضع أسس الاستبيان، أما النتائج وإن اقتصر نتائجه على صورة المملكة إلا أن من حيث الملح العام إذا ما اعتبرنا المملكة والعالم الإسلامي جزء من كل ، فإن النتائج تكاد تكون متطابقة مما يدعم نتائج دراستنا. وبقي جوهر الخلاف الرئيس مع هذه الدراسة، هو مجتمع الدراسة : فهذه خصت بالتحليل الصحافة البريطانية فيما اعتمدت دراستنا الصحافة الفرنسية، كما تناولت صحيفتان بخطان مختلفان فيما اقتصر دراستنا على دراسة شبه طويلة لصحيفة واحدة، وما يذكر في السياق أن خصوصية الإسلام ورموزه في الواقع الفرنسي تختلف جملة وتفصيلا عن خصوصية الإسلام في الواقع البريطاني، والإستراتيجية العامة للمملكة البريطانية في موقفها من الإسلام والمسلمين تختلف جوهريا عنها في علاقة الجمهورية الفرنسية بالإسلام والمسلمين .

- الدراسة الثالثة (محمد بشير طعمة) " الصورة النمطية العدائية للعربي في الصحافة الأمريكية بعد أحداث أيلول" دراسة تحليلية لمضمون الصحافة الأمريكية " واشنطن بوست ونيويورك تايمز " نموذجاً".¹

مشكلة الدراسة : تناولت دراسة صحيفتي " واشنطن بوست ونيويورك تايمز " لمعرفة تشكل الصورة العدائية من الصورة النمطية حيث ما تزال دراسة الصحف، والتقارير الصحفية، أمرا مهما؛ لأن أجهزة الإعلام تقدم الخطاب الإعلامي بشكل أكثر تطورا عما سبق، مستخدمة جميع الأطر، والنظريات النفسية، للتأثير في الجماهير وإقناعها، وعليه فهذه التغطية الإعلامية تسعى إلى إدخال فكرة ما في ذهن القارئ. وبناء على ذلك حددت مشكلة البحث بالسؤال الآتي: كيف تشكلت الصورة النمطية العدائية للعربي في الصحافة الأمريكية ؟

¹ محمد بشير طعمة : " الصورة النمطية العدائية للعربي في الصحافة الأمريكية بعد أحداث أيلول" دراسة تحليلية لمضمون الصحافة الأمريكية " واشنطن بوست ونيويورك تايمز " نموذجاً". رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الاعلام، جامعة دمشق، السنة الجامعية 2009/2008.

أسئلة الدراسة :

- ما مدى استخدام الصحافة الأمريكية (واشنطن بوست ونيويورك تايمز) المغلاة في تقدير الخلافات بين الجماعات، (بينها وبين العالم العربي الإسلامي)؟.
- ما مدى استخدام (واشنطن بوست ونيويورك تايمز) الاستهانة، والفروق داخل المجتمع العربي الإسلامي؟.
- ما مدى استخدام (واشنطن بوست ونيويورك تايمز) تحريف وتشويه الواقع، للعالم العربي الإسلامي؟.
- ما مدى استخدام (واشنطن بوست ونيويورك تايمز) تسويق العدوان والاستبداد ضد العالم العربي الإسلامي؟.

فرضيات الدراسة:

- 1 - لا توجد فروق دالة إحصائية بين الصحيفتين لفئة المغلاة في تقدير الخلافات بين الجماعات عند مستوى.
- 2 - لا توجد فروق دالة إحصائية بين الصحيفتين لفئة الاستهانة بالتباين والفروق داخل المجتمع العربي الإسلامي.

3 - لا توجد فروق دالة إحصائية بين الصحيفتين لفئة تحريف وتشويه الواقع للعالم العربي الإسلامي.

4 - لا توجد فروق دالة إحصائية بين الصحيفتين لفئة تسويق العدوان والاستبداد ضد العالم العربي الإسلامي .

منهج الدراسة : استخدم الباحث "منهج البحث المسحي" الذي يدرس المتغيرات كما هي موجودة في حالاتها الطبيعية، لتحديد العلاقات التي يمكن أن تحدث بين هذه المتغيرات "

- **خطة الدراسة :** تألفت الدراسة من باين: يشمل الأول منهما الدراسة النظرية، ويتضمن الفصول التالية:

الفصل الأول: يحتوي مشكلة البحث، وأهميته، وأهدافه، وأسئلته، ومنهجه، وأدواته، ومصطلحاته، وأخيرا

حدوده، أما الفصل الثاني: فتناول عرض الدراسات والأبحاث المحلية والعربية والأجنبية المتعلقة بموضوع

الدراسة، أما الفصل الثالث: فتناول موضوع الصحافة ومداخله النظرية الأساسية، أما الفصل الرابع : تناول

موضوع الصورة النمطية وتعريفاتها وعلاقتها مع بعض المصطلحات، وأخيرا الفصل الخامس: الذي تناول

الصورة النمطية العدائية وتعريفاتها ونشوءها في الصحافة الأمريكية من خلال النموذج الذي وضعه الباحث.

وشمل الباب الثاني، الدراسة الميدانية تناول الفصل الأول : عرضا لأدوات البحث، ثم دراسة الصدق والثبات،

والمجتمع الأصلي للبحث، وكيفية سحب العينة، وتوزيعها حسب فئات الدراسة.

أدوات الدراسة: فقد استعان الباحث في جمع بيانات الدراسة بالأدوات التالية الأداة الأولى: هي تحليل المضمون الكمي، والأداة الثانية: التحليل الدلالي لوحدة المعنى: لتفسير مضمون الصحف، أما الفصل الثاني فخصه الباحث لتفسير النتائج ومناقشتها.

نتائج الدراسة : تبين من خلال التحليل الكمي والدلالي إلى أن الصحافة الأمريكية استخدمت الصورة النمطية لخلق صورة عدائية ضد أبناء العالم العربي والإسلامي، حيث أظهر تحليل التقارير التناقض فيما بينها، والخروج عن السياق الثقافي والاجتماعي والانحدار إلى مستوى الثقافة الشعبية وثقافة الشارع التي لا تليق بالتعامل السياسي بين الدول واحترام الشعوب بعضها لبعض بعيدا عن النزوات الفردية والشخصية، وعدم قدرة الصحافة الأمريكية على تحديد اتجاهها في التعامل مع العالم العربي والإسلامي، فهي تدعم قيادات إسلامية كـ بعض دول الخليج مثلا وتناهض قيادات إسلامية أخرى كالسودان، ومرة تؤكد على سماحة الإسلام وتعترف بالصور السلبية التي ألحقت به، ومرة تحارب الإسلام وتنعتيه بأسوأ العبارات من عدوان وإرهاب وتخلف وميليشيات وتطرف وتعصب... الخ، واستخدمت أيضاً صوراً نمطية سلبية لتشويه العالم العربي كالتخلف والهمجية والبدائية... الخ.

نتائج فرضيات البحث : في الفرضية الأولى والثانية لا توجد فروق بين الصحيفتين:

1. لا توجد فروق دالة إحصائية بين الصحيفتين لفئة المغالاة في تقدير الخلافات بين الجماعات .
 2. لا توجد فروق دالة إحصائية بين الصحيفتين لفئة الاستهانة بالتباين والفروق داخل المجتمع العربي الإسلامي عند مستوى الدلالة (0.01).
 3. توجد فروق دالة إحصائية بين الصحيفتين لفئة تحريف وتشويه الواقع للعالم العربي الإسلامي.
 4. توجد فروق دالة إحصائية بين الصحيفتين لفئة تسويغ العدوان والاستبداد ضد العالم العربي الإسلامي .
- والفروق لصالح صحيفة " الواشنطن بوست "، وهي بذلك تمثل الاتجاه السياسي لحكومة الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من صحيفة " نيويورك تايمز " كما ورد في الجانب النظري للدراسة.
- ومن المفردات الجديدة التي استخدمتها الصحافة: (دين ذو وحي شيطاني، المجتمع اليميني البدوي المحافظ، غير مكترئين بالحياة البشرية، يجنون الموت، يقتلون الناس الأبرياء، يختبئون وراء دين صالح. طبيعة الدين الإسلامي المتجذر بالعنف، مضطربون عقليا.... الخ)

التعليق على الدراسة : هذه الدراسة من أهم الدراسات التي وقعت كاملة بين أيدينا، اهتمت بدراسة تشكل الصورة العدائية من الصورة النمطية في الصحافة الأمريكية، وبالضبط في صحيفتي (واشنطن بوست ونيويورك تايمز)، رغم أنها تخلف عن دراستنا من حيث أنها اهتمت بشكل أساس على الصورة النمطية وأبعادها سواء في جانبيها النظري أو التحليلي، من دون أن تتطرق إلى دراسة الاتجاه، كما أنها ركزت على الولايات المتحدة دون الغرب عامة مما جعل معالجتها تضيق في اتجاه واحد وهو الصحافة الأمريكية والعقل الأمريكي، ونتائجها تبقى في حدود أبعادها التحليلية، وإن كان هذه الدراسة ساهمت في تبسيط وتذليل الصعاب لنا في مسيرة دراسة اتجاه الصحافة الفرنسية، خاصة في الجانب المنهجي، وعلى وجه التحديد في توظيف البعد التحليلي الدلالي الكيفي عند استخدام تحليل المحتوى الكمي، وهو بعد مهم جدا كونه يعطي إمكانات منهجية أكبر من تحليل المضمون، ويمكن أن يكشف لنا عن خصائص منتجي النص، والذين يقومون بنقل الرسالة الإعلامية للمتلقين، وهو مفيد بدرجة أكبر من تحليل المضمون، في التنبؤ وشرح تأثير المضمون على المتلقي، وبصفة خاصة تكمن الاستفادة منه في البحوث التقييمية التي تكشف الإيديولوجية الكامنة، داخل مضمون الرسالة الإعلامي، وهو ما يجعله أكثر صلاحية خاصة في مثل مواضيع في هذا السياق .

- الدراسة الرابعة : دراسة الباحث (قيدوم حكيم) " السياسة الأمريكية تجاه قضايا حقوق الإنسان بعد أحداث الحادي عشر سبتمبر (2001)¹ .

- إشكالية الدراسة وتساؤلاتها :** انطلق الباحث في ضبط اشكالية الدراسة من جملة من التساؤلات الأساسية :
- هل تغيرت السياسة الأمريكية تجاه قضايا حقوق الإنسان بعد أحداث الحادي عشر سبتمبر (2001) ؟
 - هل كانت الولايات المتحدة تحترم حقوق الإنسان فعلا قبل أحداث الحادي عشر سبتمبر (2001) ؟
 - ما تأثير ما تسميه الإدارة الأمريكية بالحرب على الإرهاب على أوضاع حقوق الإنسان سواء في الولايات المتحدة أو على الصعيد العالمي ؟

الفرضيات : عمد الباحث خلال البحث إثبات الفرضيات الآتية:

¹ قيدوم حكيم : السياسة الأمريكية تجاه قضايا حقوق الإنسان بعد أحداث الحادي عشر سبتمبر ألفين وواحد . مذكرة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم السياسية وعلوم الإعلام، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، الجزائر، السنة الجامعية: 2003/2004.

- لم تتغير السياسة الأمريكية تجاه قضايا حقوق الإنسان بعد أحداث الحادي عشر سبتمبر بحيث احتفظت الإدارة الأمريكية بنفس المنطق في التعامل مع قضايا حقوق الإنسان ولو أن انتهاكات حقوق الإنسان أصبحت أكثر وضوحا.

- لا يمكن اعتبار سجل الولايات المتحدة لحقوق الإنسان قبل أحداث الحادي عشر سبتمبر أيضا بأي حال من الأحوال، لأن التاريخ الأمريكي يشهد على سلسلة طويلة من انتهاكات حقوق الإنسان محليا وعالميا.

- ساهمت الحرب الأمريكية على ما تسميه "الإرهاب" في تردي أوضاع حقوق الإنسان في الولايات المتحدة وفي العالم بشكل خطير جدا.

منهج الدراسة : استخدام الباحث في الدراسة كلا من: المنهج التاريخي للحصول على أنواع من المعرفة عن طريق الماضي، إلى جانب منهج تحليل المحتوى.

ولمعالجة هذا الموضوع اختار الباحث خطة مكونة من فصلين. الفصل الأول تناول فيه البعد التاريخي للموضوع من خلال عملية مسح موجزة عن السياسة الأمريكية بشقيها الداخلي والخارجي تجاه قضايا حقوق الإنسان عبر فترات زمنية متعاقبة حتى وصل إلى العشرية الأخيرة من القرن العشرين، أما الفصل الثاني فتطرق فيه للبعد السياسي للتعاطي الأمريكي مع قضايا حقوق الإنسان بعد أحداث الحادي عشر سبتمبر، من خلال دراسة بعض القوانين الداخلية وانعكاساتها على أوضاع حقوق الإنسان داخل الولايات المتحدة، بالإضافة إلى الإنزلاقات الخطيرة لأوضاع حقوق الإنسان في العالم نتيجة ما تسميه الإدارة الأمريكية بالحرب على الإرهاب، وذلك بالتركيز على التدخل الأمريكي في أفغانستان والعراق دون أن ننسى قضية ، وقضية غوانتانامو، مما يقود للكشف عن الخلفيات السياسية لهذا التعامل الأمريكي وإذا ما كانت وليدة أحداث الحادي عشر سبتمبر أم هي متجذرة في ممارسات الإدارات الأمريكية المتعاقبة لنصل في الأخير إلى ربط هذه الخلفيات السياسية بالتوجهات الأيديولوجية والعقائدية للإدارة الأمريكية الحالية

- **نتائج الدراسة :** فيما يخص التساؤل الأول : أشار الباحث إلى أن الدراسة التاريخية للتعاطي الأمريكي الرسمي مع قضايا حقوق الإنسان منذ تأسيس الدولة الأمريكية إلى غاية فترة ما بعد سقوط جدار برلين، تبرز بشكل واضح تاريخ متواصل من انتهاكات حقوق الإنسان، بعض هذه الانتهاكات ربما لم نشهد لها مثيلا سوى في الحالة الأمريكية .

كما أن المسح التاريخي يبين أزمة تناقض الخطاب الرسمي مع الممارسة الميدانية في مسألة حقوق الإنسان، وهي قضية قديمة تعود للمراحل الأولى لتأسيس الولايات المتحدة الأمريكية حيث كان الخطاب الرسمي يتعامل

دوماً بإيجابية مع قضايا حقوق الإنسان، إلا أن الاطلاع على ترجمة هذا الخطاب ميدانياً يبعث على التشكيك في مصداقية هذا الخطاب الرسمي. وهذا الحكم الذي توصلت إليه الدراسة بناه الباحث على مجموعة من المقدمات التي خلصت إليها في الفصل الأول وهي:

- رغم أن الدستور الأمريكي قد ركز على مسألة حقوق الإنسان من خلال وثيقة الحقوق المدنية والتي تمثل التعديل الأول للدستور الأمريكي، إلا أنه قد منح حيزاً أكبر من الاهتمام لبعض الحقوق دون غيرها. في المقابل هناك حقوق إنسانية أخرى لم تحظ بالاهتمام أو على الأقل اقتصر هذا الاهتمام فقط على النصوص القانونية مثل الحقوق الاقتصادية والحق في المساواة وهو ما يترجمه التفاوت الكبير في مداخيل بعض الفئات من المجتمع الأمريكي.

- تتميز التركيبة العرقية للمجتمع الأمريكي بالتنوع وهذا يفترض التكفل بمسألة حقوق الأقليات وتشجيع اندماجها في المجتمع الأمريكي، غير التاريخ الأمريكي يشهد على انتهاكات خطيرة لحقوق الأقليات في المجتمع الأمريكي، (السود، الهنود الحمر، ومؤخراً الجاليات المسلمة).

- مثلت قضايا حقوق الإنسان انشغالا رئيسياً للسياسة الخارجية الأمريكية في خطابها الرسمي لكن مطابقة هذا الخطاب للنشاط الفعلي يكشف العديد من التناقضات.

- فيما يخص التساؤل الثاني المطروح المتعلق بتداعيات أحداث الحادي عشر سبتمبر على أوضاع حقوق الإنسان في الولايات المتحدة بصفة خاصة والعالم بصفة عامة. يؤكد الباحث أن أحداث الحادي عشر سبتمبر قد ساهمت بشكل كبير في تردي أوضاع حقوق الإنسان على الصعيد الأمريكي والعالمي.

- وفيما يخص ما التساؤل الثالث المتعلق بمدى تغير السياسة الأمريكية تجاه قضايا حقوق الإنسان في فترة ما بعد الحادي عشر سبتمبر عما كانت عليه قبل هذه الأحداث، اتضح للباحث أن منطق السياسة الأمريكية تجاه قضايا حقوق الإنسان لم يتغير على مدار التاريخ الأمريكي حتى بعد أحداث الحادي عشر سبتمبر بحيث لا تزال الولايات المتحدة لا تنظر إلى حقوق الإنسان كقيمة أخلاقية وإنسانية عليا تسعى للوصول إليها، بل ترى في حقوق الإنسان ورقة سياسية يمكن المتاجرة بها وتوظيفها لأغراض مصلحية.

وإجمالاً اعتبر الباحث أن السياسة الأمريكية تجاه مسألة حقوق الإنسان تشبه إلى حد كبير سياستها تجاه قيم أخرى كالديمقراطية والحكم الرشيد، من جهة خطاب رسمي يتبنى هذه القيم ويدافع عنها بشكل مطلق، في المقابل نشاط ميداني يتناقض مع الالتزام الرسمي بل يصل إلى حد توظيف هذه القيم من أجل تحقيق مكاسب

سياسية، لذلك يمكن التأكيد على أن السياسة الأمريكية تجاه قضايا حقوق الإنسان لم تتغير من حيث منطقتها بعد أحداث الحادي عشر سبتمبر (2001)، الشيء الوحيد الذي يتغير هو أن الولايات المتحدة الأمريكية استغلت هذه الأحداث لتقنن انتهاكات حقوق الإنسان وتمنحها الغطاء السياسي والأخلاقي والمتمثل في مكافحة الإرهاب.

التعليق على الدراسة : هذه الدراسة من أهم الدراسات التي وقعت كاملة بين أيدينا، اهتمت بأحداث الحادي عشر من سبتمبر وتداعياتها على العالم، وان ركزت بشكل أساس السياسة العامة للولايات المتحدة تجاه قضايا حقوق الإنسان، وبالأخص نحو الأقليات والحريات العامة، وافتقرت الدراسة بشكل كبير إلى إطار تحليلي أو ميداني يدعم تفصيلاتها النظرية، ما جعلها تغرق كثيرا في دراسة التاريخ من اجل البرهنة على مواقف السياسة الأمريكية المعاصرة، ومع ذلك شكلت لنا سندا مهما في الجانب النظري خاصة خلال رصد دراستنا للتداعيات الأمنية والسياسية لأحداث الحادي عشر من سبتمبر على العالم .

1-7-2 الدراسات السابقة الأجنبية .

- الدراسة الأولى: دراسة (رشاد أنطونيوس وآخرون، Rachad Antonius And Others)

" تمثيل العرب والمسلمين في كبرى الصحف المكتوبة الكندية في منطقة الكيبك " ¹.

إشكالية الدراسة : شكلت التغيرات الدولية التي أعقبت هجمات الحادي عشر من سبتمبر عام حاسم في رسم معالم صورة العرب والمسلمين في الإعلام الكندي، وبخاصة بعد تزايد وتيرة وضغط ما سمي بالحرب على الإرهاب، من جهة وضغط الداخل الكندي من خلال فرض تساؤلات مهمة تتعلق بالهوية وإدارة المسألة العرقية والثقافية والدينية، وبخاصة مسألة العرب والمسلمين باعتبارهم من الأقليات الدينية المميزة في كندا، من هنا دار تساؤل الدراسة حول الدور الذي تضطلع به وسائل الإعلام في معالجة قضايا العرب والمسلمين في منطقة الكيبك .

منهج الدراسة : اعتمدت الدراسة على منهج المسح الإعلامي لرصد أداء وسائل الإعلام " الصحافة الكندية" في معالجة مضامين العرب والمسلمين، ومدى تأثير ذلك على الرأي العام، وذلك من خلال أسلوب وصفي تحليلي متخذ من تحليل المحتوى، أداة لجمع البيانات الأساسية للدراسة. وركزت الدراسة في ذلك على نوعين

¹ Rachad Antonins : **Les représentations des Arabes et des musulmans dans la grande presse écrite du Québec** . Rapport de recherche pour Patrimoine Canadien (PCH) ، Financement : PCH 2008.

بارزين من التحليل أولا التحليل الإحصائي الكمي ، والتحليل الكيفي المقارن لاستخدامات ومعالجة كبرى الصحف الكندية لمفردات الموضوع.

والشيء المميز في الدراسة أن عملية التحليل اعتمدت النسخة الالكترونية للصحف عينة الدراسة، إذ بعد تحديد ونصوص التحليل، يعتمد الباحثون كذلك إلى تحليل تعليقات الجماهير من جهة ثانية لرصد الآثار المترتبة عن طبيعة التغطية، وهذه سابقة مهمة يمكن أن تضاف لدراسات تحليل المحتوى في الجزائر مستقبلا.

عينة الدراسة : عمدت الدراسة إلى اختيار أكبر أربع صحف توزيعا في المقاطعة، في الفترة الممتدة من بين أول جانفي و (31 ديسمبر 2007)، وهي : (Le Devoir, Le Soleil, La Presse, The Gazette) **نتائج الدراسة :**

- صحيفة " **Le Journal de Montréal** " : بينت نتائج الدراسة التحليلية أن صحيفة ستند في معالجتها لقضايا العرب والمسلمين على عنصر الإثارة، وكثيرا ما أدت إلى وصف المهاجرين بالغبية من خلال الرموز الدينية التي تميزهم عن ثقافة الكيبكيين، كما وصفتهم بأهم الخطر الذي يغزو الفضاء العام ويهدد الهوية الوطنية. وعلى الرغم من ذلك وجدت بعض النصوص التي تعاطفت من خلالها الصحيفة مع المهاجرين ، مجلة وقد ساعد مونتريال تحويل القضايا الإقامة المحلية في أزمة.

العناوين والصور والتنسيق الجمالي تحتل مكانة هامة في الصحيفة، ما مكنها من تكريس عنصر الإثارة في معالجة القضايا العربية والإسلامية لدى قرائها، خاصة وأنها تعد من الصحافة الشعبية. ولا تكتفي الصحيفة بالتركيز على الإثارة العاطفية للجماهير فهي تعتمد كذلك إلى التحليل العقلي والاستدلال المنطقي في بسط رؤيتها وتصورها، ولكن بصفة محدودة جدا .

تساهم الصحيفة في توظيف القوالب النمطية و بشكل منهجي. على عكس الصحف الأخرى، وتستخدم لذلك الصور والعناوين البراقة والكاريكاتوريات، أكثر من المقالات والنصوص المكتوبة .

لا تراعى الصحيفة الخصوصية الدينية والاجتماعية والثقافية للمسلمين، بل تركز كثيرا عن غيرتهم للثقافة المحلية، رغم أنها لا تدعو إلى إخراجهم، وتوجه الصحيفة نقدها لأكثر الشخصيات راديكالية أو جدلا. وحاولت الصحيفة أن تثير المخاوف من عدد المسلمين المتحولين إلى الاسلام، ومخاوف انقراض الثقافة المحلية والعلمانية والمساواة بين الجنسين .

- صحيفة " La Press " : المحررون والكتاب وكتاب الأعمدة في هذه الصحيفة يقفون موقفا معارضا لما عاجلت به الصحيفة السابقة، إذ لا يتعمدون الإثارة ، بل يركزون على تغطية حياة المسلمين الاجتماعية، وتعقيدها مثل الإقامة. كما وجدت أن الصحفيون يبذلون جهدا ملحوظا لتقديم وجهات نظر المسلمين والعرب في العديد من القضايا على غرار قضايا السكن ومشاكل اندماجهم.
- وتلتزم الصحيفة موقفا أخلاقيا في معالجة قضايا العرب والمسلمين، يستند على ثلاثة أسس :
- الأساس الأول : إنهاء الانزلاق الإعلامي الغربي والتفكير في سبل العلاج .
- الأساس الثاني : طرح التساؤلات المنطقية والحجاجية حول ثنائية " الأنا والآخر".
- الأساس الثالث: التفكير في الإصلاح وتجاوز العقبات برؤية أكثر واقعية لا خيالية متولدة من ردود الأفعال.
- وبينت نتائج الدراسة التحليلية أن الصحيفة تتلقى العديد من الانتقادات اللاذعة والرسائل المسيئة عبر البريد الإلكتروني عندما يتم نشر مقالات أو تحليلات تطعن وتنتقد الأفكار المسبقة الخاطئة على المسلمين.
- ويمكن أن نخرج بثلاث استنتاجات من قراءة الرسائل التي نشرت في الصحيفة :
- غلبة عرض مشاكل السكن والإقامة التي يلقاها المهاجرون العرب والمسلمون في المقاطعة .
- التأكيد على العنصرية والتمييز ضد المسلمين.

بنية الحجج في الصحيفة عينة الدراسة :

جدول رقم (03) ملخص لأنواع الحجج المستخدمة في الصحف عينة الدراسة .

| الموقف | حجج عامة | حجج تفصيلية |
|--------|---|--|
| معارض | حجج تنظيمية : أهمية احترام القواعد التي تحكم المجتمع. | القواعد التي تهدف إلى جعل هذا النشاط الممارس مخالف لتعاليم الدين . القواعد التي تهدف إلى جعل هذا النشاط الممارس خالي من أي بعد ديني . |
| | حجج ثقافية : المسلمون الذين يرفضون تقييد الممارسات الدينية على الصعيد الخاص ويحملون رؤية رجعية تجاه المجتمع والعلاقات الإنسانية | هذه الممارسات. الذميمة هي من القيم التي يجوزها الاسلام المحافظ كما هو الحال في أي دين. هذه الممارسات على خطأ، لأنها تمثل قيم الإسلام، وهو دين لا يتفق ضمناً مع مجتمعنا. |
| | حجج مباشرة : المسلمون الذين يرفضون تقييد الممارسات الدينية في مجال الحياة الخاصة القيام عمداً، خبيث، من أجل التوصل إلى جدول أعمال خفي. | هذا السلوك نابع من الرغبة في استبعاد الذات والانسحاب من الجماعة. هذا السلوك جزءاً من خطة لإجبار المجتمع المضيف أن يعتمد رؤيتهم، طرقهم. |
| | حجج سلطوية : الخطر الحقيقي وراء التوسع، هو حقيقة أن السلطات لا تفي بمسئوليتها. | المسألة سياسية، ومسؤولية المسؤولين المنتخبين الذين يجب أن تتحمل قيادتهم زمام الأمر. المسألة إدارية: إذ على المؤسسات الإدارية اعتماد قواعد إدارة أكثر وضوحاً. |
| مؤيد | حجج ليبرالية: نحن لا نفرض على الآخرين كيفية ممارسة شعائرهم الدينية طالما أنها تحترم حرية | تأكيد دلالات الحرية. تأكيد الحرية الشخصية. |

الآخرين.

حجج عاطفية : التمييز الثقافي: هناك عدائية مهينة تجاه المسلمين.

المشكلة الحقيقية تكمن في التمييز ضد المسلمين.
التركيز على قضايا التكامل الاقتصادي والتمييز الاقتصادي في المقام الأول أكثر من القضايا الثقافية والدينية .

- صحيفة " **Le Devoir** " : كان موقف صحيفة " **Le Devoir** " في معالجة قضايا الاسلام والعرب منفتح جدا، ولديه تنوع الآراء يمكن التعبير عنها، وكانت تركز في النقاش على مكانة الإسلام في كيبك، وعلاقته بالهوية وسبل إدماجه في الحياة العامة، من دون أن تسقط مبدأ الاهتمام بحقوق المسلمين وضرورة مكافحة التمييز ضدهم. كما أن الصحيفة تدافع بشدة عن طبيعة التنوع وضرورة حماية اللغة، و مبادئ العلمانية. وبهذا المعنى. كما أنها تنوع زوايا المشاهدة والتحليل أكثر من سابقتها .

- صحيفة " **The Gazette** " : هناك مزيد من الاتساق في المواقف التي اتخذتها الجريدة على القضايا الاجتماعية والسياسات. تم العثور على هذا التجانس أيضا بين كتاب الأعمدة، وتجسد الصحيفة صورة سلبية عن العرب والمسلمين خصوصا إذا طرقت موضوعات السياسة الدولية، وتميل الجريدة، ومع ذلك لمحاولة فصل الاسلام المحافظ عن الاسلام السلمي، يتم إجراء تكوين الجمعيات أيضا في الصحف الأخرى. كما أن الجريدة تميل إلى محاولة تصحيح بعض الرؤى المغلوطة عن الاسلام ورموزه. ولا تمنع الصحيفة في الترحيب بالتواجد الإسلامي في المجتمع وفي منطقة الكيبك، وتعتقد أن المسلمون مواطنون يقدمون مساهمات إيجابية للمجتمع، لهم كل الاحترام وعلينا واجب الاعتراف بهم . وفي حل تعليقات الصحيفة عن موضوعات الإسلام والعرب، تعالج في ضوء نوعين من السياقات. أولا : في سياق الصراعات الدولية في الشرق الأوسط وآسيا الوسطى، وأوضاع المسلمون في أوروبا، أو في سياق معالجة موضوعات التطرف بين الشبان المسلمين، وهو القلق الأوروبي الذي يهز الثقة في مضمون التعددية الثقافية.

وتغطية هذه الصراعات المختلفة يعاني من التحيز العام: إذ لوحظ في الغالب التركيز على سياق الصراعات الدولية في معالجة قضايا المسلمين، مع تركيز بالغ على مشكلة الأمن والاستقرار في النظام الغربي. ووفقا لهذا المعالجة يوفر السياق الفرص لظهور تمثيل المسلمين كمصدر للخطر.

قضية الإرهاب، وظلم المرأة ومشكلة الحجاب أبرز القضايا حضورا في سياق المعالجة، باعتبارها مظاهر التعدي الإسلامي.

وفي الختام، كشفت الدراسة أن ليس هناك خطاب ممنهج ضد العرب أو ضد المسلمين في خمس الصحف الكبرى عينة الدراسة، مع وجود عناصر الإثارة والتهويل أحيانا ضد العرب وضد المسلمين. وغالب الافتتاحيات وأعمدة الصحف عينة الدراسة تميل عموما إلى الانفتاح والاعتدال والموقف التحليلي، في حين أنه هو في رسائل تفاعل القراء والجماهير نجد العداء أكثر تجاه المهاجرين.

التعليق على الدراسة

تعد هذه الدراسة من أهم وأبرز الدراسات التي قدمت وساعدت الباحث في ضبط عملية التحليل خاصة أنها مميزة جدا سواء من حيث الموضوع أو من حيث أسلوب التحليل، فهي فضلا على أنها انطلقت من بيئة غربية ومن باحثين غربيين يعرفون ويتعايشون مع طبيعة الموضوع، تناولت العرب والمسلمين ككيان واحد، ولا شك أن هذا مهم خاصة وأن المخيال الغربي في غالبه لا يكاد يضع حدودا فاصلة عن العرب وعن المسلمين، رغم ما قد يعيق من الغوص في بعض التفاصيل المهمة المتعلقة بالفروق بين العالمين، وهو ما اتضح فيما بعد على مستوى عمق التحليل للدراسة، وتناولت الدراسة في سابقة مهمة لدراساتنا التحليلية الصحافية الالكترونية، وهذه الأخير تتيح فرص التعليق والنقد والإثراء من الجماهير ومستخدمي الانترنت ما مكن القائمين على الدراسة تحليل هذه التفاعلات الجماهيرية لدراسة الرأي العام ومدى تأثيره بما يكتب ويقال في الصحف عينة الدراسة تجاه الموضوع.

والدراسة بطابعها التحليلي وفلسفتها التي قامت عليها ركزت على معالجة التغطية الصحافية كما هي من دون الرجوع إلى تعقيدات الواقع الثقافي والسياسي والديني والسياسي للمسلمين العرب، كما ركزت جل تحليلها على الواقع الإسلامي والعرب في الغرب، بمعزل يكاد يكون تام عن الواقع العربي والإسلامي في الشرق إن صححت المقابلة جغرافيا، ثم هي لم تفصل المضامين كما يقتضي الحال للتفريق على مستوى التحليل الأكاديمي بين الإسلام ومبادئه وفرقه وتجمعاته وبين العرب كجماهير متعددة المرجعيات والثقافات والجنسيات، كما أن الدراسة في تحليلاتها ركزت على المحيط الجغرافي الضيق لمنطقة الكيبك من دون أن تعدي ذلك إلى المناطق القريبة حضاريا وجغرافيا من المنطقة.

– الدراسة الثانية، (شهرزاد أكبر زاد و بينكا سميث) " تمثلات الاسلام والمسلمين في وسائل الإعلام

الاسترالية (ذو آيج The Age و هيرالد صن Herald Sun Newspapers).¹

إشكالية الدراسة : تؤدي وسائل الإعلام دورا كبيرا في تشكيل التصورات والقناعات لدى الجماهير كما أنها تحدد الاتجاه والمواقف تجاه الجماعات المختلفة، وفي هذا قد تمارس عملا خطيرا يعرض بجماعات ويدفعها نحو الإقصاء والتهميش ولصق الصور المشينة بهم، وهذا ما تعرض له الإسلام والمسلمون في الغرب ، خاصة بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر على الولايات المتحدة، من هذا المنطلق شرع الباحثان في البحث عن تجليات صورة الإسلام والمسلمين في الصحافة الاسترالية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وذلك انطلاقا من جملة تساؤلات أساسية :

1- كيف تصور الصحف عينة الدراسة الاسلام والمسلمين ؟

2- ما هي القوالب النمطية التي تصنعها الصحف عينة الدراسة عن الاسلام والمسلمين؟

3- هل تعمل الصحف عينة الدراسة على نشر كراهية الاسلام ؟

منهج الدراسة : اعتمد الباحثان على منهج " المسح الإعلامي " ليتسنى لهم مسح مضامين الأخبار في صحيفتي (ذو آيج The Age و هيرالد صن Herald Sun Newspapers) اللتان تصدران في استراليا وهما من أكثر الصحف توزيعا وانتشارا في استراليا، واتخذوا من تحليل المحتوى أسلوبا وأداة لجمع البيانات.

مجتمع الدراسة وعينتها: اختار الباحثان الصحافة الصادرة في استراليا، ثم انتقا منها صحيفتي (ذو آيج The Age و هيرالد صن Herald Sun Newspapers)، عينة للدراسة والتحليل.

أداة التحليل : جدير بالإشارة إن الباحثان في هذه الدراسة لم يستخدموا أداة محددة للتحليل وإنما خلصوا إلى فكرة تقنية على ضوءها قاموا بعملية القراءة الكمية والكيفية للمضامين، وذلك بعد الحصول على الأرشيف الإلكتروني للصحفيتين، قاموا بانتزاع عن طريق برنامج بحث خاص مطور، كل المضامين الإعلامية التي نشرت في الفترة المخصصة للدراسة، والتي ذكر فيها مصطلح " الإسلام " أو " المسلمين "، وأعدوا بعد ذلك قاعدة بيانات تضم أكثر من (1200) مادة إعلامية ذكر فيها " الاسلام " و " المسلمين "، وبعد مراجعة هذه القاعدة تم بناء قاعدة بيانات أصغر مشكلة من (451) مادة إعلامية، وهي مقالات الأخبار فقط، وطريقة التحليل

¹ Shahram Akbarzadeh and Bianca Smith : **The Representation Of Islam And Muslims In The Media (The Age And Herald Sun Newspapers)**. School of Political and Social Inquiry, MONASH University, November 2005.

كانت تتم من خلال مراجعة السياق الذي ذكرت فيه مفردة " الاسلام " أو " المسلمين " ضمن قاعدة البيانات.

مجال الدراسة : اختار الباحثان الفترة الزمنية (11 سبتمبر 2000 إلى 31 فيفري 2004).

نتائج الدراسة :

1- بينت نتائج الدراسة منذ البداية هيمنة موضوع " الإرهاب الإسلامي " في تغطية الصحيفتين لمضامين الاسلام، وذلك بنسبة (22 %)، يليه موضوع العلاقات البينية " الغرب والاسلام " بنسبة (16 %) تماما مثل قضايا (العراق)، ثم موضوع " قضايا اللجوء " بنسبة (10 %)، يليه موضوع " القضايا الثقافية بين الاسلام والمسلمين والمجتمع الاسترالي"، وقضايا " المسلمين في الداخل " بنسبة (10 %) لكل منهما، وميزت قصص الشخصيات المسلمة نسبة لا باس بها بلغت (10 %).

2- ساهمت الصحيفتين عينة الدراسة في تنميط الإسلام من خلال تغليبها معالجة موضوعات " الإرهاب والعنف والتعصب الإسلامي " الذي ينتشر في العالم، من دون أن تضع معايير موضوعية وسياقية للأحداث.

3- تفوقت صحيفة " الهيرالد صن " في عرض قضايا المسلمين بنسبة (52 %)، على صحيفة " ذي آيغ " التي بلغت نسبة تغطيتها لأخبار المسلمين (48 %)، ومن حيث القوالب الفنية لأخبار المسلمين تبين أن صحيفة " ذي آيغ " تفوق على صحيفة " الهيرالد صن " في توظيف مقالات الرأي، والافتتاحيات ورسائل المحررين، بينما ركزت " الهيرالد صن " على قالب الخبر الصحفي في عرض أخبار المسلمين .

4- عن طبيعة الأخبار المعالجة في الصحيفتين بينت نتائج الدراسة أن الصحيفتين عينة الدراسة غلبتا معا أخبار المسلمين المحلية بنسبة بلغت (71 %) ، على أخبار المسلمين الدولية التي بلغت نسبتها (29 %).

5- بنت نتائج الدراسة أن الأحداث الدولية (تفجيرات 09/11، هجمات بالي، الحرب على العراق ...) لها تأثير مباشر على قضايا الداخل الإسلامي في استرالي، والصحيفتان تستخدمان مصطلحات مثل " الإرهاب الإسلامي "، " الجهاد "، " المتعصبون ".

6- وعن اتجاه المادة الإعلامية المتعلقة بالاسلام والمسلمين فقد وضعت الدراسة للتصنيف أربعة اتجاهات (إيجابية- سلبية- محايدة - مختلطة)، ولأجل تحديد الفروق بين الاتجاهات هذه قدم الباحثين دليل التصنيف والذي تضمن، مقالات ايجابية في قاعدة البيانات هي تلك التي تمثل الإسلام والمسلمين، وتعزز معرفة القارئ

للإسلام من خلال شرح تعاليمه، و تركز عن البحث عن نقاط التواصل والفهم للإسلام، وتشيد بأعمال المسلمين، كما أنها لا تستخدم لغة الاتهام أو التحريض أو الانتقاص أما المقالات السلبية فهي تلك التي تركز على جوانب الصراع والعنصرية والإقصاء، إما المواد المحايدة فتلك التي ليست إيجابية ولا سلبية، والمواد المختلطة هي التي جمعت بين الجوانب الإيجابية، السلبية والمحايدة.

7- بينت نتائج الدراسة أن صحيفة " ذي آيج " تغلبت في المواد الإيجابية على صحيفة " هيرالد صن "، ويلاحظ أن ربع مقالات " هيرالد صن " كانت سلبية مقارنة بـ (05 %) لصحيفة " ذي آيج " التي كانت غالب مقالاتها وأخبارها " محايدة " أيضا .

8- اتفق الباحثان أن صورة الاسلام كانت مختزلة جدا لدى الصحيفتين عينة الدراسة، وأن للأحداث الدولية الأثر البالغ في معالجة قضايا الاسلام عموما وقضايا الاسلام الاسترالي على وجه الخصوص، ومنها أيضا أن المعالجة التي تمت بها ميزت المسلمين بدينهم عن غيرهم وبالتالي زادت من تغريبهم في عقل الجماهير.

9- حاولت الصحافة جاهدة بعد الأحداث أن تكون موضوعية وأن تكون أكثر انفتاحا على المسلمين وهو ما وقع فعلا مع صحيفة " ذي آيج " التي فتحت فضاء واسعا للمسلمين، وعالجت قضايا الاسلام بلغة مسالمة انفتاحية، عكس ما سارت عليه صحيفة " هيرالد صن " .

10- قدمت الدراسة توصيات مهمة لدفع الصحافة الاسترالية نحو مزيد من الانفتاح، والتخصيص في دراسة قضايا الاسلام والمسلمين في استراليا، وذلك بفتح المجال للمسلمين أنفسهم لمعالجة وتغطية أخبارهم، كما دعت الصحافة الأسترالية إلى ضرورة الاستقلال بمهويتها وسياستها العامة عن السياسة الدولية، وتوجهات القادة والصراعات الحزبية الضيقة سواء في الداخل أو الخارج .

11- صورة الاسلام مشوهة رغم أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر رفعت عنها قليلا ذلك التشويه بعد اضطراب العديد من الصحفيين وصانعي القرار إلى محاولة الرجوع في البحث داخل المصادر الحقيقية للإسلام من أجل التفريق بين الاسلام المقبول وغير المقبول، وهو ما يتعين دعمه .

التعليق على الدراسة

كانت هذه الدراسة من أهم الدراسات التي وقعت بين يدي الباحث، خاصة وأنها تناولت تقريرا نفس موضوع (الأطروحة) مع شيء من الاختلاف، فهذه الدراسة خصت بالتحليل مضامين الصحافة الأسترالية وهي بلا شك مهمة كونها تناولت فضاء جغرافيا بعيد نوعا ما عن موقع أحداث سبتمبر وأوروبا مع قرنها الثقافي والحضاري وتناغمها مع الغرب، لذا فقد وسعت لنا الرؤية للغرب - جغرافيا - .

- قد يكون لهذا التمييز الجغرافي لاستراليا خصوصية في التعامل مع الاسلام ، وهو ما ظهر فعلا في الدراسة حيث أن تداعيات تفجيرات " بالي " في اندونيسيا وهي القريبة جغرافيا من استراليا كان وقها أشد من باقي الهجمات.

- مشاكل وخصوصيات وأولويات المسلمين في استراليا تختلف جوهريا عنها في أي نقطة في الغرب، لذلك ركزت الصحف من خلال هذه الدراسة على قضايا اللجوء السياسي والمهجرة، وعن التنوع الديني والعرقى في استراليا.

- كشفت الدراسة عن نقطة جوهرية مهمة أن التأثير بالأحداث الكبرى لا يولد بالضرورة التأثير السلبي في الغرب، وإنما يدفع كثيرا من العقلاء والموضوعيين إلى البحث في الخلفيات والنبش في أغوار الأحداث للوقوف على الحقيقة.

- تبين من خلال الدراسة أن الاختلاف الثقافي والحضاري والجغرافي بين بلاد المسلمين واستراليا جعل معايير التصنيف الثقافية والقيمية محل خلاف، فما وصفته الدراسة بالسلبية، أو الايجابية ليس بالضرورة كذلك، وهو ما وجدناه يفرق في الأخير تفاوت النتائج والقراءات للأحداث بين الدراسات العربية والدراسات الغربية .

- الدراسة الثالثة : (بريجيت لي ناكوس، اوسكار طورس رينا) " المسلمون الأمريكيون في الأخبار قبل وبعد الحادي عشر من سبتمبر (دراسة تحليلية مقارنة)¹

دراسة مقدمة لندوة " الإرهاب . وسائل الإعلام والحياة العامة "، بجامعة (هارفارد Harvard University).
إشكالية الدراسة : ظل المسلمون لسنين طويلة ضحية التزييف والتشويه من طرف جهات عدة في المجتمعات الغربية، وجاءت عاصفة الأبراج لتزيد الوضع تأزما فتحول المسلمون بين عشية وضحاها إلى ضحايا جرائم الكراهية والصورة النمطية، فهم العنف وهم الإرهاب، غير أن التفكير البسيط يجعلنا نؤكد أن كثير من المواطنين الأمريكيين هم من أصل عرب ومسلمين، يعيشون بيننا ولا علاقة لهم بالإرهاب أو العنف، وبالتالي تلك الصور التي نحملها في أذهاننا عن المسلمين أو تعرضها وسائل الإعلام ليست بالضرورة، ومع ذلك تصر جهات ما إلصاق التهمة بهم، خاصة عبر وسائل الإعلام، هذه التي أضحت تؤدي دورا محل نقاش كبير، وهو

¹ Brigitte L. Nacos and Oscar Torres-Reyna : **Muslim Americans In The News Before And After 9-11**. Department of Political Science, Columbia University, 2002.

ما جعل الدراسة تبحث في طبيعة تغطية الصحافة الأمريكية للعرب والمسلمين. متسائلة كيف يصور المسلمون في أخبار الصحافة الأمريكية قبل وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر؟

منهج الدراسة : اعتمد الباحثان على منهج " المسح الإعلامي " ليتسنى لهم مسح مضامين الأخبار في الصحف الصادرة في مدينة نيويورك، متخذين من تحليل المحتوى أسلوبا وأداة لجمع البيانات.

مجتمع الدراسة وعينتها: اختار الباحثان الصحافة الصادرة في مدينة نيويورك كإطار للمعينة، ثم قاما بانتزاع أكبر ثلاث صحف توزيعا في المدينة وهم (نيويورك تايمز، مدينة نيويورك، The New York Times ، نيويورك بوست، New York Post والدايلي نيوز، Daily News).

مجال الدراسة: اختار الباحثان الفترة الزمنية (11 سبتمبر 2000 إلى 28 فيفري 2001)، وذلك ليتسنى لهما مقارنة نتائج الدراسات القبلية والبعديّة .

أداة التحليل : قام الباحثان بإعداد صحيفة استبيان للتحليل شملت أربع محاور أساسية، أولها تعلق بمكان النشر على الصفحات (الأولى، الأخيرة، الداخلية)، وثانيها القوالب الصحافية، ثالثها طبيعة الأحداث وجغرافيتها (محلية، دولية)، ورابعها مصادر الأخبار في الصحف عينة الدراسة وأخيرا اتجاهات المضامين الإخبارية .

نتائج الدراسة : أشارت نتائج الدراسة إلى مفاجأة مهمة للباحثين، مفادها أن حجم التغطية لأخبار العرب

والمسلمين الأمريكيين في الستة أشهر الموالية لأحداث الحادي عشر من سبتمبر يفوق (11) ضعفا التغطية في السنة السابقة للأحداث. وذلك في الصحف الثلاث، ما يؤكد أن الأحداث زادت من اهتمام الإعلام

الأمريكي والعالمي بشأن الإسلام والمسلمين.

- تفوقت صحيفة " نيويورك بوست " في تغطيتها أخبار العرب والمسلمين الأمريكيين على باقي الصحيفتين، فيما حازت صحيفة " الدايلي نيوز" أضعف نسبة .

- كان للحراك السياسي المحلي (انتخابات سنة 2000)، دورا في ارتفاع تغطية أخبار العرب والمسلمين الأمريكيين بعد الأحداث، إلى جانب تداعيات الأحداث، الحرب "أفغانستان " ثم الحرب على "العراق " .

- كانت الأحداث فرصة مهمة للمسلمين (باختلاف مستوياتهم) للحدّث عن أنفسهم وتقديم انطباعاتهم ومعاناتهم والمواقف التي يتعرضون لها، وذلك بعد أو وجهت لهم الصحافة مزيدا من الاهتمام.

- شكل المسلمون ورقة مهمة بعد الأحداث في الحراك السياسي المحلي، وكانوا هدفا للمرشحين للانتخابات الذين استغلوا خصوصيتهم إيجابا وسلبا، (شراء أصواتهم أو اتهام بهم)، فالمرشحة (هيلاري كلينتون H.

Clinton) اهتمت بتلقي مساعدات خارجية من عرب ومسلمين في الشرق الأوسط مشبوه بهم، ونفس الأمر وقع لمرشحين آخرين، فيما قدم مرشحون آخرون خطابا مؤيدا ومدافعا عن المسلمين والعرب في نيويورك .

- بدت الصحف عينة الدراسة بعد الأحداث أكثر انفتاحا على واقع المسلمين وتقبلهم وسماع آرائهم ونشر أفكارهم.

- لا تشكل أخبار المسلمين والعرب الأمريكيين أولوية في الأخبار لدى الصحف عينة الدراسة، لذلك كما بينت الدراسة نادرا ما تنشر الصحف عينة الدراسة أخبار المسلمين والعرب على صفحاتها الأولى بل تعالج ذلك في الصفحات الداخلية، وتتقدم في ذلك صحيفة " نيويورك تايمز " على صحيفة " الدايلي نيوز " ونيويورك بوست .

- خصصت الصحف بشكل ملحوظ حيزا للأميركيين بعد الأحداث، لأجل إبداء وجهات نظرهم التحليلية، نخبة، صناع قرار، مسؤولين، وحتى قراء من عامة الناس .

- أخذ قالب الخبر الصحفي النسبة الأكثر في المعالجة على صفحات كلا من " نيويورك تايمز " ونيويورك بوست " فيما توقت أعمدة الرأي في التغطية لدى صحيفة " الدايلي نيوز "

- اعتمدت الصحف عينة الدراسة على المسلمين كمصادر بعد الأحداث، أكثر من اعتمادها عليهم قبل الأحداث، وشكلت هذه نقلة نوعية في رسم الصورة ذلك أن المسلمين والعرب الأمريكيين هم من يصفون حالهم.

- (41 %) من المصادر المعتمد عليها بعد الأحداث في تغطية موضوعات العرب والمسلمين الأمريكيين، كانت مصادر إسلامية أو لها علاقة مباشرة بالمسلمين.

- انتقلت طبيعة التغطية الإعلامية لأخبار المسلمين والعرب الأمريكيين عبر الصحف الثلاث، نقلة هامة ونوعية من الخلافات الحزبية الضيقة التي كانت تغطي على الحراك السياسي والجو التنافسي بين الجمهوريين والديمقراطيين قبل الأحداث، إلى موضوعات أخرى أهم تتعلق بالحريات المدنية والقضايا الحقوقية وكذلك قضايا الهجرة بعد الأحداث.

- تأثرت الصحف الثلاث عينة الدراسة بالأحداث ، ونشرت تقارير عن علاقة العرب والمسلمين بالإرهاب، وذلك لم يمنع وإن بشكل أقل الدفاع عن الصور النمطية المغلوطة والمشوهة عن المسلمين والعرب الأمريكيين.

- كان هناك أيضا طفرة في الموضوعات التي تناولت ظروف الحياة صعبة والهوية ومشاكل بعض المسلمين الأميركيين (بزيادة من (01 %) من جميع الموضوعات قبل الأحداث إلى (07 %) أشهر بعد ذلك.
- صورت الصحف الثلاث عينة الدراسة المسلمين الأميركيين تصويرا أكثر إيجابية بعد الأحداث منه قبلها، تصوير المسلمين الأميركيين والعرب في الأخبار أكثر إيجابية، فنسبة (25%) من المواد المحللة قبل الأحداث تضمنت وصفا " إيجابية / داعمة "، فيما نفس الوصف بلغ نسبة (43 %) بعد الأحداث.
- كما تقلصت في الصحف الثلاث عينة الدراسة نسبة تصوير المسلمين الأميركيين سلبيا من (31 %) قبل الأحداث إلى (22 %) بعد الأحداث. مع ملاحظة أن صحيفة " الدايلي نيوز " كانت أكثر سلبية في تغطياتها من الصحيفتين الباقيتين.

التعليق على الدراسة :

شكلت هذه الدراسة بداية فرصة مهمة للباحث للوقوف على طبيعة معالجة الباحثين الغربيين للمضامين، وقد استفاد منها بشكل رئيس في طريقة التحليل وخاصة الجانب الكيفي وهي طريقة لا تعتمد كثيرا في الدراسات الجزائرية التي تتناول تحليل المضمون. وهذه الدراسة من أهم الدراسات التي دعمت الباحث خاصة وأنها تناولت نفس الإشكالية المطروقة من الباحث، وإن هي لم تتناول الاتجاهات كما أنها تناولت فترة لصيقة بالأحداث - إن قبل أو بعد - ما يجعل نتائجها في حدود الفترة، كما أن الدراسة خصت منطقة واحدة من الولايات المتحدة وهي الصحف الصادرة في " نيويورك "، و موضوعات فئة واحدة وهي الموضوعات المتعلقة بالمسلمين الأميركيين والعرب، ما جعلها تقع في احتزال كبير لقضايا مهمة تتعلق بصورة الإسلام والمسلمين. كما أن الدراسة قدمت نتيجة مهمة خالفت ما هو شائع، بل ما انطلقت منه أصلا وهو أن الأحداث إضافة إلى المعالجة الإعلامية لوسائل الإعلام ساهمتا في تكريس الصور النمطية والمشوهة، فتوصلت الدراسة إلى العكس تماما، والشيء الذي ينبغي أن لا نغفله وقد وقف على ذلك الباحث بعد مراجعة التحليل الذي سلكه الباحثان، هو وجود مفارقة - ناتجة عن الاختلاف الحضاري والثقافي والديني - من جهة وللسياسة العامة للصحيفة في ما يعد إيجابا وما يعد سلبيا حول ما يتعلق بالمسلمين.

- الدراسة الرابعة : دراسة الباحثان (محمد عبد الله وحليم راني) " تأثير صورة الاسلام في وسائل الإعلام على فهم مواطني استراليا للإسلام واتجاههم نحو المسلمين " (ولاية كوينزلاند)¹.

إشكالية الدراسة : لعبت وسائل الإعلام وخطابات السياسيين وأدبيات الاستشراق منذ زمن بعيد في تشويه صورة الاسلام والمسلمين، كما صورت العلاقة بين الاسلام والغرب أبشع الصور، وزادت أعمال العنف الكبرى للمسلمين (هجمات الحادي عشر من سبتمبر، هجمات منتجع بالي ...) هذه الجدلية حدة والفجوة اتساعا، في الغرب قاطبة ومنه استراليا التي تعددت فيها مظاهر رفض المسلمين، وتبني الصور المغلوطة عن دينهم، ... ما عقد كما يبدو العلاقة بين المجتمع الاسترالي وبين المسلمين، من هنا جاءت الدراسة لتبحث عن دور تمثل وسائل الإعلام للإسلام في فهم الاسلام والاتجاه نحو المسلمين.

وانطلقت الدراسة من افتراض أن ثمة نقص عام في فهم الإسلام مقرونا بالمواقف السلبية تجاه المسلمين، سببه وسائل الإعلام.

منهجية الدراسة : اعتمدت الدراسة على منهج المسح الإعلامي بغية استطلاع آراء أكبر عدد ممكن من شرائح المجتمع في (كوينزلاند)، واستندت في ذلك إلى أداة المقابلة المقننة من خلال دليل الهاتف، حيث أعد الباحثان استبياناً وعمداً إلى قراءته على المبحوثين عبر الهاتف وفتحاً مجالاً للحوار حوله مع تسجيل البيانات .

وشمل مجتمع الدراسة : سكان ولاية (كوينزلاند)، وهي ولاية تقع في شمال شرق أستراليا. تعد ثاني أكبر ولايات أستراليا مساحة، وثالثها من حيث عدد السكان.

أما العينة فقد اختيرت بصفة عشوائية شملت (500) مبحوثاً، أخذوا بعين الاعتبار متغيرات (الجنس، المستوى التعليمي، المهنة)، وانطلق الباحثان في جمع البيانات وتحليلها من منظر " الغرس الثقافي "، ذلك أن المسلمين لا يتعدون نسبة (1%) في استراليا، وبنسبة أقل بكثير في (كوينزلاند)، ما يعني أن وسائل الإعلام هي المصدر الأهم في التعريف بالإسلام والمسلمين.

وتمت عملية الاستطلاع من الأسبوع الأخير لشهر " أوت " إلى غاية الأسبوع الأول من سبتمبر (2006).

وتم اختيار المبحوثين بصفة عشوائية ، وكان معدل استجابة الاستطلاع (33%) ، وبلغ هامش الخطأ للنتائج

¹ Mohamad Abdalla and Halim Rane : **The Impact of Media Representations on the Understanding of Islam and Attitudes toward Muslims in Queensland** . Griffith Islamic Research Unit , Griffith University for Multicultural Affairs Queensland, August 2007.

النسبي هو (+ / - 4.4) في المائة، عند مستوى ثقة (95 % 0.5 = P). وتم تحليل البيانات باستخدام (SPSS) الإصدار (14).

وتمت العينة مزيجاً من الجنسين (39 % من الذكور و 61 %) تراوحت أعمارهم بين (16) و(50) سنة، وتنوعت مؤهلاتهم التعليمية من الابتدائي إلى الدراسات العليا الجامعية. ودارت محاور الاستبيان حول ، مدى معرفة الإسلام وتعاليمه الرئيسية، التفاعل مع المسلمين، قبول المسلمين كجزء من المجتمع الأسترالي، تصور المسلمين الأستراليين باعتبارهم تهديداً لهذا البلد، المصدر الرئيسي للمعلومات عن الإسلام والمسلمين، التصورات حول كيفية تمثيل المسلمين في وسائل الإعلام، تصورات حول تأثير القادة السياسيين على فهم الإسلام والمسلمين.

نتائج الدراسة

- (80 %) من السكان عينة الدراسة أبدوا ارتياحهم للمسلمين وتقبلهم كجزء من المجتمع الأسترالي، فيما بلغت نسبة رافضي المسلمين (14 %).
- في ردهم عن السبب في ذلك : ذكر (49 %) بأن المسلمون " لا تختلفون عنا " أنهم " تماماً مثل الجميع "، و أدلى (14 %) منهم إلى أن أستراليا بلد " الديمقراطية "، " الثقافات "، أو " الحرية ". وذكر (8 %) قبول المسلمين على شرط أن يتبنون القواعد الأسترالية، والقوانين، والقيم، و بما في ذلك تعلم اللغة الإنجليزية.
- وعن أولئك الرافضين للمسلمين، أشار (71 %) من المبحوثين كون المسلمين ليسو من المجتمع الأسترالي، وأعرب (24 %) عن بعض القلق إزاء العنف والتشدد والإرهاب الذي يتصف به المسلمون، وأشار (34 %) من أن المسلمين لا يستطيعون " الاندماج ". فيما عبر (14 %) من هذه المجموعة عن قلقهم كون المسلمين يريدون فرض طرقهم على الآخرين بطريقة أو بأخرى أو تغيير أستراليا. ، وذكر (6 %) فقط موقفهم بأنه بسبب لباس المسلمين.
- عند جدولة هذه النتائج مع متغيرات الدراسة، بينت النتائج أن الإناث أكثر تقبلاً للإسلام والمسلمين من الذكور.
- أكثر من ثلثي سكان (كوينزلاند) لديهم علاقات وتواصل مع المسلمين، سواء في العمل أو المدرسة أو الجامعة وآخرين لديهم أقارب وأزواج مسلمون .

إذ عبر (37%) من المبحوثين يلتقي مع المسلمين من خلال عمله، (20%)، لهم زملاء عمل مسلمون (14%) من أفراد العينة أن لديهم أصدقاء مسلمون، في حين اجتمع (9%) من المبحوثين مع المسلمين خارج استراليا خلال رحلات سفر .

- عند جدولة مستويات التفاعل مع المسلمين من الجنسين، أظهرت البيانات أن نسبة الذكور يميلون إلى التفاعل بمستوى أعلى مع المسلمين من الإناث، وأظهرت البيانات أيضا أن المستجوبين الأصغر سنا يميلون إلى التفاعل مع المسلمين أكثر من الأكبر سنا. وعلاوة على ذلك، أظهرت عبر جدولة مستويات التعليم والتفاعل العالي وجود ارتباط بين مستويات التعليم العالي ومستويات أعلى من التفاعل مع المسلمين.

- (14%) من سكان (كوينزلاند) أبدوا تأثرهم بالتغطية الإعلامية السلبية للمسلمين والإسلام في وسائل الإعلام الاسترالية والدولية .

غالبية سكان (كوينزلاند) أعربوا أن وسائل الإعلام هي المصدر الرئيسي للمعلومات عن الإسلام والمسلمين.

- (63%) من سكان (كوينزلاند) وصفوا أن تمثيل وسائل الإعلام للإسلام والمسلمين تم بصفة "منحازة" "منحازة"، وفيها "إثارة"، و"غير عادلة"، "سلبية"، "نمطية".

- في السياق بينت نتائج الدراسة ان (23%)، وصفت تمثيل الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام بـ " الحياد"، وفضل (17%)، وصفها بأنها كانت "عادلة" (01%)، رأوا وصفها بأنها كانت "هادفة"، و"صادقة". وصف بعض المشاركين بأن تمثيل وسائل الإعلام الإسلام والمسلمين اتسمت بـ "ضبط النفس"، ولم تكن "قاسية بما فيه الكفاية"، أو "منحازة تجاه المسلمين".

- ساعدت الدراسة في تبديد أسطورة أن المسلمين الأستراليين يعتبرون تهديدا الوطنيه وغير مرحب بهم في المجتمع الاسترالي.

- أكثر من ثلثي سكان (كوينزلاند) (67%) يرفضون اعتبار المسلمين مصدر إزعاج أو تهديد للأمن القومي والهوية الوطنيه الاسترالية، (23%) أن المسلمين مصدر تهديد، فيما أشار (10%) إلى أنهم غير متأكدين.

- وعن طبيعة التهديد، أشار (51%) من المبحوثين أن التهديد "أمي"، فيما اعتقد (26%) من المبحوثين أن التهديد "ثقافي"، وأشار (05%) أن التهديد سببه "سياسي"، وأخيرا أشار (4%) أن طبيعة التهديد "ديموغرافية" بحكم تزايد عدد المسلمين.

- وعند جدولة البيانات مع متغيرات الدراسة كشفت النتائج أن الجنس لا يشكل متغيرا فارقا في اعتبار المسلمين تهديد. أما من حيث السن، تم العثور على نسب أعلى من بين المستطلعين الأكبر سنا في توقع التهديد، أما مستوى التعليم، فأظهرت البيانات كلما قل المستوى التعليمي كلما زاد الاعتقاد أن المسلمين يشكلون تهديدا.

- وعن اعتماد على وسائل الإعلام كمصادر للمعرفة، فأشار النسبة الساحقة من المستجوبين (97%) أن وسائل الإعلام تعتبر مصدر رئيس لمعلوماتهم حول الاسلام والمسلمين، حتى أولئك الذين أفادوا أنها لعد مصدرا، بينوا فيما بعد ردا على سؤال حول "أهمية وسائل الإعلام كمصدر للمعلومات عن الإسلام المسلمين" وذكر (63%) منهم أن أهمية وسائل الإعلام لهم "قليل"، وأشار (33%)، أنها تشكل "قدرا لا بأس به" من الأهمية، فيما بين (16%) أنها "جد مهمة".

- وأشار معظم المجيبين (62%)، أن الأخبار التلفزيونية وبرامج الشؤون اليومية، يعتمدونها "مصدرا رئيسيا للمعلومات عن الإسلام والمسلمين"، تليها الصحف بنسبة (21%)، ثم الكتب (8%)، وشبكة الإنترنت (4%)، والإذاعة (3%)، والمجلات (2%).

- وعن سؤال المستجيبين مدى إسهام القادة السياسيين في تقريب الإسلام والمسلمين من الاستراليين، فقد أشار (59%) بالقول "لا على الإطلاق"، ورأى (41%) أن القادة السياسيين ساهموا "قليل" في تقريب الإسلام والمسلمين من الشعب الاسترالي، و(36%) من وصفوا ذلك بـ "لا بأس" بينما (01%) رأوا أن ذلك كان كثيرا.

- عندما سئل المستجوبون كيف تصف تصريحات الحكومة الاتحادية فيما يتعلق بالإسلام والمسلمين، وصف (39%) أنها كانت "سلبية"، ورأى (07%) أنها كانت "لخدمة أهداف سياسية"، ورأى (05%) أنها كانت "متحيزة"، وذهب (04%) من المستجوبين أنها لم تكن دقيقة، وتعتمد على الإثارة أكثر.

التعليق على الدراسة

هذه الدراسة من أهم الدراسات التي وقت بين يدي الباحث، وأبانت على جانب مهم له علاقة مباشرة بالدراسة ألا وهو أثر وسائل الإعلام في تشكيل الآراء والاتجاهات نحو الإسلام والمسلمين بعد هجمات الحادي

عشر من سبتمبر، وأزاحت الكثير من الإشكالات والتعميمات المتعلقة بجدلية وسائل الإعلام والشعوب في المجتمعات الغربية، وعلاقة المجتمعات الغربية بالإسلام، لتؤكد أن المجتمعات الغربية ليست نوعا واحدا متجانسا ومنسجما، فهذا الشعب الاسترالي أكثر تقبلا وتفهما وتعايشا مع الإسلام والمسلمين، بل كثير منهم - كما أشارت الدراسة - يرى أن المسلمين تعرضوا لأكبر أنواع الإساءة من الأوربيين والأمريكيين، كما أبنات عن نقطة مهمة جدا مفادها أن العلاقات الاجتماعية البينية بين المسلمين والغربيين أكثر تأثيرا من وسائل الإعلام وقرارات السياسيين، فكثير من الاستراليين تقبلوا الإسلام لا لوسائل الإعلام وإنما لطبيعة العلاقات التي بنوها مع المسلمين، وعليه فردم الفجوة بين الإسلام والغرب يمكن تحقيقه أفضل على مستوى القواعد الشعبية.

يبقى الملح المهم الذي نقص هذه الدراسة هو مضامين الصورة التي كانت تروجها وسائل الإعلام الاسترالية، خاصة أن الدراسة انطلقت من افتراض أن الصورة في المضامين سيئة، كما أن الدراسة لم تغص كثيرا في التنقيب عن الأسباب والدواعي، كما لم تتطرق إلى آفاق التواصل الحضاري الناجح بين المسلمين والاستراليين في ظل تهديد وسائل الإعلام.

الفصل الثاني

المتغيرات الدولية قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001

12: اقترابات نظرية .

2-2 : ميلاد النظام الدولي الجديد.

3-2 : النظام الجديد والافتراضات النظرية المصاحبة .

4-2 : النظام الدولي الجديد : نهاية الدولة وتقويض السيادة الوطنية .

5-2 : السمة العسكرية والجيواستراتيجية للنظام الدولي الجديد :

6-2 : النظام الجديد و تحولات العولمة الإعلامية والاتصالية والاقتصادية

7-2 : العالمين العربي والإسلامي في ظل التغيرات الدولية الجديدة .

8-2 : الفوضى العالمية الجديدة ...تنامي التيار الجهادي الإسلامي

1.2 اقترابات نظرية .

لا شك أن مقارنة الفهم السليم لما وقع في الحادي عشر سبتمبر (2001) بالولايات المتحدة الأمريكية، وتداعياتها الأمنية والسياسية... على العالم فيما بعد، يحتم علينا ضرورة وضع الأحداث في سياق ما سبقها من تطورات عملاقة في النظام الدولي، على الأقل قبل عقد من زمن الأحداث، فالحدث على قوته وضخامة تأثيره في الواقع العالمي لم يبدأ من فراغ، بقدر كان نتيجة ربما متوقعة لإكراهات أحداث سابقة، وتراكمات تاريخية ضخمة، تداخل فيها السياسي مع الثقافي و الديني مع العسكري والاقتصادي والأمني، وستعمد الدراسة على التركيز في هذا المجال على أبرز المتغيرات الدولية التي وقعت في العقد السابق للحدث- كما صدرنا الكلام- أي منذ نهاية الحرب الباردة، وبروز ما أشتهر تسميته بالنظام الدولي الجديد، و الحروب التي تتابعت إثر ذلك في العالم خاصة حرب الخليج الأولى والتي عدّها البعض الأصل الذي تفرعت عنه أحداث الحادي عشر من سبتمبر¹.

لذلك من المهم جدا قبل الحديث عن الأحداث وما ترتب عليها من تداعيات مختلفة في عالم اليوم، أن نحاول رصد ما سبقها من تحولات عملاقة في النظام الدولي خلال العشر سنوات الماضية- التي سبقت الحدث- على الأقل . لقد كانت هذه الأحداث نتيجة حتمية لتداخل أزمات ثلاث عانى منها الوضع الدولي آنذاك تفاقمت في مستويات ثلاثة وثيقة الترابط : العلاقات الدولية، ديناميكية العولمة، الأرضية الثقافية والأيدولوجية السائدة.

فعلى إثر انتهاء الحرب الباردة بفعل الانهيار المذهل وغير المتوقع للاتحاد السوفيتي وللشيوعية في أوروبا الشرقية وآسيا الوسطى، برز بقوة ولأول مرة ما يسمى بعالم القطب الأوحده بزعمامة الولايات المتحدة الأمريكية، هذا القطب الذي عمل على مضايقة كل الأنظمة التي لا تخضع له بصفة مباشرة، أو كانت من الممكن إن تخلص بمصالحه مستقبلا.

ونحن إذ نتلمس جوانب من هذه الأحداث لابد من الإشارة بداية إلى مقارنة تحليلية مهمة جدا في فهم مسيرة النظام الدولي- مع تحفظنا على التسليم بمصطلح النظام كونه وصف للعلاقات الدولية الراهنة- وتغيراته عبر التاريخ، يؤكدها المفكر (مورتون كابلان M. A. Kaplan) من أن كل نظام يتكون من مجموعة متغيرات

¹ جورج قزم : «عالم القطب الأوحده واتجاهاته» . سلسلة كتب المستقبل العربي، أحمد بيضون وآخرون : العرب والعالم بعد 11 أيلول سبتمبر. ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2004، ص 12.

ترابط علاقاتها وتداخلها، وتؤدي تفاعلاتها إلى إنتاج أنماط من السلوك الدولي، وحيث يمكن التعرف إلى جوانب الانتظام وعدم الانتظام من خلال تحليل علاقات التأثير المتبادل التي تربط بين هذه المتغيرات التي يعتمد عليها توازن النظام الدولي واستقراره، وبذلك فإن (كابلان Kaplan) يرى أن المتغيرات هي بمثابة مدخلات (Input) تسبب إحداث نوع من التغيير في العلاقات الدولية للوحدات التي يتألف منها النظام الدولي، أو في الخصائص الذاتية للبعض منها، وأن ذلك لا بد أن ينتهي بصيغة مخرجات (Output) وتحويلات أساسية في سلوكيات النظام، الأمر الذي يخل باستقراره، فالمتغيرات الدولية هي مدخلات ذات مخرجات ونتائج ومحصلات، نتيجة لفاعليتها على اختلاف معادلة التوازن "الإقليمي والدولي" في النظام الدولي.¹

من جهة أخرى نشر كذلك إلى مقارنة مهمة أوردتها (سمير أمين) في كتابه "الطبقة والأمة في التاريخ والأزمنة المعاصرة" - تدخل في إطار نظريته المعروفة بنظرية التكتل الرأسمالي- التي تؤكد انطلاقاً من الرؤية التاريخية الشاملة للتوسع الرأسمالي، أن الرأسمالية* دائماً ومنذ الأصل شكلت نظاماً استقطابياً نفعياً بطبيعته- أي إمبرياليا- هذا الاستقطاب يتجسد في بناء متقطع لمراكز مسيطرة وأطراف محيطة خاضعة، وهو ملازم لمسار تراكم الرأسمال العامل على نطاق عالمي، ومؤسس على ما أسماه قانون القيمة المعولمة.²

لقد غذت المراكز الغنية في هذا النظام تعمل على تهميش العالم الموازي وإضعافه وتقسيمه ليصبح حلقات أضعف فأضعف، تحكمه أنظمة شديدة التكيف والاستجابة لمصالحها.

فالعولمة الرأسمالية- في ضوء هذا المنظور- كانت دائماً وستبقى مرادفاً للإمبريالية*، بمعنى أنها انتشار ينتج ويفاقم، بلا توقف، تناقض المراكز والأطراف بواسطة منطقها الداخلي الخاص ذاته، فلا يملك هذا التوسع الرأسمالي فضيلة فتح "إمكانيات اللحاق" أمام "المتأخرين" بل غلق أمامهم كل سبل التنمية.³

¹ ينظر سوسن العساف : إستراتيجية الردع (العقيدة العسكرية الأمريكية الجديدة والاستقرار الدولي) . ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت 2008، ص ص 106-108.

* نشر أن سمي أمين في نظريته الموسومة بـ « التراكم الرأسمالي » يطلق مصطلح الرأسمالية لإبراز الامتداد الأفقي لنمط الإنتاج الرأسمالي، أي المدى الذي وصل إليه تمدد الواقعة ذاتها أيضاً.

² ينظر سمي أمين : « جيو سياسة الامبريالية المعاصرة » . سلسلة كتب المستقبل العربي 38، سمي أمين وآخرون : العولمة والنظام الدولي الجديد . ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، ديسمبر 2004، ص 11.

* يوظف كذلك مصطلح الامبريالية لإبراز عملية إخضاع اقتصاديات البلدان الأخرى وأساليب حياتها وأشكال إنتاجها للثروة إلى مصالح التراكم الرأسمالي في المركز وحده.

³ سمي أمين : ما بعد الرأسمالية المتهاككة . (تر) فهيمة صلاح الدين، سناء أبو شقر، " ط 1، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2003، ص 126 .

إن هاتين المقاربتين التحليلية تمهدان السبيل جيدا لمحاولة فهم التغيرات الحقيقية التي حصلت خلال العقد السابق - لأحداث الحادي عشر من سبتمبر - على معادلة القوة الجديدة في العالم، وبالضبط بعد سقوط المعسكر الشرقي و بروز ما سمي بالأحادية القطبية القائمة على مركز استقطاب واحد، بفكر وأيديولوجية رأسمالية ليبرالية جديدة تحاول نشر قيم التراكم الرأسمالي على نطاق عالمي وتعميمها وجعلها نهاية لتطور التاريخ. آخذين بعين الاعتبار الخصائص التي يتصف بها هذا النظام العالم الجديد، منذ بداية إعلانه،¹ والتراكمات التي تخللته - على الأقل بعقد من الزمن- حتى أحداث الحادي عشر من سبتمبر بالولايات المتحدة الأمريكية، وما أعقبها من تداعيات أمنية وسياسية واقتصادية وغيرها، وفي ضوء هاتين المقاربتين يمكننا أن نبرز أهم السمات العامة التي تميز بها هذا النظام الجديد، منذ بداية تشكله مع نهاية الحرب الباردة إلى ما تلا ذلك من أحداث ووقائع سابقة لوقائع الحادي عشر من سبتمبر بالولايات المتحدة الأمريكية.

¹ جدير بالذكر انه لا يوجد اتفاق أو شبه اتفاق على ماهية النظام الدولي الجديد، لسبب بسيط هو انه لم يتشكل ويتبلور بصورة مكتملة وتوافقية وبين مادحيه وناقديه ترددت دلالات المصطلح، كما لا يوجد اتفاق على تاريخ ميلاده، سوى استخدام الرئيس الأمريكي الأسبق "جورج بوش الأب" للمصطلح نهاية سنة 1989. ينظر بتفصيل أكثر عبد القادر رزيق المخادمي : النظام الدولي الجديد الثابت والمتغير. ط3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006، ص 23.

2.2 ميلاد النظام الدولي الجديد.

يلمح المتعمق في أدبيات العلاقات الدولية قبيل أحداث الحادي عشر من سبتمبر، تواتر السرد حول أهمية وعمق تأثير انتهاء الحرب الباردة على مسيرة تطور النظام الدولي وتداعياته الأمنية والجيواستراتيجية، وحملها إياه على استهلال مرحلة تاريخية مقبلة غير مسبوقة، شاعت تسميتها بـ " النظام الدولي الجديد "، في إشارة واضحة للدلالة حول تعاقب تحولاتها وتلاحق سرعة مستجداتها. غير أن هذا التواتر السردى في أدبيات المرحلة لم يكن مجال من الأحوال محل اتفاق أو إجماع، خاصة في تحليل طبيعة هذه المرحلة، وأبعادها ومدى تأثيرها على البني الهيكلية للنظام الدولي من جانب، وحول آلياته وقضاياه ومجالات اهتماماته من جانب آخر، من ذلك حري بالدراسة تشوف إرهابات الميلاد قبل الخوض في توجهات الفكر والسياسة، ونشير بديهة إلى أن مصطلح " النظام العالمي الجديد " هو في الأصل ترجمة للمصطلح الانجليزي (New World Ordre) مع أنه من الصعب الوقوف له على تعريف موحد بين الباحثين، جامعا مانعا توافقيا يلبس كل دلالات المصطلح، ذلك أن كل واحد من المهتمين بدلالاته نظر إليه من زاوية خاصة به، ومنظور مختلف عن غيره، وفي ضوء أوضاعه وظروف الخاصة به، ينطبق عليه وصف (جيمس بيكر James Baker) وزير الخارجية الأمريكي الأسبق، " نظاما يبحث عن هوية "، حيث تعدد في توصيفه الرؤى والتوجهات ما بين النظر إليه باعتباره نظام " القطب الواحد المهيمن "، أو إدراكه كنظام " تعدد القوى "، أو التسليم بأنه " نظام ما زال في طور التكوين " ¹، أو رفض وجود نظام من العلاقات الدولية أصلا، ذلك أن مصطلح أو فكرة نظام وتنظيم، يعني ابتداء حل المشاكل وتحقيق التعاون السلمي التوافقي الذي يرضي الجميع، وهذا لا يتصور قيامه على وجه ملائم وفعال إلا بوجود هيئة أو منظمة دائمة، قوية، رادعة، ملزمة، يتم من خلالها وعن طريقها العمل على تحقيق ذلك .

وانطلاقا من هذا فإن فكرة المنظمات الدولية هي مقتضى جوهر فكرة التنظيم الدولي بالإضافة إلى أنها تقدم لنا الدليل الخارجي أو الظاهري على وجود هذا التنظيم، لذلك فالمنظمات الدولية ليست غاية في ذاتها بقدر ما هي وسيلة لتحقيق النظام الدولي، وهكذا تصبح الوسيلة غاية كما هو الحال تماما داخل الدول حيث لا يتصور تحقيق الأمن والعدل داخل أي إقليم ما لم يكن هناك تنظيم ما في هذا الإقليم.

¹ Baker James A : **Conflict and cooperation in the post-cold war era** . Speech delivered at the First Annual Conference of the James A. Baker III Institute for Public Policy, Rice University 13 November, 1995, [On-Line] <http://www.princeton.edu/smeunier/Between/Regionalism/and/Globalism>, 29/12/2012, 11:17 h

لهذا نسلم بداية، وبصفة إجرائية قبول اعتباره نظاما ووصفه -تجاوزا- بأنه " مجموعة التفاعلات أو شبكة علاقات القوى - التعاونية والصراعية على حد سواء- التي تتم فيما بين أعضاء المجتمع الدولي على الصعيدين العالمي والإقليمي، والتي تجري وفقا لنسق أو منظومة معينة للقيم،¹ يتحكم فيها الغالب ويخضع له فيها المغلوب وان تظاهر بالرفض والمقاومة ". ويفترض في مضمون النظام الدولي الحيلولة دون تغيير الواقع الدولي، أو الإخلال بأوضاعه، والعلاقات فيه، أو تبديلها بما يلائم مصالح دولة ما، وذلك باتخاذ إجراءات دولية جماعية ضاغطة، أو مانعة لمحاولات هذه الدولة أو مجموعة الدول، ويدفع هيئات نظام الأمن الجماعي الدولي إلى رفض أي استعمال لوسائل العنف المسلح من أجل حل التناقضات والخلافات القائمة في مصالح الدول وسياساتها، بل من الواجب عليه التأكيد والعمل على استعمال واستنفاد كل الطرق والأساليب السلمية الممكنة.

وهذا التسليم المبدئي الإجرائي للنظام كمفهوم مرجعي في السياق، لا يعفينا من التأكيد على أن مسافة الفروق شاسعة بين المثل والأهداف السامية وبين ضلالات الواقع وتعقيداته في محيط العلاقات الدولية، فمنذ البدء كانت القوة ما تزال هي الفاعل الحاسم في تحديد إطار الاستراتيجيات للدول، وهي المحرك لأنماط العلاقات الخارجية، (وباعتبار أن إمكانات الدول في مجال القوة ليست متساوية في الكم والكيف)، فإن الأقوى كان وما زال يستغل هذه القوة لفرض مصالحه على الآخرين من دون اعتبار لمصالحهم، من هنا كانت فلسفة « الحق للقوة » هي السائدة في المجتمع الدولي منذ القديم وحتى اليوم، وعلى الرغم من النظريات المثالية الحاملة، فإن القوة هي الواقع في التعامل الدولي، أما الأخلاقيات فتقع في مكان ما بينهما.

من هذا القبيل يعتقد منظرو السياسة الدولية أن أسمى الأهداف لا يمكن أن يتحقق إلا في ظل سيادة القانون الدولي، والقانون الخاص، ولكن المنطق العملي في العلاقات الدولية يفرض طرح تساؤل عميق ومهم جدا : أي قانون ؟ ومن أوجده ؟ فالقانون ليس شيئا مجردا، كما لا يمكن فهمه بمعزل عن مكوناته السياسية التي أوجدته، ولا عن المصالح السياسية والاقتصادية التي أنتجته، ذلك أن القوانين الدولية والتنظيم الدولي، والنظام الدولي المنبثق عنها، إنما هو تعبير عن إرادة، ورغبات، ومصالح القوى التي صاغت هذا القانون، ووضعت قواعده، وهو يعمل في الحقيقة، وبنسبة كبيرة من الواقع لخدمتها، وتحقيق أهدافها.

في ضوء هذه المقدمات نستصحب حيثيات الصراع القطبي بين قطبي النظام الدولي خلال مرحلة ما اشتهر بالحرب الباردة وقد أدى إلى إرهاب متبادل لكل منهما، وذلك بالنظر إلى ثقل الأعباء العسكرية الناجمة عن سباق التسلح رهيب طيلة الفترة السابقة حتى منتصف الثمانينيات، هذه الفترة شهدت دعم الولايات المتحدة بعض نماذج التشدد الإسلامي في بعض الدول العربية، وتحالفت مع المجاهدين الأفغان ضد الغزو السوفيتي

¹ ينظر عز الدين هلال : « النظام الدولي الجديد : الواقع الراهن واحتمالات المستقبل 3 » . مجلة عالم الفكر، المجلد 23، العددان 3-4، مارس/أبريل 1995. ص 9-24.

لأفغانستان، وكان ذلك التحالف يقع ضمن السياسة الأمريكية في الاحتواء السوفيتي على مستوى العالم ومحاربة الأنظمة الثورية التابعة له في العالم.

وأدى تفاقم الوضع الدولي والتوازن الإقليمي في بعض المناطق ذات الأهمية الحيوية، خاصة أزمة الاحتلال العراقي للكويت وما أعقبها من إشكالات أمنية وسياسية، كبروز العجز التام للاتحاد السوفيتي الذي تحول إلى مجرد هيكل لقوة عظمى مشلولة الإرادة، وهو ما عجل بدفع فكرة الرئيس الجديد آنذاك (جورباتشوف M.S. Gorbachev) حول ضرورة البحث عن صور وأفكار جديدة، خاصة وان العالم أصبح يشكل وحدة واحدة بفعل تأثير الثورة التكنولوجية والاتصالية الجديدة، والتقدم الرهيب في أسلحة الدمار الشامل، أمرا طبيعيا فرضه الوعي بحجم الاستنزاف الرهيب للنفقات والإمكانات الإستراتيجية في سباق التسلح.

موقف مهد للنخبة الأمريكية في ميدان السياسة الخارجية التفكير لرسم منظور جديد للنظام العالمي، ولدور الولايات المتحدة الأمريكية خلال عقد التسعينات، ولكن من هذه المرة من منطلق الزعامة والغلبة والقوة، (...). لخصها فيما ما بعد الرئيس الأمريكي (جور بوش " الأب " G. H. W. Bush) في خطاب أمام البرلمان الأمريكي في الحادي عشر من سبتمبر سنة (1990) بين فيه الأهداف التي رسمتها الولايات المتحدة لقيام نظام عالمي جديد.¹

وهذا الموقف الجديد لم يرق كثيرا للأوروبيين الذين كثفوا جهودهم لتوحيد القارة وبناء أوروبا المتمسكة بالهوية والذاتية الأوروبية ذات الرصيد التاريخي والحضاري الكبير، والتي تجعل من واشنطن غير قادرة على صنع القرارات وتحديد المواقف للأوروبيين في إدارة شؤون أوروبا السياسية والاقتصادية، ليس داخل أوروبا فحسب بل عبر العالم أجمع، وهنا برزت بوادر التفاوت في الرؤية إلى هذا الواقع الجديد فبدأت الولايات المتحدة تتخذ الحلف الأطلسي ذريعة لإبقاء هيمنتها على القارة القديمة تحت شعار جديد "الأمن الجديد المشترك"، في وقت رأى الأوروبيون أن التحالف الأوروبي الأمريكي فقد أهميته، ولم يعد هناك خوفا يبرر تواجد الترسانة الأمريكية في أوروبا.

وفي هذا يشير (سمير أمين) إلى أن أوروبا وجدت نفسها في أزمة متعددة الأبعاد (بداية أزمة سياسية ممثلة في رفض الخضوع للامشروط للولايات المتحدة، وأزمة اقتصادية ناجمة عن الخيار الليبرالي والتبعية للقائد الأمريكي وتمويل عجزه، وأزمة اجتماعية ناتجة عن تصاعد مقاومة الطبقات -بغض النظر عن البعد الماركسي

¹ ينظر حبيب سليم : « العرب والنظام العالمي الجديد التحديات والرهانات » . الثقافة العربية ثقافة وثقافات العالم حوار الأنداد، المنظمة العربية للتربية والعلوم، تونس 1999، ص 87.

للمصطلح- الشعبية نضالاتها ضد الخيار الليبرالي) هذه الوضعية ولدت في أوروبا ثلاث توجهات متميزة نسبيا للمواجهة :

- ✓ الذين يدافعون عن الخيار الليبرالي، ويريدون أوروبا مستقلة سياسيا.
 - ✓ الذين يدافعون عن الخيار الليبرالي، ولكنهم يقبلون قيادة الولايات المتحدة، بلا شروط تقريبا.
 - ✓ الذين يرغبون بقيام " أوروبا اجتماعية " ، أي رأس مالية ملطفة بتسوية اجتماعية جديدة بين العمل والرأسمال على النطاق الأوروبي، وفي نفس الوقت أوروبا سياسية تمارس علاقات مختلفة مع الآخرين.¹
- في خضم هذه التجاذبات من العلاقات الدولية، برز الرئيس الأمريكي (جور بوش G. Bush) في لقاءه مع الكونجرس بتاريخ (11 سبتمبر 1990) ليقول للعالم أجمع : " إننا نتطلع إلى نظام عالمي جديد يصبح أكثر تحرزا إزاء التهديد بالإرهاب... وأن أركان النظام الدولي هي: تسوية المنازعات بالوسائل السلمية، والتضامن الدولي في مواجهة العدوان، والعمل من أجل تخفيض مخزونات الأسلحة وإخضاعها للسيطرة ومعاملة الشعوب معاملة عادية"² ومنذ ذلك اليوم أعلن ميلاد ما سمي " النظام الجديد" وبدأت ملامحه وسماته العامة في البروز، وإن تفاوتت الرؤى - كما صدرنا الحديث - في ضبط معالمه وفهم جوهره وحقيقته، وهي تصورات يمكن حصرها كما أشار إلى ذلك الباحث (منير محمود بدوى السيد)³ في ثلاثة تيارات النحو التالي:

التيار الأول : تيار وجود النظام الدولي الجديد.

ويقطع القائلون به، وجود نظام دولي جديد أحادى القطبية، تتربع الولايات المتحدة على قمته دونما منافسة أو تحد، ويدعم مكائنها هذه تأييد حلفائها الغربيين من جانب، وقدرتها على استخدام قوتها العسكرية لحسم أي صراع تقرر الاشتراك فيه، ولممارسة مسؤولياتها في المحافظة على الاستقرار الدولي وتوجيه الحركة العالمية باتجاه الديمقراطية، ومنطلق هذه الرؤية يستند إلى أن انهيار الاتحاد السوفيتي أفسح المجال أمام الولايات المتحدة لترقى إلى مرتبة القوة العظمى الوحيدة، قادرة على استخدام وتوظيف ما تمتلكه من عناصر للقوة لتحقيق

¹ ينظر سمير أمين وآخرون: العولمة والنظام الدولي الجديد. مرجع سابق، ص 31.

² النص الكامل لخطاب الرئيس جورج بوش بهذا التاريخ، منشور على موقع الأرشيف الوطني للولايات المتحدة الأمريكية :

The National Archives : [On-Line] Toward a New World Order '

29/12/2012.11:27h. <http://www.sweetliberty.org/issues/war/bushsr.htm>.

³ ينظر منير محمود بدوى السيد : الاتجاهات الحديثة في دراسة النظام الدولي ، منذ انتهاء الحرب الباردة . دراسة مقدمة إلى اللجنة الدائمة للعلوم السياسية، كلية التجارة ، جامعة أسيوط، منشورات المجلس الأعلى للجامعات، القاهرة، افريل 2004 ص ص 03-10.

وفائها بمسئولياتها في تنظيم وإدارة الشؤون الدولية دونما منافسة حقيقية أو تحد جوهري من جانب أي قوة دولية أخرى، مشكلة النموذج الأيديولوجي الليبرالي الأبرز تأثيرا وجاذبية.

وعلى ذلك، يأتي استخدام مفهوم " النظام الدولي الجديد " تعبيرا عن مجمل تلك التطورات التي حدثت في هيكل وبنية علاقات القوة في نظام القطبية الثنائية، وما ترتب عليها من تطورات تمثلت في صعود الولايات المتحدة إلى مرتبة القطب الأوحيد المهيمن في الشؤون الدولية، إضافة إلى جملة التداعيات المترتبة على ذلك مثل التحول نحو تدعيم دور الأمم المتحدة كتجسيد للشرعية الدولية؛ وتزايد حدة الاستقطاب بين الشمال والجنوب؛ وتزايد الاهتمام الدولي بقضايا التحول الديمقراطي ونطاقه.

وطبقا لهذا التيار، فإن نقطة انطلاق وبداية هذا النظام الدولي الجديد ترتبط بأزمة الخليج الثانية (1992/1991)، إذ تبلور في إطارها مضمونه وتحددت بشكل مبدئي مقوماته، استنادا إلى ما أضفاه عليه استخدام الرئيس الأمريكي وإدارته في تقديمه لمعالم هذا النظام، الذي استهدفت إدارته إرساء دعائمه كإطار تنتظم من خلاله، وتتمارس على هدى من قواعده، أنماط العلاقات والتفاعلات الدولية منذ ذلك الحين.

التيار الثاني : العالم في تحول من النظام الثنائي إلى نظام تعدد القوى.

ينتهي القائلون باتجاه " تعدد القوى " إلى أن انتهاء الحرب الباردة وانحيار الاتحاد السوفيتي قد انتقلا بالنظام الدولي إلى حالة من تعدد القوى أكثر من كونه قطبية أحادية، مدعمين رؤيتهم هذه باعتبارات واقعية ومنطقية، فالخبرة التاريخية المعاصرة توضح صعوبة قيام قوة وحيدة عمليا بفرض إرادتها وإملاء رؤيتها، وبشكل منفرد ومطلق، على المستوى الكوني بدون مساندة وتأييد قوى دولية أخرى، ثم هناك أيضا القيود النظرية والحدود العملية التي ترد على رغبة الولايات المتحدة، وتحد من قدرتها عمليا على الاضطلاع بأعباء ومسئوليات القيادة المنفردة للنظام الدولي الجديد، ولا أدل على ذلك حرب أزمة الخليج وتحرير الكويت سنة (1990).

فتعارض مصالح التجمعات والتكتلات الدولية الرئيسية مثل " الاتحاد الأوروبي "، "تجمع دول شرق آسيا والمحيط الهادي" (AIPEC)، " الاتحاد الإفريقي "، وغيرها بدرجات مختلفة وفي توقيتات زمنية متباينة مع المصالح الأمريكية الآنية والمستقبلية، فرغم التقارب الثقافي والفكري ونمط الحياة الغربي الذي يجمع " الاتحاد الأوروبي " بـ " الولايات المتحدة " فإن هذا لم يمنع الدول الأوروبية الكبيرة مثل " فرنسا وألمانيا " أن تعترضوا على غزو العراق على سبيل المثال لا الحصر، وليس ذلك من موقف الضعف بقدر ما هو منطلق اختلاف المصالح وتباين وجهات النظر، فالمظهر فيه غلبة واستقطاب لكن واقع الحال يشير إلى تعددية وتنوع في الأقطاب ومركز القوى، لذا نكاد لا نجد مع من يعتبرون هذا التوجه اتفاقا في أدبياتهم حول تحديد هذه الأقطاب، فبينما يسلم البعض منهم على أن الولايات المتحدة قطبا، يستبعد آخرون " روسيا " بسبب مشاكلها

الاقتصادية، ويستبعد آخرون "ألمانيا" و"اليابان" لضعفهما العسكري، ويدرج بعضهم "المملكة المتحدة" مع أنها في غالب الأحوال تبعية "لأمريكا" ولا تشكل قطبا دوليا.¹

وفي مقال للكاتب (دانيال دريزار Daniel Drezner) على صفحات المجلة الأمريكية الشهيرة (Foreign affaire) وبعنوان "ما بعد النظام العالمي الجديد" أو "جديد النظام العالمي الجديد" يوضح أن المعطيات التي فرضها الواقع الدولي من تصاعد قوى ذات ثقل اقتصادي وسياسي متنام، أصبحت محددات لا يمكن لأمريكا غض الطرف عنها، وفي سبيل بحث الولايات المتحدة عن مصالحها ربما تجد من الأفضل أن تتلاقى مصالحها مع مصالح هذه القوى المتنامية؛ لتعيد تشكيل النظام أحادي القطبية إلى نظام متعدد الأقطاب، غير أن الولايات المتحدة لا تسعى إلى تأسيس جديد لنظام متعدد الأقطاب بقدر ما تسعى إلى احتواء هذه القوى الصاعدة، وخاصة العملاقين الصيني والهندي.²

ناهيك عن القيود النظرية والحدود العملية التي ترد على رغبة الولايات المتحدة، وتحد من قدرتها عمليا على الاضطلاع بأعباء ومسئوليات القيادة المنفردة للنظام الدولي الجديد، وافتقارها للعديد من متطلبات الوفاء المنفرد بمسئوليات قيادة النظام الدولي، ومن ثم عدم مصداقية وصفها بالقطب الوحيد المهيمن.

التيار الثالث : نظام دولي جديد في مرحلة انتقالية

هذا التيار وإن كان يؤمن بحدوث تغييرات جذرية في النظام الدولي، عقب تفكك واتحاد السوفييتي، إلا أنه يرى أن هذا النظام الدولي الجديد مازال في طور التكوين، لم تستقر دعائمه أو تتضح خصائصه في شكل نظام متكامل المعالم ومحدد القواعد بعد، ومن هنا جاء ارتباطه بأوصاف شاع استخدامها لما لها من دلالات كالتسوية، والفوضى الدولية، وما شابهها، وذلك للتعبير عن طبيعة هذه المرحلة في تكوين النظام الدولي الجديد.

وعلى ذلك، يصبح من المبكر نسبيا الحديث عن نظام دولي جديد بالمعنى الواقعي العملي والعلمي الدقيق، فهو مازال قيد التكوين يعيش مرحله إرهابية وتحولات لم تستقر على إستراتيجية متكاملة اقتصاديا وسياسيا وأمنيا، فالمرحلة لا تزال انتقالية؛ يمارس فيها اختياراته بالانتقاء والاستبعاد من تراث نظام القطبية الثنائية بالإضافة إليه، ويبدل محاولاته باتجاه استكمال شكله وبنيته، وصياغة قواعده ومنطلقاته الذاتية كنظام دولي

¹ ينظر أحمد علي سالم : « القوة والثقافة وعالم ما بعد الحرب الباردة : هل باتت المدرسة الواقعية في العلاقات الدولية شيئا من الماضي » . المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 20، حريف 2008، ص 127.

² Daniel W. Drezner : « The New New World Order » . Foreign Affairs , Vol 86, N° 2, Mar/April, 2007. [On-Line]http://www.foreignaffairs.com/articles/62445/daniel-w-drezner/the-new-new-world-order. Le 04/04/2013,00:51h.

جديد، واستيفاء لمسات إخراجها في صورة نهائية.¹

وهذه الرؤية تستمد منطقتها من مقارنة النظام الدولي الجديد بالنظم السابقة، فهو يمثل وإلى حد كبير، نوعاً من القطيعة المعرفية أو الفكرية مع سابقه، ذلك أنه لم يستطع أن يستقر على، أو أن يبلور لنفسه، نظرية متكاملة أو نظاماً معرفياً له نسقه المتناسك من المبادئ والأهداف التي تحظى بالقبول العام وتصلح أساساً لصياغة بنية أو هيكل نظامه، وإرساء قواعد شرعيته كنظام دولي جديد.²

والعالم خلال الأعوام الستين الماضية تحولين معرفيين تمثل أولهما في التحول من نموذج " الحرب العالمية " إلى نموذج " الحرب الباردة "، وكان العالم يعيش في ظل توازن " رعب عالمي " يدعم " التعايش السلمي ". أما التحول المعرفي الثاني فقد حدث مع نهاية " الحرب الباردة " وأتمودجها المعرفي، فقد اختفت مجموعة المبادئ المقبولة والمتفق عليها بين الأطراف كإطار مرجعي تتفاعل من خلاله الدول وعلى رأسها " الولايات المتحدة " و " الاتحاد السوفيتي " مع عالم تلك الحقبة. كما فقدت مصطلحات العالم الأول والعالم الثاني والعالم الثالث تماسكها، واختفت أحلاف عسكرية مثل حلف " وارسو "... وهكذا، تبدو حقيقة الأمر أن النظام الدولي المعاصر ما زال عليه أن يتوصل وبشكل متكامل إلى بناء نموذج المعرفي الواضح والمقبول، ليساعد على فهم التحولات والتغيرات في السياسة الدولية.³

على ضوء ما سبق، يتضح أن مقارنة مفهوم النظام الدولي الجديد تستمد أهميتها من جوانب عدة، منها استصحابها تحولات كبرى تمثلها مجموعة الظواهر والتحديات العالمية الجديدة، وأن هناك أيضاً تنوعاً بين التيارات الفكرية بصدد تفسير أسباب ونتائج هذه التحولات؛ ومدى تواصلها أو انقطاعها مع نظام القطبية الثنائية الذي ساد منذ الحرب العالمية الثانية، وبالتالي إلى أي مدى نسمح ونقر بالحديث عن وجود نظام دولي جديد؟ وعلى أي مستوى وبأي شكل وتحت أي قيادة؟... أم أن الأمر في أفضل الأحوال لن يخرج عن كونه مجرد وصف ودعاية لمرحلة انتقالية عقب سقوط المعسكر الشرقي، وانتهاء الحرب الباردة؟.

وكذلك استمد هذا النظام صفة " الجديد " من الخصائص المميزة له مقارنة بنظام القطبية الثنائية والحرب الباردة الذي ساد من قبل، وليس على الإطلاق نتيجة لأن كل الدول انضمت إليه وشاركت فيه

¹ ينظر محمود بدوي السيد : مرجع سابق، ص 6.

² المرجع نفسه، ص 8.

³ Bernard F. Donahue : « New Post-Cold War Paradigm Emerging in Wake of Attacks: Multinational Effort to End Terrorism Could herald better World Order of Non-Imperialistic Pax Americana » . **National Catholic Reporter**, vol Oct 19, 2001.[On-Line] <http://ncronline.org/> le 04.04.2013. 01:32 h.

طواعية واختيارا لا جبرا وقسرا. أيضا، فإن صفة "الجديد" هذه إنما تستمد أيضا من دور وتأثير القيادة الأمريكية المهيمنة على أسلوب صياغة قواعده، وتصميم هياكل بنيته، والتي تمت في ظل، وبمشاركة أوروبية مثلتها قلة من الدول الأوروبية، بهدف الحفاظ على، وتأمين الحماية والخدمة الواجبة لمصالحها الدولية. من هنا كان استرشاد الدور الأمريكي في تأسيس هذا النظام وإرساء دعاماته، وبشكل جوهري، بالمصالح والأهداف الأمريكية الكونية كأولوية قصوى، يليها بعد ذلك، ربما وبمراحل، خدمة المصالح الغربية بوجه عام.¹

2-3 النظام الجديد والافتراضات النظرية المصاحبة .

ميلاد " النظام الدولي الجديد " لم يكن في حقيقته معزولا عن الانهيار الأيديولوجي الذي أصاب العالم بعد تفكك وانحيار الاتحاد السوفيتي، بل شكل فرصة وحافزا ومنطلقا لتأسيس وبشكل متكامل أنموذج معرفي واضح ومقبل يستوعب في ظلاله جل التحولات والتغيرات في السياسة الدولية، من أجل هذا استصحب المرحلة بروز عديد من الافتراضات الفكرية التي حاول صياغتها فلاسفة ومفكرو من مشاركة مختلفة وبخاصة من الغرب الليبرالي الرأسمالي، بدءا من " عصر نهاية الأيديولوجيا"² إلى " نهاية التاريخ عند الحضارة الغربية " و" صراع الحضارات " وهي مجموعة أفكار بقدر ما تفتقر إلى الانسجام العام، فإنها تتقاطع في مجموعها لتبرز نهاية مرحلة وبداية أخرى، وأن الرؤى القديمة أو القوالب الفكرية التقليدية غدت غير ذات أهمية مع نهاية المرحلة التي سادتها، وهي بذلك جاءت من جهة لتحافظ على مركزية الحضارة الغربية وتفردها - ضمن إطارها الثقافي والجغرافي - بالقوة والعظمة دون أي دور أو ترابط مع حضارات العالم الأخرى، وعلى أساس أن حضارة الغرب - كما يقول (صموئيل هنتنجتون S. Huntington) - " لها جوهر واحد ثابت لا يعرف التغيير، وهوية مطلقة تبقى كما هي عبر القرون"³ أو كما يعتقد (فرنسيس فوكوياما F.Fukuyama) "

¹ ينظر محمود بدوي السيد : مرجع سابق، ص ص 10-12.

² أوضح (دانيال بيل Daniel Bell) في كتابه " نهاية الأيديولوجيا " (1960) أن العصر الأيديولوجي قد انتهى وأن الراديكالية السياسية - الاقتصادية قد فقدت معناها ، لأن العالم الغربي حقق ما يسمى (بمجتمع الوفرة) وتم استيعاب الطبقة العاملة وانتشرت القيم الديمقراطية والتعددية السياسية ولذلك فإن الأيديولوجيات فقدت حيويتها الثقافية والسياسية، ينظر :

Daniel Bell : **The End of Ideology: On the Exhaustion of Political Ideas in the Fifties.**

The Free Press, Harvard University , 2000.

³ Voir Samuel Huntington: **The Clash of Civilization and the Remaking of World Order.**

1st Ed, New York: Simon & Schuster, 1997, PP: 307- 308.

بسقوط الأنظمة الاشتراكية يكون الصراع التاريخي بين الليبرالية والماركسية قد انتهى بانتصار ساحق لليبرالية الجديدة، وبهذا النصر تكون البشرية قد بلغت نقطة النهاية لتطورها الأيديولوجي.¹

ولعل ما يميز هذه المرحلة بداية، لأول مرة غياب عدو واضح أو تحد مباشر للولايات المتحدة الأمريكية، بما يعنى ظهور فراغ أيديولوجي وسياسي غير مسبوق، جعل السياسة الأمريكية، وجماعات المثقفين والمنظرين الفاعلين في الأمن القومي الأمريكي يسعون إلى التفكير في رسم تصور ورؤية للمستقبل تحدد معالم الطريق الجديد للقوة الكبرى في العالم، ويبرر في ذات الوقت السياسة الأمريكية والإستراتيجية العسكرية المتفرعة عنها، وفي هذا كتبت (كوندوليزا رايس C. Rice) قبل توليها منصب مستشارة الرئيس الأمريكي للأمن القومي : " إن الولايات المتحدة تجد صعوبة فائقة في تحديد مصلحتها القومية في غياب القوة السوفيتية"² وكما كتب (تشارلز كراوثامر C. Krauthammer) "إن حالة القطبية الأحادية تضع على عاتق الولايات المتحدة مسؤولية وواجب حفظ السلام الدولي بصفقتها الدولة الوحيدة التي تتمتع بالميزات العسكرية والدبلوماسية والسياسية والاقتصادية الكفيلة بتأدية هذا الدور، بقدر ما أنها تحتاج إليه من حيث كونها مثل الإمبراطورية البريطانية سابقا (...). تحتاج إلى فضاء عالمي مستقر ومفتوح"³.

فصعود الولايات المتحدة وتبوأها مكانة القائد لهذا النظام، وتوليها مسئوليات القيادة وأعباء الالتزام بتطبيق القانون الدولي والحفاظ على الاستقرار والنظام الدوليين، كان يفترض أن يكون بمعاونة أصدقائها وحلفائها معا، مع تفضيل أن يتم ذلك تحت مظلة الأمم المتحدة، وفي إطار من استخدام آلياتها السلمية المعتمدة على الإقناع والوساطة والتوفيق، وغيرها من آليات حفظ السلام العالمي. إضافة إلى ذلك، فإن قيادة المجتمع الدولي قد تضطر إلى استخدام الإجراءات التي تضمن الردع والفرص أو الإكراه، أي استخدام القوة لإكراه بعض الفاعلين على إيقاف بعض التصرفات والتصرف بشكل آخر يتفق ومقتضيات تحقيق السلام وحفظ أو استرداد القانون والنظام، وردع وإيقاف ومعاقبة مجرمي الحرب، والعدوان، والقهر، وإنقاذ وإغاثة

¹ Francis Fukuyama : **The End Of History and the Last Man**. The free press. Division of Macmillan, New York, 1992.

² Condoleezza Rice: « Promoting the national interest». **Foreign Affairs** , Jan/Feb 2000, Vol: 79, Issue: 1. [On- line] http://www.mtholyoke.edu/~jwestern/ir319/condoleezza_rice.htm, Le18.07.2013 .01 : 59h.

³ Charles Krauthammer : The Unipolar Moment Revisited. **the National Interest (magazine)**. Décembre, 2002. [On-line] <http://nationalinterest.org/> 29/12/2012.11:27 h.

المدنيين وتوفير جهودات الإغاثة للشعوب وحماية حقوق الإنسان، ودعم وتشجيع الحقوق المدنية، وهو ما لم يتحقق على كثير من المستويات.¹

على ضوء ذلك، وفي خضم الزخم الإعلامي المتزايد في أعقاب تحرير "الكويت"، جاء ارتباط هذا المفهوم بمجموعة من المفاهيم والشعارات التي استهدفت تأكيد صفة "الجديد" وتعميق ارتباطها في وعي المستمع والمشاهد والقارئ بسقوط الأيديولوجية الشمولية وانتصار الليبرالية، وصعود نجم مفاهيم التعددية السياسية، وحقوق الإنسان، والتأكيد على أهمية العلم ودور تكنولوجيات الاتصالات والمعلومات، غير أن إن وجود العالم في فترة انتقالية اثر نهاية الحرب الباردة ومن دون وضوح ما يتلوها، يشكل توقيتنا ممتازا لظهور الرؤى المختلفة لتلمس معالم الطريق، وفي هذا السياق يقول (هنتغتون S.Huntington) "إذا كنا نريد أن نفكر جيدا بشأن العالم ونعمل فيه بفعالية، فمن الضروري أن تكون لدينا خريطة حقيقية ونظرية ما ومفهوما وأتمودجا، ومن دون هذه البنى الفكرية لن يكون هناك سوى فوضى فكرية".²

من هنا برزت أطروحات عديدة شكلت ولا تزال مكونا مهما من مكونات الثقافة السياسية للعقد الأخير من القرن العشرين، بدءا من أطروحة "نهاية التاريخ" (فرانسيس فوكوياما F.Fukuyama)، ثم صدام الحضارات (صموئيل هنتغتون S.Huntington)، ومشروع الشرق الأوسط الجديد، والشرق الأوسط الموسع، مستشارة الرئيس الأمريكي (رايس C.Rice) ومشروع الشرق أوسطية (شيمون بيريز Shimon Peres) (...)، وما ترافق مع ذلك من تغيرات سياسية متسارعة على جميع المستويات المحلية والإقليمية والعالمية.... تؤكد أن حركية الأحداث العالمية، وصيرورتها رهينة تنافس كبير بين قوى ومشاريع وأفكار وقوالب معدة سلفا.

ولعلنا هنا نقف وقفة متبصرة مع أكثر أتمودجين ذاع صيتهما خلال المرحلة، وشكلا بحق قراءات متميزة في الفكر والسياسة الدوليين و نقصد بذلك أطروحة "نهاية التاريخ" وأطروحة "صراع الحضارات".³

¹ Paul W. Schroeder : « The Now World Order : A Historical Perspective ». **Washington Quarterly** , Vol 17, N°2, Spring 1994 : 25-43.

² ينظر بمجت قربي وآخرون : صناعة الكراهية في العلاقات العربية-الأمريكية . ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2004، ص 178.

³ نشر صموئيل هنتغتون مقالته "صدام الحضارات" في مجلة شؤون خارجية الأمريكية في عددها المؤرخ بصيف 1993، وهي مجلة معروفة بقربها من مركز صنع القرار.... وهنتغتون من أصل يهودي وهو متخصص في الإدارة العامة ومدير لمعهد جون أولين للدراسات الإستراتيجية بجامعة هارفارد الشهيرة، وقد كرس حياته المهنية لموضوع الإستراتيجية العسكرية، بحثا وتدريسا، واهتم بصورة مباشرة بالدراسات المقارنة في مجال السياسة الأمريكية وسياسات دول العالم الثالث، وقد أسندت إليه مسؤولية قسم التحليل والاستشراف بمجلس الأمن القومي الأمريكي.. ينظر محمد

أ- نهاية التاريخ .

إن إشكالية نهاية التاريخ إشكالية كامنة في الفكر الديني والفلسفي الغربي منذ القدم لكنها تحولت إلى موضوع أساسي في الحضارة الغربية منذ عصر النهضة، " كما في اعتقاد كل من (ماركس وهيغل)، الذين قررا وإن كل على طريقته أن تطور المجتمعات البشرية ليس إلى ما لا نهاية، بل إنه سيتوقف حين تصل البشرية إلى شكل من أشكال المجتمع يشبع احتياجاتها الرئيسية " ¹.

ونهاية التاريخ أو (The End of History) عبارة تعني أن التاريخ بكل ما يحويه من تركيب وبساطة، وضرورة وثبات، وشوق وإحباط، ونبل وخساسة، سيصل إلى نهايته في لحظة ما، فيصبح سكونيا تماما، خاليا من التدافع والصراعات الثنائية والخصوصيات، إذ كل شيء سيرد إلى مبدأ عام واحد يفسر كل شيء وسيسيطر الإنسان سيطرة كاملة على بيئته ويجد حلولاً نهائية لمشكلاته. ²

فالتاريخ المقصود هنا هو ذلك التعبير عن القانون الطبيعي، والتقدم إن هو إلا عملية تراكمية مادية آلية تتم حسب قوانين الطبيعة الكامنة في المادة، وما يحرك التاريخ باعتباره جزءا من المادة ليس الإرادة الإنسانية وإنما العناصر المادية، وبالتالي على الإنسان أن يخضع لمسار التاريخ الصارم، وحمية التقدم باعتباره تعبيرا عن القانون العام الذي يحكم الإنسان والطبيعة والكون، من هنا جاءت أطروحة (فوكوياما F.Fukuyama) لتقرر انتصار الليبرالية بصورة نهائية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وسقوط الشيوعية.

فنهاية التاريخ، في نظر (فوكوياما F.Fukuyama)، تحدث عندما يصل التاريخ إلى لحظة الدورة (اللحظة المطلقة)، أي انتصار الشكل العقلاي بصورة مطلقة، والشكل العقلاي في منظوره هو الديمقراطية الليبرالية، التي انتصرت عالميا، بعدما وصل العالم إلى لحظة الذروة، اللحظة المطلقة، بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وعليه يتضح أن الشكل العقلاي الذي يتحقق في هذه اللحظة التاريخية المطلقة، ليس هو الشكل العقلاي، الذي حدده (هيغل G. Hegel) في الدولة كتجسيد للحق الموضوعي، ولا كما حدده (روسو J.J. Rousseau)، وكانط (I. Kant) في الإرادة العامة اللذان اعتبرها عقلائية جدا لأنها عامة (روسو) ولأنها كلية (كانط)، ولا كما حدده (ماركس K. Marx) في ثورة البروليتاريا، والانتقال للمجتمع الشيوعي، وإنما الشكل العقلاي المنتصر

عابد الجابري : قضايا في الفكر المعاصر (العولمة - صراع الحضارات - العودة إلى الأخلاق - التسامح - الديمقراطية ونظام القيم الفلسفة والمدنية) . ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1997، ص 81.

¹ ينظر فرانسيس فوكوياما : نهاية التاريخ وخاتم البشر . (تر) حسين أحمد حسين، ط1، مركز الأهرام للترجمة، مؤسسة الأهرام للنشر، القاهرة، 1993.

² ينظر عبد الوهاب المسيري : الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ رؤية حضارية جديدة. ط3، دار الشروق، القاهرة، 2001، ص 258-262.

انتصارا تاريخيا، وحتما ونهائيا هو الديمقراطية الليبرالية، سياسيا واقتصاديا وثقافيا، وحاول (فوكوياما F.Fukuyama) أن يرهن صحة النتيجة، برجوعه إلى ما أسماه صورة الإنسان الأول، إذ يؤكد بان القديس (أوغسطين St Augustine) الذي يعد من المؤرخين المسيحيين قد اهتم بالإنسان كإنسان أو أن للمسيحية مفهومها الخاص عن التاريخ الذي يبدأ بخلق الله للإنسان وينتهي بالدينونة.¹

وهذه الفكرة المخصصة عن التاريخ في الفكر المسيحي توضح بشكل جلي بأن نهاية التاريخ تبدو ضمنا هي الفكرة نفسها في كتابه، وهي الفكرة التي طرحها الفيلسوف الألماني قبله الذي أشار إلى أن التاريخ يصل الذروة في اللحظة المطلقة، أي في اللحظة التي ينتصر فيها العقل النهائي الذي تعبر عنه الدولة البروسية.² لولا أن (فوكوياما F.Fukuyama) استند في دعم آراءه على أحداث الربع الأخير من القرن العشرين، الذي تعززت فيه المبادئ الاقتصادية الليبرالية ونجحت في إنتاج مستويات لم يسبق لها مثيل من الازدهار المادي.

ويقدم (فوكوياما F.Fukuyama) افتراضه حول نهاية التاريخ، في جملة من التساؤلات :

✓ هل يوجد بشكل ملموس في العالم الراهن بدائل للديمقراطية الليبرالية القابلة للحياة ؟

✓ وهل انتهت فعلا الشيوعية ؟

✓ وهل بإمكان الدين أو القومية المتطرفة العودة بشكل قوي ؟

✓ والسؤال الأكثر عمقا وجديا عند (فوكوياما F.Fukuyama) فيتعلق بصلاح الديمقراطية الليبرالية ذاتها،

وبقدرة المجتمعات الديمقراطية الناجحة أن تبقى إلى مالا نهاية، هل أن الديمقراطية الليبرالية فريسة تناقضات

داخلية جدية ستؤدي إلى انهيار النظام السياسي الذي تشكله ؟

✓ وإذا كانت الديمقراطية الليبرالية هي شكل الحكم الأكثر عقلانية، فلماذا لا تكون إذا كل البلدان

ديمقراطيات تنتمي إلى هذا النموذج ؟

ويحاول (فوكوياما F.Fukuyama) - من خلال منظوره- أن يبرز توسع التصور الديمقراطي في العالم،

فالديمقراطية الليبرالية بمؤسساتها الاقتصادية بدأت تزحف على بقية أجزاء العالم، بعد تراجع جميع أنواع

الأيديولوجيات الأخرى، ولن تكون هناك خصومات في المستقبل فنهاية التاريخ تعني نهاية الحروب والثورات

¹ منير لحضر : « الخلفية الفكرية لمشروع -الشرق الأوسط الكبير-: رؤية نقدية » . مجلة الحوار المتمدن، عدد 2150، 4 جانفي 2008

[On-line] <http://www.ahewar.org/m.asp?i=3268>, 12.03.2013.10:25.

² ينظر ناظم عبد الواحد الجاسور : المرجعية الفكرية للخطاب السياسي والاستراتيجي الأمريكي ما بعد الحادي عشر من أيلول سبتمبر 2001 . ط1، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 2006، ص ص 25-26.

الدموية، فمتى اتفق الناس على الغايات، فلن تكون هناك قضايا كبيرة يتقاتلون بسببها، سيشبعون احتياجاتهم بفضل النشاط الاقتصادي. غير أنهم لن يضطروا إلى المخاطرة بحياتهم في معارك، وبعبارة أخرى سيصبحون حيوانات من جديد، كما كنوا قبل المعركة الدامية التي بدأ التاريخ بها.¹

إن تصور الافتراض للعالم بعد " نهاية التاريخ "، ينطلق أسس غير مسلم بها ولا يمكن التسليم بها أصلاً، إذ الاستناد على أن لا وجود لتناقضات أساسية في الحياة البشرية لا يمكن حلها في إطار الليبرالية الحديث، مغالطة كبرى، وأن المشاكل التي تعاني منها المجتمعات الليبرالية اليوم كالمخدرات والتشرد والجريمة وأضرار البيئة وغيرها فلن تبقى بلا حل، وهي ليست من الخطورة بما يمكن لن تؤدي إلى انهيار المجتمع الليبرالي. بمجمله كما شهدت الشيوعية،² ومع ذلك فليس من الضروري عند " التاريخ " أن تصبح كل المجتمعات مجتمعات ليبرالية، بل بالعكس يرفض هذا التجانس ويؤكد أن البلدان التي تنتمي فقط إلى الحضارة الغربية هي التي يجب أن تؤكد سيطرتها على العالم كله، على قاعدة السادة والعيبد، لان الثقافة يمكن أن تشكل عائقاً أم الديمقراطية (عملية الانتقال إلى الديمقراطية)، بل ربما تتحول إلى مصدر يهدد الحضارة الغربية، بشعارات الخصوصية الإثنية أو الدينية أو العقيدية أو القومية، وفي هذا يجمع (فوكوياما F.Fukuyama) هذه المعوقات أو العوامل الثقافية التي تشكل الممانعة في ما يلي : درجة قوة الانتماء الإثني، الدين، البنية الاجتماعية، وقدرة الجماعة على خلق مجتمع مدني سليم.³

أما فيما يتعلق بالمستقبل فيفترض (فوكوياما F.Fukuyama) انقسام العالم إلى "عالم ما بعد تاريخي" وهو المحور الأساس للتفاعل بين الدول اقتصادياً، وعالم آخر يظل " منخرطاً في التاريخ " وهو العالم الثالث الذي سيواصل انقساماته بفعل صراعات قوية مختلفة، دينية وقومية وإيديولوجية بحسب تقدم هذه البلدان المعنية التي سوف يتواصل فيها تطبيق القواعد القديمة لسياسة القوة.

إن افتراضات (فوكوياما F.Fukuyama) وإن عززها بكثير من الاستدلالات التاريخية، والإحصاءات الرقمية إلا أنها في جوهرها تستبطن كثيراً من المغالطات، كما تفتقر إلى كثير من المنطقية والتحليل النقدي لمفهوم الديمقراطية، لأن الادعاء بوجود "إجماع مرموق على شرعية الديمقراطية الليبرالية كنظام للحكم" حتى وإن انتشر في عدد كبير من الدول نظام قيم يختلف عن ذلك اختلافاً تاماً. والتصريح بأن هذا النظام "حال

¹ ينظر فرانسيس فوكوياما : مرجع سابق، ص 270.

² ينظر المرجع نفسه، ص ص 22-33.

³ ينظر فرانسيس فوكوياما : مرجع سابق، ص ص 240-248.

من أية تناقضات داخلية جوهرية"، يشكل فهما غير منطقي ومتحيز تحيزا يحول دون أدنى مواجهة عقلانية لهذا النموذج من الديمقراطية، بل ويضع فواصل حدية، وإقصائية بين نوعين من البشر، أولئك الجديرون بالحياة، وأولئك المسموح لهم بالموت، وبين هذا وذاك فسوف يبقى للقوة الكلمة الأخيرة.

إن هذه الرؤية الأيدلوجية التمييزية والإقصائية، تهدف إلى حد وبصورة مباشرة الدعاية للجوهر الحقيقي للامبريالية في ظل العولمة الرأسمالية السائدة اليوم، إذ أن الامبريالية هي السيطرة والتحكم والتملك والاستغلال الذي تمارسه الفئات السائدة في أمة على أمة أخرى وعلى مواردها وسوقها وسكانها .

وإذا كان الأمر كذلك لم تعد هذه الدولة المركزية بحاجة إلى تخصيص مبالغ هائلة للدفاع، وبالتالي فإنه سيغدو من غير الممكن إقناع الناخبين بضرورة الموافقة على ميزانية وزارات الدفاع المرتفعة جدا، إن هذه النتيجة الحقيقية هي التي حركت أستاذا جامعيا في مثل (صموئيل هنتغتون S.Huntington) ليتصدي بسرعة وعنفة لفكرة "نهاية التاريخ"، والواقع الذي خلفته ويمكن أن تخلفه مستقبلا في النفوس، وفي وسائل الإعلام الدولية، بغرابتها واستفزازها للمنطق والتاريخ معا، ولن يحويه إلا الصدع بفكرة أكثر منطقية في تصوره، فكرة "صدام الحضارات".¹

ب- صدام الحضارات.

انطلق (صموئيل هنتغتون S.Huntington) من فرضية مفادها أن الهوية الثقافية سوف تكتسب أهمية متزايدة في المستقبل، لذا نجد يقرر منذ البدء " أن ما يهم الناس ليس هو الأيديولوجية أو المصالح الاقتصادية، بل الإيمان، والأسرة والدم والعقيدة فذلك هو ما يجمع الناس، وما يجاربون من أجله، ويموتون في سبيله"،² كما يقرر في البدء أيضا أن الدين محوري في العالم الحديث، بل وربما كان القوة المركزية التي تحرك البشر وتحشدتهم، وأن الحضارة هي الكيان الثقافي الأوسع الذي يضم الجماعات الثقافية مثل القبائل والجماعات العرقية والدينية والأمم... وصدام الحضارات صراع قبائلي على نطاق عالمي، والفروق الثقافية هي التي تحتل الأساس والمركز في التصنيف والتمييز بين البشر اليوم.³

¹ ينظر محمد عابد الجابري : قضايا في الفكر المعاصر (العولمة - صراع الحضارات - العودة إلى الأخلاق - التسامح - الديمقراطية ونظام القيم الفلسفة والمدينة) . مرجع سابق، ص 95.

² صموئيل هنتغتون : صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي. (تر) طلعت الشايب، تقدم صلاح قصوة، ط2، 1999، ص10.

³ المرجع نفسه، ص 13.

وعليه سيكون الشكل العام مرتبطاً إلى حد كبير بين سبع أو ثمان حضارات كبيرة هي: الحضارة الكونفوشية واليابانية والإسلامية والهندية، والغربية والسلافية الأرثوذكسية، والأمريكية اللاتينية، والإفريقية، وإن أهم النزاعات في المستقبل سوف تحدد على امتداد خطوط التقسيم الثقافية التي تفصل هذه الحضارات الواحدة عن الأخرى، وإجمالاً حاول (هنتغتون Huntington) تقديم جملة من المدركات التي تؤسس لافتراض الصراع بين الحضارات منها:

- ✓ أن الحضارة الغربية فذة فريدة من نوعها، من حيث أصولها وتصورتها.
- ✓ في عالم ما بعد الحرب الباردة لم تعد الفروق المميزة للشعوب والجماعات أيديولوجية أو سياسية أو اقتصادية... بل هي فروق ثقافية، وبذلك تحاول الشعوب والأمم أن تجيب عن السؤال من نحن؟
- ✓ والناس يعرفون أنفسهم من خلال النسب والدين والتاريخ والقيم والعادات... ويتطابقون مع الجماعات الثقافية، ومع الحضارات على المستوى الأكبر.¹
- ✓ التفاعلات بين الشعوب والحضارات المختلفة في تزايد مستمر، في ظل وعي الحضارات المختلفة بنفسها وإدراكها لخصوصيتها وتميزها عن غيرها من الحضارات الأخرى.
- ✓ الفروق الثقافية بين الشعوب والحضارات أقل قابلية للتغيير، وأقل قابلية للحلول الوسط والتسويات مع نظيراتها السياسية والاقتصادية.
- ✓ إن عملية التحديث الاقتصادي والتغير الاجتماعي تفصل الشعوب عن هوياتها المحلية والراسخة، كما تضعف الدولة الأمة كمصدر للهوية.
- ✓ الصراعات بين مجموعة من حضارات مختلفة ستكون أشد وأعنف من تلك التي تجري بين مجموعات تنتمي إلى حضارة واحدة.
- ✓ أن المحور البارز في السياسة الدولية سيكون الغرب وما عداه، وأن البؤرة المركزية للصراع العالمي ستكون بين الغرب والحضارتين الكونفوشية والإسلامية.

هذه المدركات وغيرها حاول (هنتغتون Huntington) توظيفها للاستنتاج بان الصدام بين الحضارات حتمية، تصل للذروة وتتأزم وضعيتها عندما تتقابل الحضارتان الإسلامية والغربية... وعلى ضوء ذلك دعا إلى ضرورة توثيق التعاون بين المكونات الأوروبية والأمريكية للحضارة الغربية، وبناء علاقات أوثق مع أوروبا

¹ المرجع نفسه، ص 39.

الشرقية وأمريكا اللاتينية، والتعاون مع روسيا واليابان، والحد من النمو العسكري للدول الكونفوشيوسية والإسلامية، ورفع معدلات ومستويات القدرة العسكرية الغربية، ومساندة الجماعات الثقافية في الحيزات الحضارية المختلفة، خاصة تلك التي تنزع نحو قيم الغرب.

وفي الواقع إن افتراض " تطور النزاعات (حرب الأمراء، حرب الملوك، حرب القوميات، حرب الإيديولوجيات...) سيكون مآله صراع الحضارات" مغالطة تنم عن كثير من التبسيط والتجاوز والاختزال اللامنطقي للوقائع والتاريخ... بداية المفاهيم المتعددة التي أثارها (هنتغتون Huntington) على غرار " الحضارة"، " الثقافة"، " الهوية" وهي مفاهيم معقدة، وأثارت منذ القدم كثيرا من النقد لعدم دقتها وتداخلها بين حضارات وثقافات وأديان، لا تعرف العقل والتسوية بقدر ما تعرف تعصبا للأنا ضد الآخر، كما كانت مرفوضة من أصحاب النماذج التعددية العالمية الذين يعملون من الحوار والتعاون لتفسير السياسات الدولية.¹

ثم إن فكرة الصدام في حد ذاتها ناتجة عن عقلية المحاصر (Siege Mentalité) في الفكر الغربي كما يصفها السيد (كيشور محبوباني) - وكيل وزارة الخارجية سنغافورة - وهي امتداد لكوايبس الارتياب من الآخر والإسلام خاصة الذي انتقلت عدواه من أوروبا إلى أمريكا، ارتياب يعود إلى فقدان الحضارة الغربية ثقافتها بالقدرة على التحكم في القوى التي قد تصنع المستقبل.² لهذا يعتبر (هنتغتون Huntington) أن عوامل الصدام مع العالم الإسلامي موجودة دائما وكثيرة ومتداخلة و أهمها في منظوره :

✓ النمو السكاني للمسلمين ولد عددا كبيرا من الشبان الساخطين الذين جندوا للأهداف الإسلامية ضد الغرب.

✓ الإحياء الإسلامي أعطى للمسلمين إعادة الثقة في أهمية حضارتهم وقيمهم، مقارنة بتلك التي في الغرب.

✓ جهود الغرب في جعل قيمهم ومؤسستهم عالمية، والمحافظة على تفوقهم العسكري، والتدخل في صراعات العالم الإسلامي، ولدت ازدياء شديدا بين المسلمين.

✓ انهيار الشيوعية حولت العدو المشترك للغرب وللإسلام، و كل واحد يرى الآخر مصدر تهديد له.

✓ الاتصال المتزايد بين المسلمين والغربيين، ولد في كل واحد منهما شعورا جديدا بهويتهم، وكيف أن هذه

¹ نادية محمود مصطفي : « إشكالية العلاقة بين الحضارات في خطابات عربية وإسلامية ». مجلة السياسة الدولية، المجلد 42، العدد 168، أبريل 2007، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، مصر، 2007، ص 12.

² ينظر ناظم عبد الواحد الجاسور : مرجع سابق، ص 43.

الهوية مختلفة عن الآخر.¹

من جهة أخرى ما يلفت الانتباه، هو تذبذب معيار تصنيف الحضارات (إذ لا يستخدم الدين معيار تصنيف إلا مع الحضارة الإسلامية)، واختلافه - هذا المعيار - عن مكونات الحضارة (التاريخ، اللغة، الثقافة، التراث، الدين...) ذاتها كما يصفها (هنتغتون Huntington) ، ومع ذلك يفصل بين الحضارة الغربية وحضارة أمريكا اللاتينية، وهما يشتركان في اللغة والثقافة والتراث والتاريخ... لذلك نجد فيما بعد يقفز إلى تصنيف آخر غربي وغير غربي، وتصنيف آخر دول تريد التحديث ولا تمنع في التغريب وتلاقي صعوبات داخلية لكنها لا تشكل خطراً على الغرب، مقابل دول أخرى تريد التحديث لكنها ترفض التغريب، وهي التي يدرج اسمها تحت اسم الرابطة الكونفوشية الإسلامية التي يقول عنها أنها تتحدى الغرب في مصالحه وهيمنته وقيمه.

ومن أكد جوانب القصور المنهجي في هذا الافتراض هو أحادية الرؤية، فـ (هنتغتون Huntington) لا يرى العالم وتشعباته إلا من خلال تطور الصراع الختمي بين الحضارات، من دون أن يقوم بتفنيد ما يتعارض مع نظريته وفق منهج العلوم الاجتماعية " الفرض المعاكس أو الفرض البديل" ، فلم يفصل البحث في العوامل غير الثقافية، إذ العامل الثقافي كان من الأهمية بمكان بالفعل في مستقبل العلاقات الدولية، وتم إهماله لفترة طويلة بسبب الثورة السلوكية وهيمنة المنهج الوضعي المادي على التحليل الاجتماعي والسياسي، لكن فرط الإصرار على هذا العامل الحضاري الثقافي واستبعاد بقية العوامل الأخرى المفسرة جعل نظرية الصراع نظرية أحادية الرؤية.

ثم إن خطورة هذا الافتراض لا تكمن في دعوة الغرب إلى الحفاظ على مركزه وهيمنته... بل في المقدمة والنتيجة وكلا منهما يشغل بضعة أسطر لا غير، أما "بؤرة" الموضوع فهو " الإسلام " بالدرجة أولى والصين بدرجة أخف قليلاً. ذلك أن صاحب المقالة يركز على الإسلام سواء في تحليله " التاريخي " أو في عرضه لوقائع الحاضر، وما يعنيه ليس الإسلام كدين وإنما "العدو رقم 1" ، ويقدم هذه النتيجة مدعومة باستدلالات يعتبرها موضوعية عن الصراعات الإثنوسياسية ، فيورد " في الفترة ما بين (1993-1994) يبدو أن هناك (26) صراعات اثنا سياسياً يمس المسلمين وذلك من مجموع (50) صراعات، كما أن للمسلمين أكبر قدر من الصراعات الداخلية مقارنة بالحضارات الأخرى، وذلك بمجموع (11) صراعات إثنوسياسياً داخلياً، كما أن لهم أكبر حصة

¹ ينظر صموئيل هنتغتون : صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي. ص ص 65-70.

مع الصراعات الأخرى بـ (15) من مجموع (20) صراعا.¹

بهذا الطرح يكاد لا نجد فاصلا بين المحلل الأكاديمي الذي تفترض فيه الموضوعية والمحارب الذي ينتمي إلى حضارة معينة ويشعر بالقلق عليها من أعداء حقيقيين أو غير حقيقيين، ويسعى بالتالي لحشد الطاقات من أجل الذود عنها، لذلك على الرغم من أن (هنتغتون Huntington) ينوع من مصادره عن الإسلام والصحة الإسلامية، إلا أن غالبيتها من تنسب إلى مختصين يعانون آفة الاستشراق، ويؤكدون على جمود الثقافة الإسلامية، والنتيجة هي تعامل (هنتغتون Huntington) مع الإسلام وفق القوالب الفكرية الشائعة عن العرب والإسلام في وسائل الإعلام والمجتمع الغربي، لذلك يردد تعميماتهم وأفكارهم النمطية عن المرأة، عن الجهاد، عن العبادة... من دون أن نلمس منه عقلية ناقدة، ورؤية متعمقة لخصائص الشعوب والمجتمعات عموما والمسلمين على وجه الخصوص، وبالتالي كيف تكونت هذه النظرة، وما مدى إسهام التحيزات الثقافية والتاريخية والإعلامية في تكريسها.

ونفس التعميم يسلمه (هنتغتون Huntington) على حضارة أخرى في تقديره تفوق الدول الإسلامية عنفا وميلا إلى الصراع مع حضارة الغرب ألا وهي الحضارة الصينية، والملاحظ أن (هنتغتون Huntington) لم يتحرر في هذا الموقف ما إذا كان العنف المدلل عليه فعلا أم كان رد فعل، ومن كان الجلاد ومن كان الضحية، ثم إن مراجعة تاريخ الصراعات الإنسانية يكشف أن أكبر ومعظم الحروب الإقليمية وحتى الدولية لم تكن بين الدول الإسلامية والغرب، بقدر ما كانت إما داخل الفصيل الغربي (إبادة هنود الايروكوا الأصليين (1779) من أجل بناء الاتحادية الأمريكية، وإما في الحرين العالميتين الأولى والثانية...)، أو داخل الفصيل العربي والإسلامي (الحرب العراقية الإيرانية، حرب الخليج الثانية-التي شاركت فيها الدول العربية في ائتلاف تقوده الولايات المتحدة)، وعليه فإن كان هناك صراع في المستقبل، فلا شك سيكون استمرارا للصراع القديم في شكله الجديد، سيكون صراعا بين الأمم والشعوب المتطلعة إلى الحرية، مع القوى الامبريالية المهيمنة عالميا، أما صراع الحضارات فهو مجرد تعبير مزيف يقصد به صرف النظر عن حقيقة الصراع القائم والمقبل، ويكن جمع نقاط العجز في افتراضات (هنتغتون Huntington) حول صراع الحضارات فيما يأتي:

✓ أنه ركز على تغييب الدور الحيوي- القومي والإستراتيجي- للدولة في الصراعات الدولية، لحساب الحضارات التي ستحسم طبيعة الصراع، وهي مغالطة إذ ستظل الدولة القومية هي المفهوم الأساسي الذي يمكن أن نحلل به

¹ صموئيل هنتغتون : صدام الحضارات اعادة صنع النظام العالمي. مرج سابق، ص 285.

الواقع الدولي.

✓ عدم فاعلية العناصر الثقافية والدينية في الصراعات الدولية، وذلك لعدم قابليتها للتطويع والتغيير، كما هي الحال في الخصائص السياسية والاقتصادية، فإن كان "الاتحاد السوفييتي" مثلاً قد تغير من النظام المركزي إلى الديمقراطي، ومن الاشتراكية إلى الاقتصاد الحر، فإنه من المستحيل أن يتحول البروتستانتى للبودية..

✓ إغفال دور "العوامل الاجتماعية" في الصراعات الدولية، التي يعتبرها (محمد سعدي) عاملاً حاسماً في حدوث الصراعات الدولية، وهو ما تجاوزه قصراً (هنتغتون Huntington)، بالأخص عامل "انعدام العدالة الاجتماعية". كأهم عامل في المعادلة الاجتماعية الدولية، إذ أن اللامعادلة والفوارق الاجتماعية على المستوى المحلي والعالمي ستظلان أحد العوامل الأساسية للاضطرابات السياسية داخل الدول وفيما بينها.

✓ التفسير الخاطئ للأحداث والوقائع الدولية.

✓ اعتبار تكامل وانسجام الحضارة الغربية، وهو اعتبار ينم على كثير من التحيز، فضلاً على أنه يحول فعلاً دون مواجهة عقلانية مع الهياكل الأساسية لهذا النموذج الغربي، بل تصريحات تعد جزءاً لا يتجزأ من إستراتيجية شرعنة تصرفات دول ما يعينها، وترويج لسياسة التحيز والمعايير المزدوجة لتحقيق مصالح هذه الدول صاحبة الأثرة والقوة، أي أنها تهدف إلى جعل هذه السياسة مقبولة لدى العالم أجمع.¹

✓ وفي الأخير نشير إلى رؤية انطلاقة من دورنا كمسلمين، متهمون في دوائر الفكر بهيمنة الفكر الصراعى والصدامي بالنظر إلى خلفيتنا الدينية والتاريخية المعقدة - من منظورهم - من جهة، وأصالة مفهوم العلاقة مع الآخر - في منظورنا - في ديننا الحنيف، ودوره في تعميق مفهوم "التدافع الحضاري" كسنة ربانية بديلاً عن مفهوم الصراع الغربي (هنتغتون Huntington) من جهة ثانية، وليس يعني ذلك أن الحياة ستسير وفق خط بياني صاعد ومطرّد تتحقق فيه المصالح والمنافع للناس كافة في جميع الأحوال وترقى ذواتهم، وأن الخير والشر لا يتصادمان، وإنما القصد من ذلك أن التدافع يبطل الصراع، وأن عند مستوى معين الخير يغلب على الشر، وأن ثمة هامش كبير لتواصل الحضارات، وأن قيم الخير والعدل والفضيلة ومكارم الأخلاق والسلام في النفس وفي الأرض هي مقومات الحضارة التي تخدم الإنسان، وأن الحق والعدل هما قاعدتا الحضارة التي يسعد الإنسان في كنفها ويبدع ويعمر الأرض ويصلح ولا يفسد، والصراع حالة عارضة، وهو شذوذ عن القاعدة، وليس طبيعة من طبائع الحضارات، لأنه يتنافى والفترة الإنسانية، وهو نقيض "التدافع الحضاري" الذي قامت الحضارة

¹ ينظر هانز كشلر : الديمقراطية والنظام العالمي الجديد . (تر) لوي جونسون ، ط1، المجلد 19، دراسات في العلاقات الدولية، منظمة التقدم الدولية، فيينا 1993. ص ص 102-108.

الإسلامية على أساسه، وهو إلى ذلك كله، البديل الموضوعي للفوضى التي تسود الأوساط الفكرية والسياسية في العالم اليوم، من جراء شيوع مفاهيم مغلوبة وتحليلات مغرضة تدفع بحركة الفكر العالمي وبالسياسة الدولية على وجه العموم، نحو مناطق مجهولة مخوفة بالمخاطر التي تتهدد الإنسانية في حاضرها وفي مستقبلها.¹

✓ إن الحضارات في المنظور الإسلامي لا تتصارع، وإنما تتدافع ويكمل بعضها بعضاً، لأنها خلاصة الفكر البشري والإبداع الإنساني، وحركة التاريخ التي هي في المفهوم الإسلامي، سنة الله في الكون. فالصراع بين الحضارات ليس وارداً، لأن دورات التاريخ تطرد وفق المشيئة الإلهية، والإنسان مؤثر ومحرك وموجه لمسار التاريخ، والتدافع الحضاري مفهوم قرآني جامع للمعاني والدلالات التي تؤكد بطلان نظرية صراع الحضارات من الأساس، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة: 251) ويأمر الله عباده بالدفع بالتي هي أحسن في جميع الأحوال، في قوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت: 34)، ودفع الله الناس بعضهم ببعض يلغي الصراع ويبطل زعمه، لأن هذا (الدفع) هو الذي يمنع فساد الأرض ويحول دونه. والحياة الإنسانية قائمة على أساس (دفع الله الناس بعضهم ببعض)، فهذا هو القانون الأزلي للبشر فوق الأرض وهو سنة الله ولن تجد لسنة تديلاً. وبذلك تتهاوى مزاعم الصراع، وتسقط افتراضاته، وتتهافت حتمياته.²

¹ ينظر يوسف العاصي الطويل: الصراع الحضاري مع الغرب وتداعياته على الأمن القومي العربي في ظل النظام الدولي الجديد "الإسلام عدو بديل". جامعة الأزهر، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، قسم العلوم السياسية (الدراسات العليا) فبراير، 2008، ص ص 12-21.

² ينظر عبد العزيز عثمان التويجيري: صراع الحضارات في المفهوم الإسلامي. المنظمة العربية للثقافة والعلوم، الرباط، 2002، ص 9.

2-4 النظام الدولي الجديد " نهاية الدولة وتفويض السيادة الوطنية.

بداية حدير بالذكر الإشارة إلى مفهوم السيادة، كمصطلح أسال الكثير من الحبر وأثار جدلا ونقاشا كبيرين على الصعيد الدولي بعد نهاية الحرب الباردة ؛ ذلك أن صيرورة تداول المصطلح تاريخا تجاذبتها العديد من الحساسيات والافتراضات والأيدولوجيات، فالمصطلح وإن شاع تداوله مع تغيرات المرحلة حديثا إلا أنه قديم ولد وتطور في ظل ظروف تشكل الدول والأحلاف والتكتلات منذ أن نبه إليه (جون بودان J.Bodin) سنة (1576)¹، ولا يزال يمثل الحجر أساس للتنظيم للدولي الحديث، إذ نصت عليه وأقرته كافة القوانين والمعاهدات والنظم والأعراف الدولية، وعلى الرغم من التراجع التدريجي الذي لحق بهذا المفهوم عبر العصور نظرا لما وجه إليه من انتقادات فقهية تمس صفة الإطلاق فيه، ونظرا لما صادفه في التطبيق من معوقات فرضتها الحقائق البيئية الدولية مما استلزم التمييز بين السيادة كمفهوم قانوني بمعنى الاعتراف للدول بحقها جميعا على قدم المساواة في أن تتخذ ما تراه مناسبا من قرارات أو من سياسات تكفل لها حماية مصالحها الوطنية، وبين السيادة كواقع سياسي بمعنى القدرة الفعلية الدولية على إنفاذ إرادتها في المجال الدولي.²

ومدار مفهوم السيادة قائم حول عنصرين أساسيين هما : الشعب والإقليم،³ يتولد بموجبهما مبدأ ثالث آخر أساس أيضا يتمثل في استقلالية القرار الوطني في المجال الداخلي والخارجي، وعليه فالسيادة عنصر قانوني ينسب إلى الدولة في ظل توفرها على مقومات مادية من مجموع أفراد وإقليم وهيئة منظمة وحاكمة⁴، وعرفها الفقيه البريطاني (جون أوستي J. Osti) بأنها العادة في الخضوع والانصياع وسلطة عليا لا تكون بدورها أو من عاداتها الخضوع والانصياع لأي سلطة أخرى،⁵ وعرفتها الموسوعة السياسية بأنها " السلطة العليا التي لا تعلوها

¹ نشأت نظرية السيادة على يد (جان بودان) 25 سنة 1576، باتفاق جماهير الفقه الدستوري الحديث، الذي عرفها أنها "سلطة عليا على المواطنين و الرعايا، فهي سلطة دائمة، ولا يمكن تفويضها أو التصرف فيها، كما لا تخضع للتقادم. وهي سلطة مطلقة لا تخضع للقانون، لأن صاحب هذه السلطة هو الذي يضع القانون ولا يمكن أن يقيد نفسه، كما لا يمكن أن يكون مسؤولا مسؤولية قانونية أمام أحد . ينظر : طلال ياسين العيسى : « السيادة بين مفهومها التقليدي والمعاصر " دراسة في مدى تدويل السيادة في العصر الحاضر " . مجلة العلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 26، العدد 01، جامعة دمشق، 2010، ص ص 40 - 45.

² ينظر نواري أحلام : « تراجع السيادة الوطنية في ظل التحولات الدولية » . مجلة دفاتر السياسة والقانون، العدد الرابع، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، جانفي 2011. ص 28.

³ محمد الأطرش : « العرب والعملة، ما لعل ؟ » . مجلة المستقبل العربي، العدد 229، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998، ص 100.

⁴ نواري أحلام : مرجع سابق، ص 25.

⁵ أحمد خروغ : « العملة والسيادة » . المجلة الجزائرية للعلوم القانونية، جزء 36، رقم 1، 1998، ص 35.

سلطة، وميزة الدولة الأساسية الملازمة لها، والتي تتميز بها عن كل ما عداها، من تنظيمات داخل المجتمع السياسي المنظم، ومركز إصدار القوانين والتشريعات، والجهود الوحيدة لوسائل القوة، ولها حق استخدامها لتطبيق القانون.¹

ونص ميثاق الأمم المتحدة في المادة الثانية- الفقرة الأولى : على أن تقوم الهيئة على أساس مبدأ المساواة في السيادة بين جميع أعضائها، وهو نص يبين أن التنظيم الدولي يقوم على أساس الدولة ذات السيادة وعلى هذا استقر الفقه الدولي معتبرا إياها ركن من أركان الدولة الوطنية.²

وعليه فسيادة الدولة لها وجهان داخلي وخارجي. ففي الداخلي تتمثل هذه السيادة في السلطات المكلفة بفرض القوانين و الالتزام بتطبيقها على شعبها في داخل إقليمها الوطني. أما الوجه الثاني للسيادة الخارجية فيتمثل في صيانة الاستقلال الكامل، والحيلولة دون أي تدخل خارجي. وبالطبع فإن كلا الوجهان مرتبطان بعضهما ببعض ارتباطا وثيقا.³

غير أن التغيرات الدولية ومنذ نهاية الثنائية القطبية وزيادة الترابط والتشابك والتداخل فيما بين الفاعلين الاقتصاديين على المستوى العالمي، الذي تعمق بفضل صنع وقيادة وتوجيه المنظمات غير الحكومية الإقليمية والدولية، والتي تعاضم دورها وتوسعت صلاحيتها ومجال نشاطها، ولاسيما تلك المنظمات فوق القومية على غرار منظمة التجارة العالمية، والأمم المتحدة، فضلا على تزايد نفوذ وضغط الشركات العملاقة دولية النشاط، العابرة للقارات في ظل ما تفرضه من تحرير متزايد للاقتصاديات الوطنية المحلية، من أجل توفير حرية أكبر لتدفقات السلع، والخدمات، ورؤوس الأموال، والسعي لإزالة الحواجز الجغرافية والجمركية، أدى هذا تدريجيا إلى ظهور نوع من التناقض الصارخ الذي أصبح يتزايد فترة بعد أخرى في ضوء جدلية (العولمة أم السيادة الوطنية)، وهو ما سبب كثيرا من الحرج بل والصعوبات الجمة لكثير من الحكومات في الدول الضعيفة والمضيقة؛ وبخاصة فيما يتعلق بضبط وتسيير الشؤون الداخلية للدولة في نطاق الحدود الجغرافية.

فالنمو المتزايد لعولمة النشاط الاقتصادي الوطني، وجعله جزء لا يتجزأ من النشاطات الاقتصادية العالمية، يفترض نظريا القبول بالانتقال التدريجي للمهام التنظيمية والإدارية والتسييرية، ونقل السياسات من بينها

¹ عبد الوهاب الكيلاني : الموسوعة السياسية . ج 3، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1993، ص 356.

² ميثاق هيئة الأمم المتحدة، المادة الثانية. الموقع الرسمي للهيئة [On-line].

http://www.un.org/ar/documents/charter. 02/O1/2013, 10:04 h

³ ينظر زيدك الطاهر ، العربي رزق الله : « العولمة وتفويض مبدأ السيادة » . مجلة الباحث، عدد 2، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2003، ص 34-35.

الوطنية، منذ نشأة الدولة - الأمة إلى إطار عام، على المستوى العالمي، وذلك يعني رضاء ممثلي الدول والشعوب بالتوصل من أو التخلي عن جزء لا يستهان به من السيادة الوطنية، لمصالح كلية الاقتصاد العالمي، كمنسق عام يتألف من أجزاء مترابطة متفاعلة يعتمد بعضها على البعض الآخر، وأي تأثير في جزء منه يؤدي إلى التأثير في بقية الأجزاء قل أو كثر إيجاباً أم سلباً.¹

لقد بعثت هذه المستجدات من جديد روح النقد في العديد من المفاهيم والقراءات والتحليل التي تعلق بمصطلح السيادة، ومفهوم الدولة القطرية، وجدلية المصالح العامة والمصلحة الخاصة، وفي هذا السياق يذكر الأمين العام السابق للأمم المتحدة " بطرس غالي " كشاهد على تغيرات المرحلة سياسياً واقتصادياً قائلاً "... إن المبدأ السائد منذ قرون مبدأ السيادة المطلقة لم يعد قائماً... ومن المقتضيات الفكرية الرئيسية لزماننا أن نعيد التفكير في مسألة السيادة لا من أجل إضعاف جوهرها، وإنما بقصد الإقرار بأنها يمكن أن تتخذ أكثر من شكل وان تؤدي أكثر من وظيفة"²، وفي هذا يتطوع الأمين العام السابق لوجود معنى أكثر شمولاً واستيعاباً من أجل حماية السيادة الوطنية، بعد أن تعرضت للعديد من الخروقات غير المعلنة، وبمسميات عديدة ومختلفة سخرت فيها السيادة ذاتها لتحقيق المصالح واستغلال ضعف الدول والأنظمة.

فيرى كلا من (كلارك و ويليامز Clark و Williams) ضرورة إعادة النظر في مفهوم السيادة بهدف تقديم تعريف جديد له أو تحديد مضمون معاصر لهذا المفهوم يكون أكثر واقعية، وأكثر تناسبا مع السياق التاريخي المعاصر، كما يشير إلى ذلك (هاري جيلبار Harry Gelber) مورداً معنى مهم جداً وهو قدرة الدولة على تدبر أمورها (Capacity to manage) في إطار علاقتها بالدول الأخرى على النحو الذي يكفل لها حماية مصالحها، وقد حاول البعض وصف هذه لصور الجديدة للسيادة بالسيادة التشاركية (Pooled/Shared) أو السيادة المقيدة (limited) والسيادة الجزئية (Partial)، المرنة التي تتيح للدولة الحفاظ على خصوصيتها القانونية والثقافية والاجتماعية من دون أن تغفل تفاعلها مع البيئة الدولية المحيطة، ويجازف آخرون في رفض كل المفاهيم التقليدية وتجاوزها إلى معنى آخر جديد تأسيساً بفلسفة الما بعد، يجسد

¹ ينظر بشير غضبان : العلاقات الدولية في طريق التعليم والبحث . (محاضرات غير منشورة)، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة المسيلة، السنة الجامعية 2004/2005، ص 28.

² ثامر كامل محمد : تداعيات عاصفة الأبراج (الاستراتيجيات الدولية في عصر العولمة) . ط1، دار اليازوري للنشر والتوزيع، الأردن، 2002، ص42.

معنى الحكم في مرحلة ما بعد السيادة (Poste Sovereign Governance)¹ يل ويرى آخرون أبعد من ذلك ضرورة التفكير في نزع قداسة السيادة عن الدولة أصلاً وإلحاقها بالأفراد طالما أنها في الأساس راعية لحقوقهم وحرّياتهم، وفي هذا يشير السكرتير العام للأمم المتحدة في تقريره لعام (1999) إلى أن "مفهوم سيادة الدولة يمر في جوهره وفي معناه العميق بعملية تحول كبرى لا تعود فقط إلى وقوعه تحت ضغط وقوى العولمة والتعاون الدولي. فالدول ينظر إليها الآن باعتبارها أدوات في خدمة شعوبها وليس العكس"، واستخدم تعبير "سيادة الفرد أو الإنسان" باعتباره مفهوماً يتجدد الوعي به ويحظى بدعم متزايد نتيجة انتشار الحقوق الفردية، قبل أن يطالب بإيجاد تعريف أكثر رحابة لمفهوم المصلحة الوطنية "يتناسب مع متطلبات القرن الحادي والعشرين ويساعد على حفز الدول لضم الصفوف والسعي لتحقيق درجة أكبر من الوحدة على طريق الأهداف والقيم المشتركة"².

ولا يكتمل الحديث في هذا السياق، من دون التطرق إلى التبدل الكبير الذي طرأ على مبدأ السيادة الوطنية بعد تراجع أهم مبدأ داعم ومؤسس، وهو مبدأ عدم التدخل التقليدي مقابل بروز وتنامي غير مسبوق لمبدأ "حق التدخل" ضمن الممارسات الدولية الجماعية، أو تحت غطاء ما سمي بالأمم المتحدة، تحت ذرائع إنسانية وأخلاقية وقانونية مختلفة، والذي تطور فيما بعد إلى مفهوم "واجب التدخل"، مما أحل كلية بمفهوم السيادة، وقد اتخذ هذا المفهوم الجديد المطور عدة مظاهر وصور، وتحت دعايات مختلفة مرة إنسانية ومرة عدائية ومرة أخطاراً محدقة... فكان التدخل بموجب حماية حقوق الإنسان والأقليات، والتدخل بموجب مكافحة الإرهاب، والتدخل بموجب القضاء على أسلحة الدمار الشامل، التدخل بموجب نشر قيم الديمقراطية، والقضاء على الدكتاتوريات، والتدخل بموجب حماية المدنيين والعزل...³.

وتنامت مع أشكال وفرص التدخل وتباينت مجالاته ودوافعه والجهات التي تقدم عليه، أمام صمت رهيب للمجتمع الدولي الذي بات عاجزاً عن ضبط معالم وحدود ومضامين "التدخل". والتي غالباً ما أصبح ينظر إليها كإفراز طبيعي للتطورات الدولية الجارية. إن معضلة هذا التحول تكمن في أن تكييف هذا المبدأ مع الواقع الدولي المتغير أضحت تتجاوز مصلح وأولويات عالمية من جهة، ومصلح انفرادية ضيقة من جهة أخرى تصب

¹ ينظر نواري أحلام : مرجع سابق، ص ص 29-30.

² ينظر حسن نافعة : « سيادة الدول في ظل تحولات موازين القوة في النظام الدولي » . مجلة أفكار الإلكترونية، العدد الرابع، افريل 2003، [On-line] <http://www.afkaronline.org/arabic/archives/2003.html/02/01/2013> , 13:21 h

³ أميرة حناشي : مبدأ السيادة في ظل التحولات الدولية . مذكرة ماجستير (غير منشورة)، كلية الحقوق، جامعة محمود منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية 2007.2008، ص 3 .

غالبا في صالح جهة واحدة ووحيدة، ولا أدل على ذلك أمثلة البوسنة والهرسك، ثم العراق والصومال.... ولعل من مخاطر الإغراق في ممارسة هذا الحق هو « الحالة الانتقائية » للأهداف، والبلدان التي يجري تطبيق الحق فيها، فمن الذي يتخذ القرار أو يعالج المشكلة القائمة؟ ولماذا يجري تطبيق هذا الحق في مناطق معينة دون مناطق أخرى تتشابه في الظروف والحاجة للتدخل لوقف الكارثة الإنسانية هناك؟

لقد أكدت الوقائع المتكررة للتدخل صراحة، أن معايير القوة والمصالحة الدولية والتنافس والنفوذ وغيرها (...). عوامل تساهم بشكل حاسم في ضبط الرأي العام العالمي وتوجيهه، أو حمله قصرا على اتخاذ قرارات التدخل في منطقة - مضطربة وربما غير مضطربة أحيانا أخرى - معينة دون غيرها، فالحسابات السياسية والاقتصادية والأمنية للقوى المتنفذة وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية هي التي تصوغ قرار التدخل غالبا، وليس العوامل الإنسانية والالتزامات الأخلاقية تجاه البشرية سوى إطارات لتغليف الدوافع الحقيقية للقرارات، لهذا أبدت الكثير من الدول الممانعة والضعيفة، والمؤسسات الحقوقية والهيئات الدولية الإنسانية تخوفها من التوسع المطرد للولايات المتحدة في مجالات تدخل مجلس الأمن، وقلقها من أن يتحول الجهاز من آلية مسؤولة عن حفظ السلم والأمن إلى جهاز للاعتداء على الشعوب والدول بناء على خلفيات ضيقة. خاصة في ظل غياب ضوابط وقيم دولية تحمل قدر من التوافق بين جميع دول العالم شماله جنوبه.

جدير بالذكر أن هناك آراء متباينة بصدد مفهوم وحدود تطبيق حق التدخل الإنساني بين مؤيديه يرون أنه لا موقع لمفاهيم السيادة أو عدم التدخل بالشؤون الداخلية لدولة مستقلة خاصة عندما يتعلق الأمر بكارثة إنسانية، وبين من يرى خطورة السماح بممارسة هذا الحق دون ضوابط أو قيود تجعل ممارسته هي الحل النهائي بعد التأكيد من عدم جدوى المحاولات العديدة والحلول المقترحة لإيجاد حل سلمي دون حاجة للعنف والتدخل العسكري، فهم يؤيدون المفهوم من حيث المبدأ لكن تبقى الهواجس من احتمال استغلاله أو تطبيقه في مناطق أو ظروف غير ملائمة أو عدم وجود أسباب كافية ومقنعة.

وأيا كان هذا أو ذلك، تظل هذه الأوصاف نظريا مجردة يصعب تعميمها والتسليم لها، خصوص إذا ما أمعنا النظر في واقع العلاقات الدولية التي رافقت العولمة في أبعادها المختلفة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية... وما خلفته من آثار استأصلت وأقضت العديد من المفاهيم المتعلقة بالسيادة، وما زاد الطين بلة تفاوت موازين القوة في العلاقات الدولية والتي غدت طموح ونهم الولايات المتحدة الأمريكية، كقوة مهيمنة واحدة ووحيدة، تعزلها فجوة كبيرة بين حجم ونوع ما تملكه من وسائل القوة، وما تملكه باقي القوى الأخرى المتنافسة على قمة النظام الدولي كالاتحاد الأوروبي وروسيا الاتحادية والصين، وربما اليابان أيضا، وتحاول

الولايات المتحدة استخدام هذه الفجوة لتسخير قوى وآليات عملية العولمة لصالحها وعلى النحو الذي يمكنها من السيطرة على النظام الدولي مستفيدة من حالة الارتباك والفوضى التي تميز المؤسسات الدولية في الوقت الراهن، متخذة من مبدأ " حق التدخل " البع الذي تحرك به مصالحها وشؤونها الدولية، فتتوسع في معناه وتفسيره، فضلا على خلطه عمدا وقصرا، وبصفة غير ممنهجة ولا قانونية بين إرادتها هي وإرادة المجتمع الدولي، معتبرة أن إرادتها الخاصة تعبر بالضرورة عن إرادة الشرعية الدولية، وبخاصة إذا ما تعلق الأمر بمصالح الولايات المتحدة وحلفائها على رأسهم الكيان الصهيوني، هذا الذي استفاد أيضا استفادة من تغيرات المرحلة وهيمنة القطب الواحد، مقابل ذلك نجدها تضيق مفهوم التدخل وحدوده وأبعاد إذا ما مس أو هدد شيئا من مصالح الولايات المتحدة أو الكيان الصهيوني أو حلفائها، ضاربة عرض الحائط كل القرارات الدولية التي تأتي في سياق ذلك، ولا أدل على ذلك القرارات المتعلقة بالحق الإنساني للفلسطينيين، والواقع المرير في قطاع غزة والضفة الغربية والذي كثيرا ما استدعى التدخل الإنساني، وقرارات الحرب على العراق التي اتخذت في أغلبها بعيدا عن الشرعية الدولية حتى وصف واصفها وهو الأمين العام للأمم المتحدة آنا ذاك قائلا " إن القوى الكبرى هي التي تتحكم في المنظمة، وهي التي تقرر ما تريد حسب أهوائها ومصالحها وما الأمم المتحدة إلا إطار قانوني لتقنين هذه المصالح وتنسيقها ".¹

وعليه فإذا كان مفهوم السيادة قائم على أهلية الدولة للتصرف كشخص من أشخاص القانون الدولي العام، وبالتالي ضرورة التزام الجميع بالكف عن التدخل في الشؤون الداخلية لها، ونظرا لأن هذه المساواة القانونية لا تقابلها مساواة فعلية على أرض الواقع، حيث تختلف كثيرا أحجام وأوزان وقوى الدول كما صدرنا الحديث، وعليه قدرتها على التأثير الفعلي على مجمل التفاعلات الدولية، ولأنه يوجد ميل طبيعي من جانب الدول الأكبر والأقوى في المجتمع الدولي للتدخل في شؤون الدول الأصغر والأضعف، كما يوجد نفور طبيعي من جانب الدول الأكبر والأقوى في المجتمع الدولي للتعامل مع الدول الأصغر والأضعف على أساس من الندية والمساواة، فقد كان من الطبيعي أيضا أن تواجه المحاولات الرامية لتنظيم العلاقات الدولية وفق قاعدة المساواة في السيادة صعوبات بالغة في وضع خطوط فاصلة بين الشأن الداخلي، والذي هو مسؤولية الدولة المعنية وحدها، والشأن الخارجي، والذي يفترض، أو يتعين، أن يكون مسؤولية المجتمع الدولي ككل.²

¹ ياسر أبو شبانة : النظام الدولي الجديد بين الواقع الحالي والتصور الإسلامي . ط3، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، 2004، ص 123.

² ينظر حسن نافعة: مرجع سابق.

وحل هذه الجدلية المشككة لا يكون بالعودة إلى المفاهيم التقليدية للسيادة، أو بإعادة التأكيد على سلطة الدولة، وإنما يكون بدعم وتقوية سلطة المؤسسات الدولية وضمان نزاهتها وشفافيتها وديمقراطيتها، ويحصر الباحث (حسن نافعة) أبعاد هذه المقترح من خلال معطيات الواقع في ثلاثة بدائل :

البديل الأول : حكومة خفية تمثلها شبكة متسعة من تحالف غير معلن بين الشركات العابرة للقارات وبعض مؤسسات المجتمع المدني بالتنسيق والتعاون مع حكومات مجموعة الدول السبع.

والبديل الثاني : حكومة معلنة مفروضة بحكم الأمر الواقع، تمثلها الإدارة الأمريكية وتمارس تدخلها من خلال مجلس الأمن أو حلف شمال الأطلسي أو منفردة، حسب ما تراه ملائماً لمصلحتها.

والبديل الثالث : حكومة منبثقة عن نظام عالمي ديمقراطي تمارس عملها في ظل رقابة سياسية وقانونية، أي في ظل سلطة تشريعية دولية وسلطة قضائية.¹

البديلان الأول والثاني قائمان ويتنافسان على ارض الواقع، أما البديل الثالث فما زال حلماً بعيد المنال لأن الظروف لم تتضح بعد لوضعه موضع التنفيذ. وهذا هو ما يتعين على القوى الراضة للهيمنة والباحثة عن ديمقراطية العلاقات الدولية أن تبذل كل جهد ممكن لتحويله إلى واقع، على مستوى دول العالم المختلفة، والدول العربية والإسلامية ودول العالم الثالث خاصة.

5-2 السمة العسكرية والجيو استراتيجية للنظام الدولي الجديد

ظل على مر العصور التواجد والانتشار العسكري بشكل دائم من مقتضيات الوجود والقوة للإمبراطوريات الكبرى في التاريخ الإنساني، لذلك بدا من الوهلة الأولى لبروز معالم النظام العالمي الجديد اثر انهيار الاتحاد السوفيتي، وتآكل الأنظمة الوطنية الشعبوية -على حد تعبير سمير أمين - الناتجة من التحرر الوطني لمشروع الولايات المتحدة، إعادة الانتشار العسكري والاستراتيجي والسياسي بصلابة قصوى في كل نقطة من هذا العالم، لتتربع الولايات المتحدة على قمة هذا النظام الجديد أحادي القطبية دونما منافسة أو تحد، ملوحة بقدرتها وقوتها على إدارة الشؤون الدولية، وحسم كل أشكال التوتر بالشكل الذي تريد وفي الوقت الذي تقرر دون أي معارضة حقيقية أو تحد جوهري لأي قوة دولية أخرى، وهي لن تسمح فيها - الولايات المتحدة - سواء رضي المجتمع الدولي ووافق أو لم يرض، طالما أن الغرض هو تحقيق المشروع والحلم الأمريكي،

¹ ينظر المرجع نفسه .

وقد شكلت أزمة الخليج الثانية الفرصة التاريخية الذهبية أمام الولايات المتحدة لتظهر أمام العامل وفق ما سبق وأن قررته بعد سقوط الاتحاد السوفييتي، فتستعرض أما الجميع قوتها وهيمتها وفلسفتها العسكرية والسياسية الجديدة، جاء في التقرير الأمن القومي الأمريكي المقدم للكونجرس في أوت (1991) " إن النظام العالمي الجديد ليس واقعا فقط بل تطلع وفرصة "1، في مؤشر واضح إلى الأبعاد التي سنتهجها الإستراتيجية الأمريكية في بعدها الجديد من أجل فرض الهيمنة والانتشار الدوليين، ويزيد التقرير إن من المهام الرئيسية التي ستتخذها الولايات المتحدة الأمريكية هي المحافظة على التوازن الإقليمي العسكري، وحل النزاعات الإقليمية، قبل أن تتحول إلى نزاع مسلح.²

ففي تقرير عن الإستراتيجية الأمريكية المستقبلية أكد الجنرال (كولن باول C.Powell) الرئيس السابق " هيئة الأركان المشتركة للقوات المسلحة الأمريكية" أنه في الوقت الذي تعمل فيه الولايات المتحدة على خفض الإنفاق العسكري وعدد الجنود، وإغلاق بعض القواعد العسكرية، فإنها ستظل تعمل في الوقت نفسه على الاحتفاظ بالتفوق العسكري الأمريكي بالكامل، بحيث تظل الولايات المتحدة أقوى دولة في العالم، وأكثر الدول لمواجهة المشاكل، والتدخل لإنهاء الأزمات في ظل النظام العالمي الجديد، وأضاف لا بد أن تبقى الولايات المتحدة الأمريكية القوة العسكرية الأساسية والرئيسية في العالم.³ ويؤكد وزير الخارجية السابق للولايات المتحدة (إليوت أبرامز E. Abrams) هذا التوجه في السياسة الأمريكية قائلا : إنه مع زوال الردع السوفييتي أصبحت الولايات المتحدة أكثر استعدادا وقدرة على " استخدام القوة " للوصول إلى أهدافها.⁴ وبالإضافة إلى هذا، كثفت الولايات المتحدة انتشارها العسكري في مناطق عديدة من العالم.

✓ ففي أوروبا ظلت الولايات المتحدة مرابطة من خلال شمل الأطلسي.

✓ وفي آسيا ، احتفظت الولايات المتحدة بالتواجد العسكري المكثف في المحيط الهادي. بالإضافة إلى (50) ألف جندي أمريكي في اليابان.

¹ Barbara Delcourt : **Théorie De La sécurité**. Thèse présenté pour obtenir doctorat en Sciences Politiques, Orientation Relations Internationales, l'Université libre de Bruxelles, Année académique 2006-2007,p106 .

² Christine Boutin : **De la mondialisation à l'universalisation : une ambition sociale**. Collection des rapports officiels, Rapport intermédiaire au Président de la République, Centre De La Documentation française, Paris, 2010.p p 33-38.

³ ياسر أبو شبانة : مرجع سابق، ص 123.

⁴ نعوم تشومسكي : **أوهام الشرق الأوسط** . (تر) شيرين فهمي، ط2، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2006، ص ص 14-15.

✓ وفي الخليج صرح وزير الدفاع الأمريكي في (23 مارس 1992) بأن القوات الأمريكية ستبقى في الخليج حتى نهاية القرن.¹

وبقدر حرص الولايات على بقائها كقوة عظمى، فإنها كانت حرصت على اتخاذ كل التدابير الوقائية اللازمة لمنع أي دولة من أن تعزز قواتها العسكرية، حتى لا تصبح دولة منافسة للسيادة العسكرية والإستراتيجية الأمريكية، واستمسكت باستراتيجيتها العسكرية القائمة على " الردع " ضد كل من تسول له نفسه، فقد جاء في خطاب (باول C.Powell) قائد الأركان " إن الولايات المتحدة بحاجة إلى قوة كافية من أجل ردع أي متحد لها ... حتى لا يكون ثمة مستقبل لمن يخطر بباله أو يحاول تحدي قوات الولايات المتحدة الأمريكية المسلحة ... وعلينا إقناع الحلفاء والأعداء على حد سواء بان عليهم ألا يلمحوا بالاضطلاع بدور أكبر"² وهو بذلك يؤكد الأولوية الأمريكية على الصعيد الدولي في ظل القطبية الأحادية.

بل إنها تبنت إستراتيجية أكثر من مجرد الردع فيما بعد وهي إستراتيجية "الكبح الفعلي" من أجل الاستعداد للحروب الوقائية الإستباقية، ووفق مبدأ (بوش الابن G.W.Bush) "إن القوات العسكرية الأمريكية يجب أن تكون مستعدة للضرب وفي حالة إنذار في أي زاوية مظلمة من العالم"³، وبذلك سلمت الولايات المتحدة نفسها وفق هذه الإستراتيجية حق التدخل الأمني في أي نقطة أرادت من ربوع هذا العالم، و نصبت نفسها فيما عليه، وتجد من صلاحياتها حق الإشراف على شعوبه وأمه ودوله وقاراته، وتمنح نفسها حق ممارسة هذا الدور.

وكان التدخل الغربي في شمال العراق في عام (1991) في منطقة كردستان أول ممارسة على الأرض لهذا الحق، وذلك عندما اضطر مئات الآلاف من الأكراد للنزوح من قراهم ومدنهم ومزارعهم عقيب الانتفاضة العارمة التي شملت العراق من الشمال إلى الجنوب، فتدخلت قوات الحلفاء الغربيين لحماية الأمن حتى تشكيل مؤسسات إدارية وحكومية كردية بديلة تتولى الإشراف العام على الأمن في المنطقة، ثم أعقب ذلك العمل العسكري الفعلي إبان حرب الخليج الأولى في قصف بلا هوادة طوال (40) يوما وليلة، لبلد من أكثر البلدان تقدما في الشرق الأوسط، كان كفيلا بتدمير عاصمته عن بكرة أبيها، بعد أن تم إسقاط قرابة (177)

¹ ينظر شفيق المصري : النظام العالمي الجديد... ملامح ومخاطر. ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1992، ص ص 68-84.

² سوسن العساف :مرجع سابق، ص 146.

³ المرجع نفسه، ص 106.

مليون رطل من القنابل على شعبه، من خلال القصف الجوي الإجرامي الأكثر كثافة في تاريخ البشرية لغاية ذلك الوقت.¹

وكان التدخل الأميركي في الصومال " عملية إعادة الأمل " قد جسد تطبيق هذا الحق بصورة أكثر جدية ووضوحا والإعلان عنه باعتباره حق " أخلاقي " يفترضه الوضع الخاص الذي تتمتع به أميركا باعتبارها مهيمنة وقائدة للمنظومة الدولية، وكانت المبررات المعلنة بأن العملية جاءت لغرض تأمين المواد الغذائية وإمدادات الإغاثة للصوماليين الذين فتك بهم الجوع وشردهم التناحر والنزاعات السياسية والعسكرية بين الفصائل الصومالية المتنافسة على السلطة، والتي كانت تستولي وتصادر الإمدادات الغذائية التي ترسلها المنظمات الإنسانية للصوماليين الجياع، وقد جرى التدخل الأميركي وسط تأييد دولي وإعلامي كبيرين لأن الأهداف الإنسانية المعلنة غير قابلة للطعن، وخاصة بعد أن فشلت كل الحلول التي اقترحت واتضح تقاعس المجموعة الدولية وتباطؤها في نجدة الصوماليين، غير أنه سرعان ما برزت وافتضحت من بعد ذلك النوايا الحقيقية أين تسببت هذه القوات في كارثة إنسانية حقيقية لا تزال تبعاتها إلى اليوم في المنطقة.²

وبأشكال أخرى مباشرة وغير مباشرة واصلت الولايات المتحدة الأمريكية بسط استراتيجياتها في كثير من مناطق العالم على غرار " أفغانستان، البيرو، ألبانيا، السلفادور، هايتي، بلغاريا، بنما، سورينام، ليبيا، والمكسيك، وكولومبيا... "، ما كان حتميا بالنسبة للولايات المتحدة هو الحرص على ثلاث مبادئ أساسية:

- أن حلف شمالي الأطلسي " الناتو " بعد انتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفيتي وحلف وارسو، يجب أن يظل محتفظا بهدف معين كي يستمر على قيد الحياة.

- أن يظل " للناتو " الحق في التدخل أينما يشاء، حتى خارج نطاقه الجغرافي، من دون نيل التفويض العلني الصريح من جانب مجلس الأمن في الأمم المتحدة.

- أن الناتو يجب أن يشكل الذراع العسكرية للنظام العالمي الجديد (مع تركيز قيادته في واشنطن العاصمة).³

وما كان من الشركاء الدوليين في أول الأمر إلا القبول والتسليم، فقد قبل كل من الأوروبيين واليابانيين في مرحلة أولى الالتحاق بمشروع الولايات المتحدة، في حروب الخليج الأولى - سنة (1991) - ثم يوغسلافيا

¹ وليام بلوم : الدولة المراقبة دليل الى القوة العظمى في العالم . (تر) عصام قلاوون، ط1، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، 2002، ص 304.

² إن النوايا الحقيقية ظهرت في المحازر الجماعية التي تسببت فيها القوات الأمريكية في المنطقة من اجل القضاء على قوات عبيد، ينظر وليام بلوم : ص 302.

³ ينظر المرجع نفسه، ص 315.

وآسيا الوسطى - سنة (2002) - راضون بتهميش الأمم المتحدة لصالح حلف شمالي الأطلسي، غير أن هذا القبول والتسليم لهذه الإستراتيجية العسكرية لم يدم طويلا، إذ سرعان ما ظهرت في الأفق شقوق بين الولايات المتحدة واليابان، وبعض البلدان الأوروبية على رأسها فرنسا وألمانيا، حول الإدارة السياسية لنظام ملتحق بالجملة بمبادئ الليبرالية.¹

بقي الإشارة أن نظرية الهيمنة العسكرية الأمريكية على المشهد العالمي في ظل تغيرات النظام الدولي الجديد، لم تسلم من النقد والرفض فمقتضيات الإمبراطوريات التواجد والانتشار العسكري بشكل دائم أو على الأقل لفترة طويلة للسيطرة على المناطق المحتلة، والسؤال الذي يفرض نفسه، هل بإمكان الولايات المتحدة التواجد والانتشار العسكري بشكل دائم؟ ولا شك أن فقد الولايات المتحدة التفوق الأخلاقي وتأييد الشعوب المستضعفة، أكبر عائق لتحقيق الاستمرارية، فضلا على كلفة الانتشار خاصة في ظل التغير البيئي الذي رافق اقتصاد الولايات المتحدة في تلك الفترة، وبروز إقتصادات وقوى وأقطاب جديدة وارد خاصة روسيا، اليابان، الصين والاتحاد الأوروبي فالإقتصاد الأوروبي يناهض الإقتصاد الأمريكي، وفرنسا وألمانيا تحتان في " إنشاء قوة عسكرية مشتركة تشكل نواة القوة العسكرية الأوروبية مستقبلا، فالخلاف الأوروبي الأمريكي أعمق من الخلافات التجارية على حد وصف الخبير (C. Kupchan).²

والأخطر من كل هذا، في ظل سياسات الهيمنة والقهر اللذان تمارسهما الولايات المتحدة باعتبارها شرطي العالم، يرجع هذا الانتشار عبر العالم ضربا من الانتحار، ودافعا لتسارع وتوسع موجات الغضب والكره، كما أنه تحديا موازيا يمكن الولايات المتحدة من أن تكون فريسة سهلة للاختراق والهجوم من قبل المناوئين والكارهين للهيمنة والغطرسة، ربما قد لا يكون ذلك متاحا لدول بعينها لتعقد منظومة العلاقات الدولية، لكن من شأنه أن يكون سهلا ومتاحا للعديد من المنظمات والجماعات وحتى المواطنين المقهورين البسطاء في أقصى ربوع هذا العالم لرد ما يعتبرونه اعتبارهم وحقهم، وهو ما وقع فعلا فقد كانت العديد من القواعد العسكرية المنتشرة عبر العالم وبالأخص في الشرق الأوسط، عرضة للهجوم من قبل جماعات وتنظيمات وأفراد.

¹ سوسن العساف : مرجع سابق، ص 146.

² ينظر سمير أمين : «جيو سياسة الامبريالية المعاصرة». مرجع سابق، ص ص 45-46.

2-6 النظام العالمي الجديد و تحولات العولمة الإعلامية والاتصالية والاقتصادية

من السمات المميزة التي رافقت ميلاد النظام العالمي جديد، وساهمت في تكريس افتراضاته وتوسيع حدوده جغرافيا وثقافيا، الثورة التكنولوجية والمعلوماتية الهائلة التي تفجرت بعد تكامل واندماج وسائل الإعلام الجماهيري وتكنولوجيا الاتصال وتكنولوجيا المعلومات والهندسة الوراثية، ما أحدث تحولا رأسيا في بنية العمليات الاتصالية وسياقاتها الثقافية والاجتماعية، ذلك أن تحولاتها وتداعياتها لم تتوقف عند حدودها التقنية والفنية بل تعدت حدود ذلك لتؤسس ثقافة جديدة لها فاعليتها ومؤسستها ودورها ومكانتها في إدارة فلسفة الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والقيمية العالمية السائرة تحت غطاء ما سمي بالعولمة؛ حتى كاد يجمع الدارسون أن أداءات الثورة التكنولوجية الاتصالية هي التي سرعت وسهلت لهذا العالم أن يكون كما هو عليه، وهي التي عجلت حركة الأفراد رأس المال والسلع والمعلومات والخدمات، وهي التي جعلت العالم كله " أكثر انكماشًا وترابطًا ووعيا " على حد وصف (رونالد روبرتسون R. Robertson)¹، أو قرية كونية كما وصفها (ماكلوهان M. McLuhan) قبل سنوات، غير أنهم يؤكدون كذلك من جهة أخرى وبخاصة في عالمنا العربي والإسلامي أنها السبب المباشر لتكريس الهيمنة والتنميط والاختراق والاختزال والغلبة، وفي هذا يبرز (أمين معلوف) من خلال كتابه " الهويات القاتلة " مخاوفه من أن تتحول تلك الفورة والانكماش والتقارب إلى هيمنة لا يبق فيها صدى لأي رأي مغاير، فالحقيقة أن تدفق الصور والكلمات لا يترك دائما مجالاً للروح النقدية، بل يمكن توقع الأسوأ معه إذا ما وقعنا تحت تأثير العدد "² من أجل ذلك وجدت " النزعة إلى التقارب " التي يصفها علماء الاجتماع كحاجة طبيعية يجدها الأفراد من أجل التلاقي في أوضاع متشكلة من عناصر التفاعل الوجداني والحافلة بالحضور الإنساني، هذه النزعة وجدت في تدفق وسائل الإعلام وتنوع مصادرها وغاياتها، وفي الشبكة العنكبوتية خاصة، مناسبة مهمة ودائمة لبناء عناصر واضحة للتفاعل الإنساني، ومن أجل تقريب الثقافات وإشاعة التفاهم ... غير أن شيئا من ذلك لم يحدث - على الأقل بهذا التصور الديمقراطي التآلفي - بل العكس تماما أضحت فرصة لتكريس تهديد من نوع آخر، فالسيطرة الكونية على المواقع الرئيسية لم تعد مجرد تسهيلات، والتنوع لم يعد ثراء، والتدفق لم يعد مدا، بل تحولت جميعها إلى

¹ Ronal Robertson : Globalization: Social Theory and Global Culture, 6nd Ed, SAGE Publication, London ,2000.pp 8-14.

² ينظر أمين معلوف : الهويات القاتلة . (تر) جبور الدويهي، دار النهار، بيروت، لبنان، 1999، ص 100.

سيطرة لها دلالات سياسية واقتصادية تمارس اليوم تحت ذرائع مختلفة.¹ ولأجل فهم أبعاد هذا التحول ومضامينه يوجز الباحث (يحيى اليحياوي)² جملة من الحقائق شكلت في مجموعها معالم وأبعاد تحولات العولمة الإعلامية والاتصالية في ظل النظام العالمي الجديد :

✓ **الحقيقة الأولى** : العولمة والثورة التكنولوجية والتحولت المؤسساتية فتحت المجال على مصراعيه، ولربما بالصدفة، لسوق إعلامي واتصالي عالمي ضخم، فقد تزايدت بوضوح بالغ أهمية اقتصاديات الإعلام والاتصالات والمعلومات، وقطاع الاتصاليات المعلوماتي الترفيهي على وجه الخصوص مع تفجر العولمة (Information Telesector)،³ قدره المرصد العالمي لأنظمة الاتصال بحوالي (7000) مليار فرنك فرنسي سنة (1995)، أي ما يقارب ألف مليار دولار، وهو مستوى يفوق بكثير سوق السيارات في نفس الفترة، وقدره نفس المرصد بحوالي (9600) مليار ف.ف سنة (2000) أي ألفي مليار دولار، بزيادة (37 %) في ظرف خمس سنوات، معادلا (10 %) من التجارة العالمية. ومعنى هذا أنه من أصل (1000) دولار كنتاج خام عالمي هناك (59) دولار تنشأ - بطريقة مباشرة أو غير مباشرة - من طرف القطاع الإعلامي والاتصالي.⁴

✓ **الحقيقة الثانية** : في سياقات ميلاد النظام الدولي الجديد شهد سوق الاتصالات الدولي انتعاشا غير مسبوق بفعل الاندماج والتكامل الذين بسطتهما تكنولوجيات الاتصال والمعلومات من الجهة والفضاء السيرنيبي وعلوم الهندسة الوراثية من جهة ثانية، فبلغت تداولات السوق الدولي للاتصالات حوالي (2600) مليار، مقابل (1500) مليار للسمعي - البصري ومقابل (2600) مليار للمعلوماتية. ممثلة مجتمعة ما نسبته (6 إلى 7 بالمائة) من الناتج الخام العالمي مقابل (4 إلى 5 بالمائة) لسوق السيارات.⁵

تزامن هذا الاندماج والتكامل والانفتاح الاقتصادي الدولي مع انتشار نظرية اقتصادية ينصح بها عدد كبير من الخبراء والاستشاريين واقتصاديين ويقدمونها دونما كلل أو ملل للمسؤولين عن إدارة دفعة السياسة

¹ ينظر صباح ياسين: الإعلام النسق القيمي وهيمنة لقوة . ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2006، ص ص 10-11.

² Voir Yahia El yahyaoui : **La mondialisation : communication-monde, ultra libéralisme planétaire et pensée unique**. 1er Ed. Boukili, Kénitra, Maroc, 1998.

³ ينظر محمد شومان : « عولمة الإعلام ومستقبل النظام الإعلامي العربي ». مجلة المستقبل العربي، المجلد الثامن والعشرون، العدد الثاني، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر 1999، 136.

⁴ ينظر المرجع نفسه، 163.

⁵ Voir Yahia El yahyaoui : Op Cite, pp 27-28

الاقتصادية على أنها النهج الصحيح : إنها الليبرالية الجديدة، والمقولة الأساسية لهذه النظرية الجديدة هي ببساطة « ما يفرزه السوق صالح ، أما تدخل الدولة فهو طالح » ، وانطلاقاً من أفكار أهم ممثل لهذه المدرسة الاقتصادية ، الاقتصادي الأمريكي وحامل جائزة نوبل (ملتون فريدمان M. Friedman) اتخذت الغالبية العظمى من الحكومات الغربية هذه الليبرالية النظرية منارا تهندي بها في سياساتها.¹

✓ **الحقيقة الثالثة :** سيطرة نسبة الخدمات في كل هذه القطاعات الثلاثة مقارنة بالتجهيزات، إذ أصبح - منذ أن استقرت الشبكات - للخدمات والبرامج والتطبيقات حصة أكبر من تلك التي تعود للأجهزة : ففي سنة 1995 مثلت نسبة الخدمات في قطاع الاتصالات حوالي (82) بالمائة مقابل (18) بالمائة للأجهزة بالمعطيات المحررة : حوالي (97) مليار دولار للأجهزة مقابل (450) مليار للخدمات، وفي (1994) مثلت الخدمات في السعوي-البصري حجماً متقارباً مع الأجهزة : (158) مليار للخدمات و (137) مليار للأجهزة لسوق سعوي-بصري يقدر بحوالي (295) مليار دولار.²

✓ **الحقيقة الرابعة :** السيطرة المطلقة للدول الصناعية الكبرى على سوق الإعلام والاتصال الدولي : فالولايات المتحدة وأوروبا واليابان تسيطر سيطرة لا مجال للتشكيك فيها على هذا السوق تناهز ال (85 إلى 90 بالمائة) لدول النافتا فيها حصة الأسد (حوالي 40 بالمائة في خدمات الاتصالات مثلاً)، وللولايات المتحدة وحدها حوالي (33) بالمائة من السوق الدولي للأجهزة السعوية - البصرية، ناهيك عن تفوقها المطلق في ميدان المعلوماتية والبرامج التلفزيونية، وربما تكفي الإشارة هنا إلى أن صناعة السينما الأمريكية جنت خارج الولايات المتحدة عام (1995) مبلغاً وصل إلى المبلغ نفسه الذي حققته داخل الولايات المتحدة، أي نحو (2.5) بليون دولار، وجنت صناعة السينما من بيع أفلام الفيديو في الولايات المتحدة ما زاد على ما جنته من دور السينما وذلك للمرة الأولى في التاريخ.³

✓ **الحقيقة الخامسة :** بغض النظر عن سيطرة الدول الكبرى، هناك أيضاً سيطرة وتتركز لهذا السوق بين يدي أقطابها الصناعية والتكنولوجية العملاقة، فسنة (1995) على سبيل المثال : من أصل 25 صناعياً الإعلام

¹ هانس بيتر مارتين، هارالد شومان : **فخ العولمة " الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية "** . (تر) عدنان عباس علي، سلسلة عالم المعرفة، عدد 238، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أكتوبر 1998، ص 23.

² Voir Yahia El yahyaoui : Ibidem.

³ أسعد ملي : « التداخيات الإقصائية المتصاعدة لعولمة الإعلام وأثرها على الهوية الثقافية ». **مجلة جامعة دمشق** ، المجلد 26، العدد الثالث والرابع، سوريا، 2004، ص 465 .

والاتصال، والتي تسيطر على (770) مليار دولار من إجمالي الدخل العالمي في القطاع، نجد (9) منها أمريكية، و(8) يابانية، و(7) أوروبية وواحدة كورية،¹ وهذا يظهر وضوح بالغ الطابع الأمريكي المهيمن على صناعة الإعلام والاتصال الدولية، والذي تزايد بصورة ملحوظة منذ نهاية الثمانينيات نتيجة تطور تكنولوجيا الاتصال والإعلام الأمريكية والتحولات السياسية في نظام العلاقات الدولية ليتكسر بجد مع توالي السنوات، مأمركا الحياة العامة للشعوب والثقافات، مما ولد ممانعة وردود فعل قوية عند العديد من الحكومات والدول والقوميات والشعوب والجماعات وعمق درجة الرفض والاحتقان والغضب من الوافد الأمريكي لدى الشعوب الواقعة تحت الهيمنة.

✓ **الحقيقة السادسة :** التزايد الهائل للتحالفات الإستراتيجية بين الأقطاب الكبرى : الكل يتحالف مع الكل ضد الكل، فوفق دراسة لمؤسسة " أبريديا " هناك حوالي (15) تحالفا من هذا النوع أبرمت سنة (1993)، و (56) تحالفا أبرم سنة (1994)، وحوالي (141) تحالفا أبرم خلال الثماني أشهر الأولى من سنة (1995)². والمشكلة الأكبر التي لحقت سياق التحالفات العملاقة هذه هي مكانة الدولة ودورها في ممارسة حقوقها السيادية، فقد تراجع دور الدولة عموما وأدوارها الإعلامية خصوصا لصالح الشركات العملاقة عابر القوميات، أولا بغض النظر عن علاقات التعاون والصراع مع الدولة الأم، ثم بفارق كبير عن مؤسسات المجتمع المدني ثانيا.³

✓ **الحقيقة السابعة :** كل البوادر المتوفرة حاليا تثبت أن السيطرة لن تزيد إلا تكريسا وتعميقا سيما فيما يتعلق بالشبكات الجديدة كالانترنت والاستثمارات الضخمة الموجهة لمشاريع الطرق السيارة للاتصال وذلك بغض النظر عن السيطرة التي تميز تقليديا سوق الكتاب والموسوعة والبرامج وغيرها. ففي سنة (1995)، كان هناك حوالي (30) مليون مستعمل للانترنت، (154) دولة مرتبطة، (46.000) شبكة مرتبطة، ما يقارب (3,5) مليون وحدة معلوماتية مرتبطة، ونسبة نمو الشبكة يقدر ما بين (10 إلى 15 %) سنويا. وهناك أيضا هيمنة أمريكية على هذه الشبكة: ففي يوليو (1996) وصلت الحواسيب المرتبطة بشبكة الانترنت حوالي (8.250.000) حاسوب بالولايات المتحدة، مقابل (190.000) بفرنسا، (550.000) بألمانيا و(500.000) باليابان، في حين لم يكن لإفريقيا مجتمعة سنة (1995) إلا (27.000) جهاز حاسوب مرتبط بالشبكة

¹ Voir Yahia El yahyaoui : Op Cite, pp 39.

² Ibidem.

³ محمد شومان، مرجع سابق، ص 170.

لجمهورية جنوب إفريقيا حصة الأسد فيها، كما أن التوزيع الجغرافي لنظام الويب المالي يعطي للولايات المتحدة (48%) مقابل (37%) لأوروبا، (6%) لأمريكا اللاتينية، (5%) لآسيا، (2%) لأوسيانيا و(2%) لإفريقيا.¹

✓ **الحقيقة الثامنة :** مستويات البحث والتطوير في ميدان الإعلام والاتصال مرتفعة. فحتى في غياب معطيات مدققة (وهي غالبا ما تكون سرية) فإن معظم الفاعلين في القطاع يخصصون تقديريا ما بين (3 إلى 4%) من مبيعاتهم للبحث والتطوير وذلك حتى في ظروف الأزمة والتشفس وإعادة الهيكلة. ففي ميدان المعلوماتية مثلا، يصل مستوى الاستثمار (من الناتج الإجمالي الخام) إلى حوالي (2.8%) بالولايات المتحدة مقابل (2,35%) ببريطانيا (1,72%) بألمانيا (1,67%) بفرنسا (لسنة 1995).

✓ **الحقيقة التاسعة :** كل العناصر المكونة لهذه التكنولوجيا والخدمات والبرامج والتطبيقات المرتبطة بها لا يمكن فصلها عن الإطار المجتمعي والثقافي الذي نشأت فيه وتطورت. فهي محملة بالقوة الرمزية التي أخرجتها للوجود. وقد أوضحت في مناسبات عديدة أن شبكة الانترنت مثلا، هي شبكة أجنوسكسونية محضة تسيطر فيها اللغة الإنجليزية بنسبة (95 بالمائة) وأكثر، مقابل (3.25) للألمانية وأقل من (2 بالمائة) للفرنسية، و لا مكان فيها لما يسمى " لغات الثقافات المتدنية " .²

✓ **الحقيقة العاشرة :** أن هذه التعددية والخيارات المفتوحة لا تعني التدفق الحر للمعلومات وحرية التلقي، فهناك فرق بين الحق في الاتصال، والقدرة على ممارسة هذا الحق من النواحي الاقتصادية والثقافية، فالمضامين والبرامج أصبحت سعا تباع، كما أن استخدام وسائل الإعلام والمعلومات غير التقليدية يتطلب مستوى اجتماعيا وتعليميا قد لا يتوافر لأغلبية المواطنين في العالم،³ وبخاصة عالمنا العربي والإسلامي، مما يحوله ويجعله أرضا مستباحة للاختراق، فضلا على ضعف مساهمة هذه الدول العالم ثالثة في تصور الشبكات واستغلالها، وتطوير برامجها وتطبيقاتها، لتجد نفسها أمام معضلة تبينة هذه المنتجات والتطبيقات وتكييفها وفق قيمها وخصوصياتها جراء شراء التكنولوجيا ونقلها باسم " منطلق " مسايرة العصر وتكنولوجيا العصر، والأسباب في ذلك عديدة ومتشعبة أهمها ضغط الشركات المتعددة الجنسيات وعقدة الانبهار التكنولوجي... وأخطرها إطلاقا تهميش هذه الدول لقيم البحث العلمي وإهمالها المطلق لمواردها البشرية التي تضطر للعمل بالخارج، أو

¹ Voir Yahia El yahyaoui : Op Cite, pp 41.

² Ibid, pp 45.

³ ينظر محمد شومان : مرجع سابق، ص 171.

تتعاطى لممارسات شنيعة أولها مجاملة السلطة وخضوعها الأعمى لها وآخرها انحرافها نحو "منطق" المسمار والعقار و"المعمار" مروراً بتكريسها لعقلية الارتزاق السياسي والفكري.¹ وبالتالي وقوعها في مغبة التكديس الحضاري كما يصفه (مالك بن نبي) جراء شراء منتجات الحضارة متجاهلة أن القاعدة الأساس في عملية الحضارة أو التحضر مفاده أن الحضارة هي التي تلد منتجاتها، وسيكون من السخف والسخرية حتماً أن نعكس هذه القاعدة حين نريد أن نصنع حضارة من منتجاتها، لاستحالة ذلك كما- لا يمكن أن نشترى كل منتجات الحضارة - وكيفاً - لا يمكن لحضارة أن تبيعنا روحها وأفكارها وأذواقها.²

هذه الحقائق العشر أفرزت في الأخير حركية كونية مندجحة وشاملة تنظر إلى ما وراء الحدود جغرافياً وثقافياً وقيماً، وبصفة نفعية وذاتية محففة يسودا الصراع والتنافس غير الأخلاقي أو المتوازن، بدل منطق الحوار والتعاون والحوار التقليديين كما يصفه المفكر المغربي (عابد الجابري)، إزالة الحضور التقليدي للدولة الوطنية المهددة في الوقت الراهن بكيانات "فوق وطنية" خارجية وبكيانات "قبل وطنية" داخلية،³ تلزمها الدخول في علاقات تبعية مشتركة تضم الدول في إطار إشكاليات إجمالية تتطلب حلولاً جمالية تفرض الاندماج وصهر المجتمعات والمؤسسات والمنظمات داخل شبكة كونية لا تعترف بالحدود، ولا بالخصوصيات بل تتجه نحو الشمولية التامة. وقد تغذت هذه الشمولية بموجات من التغيرات التي حصلت نتيجة تدفق للمعلومات ورؤوس الأموال وتحرر المبادلات التجارية، كما تغذت بعدة هزات وطفرات تكنولوجية هائلة آلت إلى تركيز نظام تواصل عالمي جديد، وترتكز على :

✓ الشركات متعددة الجنسيات التي تتولى التسيير والتوجيه والقيادة عبر العالم.

✓ أبناء البشر في كل مكان القادرون على الاستهلاك.

✓ الفضاء السبرنيتي وهو بحق الوطن الجديد الذي لا ينتمي إلى الجغرافيا ولا إلى التاريخ وهو "وطن" بلا

حدود وبدون ذاكرة وبدون ترث، الوطن الذي تبنيه شبكات الاتصال المعلوماتية الالكترونية.⁴

¹ Voir Yahia El yahyaoui : Op Cite, pp 41.

² ينظر مالك بن نبي : شروط النهضة . (تر) عمر كامل مسقاوي ، عبد الصبور شاهين، ط9 ، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2009، ص ص 45-47.

³ ينظر محمد عابد الجابري : قضايا في الفكر المعاصر: العولمة-صراع الحضارات-العودة إلى الأخلاق-التسامح-الديمقراطية ونظام القيم-الفلسفة والمدنية . مرجع سابق، ص 139.

⁴ ينظر محمد عابد الجابري : قضايا في الفكر المعاصر: العولمة-صراع الحضارات-العودة إلى الأخلاق-التسامح-الديمقراطية ونظام القيم-الفلسفة والمدنية . مرجع سابق : ص 148.

أن هذه الأحادية القطبية التي حكمت العالم، لم يكن مقدرًا لها أن تكون بدون التراكم في بنية النظام الرأسمالي - بالرغم من أزمته الداخلية - وما حققه من تحول ملموس في تطور المجتمعات الرأسمالية قياسًا بتطور مجتمعات بلدان المعسكر الاشتراكي ، وكان من أهم نتائج هذا التطور النوعي الهائل ، خاصة على صعيد التكنولوجيا والاتصالات، إعادة النظر في دور الدولة الرأسمالية أو الأسس الاقتصادية الكينزية ، وقد بدأ ذلك في سنوات التسعينيات في الولايات المتحدة وألمانيا، الذين أكدتا على أهمية العودة إلى قوانين السوق وحرية رأس المال وفق أسس "النظرية الليبرالية الجديدة New Libéralisme"¹ التي تقوم على :

✓ كلما زادت حرية القطاع الخاص كلما زاد النمو والرفاهية للجميع .

✓ تحرير رأس المال وإلغاء رقابة الدولة في الحياة الاقتصادية، وتحرير التجارة العالمية.

إنها باختصار ، دعوة إلى وقف تدخل الدولة المباشر ، وتحرير رأس المال من كل قيد، انسجامًا مع روح الليبرالية الجديدة التي هي في جوهرها ظاهرة رأسمالية تنتمي إلى حرية الملكية والسوق والبيع والشراء ، ومنطقها الحتمي يؤدي إلى التفاوت الصارخ في الملكية والثروة لا إلى المساواة .

في ضوء هذه السياسات ، اندفعت آليات الصندوق والبنك الدوليين ومنظمة التجارة الدولية WTO ، وبحماس بالغ، في الترويج لهذه الليبرالية ، بل والضغط على كافة دول العالم عموماً والعالم الثالث على وجه الخصوص، للأخذ بالشروط الجديدة تحت شعار برامج التصحيح والتكيف التي تمثل كما يلخصها الباحث (رمزي زكي) " أول مشروع أممي تقوم به الرأسمالية العالمية في تاريخها، لإعادة دمج بلدان العالم الثالث في الاقتصاد الرأسمالي من موقع ضعيف، بما يحقق مزيداً من إضعاف جهاز الدولة، وحرمانها من الفوائد الاقتصادي، وهما الدعامتان الرئيسيتان اللتان تعتمد عليهما الليبرالية الجديدة "².

¹ ظهر في العقدين الأخيرين في الولايات المتحدة وبريطانيا مذهب اقتصادي إيديولوجي سمي بـ "الليبرالية الجديدة". ولعل أهم عنصر جديد في هذا المذهب هو دعواه الإيديولوجية التي تبشر بنموذج جديد للدولة، تمارس السلطة فيه على أساس مبدأ "الكوفيرنانس" governance، على غرار شركات المساهمة في النظام الرأسمالي ذي التقاليد الأنجلوساكسونية، حيث يمارس حملة الأسهم نوعاً من "الرقابة" والتوجيه، عند توزيع الأرباح، بهدف دفع المدراء إلى العمل على تحقيق أقصى قدر من الربح للمؤسسات التي يتولون تسييرها. وهذا النوع من ممارسة السلطة في إطار من الرقابة التي يقوم بها المعنيون بالأمر هو مضمون "الكوفيرنانس"، وهي كلمة إنجليزية مشتقة من Govern التي تعني في آن واحد "الحكم". بمعنى ممارسة السلطة (الحكومة Government) والرقابة والتوجيه Control . إذن فنموذج "الحكم" الذي تبشر به "الليبرالية الجديدة" يهدف إلى تقليص دور الدولة بحيث تكون مهمتها القيام بالتسيير تحت توجيه ومراقبة أولئك الذين يوازي وضعهم إزاءها وضع حملة الأسهم بالنسبة للمديرين في الشركات الكبرى محمد عابد الجابري :

[On-line]. <http://www.sudaneseonline.com>. 02/01/2013, 18:16 h.

2 رمزي زكي : الليبرالية المستبعدة . ط 1، سيناء للنشر ، القاهرة، 1993 ، ص40

7-2 العالمين العربي والإسلامي في ظل التغيرات الدولية الجديدة :

العالم العربي جزء لا يتجزأ من العالم الثالث، لذا فإن النظام الدولي ألقى بظلاله الثقيلة وأثر بشكل مباشر على هذه المنطقة برمتها، ربما أكثر من أي منطقة أخرى لعدة اعتبارات جغرافية ، اقتصادية، سياسية، ثقافية، وإستراتيجية... فالعالم العربي شكل ولا يزال يمتلك أهم موارد الطاقة التي لا تستطيع الولايات المتحدة أو الدول الغربية بصفة عامة الاستغناء عنها، فضلا على ضمه بين جنباته أهم حليف استراتيجي للغرب وللولايات المتحدة على وجه أخص، الكيان الصهيوني، الذي اعتبره الرئيس الأميركي (جورج بوش الأب G.Bush) " الحقيقة الفاعلة في الشرق الأوسط، التي يجب أن يقرها الجميع، ولا بد أن يكون لها رأي ودور في أزماته".¹ وتعبيرا عن ذلك أعلن أمام الكونجرس الأميركي في السادس من مارس (1991) وبمناسبة انتصار قوات التحالف وتحرير الكويت، وإعلانه بداية النظام العالمي الجديد، الأهداف العاجلة للسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، وهي كالآتي :

✓ الدعوة إلى بناء نظام إقليمي آمني .

✓ تقييد سباق التسلح في الشرق الأوسط .

✓ إنهاء الصراع العربي الإسرائيلي وتسويته، وفق الرؤية الأمريكية بطبيعة الحال.

✓ إرساء أسس وقواعد الحرية التجارية والرخاء لكل الشعوب في المنطقة.²

وهي أهداف لا تعدوا أن تكون مجرد شعارات وتروج لها الإدارة الأمريكية خاصة بعد تزايد ووضوح الأهمية الإستراتيجية لمصالحها في المنطقة، بما يدفع في الحقيقة نحو إشاعة فوضى جديدة تدعم عدم الاستقرار والتغير المستمر في المنطقة حتى تظل الولايات المتحدة قادرة على الضغط لحماية مصالحها وأوضاعها في المنطقة .

¹ محمد حسنين هيكل : سلام الأوهام ، أوصلو - ما قبلها وما بعدها. الكتاب الثالث ، إصدار دار الشروق ، الطبعة الثانية في أكتوبر عام 1996 ، ص 528 .

² George H. W. Bush : Address Before a Joint Session of Congress on the End of the Gulf War (March 6, 1991). **Presidential Speech Archive**.

[On-line]. <http://millercenter.org/president/speeches/detail/3430>. 11/01/2013, 01:06 h.

لقد أيقنت الولايات المتحدة، أن العالم العربي من أوائل المواقع التي يجب أن تختبر فيها قدرتها على تحقيق أهدافها المرتبطة بإعادة العالم بما يخدم مصالحها وسياستها وبما يكرس موقعها كدولة أولى في العالم، وقد كان لسقوط الاتحاد السوفيتي وانهاره ابرز الأثر على تحجيم القدرات والإمكانات العربية المتاحة استراتيجيا وعسكريا واتسم الوضع العربي العام بالتدهور في إمكانياته وموارده بصورة غير مسبقة، بل إن هذا التدهور قد أوشك على أن يمتد ليشمل قدرة النظام العربي على الاحتفاظ بإطاره المؤسسي التقليدي، خاصة في أعقاب حرب الخليج الثانية وما ارتبط بها من انهيار الثقة وتزايد المراتم المتبادلة والتشوهات التي أصابت الصورة العربية العامة.¹

وهكذا فقد كان لزاما على الولايات المتحدة - وقد سنحت لها الفرصة على ضوء تفاعل كل المتغيرات السابقة - أن تسارع إلى الإمساك بخيوط المواقع الإستراتيجية في العالم، على رأسها الوطن العربي ومن ثم ضرورة المبادرة بالسعي نحو إقرار السلام أو الحرب - وفق الرؤية الأمريكية- في هذه المنطقة ذات الأهمية الإستراتيجية والاقتصادية والسياسية للمصالح الأمريكية بوجه خاص، وللمصالح الغربية بوجه عام.

وكان للبعد الثقافي والحضاري في خضم هذه التحولات الدولية الأثر البار على البلاد العربية والإسلامية، فبالنظر إلى طبيعة الصراعات التي أريد لها أن تكون على أرض العالم العربي والإسلامي، تبرز بشكل واضح تجلياتها الدينية والعرقية والقومية (الخليج، البلقان، القوقاز، جنوب شرق آسيا، البوسنا، الشيشان، كوسوفا، كشمير، تيمور الشرقية، جنوب السودان، دار فور، السودان، الصومال، إقليم سيكيانق، أكراد تركيا... إلخ.²

وداخليا كان لميلاد النظام الجديد وتداعياته الاقتصادية والسياسية والإعلامية الأثر البالغ في تراجع دور المؤسسات الدينية والثقافية والاجتماعية في المجتمعات العربية، تلك العملية التي كان يفترض أن تكون أكثر عراقة وتأثيرا في تطور وإدارة مجتمعات الوطن العربي، بعد كفاحها المرير من أجل استرداد الحرية والاستقلال، لكن الذي وقع كان عكس ذلك تماما بفعل الاختراق الكاسح للعمليات الاقتصادية والإعلامية والثقافية التي تولدت عن هيمنة النظام الدولي الجديد، وبات واضحا أن الاختراق الثقافي يعمل على تهديد منظومة القيم

¹ Marlin Indylc : « Watershed in the Middle East ». **Foreign Affairs**, Vol 8 . 1991/ 1992, [On-line]. <http://www.foreignaffairs.com/archive>. 11/01/2013, 01:06 h.

² ينظر نادية محمود مصطفى : « العالم الثالث في النظام الدولي لما بعد الحرب الباردة » . مجلة العدير، العدد 60، دار الفلاح للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، خريف 2012، ص ص 18-20.

الأصيلة، ويشكل نوعاً من الازدواجية الثقافية التي تجمع فيها تناقضات الأصالة والمعاصرة مما يؤدي إلى تهميش أو تغيير ملامح الثقافة الوطنية العربية- ذات الخصوصية الإسلامية في أغلبها- بل أبعد من ذلك كما يؤكد الاستراتيجي (توماس ماير T. Meyer) في دراسته حول عولمة الاقتصاد وتداعياتها السياسية، إن خطر تجليات النظام الدولي الجديد، يكمن في تأييده لنمو التيارات الأصولية المتشددة في دول العالم الثالث، وبخاصة في الدول العربية والإسلامية، كما أنه يقدم في الوقت نفسه دعماً للتيارات اليمينية المتطرفة في دول الشمال، لقد أدت تداعيات النظام الدولي الجديد إلى بروز التيارات المناوئة للهيمنة والاستغلال الذين كانا أبرز ملامح هذا النظام الجديد، وفي ذات الوقت ميلاد مظاهر العنف السياسي والديني على أشده، وهي ظاهرة جديدة غير مسبوقة تعبر عن إخفاقات وإحباطات محلية وإقليمية، ودولية.¹

أما التنمية فقد تعطلت- بفعل اقتصاد السوق والتكتلات الاقتصادية العملاقة، وسيطرة الشركات العابرة للقارات على الاقتصاد العالمي- جميع المشاريع التنموية العربية والقومية التي قامت بصورة أساسية على استراتيجيات السعي إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي... وغيرها من الاستراتيجيات التي تهدف لبناء استقلالية البلاد العربية عن الغرب، وانصرفت هذه المشروعات إلى الاهتمام بالمواطن وضرورة توفير حاجاته الأساسية على قدر استطاعتها، إلا أن هيمنة الاقتصاد العالمي وتداعياتها لم تسمح لمثل هذه المشاريع الممانعة إكمال مسيرة الطموح، وليس فقط في الجانب الاقتصادي في التنمية بل حتى مجالات البنية التحتية، وبناء المؤسسات والنظم القانونية، والشخصية الفردية للمواطن العربي كلها تعطلت وتراجع دورها بفعل عوامل داخلية متجذرة وعوامل أخرى خارجية على رأسها تداعيات النظام الدولي الجديد، وهو ما أدى في الأخير إلى انحسار تدريجي لسلطة الدولة، وفقدانها لكثير من أدوارها الوظيفية الأساسية، مما أدخل البلاد العربية في دوامة من فقدان الثقة بين الجماهير والقادة السياسيين، وأفقد الحكومات مصداقيتها.

و الأمر الآخر الذي ينبغي إدراكه هو أن " النظام الجديد" المبشر به ما انفك يؤثر سلباً في عمق بنية المجتمع العربي وهيكلته، وهو ما يظهر في تفكك قوى المجتمع المدني العربي،² ومنعه من المساهمة في تحقيق التوازن الداخلي...، فهو يسعى اليوم إلى تعزيز وتطوير وسائل للتدخل العسكر ولسياسي والثقافي حتى يمد في قدرته على التحكم بالمجتمع المدني العربي، ومحاولة السيطرة عليه من الداخل، ناهيك عن التأثير العكسي لدور الدولة

¹ ينظر محمد عابد الجابري : « العولمة والهوية الثقافية : عشر أطروحات ». ورقة مقدمة في إطار ندوة العرب والعولمة ، مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت بين 18 - 20 كانون الأول 1997. ص ص 297-308.

² نقصد المجتمع المدني كل نمط من التنظيم اجتماعي أو سياسي أو ثقافي خارج عن سلطة لدولة، يسدي وظيفة الوساطة تجاه كل سلطة قائمة.

في الوطن العربي، إذ أن بعض الدول قد تحولت بالفعل إلى عناصر في لمجتمع المدني العالمي وصارت، وكالات محلية لتنظيم عمل الشركات والقوى السياسية والاقتصادية والأجنبية، وبقدر ما تتنازل الدولة عن دورها السيادي ثقافيا وسياسيا واقتصاديا بقدر ما تفقد ولاء كثير من قطاعات ومؤسسات المجتمع المدني التي ربما تنجح في ظل عولمة تكنولوجيايات الإعلام والاتصال، وصيحات الحقوق الدولية، نحو البحث عن ولاء من الخارج أو ولاءات أخرى رمزية وحقيقية أكثر فعالية من الدولة .

- رغم احتواء العالم العربي على مكونات بناء نظام إقليمي عربي - اللغة، التاريخ، الحس العام، الامتداد الجغرافي- فضلا عن وجود مؤسسات إقليمية عربية كجامعة العربية، ومجلس الدفاع المشترك ... إلا أن افتقار هذه العناصر إلى التماسك والفاعلية، أدى بشكل واضح إلى ضعف الإطار المؤسسي للنظم العربية، عدم استقرار لعلاقة بين وحداته، وتنامي دعاوى التجزئة وزيادة التوقع القطري، وبروز أزمات عدم الثقة، وتباين الإمكانيات والأدوار، جعل الفاعلين في "النظام الدولي الجديد" يرفضون بتاتا أثناء التعامل التسليم بوجود نظام عربي إقليمي موحد، بل بقبول دوله القطرية أصلا أحيانا.

وبالتالي تم إسقاط المنطقة العربية و دورها ككتلة سواء على الصعيد الإقليمي أو الدولي ، و تجريدها من أي دور سوى الخضوع السياسي و استمرار تأمين المواد الخام ، و إقامة القواعد و الأحلاف العسكرية وفق ما حددته التوجهات و المخططات الأمريكية لمنطقتنا العربية ، ونكتفي هنا بالإشارة إلى المجالات الرئيسية لهذه التوجهات كما خطط لها في ظل ما سمي بالنظام الدولي الجديد :¹

أ- استمرار عملية التسوية و التطبيع مع إسرائيل و الدول العربية ، وفق الشروط الإسرائيلية -الأمريكية من " واي بلا نتيشن" إلى "حارطة الطريق" وصولا إلى "خطة شارون/أولمرت" الهادفة إلى إنهاء المشروع الوطني الفلسطيني بعد تحطيم ثوابته و أركانه الأساسية و مقوماته التاريخية و الشرعية الدولية .

ب- الإبقاء على الفوضى و زرعها في قلب العالم العربي، بداية بالعراق الذي تحول إلى ولاية أمريكية جديدة مروراً بدول الجوار ثم الأبعد فالأبعد، وذلك من أجل ضمان النفوذ والاختراق والسيطرة على ثروته النفطية، وإخضاعه للسياسات الجديدة وتعريضه لمحاولات التفتت الداخلي، علاوة على إخضاع وتكريس تبعيته للنظام الأمريكي وحليفه الصهيوني المسيطر.

¹ ينظر غازي الصوراني : العولمة والعلاقات الدولية الراهنة .

. [On-line] <http://www.kantakji.com/fiqh/files/economics/4013.doc>.11/01/2013, 01:06 h .

- ج- الوقوف في وجه أي إمكانية لأي شكل من التحالفات أو التكتلات العربية الاقتصادية و السياسية إذا حملت في طياتها حدا أدنى من التعارض مع مشروع الهيمنة الأمريكي .
- د- فرض السياسات الاقتصادية وفق مقتضيات التخصص و أيديولوجية الليبرالية الجديدة عبر مركزية دور القطاع الخاص في إطار تحالفه العضوي مع البيروقراطية العليا أو النظام الحاكم المعبر عن الطبقة السائدة في بلادنا، خاصة وأن القطاع الخاص في بلادنا العربية قد تحول- إلى حد كبير - إلى جهاز في خدمة النظام السائد ونظام العولمة الإمبريالي في آن واحد، بعد أن أُلغ هذا القطاع (الخاص) - في معظمه - كل علاقة له بالمشروع التنموي الوطني أو القومي، -ليس في كل الأقطار لكن نتحدث على العموم - وأصبح همه الوحيد الحصول على الربح ولو على حساب مصالح وتطور مجتمعاتنا العربية واستقلالها الاقتصادي.¹
- ه- دعم الكيان الصهيوني ، كركيزة إمبريالية صغرى متقدمة في المنطقة تضمن استمرار حماية المصالح الأمريكية المعولمة في بلدان الوطن العربي.

¹ ينظر غازي الصوراني : مرجع سابق. ص 27.

2-8 الفوضى العالمية الجديدة ... وتنامي تيار الجهادي الإسلامي

(الفوضى العالمية الجديدة) مصطلح أطلقه (بول سويزي P. M. Sweezy)¹ ليصف تداعيات ما بعد الحرب الباردة، فقد أدت تحولات العلاقات الدولية إلى استكمال مشهد مهم جدا من مشاهد هيمنة النظام الرأسمالي العالمي على مقدرات شعوب العالم، وجعلت من العالم بتنوعه وشساعته مجتمعا خاضعا، تسيطر عليه إرادة القوة العسكرية المسخرة لخدمة قوة الاقتصاد ورأس المال، وهي تحولات تعبر عن عملية الاستقطاب الملازم للتوسع العالمي للرأسمالية الذي رافقها على مدى القرون الخمسة الماضية من تاريخها، وسيلازمها - كما يرى سمير أمين- في أفق مستقبلها المنظور كله ما دام العالم سيظل مرتكزا على مبادئ الرأسمالية، إذ أن هذا الاستقطاب يتفاقم من مرحلة إلى أخرى، وهو يشكل اليوم - في ظل تداعيات النظام الدولي الجديد- ذلك البعد المتفجر الأكثر ثقلا في تاريخ تطور الرأسمالية، بحيث يبدو وكأنه حدها التاريخي الأكثر مأساوية، خاصة وأن العولمة قد تعمقت في السنوات الأخيرة عن طريق الاختراقات المتبادلة في اقتصاديات المراكز أساسا، بصورة همشت المناطق الطرفية التي أصبحت عالما رابعا².

لقد مهدت هذه التحولات الدولية إثر انتهاء الثنائية القطبية، التي شلت السياسة الدولية بالفعل عشرات السنين، لأول مرة ميلاد فرصة لوضع تصميم جديد لهيكل العلاقات بين الدول، لكن من سوء الحظ أن الفرصة التي أوجدها انهيار النظام القديم استخدمت فقط لضمان صيرورة الخضوع والقبول والتسليم العالمي بهذا الجديد، وذريعة من أجل تكريس مصالح القوى العظمى، ولكن بخطاب جديد يحمل بعبارات التنزيه والتجميل وتعداد الفضائل على جميع المستويات: المواقف السياسية والتحليلات الإعلامية وحتى الأكاديمية، خطابا لنظام لا يصدق عليه سوى وصف (بول سويزي P. M. Sweezy) " فوضى عالمية جديدة " حلت محل فوضى سابقة"، جاءت لفرض أنموذج واحد يحكم هذا العالم، اختزله (فوكوياما F.Fukuyama) في تصور "إجماع مرموق على شرعية الديمقراطية الليبرالية كنظام للحكم"³ حتى وإن وجد خلافها في أنظمة

¹ Paul M. Sweezy : « More or Less on Globalization » . Monthly Review, Vol 49, N° 4 September 1997:pp 3-4.

² ينظر سمير أمين : سيرة ذاتية فكرية . دار الآداب، بيروت، 1993، ص79.

³Francis Fukuyama : Op cite.p 7.

وثقافات أخرى، السياق يطرح المفكر (كوهلر هانس K. Hans)¹ أمام هذا البناء الجديد والدعايات المروجة جملة من التساؤلات الناقدة :

- ✓ إلى أي مدى يمكن تحقيق نظام جديد أساسا بهيكل النظام القديم؟
 - ✓ ثم ألا يستتبع إحلال نظام أحادي القطب محل نظام ثنائي القطب بعث سياسة القوة التقليدية لأن من الطبيعي أنه لا يمكن تحقيق الضوابط والتوازنات - التي هي شروط لازمة للديمقراطية وسيادة القانون - إلا في إطار نظام متعدد الأقطاب؟
 - ✓ ألم يكن بعث مجلس الأمن من سباته كفاعل على المسرح الدولي بعد عقود من الشلل في نظام ثنائي القطب قائما على الريبة المتبادلة والعوائق المتناوبة بناء على امتياز حق؟
 - ✓ أليس تفعيل " الأمم المتحدة " أكثر من مجرد نتيجة لشلل جميع القوى المنافسة في مجال سياسة القوة؟
 - ✓ كيف يتسنى للمرء أن يتحدث عن نظام جديد إذا كان صلب النظام القديم يعبر عن نفسه الآن بصورة أوضح وأكثر بروزا من ذي قبل؟
 - ✓ كيف يمكن نشر الديمقراطية بوسائل ومنطق غير ديمقراطي؟
 - ✓ وكيف يمكن للفلسفة السياسية أن تبرر إلغاء المبادئ المعيارية في الظروف التي يمكن فيها لهذه المبادئ أن تؤثر تأثيرا مباشرا في حياة البشرية، وخاصة عبر الأمم المتحدة على وجه التحديد؟
 - ✓ ولماذا لم يوسع مرمى الأصوات المطالبة بإشاعة الديمقراطية في العلاقات الدولية ليشمل منظمة الأمم المتحدة ذاتها؟
- هذه هي الأسئلة وغيرها كثير من الأهمية بمكان طرحها ليجد الإدعاء الأيديولوجي للنظام العالمي الجديد حظا من الاحترام.

وبالتالي كان يفترض في ظل التشهير لهذه " الفوضى العالمية الجديدة " إجراء تقييم ناقد لممارسات الواقع وتناقضاته، تقييما يقوم على نقد إنساني وأخلاقي وفلسفي للمفاهيم السائدة النظام، والمصلحة، التعاون، الشرعية، الحق، الديمقراطية وغيرها من المفاهيم المتعلقة بالحياة الكريمة للإنسان، لأن ما وقع بعد كل ذلك

¹ Koehler Hans : **The United Nations and the New World order**. Keynote addresses from the Second International Conference On A More Democratic United Nations. Studies in International Relations, XVIII. Vienna, 1992. [On-line]. <http://www.hanskoechler.com>. 11/01/2013, 01:06 h.

كشفت أن جميع الصفات التي وصف بها "النظام الدولي الجديد" من أنه نظام الأمن الجماعي، والاستقرار التام، والرخاء الشامل، والمساواة الكاملة... كان مجرد وهم ودعاية أقرب للخيال منها إلى واقع الحال، وكشفت معه أيضا أن المعالم الحقيقية لـ "النظام الدولي الجديد" تؤكد أنه لا جديد فيه حقا، بقدر ما هو فرصة لزيادة النهج والشراسة لقوى المال والاقتصاد والسياسة، يؤكد ذلك :

- تعتمد القوى العظمى استبطان ما لا تظهر، فأبعاد النظام العالمي الجديد أمر أقل وضوحا في التصريحات التي توجه في الاحتفالات إلى الجماهير منه في الوثائق التي لا يراد نشرها، كوثيقة البنتاغون الإستراتيجية السرية التي تصوغ المفهوم الرئيسي للنظام الذي سيسود بعد الحرب الباردة على أنه "سيطرة محسنة من قبل دولة واحدة"¹ وفي هذا السياق، ينظر إلى المهمة الحاسمة لسياسة الولايات المتحدة الدفاعية على أنها المحافظة على القوة العسكرية اللازمة "لردع أية دولة أو مجموعة من الدول عن تحدي صدارة الولايات المتحدة".²

- ثم إنه إذا أريد تبرير صفة "الجديد" بأي وجه كان، فيجب أن يكون له على الأقل هيكلية تميزه عن النظام السابق الثنائي القطب، فالتمييز الشكلي المحض - بين ثنائي القطب، وأحادي القطب، ومتعدد الأقطاب، مثلا - لا يمس ظاهرة ممارسة القوة إلا بصورة سطحية فقط. غير أن الفرق المحدد بينه وبين النظام السابق يمكن أن يكمن في مد آليات فاعلة، وحقائق لتطبيق العدالة والديمقراطية في العلاقات الدولية.

- وإذا أريد أن يكون في النظام العالمي الجديد، أي معنى فعليه أن يقبل فوق كل شيء حقيقة أن نفس المبادئ التي تصلح على الصعيد الوطني يجب أن تطبق على الصعيد الدولي أيضا.³ إلا ما المعنى أن تصبح هيئة أممية مثل "الأمم المتحدة" غير قادرة على ممارسة دورها المنشود والمعلن عنه، كما صرح أمينها العام آنذاك بطرس (بطرس غالي) قائلا: "إن القوى الكبرى هي التي تتحكم في المنظمة، وهي التي تقرر ما تريد حسب أهوائها ومصالحها، وما الأمم المتحدة إلا إطار قانوني لتقنين هذه المصالح وتنسيقها".⁴

- ازدواجية المعايير والكيل بمكيالين في كثير من القضايا الدولية، والأخص تلك التي يكون فيها للغرب - المقصود هنا الدول الكبرى صانعة القرار - مصلحة آنية أو إستراتيجية، ولا أدل على ذلك قضية الصراع العربي

¹ Dick Cheney : Defense Strategy for the 1990s " The Regional Defense Strategy". January, 1993. [On-line] http://www.informationclearinghouse.info/pdf/naarpr_Defense.pdf, 03/07/2013, 03 h:26.

² Koechler Hans : Op cite.

³ Ibidem.

4 ياسر أو شبانة : مرجع سابق، ص 49.

الإسرائيلي، فمن جهة صمت دولي رهيب وتستر مفضوح على جرائم الكيان الصهيوني الكبرى ضد الإنسانية، مقابل إدانة شديدة للهجة، وصریحة لكل عمل مقاوم يصدر من شعوب هذه المنطقة، بل أكثر من ذلك توفير غطاء الشرعية الدولية والدعم غير مشروط واللامحدود، وقضية احتلال على العراق، وقضية السودان، وأفغانستان، والتدخل في حل قضية البوسنة والهرسك، ولعل التأمل في مواقف وسلوكيات قيادة هذا النظام الدولي الجديد يلمح بشكل كبير العداء السافر للإسلام وقضايا المسلمين الكبرى (مثل مواقفه في : السودان، الصومال، البوسنة والهرسك، الشيشان غيرها).

- كان ينتظر من هذا النظام العالمي الجديد أن يكون فضاء بديلا للسلام والأمن الدوليين خاصة بعدما التفت المجتمع الدولي إلى قضايا ومشاكل دولية جديدة لا تخلوا من أهمية وخطورة في الآن نفسه، كالمشاكل الناجمة عن التحولات الديمقراطية أو خرق حقوق الإنسان أو الصراعات العرقية والإثنية، والمشاكل البيئية والإرهاب والهجرة وتهريب الأسلحة والمخدرات والجريمة المنظمة والأمراض الفتاكة... التي تجاوزت مخاطرها وتداعياتها حدود الدول، ويكون كذلك فرصة لاشتراك المواطن، ليس فقط في الدولة التي ينتمي إليها، وإنما كذلك في الهيئات السياسية العالمية، أكثر من أن يكون وينحصر في مجرد " نمط من أنماط علاقات القوة بين الدول ".

وفي ضوء هذه الخلفية نجد أن الاستياء من الأشكال التي تتخذها سياسات الهيمنة الجديدة تحت عنوان نظام عالمي أكثر عدلا هو استياء في محله. وقد عبر عن هذا الشعور بالإحباط، بوجه خاص، ممثلو العالم الثالث، وكان أكثر هذه التعبيرات دقة ما جاء على لسان وزير خارجية " زيمبابوي " في اجتماع مجلس الأمن على مستوى القمة في (31 جانفي 1992) قوله " إن الغرب هو الذي يحدد الملامح الرئيسية لهذا النظام بقوته المهيمنة وينفذه بطريقة انتقائية على هواه من خلال النظام الداخلي لمجلس الأمن " ¹.

- حاول الغرب عن طريق الحلف الأطلسي تصدير عناوين، ومصادر الخطر (العدو) العالمي القادم في ما يلي : الإرهاب، أسلحة الدمار الشامل، انتشار الصواريخ البعيدة المدى، إضافة إلى مصادر خطر أخرى تتجاوز الجانب الأمني العسكري إلى الجانب الاقتصادي، والثقافي والديني.... ولا شك أن جميع ذلك (أو معظمه) واقع في نطاق المنطقة العربية الإسلامية التي يجب السيطرة عليها وضبطها بمعادلات خاصة.

- من ذلك استمر وبجدة مفهوم، العالم العربي-الإسلامي يمثل بحكم التاريخ والجغرافيا والقيم، الآخر الحضاري والثقافي بالنسبة للغرب، بينما تمثل روسيا والصين الآخر الإستراتيجي، مع التمييز بين قابلية إعادة

¹ Koechler Hans :Op cit.

صياغة الهندسة الأمنية في أوروبا بالتعاون مع روسيا، وليس ضدها أو على حسابها، وبقاء العلاقات مع الصين مفتوحة تجاه تطورات مستقبلية.¹

هذه المزالق التي اتسم بها " النظام العالمي الجديد " بعد نهاية الحرب الباردة، جعلت منه عرضة للانتقاد، بل وولدت لدى الكثيرين في العالم عقد الكراهية والمعاداة، خاصة وقد بدأت تتشكل معه بوضوح معالم المشهد العالمي، الضعف مقابل القوة، الاستكبار مقابل المذلة، وما يزيد المشهد جلاء - كما يشير بروس لورانس (B. Laurence) - أن معظم المستفيدين من المرحلة هم كبار العالم السبعة، وبالتالي نحن نتحدث عن لحظة تاريخية هيمنت فيها أنظمة مسيحية على العالم، ومن وجهة نظر إسلامية لن تؤخذ بعين الاعتبار المصالح الإسلامية،² لكن السؤال الذي يطرح نفسه في ظل هذه الإخفاقات للنظام العالمي الجديد والفوضى العالمية، وفي ظل الهيمنة المسيحية على العالم، وضياع مصالح المسلمين، من يجرأ على رفع المظالم؟ أهى الأنظمة أم الشعوب أم جهات أخرى؟ حتى نهاية التسعينيات لا الأنظمة بأموالها ومؤسساتها وقواتها، ولا الشعوب أيضاً، فمن لمصالح المسلمين؟ .

الإجابة لم تكن صعبة على تيار شق طريقه - منذ ثمانينيات القرن الماضي وربما قبلها - في إحياء ما يسميه " فريضة الجهاد الغائبة "، وتقاطعت الظروف الدولية في مساره ليبرز مع نهاية الحرب الباردة وإفرازات العولمة لأول مرة كشبكة لتنظيم عالمي، مدجج بوسائل وأسلحة متطورة وقوة إعلامية وخطابية استقطبت الآلاف من الأنصار والمظلومين، وساهم في بروزه زعماءه الذين سلقتهم التجارب في حروبهم وتحالفهم مع القوى الدولية العظمى على رأسها الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية، طيلة أكثر من عقد من الزمن، جزء وذلك لاعتباره - كما يصفهم أحد الباحثين الأمريكيين - " جزءاً لا يتجزأ من المصالح النفطية والغازية في المنطقة "،³ ذلك هو " تنظيم القاعدة " بقياداته ومراجعته الاستثنائيين (الملا عمر، أسامة بن لادن، أيمن الظواهري.... زعامة روحية، تنفيذ عسكري، تخطيط استراتيجي)، وينطلق التنظيم من مبدأ أن هناك تحالفاً

¹ عبد النور بن عنتر وآخرون : حلف شمال الأطلسي في عامه الستين نظرة استشرافية .. وموقع العالم الإسلامي . منشورات مكتب الجزيرة للدراسات، يوليو/تموز 2009، ص 33

² ينظر بروس ب. لورانس : تحطيم الأسطورة " تحطيم الإسلام للعنف " . ط 1، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، 2004، ص 278.

³ جان شارل بريزار ، غيوم داسكيه : ابن لادن " الحقيقة الخطورة " . تالة للطباعة و النشر، ليبيا، 2002، ص 11.

مسيحيا - يهوديا يتآمر لتدمير الإسلام، وبالتالي وجب " إهتاء النفوذ الأجنبي في البلدان الإسلامية، وإنشاء خلافة إسلامية جديدة ".¹

جدير بالإشارة أن بروز هذا التنظيم الجهادي، كان في سياق مسار أعم ومتقدم عنه، والذي انطلقت الشرارة الأولى له منذ ستينيات وسبعينيات القرن الماضي، مع أفكار (أبو الأعلى المودودي، سيد قطب، ثم عبد الله عزام، أسامة بن لادن، أيمن الظواهري ...) ومنهم تكون الأساس الحركي للتيار الجهادي متخذا من فقه " ابن تيمية " - ومذهب الحنابلة - أساسا شرعيا له .

والحقيقة أن قوة التيار الجهادي واستمرار صعوده كان مترامنا مع المؤشر الأمريكي، وكأتهما خطان متوازيان انطلقا من نفس المستوى ليلتقيا في الوسط وكل منهما في أوج قوته! أهم ما يميز هذا التيار الجهادي،² كونه بني نفسه من خلال التجارب الحية ولم يبق أسير النظريات العقيمة والتي كثيرا ما قيدت غيره من الحركات والتيارات والجماعات في العالم الإسلامي (الصوفية، الدعوة والتبليغ، السلفية العلمية، الإخوان، النهضة...) ، وهذا ما جعله يتميز عن حل الحركات الإسلامية الموجودة في العالمين العربي والإسلامي، إن من حيث البنية أو المرجعية أو الوسائل، أو الأهداف ...، ففي حين يبدو البرنامج الديني الخاص بالقيادة سلفيا في الأساس، إلا أن مظلة التنظيم وقاعدته تتسعان على نحو كاف لتشمل طوائف متنوعة من مدارس الفكر والميول والتوجهات الدينية والمذهبية والسياسية المختلفة (مالكية، حنابلة، أحناف، ظاهرية، صوفية، إخوانية، وهابية ... باستثناء الشيعة).³

وبهذا اندمجت القدرات التنظيمية (للظواهري)، مع القدرات القيادية (لأسامة بن لادن)، وفي سياق تدفقات العولمة الإعلامية والاتصالية والاقتصادية الجديدة، لبدأ التخطيط لاستهداف جميع مصالح التحالف

¹ ينظر عبد الباري عطوان : القاعدة، التنظيم السري . ط1، دار الساقى، بيروت، لبنان، 2007، ص ص 4-3 .

² الواقع أن حصر فقه هذا التيار في " فقه ابن تيمية " فيه من التقصير ما فيه، فالتيار يتوسع امتداده الفقهي ليرتكز في مذهب الحنابلة بصفة أعم، فضلا على خصوصية بعض فناويه التي خص بها منهجه الجهادي وخالف فيها آراء ابن تيمية و الحنابلة، بل خالف فيها جماهير فقهاء المسلمين، ومما ننوه به أن فكر وفقه التيار الجهادي قوبل بالنقد والتضعيف من قبل هيئات، ومنظمات إسلامية، وعلماء كبار في العالم الإسلامي على غرار : الشيخ يوسف القرضاوي رئيس منظمة المؤتمر الإسلامي ، الذي قدم مؤلفا بعنوان : فقه الجهاد... دراسة مقارنة لأحكامه وفلسفته في ضوء القرآن والسنة"، عرض خلاله التأصيل الشرعي لأحكام الجهاد في الإسلام، ورد فيه على اجتهادات مراجع التيار الجهادي، وقد رفض تنظيم القاعدة وقد رفضت مواقع تنظيم القاعدة على شبكة الإنترنت اجتهادات القرضاوي باعتبار أنها تهدم الأساس الفكري والشرعي الذي قامت على أساسه، ينظر : يوسف القرضاوي : فقه الجهاد " دراسة مقارنة لأحكامه وفلسفته في ضوء القرآن والسنة " . ط3 ، مكتبة وهبة، القاهرة، 2010.

³ ينظر عبد الباري عطوان : مرجع سابق، ص 324.

المسيحي الصهيوني - في نظر التنظيم -، وعلى رأسها المصالح الأمريكية السياسية والاقتصادية والعسكرية والمدنية في أي بقعة كانت من الكرة الأرضية، بعد أن توصلت قيادة التنظيم إلى أن الطريق إلى "الجهاد" ضد الأنظمة المرتدة، وتحرير المقدسات يمر حتماً بمواجهة أمريكا.. وبدأت باكورة عمليات - هذا التنظيم - في تفجيرات العاصمة "الرياض" عام (1995)، ثم "الخبر" عام (1996) في المملكة العربية السعودية، ثم تفجيرات سفارتي "أمريكا" في "نيروبي" و"دار السلام" عام (1998) وأسفرت العملية عن (224) قتيل وسببت ذهولاً عالمياً كبيراً لاستهدافها مركز الاستخبارات الأمريكي الرئيسي في القارة الإفريقية، ثم نثت بضرب نوعية بالصواريخ للمدمرة الأمريكية "يو أس أس كول" قبالة شواطئ "عدن" في صيف عام (2000) أسفرت مقتل (17) جندياً أمريكياً وتدمير المدمرة في موقعها.¹

ومنذ ذلك التاريخ ونشاط هذا التيار يزداد فعالية وتوسعاً، خاصة وقد استفاد إلى حد بعيد مما وفرته الثورة الاتصالية والمعلوماتية، على رأسها شبكة الانترنت الدولية، التي شكلت الحوض الآمن والواسع للتيارات جميعاً، وتنظيم القاعدة على وجه الخصوص، فقد كانت تحوي جل نشاطاته وخطاباته وحتى خططه وتطلعاته، ولعل جميعنا يذكر كيف استغل تنظيم القاعدة وبالذات القيادي (أسامة بن لادن) شبكة الانترنت في توصيل خطاباته إلى القنوات التلفزيونية والإذاعية بشكل غير مسبوق، كما استفاد هذا التنظيم من تعفن الوضع الدولي والفوضى العالمية التي خلفها ما سمي بالنظام الدولي الجديد، ليجد نفسه في مركز القوي الضاري، وأكبر مصدر لقوته كمن في سريره وتخفيه وقوت شبكة علاقاته، زيادة على قوة خطابه في التأثير على الشباب المتحمس، والمقهور والناقم على السياسة الدولية، لهذا وصلت إلى مراكز الأمن القومية والمخابرات العالمية العديد من التقارير السرية التي تحذر من إمكانية قيام التيار الجهادي، وخاصة تنظيم القاعدة بمجمعات على الولايات المتحدة، منها مذكرة تلقتها وزيرة الخارجية الأمريكية (رايس C. Rice) من مدير "السي آي آي" (جورج تنت J. Tente) في (28 حزيران/جوان 2001) مفادها: من المرجح جداً أن يحصل هجوم كبير من القاعدة في المستقبل القريب، خلال عدة أسابيع" وفي تموز/يوليو أعلم وزير الخارجية لطالباني المسؤولين الأمريكيين بأن (أسامة بن لادن) يخطط لهجوم كبير داخل الولايات المتحدة وأن الهجوم وشيك وسيقتل الآلاف"، غير

¹ دون مؤلف: الصراع العالمي ومكان التيار الجهادي منه. مركز دراسات مفكرة الفلوجة، قسم الدراسات التاريخية والتوصيات الإستراتيجية، العراق، 2009، ص 15-18.

أن هذه التقارير - على حسب الروايات الرسمية - كانت مبهمة وغير متحقق منها فضلا ألها لم تحدد الزمان والمكان، لذلك لم تؤخذ محلل الجدل من قبل الاستخبارات العالمية عموما والأمركية على وجه الخصوص.¹

وفي يوم الثلاثاء الحادي عشر من سبتمبر (2001 سا) كل شيء كان يوحي بأنه سيكون يوما كغيره من أيام هذه المعمورة،² وما إن دقت عقارب الساعة تمام (56:12 سا) صباحا، إذ بأنظار العالم أجمع تتجه صوب محطات الأخبار وقنوات التلفزيون وهي تنقل بالبث الحي وعلى المباشر، تفاصيل مشهد من أعظم المشاهد درامية وخطورة وجرأة على أرض، وفي سماء أعظم قوة في العالم، طائرتان تحلقان ثم ترتطمان ببرجي مركز التجارة العالمي بمنهاتن، دقائق معدودة وينهار البرجان بمن فيهما، أمام صدمة ودهشة الجميع، محدثين هلعا وفوضى دخان وضباب غطى المكان برمته، ثم طائرة أخرى تجارية تابعة لشركة "أميركان إيرلاينز" تضرب جزءا من مبنى وزارة الدفاع الأميركية "بواشنطن"، وأخرى لشركة "يوناييتد إيرلاينز" تحطمت في "بنسلفانيا"...، أحداث جسيمة ومروعة هزت العالم قاطبة دون سابق إنذار، في قصة أشبه ما تكون بروايات الخيال العلمي الذي برز فيه الأميركيون وتفوقوا على البشرية جمعاء، فما تعرضت له الولايات المتحدة الأميركية يمثل انتكاسة حقيقة للقوة والغطرسة والدعاية والعظمة الأميركية العالمية القائدة والموجهة لسياسات العولمة والمحددة لأيديولوجياتها التي سعت لإعادة تشكيل موازين القوى الإقليمية والدولية بعد الحرب الباردة، ومحصلة في نفس الوقت لسياسات الفوضى العالمية الجديدة، وإن كانت الأحداث في جوهرها عملا مرفوضا من الرؤية الإسلامية كما أفتى بذلك العديد العلماء والمنظمات والهيئات والمؤسسات الإسلامية العالية الرسمية وغير الرسمية،³ كونها من أخطر الأعمال إجراما ضد الإنسانية، وخدمة للقوى الغربية المعادية للإسلام والمسلمين، وضررها أكثر من نفعها،⁴ فاتخاذ البراءة دروعا بشرية في هجوم لقتل الآمنين وترويعهم، ثم التضحية بحياة الآلاف لإعلاء راية الإسلام، أمر يصعب تصنيفه في خانة الإسلام دين السلام، فمن مات ليس بالضرورة كان محاربا أو ناقما على الإسلام والمسلمين، وكثيرون منهم مسلمين وأبرياء ولا شأن لهم بالسياسة الأميركية،

¹ دافيد راي غريفين : شبهات حول 9/11 (أسئلة مقلقة حول إدارة بوش وأحداث 9/11) . (تر) مركز التعريب والترجمة، ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، 2005، ص 121.

² حسب الروايات الرسمية، لأن الروايات غير الرسمية من جهات عدة تشكك في ذلك، وتعتقد أن يوم الثلاثاء هذا لم يكن عاديا ابتداء، إذ الحقائق الموضوعية التي سبقته أو المرافقة له ترفع عنه كل صفة تجعل منه عاديا .

³ ينظر عبد الله بن بية : الإرهاب التشخيص والحلول . مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، 2007، ص 7-11.

⁴ شفيق المصري : « الإرهاب في ميزان القانون الدولي » . مجلة شؤون الأوسط، العدد 74، مركز الدراسات الإستراتيجية، بيروت، تموز 2002، ص 46.

بل ومنهم كثيرون مسلمون رافضون وكارهون للولايات المتحدة وغطرستها ماتوا تحت الأنقاض، فأى يدين
ييح قتل أتباعه وأنصاره، فضلا على أن خطف الطائرات والاستيلاء عليها يشكل فعلا مخالفا لكل القوانين
الوطنية والأعراف الدولية،¹ والتي أقر الاسلام كثير منها بمبادئه وكتلياته السمحة .
لقد وفرت الأحداث منذ إعلان الولايات المتحدة الأمريكية بداية حربها على الإرهاب الإسلامي، المظلة
الموضوعية وحتى الشرعية لتنفيذ العديد من الخطط والمؤامرات الغربية التي كثيرا ما علقت للأسباب أو لأخرى،
كما أعطت الضوء الأخضر لتدخل القوى العظمى في الشؤون الداخلية والخاصة للبلدان العربية والإسلامية،
ووضعت الأمة الإسلامية برمتها على المحك، وأضحت بتاريخها ونظمها وجغرافيتها وشعوبها وثقافتها ودينها
محلا للمساومة والاختراق والنهب والتدمير من قبل القوى العالمية والإقليمية المتنفذة.

¹ نصت الاتفاقية الدولية لقمع الهجمات الدولية - قرار الجمعية العامة رقم 164/52 المؤرخة في 10 كانون الأول 1997- في مادتها الثانية على ما يلي: (يعتبر أي شخص مرتكبا لجريمة في مفهوم هذه الاتفاقية إذا قام و بصورة غير مشروعة و عن عمد بتسليم أو وضع أو إطلاق أو تفجير جهاز متفجر أو غيره من الأجهزة المميته داخل أو ضد مكان مفتوح للاستخدام العام أو مرفق الدولة أو حكومة...، حيث يسبب هذا الدمار أو يرحح أن يتسبب في خسائر اقتصادية فادحة...).

Pierre Klein : **International Convention for the Suppression of Terrorist Bombings** .
New York, 15 December 1997, United Nations Audiovisual Library of International Law. ,
Office of Legal Affairs. United Nations, 2008. P1.

الفصل الثالث

أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وتداعياتها
الدولية

1-3 السمات العامة لأحداث الحادي عشر من
سبتمبر.

2-3 المقاربات التحليلية في تفسير أحداث
الحادي عشر من سبتمبر.

3-3 التداعيات الفكرية والإستراتيجية
للسياسة الدولية بعد أحداث الحادي عشر من
سبتمبر 2001 .

4-3 المقاربة الثقافية في الحرب على
الإرهاب بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

5-3 التداعيات المؤسسية والقانونية لأحداث
الحادي عشر من سبتمبر على العالم.

6-3 التداعيات الأمنية والعسكرية لأحداث
الحادي عشر من سبتمبر على العالم.

7-3 التداعيات الاقتصادية لأحداث الحادي عشر
من سبتمبر على العالم.

3-1 السمات العامة لأحداث الحادي عشر من سبتمبر

يعد يوم الثلاثاء الحادي عشر من سبتمبر (2001) أحد أكثر أيام التاريخ اسودادا بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، إذ استيقظ العالم على مشهد درامي مهيب، لم يتوقعه أحد وقلما يتكرر عبر التاريخ، لقد تابع الملايين من البشر على المباشر، طائرتان مدينتان وهما تخرقان مركز التجارة العالمي في نيويورك، وأردتاه في غضون ساعة من الزمن إلى كومة من الأنقاض. والمركز يتكون من برجين، تمت أول هجمة في حوالي الساعة (8:46 سا) صباحا بتوقيت نيويورك، حيث اصطدمت طائرة الرحلة (11) المقلعة من "بوسطن" برج مركز التجارة العالمية الشمالي بنيويورك، المخطوفة بالبرج الشمالي من مركز التجارة العالمي، وبعدها بدقائق، في حوالي الساعة (9:03 سا)، اصطدمت طائرة الرحلة (175) المقلعة من "بوسطن" أيضا بالبرج الجنوبي، وبعد ما يزيد عن نصف الساعة طائرة الرحلة (77) من نفس الخطوط والمقلعة من "واشنطن"، رجعت علي عقبيها "لواشنطن" وقصدت مبنى البنتاجون (وزارة الدفاع الأمريكية).. كما تحطمت طائرة رابعة تابعة للخطوط المتحدة الرحلة (93) في "بتسبرج".

واستهدفت عمليات التفجير مصالح أمريكية حيوية (سياسية وعسكرية واقتصادية)، وخلفت (2973) ضحية، (24) مفقودا، إضافة إلى آلاف الجرحى والمصابين بأمراض جراء استنشاق دخان الحرائق والأبخرة السامة، وهو ما شل الحركة في البلاد على نحو لم تشهد له مثيلا، حتى أثناء الحرب العالمية الثانية أو حرب "الفيتنام"، وشكلت هذه الهجمات الضربة الأقوى التي أهابت هذا البلد منذ الهجوم الياباني على قاعدة "بيرل هاربر" البحرية سنة (1941م).

لقد شكلت هذه الاعتداءات كما يصفها (فوكوياما F.Fukuyama) صدمة رهيبة للعقل الأمريكي الذي بدا عاجزا عن استيعاب هذه الهزة العنيفة، التي كشفت عن شعور عارم يفضح هشاشة أكبر الأجهزة الأمنية والمخابراتية عبر العالم، ضد خطر يكاد يكون بدائيا، لا يتركز في كيان قومي أو إقليم دولي محدد، وبدا واضحا منذ الوهلة الأولى أن الأمور ستتغير بشدة نحو بناء إستراتيجية جديدة تتلاءم مع هذه التحديات غير المسبوقة بعد تفجيرات مست الدولة العظمى في عقر دارها، وبوسائل غير مألوفة لديها.¹

ومن أجل فهم أشمل، جدير بنا الإشارة إلى السياقات والسمات والملامح الخاصة التي ميزت الحدث منذ تفجره عشية الثلاثاء الحادي عشر من سبتمبر (2001) بالولايات المتحدة، والتي يمكن حصرها في الآتي :

¹ Francis Fukuyama : « l'Etats-Unis » . **Le Monde** , N° 17620 , Le 19 septembre 2001. P12.

✓ أن الهجوم أصاب مواقع حيوية وإستراتيجية، تشكل الرموز العسكرية والسياسية والاقتصادية، الأكبر في العالم، وهو ما أثر بشكل مفضوح على مكانة الولايات المتحدة الأمريكية وهبتها من الناحية الدولية، وانهارت بذلك كثير من المزاعم الأمنية الأمريكية، التي كانت تتناقلها وسائل الإعلام المختلفة عبر الأخبار والأفلام والروايات.

✓ وجدت القيادة الأمريكية نفسها ملزمة بالخروج للعالم بموقف يحفظ ماء الوجه، ويرد كرامة الأمريكيين والغرب المتحضر عموماً، فأعلنت غداة الأحداث على لسان مستشارة الرئيس " إن الهجمات ستغير نظرة الولايات المتحدة للعالم... وهذا الحدث سيغير الأمور بشكل عميق بالنسبة لنا جميعاً " ¹ وبعدها بيومين أعلن (الرئيس (جورج بوش الابن G W. Bush) ، دفع القيادة الأمريكية إلى القيام بمراجعة شاملة لمفهوم الأمن الداخلي ومؤسساته وبرامجه ضمن استراتيجيات جديدة، تأخذ في حسابها التهديدات الداخلية بالقدر نفسه الذي تأخذ به التهديدات الخارجية " ² وبعد أقل من (24) ساعة على الأحداث، أعلن حلف شمال الأطلسي أن الهجمة على أية دولة عضوه في الحلف هو بمثابة هجوم على كافة الدول التسع عشرة الأعضاء. ³ وكان لهول العملية أثراً على حشد الدعم الحكومي لمعظم دول العالم للولايات المتحدة ونسي الحزبان الرئيسيان في الكونغرس ومجلس الشيوخ خلافاً للداخلية.

✓ أن الهجوم لم ينطلق من دولة، ولم ينفذه عدد محدد محدد، يمكن الرد عليه وإلحاق الهزيمة به، بما يعيد للولايات المتحدة الأمريكية هيبتها، ومكانتها، وبالتالي لم يكن أمام الولايات المتحدة في هذا الموقف سوى الإعلان عن حرب، ضد ما أسمته الإرهاب والجماعات الإرهابية، وهذا يعني أن الرد لن يقتصر على هدف محدد يمكن القضاء عليه، وإنما يتعدى ذلك إلى ضرب كثير مما يعتقد أنها مراكز تجمع أو أراضيات وخلفيات للإرهاب، سواء كانت جماعات أو دول أو شعوب أو غير ذلك .

« Le " un ennemi différent de ceux qu'ils ont connus" ¹ Patrick Jarreau : « Les Américains face à Monde, N° 17615, Le 14 Septembre 2001.p4.

² Thomas Ferenczi : « La (guerre juste) contre le terrorisme ». Le Monde, N° 17621, Le 20 Septembre 2001,p 2.

³ Beatrice Gurrey : « Le PCF tire un trait sur quatre-vingts ans d'antiaméricanisme». Le Monde, N° 17616, Le 15 September 2001.p4

✓ أن الهجوم لم تتورط فيه دولة من الدول، لا بشكل مباشر أو غير مباشر، لأن حسابات الدول تختلف عن حسابات الأفراد، ولا يمكن دولة من دول العالم الراهنة، يمكنها المجازفة بهذا النوع من الهجوم، مهما كان عداؤها للولايات المتحدة، مما يرجح القول أن الفاعلين ليسو سوى أفراد يستبطنون عدا حادا لسياسات الولايات المتحدة.

✓ عادة ما كان البحث عن أعداء جزء من السياسة الخارجية للولايات المتحدة، وهناك الحاجة لتقنين المصاريف العسكرية الضخمة، والتدخلات الدولية المحتملة، فكانت أحداث الحادي عشر من سبتمبر، المشجب الذي تعلق عليه الولايات المتحدة تبريراتها، وتكرر من خلاله رسالتها للعالم، " فالقاعدة " هي الخطر الكبير الذي يهدد الغرب والاستقرار والأمن العالميين، وعلى العالم المتحضر أن يتحرك للقضاء على هذا الخطر.

✓ أن الهجوم لم يأت من خارج الولايات المتحدة وإنما من داخلها عبر مطاراتها وأجهزتها المدنية المختلفة، ما ينسف قدرات الأجهزة الأمنية الأمريكية، أو يورطها ويحملها مسؤولية التخطيط والتنفيذ لهذه الأحداث كما أشار إلى ذلك كثير من الخبراء¹، بالنظر إلى الدقة في التخطيط والتنفيذ.

✓ الهجمات استهدفت الولايات المتحدة الأمريكية ذاتها، دون غيرها من الحلفاء والدول الغربية، الأقل مما يعني أنها المستهدفة جراء سياساتها، أو أن التخطيط كان داخليا وربما خارجيا لكن لأجل التنفيذ في حدود الجغرافية الأمريكية، ولأسباب ومصالح أمريكية بحتة كما يذهب إلى ذلك (راهول مهاجان R.Mahagan وإريك لوران E. Laurent، دافيد راين قرينين D. R. Griffin، ومن العرب هشام كمال عبد الحميد).²

✓ الهجوم وان كان واقعا على الولايات المتحدة دون غيرها، إلا أنه كان يحمل رسالة إلى كل حلفائها مثل دول حلف الناتو، في الدوافع التي كانت ربما تقع وراءه، مثل سياسات الهيمنة والكيل بمكيالين في العلاقات الدولية، واستغلال إمكانات المستضعفين... ما جعل تلك الدول تعي بجدية أبعاد ما حدث، وتتوقع حدوث الأمر نفسه لها في أي وقت من الأوقات.

¹ David ray Griffin :**The New Pearl Harbour (disturbing question about the bush administration and 11 /9)** . Arabe Scientifique Publisher , 2005.

² ينظر : راهول مهاجان : مرجع سابق/ هشام كمال عبد الحميد: **11 سبتمبر صناعة أمريكية**. ط1، دار الكتاب العربي للنشر، دمشق، 2006

✓ أن الهجوم أدى إلى استنفار جميع الدول بلا استثناء، للوقوف صفا واحدا على المسؤولين عنه، ومواجهة آثاره وتداعياته، خاصة أن بعض الدول توقعت أن يكون هذا الهجوم له امتدادات أخرى، بحيث يمكن أن يشملها، بحيث لا تستبعد تعرضها لهجمات مماثلة في المستقبل .

✓ مباشرة بعد وقع الأحداث، ألصقت التهمة بالإسلام والمسلمين، وتم اعتمادهم رسميا كعدو، إذ غداة الأحداث أعلن الرئيس الأمريكي (جورج دبليو بوش G W. Bush) عن الحرب ضد الإرهاب و"القاعدة"، تحت مسمى " الحرب الصليبية الجديدة " مع مباركة أغلب أنظمة العالم، من أمريكا غربا إلى الصين شرقا مرورا بأوروبا الغربية والشرقية، ناهيك بالطبع عن الكيان الصهيوني، ولم يتوقف الأمر عند الأنظمة أو تصريحات السياسيين بل تعدى ذلك إلى وسائل الإعلام والمطبوعات والكتب وحتى المؤسسات الحقوقية والأممية والعلمية العالمية، ولا أدل على ذلك جائزة نوبل للأدب التي فاجأت العالم الإسلامي بتقليدها للكاتب البريطاني الجنسية، الترنيدادي الأصل (نيبول V. S. Naipaul)¹، المعروف بعنصريته وتجزئه الفاضح وسلطة لسانه على العرب والمسلمين.²

✓ الأحداث جاءت في ظل تقلد الجمهوريين أو من يطلق عليهم الإعلام " Evangéliques " الإنجيليون أو " المحافظون الجدد " أو " الصقور "، أو " اليمين المتصهين " سدة الحكم في الولايات المتحدة، مما يعني أن ردود الفعل ستكون حسب طبيعة وتصور هذا التيار لمعالم المرحلة المقبلة، وتيار المحافظين الجدد تمتد جذوره الأولى إلى سنوات الثلاثينيات من القرن الماضي، مع مجموعة من المفكرين اليهود الأمريكيين من أمثال (ليو ستروس L.Strauss، فيليب سالسانك P. Sellsenk، دانيال بال D. Bell...)، وصولا إلى (رونالد ريغن R. Reagan) و(جورج بوش G.W Bush)، ثم (جورج بوش الابن G.W Bush) وغيرهم ممن عرفوا

¹ فيديادور سورا جراساد نيپول Vidiadhar Surajprasad Naipaul: روائي بريطاني حائز على جائزة نوبل للأدب سنة (2001)، في لقاء له مع جريدة " Almondo " الإسبانية، شن هجوما عنيفا على الإسلام والمسلمين دعا فيه إجمادول عربية وإسلامية، كمصر والجزائر، دفع تعويضات العمليات التي وقعت في 11 سبتمبر (2001). وعن كل عملية "إرهابية"، كما اتهم العرب بأنهم " يريدون أن يمدوا صمت الصحراء إلى كل مكان، فهم أمة جاهلة لا تقرأ، وهم يقفون ضد الحضارة"، وأن المسلمين شعوبا "مليئة دائما بالحق، وهاجم العمليات الاستشهادية ضد الاحتلال الإسرائيلي قائلا: إن الأمر يتعلق بمتطرفين يحملون بدخول الجنة. ينظر :

[On-line] <http://ar.wikipedia.org/wiki>, 12/01/2013, 12:16

2 ينظر جلال أمين: عولمة القهر (الولايات المتحدة والعرب والمسلمين قبل وبعد أحداث سبتمبر 2001). ط2، دار الشروق، القاهرة، 2005، ص130.

وتميزوا بفلسفة وعقيدة قومية متصهينة، وجد متشددة وعنصرية،¹ يلخصها (فرنسيس فوكياما F. Fukuyama) في النقاط الرئيسية الآتية :

- الإيمان بقوة أمريكا وضرورة حضورها الدائم في العالم.
- التبديلات العسكرية وما يرافقها في النفقات الكثيفة لرفع مستوى التكنولوجيا العسكرية.
- تكريس القبضة الحديدية، واستغلال التفوق العسكري من أجل الاتساع المستمر عبر العالم للوجود العسكري الأمريكي.
- تبدل الأنظمة المناوئة، احتواء الأنظمة التي تدعن للأوامر الأمريكية .
- عدم الثقة في المشاريع الهندسة الاجتماعية الطموحة، والنتائج المشؤومة لجهود التخطيط الاجتماعي.
- ارتياب في مشروعية القانون الدولي وفي فاعليته وفي مشروعية مؤسساته وفي فاعليتها في تحقيق الأمن أو العدالة.²

✓ إضافة إلى العوامل السابقة وقعت أحداث سبتمبر في فترة كساد وركود اقتصادي أمريكي، وعالمي بحكم تبعية الاقتصاد العالمي للاقتصاد الأمريكي، وفي وقت صعدت فيه قوى المسيحيين المتدينين السياسية، وبما يحمله بعض قياداتهم من رؤى سلبية تجاه المسلمين وتجاه الشرق الأوسط، تماشياً مع إيمانهم بنبوءات آخر الزمان الإنجيلية، وفي فترة صعود لنفوذ المحافظين الجدد داخل أروقة السياسة الخارجية الأميركية، وتركيزهم الشديد على العالم الإسلامي والشرق الأوسط.

¹ Guy Sorman : **La Révolution conservatrice américaine**. Hachette, Paris, France, 1983, pp 7-10.

² Francis Fukuyama : **After The Neocons: America at the Crossroads**. Yale University Press, United states, 2006 pp 20-105

3-2 المقاربات التحليلية في تفسير أحداث الحادي عشر سبتمبر.

3-2-1 المقاربة الأولى، الأحداث انعكاس للقوة وفرصة للهيمنة الأمريكية على العالم.

يذهب أصحاب هذه المقاربة إلى الاعتقاد بأن الأحداث تعد تكريسا نهائيا للمسار البارز منذ نهاية الحرب الباردة، أي أنها امتداد لمشهد الهيمنة الأمريكية المطلقة على العالم، الذي كان يحتاج إلى خطر خارجي يوفر الغطاء الاستراتيجي والفاعلية الهجومية المستمرة، وقد أسعفت هذه الأحداث الأمريكيين بمنحهم ذريعة البدء بمخطط موضوع منذ سنوات، وتحديدًا بعد حرب الخليج التي اعتبروها محور التصور الأمريكي للقطب الواحد وأحادية المصلحة، والتحرر من الاعتبارات والأغلال التي سادت العالم قبل الأحداث، لقد كانت المناسبة فرصة طبيعية لرفع الميزانية العسكرية، وتطوير الأسلحة النووية والبيولوجية، وتوسيع القواعد العسكرية عبر العالم، وتغيير الأنظمة المناوئة، كل ذلك باعتماد فن التصوير الخطابي، ولو بشكل غير فعال وعلى شيء من القواعد الخلقية للتبريرات القانونية.¹

لعل من أبرز أنصار هذه المقاربة المفكر الأمريكي (راهول مهاجان R.Mahagan)، صاحب مؤلف " السلطة المطلقة "، و(وليم بلوم W. Bloom) في مؤلفه " الدولة المارقة دليل إلى القوة الوحيدة في العالم " ² ورجل الأعمال (جورج سوروس G.Soros) الذي أكد أن الزلزال وفر لإدارة (جورج بوش G.W Bush) فرصة تجسيد مشروعها الإمبراطوري للهيمنة ذي الخلفية الأيديولوجية المحافظة القائمة على ثلاث ركائز أساسية هي التفوق العسكري والأصولية الدينية وأصولية السوق .

ومهما كان شكل وأنماط تجسد هذه الهيمنة الأحادية في مستوى العلاقات الدولية، فإن السؤال الذي يطرح هو : إلى أي مدى يمكن لظاهرة معقدة لا شكل لها، وثيقة الصلة بالعوامل المجتمعية والثقافية والأزمات المحلية والإقليمية أن تشكل عدوا استراتيجيا للقوة الدولية المهيمنة، بنفس خطاب العصر السابق خطاب الخير والشر ؟

¹ ينظر راهول مهاجان : مرجع سابق، ص ص 59-79.

² ينظر وليام بلوم : مرجع سابق.

إن هذا الإشكال هو الذي يفسر عجز الإدارة الأمريكية عن بناء عقيدة إستراتيجية للتحالف الدولي الجديد ضد الإرهاب، بل عجزها عن تأمين الحد المطلوب من التوافق داخل مجال امتدادها الأوروبي.¹

3-2-2 المقاربة الثانية، الأحداث أمودج واقعي وعملي لصراع الحضارات

تمثل في اللجوء إلى مبرر الصراع الحضاري الذي كثر الحديث حوله بعد الأحداث، وان كان له جذور في المخيال الغربي تمتد إلى قرون خلت، كانت تقوم على إحياء النزعة الدينية المسيحية في الشعوب والجيوش، بالإضافة إلى ترسيخ وتأصيل النزعة القومية والعرقية في هذه المجتمعات، لتأهيل شعوبها وحشدها ضد الآخر عامة وضد الإسلام والمسلمين خاصة، فإذا كان الإرهاب عدوا لا شكل له ولا موقع، فإن الحضارات كيانات ثقافية متجسدة في أمم ودول وتقاليد قيمية وسلوكية تشكل محور الصدام والصراعات مع الآخر.

ونلمح ذلك في وصف الإدارة الأمريكية الأحداث منذ وهلتها الأولى بالحرب الصليبية الجديدة، ومن ثم الحرب الحضارية، مع زيادة في التركيز على بعض البلدان الإسلامية بعينها مثل المملكة العربية السعودية، أفغانستان، العراق، باكستان، وتنظيمات إسلامية بعينها كالمقاومة الإسلامية حماس، وحزب الله، والطالبان، وغيرهم، مما يعكس توجهها حقيقيا لدى هذه الإدارة ضد العرب والمسلمين، وهناك قادة ومنظرون (برنارد لويس B. Lewis، صموئيل هنتغتون S. Huntington، رئيس الوزراء الايطالي بيرلسكوني S. Berlusconi...) تحدثوا منذ سنوات في خطابهم السياسي والعسكري والفكري عن حتمية الصراع بين الحضارات، ومهدوا الأرضية لتكريس مثل هذه الرؤية.

ومع تناقضات وسطحية وضعف مبررات هذا الافتراض وخلطه المفضوح بين الثقافات والأديان والحضارات، جاعلا منها تارة كيانات مستقلة وتارة أخرى عناصر وأجزاء من كل، فضلا على تجاهله خصوصية الأمم والشعوب، إلا أنه يجب في العديد من القيادات السياسية في الغرب لاسيما الولايات المتحدة في تبنيه مبررات كافية لركب موجة الصراع، بل نبذه يشكل متنفسا للتبرير وأداة لتنفيذ المخططات السياسية والاقتصادية والثقافية، إنه بلا شك خطاب الهيمنة، وفي هذا السياق كتبت أحد

مناصريه (كوندليزا رايس G. Rice) على صفحات جريدة "لوموند Le Monde"، تحت عنوان "لا هوة بين أوروبا والولايات المتحدة" التهديد واحد والدواء مشترك، حضارة الغرب تحمل برنامجا كبيرا وأهدافا

¹ ينظر السيد ولد أباه : عالم ما بعد 11 سبتمبر 2001 (الإشكالات الفكرية والإستراتيجية). ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، 2004، ص6.

نبيلة، ولا توجد دولة عظمى، قادرة بمفردها على تحقيق هذه الأهداف. ولتحقيق نجاحات كبيرة في العالم، يلزمنا شركاء كبار، أقوىاء. نعلم أن الولايات المتحدة وأوروبا عندما توحدان قوتيهما وذكائهما، تكونان أفضل الشركاء، والتاريخ يشهد على ذلك".¹

وفي نفس السياق كذلك علق في خطاب له، رئيس الوزراء الايطالي (سيلفيو بيرلسكوني S. Berlusconi) غداة الأحداث " يجب أن نكون على دراية بتفوق حضارتنا التي تشكل منظومة القيم قدمت لكل البلدان التي تبنتها ازدهارا هائلا والتي تضمن احترام حقوق الإنسان والحريات الدينية هذا الاحترام غير موجود بالتأكيد في البلدان الإسلامية"²، ومع أن كثير من المحللين والكتاب لا يذهب إلى اختزال الصراع الدائر راهنا في صدر الإسلام والحضارة الغربية المعاصرة، إلا أنه من الواضح أن هذه الخلفية حاضرة في الأذهان، حتى ولو سلكت مسارب ضيقة خفية، مثل التركيز على بلدان الإسلامية بعينها (مثل المملكة العربية وباكستان) أو بعض المجموعات والألوان الأيديولوجية والسياسية المعتبرة - من منظور الغرب - أصولية الإسلامية، ومن ثم الصعوبة البالغة في الفصل بين الإرهاب والمجال الإسلامي في الخطاب الأمريكي الرسمي وفي الأدبيات الغربية السيارة.

ورغم كثرة أنصار هذا الرأي الناقد بشدة، في العالمين الغربي والإسلامي إلا أن ثمة ممن يرى أنه من غير الممكن اعتبار هذه الأحداث صداما بين الحضارات لسبب واضح جدا هو أن مرتكبي هذه الأحداث هم مجموعة أفراد لا يشكلون تمثيلا إقليميا معيناً أو يلقون ترحيبا جماهيريا بالقدر الذي يجعلهم يجسدون حضارة ما. فضلا على ضبابية البناء المفاهيمي لهذا التصور، وقصور مبرراته المنطقية والواقعية والتاريخية ما يجعله منه أداة للاستهلاك السياسي والإعلامي، وفرصة للسطو على الأمم والشعوب وسلب خصوصية الثقافات وروحها لا أكثر .

¹ Condoleezza Rice : « Pas de fossé entre l'Europe et les Etats-Unis ». **Le Monde**, N° 17707, Le 10 juin (2001), p1/3.

² Umberto Eco : «A propos de la supériorité occidentale» **Le Monde** , N° 17640, Le 10 Octobre (2001). pp 1/ 3

3-2-3 المقاربة الثالثة، الأحداث مؤشراً لنهاية الأحادية القطبية

يرى أصحاب هذه المقاربة أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر، مظهر بارز لضعف وهشاشة القوة المتحكمة في العالم، ومؤشر من أهم مؤشرات نهاية الهيمنة الأمريكية، والقطبية الأحادية، التي انتهجت في ما بعد الحرب الباردة، ويزيد هذه النظرية تأكيداً من وجهة نظر مؤيديها رد فعل فشل كل الاستراتيجيات المنتهجة من طرف الولايات المتحدة وحلفائها في تحقيق الأهداف المسطرة لضبط العالم، والقضاء على ما سمي بالإرهاب، إن الدولة العظمى في العالم، بإستراتيجية ما بعد الحادي عشر من سبتمبر سارت نحو الاتجاه الخاطئ في الحفاظ على هيبتها وقوتها عبر العالم، فراحت كما يصفها (روجي غارودي R. Garaudy) تتخبط خبط عشواء، مركزة على المقاربة العسكرية والأمنية، من خلال الإفراط في التسلح البربري، ومن جراء رياء الليبرالية الاقتصادية المفروضة على جميع الشعوب لتستأثر بالأسواق، عبر تصويغها الشيطاني "لخريطة الشر العالمي" بحجة مكافحة الإرهاب، في حين أن الداخل الأمريكي يبنى عن كوارث موقوتة، فالأرقام القياسية العالمية الكئيبة للمخدرات والانتحار والجرائم، والإخفاقات السياسية، والمالية والأخلاقية والاجتماعية ، تنخر جسد هذه الإمبراطورية، بما يجعلها غير قادرة على الصمود مستقبلاً من أجل تجسيد زيف شعاراتها البراقة.¹

وهذا الفشل الذريع يؤكد من جهة أخرى وفق أصحاب هذه المقاربة أن العالم لا يمكن أن يكون إلا بأقطاب متعددة، ولا يمكن بناؤه إلا من خلال تفاعل وحوار وتعاون حضاري، يشارك الجميع في صناعة قيمه، ويتبنى المفكر الأمريكي (نعوم تشومسكي N.chomsky) هذا التوجه من التحليل النقدي، وحيث أصدر منذ نهاية التسعينيات سلسلة من الكتب والمقالات الناقدة للسياسة الخارجية للولايات المتحدة، معتبراً إياها مصدر كل أزمات ومآسي العالم، ولعل أبرز ما كتبه عقب الأحداث عقب الأحداث مقالاً بعنوان "أمريكا في تراجع" أبرز من خلاله تسارع مؤشرات انهيار أميركا، بعد هيمنة اليمين المتصهين، وأرباب رأس المال، والشركات التي وضعت المتشددون في مراكز القرار هي الآن قلقة من أنهم يسقطون الصرح الذي بنته، وإن النجاحات التي يعتقد أنها ربما تضيف شيئاً يذكر لكفاءة الاقتصاد الحقيقي، هي في واقع الأمر نقل للكوارث من دافعي

¹Roger Garaudy : **les Etats-Unis avant-garde de la décadence (comment préparer le XXIXe siècle)**. 2^{em}Ed , vent du large , Paris , 2004 , pp 200-212.

الضرائب إلى الممولين، بواسطة تمزيق بقايا الديمقراطية السياسية، وإرساء أسس شكلية لتنفيذ عملية قاتلة إلى الأمام، ما دام الضحايا هم على استعداد للمعاناة في صمت.¹

وبنفس النبرة والحدة ترى (نعومي وولف Naomi Wolf) - من أبرز أنصار هذه المقاربة- على الأمريكيين إنقاذ ديمقراطيتهم، قبل زوالها من عبث المحافظين الجدد في إدارة الرئيس (جورج بوش G.W. Bush)، فانتهاجهم نهج الديكتاتوريات التقليدية، وحرصهم على مصالحهم المالية والنفطية والسياسية الضيقة، من شأنه أن يكرس الاستغلال والمعاناة ويضيق فضاء الحريات في الداخل ويزيد من العداوات في الخارج، معتبرة أن الاستمرار في هذه الإستراتيجية القائمة على الفوضى من شأنه أن ينذر بنهاية أكيدة للولايات المتحدة.² وقد لاقت هذه المقاربة أشياعا كثر في البلاد العربية والإسلامية، على اعتبار أن الولايات المتحدة الأميركية القوة الأكثر نفوذا في العالم تعيش أخرج لحظات عمرها، وتشهد تراجعاً مستمرا مطرد على المستويين الإقليمي والدولي، ولحظتها التاريخية تبدو كما لو كانت قد انتهت، وهذا التراجع يشمل قطاعات شتى بدءا بالتراجع الاقتصادي الداخلي المهول، وعجز الميزانية واتساع معدل البطالة، إلى الإخفاق الخارجي، الممثل في عدم احترام الشرعية الدولية، والإدانات المتكررة للانتهاكات المتكررة لحقوق الإنسان في "غوانتنمو والعراق وأفغانستان"، وتراجع الحلفاء - فرنسا ألمانيا إسبانيا- عن الدعم اللوجستي والإعلامي، وتزايد معدل الكراهية في العديد من دول العالم الغربي والعربي والإسلامي جراء تبعات العولمة الاقتصادية، وعدم القدرة على حسم ما سمي "بالحرب على الإرهاب" وهزيمة "القاعدة"، وفشلها في عملية السلام في الشرق الأوسط والملف النووي الإيراني، وتورطها في العديد من الأزمات الأمنية والسياسية والاقتصادية وحتى الإنسانية كما في القرن الإفريقي، ومن منظور أخلاقي لم يعد النموذج الأميركي مقنعا في مجال السلم والبيئة والحريات المدنية والديمقراطية، وفقد الكثير من بريقه وقوته الناعمة كمدافع عن حقوق الإنسان، فضلا على الاختناق الاجتماعي والقيمي الذي يحاصر المواطن الأميركي في الداخل.

¹ Noam Chomsky : « America in Decline » . Truthout, [on-line], <http://www.truthout.org/america-decline/1312567242> , Monday, 22 August 2011 .le 23.02.2013, 22:54h.

²Naomi Wolf : **The End OF America ; Letter of warning to a Young patriot** . The New York Times Bestseller, publishing chelsea green, United States Of America, 2007 .

ولئن كانت هذه الرؤية تتضمن كثيرا من التحليلات الواقعية، والتصورات المنطقية، وترضي كثيرا من عواطف العرب والمسلمين، وتتلق صدورهم كأول المتضررين من الظلم الأميركي، إلا أنه من الصعب التسليم بقبولها وحدها لا غير، في ظل المعطيات الواقعية، ونواميس تشكل القوى الدولية وانهاياها، فإلى حد الساعة لا تزال وربما ستبقى لأعوام الولايات المتحدة، بحكم القوة العسكرية والاقتصادية تتحكم في الرهان الاستراتيجي وصناعة القرار، وبنية الاقتصاد العالميين.

وبعيدا عن العواطف والتحيز فيمكن الاستنتاج أن كل من هذه المقاربات المشار إليها في الحقيقة قدمت زاوية ووجهة نظر مهمة لقراءة وفهم طبيعة التحولات الدولية بعد الحادي عشر من سبتمبر، فالأحداث فعلا مؤثر قوي لغطرسة وهيمنة قوى الرأس مال العالمي بقيادة الولايات المتحدة، كما أن ثمة مخططات عديدة تحاك وتحرك هذا العالم وصراع خفي وظاهر أحيانا تشارك فيه العديد من الدول والحكومات والجماعات بغية تكريس رؤيتها وتعزيز وجودها، مستخدمة في ذلك المشروع وغير المشروع ومستفيدة من الظروف التاريخية والجيواستراتيجية التي أتاحت أمامها، وعاملنا العربي والإسلامي بما أوتي من ميزات وما تخلله من أزمات وعقد يظل عنصرا مهما واستراتيجيا في هذه الدائرة، خاصة في ظل تحمله في الأخير أعباء وتكاليف وضريبة هذه الأحداث، فاستعمرت أراضيه وقسمت دوله ونهبت خيراته واستنزفت قواته وانتهكت أعراضه وضاعت كثير من قضاياها العادلة في عالم لا مكان فيه للضعفاء .

3-3 التدايعات الفكرية والإستراتيجية للسياسة الدولية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001)

شكلت أحداث الحادي عشر من سبتمبر صدمة كبيرة، في مجال السياسة والعلاقات الدولية، سرعان ما امتدت ارتداداتها إلى مختلف الدوائر الفكرية والسياسية عبر العالم، وأحييت بذلك معها كثير من الأسئلة العميقة في الوعي الغربي وحتى العربي والإسلامي المتعلقة "بالأنا" و "الآخر"، وطبيعة الموقف والعلاقة والمستقبل، وتصدرت بشكل لافت، سدة المشهد العالمي مقولات وافتراضات "الإسلام والغرب"، "الخير والشر"، "الحوار والصدام" بين الغرب على اختلاف قناعاته وتوجهاته بزعامة في الولايات المتحدة الأمريكية، والعرب والمسلمين الذين تحولوا فجأة إلى متهمين بوصفهم مصدر للإرهاب ومعاداة التقدم.

ف عقب الأحداث مباشرة تحدث الرئيس (جورج بوش الابن G.W. Bush) في خطابه للأمريكيين والعالم الحر - على حد وصفه - عن " الحروب الصليبية، والتطرف الإسلامي، والذين يكرهوننا، ومحور الشر، والدول المارقة وغيرها من المصطلحات، التي أريد منها الإعلان عن بداية فترة جديدة وغير مسبقة في العلاقات الدولية وضرورة مشاركة الجميع في التحالف ضد ما أسماه بالإرهاب الإسلامي،¹ وعقب على خطابه من هناك في أوروبا رئيس الوزراء الايطالي (سيلفيو برلسكوني S. Berlusconi) بقوله ينبغي أن نكون على بينة ويقين من تفوق حضارتنا، ونظام قيمنا التي جلبت الازدهار والرفي لكل بلاد الحضارة الغربية، وكرست ضمانات احترام حقوق الإنسان والحريات الدينية. مما لا يمكن أو يكون موجدا في أي دولة من البلاد لإسلامية"² وعبر إلى جانبه الرئيس الفرنسي (جاك شيراك J. Chirak) وإن بلغة أكثر دبلوماسية في خطاب له : بعد ما وقع لا يمكن أن نقف إلا إلى جانب الولايات المتحدة في مأساتها، ونكون جميعا ضد الإرهاب والمتطرفين الإسلاميين"³ ولم يكن في ذلك الحين بعض المفكرين والمثقفين - من أمثال (صموئيل هنتغتون S. Huntington وفرنسيس فوكوياما F. Fukuyama و برنارد لويس B. Lewis) أكثر تحفظا

¹ نص خطاب الرئيس كاملا منشور على حائط موقع، كلية الحقوق، جامعة أو كلاهوما، -On]

line]http://www.historyplace.com/speeches/gw-bush-9-11.le 23.02.2013, 23:12h .

² Frédéric Charillon : « La politique étrangère de l'Union Européenne à l'épreuve des normes américaines ». **Revue Cultures & Conflits**, N° 44 , hiver 2001, p142 .

³ Arnaud Le Parmentier Et Laurent Zecchini : « Unsommet extraordinaire des Quinze contre le terrorisme » . **Le Monde**, N°17618 , le 19 Septembre 2001,p9.

من رؤسائهم في الغرب بل أصدروا بيانا كمتقفين وعلماء، أطلقوا عليه "الإرهاب الإسلامي"، دعوا من خلاله الغرب جميعا إلى ضرورة الالتفاف لنصرة قيمه وقضاياه ضد الإسلام والمسلمين والعرب، أعداء التحضر والمدنية، واعتبروا "الحرب العادلة" ضد الإرهاب، ضرورة ونتيجة حتمية "للخطر الأخضر الجديد"، وان كان في واقع الأمر عارضهم في ذلك - من داخل الفكر الغربي - مفكرون آخرون منهم أمريكيون أصلا، أمثال (نعوم تشومسكي N. chomsk ، وادوارد سعيد E. Said ، رمزي كلارك R. Clark ، مارتن لوتر الثالث M. Lother) وغيرهم حوالي مائة وعشرين شخصية أمريكية وغربية، وقعوا بيانا موازيا تحت مسمى " ليس باسمنا "، نددوا فيه بالحرب على الإرهاب ومساعي الهيمنة والامبريالية الأمريكية والغربية على العالم.¹

وواصل الرئيس (جورج بوش G.W Bush) عقب الأحداث سلسلة من الخطابات أكد من خلالها بنبرة حاكم هذا العالم وشرطيه، الخطوط العريضة لإستراتيجية السياسية الدولية التي ستحكم العالم بعد الأحداث، ولعل أبرزها ما أطلق عليه بالحرب العالمية ضد الإرهاب، مشيرا أنها ستكون أفظع وأطول وأقسى من أي حرب دخلتها الولايات المتحدة من قبل، ومخدرا في ذات الوقت دول العالم قاطبة أن لا مجال للحياد في هذه الحرب، فإما أن تكونوا معنا أو تكونوا مع الإرهابيين،² وأشار أن حربنا تبدأ بالقاعدة ولكنها لن تنتهي عندها، في إشارة إلى أن خارطة العالم ستشهد تغيرا كبيرا جغرافيا وسياسيا ، وقد عبرت وثيقة "الإستراتيجية الوطنية لمحاربة الإرهاب" ووثيقة "الإستراتيجية الوطنية لمواجهة أسلحة الدمار الشامل" الصادرتان عام (2002) عن هذه العقيدة الإستراتيجية التي تتمحور حول المرتكزات الأساسية الآتية:

- ملاحقة التنظيمات الإرهابية (مفهوم المصلحة الأمريكية للإرهاب) بالوسائل العسكرية والمخابراتية والقانونية الملائمة أينما كانت وحيثما وجدت.
- السعي للقضاء على أسلحة الدمار الشامل وملاحقة الأنظمة التي تنتجها وإسقاطها عند الضرورة، والمقصود هنا (دول محور الشر العراق كوريا إيران سوريا ليبيا ومن دعمهم).

¹ ينظر ناظم عبد الواحد الجاسور : المرجعية الفكرية للخطاب السياسي والاستراتيجي الأمريكي ما بعد الحادي عشر من أيلول سبتمبر 2001 ، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2006، ص ص، 73-143.

² Musarrat Jabeen : « Either You Are with Us or Against Us » . **Journal Of South Asian Studies**, Vol 24, N° 2, July-December 2009, p175.

- نشر قيم الديمقراطية في المناطق المحرومة منها، باعتبار هذه القيم دعامة للأمن القومي الأمريكي وغيرها
مصدرا رئيسيا للإرهاب والتطرف .

- على الأمم جميعا لزاما " تحديد موقفها من حرب الولايات المتحدة " ، إما أن تكونوا معنا أو تكونوا مع
الإرهابيين " إما أن تقف مع الحضارة، أو مع الهمجية والشر.¹

وتعني هذه الإستراتيجية الميل نحو بناء مشروعية أخلاقية لإصلاح العالم " بالقوة " و القضاء على
الإرهاب، وإعادة بناء الدول الفاشلة وفرض النموذج الديمقراطي الليبرالي في العالم برمته، من خلال ما سمي
"الحرب العادلة الاستباقية "، التي تستند إلى ما يفترض وصفها بالأولويات القيمية و بالتالي شرعية " الحرب
الذاتية " War Self Legimiting " بغض النظر عن الهيئات الأمية وإملاءات الشرعية الدولية.

وقد أعلنها صراحة (جورج بوش G.W Bush) في رسالته للأمانة العامة لهيئة الأمم المتحدة بقوله "على
الأمم المتحدة أن تفعل ما نريد نحن، أو تكون في عداد غير المقبول بهم"²، ولخصها (جون بولتن J .Bolton)
بدقة عندما قال : " لا يوجد ما يسمى بالأمم المتحدة، يوجد مجتمع دولي بالإمكان قيادته بواسطة القوة
الحقيقية الوحيدة المتبقية في العالم، وهذه هي الولايات المتحدة الأمريكية عندما يتلاءم ذلك مع مصالحنا وعندما
نتمكن من كسب الآخرين للتقدم معنا".³

ومع هذه العقيدة العالمية الجديدة، لا نهاية للحرب على الإرهاب، فعندما يفشل التهويل، يتم اللجوء إلى
مجموعة متعاقبة من التدخلات المسلحة في بلد تلو بلد، من أفغانستان إلى شركاء العراق في محور الشر، إيران
وكوريا الشمالية، وإلى بكل بلد يشتبه بوجود علاقات غامضة لها مع الإرهابيين، من سوريا والصومال إلى
إندونيسيا والفلبين، وهي تتوقع القضاء على الخصوم أنى وجدوا.

وتم وفق هذه الإستراتيجية إرغام دول العالم قاطبة من دون استثناء، تحديد موقفها وإعلان دعمها
الصريح "للحرب على الإرهاب"، وهو ما وقع في بداية الصدمة الأولى للأحداث مع غالب الحكومات

¹ Gondolezza Rice : « Campaign 2000: Promoting the National Interest » . **foreign affairs** ,
January/February 2000 [On -Ligne],
<http://www.foreignaffairs.com/articles/55630/condoleezza-ricce/campaign-2000-promoting-the-national-interest>, 12/01/2013, 13:02 h.

² راهول مهاجان: مرجع سابق، ص 25.

³ المرجع نفسه، ص 25.

والشعوب ووسائل الإعلام في الغرب، التي أعلنت صراحة موقفها الداعم واللا مشروط للولايات المتحدة في حربها على الإرهاب- كتب رئيس تحرير جريدة " Le Monde " - افتتاحية بالبند العريض في اليوم الثاني بعد الأحداث " كلنا أمريكيون "¹ - موقف في حقيقة الأمر لم يدم طويلا، خاصة مع الشعوب في العالم الغربي والعلمين العربي والإسلامي وحتى بعض الأنظمة الرسمية في أوروبا، إذ سرعان ما تراجعت كثير من الدول الغربية، على رأسها فرنسا وألمانيا عن الدعم المطلق للولايات المتحدة، وتحفظنا بشدة عن الخوض في إستراتيجية أمريكية، مجهولة الأهداف، والأبعاد كما صرح بذلك الرئيس الفرنسي (جاك شيراك J.Chirak)²، خاصة بعدما اتضحت معالم إستراتيجية الإدارة المحافظة في الولايات المتحدة الأمريكية، التي سخرت كل الإمكانيات المادية والإعلامية، والدعائية لإقناع المجتمع الدولي بضرورة " الحرب العادلة " والتي تحولت بين عشية وضحاها إلى حجر الزاوية في الفكر الإستراتيجي الأمريكي وحتى الدولي ، بيد أن الإشكال الذي ظل عالقا، ولم يحظ بتحليل عميق هو حدود هذه الحرب، وأكثر من ذلك مفهوم "الإرهاب" نفسه ظل يكتنفه غموض كبير في الخطاب السياسي الاستراتيجي الدولي، بل لم يخضع لأي تحديد إشكالي ولا استكناه نظري دقيق، والأمر بلا شك مقصود طالما أن إستراتيجية ما بعد الحادي عشر من سبتمبر قائمة على ما وصفتها مستشارة الرئيس الأمريكي (رايس G. Rice) "صياغة العالم حسب صورتنا "³، ويمكن إجمالاً حصر إستراتيجية الإدارة الأمريكية بعد الأحداث في اتجاهين:

الأول : تشكيل تحالف دولي ضد الإرهاب وقيادته، استنادا إلى قاعدة مفادها "من ليس معنا فهو ضدنا".
الاتجاه الثاني : توفير غطاء من الشرعية الدولية لحملة ضد الإرهاب معروف بدايته ولا يمكن لأحد توقع نهايتها ولا حدودها.

¹ Jean marie Colombani : « Nous sommes tous Américains » . **Le Monde** , N° 17611 , 12 Septembre (2001).p2.

Jacques Chirac réaffirme à Washington l'offre de ² Patrick Gareau Et Raphae El Bacque : « coopération de la France » . **Le Monde**, N° 17619 , 20 September (2001).p1

³ Michael Hirsh : « Bush and the World » . **foreign affairs** , September/October 2002, [On-line], <http://www.foreignaffairs.com/articles/58244/michael-hirsh/bush-and-the-world>, Le 12/01/2003, 13:08 h.

وقد تمثل ذلك في قرار مجلس الأمن (رقم /1373/ الصادر في 28 سبتمبر 2001) . حيث تقدمت الولايات المتحدة بمشروع هذا القرار، وأقره المجلس بالإجماع في أربع وعشرين ساعة، وهذا أمر نادر الحدوث في مجلس الأمن. وصدر هذا القرار على أساس الفصل السابع من الميثاق، بما يعني أنه ملزم للدول الأعضاء في الأمم المتحدة، وأن لمجلس الأمن اتخاذ جميع التدابير التي يراها ضرورية لتطبيقه، مع الإجراءات القسرية ضد الدول التي لا تنفذه.¹

وقد حاولت الإدارة الأمريكية مرارا وتكرارا بهذه الإستراتيجية تجاهل كثيرا من الاختلافات والخصوصيات العامة لباقي دول العالم، وراحت تسوق بنفسها مضامين المقاومة والإرهاب، الديمقراطية والدكتاتورية، الخير والشر، الجزاء والعقاب.. رافضة رفضا قاطعا النظرة الموضوعية للأسباب التي قادت، وتقود إلى مراكمة جميع أنواع الكره ضدها وضد السياسات الغربية الامبريالية إجمالا، وان كانت ليست بمستوى واحد، و بالتالي فهي ليست متشابهة، ذلك أن العداء للأمركة مختلف من دولة لأخرى . غير أن هناك قاسما مشتركا بين جميع الدول حتى الدول الأوروبية منها إزاء القطبية الأحادية التي استغلته الولايات المتحدة . وتجاوزت بها كل المعايير المنطقية، والأخلاقية والشرعية والسلمية في معالجة " ظاهرة ثقافية - أمنية " لها أسبابها ودوافعها وغاياتها المعروفة دوليا، وتجاهلت أصوات الآخرين و قفزت فوق مشكلاتهم وهمومهم، خاصة دول الجنوب ... وراحت ترغم الجميع نحو التعامل مع النتائج، وتقبل حلها وفق الرؤية الأمريكية.

موقف جعل الأوروبيون- إذا ما استثنينا بريطانيا واسبانيا- والروس و الصينيون و العرب يتوجسون حذرا، بل ويؤكدون على تميز رؤيتهم، ومعارضتهم للسياسة القوة المطلقة والقرارات الانفرادية، داعون إلى ضرورة التمسك بالشرعية الدولية ومعالجة الأسباب بدل الخوض في تحليل التعامل مع النتائج² وفي هذا السياق يجدر بنا تفصيل مواقف هذه الدول من الإستراتيجية التي تبنتها الولايات المتحدة وتداعياتها وفق الآتي:

أ- **موقف بريطانيا** : كان رئيس الوزراء (طوني بليز T. Blair) أول شخصية أجنبية تتصل بالرئيس (جورج بوش G.W Bush) لتعرب عن تضامنها العميق ، ودعمها الكامل للإستراتيجية الأمريكية في الحرب

¹ للاطلاع على نص القرار 1373 ينظر :

[On- Ligne], <http://www.UN.org/Arabic/terrorism/index.html>. Le 17/02/2013. 12 : 44 h.

² Voir Charles Benjamin : **La Théorie de la guerre juste face au terrorisme et a la lutte antiterroriste** . Centre d études des politiques étrangères et de sécurité, université du Québec Montréal , Concordia université , December 2007 pp 21-25.

على الإرهاب، سياسيا وعسكريا واستخباراتيا وإعلاميا، وعندما صرح الرئيس الأمريكي بتورط " تنظيم القاعدة " في هجمات الحادي عشر من سبتمبر، كانت المخابرات البريطانية تعمل جنبا إلى جنب مع الولايات المتحدة لتقديم ما سمي بوثيقة " الإدانة الرسمية " (لأسامة بن لادن) وتنظيم القاعدة في أحداث الحادي عشر من سبتمبر، ولم تمض عشرة أشهر، في (25 جويليا 2002)، حتى وقف رئيس الوزراء البريطاني أمام مجلس العموم ليعرض في خطابه ما أسماه " ضرورة الحرب ومواجهة الإرهاب بعد ثبوت أدلة تورط (أسامة بن لادن) وتنظيم القاعدة عن الهجمات " التي استهدفت مركز التجارة العالمي ومبنى البنتاغون "،¹ وعدد جملة من التهم والأدلة التي اعتبرها مقنعة وقاطعة.

ورغم أن العرض لاقى معارضة حادة رسميا واجتماعيا في داخل بريطانيا وخارجها، إلا أن الموقف لم يتغير، ولم يتوقف عند هذا الحد، بل كانت بريطانيا زيادة على تحملها مسؤولية الدعاية الإعلامية والدبلوماسية للإستراتيجية الأمريكية لما بعد الحادي عشر من سبتمبر، تدعم بقوة المقاربة الأمنية والعسكرية للولايات المتحدة، وتشاركها بكل استبسال المواقف المنافية للشرعية الدولية، ضاربة بذلك عرض الحائط كل الأصوات المعارضة من الداخل أو الخارج،² ولا أدل على ذلك المشاركة القوية في "غزو العراق" تحت غطاء ما سمي ائتلاف الراغبين - (98%) من القوات العسكرية هي قوات أمريكية وبريطانية- رغم إعلان الأمين العام للأمم المتحدة (كوفي عنان) أن الغزو كان منافيا لدستور الأمم المتحدة.³

ب- **موقف روسيا** : من ناحية الجغرافيا السياسية أعادت أحداث الحادي عشر من سبتمبر التنبيه إلى أهمية آسيا الوسطى وموقعها، الإستراتيجي باعتبارها تشكل قلب العالم، وقدمت روسيا نفسها كشريك للغرب في محاربه الإرهاب بدلا من كونها مهددا لهذا الغرب، لكن بالطريقة الروسية التي تختلف جوهريا عن الرؤية الأمريكية.

1st Ed , University Press. Info .¹ R. Josef : **America Betrayed (9-11,Aids, Anthrax, Iraq)** San Jose, California,2002, p297.

² Voire Adnan Bouachour : **La majorité des Britanniques veulent la sécession Blair à Bush dans la guerre contre le terrorisme.** Thèse pour obtenir le titre de docteur des Arts, Lettres et Langues Volume 1. Ecole doctorale (anglophonie : communauté et écriture) Université de Rennes 2. le 23/ 11 / 2012 . pp 194-196.

³ BBC News : **Iraq war illegal, says Annan.** [On-line] http://news.bbc.co.uk/go/pr/ft/-/2/hi/middle_east/3661134.stm , Le 16 /09/ 2004, 09:21:31 h.

ونشطت الدبلوماسية الروسية في تهيئة الأجواء لتسوية تحفظ لها المكاسب الدبلوماسية والسياسية والثقافية في العالم، خاصة التكامل والاندماج مع أوروبا من جهة، وبدأ مرحلة جديدة من العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية من جهة ثانية، إذ أن روسيا هي الأخرى لها حرب موازية لما تسميه "الإرهاب الشيشاني"، وبالتالي وجدت في ذلك متنفسا ونافذة للرجوع إلى واجهة السياسة الدولية، مستغلة امتعاض دول العالم العربي والإسلامي وبعض الأوروبيين من الهيمنة العسكرية الأمريكية على العالم، وبادرت إلى إعلان تحالفها الاستراتيجي مع الغرب ودعمها للحرب ضد الإرهاب، من خلال تقديم المعلومات الاستخباراتية والسماح لوجود الأميركي في دول رابطة الدول المستقلة، وتبنت ما سماه الرئيس (بوتين V. Putin) « الرفض المتزن « لسياسة القوة، والتنصل من قرارات الشرعية الدولية للولايات المتحدة الأمريكية¹.

وهو موقف مكن روسيا من استعادة بعض جوانب نفوذها السياسي والدبلوماسي في العالم، بالأخص مع أوروبا وبعض دول العالم العربي والإسلامي التي كثيرا ما راهنت على الموقف الروسي في قضاياها العادلة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001)، وتدعم هذا الموقف الخارجي للدبلوماسية الروسية بالموقف القوي الذي اتخذته العسكرون الروس الذين يرون في الوجود الأميركي في الخليج خطرا يهدد روسيا ويتزايد بفعل التحالف التركي-الصهيوني الذي أصبح يشكل رأس حربة موجهة نحو الحاصرة الجنوبية لروسيا في منطقة القوقاز.²

ج- موقف باقي المجموعة الأوروبية : كانت المجموعة الأوروبية تعمل جاهدة لكي يكون لها سياستها المستقلة عن السياسة الأمريكية وتحديدًا فيما يتعلق بسياسة هذا الإتحاد تجاه العديد من القضايا على رأسها القضية الفلسطينية وتجاه قضايا العالم العربي والإسلامي، وكانت الدول الأوروبية الغنية والكبيرة من قبيل فرنسا وألمانيا والسويد والدانمارك وإسبانيا وإيطاليا تنأى بنفسها عن السياسة الأمريكية الخارجية على وجه التحديد، أو تقف موقف الترقب والحذر توخيا للقريب القادم وتداعياته على طبيعة المصلحة الأوروبية، فيما بقيت بريطانيا وحدها في خط الشدوذ السياسي الأوروبي وأصررت على أن تكون مع واشنطن في كل

Michael Mc Faul¹ **Carnegie** « U.S.-Russia Relations After Septembre 11, (2001) » .

Endorment for International peace, [On-line] <http://carnegieendowment.org/>(2001)

/10/24/u.s. -russia-relations-after-september-11-(2001) / Le 12/01/ 2013, 09:21:31 h.

²Neal Kumar : « US-Russia Relations After September 11, (2001) » . **Vestnik**, issue2,

vol1,summer, 2005,pp 55-73.[On-line][http:// www .sras .org](http://www.sras.org), Le 12/01/ 2013, 09:21:31 h.

توجهاتها، ويرجع البعض ذلك إلى كون بريطانيا التي مازالت مسكونة بتاريخها الإمبراطوري بأنها تريد أن تلعب أدوارا كبيرة ولن يتأتى لها ذلك إلا من خلال أمريكا التي استفردت بصناعة القرارات الدولية.¹

وافتقدت المجموعة الأوروبية إلى التحرك الموحد تجاه أحداث الحادي عشر من سبتمبر، إذ اتسمت مواقف دولها بالفردية وبادرت كل دولة للاتصال بالولايات المتحدة من منطلق ظروفها الخاصة، كما أثرت نزعة القوة العسكرية الأمريكية عن الضعف الأوروبي، وكشفت عن رغبة أوروبية قوية في الإقامة بعالم لا تشكل فيه القوة أهمية، حيث يكون القانون الدولي والمؤسسات الدولية هي المهيمنة وحيث يعد العمل الأحادي الجانب والمستخدم للقوة محظور، فيه تتساوى جميع الأمم من حيث الحقوق والحماية. بمقتضى التشريعات الدولية السائدة والمتفق عليها في التصرف بغض النظر عن القوة.²، كما تدرك جيدا أن الانسحاق وراء المشروع الأمريكي العالمي الجديد، من شأنه أن يجعل أوروبا تقفز على قوانينها الداخلية ومن شأن ذلك أن يؤدي إلى إرباكات داخلية في أكثر من واقع أوروبي خصوصا وأن المسلمين في معظم الدول الأوروبية هم أصحاب الديانة الثانية بعد المسيحية وأغلبهم يتمتعون بحق المواطنة، ويحق لهم التصويت والترشح للانتخابات التشريعية وغيرها .

وتتبعاً كلا من فرنسا وألمانيا الصدارة ما اعتبره، (ريتشارد بيل R. Bearl) الجبهة المضادة للولايات المتحدة، وقد وجه خطابه للإدارة الأمريكية قائلاً : علينا أن نجبر الحكومات الأوروبية على اختيار إما فرنسا أو واشنطن.³

وينطلق العديد من الساسة الأوروبيين في توجهاتهم هذه من قاعدة مفادها أوروبا لها شخصيتها الدولية التي يجب أن تتميزها لتحقيق مصالحها الآنية والإستراتيجية، وخاصة مع دول وحكومات العالم العربي والإسلامي التي لها معها علاقات وروابط ومشكلات تختلف في جوهرها وأبعادها عن مشكلات أمريكا مع العالم العربي والإسلامي، فالهجرة غير الشرعية، والأمن الداخلي لأوروبا، والقرب الجغرافي، والجياليات المسلمة، ... مشكلات تعرض الأمن القومي الأوروبي إلى الخطر، من ذلك تؤكد أوروبا دائما على مفهوم الشراكة -

¹ Hilde Eliassen Restad : **The War on Terror from Bush to Obama : On Power and Path Dependency** . Norwegian Institute of International Affairs , 2012 , pp 13-21.

² ألكس كالينيكوس : الإستراتيجية الكبرى للإمبراطورية الأمريكية . (نر) مركز الدراسات الاشتراكية، نشر مركز الدراسات الاشتراكية، القاهرة، ص112.

³ David &Frum Richard Perle : **An End to Evil: How to Win the War on Terror**. 1st Ed. Random House, .New York ,United states, Décembre 2003, p 249.

ولو دبلوماسيا- من خلال تعميق الحوار والإقرار بالتعددية والتنوع، بدل المقاربة الأمنية العسكرية للإدارة الأمريكية، وكل النقاشات التي كانت تدور بين السياسة الأوروبيين أثناء اجتماعات الإتحاد الأوروبي، كانت تنطرق إلى ضرورة تمييز السياسة الأوروبية عن الأمريكية، ويلخص (زيغنيوا برجنسكي Z. Brzezinski) الخلاف بين الرؤيتين بقوله " فرنسا تطمح إلى عالم يكون فيه صوتها مسموعا من خلال مكبر أوروبي، والولايات المتحدة تعتقد أن على أوروبا أن تتقاسم معها أعباء فرض الاستقرار في العالم، لكن الأوروبيين يعتقدون من جهتهم، أن على الأمريكيين مشاركتهم في اتخاذ القرار، وبذلك يمكن تقاسم الأعباء والقرارات الناتجة عن تطبيقها".¹

وإذا لخصنا الخارطة الرسمية الأوروبية نجد أنها تنقسم إلى ثلاث أقسام فهناك أقلية أوروبية ترى ضرورة الوقوف إلى جانب واشنطن على رأسها بريطانيا، ودول أوروبية ترفض التوجهات الأمريكية مثل فرنسا والسويد وألمانيا والدانرك والنرويج وبلجيكا وغيرها، وإن شاركتها في مقاربتها الأمنية والعسكرية أحيانا، ودول أوروبية صامتة وهي تلك التي خرجت من رحم الجمهورية السوفيتية سابقا وانضمت إلى الإتحاد الأوروبي وتعتبر أن الأولوية في تأهيل نفسها سياسيا واقتصاديا والصمت خير وسيلة لعدم جلب السخط على واشنطن التي تكفلت بمساعدة هذه الدول الخارجة من الإتحاد السوفيتي .

د- موقف الصين : الحديث عن الموقف الصيني ينبغي وضعه في سياقاته المرحلية، فالصين إلى تاريخ (2001) تشكل قوة كبيرة، ومنافسا اقتصاديا شرسا، وخطرا إستراتيجيا يزحف نحو الولايات المتحدة، لدى يعتقد بعض المحللين أن أزمت حروب الولايات المتحدة في الخليج العربي وأفغانستان والقرن الإفريقي وباقي مناطق النفوذ العالمي غرضها أساسا حصار المد الصيني، خاصة أنه يستورد ثلث إحتياجاته النفطية (55) مليون برميل يوميا، أي (7 %) من الطلب العالمي، بل إن البطالة في المجتمع الأمريكي من أسبابها وصول المد الصيني بثقله إلى داخل الولايات المتحدة،² لهذا وجهت واشنطن انتقادات شديدة في - إستراتيجية الأمن القومي الأمريكي - التي صدرت في سبتمبر (2002)، حيث بدا واضحا تصميم الولايات المتحدة على مقاومة كل خصومها

¹ Patrick Jarreau : « Zbigniew Brzezinski passe au crible la diplomatie de Jacques Chirac » . **Le Monde** , N° 17710, 13 Juillet 2004,p14.

² ينظر حمدي عبد الرحمن : عسكرة العولمة و مخاطر التنافس الدولي في السودان (العالم الإسلامي تحديات الواقع واستراتيجيات المستقبل). ط1، مجلة البيان، الرياض، المملكة العربية السعودية 1427 هـ/2006، ص ص 245-247.

ومنافسيها كي تبقى وحدها القوة العظمى الوحيدة في العالم،¹ وعليه تفاوت الموقف الصيني من الإستراتيجية الأمريكية في حربها على الإرهاب، بين موقفين : موقف مؤيد للحملة الأمريكية، للدفاع عن موقفها في مواجهة التوترات السياسية والحركات الانفصالية في إقليم " سنكيانج " - إقليم ذو أغلبية مسلمة محاذي لباكستان - التي تتهمها بالحصول على أموال من (أسامة بن لادن)، والاستفادة من تدريبات أشرف عليها من تنظيم القاعدة،² وبين الموقف الداعم إلى محور " باريس برلين موسكو " - إن صحت التسمية - في معارضتهم القوية للإستراتيجية الأمريكية في حربها العالمية ضد الإرهاب، وتحفظ الصين مفاده أن هذه الإستراتيجية، بمقاربتها الأمنية والعسكرية، في حقيقتها مد لخيوط التوسع الأمريكي في العالم، وخاصة في منطقة آسيا أو ما يفضل تسميته " أراسيا " التي ترفض الصين رفضاً قاطعاً أي تواجد أمريكي فيها، خاصة وأن حدودها البرية تمتد إلى أفغانستان، نقطة البداية في الحرب الأمريكية على الإرهاب، وعلاقتها التقليدية الاقتصادية القوية مع النظام العراقي، من خلال الشركات النفطية النقطية التالية للحرب على الإرهاب،³ كما أن تطمح لبناء علاقات إستراتيجية قوية مع دول شمال إفريقيا، والقرن الإفريقي، وهي كلها مواقع بالغة الأهمية للصين، لكنها تقع في محور الإستراتيجية الأمريكية للحرب على الإرهاب، مما يحول دون تحقيق مصالح الصين، ويقطع الطريق أمام شركاتها النفطية والتجارية.⁴

هـ- **العالم العربي والإسلامي** : من الصعب اعتبار العالمين العربي والإسلامي كتلة متجانسة في تصوراتها ورؤاها ومواقفها وسياساتها الخارجية، ومع ذلك يمكن القول أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر والعالم العربي-الإسلامي تشكل مرآة تنعكس من خلالها تفاعلات الأزمة، بل وساحة ومسرحاً تتجسد من خلاله غالب التداخيات الأمنية والسياسية والعسكرية والثقافية الدولية، وذلك لمحوريتة الجيوستراتيجية والاقتصادية والثقافية

¹ المرجع نفسه .ص 246.

² ينظر زينب عبد العظيم : الإستراتيجية الأمريكية بعد 11 سبتمبر . مركز الحضارة للدراسات السياسية، القاهرة، (د ت)، ص 830.

³ ينظر إدريس لكربي : التداخيات الدولية الكبرى لأحداث 11 سبتمبر (من غزو أفغانستان إلى غزو العراق). ط1، المطبعة والوراقة الوطنية، الدويديات، مراكش، المملكة المغربية، 2005، ص 64.

⁴ Giovanna Borradori : Philosophy In Time Of Terror (Dialogues with Jurgen Habermas and Jacques Derrida). Trade paperback, . Chicago: The University of Chicago Press, 2003.pp 94-120.

التي تحرك القوى الفاعلة في العالم، من هذا ظللت بظلالها فرضية "الحرب ضد الإرهاب" على جل مستويات وقطاعات وامتدادات العالم العربي والإسلامي حتى، وأدت بدورها إلى تداعيات حادة على مستوى الأنظمة والحكومات والشعوب، أمنيا وثقافيا وسياسيا واقتصاديا في المنطقة، يلخصها الأمير خالد بن سلطان، في رآئته الموسومة " موسوعة مقاتل من الصحراء" في النقاط الأبرز الآتية ¹ :

1- احتلال العراق وأفغانستان من خلال حربين شنتهما الولايات المتحدة الأمريكية، وبرغم الاحتلال بقوات عسكرية كبيرة، إلا أن الاستقرار وتحقيق أهداف الحرب على كل منهما، لم يتحقق حتى الآن، وتشعر الإدارة الأمريكية أنها تورطت في هذين الحربين، بما ينعكس آثاره في إجراءاتها الحالية ضد الشعب العراقي نفسه، كما حدث في " الفلوجة " نوفمبر (2004) وسامراء والموصل، خلال الفترة نفسها.

2- الوجود العسكري الكثيف في منطقة الخليج العربي، وشمال إفريقيا دون تحديد زمن لإنهائه، وقد حاول هذا الوجود اكتساب شرعيته عبر اتفاقات أمنية بين كل دولة من دول المنطقة منفردة مع الولايات المتحدة الأمريكية أو مع بريطانيا أو فرنسا، أو حتى مع روسيا والصين، ومن خلال هذا الوجود، قامت الولايات المتحدة الأمريكية بتمزيق وحدة القرار السياسي العربي، على مستوى الجامعة العربية ، أو دول المغرب العربي، أو مجلس التعاون الخليجي، وأبرز مثال استقطاب دولة قطر.

3- التأثير النفسي الحاد على شعوب المنطقة، نتيجة توجيه اتهامات باطلة لعقيدة الإسلام السمحة التي تدين بها شعوب المنطقة، وربط الدين بالإرهاب، وهو أمر غير مقبول.

4- المؤثرات الاقتصادية التي أصابت الدول العربية ودول الشرق الأوسط نتيجة تداعيات الحرب، والتي أثرت بدورها على المجتمعات العربية.

5- توجه الغرب نحو فرض مبادرات مختلفة لاحتواء العالم العربي، والإسلامي على غرار مبادرة " الشرق الأوسط الأوسع"، وتكليف حلف شمال الأطلسي بالمساهمة في تفعيل وتنفيذ هذه المبادرات، في نطاق مهمته الجديدة على المستوى العالمي.

6- تزايد إخفاقات السياسة الأمريكية -القائمة على ازدواجية المعايير- تجاه المنطقة، وبالأخص في فلسطين والعراق وإيران، بما أدى إلى تعميق فجوة عدم الثقة ما بين الشعوب العربية، ونظمها السياسية والولايات المتحدة من جهة أخرى.

¹ ينظر خالد بن سلطان بن عبد العزيز : مقاتل من الصحراء (حقائق وذكريات ودراسة مستقبلية). الإصدار الحادي عشر، 2010. [On-

line] <http://www.moqatel.com/openshare/indexf.html>, Le 12 /01/ 2013, 09:21:31 h.

ولكن المشكلة الأكثر إثارة في المنطقة العربية ذلك التوافق بين الهجوم الأميركي على الإرهاب، وحرب (شارون Sharon) على الانتفاضة، ثم حربه على لبنان، وانشغال الدول العربية بتأكيد خيارها الإستراتيجي نحو السلام ومحاربة الإرهاب، مع الإصرار على تأييد الانتفاضة كحق شرعي ورفض ربطها بالإرهاب، لكن السياسة الصهيونية حاولت الربط بين الانتفاضة والحرب على الإرهاب، وحاول (شارون Sharon) تقديم مجازره ضد الشعب الفلسطيني والانتفاضة، على اعتبار محاربة " الإرهاب الفلسطيني " من جهة، ووفقت إلى حد بعيد في ذلك ولا أدل عليه، ما وصلت إليه تداعيات المرحلة من تصنيف حركات المقاومة الإسلامية في دولة فلسطين المحتلة من ضمن أخطر الجماعات الإرهابية في العالم،¹ وبدا التصنيف أمريكيا ثم أوروبا ثم أميا وانتهى عربيا من بعض الأنظمة العربية،² من هذا الوجه يؤدي الكيان الصهيوني دور الوكيل على السياسة الأميركية في محاربة الإرهاب في الشرق الأوسط، وهناك تيارات واضحة في أميركا لتأييد هذه السياسة.

3-4 المقاربة الثقافية في الحرب على الإرهاب.

أشار (ريتشارد بيرل R.Perle) في كتابه " نهاية الشر " عن توجه استراتيجي مهم، هيمن على مراكز صنع الرأي والقرار في الولايات المتحدة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، يتلخص في ثلاث أفكار أساسية :

أولاهم : أن مصدر العنف والإرهاب ليس اقتصاديا أو سياسيا بل هو في أعماقه ثقافي وفكري، ولذا فإن الحرب على الإرهاب يجب أن تكون حرب أفكار لتمير القيم الليبرالية التحديثية إلى النسق الإسلامي من خلال تشجيع عملية إصلاح عميقة لهذا الدين على غرار التجربة المسيحية.

ثانيهم : أن مصدر العداء للولايات المتحدة راجع لأسباب داخلية ذات صلة بتركيبة الحقل السياسي في الدول العربية-الإسلامية التي تهيمن عليها حكومات استبدادية، تتهم أميركا بدعمها ضد شعوبها.³

¹ Audrey Kurth Cronin and Others : **Foreign Terrorist Organizations** .CRS Report for Congress, Congressional Research Service, The Library of Congress , February , 2004, p2.

² عبد الباري عطوان : « أنظمة العرب وفوز حماس » . القدس العربي، السنة الثامنة عشرة، العدد 4620، الموافق لـ السبت/الأحد 31 كانون الثاني (جانفي) 2006، ص 1.

³ David Fum & Richared Perle : Op cite, pp 122-135.

ثالثهم : أن العداة والكراهية ليسا منتجا مباشرا للإستراتيجية الأمريكية فقط ، بقدر ما هما منتجا مباشرا كذلك لما لحق ببنية الولايات المتحدة ذاتها من تغير ، فهي علامة على فقدان الولايات المتحدة لقدرتها على تحريك الأشياء ، بعد أن فقدت الجاذبية كأتمودج ، وفقدت الفاعلية كقوة.¹

من هذه المنطلقات شكلت " المقاربة الثقافية في الحرب على الإرهاب" - منعظفا أساسيا وتحولا جذريا لنوعية الخطاب والممارسة في السياسة الدولية الخارجية عموما، الأمريكية منها على وجه الخصوص، فبعد سنوات من الملاحظة، واستجابة للتحديات الإستراتيجية والتهديدات الأمنية في شكلها الجديد وغير المؤلف، أقرت الإدارة الأمريكية الاستخدام الوقائي للقوة ضد الإخطار المحتملة وغير المؤكدة، وفرضت على العالم منطقها، ووصفت أي معارضة كانت، معاداة للحضارة الإنسانية، مستعينة في ذلك بخطاب أخلاقي تلمي بواسطة على شعوب العالم تعريفها الخاص لمفهومي "الشر" و"الخير"، وتصدر من خلاله أحكامها الأخلاقية الجديدة، على غرار "الحرب الصليبية" التي تملئها "الضرورة الأخلاقية" و"القداسة الدينية" للرد على عنف وكراهية قوى الشر مثل: (بن لادن وصادم حسين)، وذلك بخلاف الفكر الإستراتيجي الأمريكي الذي كان سائدا قبل الأحداث، والذي كان يحاول تبرير الحروب على أساس مبادئ الحرية والديمقراطية والمصالح التي تمثل أساس الحضارة الغربية.

ويقدم الخبير الدبلوماسي الأمريكي (جوزيف ناي J.Nye) رؤيته ونصائحه لما ينبغي أن تنتهجه الإستراتيجية الأمريكية في المرحلة المقبلة في حربها ضد الإرهاب، مفضلا إستراتيجية "Soft Power" أو الحرب بالقوة الناعمة كما يجذب تسميتها، مشيرا إلى أن الحرب ضد الإرهاب لن يكتمل فيها النصر لأمريكا ما لم ينتصر المعتدلون من المسلمين في العالم الإسلامي على المتطرفين، فالقضية هنا ليست ما تعتقده الولايات المتحدة بشأن حربها ضد الإرهاب فقط، وإنما ما يجب أن يعتقده الآخر عن المتطرفين في بلده، وكأنه بذلك يوحى إلى حرب بالوكالة، تسيرها الإستراتيجية الأمريكية ويجسدها المسلمون المعتدلون داخل بلادهم ضد التطرف في منظوره.² ويضيف مؤكدا، لن تنجح قوة أميركا الناعمة أبدا في اجتذاب (أسامة بن لادن) والمتطرفين من أنصاره. لكنها ستلعب الدور الحاسم في اجتذاب المعتدلين، ومن بين النصائح التي يقدمها

¹ فهمي هويدي : « جذور العداة الغربي للإسلام » . مجلة المقومة، العدد التاسع، 30 ديسمبر 2012.

[On- line] <http://yafacenter.com/PublicationsListing> , Le 25.07.2013 . 05 : 52 h.

² Voire Joseph S.Nye, Jr : **The Soft power (the means to success in world politics)** . BBS public affairs. New York . United States , 2004, p 23.

الدبلوماسية الخبير، ضرورة بناء تحالف موسع ضد الإسلاميين من الدول والجماعات والأفراد، وتوظيف الحرب غير المتوازية، وإيجاد نقاط الضعف التي يمكن استغلالها، والتنافس على عقول النشء الإسلامي. والاستثمار في التعليم، وخصوصا في تعليم اللغة الإنجليزية .¹ فالإستراتيجية المستقبلية في الحرب على الإرهاب يجب أن توجه نحو الجماهير المسلمة وليس نحو الحكومات، لأن هذه الأخيرة على خلاف دائم مع شعوبها، وهو ما يجب أن تستثمر فيه الولايات المتحدة وحلفائها في المرحلة القادمة.²

وفي ذات السياق كان ثمة خطابا عقائديا مقابلا، له فهمه ومنطقه الخاص، قدم بدوره ثنائياته الحديثة لمفهومي: "الخير والشر"، "الأنا والآخر"، "الجهاد المقدس"، "دار الإسلام ودار الكفر"، "المسلم والطاغوت" ... خطاب أنعش المخيلة الغربية المشبعة بقويبا "التهديد الإسلامي"، فأعدت التركيز "الدين" (الإسلام تحديدا) إلى جوهر الصراع، وجعلته السمة الأبرز للمشهد السياسي-الثقافي الدولي إلى حد كبير، كلما تطرق الحديث إلى تحليل الحدث ورمزيته في الرؤية الغربية، وتحديدا الأمريكية، فبدء الحديث عن "ضرورة" "تأهيل" المسلمين ثقافيا ليكونوا ديمقراطيين، واعتماد إستراتيجية محاصرة الفكر الديني، وإغلاق كل المنافذ في وجهه، سواء كان ذلك من خلال التدخل في المناهج التعليمية أو البرامج التثقيفية، ومن خلال النشر والإعلام أو النشاط التطوعي... بما يحيل المسألة في مجملها إلى ما عبر به الرئيس الأمريكي مرارا وتكرارا في تصريحاته (جورج بوش الابن G.W Bush) الحرب "على الإرهاب"³، لكن هذه المرة من منظور ثقافي محض، يتسنى من خلاله تخفيف منابع تفريخ الإرهاب في العالم.

وبدت الإدارة الأمريكية، التي تقود الحملة الدولية على الإرهاب، تعي أن ضمان مصالح الولايات المتحدة في المنطقة مرهون بتشجيع إصلاحات ديمقراطية حقيقية "بالمفهوم الأمريكي" في العالم العربي-الإسلامي، وتحول "الإصلاح" الثقافي والسياسي إلى حجر الزاوية في العلاقات الأمريكية مع بلدان "الشرق الأوسط الكبير" و"الجديد".

¹ Ibid. p p 25-28.

² معتز سلامة: « الإصلاح السياسي .. السياسة الأمريكية و الاستجابات العربية » . مجلة الأهرام للدراسات الإستراتيجية، العدد 129، السنة الخامسة عشر، مركز الدراسات السياسة والإستراتيجية، سبتمبر 2005، ص 13.

³Sans signature : « Les Etats-Unis réponse de gouvernement aux attaques du 11 septembre 2001 » . [On-line]

[http://www.worldlingo.com/ma/enwiki/fr/U.S._government_response_to_the_September_1_1_\(2001\)_attacks](http://www.worldlingo.com/ma/enwiki/fr/U.S._government_response_to_the_September_1_1_(2001)_attacks), Le 12 /01/ 2013, 09:21:31 h.

وفي هذا السياق جاء ما سمي "أمريكا" بمشروع الشرق الأوسط الجديد والكبير، -الذي تمتد معالمه الجغرافية من الصحراء الغربية إلى مقاطعة البيلينيس بباكستان، باستثناء ما اصطلح على تسميتها بدول محور الشر، وإسرائيل التي تشكل النموذج الديمقراطي في المنطقة...- ثم الموسع كحقل اختبار للمشروع الأمريكي الجديد، والعالم العربي في داخله هو قاعدة الانطلاق¹، وتمحورت المناقشات حول هذه السياسة في بعدين :

1-السؤال العملي القصير الأجل نسبيا عن إقامة عمارة أمنية للمنطقة قابلة للبقاء، هذه العمارة أساسها العراق الجديد، وفي هذا تصور (كينيث بولاك K. Pollack) الحل "م.ت.خ+1" (مجلس التعاون الخليجي زائد واحد) وفيه عراق متأمر متحالف مع بلدان مجلس التعاون الخليجي، مع توجيه أمريكي مباشر أو غير مباشر...ثم طور هذا التصور إلى الصيغة المعدلة "م.ت.خ+2" (مجلس التعاون الخليجي زائد اثنين) الولايات المتحدة، ومجلس التعاون الخليجي والعراق وإيران.²

إن النقطة الصعبة في مثل هذه التصورات هي تجاوزها لكثير من التفاصيل والجزئيات المتعلقة بخصائص الشعوب في المنطقة، فضلا عن صراع البلدان الصاعدة في المنطقة التي لها عمارتها الأمنية الخاصة بها، مستقلة عن الهيمنة الغربية.

2-السؤال العملي بعيد الأمل وهو إعادة تشكيل السياسات والاقتصاديات والثقافة الداخلية في المنطقة، عن طريق إصلاحات ليبرالية لنزح مستنقع العناصر الإسلامية المتطرفة والإرهابية المعادية لأمريكا. وهكذا نجد أن المشروع تقوم فلسفته على اعتبار المنطقة العربية منطقة تزكم الأنوف في تطورها، حبلى بالأزمات تولد الإرهاب وتصدره، وبالتالي تشكل خطرا على أمن وازدهار المجتمع الدولي ومجموعة الثمانية بشكل خاص. وقد اعتد المشروع على تقرير التنمية البشرية العربية الصادرين في (2002/2003) الذين حددا النواقص الثلاثة التي تكابدها البلدان العربية واعتبار هذه النواقص مسؤولة عن تفريخ التطرف: "الحرية، المعرفة، تمكين المرأة" وما على البلدان العربية إلا أحد خيارين إما الاستمرار في إنتاج الكوارث والمخاطر وإما انتهاج سبيل الإصلاح.³

¹ محمد صادق الهاشمي : الاحتلال الأمريكي ومشروع الشرق الأوسط (تداعياته ونتائجه). ط1، مركز العراق للدراسات ، بغداد 2005.

² ينظر أحمد يوسف أحمد وآخرون : احتلال العراق وتداعياته عربيا واقليميا ودوليا.(بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية)، ط1، الحمراء، بيروت ، لبنان، أوت 2004، ص ص 72-73.

³ ينظر عبد القادر رزق المحامدي : الشرق الأوسط الجديد بين " الفوضى الخلاقة " و"توازن الرعب". ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص 23.

وعملها اتجهت الإدارة الأمريكية في تطبيق سياساتها الثقافية والإعلامية للتصدي لما أسمته بالإرهاب، نحو دعوة الحكومات العربية، بل وإلزامها بالإصلاحات التي تريدها واشنطن لمنع ظهور التيارات الدينية والحركات الأصولية، التي تقف موقف النقيض من ثقافة العولمة وتعمل على التصدي لفكر الغرب وحضارته، والمقاربة الثقافية الأمريكية للإصلاح، في نسختها الرسمية التي قدمت لمجموعة الثمان قائمة على بنود خمسة أساسية وهي:

- الإصلاح المؤسسي باعتماد الحكم الرشيد.
 - توطيد الانفتاح السياسي بإطلاق الحريات الديمقراطية.
 - دعم الإصلاحات الليبرالية التي تؤهل الاقتصاد الشرق أوسطي للاندماج في منظومة العولمة.
 - تمكين المرأة وإشراكها في مراكز القرار والسلطة.
 - بناء وتوطيد مجتمع المعرفة والمعلومات بالاستثمار في التعليم والتقنيات الجديدة.
- وتم التركيز في هذا السياق على بعض المناطق الأكثر حساسية، في المنظور الأمريكي على رأسها دول الخليج العربي، وبالتحديد المملكة العربية السعودية، التي ينحدر غالب المنفذين (خمسة عشرة من تسعة عشر مشارك) لتفجيرات سبتمبر، (أسامة بن لادن)، يقول (وليام كريستول W. Kristol) - رئيس مشروع "القرن الأمريكي الجديد" وأحد أكبر رموز التيار المحافظ الجديد - "إن العقيدة الوهابية، المتبعة في السعودية هي المصدر الأول للراديكالية الإسلامية ولنزعة العداء لأمريكا، وعليه من الواجب فرض إصلاحات جذرية داخلية لتغيير النموذج السعودي وتحديثه بالتخلي عن الراديكالية الوهابية، واعتماد المسلك الديمقراطي التعددي، الذي يتعين تعميمه عربيا وإسلاميا، فالمهم هو بلورة مقاربة جديدة للشرق الأوسط، وعلينا أن ندرك الثمن الباهظ للاحتفاظ بالأنظمة الدكتاتورية في الخليج".¹

واثر هذا التوجه في الخطاب الإصلاحي الجديد تحركت عجلة الإصلاح - بالمفهوم الأمريكي - وإجراءات التحديث في العالم العربي، سعيا إلى إرضاء الخارج رغم انه كان مطلبا داخليا منذ سنوات داخليا، وتهافت الأنظمة العربية تفصح عن خطوات الإصلاح الديمقراطي والسياسي والتعليمي والديني الجديد، مع أنها في واقع

¹ Michel Nesterenko : **Project For A New American Century La Stratégie Des Néoconservateurs Deriere La Guerre Contre La Terreur** . Rapport de recherche n° 2 , Centre Français de Recherche sur le Renseignement , Paris – France, Octobre 2005, p 9.

الأمر لم تأت بجديد كونها ركزت على ما يرضي الآخر أكثر مما يخدم الداخل بخصوصيته القيمة والعقيدية والحضارية .

من جهتها باشرت الولايات تحقيق أنموذجها الإصلاحية الذي سيعمل على تحديث مجتمعات الشرق الأوسط من خلال تفعيل البعد الثاني للدبلوماسية الشعبية، ألا وهو : الاتصال الاستراتيجي " Stratégique Communication"، وهو البعد الذي يحاول تحقيق نوع من الاتساق بين الرسائل المختلفة التي تبثها جهات مختلفة تحت مسمى الدبلوماسية العامة، لعلها في ذلك تكون أشبه بحملات الدعاية الإعلانية أو السياسية،¹ ومن أمثلة تلك الوسائل المستخدمة التي تحقق هذا البعد العام، وسائل الإعلام المرئية والمسموعة بل والمقروءة، فالولايات المتحدة قامت بإطلاق " إذاعة سواء Radio Sawa " في (2002) لتقدم أخبار وتطورات الشرق الأوسط وبقية أحداث العالم وفق الرؤية والإستراتيجية الأمريكية، وهي إذاعة بتمويل أمريكي محض، وبعد سنتين تقريبا أنشأت الولايات المتحدة "قناة الحرة" التلفزيونية في فبراير(2004)، ووصلت الاعتمادات المالية لهاتين المؤسستين سنة (2006)، إلى (89) مليون دولار أمريكي، وارتفع عدد مشاهديها إلى قرابة (3,5%) من الجمهور العربي، كما أصدرت في نفس الفترة مجلة " هاي hi " التي تنشر في الشرق الوسط وتعبر عن طبيعة الثقافة الأمريكية.²

ولم تكن الولايات المتحدة وحدها صاحبة أنموذجها الاصطلاح، بل كان الفضاء مفتوحا للتنافس ، طالما أن الأمر يتعلق بالوجه الجديد الذي يجب أن يظهر عليه العالمين العربي والإسلامي بعد التدايعات الدولية للحرب على الإرهاب، ، لذا يمكننا تلمس عدة مقاربات إصلاحية، تمتاز بحسب مرجعياتها ومصادرها، أبرزها أربع :

1- أوروبا : سعت أوروبا في ظل هذه المقاربة الجديدة، إلى تلمس مصالحها ورؤيتها الخاصة في علاقتها مع العالمين العربي والإسلامي الذي تربطها به وشائج تاريخية وثقافية واقتصادية وجغرافية... عريقة تتجاوز حدود الرؤية الأمريكية، وفي أكتوبر(2003) انعقدت قمة براغ تحت عنوان "الأطلسي والشرق الوسط الكبير"

¹ أحمد السمان، : « مل تمكنت الدبلوماسية العامة من إصلاح الصورة الأمريكية ؟ »، الإصلاح السياسي .. السياسة الأمريكية والاستجابات العربية . « الأهرام للدراسات الإستراتيجية، العدد 129، السنة الحادية عشرة، مركز الدراسات السياسة والإستراتيجية، سبتمبر 2005، ص 100.

² Jeremy M. Sharp: « Middle East Policy Analyst Foreign Affairs, Defense, and Trade Division » . CRS Report for Congress, Congressional Research Service , The Library of Congress, February 2005, p. 5.

سعت من خلالها واشتد إشراف حلفائها في حربها ضد الإرهاب لكنها جوهت باعتراف شديد من قبل ألمانيا وفرنسا وبلجيكا، قبل أن تنظم أليهم اسبانيا بعد استلام (ثابا تيروا T.Teroa) لرئاسة الوزراء في أفريل (2004)، ونشرت باريس وبرلين مشروعاً للإصلاح سمته "شراكة إستراتيجية لمستقبل مشرق مع الشرق الأوسط"، هذه الورقة الفرنسية الألمانية كما سميت تلخص الموقف الأوروبي تجاه مشاريع "الإصلاح" الأمريكي في الدول العربية والإسلامية، فلا يمكن القيام بتدخل "بتدخل ديمقراطي" عسكري في اتجاه واحد، لئلا تتحول الساحة الدولية إلى غابة، يملئ فيها القوي شروطه على الضعيف، ثم إن الديمقراطية لا يمكن فرضها فرضاً من الخارج، والأتمودج العراقي فشل فشلاً ذريعاً، ولا يمكن التعويل عليه لبناء الشرق الأوسط الجديد بالرؤية الأمريكية، وإذا كان الإصلاح ضرورياً فلا يمكن أن يتم إلا بشراكة وتشاور حقيقيين مع دول المنطقة ومجتمعاتها، يقول الرئيس (حاك شيراك) معقبا على ندوة الإصلاح في العالم العربي المنعقدة بتونس " إن فرنسا لا تفرض شيئاً على العرب بل عليهم هم أن يتقدموا باقتراحات"، ويلوم الأوروبيون الأمريكيون على أنهم يضعون مشروعاً طموحاً مكلفاً من دون تقديم مساهمة مالية جدية، بل يتركون لأوروبا دور الممول كما في غزة¹.

2. عربياً توزعت المقاربة العربية في بعدين بارزين :

- **بعد رسمي** : عبرت عنه وثيقة الإصلاح الصادرة عن قمة تونس (ماي 2004)، إذ أكدت على ضرورة " تصميم سعي الدول العربية للإصلاح والتحديث ومواكبة المتغيرات الدولية، وتبني الممارسات الديمقراطية و توسيع المشاركة في الحياة السياسية والعامّة من خلال تعزيز دور مؤسسات المجتمع المدني وطرح رؤى لمجتمع الغد، وتوسيع مشاركة المرأة في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية من خلال تعزيز حقوقهن ومكانتهن في المجتمع وبالسعي لتعزيز الأسرة وحماية الشباب العربي"²، وقد تبنت هذه القمة أهدافاً ومبادئ عديدة مرجعية تؤطر لمشروع الإصلاح، من دون تحديد لآليات وسبل تنفيذه مع ترك هامش واسع للدول في ضبط سقف ووتيرة الإصلاح في ساحاتها الداخلية، مع تأجيل حسم ملف إصلاح النظام الإقليمي العربي إلى القمم القادمة.

¹ ينظر غسان العري : « الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي ومشروع الشرق الأوسط الكبير » . جمال الشلي وخالد شقران : العلاقات العربية الأوروبية بعد 11 أيلول الواقع والآفاق . ط1، دار ورد للنشر والتوزيع، الأردن، 2010، ص 180.

² ينظر أرشيف قرارات القمة العربية : قرار قمة تونس 2004 . [On-line]

- بعد شعبي : عبرت عنه عدة مبادرات رعتها منظمات المجتمع المدني العربية، وعكسته الوثائق الصادرة عن ندوات متميزة انعقدت في صنعاء والإسكندرية والدوحة وبيروت. ولا تخرج في الإجمال عن مطالب التنظيمات السياسية العربية وشبكات المجتمع الأهلي في الإصلاح السياسي والمؤسسي الشامل.

3. مقارنة نخبوية إن جاز تسميتها، وهي قديمة في الطرح وصورتها في الإصلاح لم يكن صادر من ضغط الخارج، بقدر ما كان يستمد قراءته من حاجات الداخل وتناقضاته، تمتد أصولها في الفكرية في عمق التاريخ الفكري والسياسي العربي والإسلامي، تسعى بخطابها نحو تأطير مشروع إصلاح يراعي البعد السياسي وبصفة أخص البعد الإصلاح الديني والاجتماعي والثقافي. فالجتمعات العربية بحاجة إلى كرامة وحرية عدالة اجتماعية¹، وإصلاحات تستبطن واقعها وخصوصياتها أكثر من الإصلاحات السياسية الوهمية. وقد تجسدت مشاريع هذه المقاربة في ديناميكية فكرية واسعة، ومتعددة المشارب والمرجعيات وإن كانت غير منسقة، عبرت عنها شخصيات وكتابات عديدة صدرت في السنوات الماضية، وبالأخص بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، تتمحور في عمومها حول المعوقات الفكرية والثقافية للإصلاح، وسبل تحديد وإصلاح الدين، سواء من داخل أرضيته ومرجعياته الواسعة أو من خارجها.

4- أمريكيا : وهي التي صدرنا بها الكلام في مطلع هذا البحث، لكن ما ينبغي الإشارة إليه أن الإدارة الأمريكية قدمت عدة مبادرات لإصلاح المنطقة الشرق أوسطية تمحورت حول الإصلاح السياسي، إلا أن الدوائر الفكرية والإستراتيجية لم تحسم خيارها الإجراءي، وبقي الإشكال العصي في الطرح هو: ما هي الصيغة المثلى لدفع التحول الديمقراطي المنشود؟ هل يكون بتشجيع قلب أنظمة الحكم القائمة، وإن كانت حليفة مادامت فاسدة وعاجزة، حتى ولو كان الثمن هو الفوضى الشاملة (التي دعتها وزيرة الخارجية بالفوضى الخلاقة)، أو تشجيع التحول المتدرج الواقعي عن طريق الضغط السياسي والاقتصادي لبناء واجهات سياسية مقبولة داخليا ودوليا تكون خطة نوعية في اتجاه مسلك الديمقراطية الحقيقية، ومن الجلي أن مصاعب المخاض العراقي قد حالت دون حسم أي من الخيارين، وهكذا تتأرجح الإدارة الأمريكية بين الخطاب الثوري الحماسي المناادي بنشر الديمقراطية وحقوق الإنسان ولو بالقوة وبين خطاب واقعي خافت يكتفي بالمطالبة بالإصلاح السياسي دون تعيين مضامينه ولا تحديد سقفه.²

¹ بغض النظر عن البعد الاشتراكي التقليدي لمصطلح العدالة الاجتماعية.

² ينظر محمد السيد ولد أباه : مرجع سابق، ص ص 103-107

3-5 التدايعات المؤسسية والقانونية لأحداث الحادي عشر من سبتمبر على العالم.

كان يفترض من أحداث الحادي عشر من سبتمبر في بعديها القانوني والمؤسسي، أن تكون فرصة للمجتمع الدولي، من أجل إعادة بناء أو تأسيس منظومة قانونية دولية معاصرة، تأخذ في اعتبارها المتغيرات الدولية الجديدة... خاصة مع تنامي الحديث عن ظاهرة ما شيع "بالإرهاب الدولي"، وذلك انطلاقاً من التعمق في طرح أسئلة جوهرية دقيقة، كتلك المتعلقة بالمفهوم وحدوده وملابساته ومؤثراته، والدوافع والأسباب الكامنة وراء "الظاهرة"، والمقاربة الأكثر نجاعة لمحاربتها، ومدى إمكانية إدراج ذلك ضمن اختصاص المحكمة الجنائية الدولية، والحلول الممكنة لتجاوز أبعاد الظاهرة من أجل تحقيق عدالة الاجتماعية دولية أكثر، وتعميق قيم الديمقراطية الداخلية والدولية، كأساس وقائي ضد كل أشكال العنف، لكن ما يبدو، أنه لا سؤال من ذلك طرح، ولا هياً للإجابة عليه، بل عقب الأحداث تمسكت الولايات المتحدة -القوى العظمى في العالم- بفرض معالجات أمنية بوليسية في غاية الدكتاتورية والانفرادية، ووسط خلط كبير في المفاهيم والأهداف والوسائل.

وإذا كان القانون الدولي كما يعرف في أدبيات السياسة "مجموعة القواعد القانونية التي تحدد حقوق

الدول وغيرها من الهيئات الدولية، وتعين واجباتها، وتنظم علاقاتها المتبادلة، في أثناء الحرب والسلم والحياد"¹ فإن ما قامت به الولايات المتحدة وبعض حلفائها، من ردود فعل بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، يعد حرقاً مفضوحاً لهذه المحاور الثلاثة جميعاً، رغم محاولات منحها صفة القانونية والمشروعية من خلال در الرماد في العيون، ببعض المصطلحات والخطوات الأمية والقانونية المحتشمة، كحرص الرئيس "جورج بوش (G. W. Bush) على تسميتها " بالحرب العالمية ضد الإرهاب"، بدل "الحرب على الإرهاب"، وتكراره التصريح أن أمريكا "سوف تسعى باستمرار للحصول على دعم المجتمع الدولي" إلا أنه أكد: لن نتردد في التصرف لوحدنا إذا دعت الضرورة لممارسة حقنا في الدفاع عن أنفسنا من خلال التحرك بشكل استباقي ضد التنظيمات الإرهابية التي تهدد أمريكا"للمنعها من إلحاق الضرر بشعبنا أو ببلادنا".²

¹ محمد السعيد المنسوب : الوسيط في القانون الدولي العام . الدار الجامعية، بيروت، 1999. ص 11.

² Dalby Simon : **Geopolitics, Grand Strategy, and the Bush Doctrine**. Institute of Defense and Strategic Studies Working Papers (Singapore), N°. 90, Oct. 2005.

ووجه غداة الأحداث مباشرة قرارا مشتركا من الكونغرس، يخول لإدارته استعمال القوة العسكرية في ممارسة حق الدفاع الشرعي عن النفس، وجاء في القرار " يخول الرئيس باستخدام كل قوة مناسبة ولازمة ضد تلك الدول والمنظمات أو الأفراد الذين يقرر بأنهم صمموا، سمحوا أو ارتكبوا، أو ساعدوا في تنفيذ الهجمات الإرهابية التي حدثت في الحادي عشر من سبتمبر (2001)، وذلك بغية منع أي أعمال للإرهاب الدولي في المستقبل ضد الولايات المتحدة"، وتمت المصادقة على هذا القرار بأغلبية (98) صوتا مقابل لا شيء في مجلس الشيوخ، وبأغلبية (420) صوتا مقابل صوت واحد في مجلس النواب، وتوحد الرأي العام، الذي انقسم بعمق منذ الانتخابات الرئاسية التي جرت في نوفمبر (2000) في تأمين دعم واسع ليس فقط للمجهود الحربي بل للرئيس بالذات.¹

كما سعت الولايات للحصول وحصلت على تصويت بالإجماع في مجلس الأمن الدولي التابع للأمم المتحدة في أيلول /سبتمبر، يطلب القرار رقم (1373)، الذي تم تنبيهه بموجب أحكام الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة الذي يمنح سلطة واسعة لمجلس الأمن الدولي لتنفيذ قراره، ويجعل القرار ملزما لكافة الدول الأعضاء في الأمم المتحدة حيث استوجب من كافة الدول الأعضاء بتجريم النشاطات المالية لتنظيم القاعدة، والمشاركة في معلومات الاستخبارات واتخاذ إجراءات لمنع تحركات الإرهابيين، مع أن القرار له ويشكل أثرا رمزيا أكثر مما هو عملي فقد أمن شرعية متعددة الأطراف للمعركة التي تقودها الولايات المتحدة ضد ما تسميه بالإرهاب الدولي.²

غير انه من الأهمية بمكان الإشارة إلى إن الشرعية الدولية ومؤسستها بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، طعنتا من طرف القوة العظمى الوحيدة في العالم وحلفائها في كثير من المظاهر لعل أبرزها:

- الإعلان الصريح عن نهاية الهيئة الأهمية ومؤسستها، إذ صرح الرئيس (جورج بوش G.W Bush) في خطابه للأمانة العامة لهيئة الأمم بقوله "على الأمم المتحدة أن تفعل ما نريد نحن أو تكون في عداد غير المقبول

¹ غاريس جونلويس : « السياسة الخارجية الأمريكية بعد سبتمبر 2001 ». (تر) : طلال الساحلي ، جريدة السفير اللبنانية، العدد 9396، تاريخ 2003/1/13.

² للاطلاع على نص القرار 1373 ينظر :

[On-line] :<http://www.UN.org/Arabic/terrorism/index.html>, 12/01/2013, 13:56

بهم¹ "وعقب على ذلك مستشاره للدفاع (ريتشارد بيرل R.perle) بقوله في تصريح له مجلة " The

"Guardian" نشكر الله على موت الأمم المتحدة".²

- إصرار القوة العظمى الوحيدة في العالم وحلفائها على الانفراد بالقرارات السياسية والإستراتيجية، المتعلقة بمحاربة الإرهاب أينما حل وحيثما ارتحل، بعيدا عن الإرادة الدولية. ومن دون تحديد للنطاق الجغرافي، ولا مدتها الزمنية، ولا الهدف الواضح.

- استخدام القوة العظمى الوحيدة في العالم وحلفائها بعد الحادي عشر من سبتمبر، لهجة التهديد والتخويف والوعيد باستخدام القوة في العلاقات الدولية، وهذا في حد ذاته تجاوز وخرق، يتعارض مع نص

المادة (2 /4) والتي تحرم مجرد " التهديد باستخدام القوة " في العلاقات الدولية.³

- ولا شك أن أهم أخطر المخالفات القانونية الدولية التي ارتكبتها القوة العظمى الوحيدة في العالم وحلفائها، تمثل بالاعتداء المسلح على دول أخرى ذات سيادة، من غير مسوغ قانوني دولي، ضاربة عرض الحائط كل البنود والمواثيق الدولية التي تحرم " استخدام القوة في العلاقات الدولية ".

وقد ترتب عن هذه التجاوزات القانونية الدولية خروقات كبيرة وتحديات حمة على الجانبين، الأممي والحقوقى للدول والجماعات والأفراد، وبخاصة أولئك الذين يمثلون أو ينتمون أو ينحدرون من أصول عربية وإسلامية، وتزايدت هذه الخروقات في البداية عقب الأحداث، داخل الولايات المتحدة من الجهات الرسمية والشعبية، ثم توسعت لتشمل غالب الدول الغربية التي وطأت إليها أقدام العرب والمسلمين ومن شابههم.

¹ راهول ماهاجان : مرجع سابق، ص 25.

Richard Perle² : « Thank God for the death of the UNIts abject failure gave us only anarchy. »

. The Guardian, Friday 21 March 2003, [On- line] »The world needsorde
http://www.guardian.co.uk/politics/2003/mar/21/foreignpolicy.iraq1,le 17/02/2013, 14: 09h.

³ عبد الله التركماني : « الحرب الوقائية بعد أحداث 11 سبتمبر من وجهة نظر القانون الدولي وحقوق الإنسان - العراق نموذجا - ». ندوة " حقوق الإنسان : المخاطر والتحديات " تنظيم : الرابطة التونسية للدفاع عن حقوق الإنسان وآخرون، يوم السبت 2003/5/3.

[On- line] http://hem.bredband.net / .mkala.syr.torkmani3.htm,

Le 22.02.2013 . 00 : 15h.

✓ ففي داخل الولايات المتحدة : تبنى الرئيس (جورج بوش G.W Bush) مقاربة أمنية جديدة/ تجسدت أولى مظاهرها في إصدار القانون الوطني (The Patriote Acte)، حيث كلف وزيره للعدل (J .Ashcroft) بإعداد مشروع قانون سمي " بقانون توحيد وتقوية أمريكا بتوفير الأدوات الملائمة لتمييز ومكافحة الإرهاب "، وعقب السيد الوزير عقب إعداد المشروع " أن الطريقة غير التقليدية التي تمت بها الهجمات، تقتضي منا اتخاذ تدابير غير تقليدية في تطبيق القانون".¹ ومن أهم التدابير القانونية البارزة في هذا السياق، والتي أثارت سخطا وجدلا كبيرين، يمكن أن نذكر :

✓ ما تعلق بالحق في التحسس على المراسلات الإلكترونية. (الباب الثاني المادة 201).

✓ ما تعلق بتسهيل الحصول وكالات الأمن والمخابرات على الإذن القضائي للتنصت. (الباب الثاني المادة 212) ما تعلق بالحق في "التنصت المتحرك". (الباب الثاني المادة 216).

✓ تشجيع الوشاية أو النميمة، للتبليغ للحصول على المعلومات والأخبار السرية. (الباب التاسع).

✓ شمل القانون توسيع مفهوم "الإرهاب" في القانون بما يجعله فضفاضا، ولينا أكثر ، ويمكن من اعتبار كل أنواع الاحتجاجات العنيفة، والمسيرات المناهضة للحرب، عملا إرهابيا يعاقب عليه القانون، إضافة إلى إزالة كل العقوبات التي تحول دون التحقيق في العمليات الإرهابية. (الباب الخامس إلى التاسع، المادة 802 إلى المادة 908).²

✓ الإخلال بمبدأ " التوازن " بين السلطات : وذلك من خلال توسيع السلطة التنفيذية على حساب القضاء والأسوأ، أنه يضع في يد السلطة التنفيذية جزءا من مهمات واختصاصات السلطة القضائية، فيفتح الباب أمام التعسف السياسي، وألعيب جماعات الضغط على حساب حقوق الأفراد والمؤسسات، في أجواء مشحونة بالخوف والقلق، تستطيع السلطة التنفيذية إيجاد أي نوع من "الصلات" الوهمية بالإرهاب ضد الأفراد الذين لا ترضى عنهم، أو المؤسسات التي ترى من مصلحتها السياسية التخلص منها . (الباب الرابع).³

¹USA Patriot : Uniting And Strengthening America Appropriate Tools Required To Intercept And Obstruct Terrorism. [On-Line]
http://www.fincen.gov/pa_main.html.

في 24 أكتوبر 2001 صادق الكونغرس الأمريكي على هذا القانون، وبعد ذلك بيومين وقع الرئيس على هذا القانون ليصبح ساري المفعول الذي أرادت الإدارة من ورائه تقويم النظام القانوني الأمريكي لمواجهة تحدي الإرهاب الدولي.

² Ibid.

³ Ibid.

إن أكبر خرق لحقوق الإنسان- والطفل والحيوان والجماد- جراء تطبيق " القانون الوطني " تجسد في الحربين اللتين خاضتهما الولايات المتحدة في أفغانستان والعراق، وتداعياتها الأخلاقية والإنسانية التي فاقت كل التصورات، في السجون والمعتقلات السرية والعلنية، ولعل معتقل " غوانتانمو " يبقى أكبر شاهد ودليل على غطرسة القوة العظمى وحلفائها تجاه حقوق الإنسان، جاء في تقرير منظمة (منظمة العفو الدولية) " ظل آلاف المعتقلين محتجزين، ولا يزال¹ دون تهمة أو محاكمة لدى الولايات المتحدة في العراق، وأفغانستان، والقاعدة البحرية الأمريكية في خليج "غوانتانمو" بكوبا.

واعتمد الكونغرس " قانون اللجان العسكرية " الذي يجرّد المحاكم الاتحادية الأمريكية من الاختصاص بنظر دعاوى الاستدعاء القضائي التي يقيمها مثل هؤلاء المحتجزين للطعن في اعتقالهم أو معاملتهم، ويجيز إجراء محاكمات أمام اللجان العسكرية، ويعدل "قانون جرائم الحرب الأمريكي"، فيما أكد الرئيس (جورج بوش G.W.Bush) وجود برنامج للاحتجاز السري تديره "وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية"، ووردت أنباء عن وقوع أعمال قتل، يحتل أن تكون عمليات إعدام خارج نطاق القضاء، على أيدي جنود أمريكيين في العراق، ولا يزال التقاعس مستمرا عن محاسبة بعض كبار المسؤولين الحكوميين على ما تعرض له المعتقلون في إطار "الحرب على الإرهاب" من التعذيب وغيره من صنوف المعاملة السيئة، برغم الأدلة على أن الانتهاكات كانت ترتكب بصورة منهجية، ووردت أنباء بخصوص وحشية الشرطة وتعرض السجناء لسوء المعاملة في مراكز الاحتجاز بالولايات المتحدة. وتوفي ما يربو على (70) شخصا بعد تعرضهم للصلع بمسدسات الشرطة الصاعقة. وأعدم (53) شخصا في (14) ولاية².

وبرغم من قرار المحكمة العليا الأمريكية، الصادر في جوان (2007)، الذي يقضي قضت بطلان اللجان العسكرية التي أنشأها الرئيس (بوش G.W Bush)، وإلغاء القرار الرئاسي بعدم تطبيق المادة 3 المشتركة بين "اتفاقيات جنيف" الأربع على المعتقلين الذين يشبه بأن لهم صلات بحكومة "طالبان" السابقة أو بتنظيم "القاعدة". وبرغم ما تضمن هذا القرار من نصوص بالغة الأهمية وصلت حد الإداة لوزير الدفاع (رامسفالد D. Rumsfeld) ومسؤولين كبار في الإدارة الأمريكية لارتكابهم حوادث تعذيب مشينة للمعتقلين

¹ حتى تاريخ أبريل 2013 كتابة ومراجعة هذه الأسطر .

² ينظر تقرير منظمة العفو الدولية : حقوق الإنسان في الولايات المتحدة 2007،

[On- line] <http://www.amnesty.org/ar/region/usa/report-2007>,

Le 22.02.2013 . 00 : 15h.

في " غوانتانامو " و ملخص التقرير أن (رامسفالد D. Rumsfeld) شارك في عمليات التعذيب عبر إقراره لإستخدام تقنيات قاسية في المعتقل...¹ لم يتغير شيء على أرض الواقع، وحدير بالإشارة في الأخير أن الحمل الأكبر في هذه المضايقات قد وقع على العرب والمسلمين، إذ تشير إحصائيات "مجلس العلاقات الإسلامية - الأميركية CAIR " عن الحوادث التي أبلغ بها المجلس، ضد المسلمين خلال الفترة الفاصلة بين (9/11 و 2001/11/29) قد بلغت (1452) حادثة، تتراوح بين القتل والتحرش اللفظي. وقد صنف المجلس هذه الأحداث كما يلي :

التحرش في الأماكن العمومية (335) حالة، الاعتداء الجسدي والإضرار بالملكات (265) حالة، رسائل الكراهية والحقد (262) رسالة، المضايقة على أيدي الشرطة أو أو محققى الـ (FBI) وصلت إلى (178) حالة، أحداث التمييز (129) حالة، أحداث التمييز في أماكن العمل (127) حالة، أحداث التمييز في المدارس (61) حالة، التهديد بالقتل (60) حالة، القتل الفعلي (19) حالة، التهديد بالقنابل (16) حالة.²

وقد أثار صدور القانون سخطا وجدلا كبيران بين الإدارة الأمريكية وجزء لا بأس به من فعاليات المجتمع المدني الأمريكي، والدولي خاصة من طرف المنظمات غير الحكومية الناشطة في مجال حقوق الإنسان، على رأسها منظمة الأمم المتحدة التي انتقدت رئيسها - وإن على استحياء - الوضع السائد لحقوق الإنسان في الولايات المتحدة بعد صدور قانون " باتريوت "، خاصة الأقليات والجاليات العربية والمسلمة، وفي منتدى "دافوس الاقتصادي" يوم (23 جانفي 2004) قال (كوفي عنان K. Annan) " إن الحرب ضد الإرهاب قد تكون مصدرا لانشغالات جدية متعلقة بحماية حقوق الإنسان والحريات المدنية " ³، ومن جهتها منظمة العفو الدولية لم تتوان في إعلان تخوفها من تراجع الحريات وحقوق الإنسان في الولايات المتحدة جراء تطبيق القانون الجديد، وأصدرت سلسلة من التقارير المفصلة منذ (2001) إلى (2011)، كلها أسف وإدانة

¹ The Journal of the Supreme Court of the United States : [On- line] <http://www.supremecourt.gov/orders/journal.aspx>, Le 18.07.2013 .

01 : 59 h.

²Council on American Islamic Relations: A Co-Conspirator to Terror, CAIR , [On-line] <http://www.cair-net.org/>. le 22.02.2013.00:49h.

³ Kofi Annan : speech address, to the World Economic Forum Davos, 23 January 2004. [On-line] <http://un.by/en/news/quotes/peace/>.le 22.02.2013.00:49h.

للخروقات الفاضحة للحريات العامة وحقوق الإنسان،¹ كما عبرت اللجنة العربية الأمريكية لمكافحة التمييز " عن خيبتها لتبني الكونغرس مثل هذا القانون الذي يتضمن إجراءات تمييزية ضد العرب والمسلمين من دون سند قانوني، ورفعت المنظمة أكثر من (1073) شكوى لوزارة العدل، حول اعتقال غير شرعي لمواطنين أمريكيين من أصل عربي و مسلم، لكن وزارة العدل لم تفتح تحقيقا سوى في (14) شكوى فقط، وعموما ودارت احتجاجات هذه الفعاليات حول محورين أساسيين :

الأول : هو بعض تدابير هذا القانون المتشددة والجريئة وغير المسبوقة في التعامل مع الأفراد والجماعات، والتي تشكل تراجعا خطيرا في وضعية حقوق الإنسان في بلد تقاليد لا تسمح بمثل هذه الخروقات.

الثاني : هو أن التدابير القانونية كانت في أغلبها مستهدفة وموجهة ضد فئات معينة من المجتمع الأمريكي وهم العرب والمسلمين.

أما خارجيا : لم تقتصر الانعكاسات السلبية لإحداث الحادي عشر من سبتمبر في مجال حقوق الإنسان على الولايات المتحدة فقط، وإنما امتدت آثارها لتشمل مناطق عديدة عبر العالم، على قدر امتداد ما سمي " بالحرب على الإرهاب"، التي تجسدت في صدور كثير من القوانين والتشريعات الجديدة ضد العرب والمسلمين، خاصة تلك المتعلقة باللجوء والمهجرة وحرية ممارسة الشعائر الدينية والثقافية والسياسية في غالب مدن العالم والغربي خاصة.

أوروبا : كعادتها المملكة المتحدة كانت السبابة، لإنشاء قانون "بترىوت بريطاني" يتماشى ومقاييس النوعية للقانون الأميركي، بداعي أن بريطانيا ربطت سياستها الخارجية ومصالحها الإستراتيجية برؤية الإدارة الأمريكية المحافظة. فرغم وجود قانون مكافحة الإرهاب منذ سنة (2000)، إلا أنه تم تبني قانون جديد في نوفمبر (2001) يهتم مكافحة الإرهاب والجريمة وإقرار الأمن، في منتهى السرعة وردة الفعل، حيث لم تدم مناقشته أكثر من (16) ساعة في مجلس العموم، رغم انه يحوي أكثر من (129) مقطع جديد، ويهدف القانون إلى السماح بإعلان حالة الطوارئ، والترخيص للحكومة بتعليق (المادة 5) من الاتفاقية

¹Amnesty International Rapport, from (2001) to 2011, [On-line] <http://www.amnesty.org/ar/news-and-updates/usa-u-turn-trial-forum-911-suspects-betrays-human-rights> 2011-04-05-1, 17/02/2013, 14:14 h.

الأوروبية لحقوق الإنسان (التي لم تدمج في القانون البريطاني إلا سنة (1998)، وهي المادة التي تمنع الاعتقال التعسفي والاحتجاز دون محاكمة. ويتضمن القانون مقتضيات تمييزية حيث تمنح وزير الداخلية سلطة احتجاز غير محدود للأشخاص الخاضعين للرقابة على المهجرة (أي الأجانب).¹

أما باقي المجموعة الأوروبية، وان أعلنت وقوفها إلى جانب إجراءات القانون الوطني الأمريكي، إلا أن تعاونها، في مجال مكافحة الإرهاب بدا نوعيا وخافتا إلى حد ما-خاصة مع تحفظ كل من فرنسا وألمانيا على الإستراتيجية الأمريكية- ولم يبدأ الاتحاد الأوروبي في اتخاذ إجراءات ملموسة، إلا بعد أحداث مدريد مارس (2004)، أين عمد إلى تعيين الهولندي (غيس دي فريس G M. de Vries) كمنسق لمكافحة الإرهاب،² كما تبني الاتحاد فكرة مذكرة اعتقال أوروبية وحيدة، ومبادرة تخزين بيانات اتصالات المواطنين التي تجرى عبر الإنترنت والهواتف، ولو دون سبب معروف لمدة ستة أشهر على الأقل، وذلك لتسهيل مكافحة الجريمة والإرهاب. وقد وجه الاتحاد خطابا شديدا للهجة لألمانيا لما عارضت في البداية هذا الفكرة ولم تطبقها، وحاولت ألمانيا الاستجابة لكن صدر قرار من المحكمة الدستورية العليا في ألمانيا يقضي بعد دستورية قانون تخزين البيانات.³

إلى جانب إصدار العديد من القوانين والمذكرات الأمنية السرية لمحاصرة ما سمي بالجريمة والإرهاب، وهي تدابير أمنية نحت بشكل ملموس نحو توسيع الهوة بين الأنظمة والشعوب، والديانات والأعراق، وزادت من حساسية الموقف تجاه الأقليات والمهاجرين واللاجئين، كما روجت للأفكار الجاهزة التي تعد أرضية خصبة للعنصرية والعنف، أكثر مما بسطت من حلول .

أما في باقي دول العالم فقد سمحت لأجواء التي خلقتها " الحملة ضد الإرهاب " بأمرين خطيرين :

¹ Susan Breau Stephen Livingstone And Rory O'Connell : « Anti-Terrorism Law and Human Rights in the United Kingdom post September 11 » . **Human Rights Centre**, Queens University Belfast.[On-line] www.britishcouncil.org/china-society-publications-911.pdf , le 13/02/2013, 14:18 h.

² Jan Wouters and Tom Ruys : **The Fight Against Terrorism and the European Security Strategy** . Working Paper No 64 - November 2004, Institute for International Law K.U. Leuven, 2004, p 09.

³ ينظر : دون توقيع : « الاتحاد الأوروبي يتخذ إجراءات ضد ألمانيا بسبب عدم تخزين بيانات الاتصالات » . الاقتصادية ، العدد 6463، الأربعاء 20 رجب 1432 هـ. الموافق 22 يونيو 2011 ، المملكة العربية السعودية، ص 16.

- مصادرة حقوق الشعوب في المقاومة وربطها بالإرهاب : فقد منحت هذه التطورات عدة أنظمة وحكومات ذات سجل رديء في ميدان حقوق الإنسان، إعلان انخراطها في الحملة ضد الإرهاب ، على رأسها حكومة الاحتلال برئاسة (ارييل شارون A. Sharon) التي ضربت عرض الحائط كل المواثيق والعهود الدولية، وقرارات مجلس الأمن، والجمعية العامة، ولجنة حقوق الإنسان، ولو لمجرد التحقيق في آثار العمليات الحربية كما حصل في مخيم جنين في شهر أبريل (2002) ، وحرب غزة (2008). وراحت تمارس الرعب والدمار على شعب أعزل، مرتكبة في حقه جرائم حرب، وعملية إبادة عرقية فريدة في هذا القرن، كل ذلك بحماية قانونية أمريكية، وصمت دولي رهيب.

- كما كانت الأجواء فرصة لقمع إرادة المعارضات الداخلية : كما تكشف عن ذلك تقارير المنظمات الحقوقية الدولية والإقليمية،¹ فكثير من الدول التي كانت موضع مساءلة صارت تتخذ من الحملة ضد الإرهاب وسيلة لقمع معارضتها، ذكرت (المنظمات الحقوقية الدولية) من سبيل ذلك دول مثل : الصين، روسيا، ماليزيا، مقدونيا، زيمبابوي، جنوب إفريقيا، تونس، المغرب، مصر، كولومبيا، الكونغو، المكسيك، اندونيسيا.² عربيا : بعد أقل من شهر من أحداث الحادي عشر من سبتمبر، تقدمت الإدارة الأمريكية بلائحة مطالب لكل العرب،³ تضمنت:

✓ تقديم كشوف عن المعلومات الأمنية المتعلقة بالمنظمات الإرهابية.

✓ تسليم قادة المنظمات "الإرهابية".

✓ إغلاق المكاتب والقواعد.

✓ المساهمة المالية.

✓ تقديم مساعدات سياسية وإعلامية ومشاركة عسكرية حين الطلب.

✓ التوقف عن التحريض الإعلامي على الإرهاب.

¹ ينظر في السياق على سبيل المثال لا الحصر كل تقارير منظمة العفو الدولية الصادرة من تاريخ 2001/09/11 إلى اليوم عبر موقعها الرسمي : <http://www.amnesty.org/ar>

² International Council on Human Rights Policy (I.C.H.R.P.) : **Human Rights after September 11**. a Report ,Genève, Suisse, 2002. pp 25-28.

³ Michael C. Hudson : « After the Gulf War: Prospects for Democratization in the Arab» **World. Middle East Journal** .Vol. 45, No. 3 Middle East Institute. Summer, 1991, pp. 407-426.

على إثر تصريح لمساعد وزير الدفاع الأمريكي يقول فيه أن الحالة خطيرة بشكل يتطلب إجراء العديد من التحقيقات خارج الأراضي الأمريكية، وذلك بما لا يتناسب مع التزامات الأجهزة الأمنية الأمريكية في القانون الأمريكي واتفاقية مناهضة التعذيب، تبرعت عدة دول للقيام بالتحقيق على أراضيها بوجود ضباط أمريكيين. وفي شهادة قدمها المواطن الكويتي (خالد الدوسري)- المعتقل السابق في السجون المغربية - إلى اللجنة العربية لحقوق الإنسان، يعدد الدوسري وسائل التعذيب التي تعرض لها من تاريخ (11/جوان/2002) إلى (2002/8/19)، الضرب والجلد والحرق بأعقاب السجائر، والحرمان من الطعام والنوم والإضاءة العالية وتكرار الضرب على الرأس ووضع صافرة في الزنزانة، وشرب سائل يؤثر على الدماغ، والسب والشتم والإهانة والإجبار على تقبيل أرجل المحققين والابتزاز والمساومة والإجبار على الإدلاء بمعلومات كاذبة مثل الانتماء لأمن القاعدة أو اللقاء بمسؤول مخبرات عراقية أو مسؤول في حماس. ويؤكد في شهادته على وجود ضباط من المخبرات الأمريكية إلى جانب ضباط أمن مغاربة في التحقيق وطلب منه التصريح بوجود علاقة بين القاعدة والنظام العراقي مقابل الإفراج عنه.¹

ويمكن تلخيص المشهد العربي في هذا السياق، ومعالم الصورة الجيوسياسية، التي أعقبت إملاءات الولايات في الآتي² :

- إن حاجة الإدارة الأمريكية لأجهزة الأمن العربية في حروبها الخارجية "أعاد الاعتبار" لهذه الأجهزة وجعل من الخطاب الأمريكي حول الديمقراطية في العالم العربي أضحوكة لا تنطلي على أكثر الناس سداجة.
- من الواضح أن النتيجة الأساسية على الصعيدين النفسي والسياسي لتهافت النموذج الغربي لحقوق الإنسان، هو إفلات الديكتاتوريات الصغيرة من عقابها. فمن بين معتقل " غوانتانامو " غير قادر على المطالبة بإغلاق السجون العربية والإسرائيلية السيئة الصيت.
- لم تعد حقوق الإنسان في الخطاب الأمريكي الرسمي سوى عبارات مفرغة من معانيها تستهلكها الإدارة الحالية مع خصومها السياسيين على الصعيد العالمي.

¹ ينظر هيثم مناع : « حقوق الإنسان في العالم العربي في ظل 11 سبتمبر: الواقع، الصعوبات والطموحات » . محاضرة منشورة ألقى في لاهاي بدعوة من مكتبة شايلدريك في 2003/1/31.

[On- line] <http://www.mokarabat.com/m5.6-7.htm>, Le 18.07.2013 . 01 : 59 h.

² ينظر المرجع نفسه .

- بعد إفلاسه في معارك الديمقراطية والتنمية والوحدة القومية، لم يعد للنظام العربي، مع تصويت سورية باسم المجموعة العربية على القرار (1441)، ما يقوله في السيادة والاستقلال والقرار القومي. فالقواعد الأمريكية توسعت في الجزيرة والخليج، والوجود المخابراتي الأمريكي أصبح في أهم مراكز التحقيق في العالم العربي.
- إن رفض معظم الأنظمة العربية المراهنة على شعوبها والتعاون مع الإدارة الأمريكية في مشاريعها الإقليمية، قد جعل منها ليس فقط السلطة التي تنتهك حقوق مواطنيها وترفض أي انفتاح وإصلاح سياسي، بل أحد أهم المنتجين للعنف المجتمعي، مع كل ما يترتب على ذلك من نتائج على المسلمين الأهلي والعالمي.
- شيء من الأمل فإن الهاوية التي سقط فيها النظام العربي وإن تركت آثارا على المجتمعات، إلا أنها لن ترسم بالضرورة مستقبل الشعوب. ولا أدل تهاوي الدكتاتوريات العتيدة والمخلدة في سماء العالم العربي منذ سنين، كالأوراق الذابلة بفعل ما سمي بثورات الربيع العربي .

3-6 التدايعات العسكرية و الأمنية لأحداث الحادي عشر من سبتمبر .

فرضت أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001) تحديات كبيرة على الفكر الإستراتيجي الأمريكي، وبالضبط المقاربة الأمنية والعسكرية المناسبة لمواجهة التحديات والأخطار الممكنة، خاصة بعدما اتضح فشل إستراتيجية الأمن القومي القائمة على "الردع والاحتواء" مع الاتحاد السوفيتي والدول المعادية الأخرى، لقد أبانت الأحداث ميلاد تحديا غير مسبوق، وتحولا جذريا في المعادلة الإستراتيجية التقليدية، بدخول الإرهاب لأول مرة كمتغير فاعل في السياسة والعلاقات الدولية، وبات من المهم لدى الإدارة الأمريكية ضرورة التفكير في صياغة سياسة أمنية ودفاعية جديدة فعالة، تتجاوز حدود الردع والاحتواء، ومن شئنها أن تبقى على امتيازات الهيمنة والتفوق لدولة عظمى مثل الولايات المتحدة، وكان ذلك واضحا مع تحول الخطاب الأمريكي الرسمي نحو توجيه الانتباه العام للجماهير، إلى فكرة دخولهم مرحلة جديدة، وأن البلاد هي في حالة حرب، وحرب تختلف عن سابقتها زمانا ومكانا وحالا... ، بما يوحي أن ثمة تحول في إستراتيجية الأمن القومي، نحو سياسة أمنية وعسكرية بدت ملامحها أكثر عنفا وقوة وحسما في المستقبل المنظور. وهو ما وقع بالفعل إذ لم تمض أشهر قليلة- (جويلية 2002) - حتى أعلن الرئيس (جورج بوش G.W Bush) في خطاب ألقاه بكلية "ويست بوينت" العسكرية، على خلفية انتهاء الحرب الباردة مخاطبا طلاب الكلية قائلا : " إن الإستراتيجية الدفاعية الأمريكية إبان الحرب الباردة كانت تعتمد على عقيدتي الردع والاحتواء، وربما مازال من الممكن تطبيق هاتين الإستراتيجيتين في بعض الحالات، ولكن ثمة تهديدات جديدة تتطلب نوعاً جديداً من التفكير"¹ ، لفترة طويلة من القرن الماضي أعتمد الدفاع الأمريكي على مذهب الحرب الباردة .. الردع ومحاصرة القوة.. في بعض الحالات ما تزال هذه الاستراتيجيات صالحة للتنفيذ إلا أن التهديدات الجديدة تتطلب أيضا تفكيراً جديداً. الردع (وهو التواعد بئثار قاسي ضد الدول) لا يعني شيئاً في التعامل مع شبكات إرهابية خفية ليست لها دولة أو مواطنين تريد حمايتهم. وحصار القوة ليس ممكنا حين نتعامل مع دكتاتوريين موتورين لديهم أسلحة دمار شامل قادرين على توصيلها بالصواريخ إلينا أو على توفيرها لحلفائهم من الإرهابيين.

لا نستطيع أن نحمي أمريكا وأصدقائها بتمني الأفضل.. لا نستطيع أن نثق في كلمات الطغاة الذين يوقعون بكل خشوع اتفاقيات واضحة ثم يخرقونها بشكل تلقائي. لو انتظرنا حتى تتجسد التهديدات أمامنا

¹ George W. Bush : **Speech National security strategy** . [On -line] http://www.archive.org/details/george_bush_archive, sept 2002, le 17/02/2013, 15:28h.

تماما سنكون قد انتظرنا أكثر من اللازم (...). قوات الدفاع الموجودة للحفاظ على الأمن الداخلي وقوات الدفاع المضادة للصواريخ هما جزءا من أمن أقوى ... إنهما أولويات جوهرية لأمريكا لكننا لن نفوز في حربنا ضد الإرهاب بالدفاع، علينا أن نأخذ المعركة إلى أرض العدو، وأن نفسد خططه ونواجه أسوأ التهديدات قبل أن تظهر ...، في العالم الذي دخلناه الطريق الوحيد للأمان هو طريق الفعل والتحرك.. وهذه الأمة سوف تتحرك.¹

لقد كان هذا الخطاب بمثابة الإعلان الرسمي لتبني إستراتيجية الحرب الإستباقية، ونفهم هذه الإستراتيجية بدقة في السياسة الخارجية الأمريكية، إذا ما تفحصنا الوثيقتين المترابطتين المتتاليتين اللتين تعاملت معهما الإدارة الأمريكية كمرجع أساس في هذا السياق، ونعني بذلك : وثيقة بوش الإدارية الصادرة سبتمبر (2002) والتي أذاعت إستراتيجية الأمن القومي (NSS)، ووثيقة بناء الدفاع الأمريكي (RAD) التي ظهرت كخطة للقرن الأمريكي الجديد في سبتمبر (2000) ، وكلا الوثيقتين تمتد أصولهما إلى أفكار وافتراضات منظري اليمين المحافظ المتصهين، من أمثال: (بول وولفوفيتز P. Wolfowitz ، هنري ليوس H. Lewis ، ويليام كريستول W. Kristol ، وروبرت كاغان R. Kagan ، ريتشارد بيرل R. Perle ..) وغيرهم.²

ومذهب (جورج بوش G.W Bush) القائم على "التأثر الوقائي" — كما يصفه — أحد مسؤولي الإدارة الأمريكية — يظهر واضحا في خطة الأمن القومي : " في حين ستسعى الولايات المتحدة الأمريكية باستمرار للحصول على تأييد المجتمع الدولي فإننا لن نتردد في التحرك وحدنا، لو لزم الأمر، لممارسة حقنا في الدفاع عن النفس والقيام بمجمات وقائية...وعليه فهذه الإستراتيجية الإستباقية تؤكد على جملة من السياسات الاستثنائية، والأهداف العامة، لعل أبرزها بداية خصوصية الولايات المتحدة (كدولة عظمى) تمكنها من مباغته أعدائها بضربات حاسمة، والتصرف بمفردها دون حاجة لشرعية ومواقف المجتمع الدولي"³، وفي هذا يقول الرئيس (جورج بوش G.W Bush) في خطابه، إن الولايات المتحدة " لن تتردد في العمل بمفردها إذا لزم الأمر لممارسة حقها في الدفاع عن نفسها بشن حرب إستباقية ضد الإرهابيين، ومنعهم من إلحاق أضرار

¹ George W. Bush : **Speech National security strategy** . Op cite.

² راهول ماهاجان : مرجع سابق، ص ص 44-47 .

³ Thomas P. M. Barnett : **The Pentagon's New Map: War and Peace in the 21st Century**. New York : Berkeley Books, 2004, p. 261.

بشعبنا وبلدنا"¹، كما أن استخدام النووي في هذه الضربات الوقائية مسألة أساسية، ليس فقط السلاح النووي التكتيكي ولكن ربما السلاح النووي الاستراتيجي "نحن نريد أن نستخدم أقل قدر من القوة لتحقيق الهدف المطلوب إذا كان ذلك ممكنا أصلا عن طريق الأسلحة التقليدية، ولا نرغب في عبور الحاجز النووي إلا في حالة طوارئ قومية قصوى ولكن هناك بعض المخابئ ذات القوة الاستثنائية مما يجعل استخدام أسلحة ذات إشعاع نووي كثيف أمرا لا بد منه"².

وهي إذ تؤكد على ما كفله القانون الدولي من حق الدول في العمل ضد "خطر من هجمات وشيكة"، فإنها تكفل لنفسها حق تفسير وتأويل وإثبات كل أنواع الأخطار وأبعادها الجغرافية والأمنية والثقافية... وغيرها، وفي هذا يفصل الرئيس في خطابه قائلا: "ينبغي تكيف مفهوم التهديد الوشيك مع مقدرات وأهداف أعداء اليوم. فكلما كان التهديد أكبر، كلما ازدادت مخاطر السلبية، وأصبح من الضروري اتخاذ عمل بالاعتماد على توقعاتنا لحماية أنفسنا، وحتى لو اكتنف الغموض زمان ومكان هجوم العدو، فإن الولايات المتحدة سوف تقوم بأعمال إستباقية عند الضرورة"³ وحتى لا يشكل العدو تهديدا وشيكا، فإن الولايات المتحدة سوف تشن الضربة الأولى ضد الإرهابيين، ومن يأويهم بعلم منه، أو يقدم لهم المساعدة"⁴.

وفي خطابه المشار إليه، يلخص الرئيس الأمريكي (جورج بوش G W. Bush) أهداف هذه الإستراتيجية الجديدة - مشيرا أنها ليست ملزمة للولايات المتحدة فحسب، بل لجميع الدول المتطلعة إلى عالم أفضل، حسب قوله- في النقاط الثمانية الآتية:

- ✓ دعم كل التطلعات من اجل نيل كرامة الإنسان.
- ✓ تعزيز التحالفات من أجل هزيمة الإرهاب العالمي والعمل على منع وقوع هجمات ضدنا وضد حلفائنا.
- ✓ العمل مع الآخرين لنزع فتيل الصراعات الإقليمية .

¹ George W. Bush : «"The National Security Strategy of the United States». The New York Times, 20 September 2002.

² Kurt m. Campbell And Richard Weitz : **Non Military Strategies For Countering Islamiste terrorisme : Lessons Learned from past counterinsurgencies** . The Woodrow Wilson School of Public and International Affairs, Princeton Project Papers /Princeton University, 2008 , p31.[On-line] <http://www.princeton.edu/>. le 17/02/2013, 15:28h.

³ George W. Bush Presidential : **The National Security Strategy of the United States**, Op Cite.

⁴ ibid.

- ✓ منع أعدائنا من تهديدنا وحلفائنا وأصدقائنا، بأسلحة الدمار الشامل.¹
- ✓ إشعال حقبة جديدة من النمو الاقتصادي العالمي من خلال الأسواق الحرة والتجارة الحرة.
- ✓ توسيع دائرة التنمية من خلال فتح المجتمعات وبناء البنية التحتية للديمقراطية.
- ✓ وضع جداول للعمل التعاوني مع المراكز الرئيسية الأخرى للقوة العالمية ، وتحويل مؤسسات الأمن القومي الأمريكي لمواجهة التحديات والفرص في القرن الحادي والعشرين.²

من المؤكد أن الإستراتيجية العسكرية الأمريكية لمكافحة الإرهاب، هي إستراتيجية عدوانية بكل المعايير القانونية والسياسية والأخلاقية، حيث يعتمد خيار الحرب الإستباقية على تأويل ذاتي، ومفهوم مصلحي لحق الدفاع عن النفس، كما أن الحرب التي تخوضها الولايات المتحدة الأمريكية ضد الإرهاب دائمة ومفتوحة، وليس لها سقف زمني، فلقد بدأت لكي لا تنتهي، أو على الأقل لن تنتهي إلا في التوقيت الذي تختاره الإدارة الأمريكية، وبالطريقة التي تراها.

وعقب إعلان هذه الإستراتيجية عمدت الولايات المتحدة إلى الشروع في سياسة الانتشار الأمني والعسكري عبر العالم، من خلال بناء تحالف، شن حروب، إقامة القواعد، وإعادة نشر القوات المسلحة، لضمان امتداد المظلة العسكرية الأميركية إلى معظم المناطق التي يتوقع أن تكون مصدرا لخطر قادم.

أ- في المجال الأمني :

لفترة طويلة من القرن الماضي أعتمد الدفاع الأمريكي على مذهب الحرب الباردة .. الردع ومحاصرة القوة، وقد تبدوا في بعض الحالات أن هذه السياسة الأمنية ما تزال قابلة للتنفيذ، إلا أن التهديدات الجديدة من وجهة نظر المحافظون الجدد، وأصحاب اليمين المتصهين تتطلب أيضا تفكيراً جديداً أكثر حزماً وضبطاً ونجاعة في تحقن أهداف الأمن القومي الأمريكي، لذا وجب سياسة الردع (وهو التوعد بئثار قاسي ضد الدول) التي لا تعني شيئاً أمام تحدي شبكات إرهابية خفية ليست لها دولة أو مواطنين تريد حمايتهم. وحصار القوة ليس ممكناً حين نتعامل مع دكتاتوريين موتورين لديهم أسلحة دمار شامل قادرين على توصيلها بالصواريخ إلينا أو

¹The White Hous :**The National Security Strategy of the United States of America . Washington.** [On-line] <http://www.informationclearinghouse.info/article/2320.htm>, le 17.02.2013, 16:15 h.

² George W. Bush Presidential : **The National Security Strategy of the United States**, Op Cite.

على توفيرها لحلفائهم من الإرهابيين، والتحول إلى سياسة إستباقية تقوم على "الدفاع الوقائي".¹ وقد جد الرئيس (جورج بوش G.W Bush) في تبني هذه المقاربة الأمنية الجديدة، وتجسدت أولى مظاهرها في إصدار القانون الوطني (The Patriote Acte)، حيث كلف وزيره للعدل (John Ashcroft جون اشكروفت) بإعداد مشروع قانون ما سمي "بقانون توحيد وتقوية أمريكا بتوفير الأدوات الملائمة لتمييز ومكافحة الإرهاب"، وعقب السيد الوزير عقب إعداد المشروع "أن الطريقة غير التقليدية التي تمت بها الهجمات، تقتضي منا اتخاذ تدابير غير تقليدية في تطبيق القانون"، وعقبت عليه السيدة (رايس G. Rice) مستشارة الأمن القومي بأنه "استباق فعل التدمير الذي قد يقوم به عدوك ضدك"،² وفي هذا السياق تحدد مصادر التهديد وطبيعته الحاجة إلى شكل القوة المستخدمة سواء كان ذلك عن طريق حرب شاملة أو عمليات عسكرية محدودة، عل أساس أن المقاربة الأمنية الجديدة تقوم على الخيارات الإستراتيجية الآتي :

- خيار المبادرة (Initiative) : بمعنى بدء الأعمال العسكرية أولاً وقبل الخصم، حيث يتمكن المهاجم من حرية فرض وجوده وتحديد مسار المعركة ودرجة تواتر الأحداث، وإجبار الخصم على إبداء ردود أفعال على الشكل الذي يبتغيه المهاجم الذي يقرر وحده وقت الضربة الأولى ومكانها وحجمها.³

- خيار المفاجأة (Surprise): ويكمن في اختيار اللحظة المناسبة لبدء العمليات العسكرية ومباغطة الخصم، وترتبط المفاجأة وكلما كانت الضربة الأولى مدروسة بعناية ودقة وأدت إلى تحقيق أهدافها كانت المفاجأة أكبر على الخصم. وبرغم أهمية المفاجأة فقد درج بعض المنظرين العسكريين على عدم الاعتداد كثيراً بأهميتها كونها ذات طبيعة غير حاسمة ومؤقتة قد يتمكن الخصم الإفلات منها بسهولة فأهميتها ضئيلة عند وجود خصم قوي.⁴

¹ ينظر أليكس كالينيكوس: الإستراتيجية الكبرى للإمبراطورية الأمريكية. مركز الدراسات الاشتراكية، القاهرة، مصر، (د ت)، ص 9.

² « Anticipatory Defence in the war on terror » . Interview with : Condoleezza Rice is National Security advisor to USA. President C. W. Bush, [On-line] <http://www.npq.org/archive/2002-fall/ric/html> . le 22.02.2013.01:18h.

³ ينظر سليم شاكر الأمامي: الدفاع والردع، أما زال الدفاع هو الشكل الأقوى للحرب. دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1988، ص 44.

⁴ ينظر إسماعيل صبري مقلد: « الإستراتيجية السوفيتية في العصر النووي » . مجلة السياسة الدولية، العدد 7، السنة الثالثة، 1967، ص 44-49.

- خيار نقل المعركة إلى ارض العدو (Combat Transfert) : يؤكد معظم القادة السياسيين والعسكريين على أهمية هذا العنصر فقد صرح الرئيس الأمريكي (جورج بوش) " علينا أن ننقل المعركة إلى ارض العدو نشوش عليه خططه ونواجه أسوء التهديدات قبل أن تبرز"¹.

ورغم هذه السياسة الأمنية الجريئة والمتفردة حرصت إدارة المحافظين الجدد على الحصول، وحصلت على قرار مشترك من الكونغرس يخولها استعمال القوة العسكرية في ممارسة حق الدفاع الشرعي عن النفس، وجاء في نص القرار " يخول الرئيس باستخدام كل قوة مناسبة ولازمة ضد تلك الدول والمنظمات أو الأفراد الذين يقرر بأنهم صمموا، سمحوا، أو ارتكبوا، أو ساعدوا في تنفيذ الهجمات الإرهابية التي حدثت في الحادي عشر من أيلول².

وفي (12 سبتمبر 2001)، دعت الولايات المتحدة الدول الأعضاء في حلف الأطلسي إلى تطبيق أحكام المادة الخامسة من معاهدة الحلف، وذلك للمرة الأولى في تاريخه- منذ إنشاء الحلف في (1949)- التي تنص " أن أي هجوم ينفذ ضد إحدى الدول الأعضاء هو هجوم على كافة الدول الأعضاء في الحلف " ³، بالموازاة حرص الرئيس "جورج بوش" على تصويت بالإجماع في مجلس الأمن الدولي بقرار يطلب الدول الأعضاء اتخاذ الخطوات المناسبة بموجب الإجراءات الدستورية لكل منها، وهو القرار المشهور بالقرار رقم (1373)، وفي نهاية الأمر ساهمت (16) دولة من الدول التسع عشر بقوات عسكرية في حملة الحرب على معاقلة الطالبان في أفغانستان، وقدمت دول عديدة، من ضمنها روسيا والصين والدول الآسيوية والشرق أوسطية المجاورة لأفغانستان، التعاون في المجالات السياسية والعسكرية والإستخباراتية.

وأكدت الولايات المتحدة إسقاط كل تعهداتها بعدم استعمال الأسلحة النووية على البلدان غير النووية، كما صرح بذلك (جون بولتون J. Bolton) المستشار الثاني لإدارة الدفاع بالدولة قائلاً: "نحن لسنا بصدد التطمينات الصرفة التي يمكن لإدارات أخرى أن تتخذها" وأشار إلى ضرورة تطوير جيل جديد من الأسلحة

¹ خطاب الرئيس الأمريكي (جورج دبليو بوش) في كلية " بونست ايست " العسكرية. ينظر حسن الرشدي : « الإستراتيجية الأمريكية الجديدة في العالم » . مجلة البيان، السنة 17 ، العدد 179، أكتوبر 2003.

[On-line]http://www. albayan, Magazine.com/bayan-12htm, 17/02/2013, 17:26h.

² التقرير الاستراتيجي العربي: « السياسة الأمريكية تحت سطوة اليمين الديني والسياسي » . مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية،

مؤسسة الأهرام، القاهرة، 2003، ص 72.

³ NATO The North Atlantic Treaty Organization : e_library Official texts (Chronological). [

On- line]http://www.nato.int/cps/en/natolive/official_texts_17120.htm 18/02/2005.17:23h

النووية التي تسمى " Bunker Busters " أو القنابل الانشطارية العمودية، واستئناف تجارب موقع نفادا البالغة تكلفته (15) مليون دولار لرفع قدرة المعدل الثلاثي النووي، والذي يشمل صواريخ القواعد في الغواصات، والصواريخ الأرضية، والقاذفات النووية الإستراتيجية ¹.

ويلعب الوضع الجيوستراتيجي تقديره في أهمية هذا العنصر لكل دولة على حدة حيث يكون أمرا لا مفر منه بالنسبة إلى الدول ذات العمق الجغرافي المحدود حيث تلجأ إلى احتلال أراضي الخصم من ثم تنقل المعركة إليها. ²

ب - في المجال العسكري :

شرعت الولايات المتحدة المستهدفة الأول من هذه الأحداث، على دفع المجتمع العالمي لبناء تحالف دولي عسكري بقيادتها ضد الإرهاب، مستخدمة في ذلك لهجة أكثر إلزاما وحدة ، تلخصها مقولة الرئيس الأمريكي (جورج بوش G.W Bush) " من ليس معنا فهو مع الإرهابيين " ³ ، وكانت ردة الفعل الأولى استجابة واسعة، وتلقائية للعديد من دول العالم لهذا النداء، والتفاف غير مسبوق حوله، لكن سرعان ما تبددت غيوم الخطاب الأمريكي لتبرز على سطح العلاقات الدولية العديد من التعقيدات السياسية والعسكرية التي أحاطت بتشكيل هذا التحالف، فإن كانت معظم دول العالم سياسيا ودبلوماسيا قد أعربت عن إدانتها الكاملة للعملية الإرهابية التي تعرضت لها الولايات المتحدة، واستعدادها للمساعدة في أي عمل أمريكي ضد الإرهاب، إلا أن أغلبية الدول الحليفة والصديقة للولايات المتحدة طالبت بضرورة توفير غطاء شرعية، ⁴ والأدلة الكافية والمقنعة بشأن مسؤولية الدول أو المنظمات التي تتهمها الولايات المتحدة بالمسؤولية عن التفجيرات الانتحارية في واشنطن ونيويورك، وهي هنا تحديدا (أسامة بن لادن) وحركة طالبان، قبل بدء أي عمل عسكري، وكان هذا الموقف واضحا بقوة من جانب العديد من دول حلف شمال الأطلسي، بما في ذلك بريطانيا أقرب حليف

¹ راهول ماهاجان: مرجع سابق، ص 60.

² حسين اغا وآخرون: إسرائيل والعقيدة العسكرية وشؤون التسليح. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1982، ص 10.

³ Walter Leimgruber : **Between Global and Local: Marginality and Marginal Regions in the Context of Globalization and Deregulation.** 1st Ed, Ashgate Publishing company, Burlington, USA, 2004.p 122.

⁴ Susan B. Glasser and Walter Pincus : « Seized Letter Out lines Al Qaeda's Goals in Iraq » . **Washington Post**, October 12, 2005, <http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2005/10/11/AR2005101101353.html>, Le 27.02.2013.23:35h...

للولايات المتحدة على الإطلاق، كما كان ذلك أيضا موقف الدول الكبرى الأخرى، وبالذات مصر وروسيا الاتحادية والصين، كما كانت القوى الدولية الأخرى تطالب بضرورة وضع خطة فعالة ومحكمة لمحاربة الإرهاب، وليس مجرد عمل عسكري انتقامي أعمى منفلتا ضد المشتبه فيهم.¹

لقد كانت النقطة الجوهرية هي أن أي حملة علي الطالبان أو على العراق، بغض النظر عن الأهمية الإستراتيجية والتكلفة والمخاطر التي قد تنجم عنها، من المؤكد أنها سوف تبعد الولايات المتحدة عن حربها ضد الإرهاب. والأسوأ من ذلك، فهناك إجماع فعلي في العالم ضد الهجوم خاصة على العراق في الوقت الراهن. ولطالما استمر هذا الشعور فان مواصلة الولايات المتحدة الأمريكية لسياسة التهور بالنسبة لخططها المنفردة سيجعل أي عمليات عسكرية أكثر صعوبة وباهظة التكاليف، فالنظرة المشتركة في المنطقة هي أن العراق، بشكل أساسي، يمثل هاجسا مقلقا للولايات المتحدة، في حين أن الهاجس المقلق للمنطقة هو الصراع العربي الإسرائيلي. وإذا بدا للعيان أن الولايات المتحدة تدير ظهورها لهذا الصراع المرير، من اجل مطاردة العراق، فقد ينفجر الغضب ضدها - سوف تبدو كمن يتجاهل أهم قضية بالنسبة للعالم الإسلامي من اجل إرضاء شغف أمريكي ضيق الأفق.²

وعليه ظل الجدل حول التحالف غير مقنع على الإطلاق، فأسلوب الدمج الذي وظفته الإستراتيجية الأمريكية باستمرار بين أنظمة مثل النظام العراقي وبين تنظيم القاعدة، يتجاهل العديد من الحقائق والقواعد المنطقية، والتاريخية التي لا يغفل عنها أبسط الناس، فضلا على أنه لم يتم الإعلان عن دليل واحد جاد يربط العراق بأحداث الحادي عشر من سبتمبر، وبالطبع فإن التركيز على أسلحة الدمار الشامل يتجاهل كل من الترسانة النووية الضخمة التي تملكها الولايات المتحدة وباقي القوى الكبرى وكذلك تطوير الأسلحة النووية في بلاد يربطها تحالف قوى مع أمريكا مثل الكيان الصهيوني.³

من أجل هذا أحاطت بعملية التحالف العسكري الدولي ضد الإرهاب العديد من التعقيدات التي أحاطت بما سمته الولايات المتحدة الأمريكية المتضرر الأكبر، بالحرب ضد الإرهاب، كان أبرزها الغموض بشأن العديد من القضايا الحيوية المتعلقة بهذه الحرب، وبالذات بشأن الهدف السياسي العسكري للحرب، وشكل العمليات

¹ ينظر حسن نافعة: « وجهة نظر في تطور الرؤية الأمريكية تجاه العالم العربي » . مجلة السياسة الدولية، العدد 253، يوليو/جويلية 2003، ص 68-72.

² أليكس كالينيكوس: مرجع سابق، ص 29.

³ المرجع نفسه، ص 30.

العسكرية، وهيكل القيادة العسكرية للعمليات وكيفية توزيع أعباء العمل العسكري بين القوات الأمريكية وقوات التحالف الدولي، أصلا طبيعة وهيكل هذا التحالف الجديد، لذا لمح بعض الحلفاء

الأوروبيين ابتداء، رفضهم المشاركة في أي عمليات عسكرية مع الولايات المتحدة ما لم تكن الأهداف محددة مسبقا من حيث الزمان والمكان، وأن يكون أي عمل عسكري أمريكي حريصا على عدم استهداف المدنيين الأبرياء،¹ ومما زاد من صعوبة هذه النقاط أن الإدارة الأمريكية حرصت على إخفاء خططها العسكرية تماما، وعقب بدء العمليات العسكرية، وقد لعبت بريطانيا دورا مباشرا ومحوريا في عمليات القصف الجوي والصاروخي ضد أفغانستان، جنبا إلى جنب مع القوات الأمريكية، كما أكد حلف شمال الأطلسي مساندتها التامة والمطلقة للعمليات العسكرية الأمريكية في " أفغانستان ". وقد أعلنت فرنسا استعدادها للعب دور عسكري أكبر في العملية العسكرية الأمريكية في " أفغانستان "، حيث قدمت في البداية مساعدات للولايات المتحدة في مجال الإمداد والمعلومات الاستخباراتية، كما أعلنت أنها سوف تشارك في العمليات العسكرية الأمريكية بدرجة أكبر، وبالذات من خلال مشاركة الوحدات الخاصة الفرنسية في عمليات أرضية في أفغانستان، جنبا إلى جنب مع تكثيف الجهود السياسية الفرنسية من أجل الوصول إلى تسوية سياسية للمشكلة الأفغانية بالتوازي مع العمليات العسكرية.²

واتسم التحالف الدولي ضد الإرهاب بعدد من الخصائص والسمات الهامة منها:³

✓ مستوى تعاون معلوماتي واستخباراتي واسع المدى : حيث كان الدعم المعلوماتي والاستخباراتي هو المستوى الأكثر واقعية بالنسبة للغالبية العظمى من الدول، خاصة الدول العربية والإسلامية والدول الصغيرة، وفي الوقت الذي حرص فيه عدد كبير من الدول على عدم الانضمام العسكري إلى التحالف، تجنبنا للمشاركة في أعمال عسكرية ضد دول أو أهداف تالية غير محددة، إلا أنها حرصت في الوقت نفسه

¹ Voir Commission Européenne : **L'Union européenne et les États-Unis Des partenaires mondiaux, des responsabilités mondiales** . : [On- line][http:// eeas. europa. eu/us/docs/infopack_06_fr.pdf](http://eeas.europa.eu/us/docs/infopack_06_fr.pdf), Le 18.07.2013 . 01 : 59 h.

² ينظر حسن نافعة : « وجهة نظر في تطور الرؤية الأمريكية تجاه العالم العربي » . مرجع سابق، ص 78.

³ ينظر مؤسسة الأهرام : التقرير الاستراتيجي العربي، الولايات المتحدة وبناء تحالف دولي ضد الإرهاب . مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية.

[On-line] <http://acpps.ahram.org.eg/ahram/2001.htm>, Le 27.02.2013.10:56 h.

على عدم الخروج كلية عن نطاق التحالف، وقد تم هذا التعاون المعلوماتي بشكل تطوعي وبمبادرة من تلك الدول، أو في إطار تعاون ثنائي أخذ أشكالا وأغطية مختلفة.¹

✓ **المهاشة والمرونة الشديدة** : نتيجة حالة الغموض المتعلقة بالأهداف الإستراتيجية والسياسية للحرب على الإرهاب. هذا المصطلح والظاهرة التي من أجلها شنت الحرب، واعتبرت الهدف الرئيسي للتحالف، ظهر بشأها اختلافات كبرى بين مختلف القوى الدولية والإقليمية والمحلية في العالمين الإسلامي والغربي.

✓ **تغيير الاستراتيجيات العسكرية تبعا لكل مرحلة ولكل هدف** : فقد استتبع غموض الهدف الرئيسي للتحالف الدولي ضد الإرهاب، ومن ثم تغيير مسرح الهجمات من مرحلة إلى أخرى، تغيير الاستراتيجيات العسكرية المستخدمة من مرحلة لأخرى ومن موقع لآخر، فبينما حدثت مواجهة عسكرية كبيرة المدى في حالة أفغانستان، جرى ما يمكن وصفه بمواجهات بالوكالة على النحو الذي مثلته الهجمات العسكرية اليمنية التي جرت في شهر ديسمبر في عدد من القرى ومناطق القبائل اليمنية التي اعتبرت ملاذا محتملا لعناصر من تنظيم القاعدة، وهجمات الجيش الفلبيني ضد جماعة (أبو سيف)، وقيام الهند بضغط عسكري مكثف على باكستان، رغم دورها المحوري في الهجمات العسكرية الأمريكية على طالبان وتنظيم القاعدة، بغرض تحجيم الجماعات والأحزاب الإسلامية الراديكالية فيها وفي كشمير، وفي الوقت الذي أكدت فيه الولايات المتحدة الأمريكية على استبعاد إسرائيل من المشاركة في أية هجمات عسكرية،² وقد عبر وزير الدفاع الأمريكي - آنذاك - (دونالد رامسفيلد D. Rumsfeld) عن تنوع نماذج المواجهة تحت إطار التحالف ضد الإرهاب بقوله : "أن هذه الحرب لن تشن بواسطة تحالف كبير متحد خلف هدف واحد، وإنما ستقوم على تحالفات بين دول عدة، تحالفات قد تتغير وتتطور حسب الظروف وفي هذه التحالفات ستقوم الدول بأدوار مختلفة وستكون مساهماتها متباينة أيضا، سيكون دعم بعض الدول لنا. علنيا، في حين أن البعض الآخر ولأسباب تتعلق بظروفه سيكون دعما سريا".³

¹ ينظر عادل المعلم وآخرون : قارة سبتمبر . ط1، دار الشروق الدولية للنشر، القاهرة، مصر 2004، ص 30.

² مؤسسة الأهرام، مرجع سابق.

³ Donald Rumsfeld, Secretary of Defense « Address to Town Hall Meeting, Baghdad, Iraq 30 April 2003 » . [On-Line] <http://www.defenselink.mil/transcripts/2003/tr20030430secdef0139.html>. Le 27.02.2013.23:35h.

✓ **المدى اللانهائي للمواجهة** : نظرا لغموض الهدف الرئيسي الذي قام عليه التحالف الدولي من جهة، وتحديد الولايات المتحدة أهدافا فضفاضة له من جهة أخرى، وهو ما عبر عنه وزير الدفاع الأمريكي بأن هدف التحالف تحقيق الأمن والحرية للشعب الأمريكي.

لهذه الأسباب يمكن التحقيق أن التحالف الدولي فضلا على التعقيدات التي واجهته، والاعتراضات والتوجسات التي كنفه العديد من الدول في تبني استراتيجياته، والهيئات الدولية وبخاصة بعد سنوات من أحداث الحادي عشر من سبتمبر، أبان عن هشاشته وسرعة انحلاله في ظل تزايد تداعياته السلبية على العديد من المستويات الإنسانية والأخلاقية والاقتصادية والجيوسياسية قطريا وعالميا وبخاصة في عالمنا العربي والإسلامي، الذي وجد نفسه مكبلا، ويدفع من دون فاتورة تكاليف هذا التحالف بزيادة نهب أراضيهِ وثرواته، واستغلال شعوبهِ وإمكاناته واستعمارهِ من جديد، ما كرس لاحقا العديد من مظاهر اليأس والإخفاق لدى الشعوب والحكومات. وإن كان لا بد من مؤاخذات على بناء التحالف، فمن الواجب الإشارة إلى أن نجاح التحالف مرهون بجملة من المحددات الأساسية على رأسها :

- ضبط المفاهيم الأساسية، في ضوء تكامل حقوقي عالمي، على رأسها مفهوم الإرهاب، الضحية، والجاني.
- تقديم الشرعية الدولية على كل المبادرات وردود الأفعال المختلفة.
- دعم الهيئات الأممية والحقوقية حتى تتمكن من ممارسة دور قوي وفاعل في الصراع ضد الإرهاب.
- إفراغ جعبة الحلول الدبلوماسية، بمزيد من المرونة السياسية وبقدر أكبر من المسؤولية الدولية، مع رد الحقوق والمظالم وعلى رأسها ما يتعلق بالصراع العربي - الإسرائيلي.
- ضرورة رفع هامش الحضور الإنساني (أو البشري) عند التفكير في حل المشاكل الدولية.

3-7 التدايعات الاقتصادية لأحداث الحادي عشر من سبتمبر

في سياق تحليل الأزمة الاقتصادية الخانقة التي هزت العالم مع مطلع سنة (2008)، يكاد يجمع المتخصصون¹ أن الهلع والخوف الاقتصادي والتدايعات التي خلفتها أحداث (11 سبتمبر 2001)، تعد أحد أهم العوامل الرئيسة في تفجر الأزمة العالمية لاحقاً، ومرد ذلك جملة من الأسباب أهمها :

- زمن الأحداث، إذ جاءت في سياق إفرزات نظام العولمة الاقتصادي، والذي تقوم فلسفته على نهاية الدولة والجغرافيا نحو مزيد من الانفتاح على الأسواق، والربح، والهيمنة الشاملة للقوى العظمى، فقد كشفت التقارير الاقتصادية بأن (20%) من دول العالم تستحوذ على (85%) من الناتج الإجمالي العالمي في حين هناك (80%) من سكان العالم يصنفون ضمن السكان الفائضين عن الحاجة من الفقراء الذين يعتمدون على المساعدات.² ومع ذلك كان الاقتصاد الأمريكي، وبالتبعية الاقتصاد العالمي يمر بمرحلة تباطؤ واضحة منذ نهاية عام (2000)، ونظراً لارتباط معظم اقتصاديات دول العالم بالولايات المتحدة الأمريكية، فإن الانكماش الأمريكي صدر إلى دول العالم بطريقة مباشرة عن طريق الربط بقاعدة الصرف بالدولار أو الاستثمار الأجنبي أو نظراً للأيديولوجيا التي تتمتع بها الليبرالية، حيث تقوم الولايات المتحدة بتصديرها إلى باقي دول العالم.³

- كانت التوقعات كبيرة على أن فترة الربع الأخير من عام (2001) ربما تشهد بعض التعافي من هذا التباطؤ تمهيداً لدخول الاقتصاد الأمريكي في موجة نمو معتدلة بدءاً من عام (2002). لكن الأحداث قلبت كل التوقعات والموازن.

¹Voir Pascal de Lima : « Etats-Unis : la crise de la dette a-t-elle démarré le 11 Septembre ? » . **Le Nouvelle Observateur**, 22/09/2011, : [On- line] <http://www.rue89.com /2013/07/11/ total-depense-millions-entrer-les-cartables-enfants-244117>, Le 22 .07.2013 . 13 : 51 h.

Warwick J Mc Kibbin and Andrew Stoeckel : **The Global Financial Crisis: Causes and Consequences** .working papers in internationale economics november 2009, CAMA, Australian National University & The Brookings Institution, September 2009, p 4.

² هانس بيتر مارتين، هارولد شومان : **فخ العولمة**. العدد 238، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998، ص 7

³ ينظر عبد الله عثمان عبد الله : **أيديولوجيا العولمة (من عولمة السوق إلى تسويق العولمة)**. ط1، دار المدار الإسلامي ، بيروت، 2003، ص 64.

- موقع الأحداث ورمزيتها، التي أرادها لها منفذوها، فمركز برجى التجارة العالمية : احد اكبر المال رموز القوة الاقتصادية الأمريكية، بل العالمية، تم تشييدهما، في بداية السبعينيات بتكلفة قدرت ب (37) مليون دولار، بطول بلغ (400) متر ليرمزا إلى أعلى قمة في العالم، يعمل بهما أكثر من (40) ألف عامل، ويرتادهما أكثر من (50) ألف شخص يوميا من متعاملين وسياح، ويجاوران أحد أكبر بورصات العالم، ويطلان على مركز الأعمال والتجارة في نيويورك، كما تجاورهما العديد من كبريات البنوك الأمريكية، كل هذا انهار في اقل من نصف ساعة.¹ لماذا هما ؟

- أدت الأحداث إلى حدوث ارتباك اقتصادي عالمي، كما أشرت إلى ذلك مواقف الفاعلين الاقتصاديين، ومؤشرات سوق الأسهم العالمية، بعد خراب فروع العديد من الأسواق المالية الدولية، وتضرر شبكات اتصال حيوية كأنظمة المقاصة، وتدخل البنك المركزي الأمريكي لتوفير السيولة مدة أسبوع كامل مخافة النظامي، وبدوره البنك المركزي الأوروبي ضخ أكثر من (130) مليار أورو في البنوك الأوروبية لتفادي أي كارثة محتملة.²

- مست الأحداث أحد أكثر الاقتصاد العالمية حساسية وتأثيرا في الاقتصاد العالمي، ألا وهو الاقتصادي الأمريكي، فقد تأثرت جميع اقتصاديات العالم بأحداث " سبتمبر "، وما تلاها من حرب أمريكية ضد أفغانستان، ثم العراق، سواء عبر العلاقات الواسعة النطاق للاقتصاد الأمريكي بالاقتصاد العالمي، أو بسبب حالة المخاوف التي سادت العالم في أعقاب هذه الأحداث وتداعياتها وأثرت سلبيا على حركة الاستثمارات والسياحة والطيران ورفعت تكاليف النقل والتأمين عبر العالم، وخلقت بصفة عامة حالة من عدم اليقين بشأن المستقبل، وإحساسا قويا بأن الأزمة قادمة، وهي حالة تؤدي إلى عادة إلى استباق نتائج الأزمة الاقتصادية والتعجيل بحدوثها.³

- صعوبة تقدير خسائر الأحداث اقتصاديا وتداعياتها، إذ إنه عوضا عن الخسائر الملموسة المباشرة؛ فإن العالم قد انشغل لفترة من الوقت في أعقاب الأحداث مباشرة بحساب الخسائر الاقتصادية سواء في ذلك الخسائر التي حدثت بالفعل أو تلك المحتملة، وسواء كان ذلك بالنسبة للاقتصاد الأمريكي أو الاقتصاد العالمي ككل. وفي

¹ Jill Mc Cracken : **History Of The World Trade Center** . [On- line] http://www.911memorial.org/sites/all/files/VII_History, Le 22.07.2013 . 14 : 59 h.

² ينظر الداوي الشيخ : « الأزمة المالية العالمية " انعكاسها وحلها » . المؤتمر الدولي حول : الأزمة المالية العالمية وكيفية علاجها من المنظور الاقتصادي الغربي و الاسلامي، جامعة الجنان، طرابلس، لبنان، 14/13 مارس 2009، ص 08.

³ خالد عبد العظيم : « الصراع على النفوذ في الاوراسيا ». مجلة السياسة الدولية، العدد161، القاهرة، يوليو 2005، ص ص 15-17.

هذا الصدد، كان التقييم الأولي للخسائر التي تكبدتها الولايات المتحدة بنحو (140) مليار دولار ، علاوة بالطبع على قيمة الطائرات التي سقطت والبنية التحتية التي تضررت، إضافة إلى التكلفة التي تكبدها الاقتصاد الأمريكي نتيجة لفرض إجراءات أمنية مشددة، أو نتيجة للعمليات العسكرية في أفغانستان والعراق علاوة بالطبع على قيمة خسائره في الأرواح والكفاءات البشرية التي لا تقدر بثمن.¹

بالإضافة إلى الخسائر الناتجة عن النفقات الأخرى المتعلقة بالعمليات العسكرية اللاحقة، وكانت البورصات العالمية وبالذات الأوروبية هي أول وأكثر من تأثر بأحداث "الثلاثاء الأمريكي" ، وخلال الأسبوع الأول الذي أعقب هذه الأحداث تراجعت كل مؤشرات البورصات في أكبر (15) دولة صناعية متقدمة، باستثناء اليابان التي نهضت بورصتها المتداعية بقوة خلال الأسبوع المذكور.²

هذا ويمكن التأشير على هول الخسائر والتداعيات التي ألحقتها الأحداث بقطاعات المال والأعمال في المؤشرات الآتية :

- الأثر على حركية الاستثمار العالمي :

تشير أحد الدراسات الاقتصادية الطولية أن للنزاعات المسلحة والتوترات الاجتماعية والكوارث المختلفة آثار مهمة في المتغيرات الاقتصادية الرئيسة، ويزداد هذا الأثر ويضعف بقدر قوة ومكانة الحدث ذاته، و من أهم النتائج التي تم أكدتها من خلال تحليل آثار اثنين وعشرين نزاعا مسلحا في العالم ما يأتي:

- تدهور معدلات النمو الاقتصادي.

- انخفاض معدلات الاستثمار.

- زيادة الإنفاق على الدفاع على حساب القطاعات التنموية الأخرى.³

لذا أثرت أحداث الحادي عشر من سبتمبر تأثيرا مباشرا وقويا على حركية النمو الاقتصادي في الولايات المتحدة والعالم بأسره، وزرعت حالة الرعب والخوف الأمني والاقتصادي لدى العديد من الفاعلين، فالجماعات التي قامت بالعمل لاشك أنها كانت تتحرك تحت شبكة من المبادلات المالية الضخمة، والدول

¹ ينظر أيمن محروس : « الآثار الاقتصادية لهجمات 11 سبتمبر » .

[On-line] , 13.03.2013.23:44 h,http://islamtoday.net/files/september11/eo1.html

² أحمد السيد النجار وآخرون: تقرير الاتجاهات الاقتصادية الإستراتيجية لسنة 2002. مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، 2002، ص ص.79-80.

³ الآثار المالية للاضطرابات المسلحة والإرهابية في الدول منخفضة الدخل ، أغسطس 2002م. نقلا أحمد السيد النجار وآخرون: مرجع سابق ، ص 8.

والمؤسسات المالية التي ساندتها أو غفلت عنه، وتشير مؤشرات الاقتصاد العالمي أن الاستثمارات المباشرة وغير المباشرة عبر العالم تأثرت سلبيا بشكل تلقائي على كم من مستوى¹، ويوضح (نيكولا سستين N. Stern) أحد الاقتصاديين في البنك الدولي، أن تدفقات الاستثمارات الخاصة إلى الدول النامية تراجعت بشكل رهيب من (240) مليار دولار سنة (2000) إلى (160) مليار دولار في سنة (2001)، وهذا التراجع الذي بلغ الثلث في عام واحد، هو بلا شك انخفاض ضخم بكل المقاييس،² ولأن الأموال التي لن تخرج من بلدانها للتوطن كاستثمارات مباشرة أو غير مباشرة في بلدان أخرى، قد لا تجد مجالا للتوظيف في بلدانها في ظل نذر الركود المخيمة على اقتصاديات الدول الصناعية المتقدمة وهي المصدر الرئيسي لها، فإنه من المحتمل أن تتزايد الأموال الساخنة التي تتحرك في البورصات وأسواق العملات في الدول المتقدمة وفي بعض الدول النامية التي حررت قطاعها المالي وعملة عملاتها، وبالتالي فإنه من المرجح أن تحدث أزمات في أسواق العملات بالذات في الفترة القادمة نتيجة المضاربات، الساخنة في ظروف انكماشية في الاقتصاد الحقيقي،³ وهو ما تجسد فعلا بعد سنوات في أزمة العالم النقدية لسنة (2008).

وانخفضت تدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر عام (2002) بحوالي (537) مليار دولار، أي ما نسبته (27%) عن مستواها عام (2001)، أرجع المختصون التراجع في الإنفاق الاستثماري في عام (2002) وما بعده إلى عدد من العوامل المتشابكة والتي من أهمها:⁴

✓ سيادة حالة التوتر وعدم اليقين في أوساط المستثمرين الناتجة عن أحداث الحادي عشر من سبتمبر وتأثيرها في إلغاء أو تأجيل اتخاذ الكثير من القرارات الاستثمارية.

✓ الضعف المستمر في الاقتصاد الأمريكي وفي الاقتصاديات الأجنبية.

¹ ينظر تقارير إحصاءات البنك الدولي حول الفترة كما نشرها :

The International Bank : **Global Development Finance, Financing The Poorest Countries (Analysis And Summary Tables)**. World Bank Photo Library, Washington, 2002.p 7.

² The International Bank : **La Pauvreté En Augmentation Au Lendemain Des Attentats Terroristes Aux Etats-Unis.** : [On- line] <http://web.worldbank.org/wbsite/external.html> , le 23.07.2013 . 15 : 22 h .

³ دون توقيع : « انعكاسات اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر على الشركات العالمية الكبرى » . صحيفة الشرق الأوسط ، 2001 . 11/5، العدد 8418، ص 9 .

⁴ ينظر أيمن محروس : مرجع سابق، ص 8.

✓ التراجع في عمليات الاندماج وال شراء في مختلف أنحاء العالم.

✓ تباطؤ النمو الاقتصادي العالمي.

✓ تراجع أسعار الأسهم في الأسواق المالية العالمية.

✓ التراجع في خطط التوسع في الاستثمارات القائمة.

وتجدر الإشارة إلى أن إجمالي قيمة الاستثمارات الأجنبية المباشرة في العالم كله بدوله المتقدمة والنامية بعد ارتفاعها سنة (1999) ، وتراجعت في الأعوام الثلاثة للأحداث (2001/2002/2003) إلى أدنى مستوياتها، خاصة مع تزايد ظل مناخ الركود والأجواء غير المواتية لحركة الاستثمارات المباشرة وغير المباشرة عبر بلدان العالم بعد أحداث سبتمبر والحرب الأمريكية ضد أفغانستان.¹

وفي سوق الأسهم تراجعت أسعار الأسهم والمؤشرات المعبرة عنها في البورصات الصاعدة في الدول النامية والصناعية الجديدة باستثناء كوريا الجنوبية وهونج كونج، والتشيك والمجر، لكن كوريا وهونج كونج وروسيا دخلت دوامة التراجع بجدة في الأسبوع التالي للأحداث، بينما حافظت التشيك والمجر على الاتجاه الصعودي المخالف للاتجاه السائد عالميا، وبعد مرور شهرين من على أحداث سبتمبر كانت كل المؤشرات المعبرة عن حركة أسعار الأسهم في بورصات الدول الرأسمالية الصناعية المتقدمة أدنى بنسب متفاوتة. ولكنها كبيرة بالمقارنة بمستواها قبل الأحداث، لكن من الضروري التأكيد على أن التراجع في البورصات هو تراجع دفترى رغم أنه يعد مؤشرا على حالة غير إيجابية في الاقتصاد، خاصة إذا استمر لفترة طويلة، لكن التراجع في البورصات لا يتحول إلى خسارة اقتصادية حقيقية إلا عندما يؤدي إلى الإضرار بالاقتصاد العيني سواء بخفض مستوى التشغيل فيه أو بإهمار بعض المشروعات بكل ما يعينه ذلك من تفاصيل.²

1- التجارة والتجارة الإلكترونية :

تأثرت حركة التجارة السلعية الدولية بشكل سلبي من جراء الأجواء المضطربة التي خلفتها أحداث سبتمبر وبخاصة تعطل جانب من التجارة بين الولايات المتحدة والعالم وتقلص الطلبات الأمريكية على الواردات في ظل أجواء الركود التي خيمت على الاقتصاد الأمريكي، كما أن ارتفاع تكاليف النقل والتأمين

¹ The International Bank :Global Development Finance, Financing The Poorest Countries (Analysis And Summary Tables). Op Cite. P 22.

² ينظر أحمد السيد النجار : « آثار الأزمة الأمريكية على اقتصاد العالم » . الأهرام الرقمي ، 01 يناير 2002، <http://www.mokarabat.com/m5.6-7.htm> , Le 27 h.24[On- line] . 07.2013 . 00 :

على حركة صادرات السلع خلقت بدورها عاملا كاجبا لنمو التجارة السلعية الدولية،¹ وقد أشارت بيانات صندوق النقد الدولي في تقريره عن الاقتصاد العالمي الذي صدر في أول أكتوبر (2001)، إلى أن قيمة التجارة السلعية الدولية (2001) تراجعت بمقدار (25) مليار دولار مقارنة بقيمتها عام (2000)، بما يعنى انخفاضا بنسبة (0.4%)، ومع تخفيض الصندوق لتقديراته بالنسبة للنمو الاقتصادي العالمي، فإن قيمة التجارة الدولية تراجعت بنسبة أكبر من النسبة المذكورة أعلاه في السنوات اللاحقة، وذلك بسبب التباطؤ الرهيب على الطلب في أوروبا الغربية، وركود الواردات في الولايات المتحدة، وتراجع التجارة مع الشرق، خاصة تراجع الإنتاج والاستثمار في تكنولوجيا المعلومات و الصناعة عبر جميع أنحاء العالم، مع ارتفاع معدلات التضخم في جميع مناطق الاقتصاد العالمي الرئيسية.²

أما التجارة الإلكترونية لكونها تعتمد على الطرود البريدية بشكل أساسي، فقد كان لتداعيات ما سمي بالجمرة الخبيثة الأثر البالغ على هذه الأخيرة، خاصة و أن الغالبية الساحقة منها تتم في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي التي جرت على أرضها غالب هجمات بكتريا الجمرة الخبيثة، وساهمت الدعاية الإعلامية في الترويج لهذا الخطر الجديد والذي من المرجح أن يكون صنيع الجماعات اليمينية المتطرفة في الولايات المتحدة، وخارجها، وجماعة القاعدة على وجه الخصوص، ولذلك شهدت التجارة الإلكترونية أزمة كبيرة، ليس بسبب هجمات سبتمبر فحسب، بل بسبب تعدد وتنوع الهجمات الداخلية في أمريكا بالجمرة الخبيثة عبر الخطابات والطرود، ومن جانبه يبين (حسام عبد الهادي) رئيس مجلس إدارة " الشركة العربية للتجارة " أن انتشار بكتيريا الجمرة الخبيثة أضر كثيرا بخدمة التجارة الإلكترونية على مستوى العالم لدرجة أن شركات مثل أمازون كوم و« باي » اللتين تعتمدان بشكل أساسي على مكاتب البريد في تحريك الطرود عبر العالم تواجهان حالة من التوقف بسبب هذه الأزمة، كما أن العديد من المتسوقين عبر الانترنت أصبحت لديهم مخاوف من تسلم أية بضائع عبر البريد، ، ويؤكد أن العديد من الشركات التي تعمل في مجال الخدمات البريدية في كافة أنحاء العالم كشفت عن أن معظم عملائها يرفضون حاليا تلقي أية مراسلات بريدية، ويطالبون بأن تكون عبر

¹ Daniel Drache : « les relation canado-américaine est les commerce a la frontière dans une ère du sécurité » . colloque la sécurité transfrontalier Canada/Etats-Unis : Que Nous Réservent Les Quatre Prochaines Années ? . Institut D'études Internationales De Montréal , Montréal, 12 Novembre 2004, P 03.

² The World Trade Organization : **International Trade statistiques 2001**. World Trade Organization, Geneva, 2001, P 17.

الفاكس أو البريد الإلكتروني. ويرى (طارق كامل) عضو مجلس إدارة الجمعية الدولية للإنترنت أن التجارة الإلكترونية على مستوى العالم ككل تواجه مجموعة من التحديات يأتي على رأسها ظهور مرض " الحمرة الخبيثة "، وهو الخطر الذي عطل كثيرا وأعاق تجارة الإنترنت، وذلك لحالة الخوف الشديد من أي رسالة أو طرد مغلق في جميع أنحاء العالم، وهذا يعني أن الخطوة النهائية والمتمثلة في توصيل السلع العينية قد توقفت مما يؤثر بشكل واضح على بقية العملية التجارية عبر البوابة الإلكترونية،¹ وحدير بالذكر أن هناك اختلافات هائلة بشأن البيانات الخاصة بحجم هذه التجارة بحيث يصعب الأخذ بأي منها، فبينما قدرت منظمة الاونكتاد (مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية) قيمة هذه التجارة بنحو (377) مليار دولار عام (2000)، فإن مؤسسات أخرى تخفض الرقم إلى اقل من (100) مليار دولار . وأيا كان الأمر، فإن تراجع التجارة الإلكترونية قد بدا واضحا بعد الأحداث²، وظل كذلك حتى سنة (2008) وهي التي شهدت أعنف أزمة مالية ضربت العالم بعد الأحداث .

- الأثر على شركات الطيران وقطاع التأمين : أفرزت أحداث الحادي عشر من سبتمبر التي تم تحويل الطائرات فيها إلى "قنابل" لتدمير أهداف ضخمة، حالة حقيقية من الخوف من السفر بالطيران، فضلا عن دعوة الحكومة الأمريكية لمواطنيها لعدم السفر لأي مكان خارج الولايات المتحدة لمدة ثلاثة أشهر منذ وقوع الأحداث، ونتيجة لهذا الخوف تراجعت أعداد المسافرين بالطائرات بشكل مؤثر خاصة في الولايات المتحدة التي شهدت أكبر خسائر لها في هذا المجال، وقد أدى ذلك بشكل فوري إلى حدوث أزمة في شركات الطيران والخدمات المرتبطة بها على مستوى العالم، فشركات الطيران الأمريكية سرحت ما يقابل (20 في المائة من القوة العاملة) حوالي (95.000) ألف عامل، وأعلنت شركة "أمريكان إيرلاينز American Airlines" التي تعد شركة الطيران المدني الأولى في العالم إلغاء سبعة آلاف وظيفة وخفض أسطولها الجوي، بحلول نهاية (2002) أعلنت شركتنا طيران عملاقان وهما "يو أس إيروايز US Airways" و"يوناييتد إيرلاينز United Airlines" إفلاسهما، وتعد شركة "يو أس إيروايز US Airways" سابع شركة طيران أمريكية، كما أنها

¹ ينظر ممدوح عبد الرؤوف : « التجارة الإلكترونية تواجه خسائر فادحة بسبب الحمرة الخبيثة والفاكس والبريد الإلكتروني أكثر القطاعات ازدهارا » . جريدة الشرق الأوسط . 27 أكتوبر 2001 م،

[On- line] <http://www.mafhoum.com/press2/68T42.htm>, Le 25.07.2013 . 05 : 52 h.

² أحمد السيد النجار : مرجع سابق .

تشغل رقم (14) في قائمة كبرى شركات الطيران العالمية وتخدم أكثر من (200) موقع داخل الولايات المتحدة.¹ وكذلك شركات الخدمات وشركات التصنيع ، هذه الأخيرة التي سرحت (18.000) ألف عامل.² وفي أوروبا أعلنت الخطوط الجوية عن إلغاء (30.000) ألف وظيفة أي بنسبة (10 %) من العاملين،³ وكانت الضحية الأولى هي شركة الطيران السويسرية " سويس آير Swissair " التي كانت تعاني أصلا من أزمة ومن ديون بلغت نحو (10.5) مليار دولار قبل الأزمة التي فاقمت من مشاكل الشركة سريعا بشكل اضطررها لإيقاف رحلاتها وعندما حدث هذا الإيقاف، انهارت أسهمها فاقدة نحو (97 %) من قيمتها قبل الأزمة.⁴

ولأن " سويس آير Swissair " تملك (49.5 %) من أسهم شركة الخطوط الجوية البلجيكية " ساينا Sabina ، فإن الأخيرة تأثرت سلبيا من انهيارها، فاضطرت إلى اعتماد خطة طوارئ لتتقذ نفسها من الانهيار، وهي خطة قامت على إعادة تركيز نشاط الشركة في أوروبا مع الاستغناء عن (1400) موظف، وقد قدمت الحكومة السويسرية فيما بعد مساعدات مالية كبيرة لشركة " سويس آير Swissair " لإنقاذها من الانهيار النهائي، أما شركة " بريتش أيروايز British Airways " وهي أكبر شركة طيران أوروبية، فإن التقديرات أشارت إلى أنها خسرت نحو (326) مليون جنيه إسترليني في عام (2002) وهي الخسائر الأسوأ بالنسبة لهذه الشركة والخسارة الأولى لها منذ خصصتها سنة (1986)، وقد بدأت الشركة في تنفيذ خطة لمواجهة الأزمة، وقامت بالفعل بالاستغناء عن (7) آلاف موظف وأوقفت (20) طائرة عن الطيران . كذلك خفضت شركة " لوفتهانزا Lufthansa " الألمانية رحلاتها إلى أمريكا الشمالية بعد هجمات سبتمبر.⁵

¹ ينظر خالد بن عبد الرحمن المشعل و عبد الله بن سليمان الباحث : « الآثار الاقتصادية للإرهاب الدولي : مع التركيز على أحداث الحادي عشر من سبتمبر » : المؤتمر العالمي حول موقف الإسلام من الإرهاب، كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 03 /02/01 ربيع الأول 1425 الموافق 22/21/20 أبريل 2004، ص ص 14-15.

² Organisation Internationale Du Travail: **L'aviation civile : un monde du travail en mutation.** Publication O I T , département des activités sectorielles, bureau international du Travail, Genève 2013.p 4.

³ Ibid.

⁴ فارس عبيدة : « تداعيات أحداث الحادي عشر من أيلول 2001 » . العدد 21، مجلة الدراسات شرق أوسطية، 2002. ص 88.

⁵ Gabi Logan : « The Effects of 9/11 on the Airline Industry » . **USA Today** , [On- line] <http://traveltips.usatoday.com/effects-911-airline-industry-63890.html>, Le 25.07.2013. 14h.

وقد ساهمت سياسات الإصلاح التي انتهجتها غالب مؤسسات التأمين بعد الأحداث، بفعل أنها كانت الخاسر الأكبر، في مفاومة أزمة شركات الطيران في مختلف بلدان العالم، حيث قلصت شركات التأمين التغطية التأمينية لتصبح (50) مليون دولار كحد أقصى في حالة الحرب أو في العمليات الإرهابية وذلك لتغطية حالات الوفاة أو الإصابة على الأرض لشركات الطيران المعرضة لخطر كبير، وإضافة لما سبق فإن شركات التأمين وإعادة التأمين قامت برفع قيمة التأمين على النقل وبالذات النقل الجوي، كما رفعت قيمة التأمين على صادرات الدول المحيطة بأفغانستان، وذلك بعد أن منيت هذه الشركات بخسائر كبيرة بسبب هجمات سبتمبر. وقد خسرت أكبر، شركتين لإعادة التأمين في العالم "ميونخري Meonchri"، "وسويسري Swiss".

بالترتيب نحو (1.2/1.4) مليار يورو على ضوء الالتزامات التي ترتبت عليهما بسبب أحداث سبتمبر.¹ أما عن الشركات العالمية الكبرى : ففي الفترة سنة واحدة من بعد الأحداث، انهارت وأفلست مجموعة كبيرة من الشركات العالمية الكبرى - والتي غالبها مستقر في الولايات المتحدة رغم عالمية خدماتها -، قدرت بـ (60) ألف شركة وقد تم تسريح ما لا يقل عن (140) ألف عامل أمريكي في الفترة نفسها، ومن ذلك : - أعلنت شركة البرامج " برجرين سيستمز Ryan Berg Systems " الأمريكية إفلاسها، وتقدمت بطلب إلى السلطات الأمريكية لحمايتها من الدائنين، وقد سجلت حالات الإفلاس في الولايات المتحدة في الفترة التي أعقبت الأحداث رقما قياسيا في النصف الأول من سنة (2002)، وأدى إلى وضع أصول قيمتها (260) مليار دولار تحت الحراسة القضائية لسلطات الإفلاس والتصفية، وبلغ عدد الشركات المسجلة في بورصة نيويورك التي أشهرت إفلاسها خلال الستة أشهر التالية للأحداث (255) شركة.² - إفلاس شركة " إنرون Enron " الأمريكية النفطية العملاقة بعد سلسلة من الفضائح الحاسبية.

- تقدمت شركة " وورلد كوم World Com " الأمريكية للاتصالات بطلب رسمي إلى المحكمة لإعلان إفلاسها لتصبح بذلك أكبر عملية إفلاس في التاريخ الأمريكي، متجاوزة بذلك فضيحة إفلاس شركة " إنرون Enron " لخدمات الطاقة، وأعلنت مجموعة " كاربت جولف Tapis Golf " الكندية لصناعة أرضيات ملاعب الجولف عن تقديم الشركة التابعة لها في الولايات المتحدة الأمريكية والمعروفة باسم " كاربت إنك

¹Pierre Tabatoni : « Note sur l'économie du terrorisme, après les attentats du 11 septembre 2001 » . **Forum international sur la Paix et de la Sécurité Internationale " Après le 11 septembre 2001"** . Académie des Sciences morales et politiques, Monaco, 8 mars 2002, pp 4-7.

² ينظر خالد بن عبد الرحمن المشعل و عبد الله بن سليمان الباحث : مرجع سابق، ص ص 15-16.

Tapis Inc. " طلبا إلى السلطات الأمريكية لإعلان إفلاسها وحمايتها من الدائنين. كما تقدمت شركة " ميديكال ليندر Medical Leander " الأمريكية للخدمات المالية للمؤسسات الصحية بطلب إلى السلطات الأمريكية لإعلان إفلاسها.¹

ومن أهم الآثار الاقتصادية التي نجمت عن مسلسل الإفلاس ما يأتي :
أولا : انخفاض سعر الدولار أمام العملات الأجنبية.

ثانيا : التراجع الحاد في أسعار الأوراق المالية في البورصات العالمية.

ثالثا : فقد عدد كبير من المستثمرين ثقتهم في الاقتصاد الأمريكي .

رابعا : اتجاه البطالة نحو التزايد بسبب إفلاس بعض الشركات وتقليص حجم الأعمال في البعض الآخر، فطبقا لأحدث البيانات ارتفعت البطالة في أمريكا لتسجل أعلى مستوى لها منذ أكثر من سبع سنوات.

خامسا: أن كثيرا من البنوك المركزية بدأت تعيد النظر في اقتناء المعدن الأصفر "الذهب" إلى خزائنها كاحتياطي بعد التحلي عن هذه السياسة في السبعينيات من القرن الماضي.²

- الأثر على الميزانية العامة وميزان المدفوعات : عانت معظم دول العالم من الأوضاع الاقتصادية الصعبة التي مر بها الاقتصاد العالمي خلال العام (2001) نتيجة لاحتلال الاستقرار السياسي والاقتصادي الدولي، فقد سجلت معدلات العجز في الميزانية العامة للعديد من الدول زيادات، تفاوتت نسبتها بحسب الوضع الاقتصادي للدول، خلال العام (2002)، و ذلك تقرير صندوق النقد الدولي³ الآتي :

✓ دول الاقتصاديات المتقدمة الرئيسة بلغ عجز الميزانية عام (2002) (7.3 %) كنسبة من الناتج الإجمالي المحلي مقارنة بعجز بلغ (2,00 %) سنة (2001).

✓ دول الاتحاد الأوروبي بلغ عجز الميزانية عام (2002) (1,9 %) كنسبة من الناتج الإجمالي المحلي مقارنة بعجز بلغ (1,00 %) سنة (2001).

✓ منطقة اليورو بلغ عجز الميزانية عام (2002) (2,2 %) كنسبة من الناتج الإجمالي المحلي مقارنة بعجز بلغ (1,5 %) سنة (2001).

- الأثر على السياحة : بعد أسبوع واحد من أحداث الحادي عشر من سبتمبر أعلن (فرانسيسكو فرانجيايالي F. Frangialli) سكرتير عام منظمة السياحة العالمية أن صناعة السياحة تمر بأسوأ أزمة منذ حرب

¹ ينظر المرجع نفسه، ص ص 15 .

² خالد بن عبد الرحمن المشعل و عبد الله بن سليمان الباحث : مرجع سابق، ص 16.

³ International Monetary Fund : **World economic outlook (Growth and Institutions)**. Library of Congress, Washington, 2003, pp 12-15.

الخليج بسبب هجمات الحادي عشر من سبتمبر، مشيراً إلى أن هذه الصناعة تقوم على السلامة والأمن الشخصيين والماليين للسياح، وأن تلك الهجمات قد هددت هذين العاملين معاً،¹ فالسياحة في الغالب تتعلق بقضاء جزء من وقت الفراغ والاستجمام وتغيير الأجواء، وليست من أجل أداء عمل أو قضاء مهمة، وحساسية هذا القطاع الذي يشكل نسبة لا يستهان بها من الدخل العالمي، جعلت مؤشر الإحصاءات عقب الأحداث يؤثر إلى انخفاض غير مسبوق في الطالب العالمي على السياحة بنسبة (7.4 %) وذلك سنتي (2001 / 2002)، وأعقبها ركود شبه كامل في قطاع السياحة والأنشطة المرتبطة به، من شركات الطيران، الفنادق، وكالات الأسفار، تأجير السيارات، وشركات بطاقات الائتمان عالمياً، وخلق هذا الركود انخفاض بنسبة (1.7 %) من الناتج المحلي الإجمالي للاقتصاد العالمي،² كما نتج عن هذه الخسائر بطالة أكثر من عشرة ملايين موظف على المستوى العالمي في قطاع السياحة،³ حتى وصف " المجلس الوطني الفرنسي للسياحة (CNFT) " المرحلة بالشيخوخة لما شهدته من خسائر فادحة ألت بالقطاع، وركود غير مسبوق بفعل الأحداث، تفوق كثيراً ما خسرتة السياحة إبان حرب الخليج الثانية عام (1991).⁴

وتشير مؤشرات الإحصاء عقب الأحداث إلى تراجع أعداد السياح الذين يتوجهون إلى مختلف بلدان العالم، ففي فرنسا انخفض عدد السياح القادمين من أمريكا الشمالية بنسبة (50 %) منذ وقوع أحداث سبتمبر وحتى منتصف شهر أكتوبر الذي يليه، وانخفضت أعداد السياح اليابانيين الذين ذهبوا إلى فرنسا بنسبة (25 %) في الفترة ذاتها بالمقارنة بنظيرتها سنة (2000)، وفي أسبانيا تراجعت حركة الحجز في الفنادق بنسبة (30 %) منذ وقوع الأحداث وحتى نهاية الأسبوعين الأولين من أكتوبر مقارنة بالفترة المناظرة سنة (2000) وكما هو واضح فإن السياحة تأثرت في مناطق مختلفة من العالم سواء للمخاوف من الذهاب إلى بلدان بعينها في ظل تضخيم الإعلام الغربي للمخاطر التي يمكن أن تحدث فيها، أو للمخاوف من الطيران.⁵

¹ ينظر أحمد السيد النجار : مرجع سابق .

² James Parrott : **Economic Impact of the September 11 World Trade Center Attack** . Prepared for the New York City Central Labor Council and the Consortium for Worker Education, Fiscal Policy Institute, New York, 2001, p3.

³ ينظر خالد بن عبد الرحمن المشعل و عبد الله بن سليمان الباحث : مرجع سابق، ص ص 17 .

⁴ François Soulage : **Le tourisme à l'âge de la retraite** . Conseil national Du Tourisme, La République française, 2001.p4.

⁵ احمد السيد النجار وآخرون: مرجع سابق .

- **الاقتصاديات العربية والإسلامية بعد أحداث سبتمبر** : نفذت أحداث الحادي عشر من سبتمبر بأدوات عربية إسلامية - منفذوها -، والعالمين العربي والإسلامي في أسوأ حالتها،¹ فغالبا الأنظمة العربية والإسلامية تعيش - مع بعض التفاوت النسبي - عكس تيار العالمية إلا فيما ندر، والجمهوريات فيها تساوت إلى حد بعيد مع الممالك وأضحت أنظمة وراثية مكرسة لكل أشكال الاستبداد والتخلف وقهر الشعوب، وغدت من دون سائر أقطار المعمورة الأقطار الوحيدة التي تخاف التغيير، حتى أن التغييرات التي حدثت بقدر قادر، وبعد مقاومة طويلة - قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر على غرار التحول الديمقراطي في الجزائر، وبعد الأحداث على غرار ما سمي بثورات الربيع العربي - لم تحقق الهدف المنشود بل زادت الطين بلة والمشهد تأخرا وظلامية، ومدت الأنظمة الحاكمة سلطة أكبر لحماية الفساد، ومقاومة التغيير،² واقتصادياتها في غالبها تابعة، وضعيفة في أداءاتها كما ونوعا، وتتميز بافتقارها لأي سياسة نقدية، وانخفاض رصيد رأس مالها البشري والعمالة الفنية، وعدم توافر البنية الأساسية، وارتفاع مستويات الدين الخارجي، وضعف جانب العرض، بالإضافة إلى اعتماد هذه الدول على سلعة أو سلعتين في التصدير، إذا ما استثنينا بعض الدول الشرقية كاندونيسيا وماليزيا سنغافورة، أو تركيا أما بقي الدول فهي في خانة الدول النامية، بل إن منها (21) دولة تدخل في دائرة الدول الأقل نموا في العالم، هذا ما يجعلها في واقع الأمر تواجه أوضاعا بالغة الصعوبة، ضاعفت من حدة التداعيات السلبية لأحداث الحادي عشر من سبتمبر على الاقتصاديات العربية والإسلامية، وبخاصة استقرار البيئة الاقتصادية الكلية في هذه الدول التي تحولت العديد من أراضيها إلى ميادين وساحات للحروب أو قواعد خلفية لها، وقد ساهمت هذه التحولات في تعقيد الانعكاسات الاقتصادية للأحداث على العالمين العربي والإسلامي، خصوصا أن الولايات المتحدة أصبحت أكثر عدائية وتشددا تجاه أي مسعى من قبل الدولي المصدرة للنفط لرفع أسعاره، وعموما تعتبر الدول العربية من بين الأكثر تأثرا من الناحية الاقتصادية بأحداث الحادي عشر من سبتمبر، وذلك انطلاقا من اعتبارات عدة، أهمها الدور المحوري الذي يلعبه الاقتصاد الأمريكي في العالم أولا، ثم العلاقات الإستراتيجية بين الدول العربية والولايات المتحدة خصوصا في المجال الاقتصادي ثانيا، إذا ما أضيف لها سياق الأحداث التي جاءت في وقت تعاني فيه غالب الدول العربية والإسلامية من أوضاع اقتصادية صعبة بسبب تراجع أسعار النفط، وزيادة معدلات العجز في الميزانيات العامة، وارتفاع

¹ علي خليفة الكواري وآخرون : انعكاسات الحادي عشر من سبتمبر على منطقة الخليج العربي . منتدى التنمية، اللقاء التخصصي الثالث (6-17 ماي 2002)، دبي، الإمارات العربية المتحدة، 2002، ص 136.

² أحمد السيد النجار وآخرون: مرجع سبق ذكره.

معدلات البطالة، وحدوث زيادة ملحوظة في معدلات النمو السكاني، فضلا عن زيادة الأعباء المالية الملقاة على عاتق هذه الدول. كما أن فشل هذه الدول في ترشيد الإنفاق خلال فترات الطفرة النفطية وتنويع مصادر الدخل وما رافق ذلك من هدر للمال العام، وارتفاع معدلات الإنفاق على التسلح، كل ذلك ساهم في إيجاد أوضاع اقتصادية صعبة، تنوعت مظاهرها من عجز الميزانيات، وارتفاع الديون الداخلية والخارجية، وتدني معدلات النمو وضعف محدودية القطاع المالي، وتدني مستوى الاستثمارات الخارجية، وارتفاع معدلات البطالة

1 .

لقد أدت أحداث الحادي عشر من سبتمبر إلى زيادة المخاوف بشأن المستقبل، كما ولدت إحساسا قويا مفاده أن الأزمة قادمة خصوصا بعد قيام الولايات المتحدة الأمريكية بشن أولى حروب القرن في أفغانستان وتأكيد إصرارها أن الحرب على الإرهاب ستكون طويلة وستشمل أطرافا كثيرة أخرى في العالم. وقد أدت هذه الأجواء إلى حالة من الاستباق لنتائج الأزمة الاقتصادية والتعجيل بحدوثها، ونتيجة لهذا الركود والتباطؤ الاقتصادي وتراجع معدلات النمو في معظم دول العالم، كان من الطبيعي أن ينخفض الطلب على النفط وان تراجع أسعاره حيث هبطت إلى أدنى مستوياتها، ومن المؤكد أن هذا التدهور للأسعار له آثاره الخطيرة على الاقتصادات العربية والإسلامية، حيث يترتب عليه تراجع عائداتها المالية، مما يؤثر سلبا على قدرتها على تلبية متطلبات تمويل خططها التنموية وبرامجها الاجتماعية، ويزيد من عجز ميزانياتها العامة، مما يؤدي إلى ارتفاع معدلات مديونيتها الداخلية والخارجية ... ما يهدد أمنها واستقرارها السياسي والاجتماعي.²

وتشير مؤشرات السياحة والطيران - على سبيل المثال لا الحصر - أن القطاع لحق به تدهورا شديدا في حجم إيراداته على دول مثل تركيا، مصر، سوريا، لبنان والأردن وذلك كنتيجة طبيعية لزيادة المخاطر السياسية والأمنية في المنطقة، وهو ما مثل تهديدا خطيرا لمصدر مهم من مصادر الدخل القومي الإسلامي والعربي، خصوصا أن الدخل المباشر وغير المباشر الذي تدره صناعة السياحة على الاقتصادات العربية بلغ نحو من (60 مليار دولار سنويا، أي ما يعادل نصف قيمة العوائد النفطية، وقد قدرت الخسائر الإجمالية لشركات الطيران في (16) دولة عربية بما يتراوح بين (500) مليون إلى مليار دولار خلال الفترة من (2001) إلى (2002).³

¹ خالد بن عبد الرحمن المشعل و عبد الله بن سليمان الباحث : مرجع سابق، ص ص 17-21 .

² علي خليفة الكواري وآخرون : مرجع سابق، ص ص 213-214.

³ خالد بن عبد الرحمن المشعل و عبد الله بن سليمان الباحث : مرجع سابق، ص ص 17-21 .

أما التجارة الخارجية العربية فتأثرت هي الأخرى حركتها تأثراً ملحوظاً بسبب ارتفاع تكاليف التأمين والشحن والتعقيدات الجمركية بعد الحادي عشر من سبتمبر، وهو ما أدى إلى انخفاض أسعار النفط إلى جانب تأثير الركود الاقتصادي الأمريكي، وانخفاض سعر صرف الدولار مقابل العملات الأخرى.¹

وتشير التقديرات أن قيمة التراجع في حركية التجارة العربية بلغت نسبة (8.1%) خلال سنة (2001) لتبلغ (336.1)، كما أن انخفاض الدولار أمام اليورو أدى إلى تآكل القدرة الشرائية للحصيلة الدولارية العربية مع الوضع في الاعتبار أن العملات العربية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالدولار².

ويبقى في الأخير الإشارة إلى أن التداعيات السلبية لأحداث الحادي عشر من سبتمبر وغيرها من الأحداث الكبرى التي هزت ولا زالت تهمز العالم تحتم على الدول العربية والإسلامية وضع استراتيجيات تساعد على المحافظة على الثروة النفطية التي لا تزال إلى اليوم تشكل عائداتها لدولة مثل الجزائر (90%) من الصادرات ونحو (75%) من مجموع الإيرادات العامة، مع ضرورة تنويع مصادر الدخل وتقليل الاعتماد على النفط، وتشجيع المواطنين على المشاركة الفعالة في عملية البناء والتنمية، والتقليل من اتكالهم المفرط على الدولة في مجالات التعليم والصحة والسلع والخدمات، مع ضرورة السعي لبناء سوق عربية وإسلامية مشتركة، والانفتاح على الأسواق العالمية الجديدة الصاعدة في العالم، ووضع المخططات الاقتصادية بعيدة المدى وتحسين مناخ الاستثمار من خلال شبكة العلاقات والأنظمة والقوانين السائدة. كما ينبغي المضي في تفعيل استراتيجيات العمل العربي والإسلامي المتكامل، وتشجيع الصناعة والسياحة البنينة والعالمية، وتحديث هياكل ونظم وأساليب إدارة الاقتصاديات الوطنية، مع ضرورة التوجه نحو الاستثمار في اقتصاد المعرفة للنهوض بهذا العالم.

¹ فارس عبيدة : مرجع سابق .

² علي خليفة الكواري وآخرون : مرجع سابق، ص ص 214-217.

الفصل الثالث

أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وتداعياتها
الدولية

1-3 السمات العامة لأحداث الحادي عشر من
سبتمبر.

2-3 المقاربات التحليلية في تفسير أحداث
الحادي عشر من سبتمبر.

3-3 التداعيات الفكرية والإستراتيجية
للسياسة الدولية بعد أحداث الحادي عشر من
سبتمبر 2001 .

4-3 المقاربة الثقافية في الحرب على
الإرهاب بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

5-3 التداعيات المؤسسية والقانونية لأحداث
الحادي عشر من سبتمبر على العالم.

6-3 التداعيات الأمنية والعسكرية لأحداث
الحادي عشر من سبتمبر على العالم.

7-3 التداعيات الاقتصادية لأحداث الحادي عشر
من سبتمبر على العالم.

3-1 السمات العامة لأحداث الحادي عشر من سبتمبر

يعد يوم الثلاثاء الحادي عشر من سبتمبر (2001) أحد أكثر أيام التاريخ اسودادا بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، إذ استيقظ العالم على مشهد درامي مهيب، لم يتوقعه أحد وقلما يتكرر عبر التاريخ، لقد تابع الملايين من البشر على المباشر، طائرتان مدينتان وهما تخرقان مركز التجارة العالمي في نيويورك، وأردتاه في غضون ساعة من الزمن إلى كومة من الأنقاض. والمركز يتكون من برجين، تمت أول هجمة في حوالي الساعة (8:46 سا) صباحا بتوقيت نيويورك، حيث اصطدمت طائرة الرحلة (11) المقلعة من "بوسطن" برج مركز التجارة العالمية الشمالي بنيويورك، المخطوفة بالبرج الشمالي من مركز التجارة العالمي، وبعدها بدقائق، في حوالي الساعة (9:03 سا)، اصطدمت طائرة الرحلة (175) المقلعة من "بوسطن" أيضا بالبرج الجنوبي، وبعد ما يزيد عن نصف الساعة طائرة الرحلة (77) من نفس الخطوط والمقلعة من "واشنطن"، رجعت علي عقبيها "لواشنطن" وقصدت مبنى البنتاجون (وزارة الدفاع الأمريكية).. كما تحطمت طائرة رابعة تابعة للخطوط المتحدة الرحلة (93) في "بتسبرج".

واستهدفت عمليات التفجير مصالح أمريكية حيوية (سياسية وعسكرية واقتصادية)، وخلفت (2973) ضحية، (24) مفقودا، إضافة إلى آلاف الجرحى والمصابين بأمراض جراء استنشاق دخان الحرائق والأبخرة السامة، وهو ما شل الحركة في البلاد على نحو لم تشهد له مثيلا، حتى أثناء الحرب العالمية الثانية أو حرب "الفيتنام"، وشكلت هذه الهجمات الضربة الأقوى التي أهابت هذا البلد منذ الهجوم الياباني على قاعدة "بيرل هاربر" البحرية سنة (1941م).

لقد شكلت هذه الاعتداءات كما يصفها (فوكوياما F.Fukuyama) صدمة رهيبة للعقل الأمريكي الذي بدا عاجزا عن استيعاب هذه الهزة العنيفة، التي كشفت عن شعور عارم يفضح هشاشة أكبر الأجهزة الأمنية والمخابراتية عبر العالم، ضد خطر يكاد يكون بدائيا، لا يتركز في كيان قومي أو إقليم دولي محدد، وبدا واضحا منذ الوهلة الأولى أن الأمور ستتغير بشدة نحو بناء إستراتيجية جديدة تتلاءم مع هذه التحديات غير المسبوقة بعد تفجيرات مست الدولة العظمى في عقر دارها، وبوسائل غير مألوفة لديها.¹

ومن أجل فهم أشمل، جدير بنا الإشارة إلى السياقات والسمات والملامح الخاصة التي ميزت الحدث منذ تفجره عشية الثلاثاء الحادي عشر من سبتمبر (2001) بالولايات المتحدة، والتي يمكن حصرها في الآتي :

¹ Francis Fukuyama : « l'Etats-Unis » . **Le Monde** , N° 17620 , Le 19 septembre 2001. P12.

✓ أن الهجوم أصاب مواقع حيوية وإستراتيجية، تشكل الرموز العسكرية والسياسية والاقتصادية، الأكبر في العالم، وهو ما أثر بشكل مفضوح على مكانة الولايات المتحدة الأمريكية وهبتها من الناحية الدولية، وانهارت بذلك كثير من المزاعم الأمنية الأمريكية، التي كانت تتناقلها وسائل الإعلام المختلفة عبر الأخبار والأفلام والروايات.

✓ وجدت القيادة الأمريكية نفسها ملزمة بالخروج للعالم بموقف يحفظ ماء الوجه، ويرد كرامة الأمريكيين والغرب المتحضر عموماً، فأعلنت غداة الأحداث على لسان مستشارة الرئيس " إن الهجمات ستغير نظرة الولايات المتحدة للعالم... وهذا الحدث سيغير الأمور بشكل عميق بالنسبة لنا جميعاً " ¹ وبعدها بيومين أعلن (الرئيس (جورج بوش الابن G W. Bush) ، دفع القيادة الأمريكية إلى القيام بمراجعة شاملة لمفهوم الأمن الداخلي ومؤسساته وبرامجه ضمن استراتيجيات جديدة، تأخذ في حسابها التهديدات الداخلية بالقدر نفسه الذي تأخذ به التهديدات الخارجية " ² وبعد أقل من (24) ساعة على الأحداث، أعلن حلف شمال الأطلسي أن الهجمة على أية دولة عضوه في الحلف هو بمثابة هجوم على كافة الدول التسع عشرة الأعضاء. ³ وكان لهول العملية أثراً على حشد الدعم الحكومي لمعظم دول العالم للولايات المتحدة ونسي الحزبان الرئيسيان في الكونغرس ومجلس الشيوخ خلافاً للداخلية.

✓ أن الهجوم لم ينطلق من دولة، ولم ينفذه عدد محدد محدد، يمكن الرد عليه وإلحاق الهزيمة به، بما يعيد للولايات المتحدة الأمريكية هيبتها، ومكانتها، وبالتالي لم يكن أمام الولايات المتحدة في هذا الموقف سوى الإعلان عن حرب، ضد ما أسمته الإرهاب والجماعات الإرهابية، وهذا يعني أن الرد لن يقتصر على هدف محدد يمكن القضاء عليه، وإنما يتعدى ذلك إلى ضرب كثير مما يعتقد أنها مراكز تجمع أو أراضيات وخلفيات للإرهاب، سواء كانت جماعات أو دول أو شعوب أو غير ذلك .

« Le " un ennemi différent de ceux qu'ils ont connus" ¹ Patrick Jarreau : « Les Américains face à Monde, N° 17615, Le 14 Septembre 2001.p4.

² Thomas Ferenczi : « La (guerre juste) contre le terrorisme ». Le Monde, N° 17621, Le 20 Septembre 2001,p 2.

³ Beatrice Gurrey : « Le PCF tire un trait sur quatre-vingts ans d'antiaméricanisme». Le Monde, N° 17616, Le 15 September 2001.p4

✓ أن الهجوم لم تتورط فيه دولة من الدول، لا بشكل مباشر أو غير مباشر، لأن حسابات الدول تختلف عن حسابات الأفراد، ولا يمكن دولة من دول العالم الراهنة، يمكنها المجازفة بهذا النوع من الهجوم، مهما كان عداؤها للولايات المتحدة، مما يرجح القول أن الفاعلين ليسو سوى أفراد يستبطنون عدا حادا لسياسات الولايات المتحدة.

✓ عادة ما كان البحث عن أعداء جزء من السياسة الخارجية للولايات المتحدة، وهناك الحاجة لتقنين المصاريف العسكرية الضخمة، والتدخلات الدولية المحتملة، فكانت أحداث الحادي عشر من سبتمبر، المشجب الذي تعلق عليه الولايات المتحدة تبريراتها، وتكرر من خلاله رسالتها للعالم، " فالقاعدة " هي الخطر الكبير الذي يهدد الغرب والاستقرار والأمن العالميين، وعلى العالم المتحضر أن يتحرك للقضاء على هذا الخطر.

✓ أن الهجوم لم يأت من خارج الولايات المتحدة وإنما من داخلها عبر مطاراتها وأجهزتها المدنية المختلفة، ما ينسف قدرات الأجهزة الأمنية الأمريكية، أو يورطها ويحملها مسؤولية التخطيط والتنفيذ لهذه الأحداث كما أشار إلى ذلك كثير من الخبراء¹، بالنظر إلى الدقة في التخطيط والتنفيذ.

✓ الهجمات استهدفت الولايات المتحدة الأمريكية ذاتها، دون غيرها من الحلفاء والدول الغربية، الأقل مما يعني أنها المستهدفة جراء سياساتها، أو أن التخطيط كان داخليا وربما خارجيا لكن لأجل التنفيذ في حدود الجغرافية الأمريكية، ولأسباب ومصالح أمريكية بحتة كما يذهب إلى ذلك (راهول مهاجان R.Mahagan وإريك لوران E. Laurent، دافيد راين قرينين D. R. Griffin، ومن العرب هشام كمال عبد الحميد)².

✓ الهجوم وان كان واقعا على الولايات المتحدة دون غيرها، إلا أنه كان يحمل رسالة إلى كل حلفائها مثل دول حلف الناتو، في الدوافع التي كانت ربما تقع وراءه، مثل سياسات الهيمنة والكيل بمكيالين في العلاقات الدولية، واستغلال إمكانات المستضعفين... ما جعل تلك الدول تعي بجدية أبعاد ما حدث، وتتوقع حدوث الأمر نفسه لها في أي وقت من الأوقات.

¹ David ray Griffin :**The New Pearl Harbour (disturbing question about the bush administration and 11 /9)** . Arabe Scientifique Publisher , 2005.

² ينظر : راهول مهاجان : مرجع سابق/ هشام كمال عبد الحميد: **11 سبتمبر صناعة أمريكية**. ط1، دار الكتاب العربي للنشر، دمشق، 2006

Eric Laurent: **la face Cachée du 11 Septembre** .Dar El-chihab Editions ,Alger 2005.

✓ أن الهجوم أدى إلى استنفار جميع الدول بلا استثناء، للوقوف صفا واحدا على المسؤولين عنه، ومواجهة آثاره وتداعياته، خاصة أن بعض الدول توقعت أن يكون هذا الهجوم له امتدادات أخرى، بحيث يمكن أن يشملها، بحيث لا تستبعد تعرضها لهجمات مماثلة في المستقبل .

✓ مباشرة بعد وقع الأحداث، ألصقت التهمة بالإسلام والمسلمين، وتم اعتمادهم رسميا كعدو، إذ غداة الأحداث أعلن الرئيس الأمريكي (جورج دبليو بوش G W. Bush) عن الحرب ضد الإرهاب و"القاعدة"، تحت مسمى " الحرب الصليبية الجديدة " مع مباركة أغلب أنظمة العالم، من أمريكا غربا إلى الصين شرقا مرورا بأوروبا الغربية والشرقية، ناهيك بالطبع عن الكيان الصهيوني، ولم يتوقف الأمر عند الأنظمة أو تصريحات السياسيين بل تعدى ذلك إلى وسائل الإعلام والمطبوعات والكتب وحتى المؤسسات الحقوقية والأممية والعلمية العالمية، ولا أدل على ذلك جائزة نوبل للأدب التي فاجأت العالم الإسلامي بتقليدها للكاتب البريطاني الجنسية، الترنيدادي الأصل (نيبول V. S. Naipaul)¹، المعروف بعنصريته وتحيزه الفاضح وسلطة لسانه على العرب والمسلمين.²

✓ الأحداث جاءت في ظل تقلد الجمهوريين أو من يطلق عليهم الإعلام " Evangéliques " الإنجيليون أو " المحافظون الجدد " أو " الصقور "، أو " اليمين المتصهين " سدة الحكم في الولايات المتحدة، مما يعني أن ردود الفعل ستكون حسب طبيعة وتصور هذا التيار لمعالم المرحلة المقبلة، وتيار المحافظين الجدد تمتد جذوره الأولى إلى سنوات الثلاثينيات من القرن الماضي، مع مجموعة من المفكرين اليهود الأمريكيين من أمثال (ليو ستروس L.Strauss، فيليب سالسانك P. Sellsenk، دانيال بال D. Bell...)، وصولا إلى (رونالد ريغن R. Reagan) و(جورج بوش G.W Bush)، ثم (جورج بوش الابن G.W Bush) وغيرهم ممن عرفوا

¹ فيديادور سورا جراساد نيبول Vidiadhar Surajprasad Naipaul: روائي بريطاني حائز على جائزة نوبل للأدب سنة (2001)، في لقاء له مع جريدة " Almondo " الإسبانية، شن هجوما عنيفا على الإسلام والمسلمين دعا فيه إجماع دول عربية وإسلامية، كمصر والجزائر، دفع تعويضات العمليات التي وقعت في 11 سبتمبر (2001). وعن كل عملية "إرهابية"، كما اتهم العرب بأنهم " يريدون أن يمدوا صمت الصحراء إلى كل مكان، فهم أمة جاهلة لا تقرأ، وهم يقفون ضد الحضارة"، وأن المسلمين شعوبا "مليئة دائما بالحق، وهاجم العمليات الاستشهادية ضد الاحتلال الإسرائيلي قائلا: إن الأمر يتعلق بمتطرفين يملون بدخول الجنة. ينظر :

[On-line] <http://ar.wikipedia.org/wiki>, 12/01/2013, 12:16

2 ينظر جلال أمين: عولمة القهر (الولايات المتحدة والعرب والمسلمين قبل وبعد أحداث سبتمبر 2001). ط2، دار الشروق، القاهرة، 2005، ص130.

وتميزوا بفلسفة وعقيدة قومية متصهينة، وجد متشددة وعنصرية،¹ يلخصها (فرنسيس فوكياما F. Fukuyama) في النقاط الرئيسية الآتية :

- الإيمان بقوة أمريكا وضرورة حضورها الدائم في العالم.
- التبديلات العسكرية وما يرافقها في النفقات الكثيفة لرفع مستوى التكنولوجيا العسكرية.
- تكريس القبضة الحديدية، واستغلال التفوق العسكري من أجل الاتساع المستمر عبر العالم للوجود العسكري الأمريكي.
- تبدل الأنظمة المناوئة، احتواء الأنظمة التي تدعن للأوامر الأمريكية .
- عدم الثقة في المشاريع الهندسة الاجتماعية الطموحة، والنتائج المشؤومة لجهود التخطيط الاجتماعي.
- ارتياب في مشروعية القانون الدولي وفي فاعليته وفي مشروعية مؤسساته وفي فاعليتها في تحقيق الأمن أو العدالة.²

✓ إضافة إلى العوامل السابقة وقعت أحداث سبتمبر في فترة كساد وركود اقتصادي أمريكي، وعالمي بحكم تبعية الاقتصاد العالمي للاقتصاد الأمريكي، وفي وقت صعدت فيه قوى المسيحيين المتدينين السياسية، وبما يحمله بعض قياداتهم من رؤى سلبية تجاه المسلمين وتجاه الشرق الأوسط، تماشيا مع إيمانهم بنبوءات آخر الزمان الإنجيلية، وفي فترة صعود لنفوذ المحافظين الجدد داخل أروقة السياسة الخارجية الأميركية، وتركيزهم الشديد على العالم الإسلامي والشرق الأوسط.

¹ Guy Sorman : **La Révolution conservatrice américaine**. Hachette, Paris, France, 1983, pp 7-10.

² Francis Fukuyama : **After The Neocons: America at the Crossroads**. Yale University Press, United states, 2006 pp 20-105

3-2 المقاربات التحليلية في تفسير أحداث الحادي عشر سبتمبر.

3-2-1 المقاربة الأولى، الأحداث انعكاس للقوة وفرصة للهيمنة الأمريكية على العالم.

يذهب أصحاب هذه المقاربة إلى الاعتقاد بأن الأحداث تعد تكريسا نهائيا للمسار البارز منذ نهاية الحرب الباردة، أي أنها امتداد لمشهد الهيمنة الأمريكية المطلقة على العالم، الذي كان يحتاج إلى خطر خارجي يوفر الغطاء الاستراتيجي والفاعلية الهجومية المستمرة، وقد أسعفت هذه الأحداث الأمريكيين بمنحهم ذريعة البدء بمخطط موضوع منذ سنوات، وتحديدًا بعد حرب الخليج التي اعتبروها محور التصور الأمريكي للقطب الواحد وأحادية المصلحة، والتحرر من الاعتبارات والأغلال التي سادت العالم قبل الأحداث، لقد كانت المناسبة فرصة طبيعية لرفع الميزانية العسكرية، وتطوير الأسلحة النووية والبيولوجية، وتوسيع القواعد العسكرية عبر العالم، وتغيير الأنظمة المناوئة، كل ذلك باعتماد فن التصوير الخطابي، ولو بشكل غير فعال وعلى شيء من القواعد الخلقية للتبريرات القانونية.¹

لعل من أبرز أنصار هذه المقاربة المفكر الأمريكي (راهول مهاجان R.Mahagan)، صاحب مؤلف " السلطة المطلقة "، و(وليم بلوم W. Bloom) في مؤلفه " الدولة المارقة دليل إلى القوة الوحيدة في العالم " ² ورجل الأعمال (جورج سوروس G.Soros) الذي أكد أن الزلزال وفر لإدارة (جورج بوش G.W Bush) فرصة تجسيد مشروعها الإمبراطوري للهيمنة ذي الخلفية الأيديولوجية المحافظة القائمة على ثلاث ركائز أساسية هي التفوق العسكري والأصولية الدينية وأصولية السوق .

ومهما كان شكل وأنماط تجسد هذه الهيمنة الأحادية في مستوى العلاقات الدولية، فإن السؤال الذي يطرح هو : إلى أي مدى يمكن لظاهرة معقدة لا شكل لها، وثيقة الصلة بالعوامل المجتمعية والثقافية والأزمات المحلية والإقليمية أن تشكل عدوا استراتيجيا للقوة الدولية المهيمنة، بنفس خطاب العصر السابق خطاب الخير والشر ؟

¹ ينظر راهول مهاجان : مرجع سابق، ص ص 59-79.

² ينظر وليام بلوم : مرجع سابق.

إن هذا الإشكال هو الذي يفسر عجز الإدارة الأمريكية عن بناء عقيدة إستراتيجية للتحالف الدولي الجديد ضد الإرهاب، بل عجزها عن تأمين الحد المطلوب من التوافق داخل مجال امتدادها الأوروبي.¹

3-2-2 المقاربة الثانية، الأحداث أمودج واقعي وعملي لصراع الحضارات

تمثل في اللجوء إلى مبرر الصراع الحضاري الذي كثر الحديث حوله بعد الأحداث، وان كان له جذور في المخيال الغربي تمتد إلى قرون خلت، كانت تقوم على إحياء النزعة الدينية المسيحية في الشعوب والجيوش، بالإضافة إلى ترسيخ وتأصيل النزعة القومية والعرقية في هذه المجتمعات، لتأهيل شعوبها وحشدها ضد الآخر عامة وضد الإسلام والمسلمين خاصة، فإذا كان الإرهاب عدوا لا شكل له ولا موقع، فإن الحضارات كيانات ثقافية متجسدة في أمم ودول وتقاليد قيمية وسلوكية تشكل محور الصدام والصراعات مع الآخر.

ونلمح ذلك في وصف الإدارة الأمريكية الأحداث منذ وهلتها الأولى بالحرب الصليبية الجديدة، ومن ثم الحرب الحضارية، مع زيادة في التركيز على بعض البلدان الإسلامية بعينها مثل المملكة العربية السعودية، أفغانستان، العراق، باكستان، وتنظيمات إسلامية بعينها كالمقاومة الإسلامية حماس، وحزب الله، والطالبان، وغيرهم، مما يعكس توجهها حقيقيا لدى هذه الإدارة ضد العرب والمسلمين، وهناك قادة ومنظرون (برنارد لويس B. Lewis، صموئيل هنتغتون S. Huntington، رئيس الوزراء الايطالي بيرلسكوني S. Berlusconi...) تحدثوا منذ سنوات في خطابهم السياسي والعسكري والفكري عن حتمية الصراع بين الحضارات، ومهدوا الأرضية لتكريس مثل هذه الرؤية.

ومع تناقضات وسطحية وضعف مبررات هذا الافتراض وخلطه المفضوح بين الثقافات والأديان والحضارات، جاعلا منها تارة كيانات مستقلة وتارة أخرى عناصر وأجزاء من كل، فضلا على تجاهله خصوصية الأمم والشعوب، إلا أنه يجب في العديد من القيادات السياسية في الغرب لاسيما الولايات المتحدة في تبنيه مبررات كافية لركب موجة الصراع، بل نبذه يشكل متنفسا للتبرير وأداة لتنفيذ المخططات السياسية والاقتصادية والثقافية، إنه بلا شك خطاب الهيمنة، وفي هذا السياق كتبت أحد

مناصريه (كوندليزا رايس G. Rice) على صفحات جريدة "لوموند Le Monde"، تحت عنوان "لا هوة بين أوروبا والولايات المتحدة" التهديد واحد والدواء مشترك، حضارة الغرب تحمل برنامجا كبيرا وأهدافا

¹ ينظر السيد ولد أباه : عالم ما بعد 11 سبتمبر 2001 (الإشكالات الفكرية والإستراتيجية). ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، 2004، ص6.

نبيلة، ولا توجد دولة عظمى، قادرة بمفردها على تحقيق هذه الأهداف. ولتحقيق نجاحات كبيرة في العالم، يلزمنا شركاء كبار، أقوىاء. نعلم أن الولايات المتحدة وأوروبا عندما توحدان قوتيهما وذكائهما، تكونان أفضل الشركاء، والتاريخ يشهد على ذلك".¹

وفي نفس السياق كذلك علق في خطاب له، رئيس الوزراء الايطالي (سيلفيو بيرلسكوني S. Berlusconi) غداة الأحداث " يجب أن نكون على دراية بتفوق حضارتنا التي تشكل منظومة القيم قدمت لكل البلدان التي تبنتها ازدهارا هائلا والتي تضمن احترام حقوق الإنسان والحريات الدينية هذا الاحترام غير موجود بالتأكيد في البلدان الإسلامية"²، ومع أن كثير من المحللين والكتاب لا يذهب إلى اختزال الصراع الدائر راهنا في صدر الإسلام والحضارة الغربية المعاصرة، إلا أنه من الواضح أن هذه الخلفية حاضرة في الأذهان، حتى ولو سلكت مسارب ضيقة خفية، مثل التركيز على بلدان الإسلامية بعينها (مثل المملكة العربية وباكستان) أو بعض المجموعات والألوان الأيديولوجية والسياسية المعتبرة - من منظور الغرب - أصولية الإسلامية، ومن ثم الصعوبة البالغة في الفصل بين الإرهاب والمجال الإسلامي في الخطاب الأمريكي الرسمي وفي الأدبيات الغربية السيارة.

ورغم كثرة أنصار هذا الرأي الناقد بشدة، في العالمين الغربي والإسلامي إلا أن ثمة ممن يرى أنه من غير الممكن اعتبار هذه الأحداث صداما بين الحضارات لسبب واضح جدا هو أن مرتكبي هذه الأحداث هم مجموعة أفراد لا يشكلون تمثيلا إقليميا معيناً أو يلقون ترحيبا جماهيريا بالقدر الذي يجعلهم يجسدون حضارة ما. فضلا على ضبابية البناء المفاهيمي لهذا التصور، وقصور مبرراته المنطقية والواقعية والتاريخية ما يجعله منه أداة للاستهلاك السياسي والإعلامي، وفرصة للسطو على الأمم والشعوب وسلب خصوصية الثقافات وروحها لا أكثر .

¹ Condoleezza Rice : « Pas de fossé entre l'Europe et les Etats-Unis ». **Le Monde**, N° 17707, Le 10 juin (2001), p1/3.

² Umberto Eco : «A propos de la supériorité occidentale» **Le Monde** , N° 17640, Le 10 Octobre (2001). pp 1/ 3

3-2-3 المقاربة الثالثة، الأحداث مؤشر لنهاية الأحادية القطبية

يرى أصحاب هذه المقاربة أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر، مظهر بارز لضعف وهشاشة القوة المتحكمة في العالم، ومؤشر من أهم مؤشرات نهاية الهيمنة الأمريكية، والقطبية الأحادية، التي انتهجت في ما بعد الحرب الباردة، ويزيد هذه النظرية تأكيداً من وجهة نظر مؤيديها رد فعل فشل كل الاستراتيجيات المنتهجة من طرف الولايات المتحدة وحلفائها في تحقيق الأهداف المسطرة لضبط العالم، والقضاء على ما سمي بالإرهاب، إن الدولة العظمى في العالم، بإستراتيجية ما بعد الحادي عشر من سبتمبر سارت نحو الاتجاه الخاطيء في الحفاظ على هيبتها وقوتها عبر العالم، فراحت كما يصفها (روجي غارودي R. Garaudy) تتخبط خبط عشواء، مركزة على المقاربة العسكرية والأمنية، من خلال الإفراط في التسلح البربري، ومن جراء رياء الليبرالية الاقتصادية المفروضة على جميع الشعوب لتستأثر بالأسواق، عبر تصويغها الشيطاني "لخريطة الشر العالمي" بحجة مكافحة الإرهاب، في حين أن الداخل الأمريكي يبنى عن كوارث موقوتة، فالأرقام القياسية العالمية الكئيبة للمخدرات والانتحار والجرائم، والإخفاقات السياسية، والمالية والأخلاقية والاجتماعية ، تنخر جسد هذه الإمبراطورية، بما يجعلها غير قادرة على الصمود مستقبلاً من اجل تجسيد زيف شعاراتها البراقة.¹

وهذا الفشل الذريع يؤكد من جهة أخرى وفق أصحاب هذه المقاربة أن العالم لا يمكن أن يكون إلا بأقطاب متعددة، ولا يمكن بناؤه إلا من خلال تفاعل وحوار وتعاون حضاري، يشارك الجميع في صناعة قيمه، ويتبنى المفكر الأمريكي (نعوم تشومسكي N.chomsky) هذا التوجه من التحليل النقدي، وحيث أصدر منذ نهاية التسعينيات سلسلة من الكتب والمقالات الناقدة للسياسة الخارجية للولايات المتحدة، معتبرا إياها مصدر كل أزمات ومآسي العالم، ولعل أبرز ما كتبه عقب الأحداث عقب الأحداث مقالا بعنوان "أمريكا في تراجع" أبرز من خلاله تسارع مؤشرات انهيار أميركا، بعد هيمنة اليمين المتصهين، وأرباب رأس المال، والشركات التي وضعت المتشددون في مراكز القرار هي الآن قلقة من أنهم يسقطون الصرح الذي بنته، وإن النجاحات التي يعتقد أنها ربما تضيف شيئاً يذكر لكفاءة الاقتصاد الحقيقي، هي في واقع الأمر نقل للكوارث من دافعي

¹Roger Garaudy : **les Etats-Unis avant-garde de la décadence (comment préparer le XXIXe siècle)**. 2^{em}Ed , vent du large , Paris , 2004 , pp 200-212.

الضرائب إلى الممولين، بواسطة تمزيق بقايا الديمقراطية السياسية، وإرساء أسس شكلية لتنفيذ عملية قاتلة إلى الأمام، ما دام الضحايا هم على استعداد للمعاناة في صمت.¹

وبنفس النبرة والحدة ترى (نعومي وولف Naomi Wolf) - من أبرز أنصار هذه المقاربة- على الأمريكيين إنقاذ ديمقراطيتهم، قبل زوالها من عبث المحافظين الجدد في إدارة الرئيس (جورج بوش G.W. Bush)، فانتهاجهم نهج الديكتاتوريات التقليدية، وحرصهم على مصالحهم المالية والنفطية والسياسية الضيقة، من شأنه أن يكرس الاستغلال والمعاناة ويضيق فضاء الحريات في الداخل ويزيد من العداوات في الخارج، معتبرة أن الاستمرار في هذه الإستراتيجية القائمة على الفوضى من شأنه أن ينذر بنهاية أكيدة للولايات المتحدة.² وقد لاقت هذه المقاربة أشياعا كثر في البلاد العربية والإسلامية، على اعتبار أن الولايات المتحدة الأميركية القوة الأكثر نفوذا في العالم تعيش أخرج لحظات عمرها، وتشهد تراجعاً مستمرا مطرد على المستويين الإقليمي والدولي، ولحظتها التاريخية تبدو كما لو كانت قد انتهت، وهذا التراجع يشمل قطاعات شتى بدءا بالتراجع الاقتصادي الداخلي المهول، وعجز الميزانية واتساع معدل البطالة، إلى الإخفاق الخارجي، الممثل في عدم احترام الشرعية الدولية، والإدانات المتكررة للانتهاكات المتكررة لحقوق الإنسان في "غوانتنمو والعراق وأفغانستان"، وتراجع الحلفاء - فرنسا ألمانيا إسبانيا- عن الدعم اللوجستي والإعلامي، وتزايد معدل الكراهية في العديد من دول العالم الغربي والعربي والإسلامي جراء تبعات العولمة الاقتصادية، وعدم القدرة على حسم ما سمي "بالحرب على الإرهاب" وهزيمة "القاعدة"، وفشلها في عملية السلام في الشرق الأوسط والملف النووي الإيراني، وتورطها في العديد من الأزمات الأمنية والسياسية والاقتصادية وحتى الإنسانية كما في القرن الإفريقي، ومن منظور أخلاقي لم يعد النموذج الأميركي مقنعا في مجال السلم والبيئة والحريات المدنية والديمقراطية، وفقد الكثير من بريقه وقوته الناعمة كمدافع عن حقوق الإنسان، فضلا على الاختناق الاجتماعي والقيمي الذي يحاصر المواطن الأميركي في الداخل.

¹ Noam Chomsky : « America in Decline » . Truthout, [on-line], <http://www.truthout.org/america-decline/1312567242> , Monday, 22 August 2011 .le 23.02.2013, 22:54h.

²Naomi Wolf : **The End OF America ; Letter of warning to a Young patriot** . The New York Times Bestseller, publishing chelsea green, United States Of America, 2007 .

ولئن كانت هذه الرؤية تتضمن كثيرا من التحليلات الواقعية، والتصورات المنطقية، وترضي كثيرا من عواطف العرب والمسلمين، وتتلج صدورهم كأول المتضررين من الظلم الأميركي، إلا أنه من الصعب التسليم بقبولها وحدها لا غير، في ظل المعطيات الواقعية، ونواميس تشكل القوى الدولية وانهاياها، فإلى حد الساعة لا تزال وربما ستبقى لأعوام الولايات المتحدة، بحكم القوة العسكرية والاقتصادية تتحكم في الرهان الاستراتيجي وصناعة القرار، وبنية الاقتصاد العالميين.

وبعيدا عن العواطف والتحيز فيمكن الاستنتاج أن كل من هذه المقاربات المشار إليها في الحقيقة قدمت زاوية ووجهة نظر مهمة لقراءة وفهم طبيعة التحولات الدولية بعد الحادي عشر من سبتمبر، فالأحداث فعلا مؤثر قوي لغطرسة وهيمنة قوى الرأس مال العالمي بقيادة الولايات المتحدة، كما أن ثمة مخططات عديدة تحاك وتحرك هذا العالم وصراع خفي وظاهر أحيانا تشارك فيه العديد من الدول والحكومات والجماعات بغية تكريس رؤيتها وتعزيز وجودها، مستخدمة في ذلك المشروع وغير المشروع ومستفيدة من الظروف التاريخية والجيواستراتيجية التي أتاحت أمامها، وعاملنا العربي والإسلامي بما أوتي من ميزات وما تخلله من أزمات وعقد يظل عنصرا مهما واستراتيجيا في هذه الدائرة، خاصة في ظل تحمله في الأخير أعباء وتكاليف وضريبة هذه الأحداث، فاستعمرت أراضيه وقسمت دوله ونهبت خيراته واستنزفت قواته وانتهكت أعراضه وضاعت كثير من قضاياه العادلة في عالم لا مكان فيه للضعفاء .

3-3 التدايعات الفكرية والإستراتيجية للسياسة الدولية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001)

شكلت أحداث الحادي عشر من سبتمبر صدمة كبيرة، في مجال السياسة والعلاقات الدولية، سرعان ما امتدت ارتداداتها إلى مختلف الدوائر الفكرية والسياسية عبر العالم، وأحييت بذلك معها كثير من الأسئلة العميقة في الوعي الغربي وحتى العربي والإسلامي المتعلقة "بالأنا" و "الآخر"، وطبيعة الموقف والعلاقة والمستقبل، وتصدرت بشكل لافت، سدة المشهد العالمي مقولات وافتراضات "الإسلام والغرب"، "الخير والشر"، "الحوار والصدام" بين الغرب على اختلاف قناعاته وتوجهاته بزعامة في الولايات المتحدة الأمريكية، والعرب والمسلمين الذين تحولوا فجأة إلى متهمين بوصفهم مصدر للإرهاب ومعاداة التقدم.

ف عقب الأحداث مباشرة تحدث الرئيس (جورج بوش الابن G.W. Bush) في خطابه للأمريكيين والعالم الحر- على حد وصفه- عن " الحروب الصليبية، والتطرف الإسلامي، والذين يكرهوننا، ومحور الشر، والدول المارقة وغيرها من المصطلحات، التي أريد منها الإعلان عن بداية فترة جديدة وغير مسبوق في العلاقات الدولية وضرورة مشاركة الجميع في التحالف ضد ما أسماه بالإرهاب الإسلامي،¹ وعقب على خطابه من هناك في أوروبا رئيس الوزراء الايطالي (سيلفيو برلسكوني S. Berlusconi) بقوله ينبغي أن نكون على بينة ويقين من تفوق حضارتنا، ونظام قيمنا التي جلبت الازدهار والرفي لكل بلاد الحضارة الغربية، وكرست ضمانات احترام حقوق الإنسان والحريات الدينية. مما لا يمكن أو يكون موجدا في أي دولة من البلاد لإسلامية"،² وعبر إلى جانبه الرئيس الفرنسي (جاك شيراك J. Chirak) وإن بلغة أكثر دبلوماسية في خطاب له : بعد ما وقع لا يمكن أن نقف إلا إلى جانب الولايات المتحدة في مأساتها، ونكون جميعا ضد الإرهاب والمتطرفين الإسلاميين³ ولم يكن في ذلك الحين بعض المفكرين والمثقفين- من أمثال (صموئيل هنتغتون S. Huntington وفرنسيس فوكوياما F. Fukuyama و برنارد لويس B. Lewis) أكثر تحفظا

¹ نص خطاب الرئيس كاملا منشور على حائط موقع، كلية الحقوق ، جامعة أو كلاهوما،-On]

line]http://www.historyplace.com/speeches/gw-bush-9-11.le 23.02.2013, 23:12h .

² Frédéric Charillon : « La politique étrangère de l'Union Européenne à l'épreuve des normes américaines ». **Revue Cultures & Conflits**, N° 44 , hiver 2001, p142 .

³ Arnaud Le Parmentier Et Laurent Zecchini : « Unsommet extraordinaire des Quinze contre le terrorisme » . **Le Monde**, N°17618 , le 19 Septembre 2001,p9.

من رؤسائهم في الغرب بل أصدروا بيانا كمتقفين وعلماء، أطلقوا عليه "الإرهاب الإسلامي"، دعوا من خلاله الغرب جميعا إلى ضرورة الالتفاف لنصرة قيمه وقضاياه ضد الإسلام والمسلمين والعرب، أعداء التحضر والمدنية، واعتبروا "الحرب العادلة" ضد الإرهاب، ضرورة ونتيجة حتمية "للخطر الأخضر الجديد"، وان كان في واقع الأمر عارضهم في ذلك - من داخل الفكر الغربي - مفكرون آخرون منهم أمريكيون أصلا، أمثال (نعوم تشومسكي N. chomsk ، وادوارد سعيد E. Said ، رمزي كلارك R. Clark ، مارتن لوتر الثالث M. Lotter) وغيرهم حوالي مائة وعشرين شخصية أمريكية وغربية، وقعوا بيانا موازيا تحت مسمى " ليس باسمنا "، نددوا فيه بالحرب على الإرهاب ومساعي الهيمنة والامبريالية الأمريكية والغربية على العالم.¹

وواصل الرئيس (جورج بوش G.W Bush) عقب الأحداث سلسلة من الخطابات أكد من خلالها بنبرة حاكم هذا العالم وشرطيه، الخطوط العريضة لإستراتيجية السياسية الدولية التي ستحكم العالم بعد الأحداث، ولعل أبرزها ما أطلق عليه بالحرب العالمية ضد الإرهاب، مشيرا أنها ستكون أفظع وأطول وأقسى من أي حرب دخلتها الولايات المتحدة من قبل، ومخدرا في ذات الوقت دول العالم قاطبة أن لا مجال للحياد في هذه الحرب، فإما أن تكونوا معنا أو تكونوا مع الإرهابيين،² وأشار أن حربنا تبدأ بالقاعدة ولكنها لن تنتهي عندها، في إشارة إلى أن خارطة العالم ستشهد تغيرا كبيرا جغرافيا وسياسيا ، وقد عبرت وثيقة "الإستراتيجية الوطنية لمحاربة الإرهاب" ووثيقة "الإستراتيجية الوطنية لمواجهة أسلحة الدمار الشامل" الصادرتان عام (2002) عن هذه العقيدة الإستراتيجية التي تتمحور حول المرتكزات الأساسية الآتية:

- ملاحقة التنظيمات الإرهابية (مفهوم المصلحة الأمريكية للإرهاب) بالوسائل العسكرية والمخابراتية والقانونية الملائمة أينما كانت وحيثما وجدت.
- السعي للقضاء على أسلحة الدمار الشامل وملاحقة الأنظمة التي تنتجها وإسقاطها عند الضرورة، والمقصود هنا (دول محور الشر العراق كوريا إيران سوريا ليبيا ومن دعمهم).

¹ ينظر ناظم عبد الواحد الجاسور : المرجعية الفكرية للخطاب السياسي والاستراتيجي الأمريكي ما بعد الحادي عشر من أيلول سبتمبر 2001 ، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2006، ص ص، 73-143.

² Musarrat Jabeen : « Either You Are with Us or Against Us » . **Journal Of South Asian Studies**, Vol 24, N° 2, July-December 2009, p175.

- نشر قيم الديمقراطية في المناطق المحرومة منها، باعتبار هذه القيم دعامة للأمن القومي الأمريكي وغيرها
مصدرا رئيسيا للإرهاب والتطرف .

- على الأمم جميعا لزاما " تحديد موقفها من حرب الولايات المتحدة " ، إما أن تكونوا معنا أو تكونوا مع
الإرهابيين " إما أن تقف مع الحضارة، أو مع الهمجية والشر.¹

وتعني هذه الإستراتيجية الميل نحو بناء مشروعية أخلاقية لإصلاح العالم " بالقوة " و القضاء على
الإرهاب، وإعادة بناء الدول الفاشلة وفرض النموذج الديمقراطي الليبرالي في العالم برمته، من خلال ما سمي
"الحرب العادلة الاستباقية "، التي تستند إلى ما يفترض وصفها بالأولويات القيمية و بالتالي شرعية " الحرب
الذاتية " War Self Legimiting " بغض النظر عن الهيئات الأمية وإملاءات الشرعية الدولية.

وقد أعلنها صراحة (جورج بوش G.W Bush) في رسالته للأمانة العامة لهيئة الأمم المتحدة بقوله "على
الأمم المتحدة أن تفعل ما نريد نحن، أو تكون في عداد غير المقبول بهم"²، ولخصها (جون بولتن J .Bolton)
بدقة عندما قال : " لا يوجد ما يسمى بالأمم المتحدة، يوجد مجتمع دولي بالإمكان قيادته بواسطة القوة
الحقيقية الوحيدة المتبقية في العالم، وهذه هي الولايات المتحدة الأمريكية عندما يتلاءم ذلك مع مصالحنا وعندما
نتمكن من كسب الآخرين للتقدم معنا".³

ومع هذه العقيدة العالمية الجديدة، لا نهاية للحرب على الإرهاب، فعندما يفشل التهويل، يتم اللجوء إلى
مجموعة متعاقبة من التدخلات المسلحة في بلد تلو بلد، من أفغانستان إلى شركاء العراق في محور الشر، إيران
وكوريا الشمالية، وإلى بكل بلد يشتبه بوجود علاقات غامضة لها مع الإرهابيين، من سوريا والصومال إلى
إندونيسيا والفيليبين، وهي تتوقع القضاء على الخصوم أنى وجدوا.

وتم وفق هذه الإستراتيجية إرغام دول العالم قاطبة من دون استثناء، تحديد موقفها وإعلان دعمها
الصريح "للحرب على الإرهاب"، وهو ما وقع في بداية الصدمة الأولى للأحداث مع غالب الحكومات

¹ Gondolezza Rice : « Campaign 2000: Promoting the National Interest » . **foreign affairs** ,
January/February 2000 [On -Ligne],
<http://www.foreignaffairs.com/articles/55630/condoleezza-ric/campaign-2000-promoting-the-national-interest>, 12/01/2013, 13:02 h.

² راهول مهاجان: مرجع سابق، ص 25.

³ المرجع نفسه، ص 25.

والشعوب ووسائل الإعلام في الغرب، التي أعلنت صراحة موقفها الداعم واللا مشروط للولايات المتحدة في حربها على الإرهاب- كتب رئيس تحرير جريدة " Le Monde " - افتتاحية بالبند العريض في اليوم الثاني بعد الأحداث " كلنا أمريكيون "¹ - موقف في حقيقة الأمر لم يدم طويلا، خاصة مع الشعوب في العالم الغربي والعلمين العربي والإسلامي وحتى بعض الأنظمة الرسمية في أوروبا، إذ سرعان ما تراجعت كثير من الدول الغربية، على رأسها فرنسا وألمانيا عن الدعم المطلق للولايات المتحدة، وتحفظنا بشدة عن الخوض في إستراتيجية أمريكية، مجهولة الأهداف، والأبعاد كما صرح بذلك الرئيس الفرنسي (جاك شيراك J.Chirak)²، خاصة بعدما اتضحت معالم إستراتيجية الإدارة المحافظة في الولايات المتحدة الأمريكية، التي سخرت كل الإمكانيات المادية والإعلامية، والدعائية لإقناع المجتمع الدولي بضرورة " الحرب العادلة " والتي تحولت بين عشية وضحاها إلى حجر الزاوية في الفكر الإستراتيجي الأمريكي وحتى الدولي ، بيد أن الإشكال الذي ظل عالقا، ولم يحظ بتحليل عميق هو حدود هذه الحرب، وأكثر من ذلك مفهوم "الإرهاب" نفسه ظل يكتنفه غموض كبير في الخطاب السياسي الاستراتيجي الدولي، بل لم يخضع لأي تحديد إشكالي ولا استكناه نظري دقيق، والأمر بلا شك مقصود طالما أن إستراتيجية ما بعد الحادي عشر من سبتمبر قائمة على ما وصفتها مستشارة الرئيس الأمريكي (رايس G. Rice) "صياغة العالم حسب صورتنا "³، ويمكن إجمالاً حصر إستراتيجية الإدارة الأمريكية بعد الأحداث في اتجاهين:

الأول : تشكيل تحالف دولي ضد الإرهاب وقيادته، استنادا إلى قاعدة مفادها "من ليس معنا فهو ضدنا".
الاتجاه الثاني : توفير غطاء من الشرعية الدولية لحملة ضد الإرهاب معروف بدايته ولا يمكن لأحد توقع نهايتها ولا حدودها.

¹ Jean marie Colombani : « Nous sommes tous Américains » . **Le Monde** , N° 17611 , 12 Septembre (2001).p2.

Jacques Chirac réaffirme à Washington l'offre de ² Patrick Gareau Et Raphae El Bacque : « coopération de la France » . **Le Monde**, N° 17619 , 20 September (2001).p1

³ Michael Hirsh : « Bush and the World » . **foreign affairs** , September/October 2002, [On-line], <http://www.foreignaffairs.com/articles/58244/michael-hirsh/bush-and-the-world>, Le 12/01/2003, 13:08 h.

وقد تمثل ذلك في قرار مجلس الأمن (رقم /1373/ الصادر في 28 سبتمبر 2001) . حيث تقدمت الولايات المتحدة بمشروع هذا القرار، وأقره المجلس بالإجماع في أربع وعشرين ساعة، وهذا أمر نادر الحدوث في مجلس الأمن. وصدر هذا القرار على أساس الفصل السابع من الميثاق، بما يعني أنه ملزم للدول الأعضاء في الأمم المتحدة، وأن لمجلس الأمن اتخاذ جميع التدابير التي يراها ضرورية لتطبيقه، مع الإجراءات القسرية ضد الدول التي لا تنفذه.¹

وقد حاولت الإدارة الأمريكية مرارا وتكرارا بهذه الإستراتيجية تجاهل كثيرا من الاختلافات والخصوصيات العامة لباقي دول العالم، وراحت تسوق بنفسها مضامين المقاومة والإرهاب، الديمقراطية والدكتاتورية، الخير والشر، الجزاء والعقاب.. رافضة رفضا قاطعا النظرة الموضوعية للأسباب التي قادت، وتقود إلى مراكمة جميع أنواع الكره ضدها وضد السياسات الغربية الامبريالية إجمالا، وان كانت ليست بمستوى واحد، و بالتالي فهي ليست متشابهة، ذلك أن العداء للأمركة مختلف من دولة لأخرى . غير أن هناك قاسما مشتركا بين جميع الدول حتى الدول الأوروبية منها إزاء القطبية الأحادية التي استغلته الولايات المتحدة . وتجاوزت بها كل المعايير المنطقية، والأخلاقية والشرعية والسلمية في معالجة " ظاهرة ثقافية - أمنية " لها أسبابها ودوافعها وغاياتها المعروفة دوليا، وتجاهلت أصوات الآخرين و قفزت فوق مشكلاتهم وهمومهم، خاصة دول الجنوب ... وراحت ترغم الجميع نحو التعامل مع النتائج، وتقبل حلها وفق الرؤية الأمريكية.

موقف جعل الأوروبيون- إذا ما استثنينا بريطانيا واسبانيا- والروس و الصينيون و العرب يتوجسون حذرا، بل ويؤكدون على تميز رؤيتهم، ومعارضتهم للسياسة القوة المطلقة والقرارات الانفرادية، داعون إلى ضرورة التمسك بالشرعية الدولية ومعالجة الأسباب بدل الخوض في تحليل التعامل مع النتائج² وفي هذا السياق يجدر بنا تفصيل مواقف هذه الدول من الإستراتيجية التي تبنتها الولايات المتحدة وتداعياتها وفق الآتي:

ت- **موقف بريطانيا** : كان رئيس الوزراء (طوني بليز T. Blair) أول شخصية أجنبية تتصل بالرئيس (جورج بوش G.W Bush) لتعرب عن تضامنها العميق ، ودعمها الكامل للإستراتيجية الأمريكية في الحرب

¹ للاطلاع على نص القرار 1373 ينظر :

[On- Ligne], <http://www.UN.org/Arabic/terrorism/index.html>. Le 17/02/2013. 12 : 44 h.

² Voir Charles Benjamin : **La Théorie de la guerre juste face au terrorisme et a la lutte antiterroriste** . Centre d études des politiques étrangères et de sécurité, université du Québec Montréal , Concordia université , December 2007 pp 21-25.

على الإرهاب، سياسيا وعسكريا واستخباراتيا وإعلاميا، وعندما صرح الرئيس الأمريكي بتورط " تنظيم القاعدة " في هجمات الحادي عشر من سبتمبر، كانت المخابرات البريطانية تعمل جنبا إلى جنب مع الولايات المتحدة لتقديم ما سمي بوثيقة " الإدانة الرسمية " (لأسامة بن لادن) وتنظيم القاعدة في أحداث الحادي عشر من سبتمبر، ولم تمض عشرة أشهر، في (25 جويليا 2002)، حتى وقف رئيس الوزراء البريطاني أمام مجلس العموم ليعرض في خطابه ما أسماه " ضرورة الحرب ومواجهة الإرهاب بعد ثبوت أدلة تورط (أسامة بن لادن) وتنظيم القاعدة عن الهجمات " التي استهدفت مركز التجارة العالمي ومبنى البنتاغون "،¹ وعدد جملة من التهم والأدلة التي اعتبرها مقنعة وقاطعة.

ورغم أن العرض لاقى معارضة حادة رسميا واجتماعيا في داخل بريطانيا وخارجها، إلا أن الموقف لم يتغير، ولم يتوقف عند هذا الحد، بل كانت بريطانيا زيادة على تحملها مسؤولية الدعاية الإعلامية والدبلوماسية للإستراتيجية الأمريكية لما بعد الحادي عشر من سبتمبر، تدعم وبقوة المقاربة الأمنية والعسكرية للولايات المتحدة، وتشاركها بكل استبسال المواقف المنافية للشرعية الدولية، ضاربة بذلك عرض الحائط كل الأصوات المعارضة من الداخل أو الخارج،² ولا أدل على ذلك المشاركة القوية في "غزو العراق" تحت غطاء ما سمي ائتلاف الراغبين - (98%) من القوات العسكرية هي قوات أمريكية وبريطانية- رغم إعلان الأمين العام للأمم المتحدة (كوفي عنان) أن الغزو كان منافيا لدستور الأمم المتحدة.³

ث- **موقف روسيا** : من ناحية الجغرافيا السياسية أعادت أحداث الحادي عشر من سبتمبر التنبيه إلى أهمية آسيا الوسطى وموقعها، الإستراتيجي باعتبارها تشكل قلب العالم، وقدمت روسيا نفسها كشريك للغرب في محاربه الإرهاب بدلا من كونها مهددا لهذا الغرب، لكن بالطريقة الروسية التي تختلف جوهريا عن الرؤية الأمريكية.

1st Ed , University Press. Info .¹ R. Josef : **America Betrayed (9-11,Aids, Anthrax, Iraq)** San Jose, California,2002, p297.

² Voire Adnan Bouachour : **La majorité des Britanniques veulent la sécession Blair à Bush dans la guerre contre le terrorisme.** Thèse pour obtenir le titre de docteur des Arts, Lettres et Langues Volume 1. Ecole doctorale (anglophonie : communauté et écriture) Université de Rennes 2. le 23/ 11 / 2012 . pp 194-196.

³ BBC News : **Iraq war illegal, says Annan.** [On-line] http://news.bbc.co.uk/go/pr/ft/-/2/hi/middle_east/3661134.stm , Le 16 /09/ 2004, 09:21:31 h.

ونشطت الدبلوماسية الروسية في تهيئة الأجواء لتسوية تحفظ لها المكاسب الدبلوماسية والسياسية والثقافية في العالم، خاصة التكامل والاندماج مع أوروبا من جهة، وبدأ مرحلة جديدة من العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية من جهة ثانية، إذ أن روسيا هي الأخرى لها حرب موازية لما تسميه " الإرهاب الشيشاني "، وبالتالي وجدت في ذلك متنفسا ونافذة للرجوع إلى واجهة السياسة الدولية، مستغلة امتعاض دول العالم العربي والإسلامي وبعض الأوروبيين من الهيمنة العسكرية الأمريكية على العالم، وبادرت إلى إعلان تحالفها الاستراتيجي مع الغرب ودعمها للحرب ضد الإرهاب، من خلال تقديم المعلومات الاستخباراتية والسماح لوجود الأميركي في دول رابطة الدول المستقلة، وتبنت ما سماه الرئيس (بوتين V. Putin) « الرفض المتزن « لسياسة القوة، والتنصل من قرارات الشرعية الدولية للولايات المتحدة الأمريكية¹.

وهو موقف مكن روسيا من استعادة بعض جوانب نفوذها السياسي والدبلوماسي في العالم، بالأخص مع أوروبا وبعض دول العالم العربي والإسلامي التي كثيرا ما راهنت على الموقف الروسي في قضاياها العادلة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001)، وتدعم هذا الموقف الخارجي للدبلوماسية الروسية بالموقف القوي الذي اتخذته العسكرون الروس الذين يرون في الوجود الأميركي في الخليج خطرا يهدد روسيا ويتزايد بفعل التحالف التركي -الصهيوني الذي أصبح يشكل رأس حربة موجهة نحو الحاصرة الجنوبية لروسيا في منطقة القوقاز.²

ج- موقف باقي المجموعة الأوروبية : كانت المجموعة الأوروبية تعمل جاهدة لكي يكون لها سياستها المستقلة عن السياسة الأمريكية وتحديدًا فيما يتعلق بسياسة هذا الإتحاد تجاه العديد من القضايا على رأسها القضية الفلسطينية وتجاه قضايا العالم العربي والإسلامي، وكانت الدول الأوروبية الغنية والكبيرة من قبيل فرنسا وألمانيا والسويد والدانمارك وإسبانيا وإيطاليا تنأى بنفسها عن السياسة الأمريكية الخارجية على وجه التحديد، أو تقف موقف الترقب والحذر توخيا للقريب القادم وتداعياته على طبيعة المصلحة الأوروبية، فيما بقيت بريطانيا وحدها في خط الشدوذ السياسي الأوروبي وأصررت على أن تكون مع واشنطن في كل

Michael Mc Faul¹ **Carnegie** « U.S.-Russia Relations After Septembre 11, (2001) » .

Endorment for International peace, [On-line] <http://carnegieendowment.org/>(2001)

/10/24/u.s. -russia-relations-after-september-11-(2001) / Le 12/01/ 2013, 09:21:31 h.

²Neal Kumar : « US-Russia Relations After September 11, (2001) » . **Vestnik**, issue2,

vol1,summer, 2005,pp 55-73.[On-line][http:// www .sras .org](http://www.sras.org), Le 12/01/ 2013, 09:21:31 h.

توجهاتها، ويرجع البعض ذلك إلى كون بريطانيا التي مازالت مسكونة بتاريخها الإمبراطوري بأنها تريد أن تلعب أدوارا كبيرة ولن يتأتى لها ذلك إلا من خلال أمريكا التي استفردت بصناعة القرارات الدولية.¹

وافتقدت المجموعة الأوروبية إلى التحرك الموحد تجاه أحداث الحادي عشر من سبتمبر، إذ اتسمت مواقف دولها بالفردية وبادرت كل دولة للاتصال بالولايات المتحدة من منطلق ظروفها الخاصة، كما أثمرت نزعة القوة العسكرية الأمريكية عن الضعف الأوروبي، وكشفت عن رغبة أوروبية قوية في الإقامة بعالم لا تشكل فيه القوة أهمية، حيث يكون القانون الدولي والمؤسسات الدولية هي المهيمنة وحيث يعد العمل الأحادي الجانب والمستخدم للقوة محظور، فيه تتساوى جميع الأمم من حيث الحقوق والحماية. بمقتضى التشريعات الدولية السائدة والمتفق عليها في التصرف بغض النظر عن القوة.²، كما تدرك جيدا أن الانسحاق وراء المشروع الأمريكي العالمي الجديد، من شأنه أن يجعل أوروبا تقفز على قوانينها الداخلية ومن شأن ذلك أن يؤدي إلى إرباكات داخلية في أكثر من واقع أوروبي خصوصا وأن المسلمين في معظم الدول الأوروبية هم أصحاب الديانة الثانية بعد المسيحية وأغلبهم يتمتعون بحق المواطنة، ويحق لهم التصويت والترشح للانتخابات التشريعية وغيرها .

وتتبعاً كلا من فرنسا وألمانيا الصدارة ما اعتبره، (ريتشارد بيل R. Bearl) الجبهة المضادة للولايات المتحدة، وقد وجه خطابه للإدارة الأمريكية قائلاً : علينا أن نجبر الحكومات الأوروبية على اختيار إما فرنسا أو واشنطن.³

وينطلق العديد من الساسة الأوروبيين في توجهاتهم هذه من قاعدة مفادها أوروبا لها شخصيتها الدولية التي يجب أن تتميزها لتحقيق مصالحها الآنية والإستراتيجية، وخاصة مع دول وحكومات العالم العربي والإسلامي التي لها معها علاقات وروابط ومشكلات تختلف في جوهرها وأبعادها عن مشكلات أمريكا مع العالم العربي والإسلامي، فالهجرة غير الشرعية، والأمن الداخلي لأوروبا، والقرب الجغرافي، والجياليات المسلمة، ... مشكلات تعرض الأمن القومي الأوروبي إلى الخطر، من ذلك تؤكد أوروبا دائما على مفهوم الشراكة -

¹ Hilde Eliassen Restad : **The War on Terror from Bush to Obama : On Power and Path Dependency** . Norwegian Institute of International Affairs , 2012 , pp 13-21.

² ألكس كالينيكوس : الإستراتيجية الكبرى للإمبراطورية الأمريكية . (نر) مركز الدراسات الاشتراكية، نشر مركز الدراسات الاشتراكية، القاهرة، ص112.

³ David &Frum Richard Perle : **An End to Evil: How to Win the War on Terror**. 1st Ed. Random House, .New York ,United states, Décembre 2003, p 249.

ولو دبلوماسيا- من خلال تعميق الحوار والإقرار بالتعددية والتنوع، بدل المقاربة الأمنية العسكرية للإدارة الأمريكية، وكل النقاشات التي كانت تدور بين السياسة الأوروبيين أثناء اجتماعات الإتحاد الأوروبي، كانت تنطرق إلى ضرورة تمييز السياسة الأوروبية عن الأمريكية، ويلخص (زيغنيوا برجنسكي Z. Brzezinski) الخلاف بين الرؤيتين بقوله "فرنسا تطمح إلى عالم يكون فيه صوتها مسموعا من خلال مكبر أوروبي، والولايات المتحدة تعتقد أن على أوروبا أن تتقاسم معها أعباء فرض الاستقرار في العالم، لكن الأوروبيين يعتقدون من جهتهم، أن على الأمريكيين مشاركتهم في اتخاذ القرار، وبذلك يمكن تقاسم الأعباء والقرارات الناتجة عن تطبيقها".¹

وإذا لخصنا الخارطة الرسمية الأوروبية نجد أنها تنقسم إلى ثلاث أقسام فهناك أقلية أوروبية ترى ضرورة الوقوف إلى جانب واشنطن على رأسها بريطانيا، ودول أوروبية ترفض التوجهات الأمريكية مثل فرنسا والسويد وألمانيا والدانمرك والنرويج وبلجيكا وغيرها، وإن شاركتها في مقاربتها الأمنية والعسكرية أحيانا، ودول أوروبية صامتة وهي تلك التي خرجت من رحم الجمهورية السوفيتية سابقا وانضمت إلى الإتحاد الأوروبي وتعتبر أن الأولوية في تأهيل نفسها سياسيا واقتصاديا والصمت خير وسيلة لعدم جلب السخط على واشنطن التي تكفلت بمساعدة هذه الدول الخارجة من الإتحاد السوفيتي .

د- موقف الصين : الحديث عن الموقف الصيني ينبغي وضعه في سياقاته المرحلية، فالصين إلى تاريخ (2001) تشكل قوة كبيرة، ومنافسا اقتصاديا شرسا، وخطرا إستراتيجيا يزحف نحو الولايات المتحدة، لدى يعتقد بعض المحللين أن أزمت حروب الولايات المتحدة في الخليج العربي وأفغانستان والقرن الإفريقي وباقي مناطق النفوذ العالمي غرضها أساسا حصار المد الصيني، خاصة أنه يستورد ثلث إحتياجاته النفطية (55) مليون برميل يوميا، أي (7%) من الطلب العالمي، بل إن البطالة في المجتمع الأمريكي من أسبابها وصول المد الصيني بثقله إلى داخل الولايات المتحدة،² لهذا وجهت واشنطن انتقادات شديدة في - إستراتيجية الأمن القومي الأمريكي - التي صدرت في سبتمبر (2002)، حيث بدا واضحا تصميم الولايات المتحدة على مقاومة كل خصومها

¹ Patrick Jarreau : « Zbigniew Brzezinski passe au crible la diplomatie de Jacques Chirac » . **Le Monde** , N° 17710, 13 Juillet 2004,p14.

² ينظر حمدي عبد الرحمن : عسكرة العولمة و مخاطر التنافس الدولي في السودان (العالم الإسلامي تحديات الواقع واستراتيجيات المستقبل). ط1، مجلة البيان، الرياض، المملكة العربية السعودية 1427 هـ/2006، ص ص 245-247.

ومنافسيها كي تبقى وحدها القوة العظمى الوحيدة في العالم،¹ وعليه تفاوت الموقف الصيني من الإستراتيجية الأمريكية في حربها على الإرهاب، بين موقفين : موقف مؤيد للحملة الأمريكية، للدفاع عن موقفها في مواجهة التوترات السياسية والحركات الانفصالية في إقليم " سنكيانج " - إقليم ذو أغلبية مسلمة محاذي لباكستان - التي تتهمها بالحصول على أموال من (أسامة بن لادن)، والاستفادة من تدريبات أشرف عليها من تنظيم القاعدة،² وبين الموقف الداعم إلى محور " باريس برلين موسكو " - إن صحت التسمية - في معارضتهم القوية للإستراتيجية الأمريكية في حربها العالمية ضد الإرهاب، وتحفظ الصين مفاده أن هذه الإستراتيجية، بمقاربتها الأمنية والعسكرية، في حقيقتها مد لخيوط التوسع الأمريكي في العالم، وخاصة في منطقة آسيا أو ما يفضل تسميته " أراسيا " التي ترفض الصين رفضاً قاطعاً أي تواجد أمريكي فيها، خاصة وأن حدودها البرية تمتد إلى أفغانستان، نقطة البداية في الحرب الأمريكية على الإرهاب، وعلاقتها التقليدية الاقتصادية القوية مع النظام العراقي، من خلال الشركات النفطية النقطة التالية للحرب على الإرهاب،³ كما أن تطمح لبناء علاقات إستراتيجية قوية مع دول شمال إفريقيا، والقرن الإفريقي، وهي كلها مواقع بالغة الأهمية للصين، لكنها تقع في محور الإستراتيجية الأمريكية للحرب على الإرهاب، مما يحول دون تحقيق مصالح الصين، ويقطع الطريق أمام شركاتها النفطية والتجارية.⁴

هـ- **العالم العربي والإسلامي** : من الصعب اعتبار العالمين العربي والإسلامي كتلة متجانسة في تصوراتها ورؤاها ومواقفها وسياساتها الخارجية، ومع ذلك يمكن القول أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر والعالم العربي-الإسلامي تشكل مرآة تنعكس من خلالها تفاعلات الأزمة، بل وساحة ومسرحاً تتجسد من خلاله غالب التداخيات الأمنية والسياسية والعسكرية والثقافية الدولية، وذلك لمحوريتة الجيوستراتيجية والاقتصادية والثقافية

¹ المرجع نفسه. ص 246.

² ينظر زينب عبد العظيم : الإستراتيجية الأمريكية بعد 11 سبتمبر . مركز الحضارة للدراسات السياسية، القاهرة، (د ت)، ص 830.

³ ينظر إدريس لكريني : التداخيات الدولية الكبرى لأحداث 11 سبتمبر (من غزو أفغانستان إلى غزو العراق). ط1، المطبعة والوراقة الوطنية، الدويديات، مراكش، المملكة المغربية، 2005، ص 64.

⁴ Giovanna Borradori : Philosophy In Time Of Terror (Dialogues with Jurgen Habermas and Jacques Derrida). Trade paperback, . Chicago: The University of Chicago Press, 2003.pp 94-120.

التي تحرك القوى الفاعلة في العالم، من هذا ظللت بظلالها فرضية "الحرب ضد الإرهاب" على جل مستويات وقطاعات وامتدادات العالم العربي والإسلامي حتى، وأدت بدورها إلى تداعيات حادة على مستوى الأنظمة والحكومات والشعوب، أمنيا وثقافيا وسياسيا واقتصاديا في المنطقة، يلخصها الأمير خالد بن سلطان، في رآئته الموسومة " موسوعة مقاتل من الصحراء" في النقاط الأبرز الآتية ¹ :

1- احتلال العراق وأفغانستان من خلال حربين شنتهما الولايات المتحدة الأمريكية، وبرغم الاحتلال بقوات عسكرية كبيرة، إلا أن الاستقرار وتحقيق أهداف الحرب على كل منهما، لم يتحقق حتى الآن، وتشعر الإدارة الأمريكية أنها تورطت في هذين الحربين، بما ينعكس آثاره في إجراءاتها الحالية ضد الشعب العراقي نفسه، كما حدث في " الفلوجة " نوفمبر (2004) وسامراء والموصل، خلال الفترة نفسها.

2- الوجود العسكري الكثيف في منطقة الخليج العربي، وشمال إفريقيا دون تحديد زمن لإنهائه، وقد حاول هذا الوجود اكتساب شرعيته عبر اتفاقات أمنية بين كل دولة من دول المنطقة منفردة مع الولايات المتحدة الأمريكية أو مع بريطانيا أو فرنسا، أو حتى مع روسيا والصين، ومن خلال هذا الوجود، قامت الولايات المتحدة الأمريكية بتمزيق وحدة القرار السياسي العربي، على مستوى الجامعة العربية ، أو دول المغرب العربي، أو مجلس التعاون الخليجي، وأبرز مثال استقطاب دولة قطر.

3- التأثير النفسي الحاد على شعوب المنطقة، نتيجة توجيه اتهامات باطلة لعقيدة الإسلام السمحة التي تدين بها شعوب المنطقة، وربط الدين بالإرهاب، وهو أمر غير مقبول.

4- المؤثرات الاقتصادية التي أصابت الدول العربية ودول الشرق الأوسط نتيجة تداعيات الحرب، والتي أثرت بدورها على المجتمعات العربية.

5- توجه الغرب نحو فرض مبادرات مختلفة لاحتواء العالم العربي، والإسلامي على غرار مبادرة " الشرق الأوسط الأوسع"، وتكليف حلف شمال الأطلسي بالمساهمة في تفعيل وتنفيذ هذه المبادرات، في نطاق مهمته الجديدة على المستوى العالمي.

6- تزايد إخفاقات السياسة الأمريكية -القائمة على ازدواجية المعايير- تجاه المنطقة، وبالأخص في فلسطين والعراق وإيران، بما أدى إلى تعميق فجوة عدم الثقة ما بين الشعوب العربية، ونظمها السياسية والولايات المتحدة من جهة أخرى.

¹ ينظر خالد بن سلطان بن عبد العزيز : مقاتل من الصحراء (حقائق وذكريات ودراسة مستقبلية). الإصدار الحادي عشر، 2010. [On-line] <http://www.moqatel.com/openshare/indexf.html>, Le 12 /01/ 2013, 09:21:31 h.

ولكن المشكلة الأكثر إثارة في المنطقة العربية ذلك التوافق بين الهجوم الأميركي على الإرهاب، وحرب (شارون Sharon) على الانتفاضة، ثم حربه على لبنان، وانشغال الدول العربية بتأكيد خيارها الإستراتيجي نحو السلام ومحاربة الإرهاب، مع الإصرار على تأييد الانتفاضة كحق شرعي ورفض ربطها بالإرهاب، لكن السياسة الصهيونية حاولت الربط بين الانتفاضة والحرب على الإرهاب، وحاول (شارون Sharon) تقديم مجازره ضد الشعب الفلسطيني والانتفاضة، على اعتبار محاربة " الإرهاب الفلسطيني " من جهة، ووفقت إلى حد بعيد في ذلك ولا أدل عليه، ما وصلت إليه تداعيات المرحلة من تصنيف حركات المقاومة الإسلامية في دولة فلسطين المحتلة من ضمن أخطر الجماعات الإرهابية في العالم،¹ وبدا التصنيف أمريكيا ثم أوروبا ثم أميا وانتهى عربيا من بعض الأنظمة العربية،² من هذا الوجه يؤدي الكيان الصهيوني دور الوكيل على السياسة الأميركية في محاربة الإرهاب في الشرق الأوسط، وهناك تيارات واضحة في أميركا لتأييد هذه السياسة.

3-4 المقاربة الثقافية في الحرب على الإرهاب.

أشار (ريتشارد بيرل R.Perle) في كتابه " نهاية الشر " عن توجه استراتيجي مهم، هيمن على مراكز صنع الرأي والقرار في الولايات المتحدة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، يتلخص في ثلاث أفكار أساسية :

أولاهم : أن مصدر العنف والإرهاب ليس اقتصاديا أو سياسيا بل هو في أعماقه ثقافي وفكري، ولذا فإن الحرب على الإرهاب يجب أن تكون حرب أفكار لتمير القيم الليبرالية التحديثية إلى النسق الإسلامي من خلال تشجيع عملية إصلاح عميقة لهذا الدين على غرار التجربة المسيحية.

ثانيهم : أن مصدر العداء للولايات المتحدة راجع لأسباب داخلية ذات صلة بتركيبة الحقل السياسي في الدول العربية-الإسلامية التي تهيمن عليها حكومات استبدادية، تتهم أميركا بدعمها ضد شعوبها.³

¹ Audrey Kurth Cronin and Others : **Foreign Terrorist Organizations** .CRS Report for Congress, Congressional Research Service, The Library of Congress , February , 2004, p2.

² عبد الباري عطوان : « أنظمة العرب وفوز حماس » . القدس العربي، السنة الثامنة عشرة، العدد 4620، الموافق لـ السبت/الأحد 31 كانون الثاني (جانفي) 2006، ص 1.

³ David Fum & Richared Perle : Op cite, pp 122-135.

ثالثهم : أن العداة والكراهية ليسا منتجا مباشرا للإستراتيجية الأمريكية فقط ، بقدر ما هما منتجا مباشرا كذلك لما لحق ببنية الولايات المتحدة ذاتها من تغير ، فهي علامة على فقدان الولايات المتحدة لقدرتها على تحريك الأشياء ، بعد أن فقدت الجاذبية كأتمودج ، وفقدت الفاعلية كقوة.¹

من هذه المنطلقات شكلت " المقاربة الثقافية في الحرب على الإرهاب" - منعظفا أساسيا وتحولا جذريا لنوعية الخطاب والممارسة في السياسة الدولية الخارجية عموما، الأمريكية منها على وجه الخصوص، فبعد سنوات من الملاحظة، واستجابة للتحديات الإستراتيجية والتهديدات الأمنية في شكلها الجديد وغير المؤلف، أقرت الإدارة الأمريكية الاستخدام الوقائي للقوة ضد الإخطار المحتملة وغير المؤكدة، وفرضت على العالم منطقها، ووصفت أي معارضة كانت، معاداة للحضارة الإنسانية، مستعينة في ذلك بخطاب أخلاقي تلمي بواسطة على شعوب العالم تعريفها الخاص لمفهومي "الشر" و"الخير"، وتصدر من خلاله أحكامها الأخلاقية الجديدة، على غرار "الحرب الصليبية" التي تملئها "الضرورة الأخلاقية" و"القداسة الدينية" للرد على عنف وكراهية قوى الشر مثل: (بن لادن وصادم حسين)، وذلك بخلاف الفكر الإستراتيجي الأمريكي الذي كان سائدا قبل الأحداث، والذي كان يحاول تبرير الحروب على أساس مبادئ الحرية والديمقراطية والمصالح التي تمثل أساس الحضارة الغربية.

ويقدم الخبير الدبلوماسي الأمريكي (جوزيف ناي J.Nye) رؤيته ونصائحه لما ينبغي أن تنتهجه الإستراتيجية الأمريكية في المرحلة المقبلة في حربها ضد الإرهاب، مفضلا إستراتيجية "Soft Power" أو الحرب بالقوة الناعمة كما يجذب تسميتها، مشيرا إلى أن الحرب ضد الإرهاب لن يكتمل فيها النصر لأمريكا ما لم ينتصر المعتدلون من المسلمين في العالم الإسلامي على المتطرفين، فالقضية هنا ليست ما تعتقده الولايات المتحدة بشأن حربها ضد الإرهاب فقط، وإنما ما يجب أن يعتقده الآخر عن المتطرفين في بلده، وكأنه بذلك يوحى إلى حرب بالوكالة، تسيرها الإستراتيجية الأمريكية ويجسدها المسلمون المعتدلون داخل بلادهم ضد التطرف في منظوره.² ويضيف مؤكدا، لن تنجح قوة أميركا الناعمة أبدا في اجتذاب (أسامة بن لادن) والمتطرفين من أنصاره. لكنها ستلعب الدور الحاسم في اجتذاب المعتدلين، ومن بين النصائح التي يقدمها

¹ فهمي هويدي : « جذور العداة الغربي للإسلام » . مجلة المقومة، العدد التاسع، 30 ديسمبر 2012.

[On- line] <http://yafacenter.com/PublicationsListing> , Le 25.07.2013 . 05 : 52 h.

² Voire Joseph S.Nye, Jr : **The Soft power (the means to success in world politics)** . BBS public affairs. New York . United States , 2004, p 23.

الدبلوماسية الخبير، ضرورة بناء تحالف موسع ضد الإسلاميين من الدول والجماعات والأفراد، وتوظيف الحرب غير المتوازية، وإيجاد نقاط الضعف التي يمكن استغلالها، والتنافس على عقول النشء الإسلامي. والاستثمار في التعليم، وخصوصا في تعليم اللغة الإنجليزية .¹ فالإستراتيجية المستقبلية في الحرب على الإرهاب يجب أن توجه نحو الجماهير المسلمة وليس نحو الحكومات، لأن هذه الأخيرة على خلاف دائم مع شعوبها، وهو ما يجب أن تستثمر فيه الولايات المتحدة وحلفائها في المرحلة القادمة.²

وفي ذات السياق كان ثمة خطابا عقائديا مقابلا، له فهمه ومنطقه الخاص، قدم بدوره ثنائياته الحديدية لمفهوم: " الخير والشر"، "الأنا والآخر"، "الجهاد المقدس"، "دار الإسلام ودار الكفر"، "المسلم والطاغوت" ... خطاب أنعش المخيلة الغربية المشبعة بقويبا " التهديد الإسلامي"، فأعدت التركيز " الدين " (الإسلام تحديدا) إلى جوهر الصراع، وجعلته السمة الأبرز للمشهد السياسي-الثقافي الدولي إلى حد كبير، كلما تطرق الحديث إلى تحليل الحدث ورمزيته في الرؤية الغربية، وتحديدا الأمريكية، فبدء الحديث عن " ضرورة "تأهيل" المسلمين ثقافيا ليكونوا ديمقراطيين، واعتماد إستراتيجية محاصرة الفكر الديني، وإغلاق كل المنافذ في وجهه، سواء كان ذلك من خلال التدخل في المناهج التعليمية أو البرامج التثقيفية، ومن خلال النشر والإعلام أو النشاط التطوعي... بما يحيل المسألة في مجملها إلى ما عبر به الرئيس الأمريكي مرارا وتكرارا في تصريحاته (جورج بوش الابن G.W Bush) الحرب "على الإرهاب"³، لكن هذه المرة من منظور ثقافي محض، يتسنى من خلاله تخفيف منابع تفريخ الإرهاب في العالم.

وبدت الإدارة الأمريكية، التي تقود الحملة الدولية على الإرهاب، تعي أن ضمان مصالح الولايات المتحدة في المنطقة مرهون بتشجيع إصلاحات ديمقراطية حقيقية "بالمفهوم الأمريكي" في العالم العربي-الإسلامي، وتحول "الإصلاح" الثقافي والسياسي إلى حجر الزاوية في العلاقات الأمريكية مع بلدان "الشرق الأوسط الكبير" و"الجديد".

¹ Ibid. p p 25-28.

² معتز سلامة : « الإصلاح السياسي .. السياسة الأمريكية و الاستجابات العربية " . مجلة الأهرام للدراسات الإستراتيجية، العدد 129، السنة الخامسة عشر، مركز الدراسات السياسة والإستراتيجية، سبتمبر 2005، ص 13.

³Sans signature : « Les Etats-Unis réponse de gouvernement aux attaques du 11 septembre 2001 » . [On-line]

[http://www.worldlingo.com/ma/enwiki/fr/U.S._government_response_to_the_September_1_1,__\(2001\)_attacks](http://www.worldlingo.com/ma/enwiki/fr/U.S._government_response_to_the_September_1_1,__(2001)_attacks), Le 12 /01/ 2013, 09:21:31 h.

وفي هذا السياق جاء ما سمي "أمريكا" بمشروع الشرق الأوسط الجديد والكبير، -الذي تمتد معالمه الجغرافية من الصحراء الغربية إلى مقاطعة البيلينيس بباكستان، باستثناء ما اصطلح على تسميتها بدول محور الشر، وإسرائيل التي تشكل النموذج الديمقراطي في المنطقة...- ثم الموسع كحقل اختبار للمشروع الأمريكي الجديد، والعالم العربي في داخله هو قاعدة الانطلاق¹، وتمحورت المناقشات حول هذه السياسة في بعدين :

1-السؤال العملي القصير الأجل نسبيا عن إقامة عمارة أمنية للمنطقة قابلة للبقاء، هذه العمارة أساسها العراق الجديد، وفي هذا تصور (كينيث بولاك K. Pollack) الحل "م.ت.خ+1" (مجلس التعاون الخليجي زائد واحد) وفيه عراق متأمر متحالف مع بلدان مجلس التعاون الخليجي، مع توجيه أمريكي مباشر أو غير مباشر...ثم طور هذا التصور إلى الصيغة المعدلة "م.ت.خ+2" (مجلس التعاون الخليجي زائد اثنين) الولايات المتحدة، ومجلس التعاون الخليجي والعراق وإيران.²

إن النقطة الصعبة في مثل هذه التصورات هي تجاوزها لكثير من التفاصيل والجزئيات المتعلقة بخصائص الشعوب في المنطقة، فضلا عن صراع البلدان الصاعدة في المنطقة التي لها عمارتها الأمنية الخاصة بها، مستقلة عن الهيمنة الغربية.

2-السؤال العملي بعيد الأمل وهو إعادة تشكيل السياسات والاقتصاديات والثقافة الداخلية في المنطقة، عن طريق إصلاحات ليبرالية لنزح مستنقع العناصر الإسلامية المتطرفة والإرهابية المعادية لأمريكا. وهكذا نجد أن المشروع تقوم فلسفته على اعتبار المنطقة العربية منطقة تزكم الأنوف في تطورها، حبلى بالأزمات تولد الإرهاب وتصدره، وبالتالي تشكل خطرا على أمن وازدهار المجتمع الدولي ومجموعة الثمانية بشكل خاص. وقد اعتد المشروع على تقرير التنمية البشرية العربية الصادرين في (2002/2003) الذين حددا النواقص الثلاثة التي تكابدها البلدان العربية واعتبار هذه النواقص مسؤولة عن تفريخ التطرف: "الحرية، المعرفة، تمكين المرأة" وما على البلدان العربية إلا أحد خيارين إما الاستمرار في إنتاج الكوارث والمخاطر وإما انتهاج سبيل الإصلاح.³

¹ محمد صادق الهاشمي : الاحتلال الأمريكي ومشروع الشرق الأوسط (تداعياته ونتائجه). ط1، مركز العراق للدراسات ، بغداد 2005.

² ينظر أحمد يوسف أحمد وآخرون : احتلال العراق وتداعياته عربيا واقليميا ودوليا.(بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية)، ط1، الحمراء، بيروت ، لبنان، أوت 2004، ص ص 72-73.

³ ينظر عبد القادر رزق المحامدي : الشرق الأوسط الجديد بين "الفوضى الخلاقة" و"توازن الرعب". ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص 23.

وعملها اتجهت الإدارة الأمريكية في تطبيق سياساتها الثقافية والإعلامية للتصدي لما أسمته بالإرهاب، نحو دعوة الحكومات العربية، بل وإلزامها بالإصلاحات التي تريدها واشنطن لمنع ظهور التيارات الدينية والحركات الأصولية، التي تقف موقف النقيض من ثقافة العولمة وتعمل على التصدي لفكر الغرب وحضارته، والمقاربة الثقافية الأمريكية للإصلاح، في نسختها الرسمية التي قدمت لمجموعة الثمان قائمة على بنود خمسة أساسية وهي:

- الإصلاح المؤسسي باعتماد الحكم الرشيد.
 - توطيد الانفتاح السياسي بإطلاق الحريات الديمقراطية.
 - دعم الإصلاحات الليبرالية التي تؤهل الاقتصاد الشرق أوسطي للاندماج في منظومة العولمة.
 - تمكين المرأة وإشراكها في مراكز القرار والسلطة.
 - بناء وتوطيد مجتمع المعرفة والمعلومات بالاستثمار في التعليم والتقنيات الجديدة.
- وتم التركيز في هذا السياق على بعض المناطق الأكثر حساسية، في المنظور الأمريكي على رأسها دول الخليج العربي، وبالتحديد المملكة العربية السعودية، التي ينحدر غالب المنفذين (خمسة عشرة من تسعة عشر مشارك) لتفجيرات سبتمبر، (أسامة بن لادن)، يقول (وليام كريستول W. Kristol) - رئيس مشروع "القرن الأمريكي الجديد" وأحد أكبر رموز التيار المحافظ الجديد - "إن العقيدة الوهابية، المتبعة في السعودية هي المصدر الأول للراديكالية الإسلامية ولنزعة العداء لأمريكا، وعليه من الواجب فرض إصلاحات جذرية داخلية لتغيير النموذج السعودي وتحديثه بالتخلي عن الراديكالية الوهابية، واعتماد المسلك الديمقراطي التعددي، الذي يتعين تعميمه عربيا وإسلاميا، فالمهم هو بلورة مقاربة جديدة للشرق الأوسط، وعلينا أن ندرك الثمن الباهظ للاحتفاظ بالأنظمة الدكتاتورية في الخليج".¹

واثر هذا التوجه في الخطاب الإصلاحي الجديد تحركت عجلة الإصلاح - بالمفهوم الأمريكي - وإجراءات التحديث في العالم العربي، سعيا إلى إرضاء الخارج رغم انه كان مطلبا داخليا منذ سنوات داخليا، وتهافت الأنظمة العربية تفصح عن خطوات الإصلاح الديمقراطي والسياسي والتعليمي والديني الجديد، مع أنها في واقع

¹ Michel Nesterenko : **Project For A New American Century La Stratégie Des Néoconservateurs Deriere La Guerre Contre La Terreur** . Rapport de recherche n° 2 , Centre Français de Recherche sur le Renseignement , Paris – France, Octobre 2005, p 9.

الأمر لم تأت بجديد كونها ركزت على ما يرضي الآخر أكثر مما يخدم الداخل بخصوصيته القيمة والعقيدية والحضارية .

من جهتها باشرت الولايات تحقيق أنموذجها الإصلاحية الذي سيعمل على تحديث مجتمعات الشرق الأوسط من خلال تفعيل البعد الثاني للدبلوماسية الشعبية، ألا وهو : الاتصال الاستراتيجي " Stratégique Communication"، وهو البعد الذي يحاول تحقيق نوع من الاتساق بين الرسائل المختلفة التي تبثها جهات مختلفة تحت مسمى الدبلوماسية العامة، لعلها في ذلك تكون أشبه بحملات الدعاية الإعلانية أو السياسية،¹ ومن أمثلة تلك الوسائل المستخدمة التي تحقق هذا البعد العام، وسائل الإعلام المرئية والمسموعة بل والمقروءة، فالولايات المتحدة قامت بإطلاق " إذاعة سواء Radio Sawa " في (2002) لتقدم أخبار وتطورات الشرق الأوسط وبقية أحداث العالم وفق الرؤية والإستراتيجية الأمريكية، وهي إذاعة بتمويل أمريكي محض، وبعد سنتين تقريبا أنشأت الولايات المتحدة "قناة الحرة" التلفزيونية في فبراير(2004)، ووصلت الاعتمادات المالية لهاتين المؤسستين سنة (2006)، إلى (89) مليون دولار أمريكي، وارتفع عدد مشاهديها إلى قرابة (3,5%) من الجمهور العربي، كما أصدرت في نفس الفترة مجلة " هاي hi " التي تنشر في الشرق الوسط وتعبر عن طبيعة الثقافة الأمريكية.²

ولم تكن الولايات المتحدة وحدها صاحبة أنموذجها الاصطلاح، بل كان الفضاء مفتوحا للتنافس ، طالما أن الأمر يتعلق بالوجه الجديد الذي يجب أن يظهر عليه العالمين العربي والإسلامي بعد التداخيات الدولية للحرب على الإرهاب، ، لذا يمكننا تلمس عدة مقاربات إصلاحية، تمتاز بحسب مرجعياتها ومصادرها، أبرزها أربع :

2- أوروبا : سعت أوروبا في ظل هذه المقاربة الجديدة، إلى تلمس مصالحها ورؤيتها الخاصة في علاقتها مع العالمين العربي والإسلامي الذي تربطها به وشائج تاريخية وثقافية واقتصادية وجغرافية... عريقة تتجاوز حدود الرؤية الأمريكية، وفي أكتوبر(2003) انعقدت قمة براغ تحت عنوان "الأطلسي والشرق الوسط الكبير"

¹ أحمد السمان، : « مل تمكنت الدبلوماسية العامة من إصلاح الصورة الأمريكية ؟ »، الإصلاح السياسي .. السياسة الأمريكية والاستجابات العربية . « الأهرام للدراسات الإستراتيجية، العدد 129، السنة الحادية عشرة، مركز الدراسات السياسة والإستراتيجية، سبتمبر 2005، ص 100.

² Jeremy M. Sharp: « Middle East Policy Analyst Foreign Affairs, Defense, and Trade Division » . CRS Report for Congress, Congressional Research Service , The Library of Congress, February 2005, p. 5.

سعت من خلالها واشتظن إشراك حلفائها في حربها ضد الإرهاب لكنها جوهت باعتراض شديد من قبل ألمانيا وفرنسا وبلجيكا، قبل أن تنظم أليهم اسبانيا بعد استلام (ثابا تيروا T.Teroa) لرئاسة الوزراء في أفريل (2004)، ونشرت باريس وبرلين مشروعاً للإصلاح سمته "شراكة إستراتيجية لمستقبل مشرق مع الشرق الأوسط"، هذه الورقة الفرنسية الألمانية كما سميت تلخص الموقف الأوروبي تجاه مشاريع "الإصلاح" الأمريكي في الدول العربية والإسلامية، فلا يمكن القيام بتدخل "بتدخل ديمقراطي" عسكري في اتجاه واحد، لئلا تتحول الساحة الدولية إلى غابة، يملئ فيها القوي شروطه على الضعيف، ثم إن الديمقراطية لا يمكن فرضها فرضاً من الخارج، والأتمودج العراقي فشل فشلاً ذريعاً، ولا يمكن التعويل عليه لبناء الشرق الأوسط الجديد بالرؤية الأمريكية، وإذا كان الإصلاح ضرورياً فلا يمكن أن يتم إلا بشراكة وتشاور حقيقيين مع دول المنطقة ومجتمعاتها، يقول الرئيس (حاك شيراك) معقبا على ندوة الإصلاح في العالم العربي المنعقدة بتونس " إن فرنسا لا تفرض شيئاً على العرب بل عليهم هم أن يتقدموا باقتراحات"، ويلوم الأوروبيون الأمريكيون على أنهم يضعون مشروعاً طموحاً مكلفاً من دون تقديم مساهمة مالية جدية، بل يتركون لأوروبا دور الممول كما في غزة¹.

2. عربياً توزعت المقاربة العربية في بعدين بارزين :

- **بعد رسمي** : عبرت عنه وثيقة الإصلاح الصادرة عن قمة تونس (ماي 2004)، إذ أكدت على ضرورة " تصميم سعي الدول العربية للإصلاح والتحديث ومواكبة المتغيرات الدولية، وتبني الممارسات الديمقراطية و توسيع المشاركة في الحياة السياسية والعامّة من خلال تعزيز دور مؤسسات المجتمع المدني وطرح رؤى لمجتمع الغد، وتوسيع مشاركة المرأة في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية من خلال تعزيز حقوقهن ومكانتهن في المجتمع وبالسعي لتعزيز الأسرة وحماية الشباب العربي"²، وقد تبنت هذه القمة أهدافاً ومبادئ عديدة مرجعية تؤطر لمشروع الإصلاح، من دون تحديد لآليات وسبل تنفيذه مع ترك هامش واسع للدول في ضبط سقف ووتيرة الإصلاح في ساحاتها الداخلية، مع تأجيل حسم ملف إصلاح النظام الإقليمي العربي إلى القمم القادمة.

¹ ينظر غسان العربي : « الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي ومشروع الشرق الأوسط الكبير » . جمال الشلي وخالد شقران : العلاقات العربية الأوروبية بعد 11 أيلول الواقع والآفاق . ط1، دار ورد للنشر والتوزيع، الأردن، 2010، ص 180.

² ينظر أرشيف قرارات القمة العربية : قرار قمة تونس 2004 . [On-line]

- بعد شعبي : عبرت عنه عدة مبادرات رعتها منظمات المجتمع المدني العربية، وعكسته الوثائق الصادرة عن ندوات متميزة انعقدت في صنعاء والإسكندرية والدوحة وبيروت. ولا تخرج في الإجمال عن مطالب التنظيمات السياسية العربية وشبكات المجتمع الأهلي في الإصلاح السياسي والمؤسسي الشامل.

3. مقارنة نخبوية إن جاز تسميتها، وهي قديمة في الطرح وصورتها في الإصلاح لم يكن صادر من ضغط الخارج، بقدر ما كان يستمد قراءته من حاجات الداخل وتناقضاته، تمتد أصولها في الفكرية في عمق التاريخ الفكري والسياسي العربي والإسلامي، تسعى بخطابها نحو تأطير مشروع إصلاح يراعي البعد السياسي وبصفة أخص البعد الإصلاح الديني والاجتماعي والثقافي. فالجتمعات العربية بحاجة إلى كرامة وحرية عدالة اجتماعية¹، وإصلاحات تستبطن واقعها وخصوصياتها أكثر من الإصلاحات السياسية الوهمية. وقد تجسدت مشاريع هذه المقاربة في ديناميكية فكرية واسعة، ومتعددة المشارب والمرجعيات وإن كانت غير منسقة، عبرت عنها شخصيات وكتابات عديدة صدرت في السنوات الماضية، وبالأخص بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، تتمحور في عمومها حول المعوقات الفكرية والثقافية للإصلاح، وسبل تحديد وإصلاح الدين، سواء من داخل أرضيته ومرجعياته الواسعة أو من خارجها.

4- أمريكيا : وهي التي صدرنا بها الكلام في مطلع هذا البحث، لكن ما ينبغي الإشارة إليه أن الإدارة الأمريكية قدمت عدة مبادرات لإصلاح المنطقة الشرق أوسطية تمحورت حول الإصلاح السياسي، إلا أن الدوائر الفكرية والإستراتيجية لم تحسم خيارها الإجمالي، وبقي الإشكال العصي في الطرح هو: ما هي الصيغة المثلى لدفع التحول الديمقراطي المنشود؟ هل يكون بتشجيع قلب أنظمة الحكم القائمة، وإن كانت حليفة مادامت فاسدة وعاجزة، حتى ولو كان الثمن هو الفوضى الشاملة (التي دعتها وزيرة الخارجية بالفوضى الخلاقة)، أو تشجيع التحول المتدرج الواقعي عن طريق الضغط السياسي والاقتصادي لبناء واجهات سياسية مقبولة داخليا ودوليا تكون خطة نوعية في اتجاه مسلك الديمقراطية الحقيقية، ومن الجلي أن مصاعب المخاض العراقي قد حالت دون حسم أي من الخيارين، وهكذا تتأرجح الإدارة الأمريكية بين الخطاب الثوري الحماسي المناادي بنشر الديمقراطية وحقوق الإنسان ولو بالقوة وبين خطاب واقعي خافت يكتفي بالمطالبة بالإصلاح السياسي دون تعيين مضامينه ولا تحديد سقفه.²

¹ بغض النظر عن البعد الاشتراكي التقليدي لمصطلح العدالة الاجتماعية.

² ينظر محمد السيد ولد أباه : مرجع سابق، ص ص 103-107

3-5 التدايعات المؤسسية والقانونية لأحداث الحادي عشر من سبتمبر على العالم.

كان يفترض من أحداث الحادي عشر من سبتمبر في بعديها القانوني والمؤسسي، أن تكون فرصة للمجتمع الدولي، من أجل إعادة بناء أو تأسيس منظومة قانونية دولية معاصرة، تأخذ في اعتبارها المتغيرات الدولية الجديدة... خاصة مع تنامي الحديث عن ظاهرة ما شيع "بالإرهاب الدولي"، وذلك انطلاقاً من التعمق في طرح أسئلة جوهرية دقيقة، كتلك المتعلقة بالمفهوم وحدوده وملابساته ومؤثراته، والدوافع والأسباب الكامنة وراء "الظاهرة"، والمقاربة الأكثر نجاعة لمحاربتها، ومدى إمكانية إدراج ذلك ضمن اختصاص المحكمة الجنائية الدولية، والحلول الممكنة لتجاوز أبعاد الظاهرة من أجل تحقيق عدالة اجتماعية دولية أكثر، وتعميق قيم الديمقراطية الداخلية والدولية، كأساس وقائي ضد كل أشكال العنف، لكن ما يبدو، أنه لا سؤال من ذلك طرح، ولا هياً للإجابة عليه، بل عقب الأحداث تمسكت الولايات المتحدة -القوى العظمى في العالم- بفرض معالجات أمنية بوليسية في غاية الدكتاتورية والانفرادية، ووسط خلط كبير في المفاهيم والأهداف والوسائل.

وإذا كان القانون الدولي كما يعرف في أدبيات السياسة "مجموعة القواعد القانونية التي تحدد حقوق

الدول وغيرها من الهيئات الدولية، وتعين واجباتها، وتنظم علاقاتها المتبادلة، في أثناء الحرب والسلم والحياد"¹ فإن ما قامت به الولايات المتحدة وبعض حلفائها، من ردود فعل بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، يعد حرقاً مفضوحاً لهذه المحاور الثلاثة جميعاً، رغم محاولات منحها صفة القانونية والمشروعية من خلال در الرماد في العيون، ببعض المصطلحات والخطوات الأمية والقانونية المحتشمة، كحرص الرئيس "جورج بوش (G. W. Bush) على تسميتها " بالحرب العالمية ضد الإرهاب"، بدل "الحرب على الإرهاب"، وتكراره التصريح أن أمريكا "سوف تسعى باستمرار للحصول على دعم المجتمع الدولي" إلا أنه أكد: لن نتردد في التصرف لوحدنا إذا دعت الضرورة لممارسة حقنا في الدفاع عن أنفسنا من خلال التحرك بشكل استباقي ضد

²

التنظيمات الإرهابية التي تهدد أمريكا"لنمنعها من إلحاق الضرر بشعبنا أو ببلادنا".

¹ محمد السعيد المنسوب: الوسيط في القانون الدولي العام. الدار الجامعية، بيروت، 1999. ص 11.

² Dalby Simon: **Geopolitics, Grand Strategy, and the Bush Doctrine**. Institute of Defense and Strategic Studies Working Papers (Singapore), N°. 90, Oct. 2005.

ووجه غداة الأحداث مباشرة قرارا مشتركا من الكونغرس، يخول لإدارته استعمال القوة العسكرية في ممارسة حق الدفاع الشرعي عن النفس، وجاء في القرار " يخول الرئيس باستخدام كل قوة مناسبة ولازمة ضد تلك الدول والمنظمات أو الأفراد الذين يقرر بأنهم صمموا، سمحوا أو ارتكبوا، أو ساعدوا في تنفيذ الهجمات الإرهابية التي حدثت في الحادي عشر من سبتمبر (2001)، وذلك بغية منع أي أعمال للإرهاب الدولي في المستقبل ضد الولايات المتحدة"، وتمت المصادقة على هذا القرار بأغلبية (98) صوتا مقابل لا شيء في مجلس الشيوخ، وبأغلبية (420) صوتا مقابل صوت واحد في مجلس النواب، وتوحد الرأي العام، الذي انقسم بعمق منذ الانتخابات الرئاسية التي جرت في نوفمبر (2000) في تأمين دعم واسع ليس فقط للمجهود الحربي بل للرئيس بالذات.¹

كما سعت الولايات للحصول وحصلت على تصويت بالإجماع في مجلس الأمن الدولي التابع للأمم المتحدة في أيلول /سبتمبر، يطلب القرار رقم (1373)، الذي تم تنبيهه بموجب أحكام الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة الذي يمنح سلطة واسعة لمجلس الأمن الدولي لتنفيذ قراره، ويجعل القرار ملزما لكافة الدول الأعضاء في الأمم المتحدة حيث استوجب من كافة الدول الأعضاء بتجريم النشاطات المالية لتنظيم القاعدة، والمشاركة في معلومات الاستخبارات واتخاذ إجراءات لمنع تحركات الإرهابيين، مع أن القرار له ويشكل أثرا رمزيا أكثر مما هو عملي فقد أمن شرعية متعددة الأطراف للمعركة التي تقودها الولايات المتحدة ضد ما تسميه بالإرهاب الدولي.²

غير انه من الأهمية بمكان الإشارة إلى إن الشرعية الدولية ومؤسستها بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، طعنتا من طرف القوة العظمى الوحيدة في العالم وحلفائها في كثير من المظاهر لعل أبرزها:

- الإعلان الصريح عن نهاية الهيئة الأهمية ومؤسستها، إذ صرح الرئيس (جورج بوش G.W Bush) في خطابه للأمانة العامة لهيئة الأمم بقوله "على الأمم المتحدة أن تفعل ما نريد نحن أو تكون في عداد غير المقبول

¹ غاريس جونلويس : « السياسة الخارجية الأمريكية بعد سبتمبر 2001 ». (تر) : طلال الساحلي ، جريدة السفير اللبنانية، العدد 9396، تاريخ 2003/1/13.

² للاطلاع على نص القرار 1373 ينظر :

[On-line] :<http://www.UN.org/Arabic/terrorism/index.html>, 12/01/2013, 13:56

بهم¹ "وعقب على ذلك مستشاره للدفاع (ريتشارد بيرل R.perle) بقوله في تصريح له مجلة " The

"Guardian" نشكر الله على موت الأمم المتحدة".²

- إصرار القوة العظمى الوحيدة في العالم وحلفائها على الانفراد بالقرارات السياسية والإستراتيجية، المتعلقة بمحاربة الإرهاب أينما حل وحيثما ارتحل، بعيدا عن الإرادة الدولية. ومن دون تحديد للنطاق الجغرافي، ولا مدتها الزمنية، ولا الهدف الواضح.

- استخدام القوة العظمى الوحيدة في العالم وحلفائها بعد الحادي عشر من سبتمبر، لهجة التهديد والتخويف والوعيد باستخدام القوة في العلاقات الدولية، وهذا في حد ذاته تجاوز وخرق، يتعارض مع نص

المادة (2 /4) والتي تحرم مجرد " التهديد باستخدام القوة " في العلاقات الدولية.³

- ولا شك أن أهم أخطر المخالفات القانونية الدولية التي ارتكبتها القوة العظمى الوحيدة في العالم وحلفائها، تمثل بالاعتداء المسلح على دول أخرى ذات سيادة، من غير مسوغ قانوني دولي، ضاربة عرض الحائط كل البنود والمواثيق الدولية التي تحرم " استخدام القوة في العلاقات الدولية ".

وقد ترتب عن هذه التجاوزات القانونية الدولية خروقات كبيرة وتحديات حمة على الجانبين، الأممي والحقوقي للدول والجماعات والأفراد، وبخاصة أولئك الذين يمثلون أو ينتمون أو ينحدرون من أصول عربية وإسلامية، وتزايدت هذه الخروقات في البداية عقب الأحداث، داخل الولايات المتحدة من الجهات الرسمية والشعبية، ثم توسعت لتشمل غالب الدول الغربية التي وطأت إليها أقدام العرب والمسلمين ومن شابههم.

¹ راهول ماهاجان : مرجع سابق، ص 25.

Richard Perle² : « Thank God for the death of the UNIts abject failure gave us only anarchy. »

. The Guardian, Friday 21 March 2003, [On- line] »The world needsorde
http://www.guardian.co.uk/politics/2003/mar/21/foreignpolicy.iraq1,le 17/02/2013, 14: 09h.

³ عبد الله التركماني : « الحرب الوقائية بعد أحداث 11 سبتمبر من وجهة نظر القانون الدولي وحقوق الإنسان - العراق نموذجا - ». ندوة " حقوق الإنسان : المخاطر والتحديات " تنظيم : الرابطة التونسية للدفاع عن حقوق الإنسان وآخرون، يوم السبت 2003/5/3.

[On- line] http://hem.bredband.net / .mkala.syr.torkmani3.htm,

Le 22.02.2013 . 00 : 15h.

✓ ففي داخل الولايات المتحدة : تبنى الرئيس (جورج بوش G.W Bush) مقاربة أمنية جديدة/ تجسدت أولى مظاهرها في إصدار القانون الوطني (The Patriote Acte)، حيث كلف وزيره للعدل (J .Ashcroft) بإعداد مشروع قانون سمي " بقانون توحيد وتقوية أمريكا بتوفير الأدوات الملائمة لتمييز ومكافحة الإرهاب "، وعقب السيد الوزير عقب إعداد المشروع " أن الطريقة غير التقليدية التي تمت بها الهجمات، تقتضي منا اتخاذ تدابير غير تقليدية في تطبيق القانون".¹ ومن أهم التدابير القانونية البارزة في هذا السياق، والتي أثارت سخطا وجدلا كبيرين، يمكن أن نذكر :

✓ ما تعلق بالحق في التحسس على المراسلات الإلكترونية. (الباب الثاني المادة 201).

✓ ما تعلق بتسهيل الحصول وكالات الأمن والمخابرات على الإذن القضائي للتنصت. (الباب الثاني المادة 212) ما تعلق بالحق في "التنصت المتحرك". (الباب الثاني المادة 216).

✓ تشجيع الوشاية أو النميمة، للتبليغ للحصول على المعلومات والأخبار السرية. (الباب التاسع).

✓ شمل القانون توسيع مفهوم "الإرهاب" في القانون بما يجعله فضفاضا، ولينا أكثر ، ويمكن من اعتبار كل أنواع الاحتجاجات العنيفة، والمسيرات المناهضة للحرب، عملا إرهابيا يعاقب عليه القانون، إضافة إلى إزالة كل العقوبات التي تحول دون التحقيق في العمليات الإرهابية. (الباب الخامس إلى التاسع، المادة 802 إلى المادة 908).²

✓ الإخلال بمبدأ " التوازن " بين السلطات : وذلك من خلال توسيع السلطة التنفيذية على حساب القضاء والأسوأ، أنه يضع في يد السلطة التنفيذية جزءا من مهمات واختصاصات السلطة القضائية، فيفتح الباب أمام التعسف السياسي، وألعيب جماعات الضغط على حساب حقوق الأفراد والمؤسسات، في أجواء مشحونة بالخوف والقلق، تستطيع السلطة التنفيذية إيجاد أي نوع من "الصلات" الوهمية بالإرهاب ضد الأفراد الذين لا ترضى عنهم، أو المؤسسات التي ترى من مصلحتها السياسية التخلص منها . (الباب الرابع).³

¹USA Patriot : Uniting And Strengthening America Appropriate Tools Required To Intercept And Obstruct Terrorism. [On-Line]
http://www.fincen.gov/pa_main.html.

في 24 أكتوبر 2001 صادق الكونغرس الأمريكي على هذا القانون، وبعد ذلك بيومين وقع الرئيس على هذا القانون ليصبح ساري المفعول الذي أرادت الإدارة من ورائه تقويم النظام القانوني الأمريكي لمواجهة تحدي الإرهاب الدولي.

² Ibid.

³ Ibid.

إن أكبر خرق لحقوق الإنسان- والطفل والحيوان والجماد- جراء تطبيق " القانون الوطني " تجسد في الحربين اللتين خاضتهما الولايات المتحدة في أفغانستان والعراق، وتداعياتها الأخلاقية والإنسانية التي فاقت كل التصورات، في السجون والمعتقلات السرية والعلنية، ولعل معتقل " غوانتانمو " يبقى أكبر شاهد ودليل على غطرسة القوة العظمى وحلفائها تجاه حقوق الإنسان، جاء في تقرير منظمة (منظمة العفو الدولية) " ظل آلاف المعتقلين محتجزين، ولا يزال¹ دون تهمة أو محاكمة لدى الولايات المتحدة في العراق، وأفغانستان، والقاعدة البحرية الأمريكية في خليج "غوانتانمو" بكوبا.

واعتمد الكونغرس " قانون اللجان العسكرية " الذي يجرد المحاكم الاتحادية الأمريكية من الاختصاص بنظر دعاوى الاستدعاء القضائي التي يقيمها مثل هؤلاء المحتجزين للطعن في اعتقالهم أو معاملتهم، ويجيز إجراء محاكمات أمام اللجان العسكرية، ويعدل "قانون جرائم الحرب الأمريكي"، فيما أكد الرئيس (جورج بوش G.W.Bush) وجود برنامج للاحتجاز السري تديره "وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية"، ووردت أنباء عن وقوع أعمال قتل، يحتل أن تكون عمليات إعدام خارج نطاق القضاء، على أيدي جنود أمريكيين في العراق، ولا يزال التقاعس مستمرا عن محاسبة بعض كبار المسؤولين الحكوميين على ما تعرض له المعتقلون في إطار "الحرب على الإرهاب" من التعذيب وغيره من صنوف المعاملة السيئة، برغم الأدلة على أن الانتهاكات كانت ترتكب بصورة منهجية، ووردت أنباء بخصوص وحشية الشرطة وتعرض السجناء لسوء المعاملة في مراكز الاحتجاز بالولايات المتحدة. وتوفي ما يربو على (70) شخصا بعد تعرضهم للصلع بمسدسات الشرطة الصاعقة. وأعدم (53) شخصا في (14) ولاية².

وبرغم من قرار المحكمة العليا الأمريكية، الصادر في جوان (2007)، الذي يقضي قضت بطلان اللجان العسكرية التي أنشأها الرئيس (بوش G.W Bush)، وإلغاء القرار الرئاسي بعدم تطبيق المادة 3 المشتركة بين "اتفاقيات جنيف" الأربع على المعتقلين الذين يشبه بأن لهم صلات بحكومة "طالبان" السابقة أو بتنظيم "القاعدة". وبرغم ما تضمن هذا القرار من نصوص بالغة الأهمية وصلت حد الإداة لوزير الدفاع (رامسفالد D. Rumsfeld) ومسؤولين كبار في الإدارة الأمريكية لارتكابهم حوادث تعذيب مشينة للمعتقلين

¹ حتى تاريخ أبريل 2013 كتابة ومراجعة هذه الأسطر .

² ينظر تقرير منظمة العفو الدولية : حقوق الإنسان في الولايات المتحدة 2007،

[On- line] <http://www.amnesty.org/ar/region/usa/report-2007>,

Le 22.02.2013 . 00 : 15h.

في " غوانتانامو " و ملخص التقرير أن (رامسفالد D. Rumsfeld) شارك في عمليات التعذيب عبر إقراره لإستخدام تقنيات قاسية في المعتقل...¹ لم يتغير شيء على أرض الواقع، وحدير بالإشارة في الأخير أن الحمل الأكبر في هذه المضايقات قد وقع على العرب والمسلمين، إذ تشير إحصائيات "مجلس العلاقات الإسلامية - الأميركية CAIR " عن الحوادث التي أبلغ بها المجلس، ضد المسلمين خلال الفترة الفاصلة بين (9/11 و 2001/11/29) قد بلغت (1452) حادثة، تتراوح بين القتل والتحرش اللفظي. وقد صنف المجلس هذه الأحداث كما يلي :

التحرش في الأماكن العمومية (335) حالة، الاعتداء الجسدي والإضرار بالملكات (265) حالة، رسائل الكراهية والحقد (262) رسالة، المضايقة على أيدي الشرطة أو أو محققى الـ (FBI) وصلت إلى (178) حالة، أحداث التمييز (129) حالة، أحداث التمييز في أماكن العمل (127) حالة، أحداث التمييز في المدارس (61) حالة، التهديد بالقتل (60) حالة، القتل الفعلي (19) حالة، التهديد بالقنابل (16) حالة.²

وقد أثار صدور القانون سخطا وجدلا كبيران بين الإدارة الأمريكية وجزء لا بأس به من فعاليات المجتمع المدني الأمريكي، والدولي خاصة من طرف المنظمات غير الحكومية الناشطة في مجال حقوق الإنسان، على رأسها منظمة الأمم المتحدة التي انتقدت رئيسها - وإن على استحياء - الوضع السائد لحقوق الإنسان في الولايات المتحدة بعد صدور قانون " باتريوت "، خاصة الأقليات والجاليات العربية والمسلمة، وفي منتدى "دافوس الاقتصادي" يوم (23 جانفي 2004) قال (كوفي عنان K. Annan) " إن الحرب ضد الإرهاب قد تكون مصدرا لانشغالات جدية متعلقة بحماية حقوق الإنسان والحريات المدنية " ³، ومن جهتها منظمة العفو الدولية لم تتوان في إعلان تخوفها من تراجع الحريات وحقوق الإنسان في الولايات المتحدة جراء تطبيق القانون الجديد، وأصدرت سلسلة من التقارير المفصلة منذ (2001) إلى (2011)، كلها أسف وإدانة

¹ The Journal of the Supreme Court of the United States : [On- line] <http://www.supremecourt.gov/orders/journal.aspx>, Le 18.07.2013 . 01 : 59

h.

²Council on American Islamic Relations: A Co-Conspirator to Terror, CAIR , [On-line] <http://www.cair-net.org/>. le 22.02.2013.00:49h.

³ Kofi Annan : speech address, to the World Economic Forum Davos, 23 January 2004. [On-line] <http://un.by/en/news/quotes/peace/>. le 22.02.2013.00:49h.

للخروقات الفاضحة للحريات العامة وحقوق الإنسان،¹ كما عبرت اللجنة العربية الأمريكية لمكافحة التمييز " عن خيبتها لتبني الكونغرس مثل هذا القانون الذي يتضمن إجراءات تمييزية ضد العرب والمسلمين من دون سند قانوني، ورفعت المنظمة أكثر من (1073) شكوى لوزارة العدل، حول اعتقال غير شرعي لمواطنين أمريكيين من أصل عربي و مسلم، لكن وزارة العدل لم تفتح تحقيقا سوى في (14) شكوى فقط، وعموما ودارت احتجاجات هذه الفعاليات حول محورين أساسيين :

الأول : هو بعض تدابير هذا القانون المتشددة والجريئة وغير المسبوقة في التعامل مع الأفراد والجماعات، والتي تشكل تراجعا خطيرا في وضعية حقوق الإنسان في بلد تقاليد لا تسمح بمثل هذه الخروقات.

الثاني : هو أن التدابير القانونية كانت في أغلبها مستهدفة وموجهة ضد فئات معينة من المجتمع الأمريكي وهم العرب والمسلمين.

أما خارجيا : لم تقتصر الانعكاسات السلبية لإحداث الحادي عشر من سبتمبر في مجال حقوق الإنسان على الولايات المتحدة فقط، وإنما امتدت آثارها لتشمل مناطق عديدة عبر العالم، على قدر امتداد ما سمي " بالحرب على الإرهاب"، التي تجسدت في صدور كثير من القوانين والتشريعات الجديدة ضد العرب والمسلمين، خاصة تلك المتعلقة باللجوء والمهجرة وحرية ممارسة الشعائر الدينية والثقافية والسياسية في غالب مدن العالم والغربي خاصة.

أوروبا : كعادتها المملكة المتحدة كانت السبابة، لإنشاء قانون "بترىوت بريطاني" يتماشى ومقاييس النوعية للقانون الأميركي، بداعي أن بريطانيا ربطت سياستها الخارجية ومصالحها الإستراتيجية برؤية الإدارة الأمريكية المحافظة. فرغم وجود قانون مكافحة الإرهاب منذ سنة (2000)، إلا أنه تم تبني قانون جديد في نوفمبر (2001) يهتم مكافحة الإرهاب والجريمة وإقرار الأمن، في منتهى السرعة وردة الفعل، حيث لم تدم مناقشته أكثر من (16) ساعة في مجلس العموم، رغم انه يحوي أكثر من (129) مقطع جديد، ويهدف القانون إلى السماح بإعلان حالة الطوارئ، والترخيص للحكومة بتعليق (المادة 5) من الاتفاقية

¹Amnesty International Rapport, from (2001) to 2011, [On-line] <http://www.amnesty.org/ar/news-and-updates/usa-u-turn-trial-forum-911-suspects-betrays-human-rights> 2011-04-05-1, 17/02/2013, 14:14 h.

الأوروبية لحقوق الإنسان (التي لم تدمج في القانون البريطاني إلا سنة (1998)، وهي المادة التي تمنع الاعتقال التعسفي والاحتجاز دون محاكمة. ويتضمن القانون مقتضيات تمييزية حيث تمنح وزير الداخلية سلطة احتجاز غير محدود للأشخاص الخاضعين للرقابة على المهجرة (أي الأجانب)¹.

أما باقي المجموعة الأوروبية، وان أعلنت وقوفها إلى جانب إجراءات القانون الوطني الأمريكي، إلا أن تعاونها، في مجال مكافحة الإرهاب بدا نوعيا وخافتا إلى حد ما-خاصة مع تحفظ كل من فرنسا وألمانيا على الإستراتيجية الأمريكية- ولم يبدأ الاتحاد الأوروبي في اتخاذ إجراءات ملموسة، إلا بعد أحداث مدريد مارس (2004)، أين عمد إلى تعيين الهولندي (غيس دي فريس G M. de Vries) كمنسق لمكافحة الإرهاب،² كما تبني الاتحاد فكرة مذكرة اعتقال أوروبية وحيدة، ومبادرة تخزين بيانات اتصالات المواطنين التي تجرى عبر الإنترنت والهواتف، ولو دون سبب معروف لمدة ستة أشهر على الأقل، وذلك لتسهيل مكافحة الجريمة والإرهاب. وقد وجه الاتحاد خطابا شديدا للهجة لألمانيا لما عارضت في البداية هذا الفكرة ولم تطبقها، وحاولت ألمانيا الاستجابة لكن صدر قرار من المحكمة الدستورية العليا في ألمانيا يقضي بعد دستورية قانون تخزين البيانات.³

إلى جانب إصدار العديد من القوانين والمذكرات الأمنية السرية لمحاصرة ما سمي بالجريمة والإرهاب، وهي تدابير أمنية نحت بشكل ملموس نحو توسيع الهوة بين الأنظمة والشعوب، والديانات والأعراق، وزادت من حساسية الموقف تجاه الأقليات والمهاجرين واللاجئين، كما روجت للأفكار الجاهزة التي تعد أرضية خصبة للعنصرية والعنف، أكثر مما بسطت من حلول .

أما في باقي دول العالم فقد سمحت لأجواء التي خلقتها " الحملة ضد الإرهاب " بأمرين خطيرين :

¹ Susan Breau Stephen Livingstone And Rory O'Connell : « Anti-Terrorism Law and Human Rights in the United Kingdom post September 11 » . **Human Rights Centre**, Queens University Belfast.[On-line] www.britishcouncil.org/china-society-publications-911.pdf , le 13/02/2013, 14:18 h.

² Jan Wouters and Tom Ruys : **The Fight Against Terrorism and the European Security Strategy** . Working Paper No 64 - November 2004, Institute for International Law K.U. Leuven, 2004, p 09.

³ ينظر : دون توقيع : « الاتحاد الأوروبي يتخذ إجراءات ضد ألمانيا بسبب عدم تخزين بيانات الاتصالات » . **الاقتصادية** ، العدد 6463، الأربعاء 20 رجب 1432 هـ. الموافق 22 يونيو 2011 ، المملكة العربية السعودية، ص 16.

- مصادرة حقوق الشعوب في المقاومة وربطها بالإرهاب : فقد منحت هذه التطورات عدة أنظمة وحكومات ذات سجل رديء في ميدان حقوق الإنسان، إعلان انخراطها في الحملة ضد الإرهاب ، على رأسها حكومة الاحتلال برئاسة (ارييل شارون A. Sharon) التي ضربت عرض الحائط كل المواثيق والعهود الدولية، وقرارات مجلس الأمن، والجمعية العامة، ولجنة حقوق الإنسان، ولو لمجرد التحقيق في آثار العمليات الحربية كما حصل في مخيم جنين في شهر أبريل (2002) ، وحرب غزة (2008). وراحت تمارس الرعب والدمار على شعب أعزل، مرتكبة في حقه جرائم حرب، وعملية إبادة عرقية فريدة في هذا القرن، كل ذلك بحماية قانونية أمريكية، وصمت دولي رهيب.

- كما كانت الأجواء فرصة لقمع إرادة المعارضات الداخلية : كما تكشف عن ذلك تقارير المنظمات الحقوقية الدولية والإقليمية،¹ فكثير من الدول التي كانت موضع مساءلة صارت تتخذ من الحملة ضد الإرهاب وسيلة لقمع معارضتها، ذكرت (المنظمات الحقوقية الدولية) من سبيل ذلك دول مثل : الصين، روسيا، ماليزيا، مقدونيا، زيمبابوي، جنوب إفريقيا، تونس، المغرب، مصر، كولومبيا، الكونغو، المكسيك، اندونيسيا.² عربيا : بعد أقل من شهر من أحداث الحادي عشر من سبتمبر، تقدمت الإدارة الأمريكية بلائحة مطالب لكل العرب،³ تضمنت:

- ✓ تقديم كشوف عن المعلومات الأمنية المتعلقة بالمنظمات الإرهابية.
- ✓ تسليم قادة المنظمات "الإرهابية".
- ✓ إغلاق المكاتب والقواعد.
- ✓ المساهمة المالية.
- ✓ تقديم مساعدات سياسية وإعلامية ومشاركة عسكرية حين الطلب.
- ✓ التوقف عن التحريض الإعلامي على الإرهاب.

¹ ينظر في السياق على سبيل المثال لا الحصر كل تقارير منظمة العفو الدولية الصادرة من تاريخ 2001/09/11 إلى اليوم عبر موقعها الرسمي : <http://www.amnesty.org/ar>

² International Council on Human Rights Policy (I.C.H.R.P.) : **Human Rights after September 11**. a Report ,Genève, Suisse, 2002. pp 25-28.

³ Michael C. Hudson : « After the Gulf War: Prospects for Democratization in the Arab» **World. Middle East Journal** .Vol. 45, No. 3 Middle East Institute. Summer, 1991, pp. 407-426.

على إثر تصريح لمساعد وزير الدفاع الأمريكي يقول فيه أن الحالة خطيرة بشكل يتطلب إجراء العديد من التحقيقات خارج الأراضي الأمريكية، وذلك بما لا يتناسب مع التزامات الأجهزة الأمنية الأمريكية في القانون الأمريكي واتفاقية مناهضة التعذيب، تبرعت عدة دول للقيام بالتحقيق على أراضيها بوجود ضباط أمريكيين. وفي شهادة قدمها المواطن الكويتي (خالد الدوسري) - المعتقل السابق في السجون المغربية - إلى اللجنة العربية لحقوق الإنسان، يعدد الدوسري وسائل التعذيب التي تعرض لها من تاريخ (11/جوان/2002) إلى (2002/8/19)، الضرب والجلد والحرق بأعقاب السجائر، والحرمان من الطعام والنوم والإضاءة العالية وتكرار الضرب على الرأس ووضع صافرة في الزنزانة، وشرب سائل يؤثر على الدماغ، والسب والشتم والإهانة والإجبار على تقبيل أرجل المحققين والابتزاز والمساومة والإجبار على الإدلاء بمعلومات كاذبة مثل الانتماء لأمن القاعدة أو اللقاء بمسؤول مخبرات عراقية أو مسؤول في حماس. ويؤكد في شهادته على وجود ضباط من المخبرات الأمريكية إلى جانب ضباط أمن مغاربة في التحقيق وطلب منه التصريح بوجود علاقة بين القاعدة والنظام العراقي مقابل الإفراج عنه.¹

ويمكن تلخيص المشهد العربي في هذا السياق، ومعالم الصورة الجيوسياسية، التي أعقبت إملاءات الولايات في الآتي² :

- إن حاجة الإدارة الأمريكية لأجهزة الأمن العربية في حروبها الخارجية "أعاد الاعتبار" لهذه الأجهزة وجعل من الخطاب الأمريكي حول الديمقراطية في العالم العربي أضحوكة لا تنطلي على أكثر الناس سذاجة.
- من الواضح أن النتيجة الأساسية على الصعيدين النفسي والسياسي لتهافت الأئمة الغربي لحقوق الإنسان، هو إفلات الديكتاتوريات الصغيرة من عقابها. فمن يبني معتقل " غوانتانامو " غير قادر على المطالبة بإغلاق السجون العربية والإسرائيلية السيئة الصيت.
- لم تعد حقوق الإنسان في الخطاب الأمريكي الرسمي سوى عبارات مفرغة من معانيها تستهلكها الإدارة الحالية مع خصومها السياسيين على الصعيد العالمي.

¹ ينظر هيثم مناع : « حقوق الإنسان في العالم العربي في ظل 11 سبتمبر: الواقع، الصعوبات والطموحات » . محاضرة منشورة ألقيت في لاهاي بدعوة من مكتبة شايلدرفيك في 2003/1/31.

[On- line] <http://www.mokarabat.com/m5.6-7.htm>, Le 18.07.2013 . 01 : 59 h.

² ينظر المرجع نفسه .

- بعد إفلاسه في معارك الديمقراطية والتنمية والوحدة القومية، لم يعد للنظام العربي، مع تصويت سورية باسم المجموعة العربية على القرار (1441)، ما يقوله في السيادة والاستقلال والقرار القومي. فالقواعد الأمريكية توسعت في الجزيرة والخليج، والوجود المخابراتي الأمريكي أصبح في أهم مراكز التحقيق في العالم العربي.
- إن رفض معظم الأنظمة العربية المراهنة على شعوبها والتعاون مع الإدارة الأمريكية في مشاريعها الإقليمية، قد جعل منها ليس فقط السلطة التي تنتهك حقوق مواطنيها وترفض أي انفتاح وإصلاح سياسي، بل أحد أهم المنتجين للعنف المجتمعي، مع كل ما يترتب على ذلك من نتائج على المسلمين الأهلي والعالمي.
- شيء من الأمل فإن الهاوية التي سقط فيها النظام العربي وإن تركت آثارا على المجتمعات، إلا أنها لن ترسم بالضرورة مستقبل الشعوب. ولا أدل تهاوي الدكتاتوريات العتيدة والمخلدة في سماء العالم العربي منذ سنين، كالأوراق الذابلة بفعل ما سمي بثورات الربيع العربي .

3-6 التدايعات العسكرية و الأمنية لأحداث الحادي عشر من سبتمبر .

فرضت أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001) تحديات كبيرة على الفكر الإستراتيجي الأمريكي، وبالضبط المقاربة الأمنية والعسكرية المناسبة لمواجهة التحديات والأخطار الممكنة، خاصة بعدما اتضح فشل إستراتيجية الأمن القومي القائمة على "الردع والاحتواء" مع الاتحاد السوفيتي والدول المعادية الأخرى، لقد أبانت الأحداث ميلاد تحديا غير مسبوق، وتحولا جذريا في المعادلة الإستراتيجية التقليدية، بدخول الإرهاب لأول مرة كمتغير فاعل في السياسة والعلاقات الدولية، وبات من المهم لدى الإدارة الأمريكية ضرورة التفكير في صياغة سياسة أمنية ودفاعية جديدة فعالة، تتجاوز حدود الردع والاحتواء، ومن شئنها أن تبقى على امتيازات الهيمنة والتفوق لدولة عظمى مثل الولايات المتحدة، وكان ذلك واضحا مع تحول الخطاب الأمريكي الرسمي نحو توجيه الانتباه العام للجماهير، إلى فكرة دخولهم مرحلة جديدة، وأن البلاد هي في حالة حرب، وحرب تختلف عن سابقتها زمانا ومكانا وحالا... ، بما يوحي أن ثمة تحول في إستراتيجية الأمن القومي، نحو سياسة أمنية وعسكرية بدت ملامحها أكثر عنفا وقوة وحسما في المستقبل المنظور. وهو ما وقع بالفعل إذ لم تمض أشهر قليلة- (جويلية 2002) - حتى أعلن الرئيس (جورج بوش G.W Bush) في خطاب ألقاه بكلية "ويست بوينت" العسكرية، على خلفية انتهاء الحرب الباردة مخاطبا طلاب الكلية قائلا : " إن الإستراتيجية الدفاعية الأمريكية إبان الحرب الباردة كانت تعتمد على عقيدتي الردع والاحتواء، وربما مازال من الممكن تطبيق هاتين الإستراتيجيتين في بعض الحالات، ولكن ثمة تهديدات جديدة تتطلب نوعاً جديداً من التفكير"¹، " لفترة طويلة من القرن الماضي أعتمد الدفاع الأمريكي على مذهب الحرب الباردة .. الردع ومحاصرة القوة.. في بعض الحالات ما تزال هذه الاستراتيجيات صالحة للتنفيذ إلا أن التهديدات الجديدة تتطلب أيضا تفكيراً جديداً. الردع (وهو التواعد بئثار قاسي ضد الدول) لا يعني شيئاً في التعامل مع شبكات إرهابية خفية ليست لها دولة أو مواطنين تريد حمايتهم. وحصار القوة ليس ممكنا حين نتعامل مع دكتاتوريين موتورين لديهم أسلحة دمار شامل قادرين على توصيلها بالصواريخ إلينا أو على توفيرها لحلفائهم من الإرهابيين.

لا نستطيع أن نحمي أمريكا وأصدقائها بتمني الأفضل.. لا نستطيع أن نثق في كلمات الطغاة الذين يوقعون بكل خشوع اتفاقيات واضحة ثم يخرقونها بشكل تلقائي. لو انتظرنا حتى تتجسد التهديدات أمانا

¹ George W. Bush : **Speech National security strategy** . [On -line] http://www.archive.org/details/george_bush_archive, sept 2002, le 17/02/2013, 15:28h.

تماما سنكون قد انتظرنا أكثر من اللازم (...). قوات الدفاع الموجودة للحفاظ على الأمن الداخلي وقوات الدفاع المضادة للصواريخ هما جزءا من أمن أقوى ... إنهما أولويات جوهرية لأمريكا لكننا لن نفوز في حربنا ضد الإرهاب بالدفاع، علينا أن نأخذ المعركة إلى أرض العدو، وأن نفسد خططه ونواجه أسوأ التهديدات قبل أن تظهر ...، في العالم الذي دخلناه الطريق الوحيد للأمان هو طريق الفعل والتحرك.. وهذه الأمة سوف تتحرك.¹

لقد كان هذا الخطاب بمثابة الإعلان الرسمي لتبني إستراتيجية الحرب الإستباقية، ونفهم هذه الإستراتيجية بدقة في السياسة الخارجية الأمريكية، إذا ما تفحصنا الوثيقتين المترابطتين المتتاليتين اللتين تعاملت معهما الإدارة الأمريكية كمرجع أساس في هذا السياق، ونعني بذلك : وثيقة بوش الإدارية الصادرة سبتمبر (2002) والتي أذاعت إستراتيجية الأمن القومي (NSS)، ووثيقة بناء الدفاع الأمريكي (RAD) التي ظهرت كخطة للقرن الأمريكي الجديد في سبتمبر (2000) ، وكلا الوثيقتين تمتد أصولهما إلى أفكار وافتراضات منطري اليمين المحافظ المتصهين، من أمثال: (بول وولفوفيتز P. Wolfowitz ، هنري ليوس H. Lewis ، ويليام كريستول W. Kristol ، وروبرت كاغان R. Kagan ، ريتشارد بيرل R. Perle ..) وغيرهم.²

ومذهب (جورج بوش G.W Bush) القائم على "الثأر الوقائي" — كما يصفه — أحد مسؤولي الإدارة الأمريكية — يظهر واضحا في خطة الأمن القومي : " في حين ستسعى الولايات المتحدة الأمريكية باستمرار للحصول على تأييد المجتمع الدولي فإننا لن نتردد في التحرك وحدنا، لو لزم الأمر، لممارسة حقنا في الدفاع عن النفس والقيام بمجمات وقائية...وعليه فهذه الإستراتيجية الإستباقية تؤكد على جملة من السياسيات الاستثنائية، والأهداف العامة، لعل أبرزها بداية خصوصية الولايات المتحدة (كدولة عظمى) تمكنها من مباغته أعدائها بضربات حاسمة، والتصرف بمفردها دون حاجة لشرعية ومواقف المجتمع الدولي"³، وفي هذا يقول الرئيس (جورج بوش G.W Bush) في خطابه، إن الولايات المتحدة " لن تتردد في العمل بمفردها إذا لزم الأمر لممارسة حقها في الدفاع عن نفسها بشن حرب إستباقية ضد الإرهابيين، ومنعهم من إلحاق أضرار

¹ George W. Bush : **Speech National security strategy** . Op cite.

² راهول ماهاجان : مرجع سابق، ص ص 44-47 .

³ Thomas P. M. Barnett : **The Pentagon's New Map: War and Peace in the 21st Century**. New York : Berkeley Books, 2004, p. 261.

بشعبنا وبلدنا"¹، كما أن استخدام النووي في هذه الضربات الوقائية مسألة أساسية، ليس فقط السلاح النووي التكتيكي ولكن ربما السلاح النووي الاستراتيجي "نحن نريد أن نستخدم أقل قدر من القوة لتحقيق الهدف المطلوب إذا كان ذلك ممكنا أصلا عن طريق الأسلحة التقليدية، ولا نرغب في عبور الحاجز النووي إلا في حالة طوارئ قومية قصوى ولكن هناك بعض المخايئ ذات القوة الاستثنائية مما يجعل استخدام أسلحة ذات إشعاع نووي كثيف أمرا لا بد منه"².

وهي إذ تؤكد على ما كفله القانون الدولي من حق الدول في العمل ضد "خطر من هجمات وشيكة"، فإنها تكفل لنفسها حق تفسير وتأويل وإثبات كل أنواع الأخطار وأبعادها الجغرافية والأمنية والثقافية... وغيرها، وفي هذا يفصل الرئيس في خطابه قائلا: "ينبغي تكيف مفهوم التهديد الوشيك مع مقدرات وأهداف أعداء اليوم. فكلما كان التهديد أكبر، كلما ازدادت مخاطر السلبية، وأصبح من الضروري اتخاذ عمل بالاعتماد على توقعاتنا لحماية أنفسنا، وحتى لو اكتنف الغموض زمان ومكان هجوم العدو، فإن الولايات المتحدة سوف تقوم بأعمال إستباقية عند الضرورة"³ وحتى لا يشكل العدو تهديدا وشيكا، فإن الولايات المتحدة سوف تشن الضربة الأولى ضد الإرهابيين، ومن يأويهم بعلم منه، أو يقدم لهم المساعدة"⁴.

وفي خطابه المشار إليه، يلخص الرئيس الأمريكي (جورج بوش G W. Bush) أهداف هذه الإستراتيجية الجديدة - مشيرا أنها ليست ملزمة للولايات المتحدة فحسب، بل لجميع الدول المتطلعة إلى عالم أفضل، حسب قوله- في النقاط الثمانية الآتية:

- ✓ دعم كل التطلعات من اجل نيل كرامة الإنسان.
- ✓ تعزيز التحالفات من أجل هزيمة الإرهاب العالمي والعمل على منع وقوع هجمات ضدنا وضد حلفائنا.
- ✓ العمل مع الآخرين لنزع فتيل الصراعات الإقليمية .

¹ George W. Bush : «"The National Security Strategy of the United States». The New York Times, 20 September 2002.

² Kurt m. Campbell And Richard Weitz : **Non Military Strategies For Countering Islamiste terrorisme : Lessons Learned from past counterinsurgencies** . The Woodrow Wilson School of Public and International Affairs, Princeton Project Papers /Princeton University, 2008 , p31.[On-line] <http://www.princeton.edu/>. le 17/02/2013, 15:28h.

³ George W. Bush Presidential : **The National Security Strategy of the United States**, Op Cite.

⁴ ibid.

- ✓ منع أعدائنا من تهديدنا وحلفائنا وأصدقائنا، بأسلحة الدمار الشامل.¹
- ✓ إشعال حقبة جديدة من النمو الاقتصادي العالمي من خلال الأسواق الحرة والتجارة الحرة.
- ✓ توسيع دائرة التنمية من خلال فتح المجتمعات وبناء البنية التحتية للديمقراطية.
- ✓ وضع جداول للعمل التعاوني مع المراكز الرئيسية الأخرى للقوة العالمية ، وتحويل مؤسسات الأمن القومي الأمريكي لمواجهة التحديات والفرص في القرن الحادي والعشرين.²

من المؤكد أن الإستراتيجية العسكرية الأمريكية لمكافحة الإرهاب، هي إستراتيجية عدوانية بكل المعايير القانونية والسياسية والأخلاقية، حيث يعتمد خيار الحرب الإستباقية على تأويل ذاتي، ومفهوم مصلحي لحق الدفاع عن النفس، كما أن الحرب التي تخوضها الولايات المتحدة الأمريكية ضد الإرهاب دائمة ومفتوحة، وليس لها سقف زمني، فلقد بدأت لكي لا تنتهي، أو على الأقل لن تنتهي إلا في التوقيت الذي تختاره الإدارة الأمريكية، وبالطريقة التي تراها.

وعقب إعلان هذه الإستراتيجية عمدت الولايات المتحدة إلى الشروع في سياسة الانتشار الأمني والعسكري عبر العالم، من خلال بناء تحالف، شن حروب، إقامة القواعد، وإعادة نشر القوات المسلحة، لضمان امتداد المظلة العسكرية الأميركية إلى معظم المناطق التي يتوقع أن تكون مصدرا لخطر قادم.

ب- في المجال الأمني :

لفترة طويلة من القرن الماضي أعتمد الدفاع الأمريكي على مذهب الحرب الباردة .. الردع ومحاصرة القوة، وقد تبدوا في بعض الحالات أن هذه السياسة الأمنية ما تزال قابلة للتنفيذ، إلا أن التهديدات الجديدة من وجهة نظر المحافظون الجدد، وأصحاب اليمين المتصهين تتطلب أيضا تفكيراً جديداً أكثر حزماً وضبطاً ونجاعة في تحقن أهداف الأمن القومي الأمريكي، لذا وجب سياسة الردع (وهو التوعد بثأر قاسي ضد الدول) التي لا تعني شيئاً أمام تحدي شبكات إرهابية خفية ليست لها دولة أو مواطنين تريد حمايتهم. وحصار القوة ليس ممكناً حين نتعامل مع دكتاتوريين موتورين لديهم أسلحة دمار شامل قادرين على توصيلها بالصواريخ إلينا أو

¹The White Hous :**The National Security Strategy of the United States of America . Washington.** [On-line] <http://www.informationclearinghouse.info/article/2320.htm>, le 17.02.2013, 16:15 h.

² George W. Bush Presidential : **The National Security Strategy of the United States**, Op Cite.

على توفيرها لحلفائهم من الإرهابيين، والتحول إلى سياسة إستباقية تقوم على "الدفاع الوقائي".¹ وقد جد الرئيس (جورج بوش G.W Bush) في تبني هذه المقاربة الأمنية الجديدة، وتجسدت أولى مظاهرها في إصدار القانون الوطني (The Patriote Acte)، حيث كلف وزيره للعدل (John Ashcroft جون اشكروفت) بإعداد مشروع قانون ما سمي "بقانون توحيد وتقوية أمريكا بتوفير الأدوات الملائمة لتمييز ومكافحة الإرهاب"، وعقب السيد الوزير عقب إعداد المشروع "أن الطريقة غير التقليدية التي تمت بها الهجمات، تقتضي منا اتخاذ تدابير غير تقليدية في تطبيق القانون"، وعقبت عليه السيدة (رايس G. Rice) مستشارة الأمن القومي بأنه "استباق فعل التدمير الذي قد يقوم به عدوك ضدك"،² وفي هذا السياق تحدد مصادر التهديد وطبيعته الحاجة إلى شكل القوة المستخدمة سواء كان ذلك عن طريق حرب شاملة أو عمليات عسكرية محدودة، عل أساس أن المقاربة الأمنية الجديدة تقوم على الخيارات الإستراتيجية الآتي :

- خيار المبادرة (Initiative) : بمعنى بدء الأعمال العسكرية أولاً وقبل الخصم، حيث يتمكن المهاجم من حرية فرض وجوده وتحديد مسار المعركة ودرجة تواتر الأحداث، وإجبار الخصم على إبداء ردود أفعال على الشكل الذي يبتغيه المهاجم الذي يقرر وحده وقت الضربة الأولى ومكانها وحجمها.³

- خيار المفاجأة (Surprise): ويكمن في اختيار اللحظة المناسبة لبدء العمليات العسكرية ومباغطة الخصم، وترتبط المفاجأة وكلما كانت الضربة الأولى مدروسة بعناية ودقة وأدت إلى تحقيق أهدافها كانت المفاجأة أكبر على الخصم. وبرغم أهمية المفاجأة فقد درج بعض المنظرين العسكريين على عدم الاعتماد كثيراً بأهميتها كونها ذات طبيعة غير حاسمة ومؤقتة قد يتمكن الخصم الإفلات منها بسهولة فأهميتها ضئيلة عند وجود خصم قوي.⁴

¹ ينظر أليكس كالينيكوس: الإستراتيجية الكبرى للإمبراطورية الأمريكية. مركز الدراسات الاشتراكية، القاهرة، مصر، (د ت)، ص 9.

² « Anticipatory Defence in the war on terror » . Interview with : Condoleezza Rice is National Security advisor to USA. President C. W. Bush, [On-line] <http://www.npq.org/archive/2002-fall/rice/html> . le 22.02.2013.01:18h.

³ ينظر سليم شاكر الأمامي: الدفاع والردع، أما زال الدفاع هو الشكل الأقوى للحرب. دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1988، ص 44.

⁴ ينظر إسماعيل صبري مقلد: « الإستراتيجية السوفيتية في العصر النووي » . مجلة السياسة الدولية، العدد 7، السنة الثالثة، 1967، ص 44-49.

- خيار نقل المعركة إلى ارض العدو (Combat Transfert) : يؤكد معظم القادة السياسيين والعسكريين على أهمية هذا العنصر فقد صرح الرئيس الأمريكي (جورج بوش) " علينا أن ننقل المعركة إلى ارض العدو نشوش عليه خططه ونواجه أسوء التهديدات قبل أن تبرز"¹.

ورغم هذه السياسة الأمنية الجريئة والمتفردة حرصت إدارة المحافظين الجدد على الحصول، وحصلت على قرار مشترك من الكونغرس يخولها استعمال القوة العسكرية في ممارسة حق الدفاع الشرعي عن النفس، وجاء في نص القرار " يخول الرئيس باستخدام كل قوة مناسبة ولازمة ضد تلك الدول والمنظمات أو الأفراد الذين يقرر بأنهم صمموا، سمحوا، أو ارتكبوا، أو ساعدوا في تنفيذ الهجمات الإرهابية التي حدثت في الحادي عشر من أيلول².

وفي (12 سبتمبر 2001)، دعت الولايات المتحدة الدول الأعضاء في حلف الأطلسي إلى تطبيق أحكام المادة الخامسة من معاهدة الحلف، وذلك للمرة الأولى في تاريخه- منذ إنشاء الحلف في (1949)- التي تنص " أن أي هجوم ينفذ ضد إحدى الدول الأعضاء هو هجوم على كافة الدول الأعضاء في الحلف " ³، بالموازاة حرص الرئيس "جورج بوش" على تصويت بالإجماع في مجلس الأمن الدولي بقرار يطلب الدول الأعضاء اتخاذ الخطوات المناسبة بموجب الإجراءات الدستورية لكل منها، وهو القرار المشهور بالقرار رقم (1373)، وفي نهاية الأمر ساهمت (16) دولة من الدول التسع عشر بقوات عسكرية في حملة الحرب على معاقلة الطالبان في أفغانستان، وقدمت دول عديدة، من ضمنها روسيا والصين والدول الآسيوية والشرق أوسطية المجاورة لأفغانستان، التعاون في المجالات السياسية والعسكرية والإستخباراتية.

وأكدت الولايات المتحدة إسقاط كل تعهداتها بعدم استعمال الأسلحة النووية على البلدان غير النووية، كما صرح بذلك (جون بولتون J. Bolton) المستشار الثاني لإدارة الدفاع بالدولة قائلاً: "نحن لسنا بصدد التطمينات الصرفة التي يمكن لإدارات أخرى أن تتخذها" وأشار إلى ضرورة تطوير جيل جديد من الأسلحة

¹ خطاب الرئيس الأمريكي (جورج دبليو بوش) في كلية " بونست ايست " العسكرية. ينظر حسن الرشدي : « الإستراتيجية الأمريكية الجديدة في العالم » . مجلة البيان، السنة 17 ، العدد 179، أكتوبر 2003.

[On-line]http://www. albayan, Magazine.com/bayan-12htm, 17/02/2013, 17:26h.

² التقرير الاستراتيجي العربي: « السياسة الأمريكية تحت سطوة اليمين الديني والسياسي » . مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية،

مؤسسة الأهرام، القاهرة، 2003، ص 72.

³ NATO The North Atlantic Treaty Organization : e_library Official texts (Chronological). [

On- line]http://www.nato.int/cps/en/natolive/official_texts_17120.htm 18/02/2005.17:23h

النووية التي تسمى " Bunker Busters " أو القنابل الانشطارية العمودية، واستئناف تجارب موقع نفادا البالغة تكلفته (15) مليون دولار لرفع قدرة المعدل الثلاثي النووي، والذي يشمل صواريخ القواعد في الغواصات، والصواريخ الأرضية، والقاذفات النووية الإستراتيجية ¹.

ويلعب الوضع الجيوستراتيجي تقديره في أهمية هذا العنصر لكل دولة على حدة حيث يكون أمرا لا مفر منه بالنسبة إلى الدول ذات العمق الجغرافي المحدود حيث تلجأ إلى احتلال أراضي الخصم من ثم تنقل المعركة إليها. ²

ب - في المجال العسكري :

شرعت الولايات المتحدة المستهدفة الأول من هذه الأحداث، على دفع المجتمع العالمي لبناء تحالف دولي عسكري بقيادتها ضد الإرهاب، مستخدمة في ذلك لهجة أكثر إلزاما وحدة ، تلخصها مقولة الرئيس الأمريكي (جورج بوش G.W Bush) " من ليس معنا فهو مع الإرهابيين " ³ ، وكانت ردة الفعل الأولى استجابة واسعة، وتلقائية للعديد من دول العالم لهذا النداء، والتفاف غير مسبوق حوله، لكن سرعان ما تبددت غيوم الخطاب الأمريكي لتبرز على سطح العلاقات الدولية العديد من التعقيدات السياسية والعسكرية التي أحاطت بتشكيل هذا التحالف، فإن كانت معظم دول العالم سياسيا ودبلوماسيا قد أعربت عن إدانتها الكاملة للعملية الإرهابية التي تعرضت لها الولايات المتحدة، واستعدادها للمساعدة في أي عمل أمريكي ضد الإرهاب، إلا أن أغلبية الدول الحليفة والصديقة للولايات المتحدة طالبت بضرورة توفير غطاء شرعية، ⁴ والأدلة الكافية والمقنعة بشأن مسؤولية الدول أو المنظمات التي تتهمها الولايات المتحدة بالمسؤولية عن التفجيرات الانتحارية في واشنطن ونيويورك، وهي هنا تحديدا (أسامة بن لادن) وحركة طالبان، قبل بدء أي عمل عسكري، وكان هذا الموقف واضحا بقوة من جانب العديد من دول حلف شمال الأطلسي، بما في ذلك بريطانيا أقرب حليف

¹ راهول ماهاجان: مرجع سابق، ص 60.

² حسين اغا وآخرون: إسرائيل والعقيدة العسكرية وشؤون التسليح. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1982، ص 10.

³ Walter Leimgruber : **Between Global and Local: Marginality and Marginal Regions in the Context of Globalization and Deregulation.** 1st Ed, Ashgate Publishing company, Burlington, USA, 2004.p 122.

⁴ Susan B. Glasser and Walter Pincus : « Seized Letter Out lines Al Qaeda's Goals in Iraq » . **Washington Post**, October 12, 2005, <http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2005/10/11/AR2005101101353.html>, Le 27.02.2013.23:35h...

للولايات المتحدة على الإطلاق، كما كان ذلك أيضا موقف الدول الكبرى الأخرى، وبالذات مصر وروسيا الاتحادية والصين، كما كانت القوى الدولية الأخرى تطالب بضرورة وضع خطة فعالة ومحكمة لمحاربة الإرهاب، وليس مجرد عمل عسكري انتقامي أعمى منفلتا ضد المشتبه فيهم.¹

لقد كانت النقطة الجوهرية هي أن أي حملة علي الطالبان أو على العراق، بغض النظر عن الأهمية الإستراتيجية والتكلفة والمخاطر التي قد تنجم عنها، من المؤكد أنها سوف تبعد الولايات المتحدة عن حربها ضد الإرهاب. والأسوأ من ذلك، فهناك إجماع فعلي في العالم ضد الهجوم خاصة على العراق في الوقت الراهن. ولطالما استمر هذا الشعور فان مواصلة الولايات المتحدة الأمريكية لسياسة التهور بالنسبة لخططها المنفردة سيجعل أي عمليات عسكرية أكثر صعوبة وباهظة التكاليف، فالنظرة المشتركة في المنطقة هي أن العراق، بشكل أساسي، يمثل هاجسا مقلقا للولايات المتحدة، في حين أن الهاجس المقلق للمنطقة هو الصراع العربي الإسرائيلي. وإذا بدا للعيان أن الولايات المتحدة تدير ظهورها لهذا الصراع المير، من اجل مطاردة العراق، فقد ينفجر الغضب ضدها - سوف تبدو كمن يتجاهل أهم قضية بالنسبة للعالم الإسلامي من اجل إرضاء شعغف أمريكي ضيق الأفق.²

وعليه ظل الجدل حول التحالف غير مقنع على الإطلاق، فأسلوب الدمج الذي وظفته الإستراتيجية الأمريكية باستمرار بين أنظمة مثل النظام العراقي وبين تنظيم القاعدة، يتجاهل العديد من الحقائق والقواعد المنطقية، والتاريخية التي لا يغفل عنها أبسط الناس، فضلا على أنه لم يتم الإعلان عن دليل واحد جاد يربط العراق بأحداث الحادي عشر من سبتمبر، وبالطبع فإن التركيز على أسلحة الدمار الشامل يتجاهل كل من الترسانة النووية الضخمة التي تملكها الولايات المتحدة وباقي القوى الكبرى وكذلك تطوير الأسلحة النووية في بلاد يربطها تحالف قوى مع أمريكا مثل الكيان الصهيوني.³

¹ ينظر حسن نافعة: « وجهة نظر في تطور الرؤية الأمريكية تجاه العالم العربي » . مجلة السياسة الدولية، العدد 253، يوليو/جويلية 2003، ص 68-72.

² أليكس كالينيكوس: مرجع سابق، ص 29.

³ المرجع نفسه، ص 30.

من أجل هذا أحاطت بعملية التحالف العسكري الدولي ضد الإرهاب العديد من التعقيدات التي أحاطت بما سمته الولايات المتحدة الأمريكية المتضرر الأكبر، بالحرب ضد الإرهاب، كان أبرزها الغموض بشأن العديد من القضايا الحيوية المتعلقة بهذه الحرب، وبالذات بشأن الهدف السياسي العسكري للحرب، وشكل العمليات العسكرية، وهيكل القيادة العسكرية للعمليات وكيفية توزيع أعباء العمل العسكري بين القوات الأمريكية وقوات التحالف الدولي، أصلا طبيعة وهيكل هذا التحالف الجديد، لذا لمح بعض الحلفاء

الأوروبيين ابتداء، رفضهم المشاركة في أي عمليات عسكرية مع الولايات المتحدة ما لم تكن الأهداف محددة مسبقا من حيث الزمان والمكان، وأن يكون أي عمل عسكري أمريكي حريصا على عدم استهداف المدنيين الأبرياء،¹ ومما زاد من صعوبة هذه النقاط أن الإدارة الأمريكية حرصت على إخفاء خططها العسكرية تماما، وعقب بدء العمليات العسكرية، وقد لعبت بريطانيا دورا مباشرا ومحوريا في عمليات القصف الجوي والصاروخي ضد أفغانستان، جنبا إلى جنب مع القوات الأمريكية، كما أكد حلف شمال الأطلسي مساندتها التامة والمطلقة للعمليات العسكرية الأمريكية في " أفغانستان ". وقد أعلنت فرنسا استعدادها للعب دور عسكري أكبر في العملية العسكرية الأمريكية في " أفغانستان "، حيث قدمت في البداية مساعدات للولايات المتحدة في مجال الإمداد والمعلومات الاستخباراتية، كما أعلنت أنها سوف تشارك في العمليات العسكرية الأمريكية بدرجة أكبر، وبالذات من خلال مشاركة الوحدات الخاصة الفرنسية في عمليات أرضية في أفغانستان، جنبا إلى جنب مع تكثيف الجهود السياسية الفرنسية من أجل الوصول إلى تسوية سياسية للمشكلة الأفغانية بالتوازي مع العمليات العسكرية.²

واتسم التحالف الدولي ضد الإرهاب بعدد من الخصائص والسمات الهامة منها:³

¹ Voir Commission Européenne : **L'Union européenne et les États-Unis Des partenaires mondiaux, des responsabilités mondiales** . : [On- line][http:// eeas. europa. eu/us/docs/infopack_06_fr.pdf](http://eeas.europa.eu/us/docs/infopack_06_fr.pdf), Le 18.07.2013 . 01 : 59 h.

² ينظر حسن نافعة : « وجهة نظر في تطور الرؤية الأمريكية تجاه العالم العربي » . مرجع سابق، ص 78.

³ ينظر مؤسسة الأهرام : **التقرير الاستراتيجي العربي، الولايات المتحدة وبناء تحالف دولي ضد الإرهاب** . مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية.

[On-line] <http://acpps.ahram.org.eg/ahram/2001.htm>, Le 27.02.2013.10:56 h.

✓ **مستوى تعاون معلوماتي واستخباري واسع المدى** : حيث كان الدعم المعلوماتي والاستخباراتي هو المستوى الأكثر واقعية بالنسبة للغالبية العظمى من الدول، خاصة الدول العربية والإسلامية والدول الصغيرة، وفي الوقت الذي حرص فيه عدد كبير من الدول على عدم الانضمام العسكري إلى التحالف، تجنباً للمشاركة في أعمال عسكرية ضد دول أو أهداف تالية غير محددة، إلا أنها حرصت في الوقت نفسه على عدم الخروج كلية عن نطاق التحالف، وقد تم هذا التعاون المعلوماتي بشكل تطوعي وبمبادرة من تلك الدول، أو في إطار تعاون ثنائي أخذ أشكالاً وأعطيته مختلفة.¹

✓ **الهشاشة والمرونة الشديدة** : نتيجة حالة الغموض المتعلقة بالأهداف الإستراتيجية والسياسية للحرب على الإرهاب. هذا المصطلح والظاهرة التي من أجلها شنت الحرب، واعتبرت الهدف الرئيسي للتحالف، ظهر بشأها اختلافات كبرى بين مختلف القوى الدولية والإقليمية والمحلية في العالمين الإسلامي والغربي.

✓ **تغيير الاستراتيجيات العسكرية تبعا لكل مرحلة ولكل هدف** : فقد استتبع غموض الهدف الرئيسي للتحالف الدولي ضد الإرهاب، ومن ثم تغيير مسرح الهجمات من مرحلة إلى أخرى، تغيير الاستراتيجيات العسكرية المستخدمة من مرحلة لأخرى ومن موقع لآخر، فبينما حدثت مواجهة عسكرية كبيرة المدى في حالة أفغانستان، جرى ما يمكن وصفه بمواجهات بالوكالة على النحو الذي مثلته الهجمات العسكرية اليمنية التي جرت في شهر ديسمبر في عدد من القرى ومناطق القبائل اليمنية التي اعتبرت ملاذاً محتملاً لعناصر من تنظيم القاعدة، وهجمات الجيش الفلبيني ضد جماعة (أبو سيف)، وقيام الهند بضغط عسكري مكثف على باكستان، رغم دورها المحوري في الهجمات العسكرية الأمريكية على طالبان وتنظيم القاعدة، بغرض تحجيم الجماعات والأحزاب الإسلامية الراديكالية فيها وفي كشمير، وفي الوقت الذي أكدت فيه الولايات المتحدة الأمريكية على استبعاد إسرائيل من المشاركة في أية هجمات عسكرية،² وقد عبر وزير الدفاع الأمريكي - آنذاك - (دونالد رامسفيلد D. Rumsfeld) عن تنوع نماذج المواجهة تحت إطار التحالف ضد الإرهاب بقوله : "أن هذه الحرب لن تشن بواسطة تحالف كبير متحد خلف هدف واحد، وإنما ستقوم على تحالفات بين دول عدة، تحالفات قد تتغير وتتطور حسب الظروف وفي هذه التحالفات ستقوم الدول بأدوار مختلفة

¹ ينظر عادل المعلم وآخرون : قارة سبتمبر . ط1، دار الشروق الدولية للنشر، القاهرة، مصر 2004، ص 30.

² مؤسسة الأهرام، مرجع سابق.

وستكون مساهماتها متباينة أيضا، سيكون دعم بعض الدول لنا.علنيا، في حين أن البعض الآخر ولأسباب تتعلق بظروفه سيكون دعما سريا " ¹.

✓ **المدى اللاهوائي للمواجهة** : نظرا لغموض الهدف الرئيسي الذي قام عليه التحالف الدولي من جهة، وتحديد الولايات المتحدة أهدافا فضفاضة له من جهة أخرى، وهو ما عبر عنه وزير الدفاع الأمريكي بأن هدف التحالف تحقيق الأمن والحرية للشعب الأمريكي.

لهذه الأسباب يمكن التحقق أن التحالف الدولي فضلا على التعقيدات التي واجهته، والاعتراضات والتوجسات التي كنفته العديد من الدول في تبني استراتيجياته، والهيئات الدولية وبخاصة بعد سنوات من أحداث الحادي عشر من سبتمبر، أبان عن هشاشته وسرعة انحلاله في ظل تزايد تداعياته السلبية على العديد من المستويات الإنسانية والأخلاقية والاقتصادية والجيوسياسية قطريا وعالميا وبخاصة في عالمنا العربي والإسلامي، الذي وجد نفسه مكبلا، ويدفع من دون فاتورة تكاليف هذا التحالف بزيادة نهب أراضيهِ وثرواته، واستغلال شعوبهِ وإمكاناته واستعمارهِ من جديد، ما كرس لاحقا العديد من مظاهر اليأس والإخفاق لدى الشعوب والحكومات. وإن كان لا بد من مؤاخذات على بناء التحالف، فمن الواجب الإشارة إلى أن نجاح التحالف مرهون بجملة من المحددات الأساسية على رأسها :

- ضبط المفاهيم الأساسية، في ضوء تكامل حقوقي عالمي، على رأسها مفهوم الإرهاب، الضحية، والجاني.
- تقديم الشرعية الدولية على كل المبادرات وردود الأفعال المختلفة.
- دعم الهيئات الأممية والحقوقية حتى تتمكن من ممارسة دور قوي وفاعل في الصراع ضد الإرهاب.
- إفراغ جعبة الحلول الدبلوماسية، بمزيد من المرونة السياسية وبقدر أكبر من المسؤولية الدولية، مع رد الحقوق والمظالم وعلى رأسها ما يتعلق بالصراع العربي - الإسرائيلي.
- ضرورة رفع هامش الحضور الإنساني (أو البشري) عند التفكير في حل المشاكل الدولية.

¹ Donald Rumsfeld, Secretary of Defense « Address to Town Hall Meeting, Baghdad, Iraq 30 April 2003 » . [On-Line] <http://www.defenselink.mil/transcripts/2003/tr20030430secdef0139.html>. Le 27.02.2013.23:35h.

3-7 التدايعات الاقتصادية لأحداث الحادي عشر من سبتمبر

في سياق تحليل الأزمة الاقتصادية الخانقة التي هزت العالم مع مطلع سنة (2008)، يكاد يجمع المتخصصون¹ أن الهلع والخوف الاقتصادي والتدايعات التي خلفتها أحداث (11 سبتمبر 2001)، تعد أحد أهم العوامل الرئيسة في تفجر الأزمة العالمية لاحقاً، ومرد ذلك جملة من الأسباب أهمها :

- زمن الأحداث، إذ جاءت في سياق إفرزات نظام العولمة الاقتصادي، والذي تقوم فلسفته على نهاية الدولة والجغرافيا نحو مزيد من الانفتاح على الأسواق، والربح، والهيمنة الشاملة للقوى العظمى، فقد كشفت التقارير الاقتصادية بأن (20%) من دول العالم تستحوذ على (85%) من الناتج الإجمالي العالمي في حين هناك (80%) من سكان العالم يصنفون ضمن السكان الفائضين عن الحاجة من الفقراء الذين يعتمدون على المساعدات.² ومع ذلك كان الاقتصاد الأمريكي، وبالتبعية الاقتصاد العالمي يمر بمرحلة تباطؤ واضحة منذ نهاية عام (2000)، ونظراً لارتباط معظم اقتصاديات دول العالم بالولايات المتحدة الأمريكية، فإن الانكماش الأمريكي صدر إلى دول العالم بطريقة مباشرة عن طريق الربط بقاعدة الصرف بالدولار أو الاستثمار الأجنبي أو نظراً للايدولوجيا التي تتمتع بها الليبرالية، حيث تقوم الولايات المتحدة بتصديرها إلى باقي دول العالم.³

- كانت التوقعات كبيرة على أن فترة الربع الأخير من عام (2001) ربما تشهد بعض التعافي من هذا التباطؤ تمهيداً لدخول الاقتصاد الأمريكي في موجة نمو معتدلة بدءاً من عام (2002). لكن الأحداث قلبت كل التوقعات والموازن.

¹Voir Pascal de Lima : « Etats-Unis : la crise de la dette a-t-elle démarré le 11 Septembre ? » . **Le Nouvelle Observateur**, 22/09/2011, : [On- line] <http://www.rue89.com /2013/07/11/ total-depense-millions-entrer-les-cartables-enfants-244117>, Le 22 .07.2013 . 13 : 51 h.

Warwick J Mc Kibbin and Andrew Stoeckel : **The Global Financial Crisis: Causes and Consequences** .working papers in internationale economics november 2009, CAMA, Australian National University & The Brookings Institution, September 2009, p 4.

² هانس بيتر مارتين، هارولد شومان : **فخ العولمة**. العدد 238، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998، ص 7

³ ينظر عبد الله عثمان عبد الله : **أيدولوجيا العولمة (من عولمة السوق إلى تسويق العولمة)**. ط1، دار المدار الإسلامي ، بيروت، 2003، ص 64.

- موقع الأحداث ورمزيتها، التي أرادها لها منفذوها، فمركز برجى التجارة العالمية : احد اكبر المال رموز القوة الاقتصادية الأمريكية، بل العالمية، تم تشييدهما، في بداية السبعينيات بتكلفة قدرت ب (37) مليون دولار، بطول بلغ (400) متر ليرمزا إلى أعلى قمة في العالم، يعمل بهما أكثر من (40) ألف عامل، ويرتادهما أكثر من (50) ألف شخص يوميا من متعاملين وسياح، ويجاوران أحد أكبر بورصات العالم، ويطلان على مركز الأعمال والتجارة في نيويورك، كما تجاورهما العديد من كبريات البنوك الأمريكية، كل هذا انهار في اقل من نصف ساعة.¹ لماذا هما ؟

- أدت الأحداث إلى حدوث ارتباك اقتصادي عالمي، كما أشرت إلى ذلك مواقف الفاعلين الاقتصاديين، ومؤشرات سوق الأسهم العالمية، بعد خراب فروع العديد من الأسواق المالية الدولية، وتضرر شبكات اتصال حيوية كأنظمة المقاصة، وتدخل البنك المركزي الأمريكي لتوفير السيولة مدة أسبوع كامل مخافة النظامي، وبدوره البنك المركزي الأوربي ضخ أكثر من (130) مليار أورو في البنوك الأوربية لتفادي أي كارثة محتملة.²

- مست الأحداث أحد أكثر الاقتصاد العالمية حساسية وتأثيرا في الاقتصاد العالمي، ألا وهو الاقتصادي الأمريكي، فقد تأثرت جميع اقتصاديات العالم بأحداث " سبتمبر "، وما تلاها من حرب أمريكية ضد أفغانستان، ثم العراق، سواء عبر العلاقات الواسعة النطاق للاقتصاد الأمريكي بالاقتصاد العالمي، أو بسبب حالة المخاوف التي سادت العالم في أعقاب هذه الأحداث وتداعياتها وأثرت سلبيا على حركة الاستثمارات والسياحة والطيران ورفعت تكاليف النقل والتأمين عبر العالم، وخلقت بصفة عامة حالة من عدم اليقين بشأن المستقبل، وإحساسا قويا بأن الأزمة قادمة، وهي حالة تؤدي إلى عادة إلى استباق نتائج الأزمة الاقتصادية والتعجيل بحدوثها.³

- صعوبة تقدير خسائر الأحداث اقتصاديا وتداعياتها، إذ إنه عوضا عن الخسائر الملموسة المباشرة؛ فإن العالم قد انشغل لفترة من الوقت في أعقاب الأحداث مباشرة بحساب الخسائر الاقتصادية سواء في ذلك الخسائر التي حدثت بالفعل أو تلك المحتملة، وسواء كان ذلك بالنسبة للاقتصاد الأمريكي أو الاقتصاد العالمي ككل. وفي

¹ Jill Mc Cracken : **History Of The World Trade Center** . [On- line] http://www.911memorial.org/sites/all/files/VII_History, Le 22.07.2013 . 14 : 59 h.

² ينظر الداوي الشيخ : « الأزمة المالية العالمية " انعكاساتها وحلولها " » . المؤتمر الدولي حول : الأزمة المالية العالمية وكيفية علاجها من المنظور الاقتصادي الغربي و الاسلامي، جامعة الجنان، طرابلس، لبنان، 14/13 مارس 2009، ص 08.

³ خالد عبد العظيم : « الصراع على النفوذ في الاوراسيا ». مجلة السياسة الدولية، العدد161، القاهرة، يوليو 2005، ص ص 15-17.

هذا الصدد، كان التقييم الأولي للخسائر التي تكبدتها الولايات المتحدة بنحو (140) مليار دولار ، علاوة بالطبع على قيمة الطائرات التي سقطت والبنية التحتية التي تضررت، إضافة إلى التكلفة التي تكبدها الاقتصاد الأمريكي نتيجة لفرض إجراءات أمنية مشددة، أو نتيجة للعمليات العسكرية في أفغانستان والعراق علاوة بالطبع على قيمة خسائره في الأرواح والكفاءات البشرية التي لا تقدر بثمن.¹

بالإضافة إلى الخسائر الناتجة عن النفقات الأخرى المتعلقة بالعمليات العسكرية اللاحقة، وكانت البورصات العالمية وبالذات الأوروبية هي أول وأكثر من تأثر بأحداث "الثلاثاء الأمريكي" ، وخلال الأسبوع الأول الذي أعقب هذه الأحداث تراجعت كل مؤشرات البورصات في أكبر (15) دولة صناعية متقدمة، باستثناء اليابان التي نهضت بورصتها المتداعية بقوة خلال الأسبوع المذكور.²

هذا ويمكن التأشير على هول الخسائر والتداعيات التي ألحقتها الأحداث بقطاعات المال والأعمال في المؤشرات الآتية :

- الأثر على حركية الاستثمار العالمي :

تشير أحد الدراسات الاقتصادية الطولية أن للنزاعات المسلحة والتوترات الاجتماعية والكوارث المختلفة آثار مهمة في المتغيرات الاقتصادية الرئيسة، ويزداد هذا الأثر ويضعف بقدر قوة ومكانة الحدث ذاته، و من أهم النتائج التي تم أكدتها من خلال تحليل آثار اثنين وعشرين نزاعا مسلحا في العالم ما يأتي:

- تدهور معدلات النمو الاقتصادي.

- انخفاض معدلات الاستثمار.

- زيادة الإنفاق على الدفاع على حساب القطاعات التنموية الأخرى.³

لذا أثرت أحداث الحادي عشر من سبتمبر تأثيرا مباشرا وقويا على حركية النمو الاقتصادي في الولايات المتحدة والعالم بأسره، وزرعت حالة الرعب والخوف الأمني والاقتصادي لدى العديد من الفاعلين، فالجماعات التي قامت بالعمل لاشك أنها كانت تتحرك تحت شبكة من المبادلات المالية الضخمة، والدول

¹ ينظر أيمن محروس : « الآثار الاقتصادية لهجمات 11 سبتمبر » .

[On-line] , 13.03.2013.23:44 h,http://islamtoday.net/files/september11/eo1.html

² أحمد السيد النجار وآخرون: تقرير الاتجاهات الاقتصادية الإستراتيجية لسنة 2002. مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، 2002، ص ص.79-80.

³ الآثار المالية للاضطرابات المسلحة والإرهابية في الدول منخفضة الدخل ، أغسطس 2002م. نقلا أحمد السيد النجار وآخرون: مرجع سابق ، ص 8.

والمؤسسات المالية التي ساندتها أو غفلت عنه، وتشير مؤشرات الاقتصاد العالمي أن الاستثمارات المباشرة وغير المباشرة عبر العالم تأثرت سلبيا بشكل تلقائي على كم من مستوى¹، ويوضح (نيكولا سستين N. Stern) أحد الاقتصاديين في البنك الدولي، أن تدفقات الاستثمارات الخاصة إلى الدول النامية تراجعت بشكل رهيب من (240) مليار دولار سنة (2000) إلى (160) مليار دولار في سنة (2001)، وهذا التراجع الذي بلغ الثلث في عام واحد، هو بلا شك انخفاض ضخم بكل المقاييس،² ولأن الأموال التي لن تخرج من بلدانها للتوطن كاستثمارات مباشرة أو غير مباشرة في بلدان أخرى، قد لا تجد مجالا للتوظيف في بلدانها في ظل نذر الركود المخيمة على اقتصاديات الدول الصناعية المتقدمة وهي المصدر الرئيسي لها، فإنه من المحتمل أن تتزايد الأموال الساخنة التي تتحرك في البورصات وأسواق العملات في الدول المتقدمة وفي بعض الدول النامية التي حررت قطاعها المالي وعملة عملاتها، وبالتالي فإنه من المرجح أن تحدث أزمات في أسواق العملات بالذات في الفترة القادمة نتيجة المضاربات، الساخنة في ظروف انكماشية في الاقتصاد الحقيقي،³ وهو ما تجسد فعلا بعد سنوات في أزمة العالم النقدية لسنة (2008).

وانخفضت تدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر عام (2002) بحوالي (537) مليار دولار، أي ما نسبته (27%) عن مستواها عام (2001)، أرجع المختصون التراجع في الإنفاق الاستثماري في عام (2002) وما بعده إلى عدد من العوامل المتشابكة والتي من أهمها:⁴

✓ سيادة حالة التوتر وعدم اليقين في أوساط المستثمرين الناتجة عن أحداث الحادي عشر من سبتمبر وتأثيرها في إلغاء أو تأجيل اتخاذ الكثير من القرارات الاستثمارية.

✓ الضعف المستمر في الاقتصاد الأمريكي وفي الاقتصاديات الأجنبية.

¹ ينظر تقارير إحصاءات البنك الدولي حول الفترة كما نشرها :

The International Bank : **Global Development Finance, Financing The Poorest Countries (Analysis And Summary Tables)**. World Bank Photo Library, Washington, 2002.p 7.

² The International Bank : **La Pauvreté En Augmentation Au Lendemain Des Attentats Terroristes Aux Etats-Unis.** : [On- line] [http://web.worldbank.org/wbsite/ external.html](http://web.worldbank.org/wbsite/external.html) , le 23.07.2013 . 15 : 22 h .

³ دون توقيع : « انعكاسات اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر على الشركات العالمية الكبرى » . صحيفة الشرق الأوسط ، 2001 . 11/5، العدد 8418، ص 9 .

⁴ ينظر أيمن محروس : مرجع سابق، ص 8.

✓ التراجع في عمليات الاندماج وال شراء في مختلف أنحاء العالم.

✓ تباطؤ النمو الاقتصادي العالمي.

✓ تراجع أسعار الأسهم في الأسواق المالية العالمية.

✓ التراجع في خطط التوسع في الاستثمارات القائمة.

وتجدر الإشارة إلى أن إجمالي قيمة الاستثمارات الأجنبية المباشرة في العالم كله بدوله المتقدمة والنامية بعد ارتفاعها سنة (1999) ، وتراجعت في الأعوام الثلاثة للأحداث (2001/2002/2003) إلى أدنى مستوياتها، خاصة مع تزايد ظل مناخ الركود والأجواء غير المواتية لحركة الاستثمارات المباشرة وغير المباشرة عبر بلدان العالم بعد أحداث سبتمبر والحرب الأمريكية ضد أفغانستان.¹

وفي سوق الأسهم تراجعت أسعار الأسهم والمؤشرات المعبرة عنها في البورصات الصاعدة في الدول النامية والصناعية الجديدة باستثناء كوريا الجنوبية وهونج كونج، والتشيك والمجر، لكن كوريا وهونج كونج وروسيا دخلت دوامة التراجع بجدة في الأسبوع التالي للأحداث، بينما حافظت التشيك والمجر على الاتجاه الصعودي المخالف للاتجاه السائد عالميا، وبعد مرور شهرين بين على أحداث سبتمبر كانت كل المؤشرات المعبرة عن حركة أسعار الأسهم في بورصات الدول الرأسمالية الصناعية المتقدمة أدنى بنسب متفاوتة. ولكنها كبيرة بالمقارنة بمستواها قبل الأحداث، لكن من الضروري التأكيد على أن التراجع في البورصات هو تراجع دفترى رغم أنه يعد مؤشرا على حالة غير إيجابية في الاقتصاد، خاصة إذا استمر لفترة طويلة، لكن التراجع في البورصات لا يتحول إلى خسارة اقتصادية حقيقية إلا عندما يؤدي إلى الإضرار بالاقتصاد العيني سواء بخفض مستوى التشغيل فيه أو بإهتبار بعض المشروعات بكل ما يعينه ذلك من تفاصيل.²

2- التجارة والتجارة الإلكترونية :

تأثرت حركة التجارة السلعية الدولية بشكل سلبي من جراء الأجواء المضطربة التي خلفتها أحداث سبتمبر وبخاصة تعطل جانب من التجارة بين الولايات المتحدة والعالم وتقلص الطلبات الأمريكية على الواردات في ظل أجواء الركود التي خيمت على الاقتصاد الأمريكي، كما أن ارتفاع تكاليف النقل والتأمين

¹ The International Bank :Global Development Finance, Financing The Poorest Countries (Analysis And Summary Tables). Op Cite. P 22.

² ينظر أحمد السيد النجار : « آثار الأزمة الأمريكية على اقتصاد العالم » . الأهرام الرقمي ، 01 يناير 2002، <http://www.mokarabat.com/m5.6-7.htm> , Le 27 h.24[On- line] . 07.2013 . 00 :

على حركة صادرات السلع خلقت بدورها عاملا كاجبا لنمو التجارة السلعية الدولية،¹ وقد أشارت بيانات صندوق النقد الدولي في تقريره عن الاقتصاد العالمي الذي صدر في أول أكتوبر (2001)، إلى أن قيمة التجارة السلعية الدولية (2001) تراجمت بمقدار (25) مليار دولار مقارنة بقيمتها عام (2000)، بما يعنى انخفاضا بنسبة (0.4%)، ومع تخفيض الصندوق لتقديراته بالنسبة للنمو الاقتصادي العالمي، فإن قيمة التجارة الدولية تراجمت بنسبة أكبر من النسبة المذكورة أعلاه في السنوات اللاحقة، وذلك بسبب التباطؤ الرهيب على الطلب في أوروبا الغربية، وركود الواردات في الولايات المتحدة، وتراجع التجارة مع الشرق، خاصة تراجع الإنتاج والاستثمار في تكنولوجيا المعلومات و الصناعة عبر جميع أنحاء العالم، مع ارتفاع معدلات التضخم في جميع مناطق الاقتصاد العالمي الرئيسية.²

أما التجارة الإلكترونية لكونها تعتمد على الطرود البريدية بشكل أساسي، فقد كان لتداعيات ما سمي بالجمرة الخبيثة الأثر البالغ على هذه الأخيرة، خاصة و أن الغالبية الساحقة منها تتم في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي التي جرت على أرضها غالب هجمات بكتريا الجمرة الخبيثة، وساهمت الدعاية الإعلامية في الترويج لهذا الخطر الجديد والذي من المرجح أن يكون صنيع الجماعات اليمينية المتطرفة في الولايات المتحدة، وخارجها، وجماعة القاعدة على وجه الخصوص، ولذلك شهدت التجارة الإلكترونية أزمة كبيرة، ليس بسبب هجمات سبتمبر فحسب، بل بسبب تعدد وتنوع الهجمات الداخلية في أمريكا بالجمرة الخبيثة عبر الخطابات والطرود، ومن جانبه يبين (حسام عبد الهادي) رئيس مجلس إدارة " الشركة العربية للتجارة " أن انتشار بكتيريا الجمرة الخبيثة أضر كثيرا بخدمة التجارة الإلكترونية على مستوى العالم لدرجة أن شركات مثل أمازون كوم و« باي » اللتين تعتمدان بشكل أساسي على مكاتب البريد في تحريك الطرود عبر العالم تواجهان حالة من التوقف بسبب هذه الأزمة، كما أن العديد من المتسوقين عبر الانترنت أصبحت لديهم مخاوف من تسلم أية بضائع عبر البريد، ويؤكد أن العديد من الشركات التي تعمل في مجال الخدمات البريدية في كافة أنحاء العالم كشفت عن أن معظم عملائها يرفضون حاليا تلقي أية مراسلات بريدية، ويطالبون بأن تكون عبر

¹ Daniel Drache : « les relation canado-américaine est les commerce a la frontière dans une ère du sécurité » . colloque la sécurité transfrontalier Canada/Etats-Unis : Que Nous Réserverent Les Quatre Prochaines Années ? . Institut D'études Internationales De Montréal , Montréal, 12 Novembre 2004, P 03.

² The World Trade Organization : **International Trade statistiques 2001**. World Trade Organization, Geneva, 2001, P 17.

الفاكس أو البريد الإلكتروني. ويرى (طارق كامل) عضو مجلس إدارة الجمعية الدولية للإنترنت أن التجارة الإلكترونية على مستوى العالم ككل تواجه مجموعة من التحديات يأتي على رأسها ظهور مرض " الحمرة الخبيثة "، وهو الخطر الذي عطل كثيرا وأعاق تجارة الإنترنت، وذلك لحالة الخوف الشديد من أي رسالة أو طرد مغلق في جميع أنحاء العالم، وهذا يعني أن الخطوة النهائية والمتمثلة في توصيل السلع العينية قد توقفت مما يؤثر بشكل واضح على بقية العملية التجارية عبر البوابة الإلكترونية،¹ وحدير بالذكر أن هناك اختلافات هائلة بشأن البيانات الخاصة بحجم هذه التجارة بحيث يصعب الأخذ بأي منها، فبينما قدرت منظمة الاونكتاد (مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية) قيمة هذه التجارة بنحو (377) مليار دولار عام (2000)، فإن مؤسسات أخرى تخفض الرقم إلى اقل من (100) مليار دولار . وأيا كان الأمر، فإن تراجع التجارة الإلكترونية قد بدا واضحا بعد الأحداث²، وظل كذلك حتى سنة (2008) وهي التي شهدت أعنف أزمة مالية ضربت العالم بعد الأحداث .

- الأثر على شركات الطيران وقطاع التأمين : أفرزت أحداث الحادي عشر من سبتمبر التي تم تحويل الطائرات فيها إلى "قنابل" لتدمير أهداف ضخمة، حالة حقيقية من الخوف من السفر بالطيران، فضلا عن دعوة الحكومة الأمريكية لمواطنيها لعدم السفر لأي مكان خارج الولايات المتحدة لمدة ثلاثة أشهر منذ وقوع الأحداث، ونتيجة لهذا الخوف تراجعت أعداد المسافرين بالطائرات بشكل مؤثر خاصة في الولايات المتحدة التي شهدت أكبر خسائر لها في هذا المجال، وقد أدى ذلك بشكل فوري إلى حدوث أزمة في شركات الطيران والخدمات المرتبطة بها على مستوى العالم، فشركات الطيران الأمريكية سرحت ما يقابل (20 في المائة من القوة العاملة) حوالي (95.000) ألف عامل، وأعلنت شركة "أمريكان إيرلاينز American Airlines" التي تعد شركة الطيران المدني الأولى في العالم إلغاء سبعة آلاف وظيفة وخفض أسطولها الجوي، بحلول نهاية (2002) أعلنت شركتا طيران عملاقان وهما "يو أس إيروايز US Airways" و"يونايتد إيرلاينز United Airlines" إفلاسهما، وتعد شركة "يو أس إيروايز US Airways" سابع شركة طيران أمريكية، كما أنها

¹ ينظر ممدوح عبد الرؤوف : « التجارة الإلكترونية تواجه خسائر فادحة بسبب الحمرة الخبيثة والفاكس والبريد الإلكتروني أكثر القطاعات ازدهارا » . جريدة الشرق الأوسط . 27 أكتوبر 2001 م،

[On- line] <http://www.mafhoum.com/press2/68T42.htm>, Le 25.07.2013 . 05 : 52 h.

² أحمد السيد النجار : مرجع سابق .

تشغل رقم (14) في قائمة كبرى شركات الطيران العالمية وتخدم أكثر من (200) موقع داخل الولايات المتحدة.¹ وكذلك شركات الخدمات وشركات التصنيع ، هذه الأخيرة التي سرحت (18.000) ألف عامل.² وفي أوروبا أعلنت الخطوط الجوية عن إلغاء (30.000) ألف وظيفة أي بنسبة (10 %) من العاملين،³ وكانت الضحية الأولى هي شركة الطيران السويسرية " سويس آير Swissair " التي كانت تعاني أصلا من أزمة ومن ديون بلغت نحو (10.5) مليار دولار قبل الأزمة التي فاقمت من مشاكل الشركة سريعا بشكل اضطررها لإيقاف رحلاتها وعندما حدث هذا الإيقاف، انهارت أسهمها فاقدة نحو (97 %) من قيمتها قبل الأزمة.⁴

ولأن " سويس آير Swissair " تملك (49.5 %) من أسهم شركة الخطوط الجوية البلجيكية " ساينا Sabina ، فإن الأخيرة تأثرت سلبيا من انهيارها، فاضطرت إلى اعتماد خطة طوارئ لتتقذ نفسها من الانهيار، وهي خطة قامت على إعادة تركيز نشاط الشركة في أوروبا مع الاستغناء عن (1400) موظف، وقد قدمت الحكومة السويسرية فيما بعد مساعدات مالية كبيرة لشركة " سويس آير Swissair " لإنقاذها من الانهيار النهائي، أما شركة " بريتش أيروايز British Airways " وهي أكبر شركة طيران أوروبية، فإن التقديرات أشارت إلى أنها خسرت نحو (326) مليون جنيه إسترليني في عام (2002) وهي الخسائر الأسوأ بالنسبة لهذه الشركة والخسارة الأولى لها منذ خصخصتها سنة (1986)، وقد بدأت الشركة في تنفيذ خطة لمواجهة الأزمة، وقامت بالفعل بالاستغناء عن (7) آلاف موظف وأوقفت (20) طائرة عن الطيران . كذلك خفضت شركة " لوفتهانزا Lufthansa " الألمانية رحلاتها إلى أمريكا الشمالية بعد هجمات سبتمبر.⁵

¹ ينظر خالد بن عبد الرحمن المشعل و عبد الله بن سليمان الباحث : « الآثار الاقتصادية للإرهاب الدولي : مع التركيز على أحداث الحادي عشر من سبتمبر » : المؤتمر العالمي حول موقف الاسلام من الإرهاب، كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 03/02/01 ربيع الأول 1425 الموافق 22/21/20 أبريل 2004، ص ص 14-15.

² Organisation Internationale Du Travail: **L'aviation civile : un monde du travail en mutation.** Publication O I T , département des activités sectorielles, bureau international du Travail, Genève 2013.p 4.

³ Ibid.

⁴ فارس عبيدة : « تداعيات أحداث الحادي عشر من أيلول 2001 » . العدد 21، مجلة الدراسات شرق أوسطية، 2002. ص 88.

⁵ Gabi Logan : « The Effects of 9/11 on the Airline Industry » . **USA Today** , [On- line] <http://traveltips.usatoday.com/effects-911-airline-industry-63890.html>, Le 25.07.2013. 14h.

وقد ساهمت سياسات الإصلاح التي انتهجتها غالب مؤسسات التأمين بعد الأحداث، بفعل أنها كانت الخاسر الأكبر، في مفاومة أزمة شركات الطيران في مختلف بلدان العالم، حيث قلصت شركات التأمين التغطية التأمينية لتصبح (50) مليون دولار كحد أقصى في حالة الحرب أو في العمليات الإرهابية وذلك لتغطية حالات الوفاة أو الإصابة على الأرض لشركات الطيران المعرضة لخطر كبير، وإضافة لما سبق فإن شركات التأمين وإعادة التأمين قامت برفع قيمة التأمين على النقل وبالذات النقل الجوي، كما رفعت قيمة التأمين على صادرات الدول المحيطة بأفغانستان، وذلك بعد أن منيت هذه الشركات بخسائر كبيرة بسبب هجمات سبتمبر. وقد خسرت أكبر، شركتين لإعادة التأمين في العالم "ميونخري Meonchri"، "وسويسري Swiss".

بالترتيب نحو (1.2/1.4) مليار يورو على ضوء الالتزامات التي ترتبت عليهما بسبب أحداث سبتمبر.¹ أما عن الشركات العالمية الكبرى : ففي الفترة سنة واحدة من بعد الأحداث، انهارت وأفلست مجموعة كبيرة من الشركات العالمية الكبرى - والتي غالبها مستقر في الولايات المتحدة رغم عالمية خدماتها -، قدرت بـ (60) ألف شركة وقد تم تسريح ما لا يقل عن (140) ألف عامل أمريكي في الفترة نفسها، ومن ذلك : - أعلنت شركة البرامج " برجرين سيستمز Ryan Berg Systems " الأمريكية إفلاسها، وتقدمت بطلب إلى السلطات الأمريكية لحمايتها من الدائنين، وقد سجلت حالات الإفلاس في الولايات المتحدة في الفترة التي أعقبت الأحداث رقما قياسيا في النصف الأول من سنة (2002)، وأدى إلى وضع أصول قيمتها (260) مليار دولار تحت الحراسة القضائية لسلطات الإفلاس والتصفية، وبلغ عدد الشركات المسجلة في بورصة نيويورك التي أشهرت إفلاسها خلال الستة أشهر التالية للأحداث (255) شركة.² - إفلاس شركة " إنرون Enron " الأمريكية النفطية العملاقة بعد سلسلة من الفضائح الحاسبية.

- تقدمت شركة " وورلد كوم World Com " الأمريكية للاتصالات بطلب رسمي إلى المحكمة لإعلان إفلاسها لتصبح بذلك أكبر عملية إفلاس في التاريخ الأمريكي، متجاوزة بذلك فضيحة إفلاس شركة " إنرون Enron " لخدمات الطاقة، وأعلنت مجموعة " كاربت جولف Tapis Golf " الكندية لصناعة أرضيات ملاعب الجولف عن تقديم الشركة التابعة لها في الولايات المتحدة الأمريكية والمعروفة باسم " كاربت إنك

¹Pierre Tabatoni : « Note sur l'économie du terrorisme, après les attentats du 11 septembre 2001 » . **Forum international sur la Paix et de la Sécurité Internationale " Après le 11 septembre 2001"** . Académie des Sciences morales et politiques, Monaco, 8 mars 2002, pp 4-7.

² ينظر خالد بن عبد الرحمن المشعل و عبد الله بن سليمان الباحث : مرجع سابق، ص ص 15-16.

Tapis Inc. " طلبا إلى السلطات الأمريكية لإعلان إفلاسها وحمايتها من الدائنين. كما تقدمت شركة " ميديكال ليندر Medical Leander " الأمريكية للخدمات المالية للمؤسسات الصحية بطلب إلى السلطات الأمريكية لإعلان إفلاسها.¹

ومن أهم الآثار الاقتصادية التي نجمت عن مسلسل الإفلاس ما يأتي :
أولا : انخفاض سعر الدولار أمام العملات الأجنبية.

ثانيا : التراجع الحاد في أسعار الأوراق المالية في البورصات العالمية.

ثالثا : فقد عدد كبير من المستثمرين ثقتهم في الاقتصاد الأمريكي .

رابعا : اتجاه البطالة نحو التزايد بسبب إفلاس بعض الشركات وتقليص حجم الأعمال في البعض الآخر، فطبقا لأحدث البيانات ارتفعت البطالة في أمريكا لتسجل أعلى مستوى لها منذ أكثر من سبع سنوات.

خامسا: أن كثيرا من البنوك المركزية بدأت تعيد النظر في اقتناء المعدن الأصفر "الذهب" إلى خزائنها كاحتياطي بعد التحلي عن هذه السياسة في السبعينيات من القرن الماضي.²

- الأثر على الميزانية العامة وميزان المدفوعات : عانت معظم دول العالم من الأوضاع الاقتصادية الصعبة التي مر بها الاقتصاد العالمي خلال العام (2001) نتيجة لاحتلال الاستقرار السياسي والاقتصادي الدولي، فقد سجلت معدلات العجز في الميزانية العامة للعديد من الدول زيادات، تفاوتت نسبتها بحسب الوضع الاقتصادي للدول، خلال العام (2002)، و ذلك تقرير صندوق النقد الدولي³ الآتي :

✓ دول الاقتصاديات المتقدمة الرئيسة بلغ عجز الميزانية عام (2002) (7.3 %) كنسبة من الناتج الإجمالي المحلي مقارنة بعجز بلغ (2,00 %) سنة (2001).

✓ دول الاتحاد الأوروبي بلغ عجز الميزانية عام (2002) (1,9 %) كنسبة من الناتج الإجمالي المحلي مقارنة بعجز بلغ (1,00 %) سنة (2001).

✓ منطقة اليورو بلغ عجز الميزانية عام (2002) (2,2 %) كنسبة من الناتج الإجمالي المحلي مقارنة بعجز بلغ (1,5 %) سنة (2001).

- الأثر على السياحة : بعد أسبوع واحد من أحداث الحادي عشر من سبتمبر أعلن (فرانسيسكو فرانجيايالي F. Frangialli) سكرتير عام منظمة السياحة العالمية أن صناعة السياحة تمر بأسوأ أزمة منذ حرب

¹ ينظر المرجع نفسه، ص ص 15 .

² خالد بن عبد الرحمن المشعل و عبد الله بن سليمان الباحث : مرجع سابق، ص 16.

³ International Monetary Fund : **World economic outlook (Growth and Institutions)**. Library of Congress, Washington, 2003, pp 12-15.

الخليج بسبب هجمات الحادي عشر من سبتمبر، مشيراً إلى أن هذه الصناعة تقوم على السلامة والأمن الشخصيين والماليين للسياح، وأن تلك الهجمات قد هددت هذين العاملين معاً،¹ فالسياحة في الغالب تتعلق بقضاء جزء من وقت الفراغ والاستجمام وتغيير الأجواء، وليست من أجل أداء عمل أو قضاء مهمة، وحساسية هذا القطاع الذي يشكل نسبة لا يستهان بها من الدخل العالمي، جعلت مؤشر الإحصاءات عقب الأحداث يؤثر إلى انخفاض غير مسبوق في الطالب العالمي على السياحة بنسبة (7.4 %) وذلك سنتي (2001 / 2002)، وأعقبها ركود شبه كامل في قطاع السياحة والأنشطة المرتبطة به، من شركات الطيران، الفنادق، وكالات الأسفار، تأجير السيارات، وشركات بطاقات الائتمان عالمياً، وخلق هذا الركود انخفاض بنسبة (1.7 %) من الناتج المحلي الإجمالي للاقتصاد العالمي،² كما نتج عن هذه الخسائر بطالة أكثر من عشرة ملايين موظف على المستوى العالمي في قطاع السياحة،³ حتى وصف " المجلس الوطني الفرنسي للسياحة (CNFT) " المرحلة بالشيخوخة لما شهدته من خسائر فادحة ألت بالقطاع، وركود غير مسبوق بفعل الأحداث، تفوق كثيراً ما خسرتة السياحة إبان حرب الخليج الثانية عام (1991).⁴

وتشير مؤشرات الإحصاء عقب الأحداث إلى تراجع أعداد السياح الذين يتوجهون إلى مختلف بلدان العالم، ففي فرنسا انخفض عدد السياح القادمين من أمريكا الشمالية بنسبة (50 %) منذ وقوع أحداث سبتمبر وحتى منتصف شهر أكتوبر الذي يليه، وانخفضت أعداد السياح اليابانيين الذين ذهبوا إلى فرنسا بنسبة (25 %) في الفترة ذاتها بالمقارنة بنظيرتها سنة (2000)، وفي أسبانيا تراجعت حركة الحجز في الفنادق بنسبة (30 %) منذ وقوع الأحداث وحتى نهاية الأسبوعين الأولين من أكتوبر مقارنة بالفترة المناظرة سنة (2000) وكما هو واضح فإن السياحة تأثرت في مناطق مختلفة من العالم سواء للمخاوف من الذهاب إلى بلدان بعينها في ظل تضخيم الإعلام الغربي للمخاطر التي يمكن أن تحدث فيها، أو للمخاوف من الطيران.⁵

¹ ينظر أحمد السيد النجار : مرجع سابق .

² James Parrott : **Economic Impact of the September 11 World Trade Center Attack** . Prepared for the New York City Central Labor Council and the Consortium for Worker Education, Fiscal Policy Institute, New York, 2001, p3.

³ ينظر خالد بن عبد الرحمن المشعل و عبد الله بن سليمان الباحث : مرجع سابق، ص ص 17 .

⁴ François Soulage : **Le tourisme à l'âge de la retraite** . Conseil national Du Tourisme, La République française, 2001.p4.

⁵ احمد السيد النجار وآخرون: مرجع سابق .

- **الاقتصاديات العربية والإسلامية بعد أحداث سبتمبر** : نفذت أحداث الحادي عشر من سبتمبر بأدوات عربية إسلامية - منفذوها -، والعالمين العربي والإسلامي في أسوء حالتها،¹ فغالبا الأنظمة العربية والإسلامية تعيش - مع بعض التفاوت النسبي - عكس تيار العالمية إلا فيما ندر، والجمهوريات فيها تساوت إلى حد بعيد مع الممالك وأضحت أنظمة وراثية مكرسة لكل أشكال الاستبداد والتخلف وقهر الشعوب، وغدت من دون سائر أقطار المعمورة الأقطار الوحيدة التي تخاف التغيير، حتى أن التغيرات التي حدثت بقدر قادر، وبعد مقاومة طويلة - قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر على غرار التحول الديمقراطي في الجزائر، وبعد الأحداث على غرار ما سمي بثورات الربيع العربي - لم تحقق الهدف المنشود بل زادت الطين بلة والمشهد تأخرا وظلامية، ومدت الأنظمة الحاكمة سلطة أكبر لحماية الفساد، ومقاومة التغيير،² واقتصادياتها في غالبها تابعة، وضعيفة في أداءاتها كما ونوعا، وتميز بافتقارها لأي سياسة نقدية، وانخفاض رصيد رأس مالها البشري والعمالة الفنية، وعدم توافر البنية الأساسية، وارتفاع مستويات الدين الخارجي، وضعف جانب العرض، بالإضافة إلى اعتماد هذه الدول على سلعة أو سلعتين في التصدير، إذا ما استثنينا بعض الدول الشرقية كاندونيسيا وماليزيا سنغافورة، أو تركيا أما بقي الدول فهي في خانة الدول النامية، بل إن منها (21) دولة تدخل في دائرة الدول الأقل نموا في العالم، هذا ما يجعلها في واقع الأمر تواجه أوضاعا بالغة الصعوبة، ضاعفت من حدة التداعيات السلبية لأحداث الحادي عشر من سبتمبر على الاقتصاديات العربية والإسلامية، وبخاصة استقرار البيئة الاقتصادية الكلية في هذه الدول التي تحولت العديد من أراضيها إلى ميادين وساحات للحروب أو قواعد خلفية لها، وقد ساهمت هذه التحولات في تعقيد الانعكاسات الاقتصادية للأحداث على العالمين العربي والإسلامي، خصوصا أن الولايات المتحدة أصبحت أكثر عدائية وتشددا تجاه أي مسعى من قبل الدولي المصدر للنفط لرفع أسعاره، وعموما تعتبر الدول العربية من بين الأكثر تأثرا من الناحية الاقتصادية بأحداث الحادي عشر من سبتمبر، وذلك انطلاقا من اعتبارات عدة، أهمها الدور المحوري الذي يلعبه الاقتصاد الأمريكي في العالم أولا، ثم العلاقات الإستراتيجية بين الدول العربية والولايات المتحدة خصوصا في المجال الاقتصادي ثانيا، إذا ما أضيف لها سياق الأحداث التي جاءت في وقت تعان فيه غالب الدول العربية والإسلامية من أوضاع اقتصادية صعبة بسبب تراجع أسعار النفط، وزيادة معدلات العجز في الميزانيات العامة، وارتفاع

¹ علي خليفة الكواري وآخرون : انعكاسات الحادي عشر من سبتمبر على منطقة الخليج العربي . منتدى التنمية، اللقاء التخصصي الثالث (6-17 ماي 2002)، دبي، الإمارات العربية المتحدة، 2002، ص 136.

² أحمد السيد النجار وآخرون: مرجع سبق ذكره.

معدلات البطالة، وحدوث زيادة ملحوظة في معدلات النمو السكاني، فضلا عن زيادة الأعباء المالية الملقاة على عاتق هذه الدول. كما أن فشل هذه الدول في ترشيد الإنفاق خلال فترات الطفرة النفطية وتنويع مصادر الدخل وما رافق ذلك من هدر للمال العام، وارتفاع معدلات الإنفاق على التسلح، كل ذلك ساهم في إيجاد أوضاع اقتصادية صعبة، تنوعت مظاهرها من عجز الميزانيات، وارتفاع الديون الداخلية والخارجية، وتدني معدلات النمو وضعف محدودية القطاع المالي، وتدني مستوى الاستثمارات الخارجية، وارتفاع معدلات البطالة

1 .

لقد أدت أحداث الحادي عشر من سبتمبر إلى زيادة المخاوف بشأن المستقبل، كما ولدت إحساسا قويا مفاده أن الأزمة قادمة خصوصا بعد قيام الولايات المتحدة الأمريكية بشن أولى حروب القرن في أفغانستان وتأكيد إصرارها أن الحرب على الإرهاب ستكون طويلة وستشمل أطرافا كثيرة أخرى في العالم. وقد أدت هذه الأجواء إلى حالة من الاستباق لنتائج الأزمة الاقتصادية والتعجيل بحدوثها، ونتيجة لهذا الركود والتباطؤ الاقتصادي وتراجع معدلات النمو في معظم دول العالم، كان من الطبيعي أن ينخفض الطلب على النفط وان تراجع أسعاره حيث هبطت إلى أدنى مستوياتها، ومن المؤكد أن هذا التدهور للأسعار له آثاره الخطيرة على الاقتصادات العربية والإسلامية، حيث يترتب عليه تراجع عائداتها المالية، مما يؤثر سلبا على قدرتها على تلبية متطلبات تمويل خططها التنموية وبرامجها الاجتماعية، ويزيد من عجز ميزانياتها العامة، مما يؤدي إلى ارتفاع معدلات مديونيتها الداخلية والخارجية ... ما يهدد أمنها واستقرارها السياسي والاجتماعي.²

وتشير مؤشرات السياحة والطيران - على سبيل المثال لا الحصر - أن القطاع لحق به تدهورا شديدا في حجم إيراداته على دول مثل تركيا، مصر، سوريا، لبنان والأردن وذلك كنتيجة طبيعية لزيادة المخاطر السياسية والأمنية في المنطقة، وهو ما مثل تهديدا خطيرا لمصدر مهم من مصادر الدخل القومي الإسلامي والعربي، خصوصا أن الدخل المباشر وغير المباشر الذي تدره صناعة السياحة على الاقتصادات العربية بلغ نحو من (60 مليار دولار سنويا، أي ما يعادل نصف قيمة العوائد النفطية، وقد قدرت الخسائر الإجمالية لشركات الطيران في (16) دولة عربية بما يتراوح بين (500) مليون إلى مليار دولار خلال الفترة من (2001) إلى (2002).³

¹ خالد بن عبد الرحمن المشعل و عبد الله بن سليمان الباحث : مرجع سابق، ص ص 17-21 .

² علي خليفة الكواري وآخرون : مرجع سابق، ص ص 213-214.

³ خالد بن عبد الرحمن المشعل و عبد الله بن سليمان الباحث : مرجع سابق، ص ص 17-21 .

أما التجارة الخارجية العربية فتأثرت هي الأخرى حركتها تأثراً ملحوظاً بسبب ارتفاع تكاليف التأمين والشحن والتعقيدات الجمركية بعد الحادي عشر من سبتمبر، وهو ما أدى إلى انخفاض أسعار النفط إلى جانب تأثير الركود الاقتصادي الأمريكي، وانخفاض سعر صرف الدولار مقابل العملات الأخرى.¹

وتشير التقديرات أن قيمة التراجع في حركية التجارة العربية بلغت نسبة (8.1%) خلال سنة (2001) لتبلغ (336.1)، كما أن انخفاض الدولار أمام اليورو أدى إلى تآكل القدرة الشرائية للحصيلة الدولارية العربية مع الوضع في الاعتبار أن العملات العربية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالدولار².

ويبقى في الأخير الإشارة إلى أن التداعيات السلبية لأحداث الحادي عشر من سبتمبر وغيرها من الأحداث الكبرى التي هزت ولا زالت تهمز العالم تحتم على الدول العربية والإسلامية وضع استراتيجيات تساعد على المحافظة على الثروة النفطية التي لا تزال إلى اليوم تشكل عائداتها لدولة مثل الجزائر (90%) من الصادرات ونحو (75%) من مجموع الإيرادات العامة، مع ضرورة تنويع مصادر الدخل وتقليل الاعتماد على النفط، وتشجيع المواطنين على المشاركة الفعالة في عملية البناء والتنمية، والتقليل من اتكالهم المفرط على الدولة في مجالات التعليم والصحة والسلع والخدمات، مع ضرورة السعي لبناء سوق عربية وإسلامية مشتركة، والانفتاح على الأسواق العالمية الجديدة الصاعدة في العالم، ووضع المخططات الاقتصادية بعيدة المدى وتحسين مناخ الاستثمار من خلال شبكة العلاقات والأنظمة والقوانين السائدة. كما ينبغي المضي في تفعيل استراتيجيات العمل العربي والإسلامي المتكامل، وتشجيع الصناعة والسياحة البنينة والعالمية، وتحديث هياكل ونظم وأساليب إدارة الاقتصاديات الوطنية، مع ضرورة التوجه نحو الاستثمار في اقتصاد المعرفة للنهوض بهذا العالم.

¹ فارس عبيدة : مرجع سابق .

² علي خليفة الكواري وآخرون : مرجع سابق، ص ص 214-217.

الفصل الرابع

الإسلام في الإعلام الغربي قبل وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر .

(مقاربة في ميلاد وتطور صورة الإسلام في الإعلامي الغربي)

1-4 الشرق والغرب تجاذبات المد والجزر، وميلاد المركزية الغربية.

2-4 مؤسسات الاستشراق والسياسة الاستعمارية الغربية لبلاد العرب والمسلمين .

3-4 صورة الإسلام والمسلمين في التراث المسيحي الغربي.

4-4 صورة الإسلام والمسلمين في المناهج والكتب الدراسية الغربية.

5-4 صورة الإسلام في الإعلام الغربي قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر

6-4 صورة الإسلام في وسائل الإعلام الغربية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر .

7-4 سبل تجاوز الصور النمطية عن الإسلام والمسلمين، وتصحيحها.

4-1 الشرق والغرب (تجاذبات المد والجزر، وميلاد المركزية الغربية).

4-1-1 بدايات الشرق والغرب.

يتوجب بداية علينا ضبط المقصود بمصطلحي " الشرق والغرب "، ذلك أن لكل منهما دلالاته الجغرافية والإيديولوجية والتاريخية والحضارية التي تميزه عن الآخر، لذا مقابلة مصطلحا " الشرق والغرب"، ليس تعبيراً سليماً ودقيقاً من الناحية الموضوعية، ففي ظل خطاب الواقع المعاصر كلمة " الشرق " أدناه أو أوسطه أو أقصاه لا يمكن أن تدل على شيء، إلا إذا تم التسليم مسبقاً على أن أوروبا هي مركز العالم، وهذا في حد ذاته وصف غير محايد، يستبطن ويحتزل مسيرة طويلة من أحداث التاريخ الإنساني التي توجت بجعل أوروبا مركزاً للعالم وباقي الدول والحضارات أطرافاً دنياً ووسطى وقصى وغيرها، من هذا المنظور كانت المواجهة بين " الشرق والغرب"، منذ فجر التأريخ الإنساني المدون.

إن مفهوم الشرق والغرب كما يشير إلى ذلك (محمد أركون)، تحرفاً عن معناهما الجغرافي بعيد جداً تجاه معنى جديد ثقافي وأيديولوجي غير مرتبط بمنطقة جغرافية معينة كما كان عليه الحال في السابق،¹ وبدأ هذا التحريف منذ نهاية القرن الخامس، بالضبط سنة (1492)، كما تعتقد التونسية (صوفي بسيس) على أنها سنة التأسيس لميلاد الغرب، سنة اكتشاف أميركا وطرد المسلمين واليهود من إسبانيا، وهذا تحديد للمفهوم تم على أسس مرجعية يونانية-رومانية مع إقصاء كل المصادر الشرقية أو غير المسيحية الأخرى (مصرية، يهودية، هندية، إسلامية، وغيرها) للحضارة الأوروبية، ليؤول شيئاً فشيئاً عبر قرون إلى الشكل الذي آل إليه الآن بدءاً من القرن السادس عشر، وهذا التأريخ بقدر ما يمكن أن يتضمنه من صحة، فإن الدراسة لا تسلم بهذا التبسيط والاحتزال مطلقاً، ذلك أن جذور مسألة " الشرق والغرب"، أعمق وأعقد من ذلك.²

¹ Mohamed Arkoun : **Humanisme et islam combats et proposition** . librairie philosophique. J. Vrin, Paris, France , 2005, pp 8 - 12.

² صوفي بسيس : الغرب والآخرين قصة هيمنة . (تر) نبيل سعد، ط2، كتب عربية، القاهرة، 2002، ص 15.

ومقصود " الغرب " ¹ في الدراسة هو ذلك الحيز من البلدان والحكومات التي تلتزم منظومة القيم ذات الخلفية المسيحية أو اليهودية ديانة - في الغالب - وبالنمط الديمقراطي سياسية والليبرالي اقتصادا، والساعية نحو إرادة الهيمنة والسيطرة على العالم، من خلال هيئات ومؤسسات ومجموعات كبار يتحكمون في رسم صورة العالم ومصيره، بقيادة الولايات المتحدة واليابان وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وبريطانيا وكندا، ليتمدد إلى بعد ذلك إلى كل دول الاتحاد الأوروبي، وأوروبا الشرقية، وأستراليا، مشكلون إمبراطورية العولمة الأميركية التي وسعت من مفهوم "الغرب" ليصبح مرادفا لما يسمى اليوم "بالمجتمع الدولي" و"دول التحالف". مقابل "الشرق" الذي اختزل لأسباب وأخرى قصرا في العالم العربي والإسلامي، في جغرافيته وتاريخه وقيمه ولغته وحضارته التي تميزت بصبغة الإسلام، وبالتالي طبيعة العلاقة التي سادت بينهما حربا وسلما، أخذوا وعطاء منذ البدايات الأولى لبروز الإسلام بالجزيرة العربية.

إذ بظهور الإسلام وانطلاق العرب تحت لوائه بدا عصر جديد بين " الشرق والغرب"، دون أن يتوقع احد أن حقبة من أهم حقب التاريخ الإنساني بدأت ترتسم ملامحها، وتشكل معالمها وحدودها القوية الفاصلة، ولعل كتابات النبي صلى الله عليه وسلم ورسائله الدعوية إلى ملوك فارس والروم وغيرهم، التي شكلت ديباجتها الشهيرة كما هي إلى هرقل عظيم الروم آنذاك : "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرْقَلِ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ ، أَسْلِمْ تَسْلِمَ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ وَيَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ " ².

¹ من المهم بداية أن نشير على أن الغرب ليس كيانا واحدا فيما يتعلق بالسياسات وطبائع الشعوب، ومواقف الدول من العالم العربي والإسلامي. كما أن الغرب ليس كيانا واحدا فيما يتعلق باهتماماته الدينية ومدى اقترابه أو ابتعاده عن دعوة ورسالة نبي الله عيسى - عليه السلام - . فليس كل الغرب متدينا وليس كل الغرب علمانيا أيضا، وهناك فوارق كبيرة بين المدارس والمذاهب الدينية المختلفة داخل المسيحية في الغرب. وقد أظهر التاريخ والنقولات عن فلاسفة الغرب ومفكره ، تباينا في المواقف والرؤى حول دور الإسلام في الحضارة البشرية. بعض هذه الأقوال والأفكار كان إيجابيا للغاية، وبعضها الآخر كان يعبر عن كراهية لا حد لها. والأمثلة في ذلك كثيرة. ينظر باسم خفاجي : لماذا يكرهونه ؟ الأصول الفكرية لموقف الغرب من نبي الإسلام . ط1، المركز العربي للدراسات الإنسانية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2006، ص 14.

² شمس الدين محمد بن علي بن خمارويه بن طولون : إعلام الساتلين عن كتب سيد المرسلين . (تحقيق) محمود الأرنؤوط، ط 2، دار الرسالة للنشر، بيروت، 1407 هـ ، 1987، ص 67.

وتشكل هذه الديباجة الطلابية من رسول الله ﷺ مؤشرا مهما لفهم طبيعة العلاقة ومستقبلها بين العالمين، وما تبع ذلك من علاقات تراوحت بين الحرب والسلم، في " مؤته، واليرموك، وأجنادين..." إلى أن وصلت إلى كبرى الحروب الضارية فيما سمي بـ " الحروب الصليبية "، التي انتهت بتضعف قوة الدولة العثمانية في نهاية القرن السابع عشر، بعد أن ساد المسلمون قيادة العالم قرونا عديدة، وصلوا بها تخوم أوروبا، بعد أن فتحوا معظم بلاد اليونان والمجر وحاصرو فيينا، ووصلوا إلى حدود فرنسا، ونتيجة لذلك تكون معها- مسيرة الحروب- لدى الأوروبيين - الذين كانت تسيطر عليهم الكنيسة حينذاك- ما يسمى "عقد الشرق" أو "عقدة المسلمين" وانتشرت دعوات ودعايات كثيرة في المجتمع الغربي آنذاك حول خطر المسلمين وديانتهم على المسيحية وأوروبا، بل حتى على العالم كله، وغلب على هذه الفترة ما يسميه بعض الباحثين "التراكم العدائي المغلوط"¹، يقول المستشرق الروسي (ألكسي جورافسكي) " لقد هيمن على الإدراك (الوعي) الأوروبي في القرون الوسطى الموقف السلبي الصريح تجاه الإسلام، على الرغم أن الأطروحات والمؤلفات المصنفة ضمن هذا المنحى قد انتشرت عندئذ بأشكال وصيغ مختلفة ومتميزة جدا".²

لذلك يكاد يجمع المحللون أن نظرة الغرب الحديثة للإسلام إنما ولدت منذ البدايات الأولى للإسلام، والتي لم ير فيها الغرب إلا المنظومة الدينية والاجتماعية والقيمية، المخالفة والمنافية لتصوره ومنظومته الفكرية والعقيدية، وعلى إثر هذه الرؤية المختزلة والتعميمية والسطحية تم بناء الأفكار والمواقف وردود الأفعال، ونوازع الكراهية والخوف والقلق والتوجس، خاصة مما أصبح يحققه هذا الدين الجديد من نجاحات على المستويين الجغرافي و القيمي والمعرفي .

وعليه فأصل العلاقة بين الغرب وبين الإسلام منذ انطلاقتها الأولى، لم تكن يوما ما قائمة على التناغم والتوافق؛ بقدر ما كانت تهيمن عليها نوازع الصراع والحرب والتنافس، وهنا في الواقع يجب الفصل بين أمرين:

الأمر الأول : هو العلاقات بين الشعوب كأفراد وجماعات، كانت في كثير من الأحيان تميل إلى السلام والوثام، وكذا كانت العلاقات السياسية والدبلوماسية إن صح تسميتها، تتبدل وتتغير وفق المصالح.

¹ عبد الله يوسف سهر محمد : مؤسسات الاستشراف و السياسة الغربية تجاه العرب و المسلمين . ط1، مركز الإمارات للبحوث والدراسات الإستراتيجية، 2001، ص 11.

² المرجع نفسه، ص 9.

الأمر الثاني : فهو الرؤى الفكرية تجاه الإسلام وأتباعه ومصادره ومقدساته، والتي لم تتغير كثيرا في الغرب منذ بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وحتى التاريخ المعاصر، وكانت في مجملها رؤى ومواقف معادية وصدامية، يصدقها قول الله تعالى ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: 120]

إن الأحكام الفكرية لا بد أن تنطلق من الرؤى المشتركة والمستمرة عبر فترات زمنية طويلة، ولا تقاس على ما شذ من الأقوال أو الأفكار، والغرب عبر تاريخه الطويل من المواجهة الفكرية والدينية مع العالم الإسلامي كان دائما يميل إلى الطعن في الإسلام ومصادره، وهو ما لم يتغير عبر قرون طويلة في العلاقة مع الغرب، مما دفع بالكثير من الأوربيين إلى تعريف الإسلام تعريفا " ضيقا كاريكاتوريا " كدين يملؤه " العنف والشهوة " يقوم على " الجهاد والقتل " في الحياة الدنيا و" الملمات الحسية الموعودة " في الآخرة، وفي هذا السياق يحمل المفكر الإسلامي (روجيه غارودي R. Garaudy) -وهو المدرك للكثير من خبايا المخيال الغربي - الرؤية الغربية للإسلام في بعدها التاريخي بقوله في سؤال وجه له حول **خلفيات الصورة النمطية للإسلام في الوعي الغربي قاتلا** : " التاريخ القديم و المعاصر منذ الحروب الصليبية وخروج المسلمين من اسبانيا وحتى حرب الجزائر يؤكد أن الغرب يعتبر الإسلام شيطانا يستحق اللعنة في كل وقت...."¹

إن المشكلة الحقيقية في تنامي ما يمكن تسميته بـ " الجهل المتبادل " عبر تاريخ علاقات الغرب بالإسلام، تكمن في أن الغرب لم يحاول أن يعرف الإسلام على حقيقته، أو لم يكن موضوعيا في معرفته على الأقل، ولا العالم الإسلامي كذلك، وبذلك لم تبلور صورة مكتملة لديه عن الإسلام والغرب، وعاش حتى يومنا هذا يقات على تركة اللاهوتيين والمستشرقين، رغم اختلاف وتنوع الأساليب التي صيغت بها تلك الصورة النمطية في العقل الغربي، وتعدد وتشعب الوسائل التي استخدمت لترسيخها، إلا أنها حافظت على معالمها الرئيسية واستطاعت أن تتجاوز مختلف الظروف و الملابس وتصمد في وجه العديد من المتغيرات التي حدثت في العلاقة بين الغرب والإسلام على مر العصور، وكأها كما يصورها (محمد عابد الجابري) "فوق العقل Irrationnels" أو " فوق التاريخ A-Historique " وتشكل بنية من التصورات والتمثلات

¹ السعيد اللاوندى : الإسلاموفوبيا (لماذا يخاف الغرب من الإسلام ؟) . ط 2، شركة نضمة مصر للطباعة، القاهرة، 2007، ص: 271.

" Representations " التي لا تزال هي المرجعية الثابتة التي تتحكم في الإنتاج الفكري الذي يصدره كلا الطرفين، أحدهما عن الآخر.¹

4-1-2 الاستشراق وميلاد المركزية الغربية.

تستبطن ثنائية (شرق/غرب) في الذاكرة الجماعية الإنسانية عموماً، والغربية والإسلامية منها على وجوه الخصوص مسيرة تجاذبات طويلة من علاقات القوة والسيطرة، ودرجات متفاوتة من الهيمنة المعقدة المتشابكة، لذلك هي من حيث الجوهر افتعال غربي ناتج أساساً من توجسات ومخاوف إنسان هذا العالم من فقدان مركزيته، وتزحزح هيبته (...)، ما دعاه إلى محاولة إعادة بناء التاريخ في الوعي والذاكرة الجماعية الإنسانية بشئى السبل، مؤكداً دائماً أن " الغرب " هو المركز وصاحب الحق في المصادرة والاحتكار والتوجيه، وجاعلاً من محيطه مهد الحضارة ورصيدها الدائم (...)، إن مشكلة هذا البناء في تصور الإنسان الغربي كونه قائم ولا يزال على حساب تفكيك " الآخر " وسلبه أنه وتقزيمه، وإن اقتضى الحال إلغائه مادياً و/أو معنوياً (...)، وهي في الواقع المهمة التي اضطلعت بها الدراسات الاستشراقية منذ أول بداية لها.

فالدراسات الاستشراقية لم تظهر في مناخ محايد، وإنما تشكلت في ظل صراع ثقافي وديني وحضاري كبير بين الشرق الإسلامي من جهة والغرب النصراني من جهة ثانية، وما جسدهته الحروب الصليبية التي تواصلت نحو مائتي عام، من تعبير دموي عنيف عن هذا الصراع، واحتدم الجدل والخلاف بشكل بارز-على المستويين الأكاديمي والمعرفي- في الفترة ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر، التي تميزت بظهور أكثر المبادرات أهمية وأشهر الأعمال الاستشراقية الكبرى، التي هيأت في كثير من جوانبها الدعامة المناسبة للتقدم المطرد لعلم الاستشراق الأوروبي في ما بعد، ففي أوساط القرن السادس عشر قام العالم الفرنسي (قليوم بوستل G. Boustel) لأول مرة في تاريخ أوروبا بتدريس اللغات الشرقية بما في ذلك العربية في "كوليج دي فرانس"، وضمت فرنسا أول ترجمة فرنسية لمعاني القرآن في العصور الوسطى، وهي ترجمة قام بها الإنجليزي وألماني استعانة باثنين من العرب، وتمت عام (1143م)، برعاية (بطرس اسكير P. Esquire) رئيس " دير كلوني " بجنوب فرنسا وهو من أهم الأديرة في أوروبا. وكانت ترجمة رديئة كثيرة الأخطاء، ومع ذلك فليل: إنها أحرقت

¹ ينظر محمد عابد الجابري : مسألة الهوية " العروبة والإسلام... والغرب ". ط3، قضايا الثقافة والقومية 67، قضايا الفكر العربي3، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2006، ص ص 118-133.

خشية تأثر اللاتين بها. والمنقول أنهما ظلت محفوظة في الدير حتى نشرت بأوروبا عام (1543م)، وعلى إثرها تابعت الترجمات بعد ذلك باللغات الأوروبية المختلفة.¹

وإذا رجعنا بالمصطلح إلى جذوره الأولى في المعاجم العربية نكاد لا نجد لكلمة "الاستشراق" ذكرا في أي من المعاجم العربية القديمة، بخلاف اشتقاقها فالاستشراق مصدر من الفعل السداسي : استشرق، وأصله : (شَرَقَ)، والألف والسين والتاء إذا سبقت الفعل الثلاثي أفادت الطلب، وعلى هذا استشرق : أي طلب الشرق²، والشرق: الشمس، أو الجهة التي تشرق منها، والمَشْرِقُ: مثله، وفي النسبة: مَشْرِقِي (بفتح الراء وكسرها). والشَّرْقَةُ والمَشْرِقَةُ (مثلثة الراء): موضع القعود في الشمس بالشتاء.³ وتَشْرُقُ: أي جلس فيه. وأشْرَقَ: دخل في وقت شروق الشمس، وأشْرقت الشمس: أضاءت.⁴

وعلى هذا فمعنى الكلمة يدور حول: جهة الشروق، والضوء (والذي يتبادر للذهن عند ذكر الشمس)، فسمي الاستشراق بذلك لأن أهله (الغرب) طلبوا علوم المسلمين والعرب، وبجثوا في الإسلام، حيث كان مبدؤه من جهة الشرق بالنسبة لهم.

أما في اللغة الأجنبية فقد تأخر ظهوره إلى منتصف القرن الثامن عشر في أوروبا، إذ يشير أحد كبار الغربيين الذين تناولوا ظهور الاستشراق وتعريفه، المستشرق الفرنسي (مكسيم روبنسون M. Robinson) إلى أن مصطلح الاستشراق ظهر في اللغة الفرنسية عام (1799م)، بينما ظهر في اللغة الإنجليزية سنة (1838م)، وأن الاستشراق إنما ظهر للحاجة إلى " إيجاد فرع متخصص من فروع المعرفة لدراسة الشرق"، ويضيف بأن الحاجة كانت ماسة لوجود متخصصين للقيام على إنشاء المجالات والجمعيات والأقسام العلمية.⁵

¹ ينظر غراب احمد عبد الحميد : رؤية إسلامية للإستشراق . ط2، المنتدى الإسلامي، بيرمنجهام، لندن، 1411هـ/2010م، ص ص 32-33.

² ينظر محمد فتح الله الزيايدي : الاستشراق أهدافه ووسائله . ط 2، دار قتيبة، دمشق 2002 م، ص 17.

³ ينظر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي : القاموس المحيط . دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين ميليلة، الجزائر، 2011، ص 1151.

⁴ أحمد بن محمد بن علي الفيومي : المصباح المنير. دار الحديث، القاهرة، 2008 م، ص 196.

⁵ ينظر مكسيم رودنسون : الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية في تراث الإسلام . (القسم الأول)، (تر) محمد زهير السمهوري، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، أوت 1978 م. ص 27-101.

ولا يعني ظهور مصطلح الاستشراق في تلك السنوات انه لم يكن موجودا قبلها.. فالوثائق التاريخية تشير إلى أن الاستشراق قد بدأ فعلا في سنة (1130م) عندما أنجز رجال الدين في أوروبا أول الأعمال المترجمة لأمهات الكتب العربية التي حوت آخر ما توصلت إليه الحضارات آنذاك من علوم ومعارف، ثم اتخذ شكل الترجمة العكسية من العربية إلى اللاتينية.. كما أن هناك آراء تعود بهذا المصطلح من حيث الظهور إلى أعمال الراهب الفرنسي (جرير دي اورليان) الذي عاش في الفترة من (940م – 1003م)، كما يمكن تلمس بعض الفترات الزمنية السابقة لظهور المصطلح من خلال ما ألف حول الشرق عند الغربيين ونذكر على سبيل المثال لا الحصر كتاب (يوهان هوتنجر J. Hotingr) " تاريخ الشرق " الذي ظهر عام (1651م)، وكتاب " المكية الشرقية " لمؤلفه (بارتلمي دير بيلو B.D.Pélo) الذي طبع بعد وفاته عام (1697م)، وكتاب (تاريخ العرب) لمؤلفه (سيمون اوكلي S.Oakley) الذي ظهر المجلد الأول منه سنة (1708م)، وأخيرا ترجمة (جورج سيل هول G.H. Torrent) للقرآن عام (1734م).¹

والمستشرق في الاصطلاح، لفظ يطلق على كل من طلب لغات الشرق كالعربية والسريانية والعبرية والفارسية وغيرها، ثم درس بهذه اللغة التي تعلمها فنونها وآدابها ومعتقدات أهلها.² والاستشراق كعلم أدمج في الأقسام والمعاهد والجامعات الغربية منذ البدايات الأولى، مع تحفظ كبير على علمية الكتابات الاستشراقية- وفي هذا يشير (إدوارد سعيد E. Said) مؤكدا معنى (مكسيم روبنسونك M. Robinsonk) حول ارتباط الاستشراق بالأقسام العلمية قائلا : " الاستشراق لفظ أكاديمي صرف، والمستشرق هو كل من يدرس أو يكتب عن الشرق أو يبحث فيه، وكل ما يعمل هذا المستشرق يسمى استشراقا (...). فالاستشراق هو المؤسسة المشتركة للتعامل مع الشرق، بإصدار تقارير حوله ووصفه ودراسته والاستقرار فيه والسيطرة عليه وحكمه، وهو بإيجاز أسلوب غربي للسيطرة على الشرق واستبناؤه وامتلاك السيادة عليه (...). والاستشراق ليس مجرد موضوع سياسي فقط، أو حقل بحثي ينعكس سلبا باختلاف الثقافات والدراسات أو المؤسسات، وليس تكديسا لمجموعة كبيرة من النصوص حول المشرق، ... بل هو توزيع للوعي الجغرافي إلى نصوص جمالية

¹ ينظر مجتبي العلوي : «الإسلام والمسلمون في الدراسات الاستشراقية». مجلة النبأ، عدد 46، السنة الحادي عشرة، مؤسسة المستقبل للثقافة

والإعلام، لبنان، <http://www.annabaa.org/pastnba/index.htm>, 19/02/2013, 22:12 h [On-line]

² عبد الرحمن عميرة : الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق . دار الجيل، بيروت، دت، ص 91.

وعلمية واقتصادية واجتماعية وفي فقه اللغة، وهو نوع من الإسقاط الغربي على الشرق وإرادة حكم الغرب للشرق".¹

وأكد (شكري النجار) هذا المعنى (فهم الشرق والتحكم فيه) بقوله: "الاستشراق أسلوب غربي لفهم الشرق والسيطرة عليه ومحاوله إعادة توجيهه والتحكم فيه"،² وتجدر بنا الإشارة في هذا السياق إلى المعنى الذي أورده (مالك بن نبي) في دراسته عن إنتاج المستشرقين، حيث قصره على الفكر والحضارة الإسلامية، مشيراً: أن الاستشراق هو إنتاج يختص بدراسة الغرب للفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية.³

وهذا كله يقودنا إلى فكرة جوهرية وأساس في هذا السياق ألا وهي: أن الاستشراق في جوهره معرفة ينتجها غير الشرقي، عن الشرق، وهذه المعرفة قد تتخذ صورة الإنشاء في البحوث والدراسات والكتب أو صورة العمل الفني (اللوحة أو القطعة الموسيقية أو ما شابههما)، وكذا يمكن الإقرار بأن الاستشراق كدائرة في الفكر والخبرة يشير بالطبع إلى العديد من الميادين والمجالات المتقاطعة، نجد من ذلك كتب الرحلات وسواها التي أنتجها من اتصلوا بالشرق من دبلوماسيين ورحالة ومبعوثين وموظفين في دوائر الدول الغربية التي استعمرت مختلف أقطاره مددا متفاوتة وبدرجات مختلفة وخاصة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، كما يشير إلى النزعة التي غلبت على فن الرسم الأوربي التي قامت على استلهاهم الشرق باتخاذ موضوعاً فنياً أثير لديها، وهذه النزعة جزء من الثورة الإبداعية الأوربية التي ضاقت بهيمنة الاتباعية الجديدة في مختلف الفنون الجميلة ومن بينها الرسم والموسيقى، كما ثم إنه يشير إلى اتخاذ الشرق موضوعاً للمؤلفات الأدبية أو «المحجرة إلى الشرق على الورق» كما في «الديوان الشرقى» لمؤلفه الغربي (غوته Goethe) سنة (1819م)، وفي أعمال سواه وهذه الظاهرة قديمة قدم الأدب الأوربي ومستمرة استمراره.⁴

ومن ذلك الدراسات التاريخية والثقافية سابقاً والأنثروبولوجية حديثاً، والنظام التدريسي العلمي في الغرب، والذي أتاح مع مطلع القرن التاسع عشر إمكانية التخصص في دراسة مختلف التراثيات والثقافات

¹ ينظر ادوارد سعيد: الاستشراق، المعرفة، السلطة، الإنشاء. (تر) كمال أبو ديب، ط4، مؤسسة الأبحاث العربية، لبنان، 1995 م، ص ص 91-7.

² شكري النجار: «لم الاهتمام بالاستشراق؟». مجلة الفكر العربي، العدد 31، 1983، ص 71.

³ ينظر مالك بن نبي: إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث. دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، 1969 م، ص 5.

⁴ ينظر محمد عزيز شكري وآخرون: الموسوعة العربية. المجلد الثاني، الجمهورية العربية السورية، إصدار 2010 م، ص 166.

الشرقية، ومنها الافتراضات الإيديولوجية و الصور، والأخيلة الفنتازية عن منطقة من العالم اسمها "الشرق" مهمة بصورة راهنة وملحة بالمعنى السياسي.¹

إن مشكلة هذا الفرع من المعرفة تتجسد في السياقات السياسية والجمالية والأخلاقية وحتى الإبيستيمولوجية المقترنة به، لذلك يمكننا في هذا المجال استثمار معنى مهم أورده المفكر الفلسطيني (إدوارد سعيد E. Said) حول مفهوم الاستشراق من حيث كونه " فرع من فروع المعرفة الذي تناول به الشرق (وبه يتناول) بطريقة منظمة من حيث هو موضوع للتعلم والاكتشاف و التطبيق".²

لقد كشفت التجربة الإنسانية أن البشر هم من يصنعون التاريخ الإنساني، وما دام الصراع من اجل السيطرة على الأرض هو جزء من ذلك التاريخ، كذلك فإن الصراع على المعنى التاريخي والاجتماعي هو بدوره جزء من التاريخ ذاته، وهذا المعنى يصدق بجدارة واستحقاق كبيرين على الدراسات الاستشراقية الغربية، التي غدت تحتل مركزا مهما من السيادة والهيمنة المباشرة وغير المباشرة في الغالب على كل فعل أو سلوك يصدر من الإنسان الغربي تجاه "الأخر" الشرقي، فلم يعد كما يقول (ادوارد سعيد) في وسع أي إنسان أن يمارس فعلا متعلقا به- الشرق - أن يقوم بذلك دون أن يأخذ بعين الاعتبار الحدود المعوقة التي فرضها الاستشراق على الفكر والفعل.³

مع أننا نسجل بداية أن التسليم الذي نتعامل به مع مسمى أو اصطلاح هذا النوع من الدراسات إنما هو قائم على اعتبار ما شاع، بينما في واقع الأمر النقد العلمي الموجه لهذه الأعمال التي قدمها المستشرقون من حيث : المصطلح، والمنهج، والمسار، والمضمون، والأدوات، والأهداف (...). يطعن كثيرا في موضوعيتها وحيادها (...). وبالتالي صدق نتائجها ومكانتها وقيمتها العلمية.⁴

من هذا القبيل كثير من المؤرخين والدارسين والنقاد على اختلاف مشاربهم، قدموا اعتراضات وتحفظات على موضوعية ومشروعية كثير من المعارف الاستشراقية، بل امتد بهم التحفظ حد رفض مسمى "الاستشراق" أصلا كمصطلح يحدد معالم إنسان منطقة وتاريخ وثقافة ما، عن أي شرق؟، وشرق من؟ ولماذا الشرق؟،

¹ ادوارد سعيد : الاستشراق، المعرفة، السلطة، الإنشاء . مرجع سابق، ص:34.

² ادوارد سعيد : تعقيبات على الاستشراق . مرجع سابق، ص:32.

³ المرجع نفسه، ص 260.

⁴ من أجل الاطلاع على نقد الدراسات الاستشراقية ينظر ادوارد سعيد : "الاستشراق" - أنور عبد الملك : الاستشراق في أزمة" . برنارد لويس : "الاستشراق بين دعائه ومعارضيه".

وأين المركز ؟ ...، فضلا على تضاربهم واختلافهم في تحديد مفهوم جامع ودقيق ومضبوط للإستشراق¹ - حتى ذهب البعض إلى نفي وجود هذا المسمى أصلا كعرفة علمية قائمة تمت وتتم عبر التاريخ- تماما كاختلافهم على حدود المجال الزمني والبشري الضابط لمسمى الدراسات الاستشراقية.

ولعل من أبرز النقاد المشهود لهم في هذا السياق سواء من الغربيين أو من غيرهم، هو الخبير (إدوارد سعيد E. Said) في كتاب " الاستشراق ".² إذ نفى عنه العلمية من أساسه، واعتبره- الاستشراق- مؤسس لنظام إيديولوجي أكثر منه مقدم للمعرفة الإنسانية، كما عده عنصري في مقارنته للإسلام، إمبريالي ويطبعه التعالي العرقي، وجل الكتابات الاستشراقية كما يؤكد المفكر تعتبر الشرقيين، إشارة إلى الإسلام والعرب، متخلفين ذهنيا، وغير متحضرين، وخاملين تتحكم بهم عيوب فطرية تمنعهم من التطلع وتجعل من حركتهم مراوحة في المكان نفسه. ويخلص الكاتب في النهاية إلى أن الاستشراق " فشل إنساني وأكاديمي في نفس الوقت ".³

وقد وجدت كتابات (إدوارد سعيد E. Said) أصداء لدى مجمل المثقفين العرب. ف (العلوي) اعتبرها محاولة ناجحة لتعرية النظرة الاستعمارية الغربية⁴. ويرى (الواقدي)⁵ في الاستشراق خطابا إيديولوجيا لم يستطع التخلص من إثنيتها الغربية وتحقيق " القطيعة الاستيمولوجية " مع عقلية الإقصاء، واعتبره (عبد الله العروي)، عملية إعادة إنتاج للقوالب الذهنية والكلشيهات الغربية المشوهة والتبسيطية حول الإسلام.⁶ أما (محمد أركون) فيؤكد أن الاستشراق ذي المقاربة الوصفية قد عجز عن أن يتمثل تعددية الممارسات داخل

¹ سنة 1973م، وقرار من المنظمة العالمية للمؤتمرات صدر أمر بالتوقف عن استخدام مصطلح الاستشراق في الدوائر الأكاديمية والسياسية الغربية، مشيرة رافعة في ذلك شعار، مصدره مقولة المستشرق (برنارد لويس) إن هذا المصطلح- الاستشراق- يجب أن يلقي في مزابل التاريخ، نظرا لانطوائه على حمولات تاريخية ودلالات سلبية، وأن يتحول تسميته إلى مصطلح " دراسات الإنسان في منطقة الشرق الأوسط وإفريقيا، واثر ذلك أطلق على المنظمة اسما جديدا ألا وهو " المؤتمر العالمي للدراسات الإنسانية حول آسيا وشمال إفريقيا. ينظر حسن عبد الحفيظ عبد الرحمن ابو الخير : الموسوعة المفصلة في الفرق والأديان والملل والمذاهب الفكرية القديمة والمعاصرة. ج2، ط1، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، 2011، ص ص 656-657.

² Said Edward: **L'Orientalisme L'Orient crée par l'Occident**. Ed, du Seuil, Paris, 1980.

³ Ibid. P 353.

⁴ Kerrou Mohamed : « Etre sociologue dans le monde arabe ou comment le savant épouse la politique », **Peuples méditerranéens**, N°54-55, janvier 1991, p249.

⁵ Ibidem.

⁶ Laroui Abdallah : **Islam et modernité**. Ed, la Découverte, Paris, 1987.

الحضارة الإسلامية والعربية بتركيزه على بعض الجوانب تركيزا استخداميا يتعد عن المعايير العلمية والموضوعية.¹

وفي المشرق العربي، تعرضت بدورها الكتابات الاستشراقية لنقد لاذع، وراديكالي أحيانا. ف (حسن حنفي) يعتبرها نتاج ثقافة غربية استعمارية ذات صبغة إيديولوجية بحتة، وهي تعبير عن الإثنية الأوروبية حيث تسود التسلطية وحب الهيمنة،² ويعتبر المفكر السوري (الطيب تزيي)، الذي يمثل موقفا وسطيا، أنه لا يمكن وضع كل الاستشراق تحت نفس العباءة، ويقسم المستشرقين إلى قسمين: استعماريين ومتعالين، وإنسانيين منفتحين على الثقافة الإسلامية والعربية.³

✓ المشكلة لهذه المعرفة أن المقصود بما ليس "الأخر" الذي هو موضوعها، بل لا شأن له بها إن لم نقل أنها تعمل من أجل تسخيرها وإخضاعه أصلا لغايات وأجندات محددة سلفا، إن أهداف هذه المعرفة الموضوعية - كما يذاع عنها- سرعان ما تسقط أمام زيف "الايديولوجيا" التي تحركها وتسهر على مسيرتها وفي هذا السياق يقدم (عبد النبي اصطيف) احترازا تسهم كثيرا في تعرية حياد هذا الجانب من المعرفة الإنسانية ومدى إفقارها إلى كثير من المعايير الموضوعية الضرورية الضابطة لها.

✓ وهي - هذه المعرفة- تكرر احترام الموضوع بدل احترام صاحب الموضوع.

✓ منظورها قائم على النظر إلى الشرق في علاقته بالغرب وليس في إطار منطقته الخاص.

✓ غرضها توظيف المعرفة من أجل الاحتواء والاحتلال والاستغلال.

✓ كما أنها قائمة على استبعاد المعرفة الشرقية مع تغييب المقارنة الموضوعية.

✓ تخلف الإطار المعرفي لما كتبه المستشرقون بالمقارنة مع منهج الدراسة في الحقول المعرفية الأوروبية والغربية عموما، وعدم مساهمتها في تحسين العلاقات بين الشرق والغرب.⁴

¹ Arkoun Mohammed : **Ouvertures sur l'Islam**. Ed, Jacques Grancher, Paris, 1989, p. 146.

² Hassan Hanafi : « De l'orientalisme à l'occidentalisme » . **Peuples méditerranéens**, N°50, janvier-mars 1990.

Mohammed Arkoun : **Ouvertures sur l'Islam**. Op cite p 33.³

⁴ مصطفى سلوي : **الخطاب الإستشراقي في أفق العولمة** . ط 1، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وحدة، المملكة المغربية، 2003، ص 160.

بهذا النسق والمنطق والتناغم المتوازي بين المعرفة الاستشراقية والسلطة السياسية الاستعمارية المهيمنة، تشكل السبيل والطريق الممهّد لبناء التصورات المتحيزة ضد " الآخر " عموماً و" الآخر المسلم " على وجه الخصوص في المخيال الغربي، بناءً تجسّد نظرياً كما يشير إلى ذلك (عابد الجابري)، في أربعة إقصاءات، غاية في الإساءة يكمن إجمالها في :

إقصاء جغرافي : فالشرق في الوعي الغربي والأوروبي على وجه الخصوص تتحدّد جغرافيته من خلال أوروبا، وبلا أدنى شك هذا التثبيت المكاني للآخر/الشرق مقابل الغرب و المركز هو بالضرورة إقصاء له.

ويرجع من جهته محمد أركون هذا الإقصاء الجغرافي المهيب إلى ما أسماه رهانا المعنى المرتبطة بإرادات المهيمنة للقارة الأوروبية أولاً، ثم هذه القارة بصفقتها متضامنة مع ما تفضل أن تدعوه بالغرب ثانياً، وهي تدعوه كذلك من أجل تهميش العالم المتوسطي ونبذّه أو عزله عن الغرب. إن أوروبا إذ تفعل ذلك تقوي أو تدعم تلك القطيعة القديمة الحاصلة بين كلتا ضفتي البحر الأبيض المتوسط، وهكذا يصبح العالم العربي والإسلامي شرقاً، في حين أن الشرق الحقيقي يتدبّر فيما بعد أفغانستان، أي الهند والصين.... (فالعالم العربي-الإسلامي غرب بالمعنى الجغرافي والحضاري وليس شرقاً كما نتوهم).¹

وجدير بالذكر في ذات السياق الإشارة إلى أن " شرقنة " الشرق " لا مجرد أن أوروبا اكتشفت أنه شرقي بجميع تلك الطرق التي اعتبرها الإنسان الأوروبي المتوسطي في القرن التاسع عشر عادية معروفة، بل لأن " الشرق " من جهته هو الآخر كان قابلاً أن يجعل -أن يخضع لكونه- شرقياً، على غرار القابلية للاستعمار عند (مالك بن نبي).

إقصاء عرقي .

الشرق يسكنه " الآخر " الشعوب السامية، بينما الغرب يسكنه العرق " الآري " شعوب الشمال، وشعوب الشرق كما وصغها (ارنست رينان) تنتمي إلى "عرق ناقص غير مكتمل منزلته بالنسبة للجنس الآري كمنزلة الخطاظة التي يرسمها الفنان بقلم الرصاص بالنسبة إلى اللوحة الفنية المكتملة (...). فهو عرق يفتقر إلى التنوع والامتلاء والخصوبة، أي الأمور التي هي شرط الكمال"

¹ محمد أركون : الإسلام، أوروبا، الغرب، رهانات المعنى وإرادات المهيمنة . (تر) هشام صالح، ط2، دار الساقي، بيروت، لبنان، 2001، ص

إقصاء عقلي .

لقد أضفت الدراسات والمعارف الاستشراقية على المخيال الغربي نزعة نرجسية قاتلة، جعلته منه المركز الحقيقي ومصدر الكمال فيما اختزلت " الآخر الشرقي " مكمّن النقص والغباء في مجموعة من الصور النمطية والأفكار المسبقة المبنية على الكراهية والحقد والكبرياء والازدراء والاحتقار، فالشرقيون- كما يصفهم المستشرق كرومر- ذوو عقول أدنى مرتبة من عقول الأوربيين "ويضيف" الأوروي ذو محاكمة عقلية دقيقة، وتقديره للحقائق خال من أي التباس وهو منطقي مطبوع رغم أنه قد لا يكون درس المنطق ... أما عقل الشرقي فهو، على النقيض، مثل شوارع مدنه الجميلة مظهرياً، يفتقر بشكل بارز إلى التناظر ومحاكمته العقلية من طبيعة مهلهلة إلى أقصى درجة (...). فلم تكن الفلسفة عندهم سوى مجرد اقتباس مجذب ومقلد للفلسفة اليونانية".¹

إقصاء حضاري .

" الحضارة الغربية أسمى من الحضارة الإسلامية، فلا يمكننا أن نضع كل الحضارات في مستوى واحد، إذ يتعين علينا أن نكون واعين بمكانة حضارتنا الغربية السامية، ومن واجبنا العمل لتغريب العالم " هذا ما صرح به رئيس الحكومة الإيطالية (سيلفيو بيرلوسكوني) في إحدى خطبه.²

لقد تعدى هذا الإقصاء الحضاري إلى حد رفض النخبة الدينية في الغرب مساواتها مع النخب الإسلامية، فيذكر (محمد عمارة) موقف مجلس الكنائس العالمي الغرب من اعتبار الدين الإسلامي دين كباقي الأديان السماوية بقوله " إن كنائس الغرب لا تستحي عندما تعلن هذا النفي للإسلام! ففي مؤتمر "الحوار الإسلامي المسيحي" الذي عقد بالقاهرة سنة (2001 م) رفض ممثل الفاتيكان، ونائب الأمين العام للمجلس البابوي للحوار بين الأديان، وممثل مجمع الكنائس العالمي التوقيع على البيان الختامي للمؤتمر؛ لأنه وضع الإسلام مع اليهودية والنصرانية تحت وصف الأديان السماوية الربانية (...). وقد علق الدكتور (يوسف القرضاوي)

¹ محمد عابد الجابري : مسألة الهوية " العروبة والإسلام... والغرب ". مرجع سابق، ص:130.

² Elio Comarin : « Pour Berlusconi L'occident Est Supérieur A L'islam » . [On-line] <http://www.orphelineatpattaya.org> . le 27/09/2001. 06:57h.

على الموقف بقوله- وكان حاضرا في جلسات المؤتمر- " إذا كان الفاتيكان والكنائس العالمية لا تعترف بالإسلام كدين سماوي فلماذا نجتمع إذن؟...¹.

إن من الفوارق الجوهرية التي تلوح في أفق الدراسات الاستشراقية الغربية، على شاكلة جدلية الفيلسوف (هيجل Hegel) ، الثابت غير متحول عنده هو التاريخ اليوناني و الدعامة الكبرى هو التاريخ الغربي، أما التاريخ الشرقي فهو أدنى وبذلك اكتملت في الخطاب الغربي صورة ثنائية المركز والهامش، مع ما تحمله هذه الثنائية في طياتها من تجاذب في الأجهزة المفاهيمية، فإذا كان المركز (الغرب موطن العقلانية، والتاريخية، والحرية، والوعي وغير ذلك من الخصوصيات الوجودية الإنسانية، فإن الشرق -الطرف أو الهامش- موطن اللاعقلانية، واللا تاريخية والاستبداد واللاوعي).

فالدراسات الاستشراقية ظلت نظاما معرفيا ومنهجيا يمثل إدراكا غربيا مؤسسا على نظرة دونية لما هو شرقي وعلى نقيض ما هو غربي . ويجب تأكيد أن آراء المدرسة الاستشراقية تلاقي فهما وقبولا خاصا، بل دعما منظما من الحكومات والنخب التي تمتلك القوة في الغرب، لذلك فإن محنة الاستشراق تمثلت في التقاء المعرفة المغلوطة عن الشرق مع المصلحة والقوة القاهرة التي يمتلكها الغرب، مما جعل الاستعمار وكثير من الممارسات المهيمنة تجاه " الآخر " تحظى بتسوية حضاري وتاريخي وفلسفي وقبول حتى عند العامة من الناس في الغرب. وأصبحت مسألة الهيمنة على الشرق ومجتمعاته " مهمة حضارية " و " مسؤولية إنسانية " عند الإنسان الغربي،² ويعبر عن هذه الحالة (جولز هارمند J. Harmand) الذي افترض ما أسماه بمرمية الحضارات وبالتالي أحقية الأفضل منها بفرض نفسه على الآخرين.³

¹ محمد عمارة : الإسلام والغرب أين الخطأ وأين الصواب . ط1، منشورات مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة، 2004، ص 63.

² ينظر محمد عابد الجابري : مسألة الهوية العروبة والإسلام والغرب. مرجع سابق، ص67.

³ Jules Harmand : **Domination Et Colonisation** . Paris, Ed Ernest Flammarion, p 79.

4-2 مؤسسات الاستشراق والسياسة الاستعمارية الغربية لبلاد العرب والمسلمين.

تعد الظاهرة الاستشراقية أحد أطول الظواهر الفكرية عمرا، بدأت مع اليونان الذين اهتموا بدراسة الشعوب الشرقية في مصر والعراق والشام وغيرها، وانطلقت بهدف علمي معرفي سرعان ما تحول إلى هدف استعماري ثقافي، حين شن (الاسكندر المقدوني G. Alexander) حملاته على بلدان الشرق الأدنى إلى أن وصل إلى بلاد الهند، وهذا لا يعفي من الإشارة إلى أن الدراسات الاستشراقية تخللتها إلى جانب الأبعاد العلمية والاستعمارية أهداف دينية، تجسدت في الدفاع عن العقيدة المسيحية واليهودية ضد الإسلام، وأهداف فكرية تسعى لنشر قيم وأفكار الغرب وتغليبها على قيم وثقافة الشرق، وأهداف اقتصادية، وأخرى فنية وأدبية وإعلامية،¹ ... غير أن خضوع الدراسات الاستشراقية لسلطة الحكومات والأنظمة في الغرب جعل منها أداة طيعة لتنفيذ أهداف وأطماع الاستعمار في الغرب .

لقد لعبت الدراسات الاستشراقية - وظيفيا - دور الأكاديمي أو المدون للسياسة الاستعمارية،² وفي رسم معالم " الآخر"، " الشرق" عموما و" الآخر الإسلامي" على وجه الخصوص، فالعلاقة بين الاستشراق والمؤسسات الدينية والعسكرية والسياسية لم تنقطع أبدا ... فمنذ " نهاية الحروب الصليبية وضعت الخطة لغزو المسلمين بوسائل أخرى غير وسيلة الحرب المسلحة بالأسلحة المادية، واقتضت خطة الغزو الجديد التوسع في الدراسات الاستشراقية، لتكون تمهيدا لهذا الغزو، وإعدادا لشروطه الفكرية والنفسية، ولما كان المحركون للحرب الصليبية من رجال الكهنوت الأوروبيين والعلوم العليا تكاد تكون منحصرة في الكنيسة لديهم يومئذ، كان أوائل المتوجهين للدراسات الشرقية من هؤلاء الرجال، ولا ريب أن أغراضهم في ذلك تواكب أغراض الحروب الصليبية التي أخذت أسلوبا جديدا في الغزو، غير أسلوب الغزو المادي المسلح بالأدوات الحديدية، وتتفق مع أهداف التبشير بالمسيحية، وانطلق المتوجهون للدراسات الشرقية يعملون في هذا المضمار بجد، و يترجمون إلى لغاتهم كتباً كثيرة من كتب المسلمين".³

¹ ينظر المحجوب بن سعيد : الإسلام والاعلاموفوبيا "الإعلام الغربي والإسلام تشويه وتخويف". ط1، دار الفكر، 2010، ص 21 - 28.

² من دون أن ننسى أو نسقط في واقع الأمر الدور البارز والإسهام الكبير الذي قدمته هذه الدراسات في إنقاذ بعضا من التراث العربي والإسلامي، تصنيفا وفهرسة، وتحقيقا... في كثير من ميادين المعرفة.

³ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها التبشير - الاستشراق - الاستعمار . ط8، دار القلم، دمشق، ص22.

وفي هذا على سبيل المثال لا الحصر، نجد (دانتي Dante) صاحب أحد اكبر وأقدم الكتابات الاستشراقية الغربية "الكوميديا الإلهية" يضع في " اللمبو" * النبي ﴿ محمد، صلى الله عليه وسلم ﴾ في الخندق التاسع من الحلقة الثامنة في الجحيم، الذي يضم مثيري الصدمات والشقاكات الدينية والسياسية والذين يزرعون الفتن فيحصلون الأوزار"، ونجد السياسي الانجليزي (ادوارد لورانس) يشيد بأعمال ودراسات المستشرق الانجليزي (شارل داوتي C. M. Doughty) - الذي باسم الحضارة الإنسانية تدمير مكة المكرمة- يقول " إن كتاب (داوتي Doughty) الذي كان عملا فنيا رائعا، وسردا متميزا لأسفاره ومغامراته، ووصفا جيدا لحياة البدو، أصبح دليلا عسكريا ساعدنا في على الانتصار في الشرق، وهكذا فإن العرب الذين سمحوا لـ (داوتي Doughty) بدخول مناطقهم المحرمة يكونون قد قاموا باستثمار جيد لأبنائهم وأحفادهم".¹

وفي ذات السياق يؤكد البريطاني (اللورد كيرزن L. Kirzn) في مؤتمر عقد بمدينة "مانشن هاوس" على المطالبة بإنشاء مدارس أخرى للدراسات الشرقية، عقب تأسيس أول مدرسة للدراسات الشرقية في لندن- وهي المدرسة التي أصبحت فيما بعد مدرسة جامعة لندن للدراسات الشرقية والإفريقية- لم تكن الدراسات الشرقية كماليات فكرية بل كانت التزاما إمبراطوريا عظيما، ففي رأيه أن تأسيس مدرسة كهذه في لندن هو جزء ضروري من تأييد الإمبراطورية ... ويزيد إن الذين قضوا منا عددا من السنوات في الشرق بصفة أو بأخرى والذين يعتبرون ذلك الجزء الأعظم سعادة من حياتهم، ويؤمنون بأن العمل الذي قاموا به هناك كبيرا كان أو صغيرا، هو اسمي درجات المسؤولية التي يمكن أن توضع على عاتق انكليزي، ليشعرون بأن ثمة فجوة في إعداداتنا القومية ينبغي بتأكيد أن تسد، وأن أولئك الذين يشاركون من العاملين في مدينة لندن في سد هذه الفجوة عن طريق الدعم المالي أو أي شكل آخر من العون الفعال والعملية يؤدون واجبا وطنيا تجاه الإمبراطورية ويعلمون شأن قضية الإنسان والمشاعر الطيبة بين بني البشر".²

من اجل ذلك تأسست للاستشراق معاهد ، وهيئات أكاديمية عليا ومؤسسات وجمعيات ومراكز بحث يوظفها خبراء من المستشرقين، مدنيين وعسكريين من اجل التعاون في الأعمال المتعلقة بالدراسات والعلوم

* "اللمبو" هو ميناء جهنم في الكوميديا الإلهية .

¹ ينظر أليكسي جورافسكي : الإسلام والمسيحية من التنافس والنضام إلى الحوار والتفاهم . (تر) خلف محمد الجراد، ط3، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2005، ص 66.

² See Johann W. Fuck : **Islam as an Historical Problem in European Historiography since 1800 in Historians of the Middle East** . Ed Bernard Lewis and P.M. Holt, London: Oxford University Press, 1962, pp.184 -191.

الشرقية، كنشر بعض المخطوطات العربية، ووضع الفهارس الشاملة لبعض الكتب الإسلامية والأصول، ووضع بعض المعاجم المفهرسة، وحتى أنساق العمران، وثقافات الشعوب، ودخلت هذه الدراسات الشرقية في الجامعات الكبرى تحت مسمى الدراسات الشرقية، فكان لها فروع حتى مستوى تحصيل شهادة الدكتوراه، وأخذ فريق من المستشرقين يؤلف المؤلفات المتعلقة بالعلوم الإسلامية، باختلاف فروعها، خدمة لأهداف الاستشراق الأساسية الرامية إلى معرفة الشرق ودراسة أرضه ومياهه وطقسه وجباله وأهواره وزروعه وثماره وأهله ورجاله، وعلمه وعلمائه ودينه وعقائده وعاداته وتقاليده ولغاته من جهة، وأهم من ذلك حماية الفرد الغربي من ضلالات الشرق، ومعني به في هذا السياق الإسلام، لذلك نجد من أجل وأسمى أهداف الاستشراق دراسة أصول ومضامين الدين الإسلامي تحديداً، لكن دراسة تفتقر إلى كثير من المعايير الموضوعية والمنطقية¹، ذلك أن دافعها وغايتها تصيد الأدلة المناسبة لتشويه الإسلام وتاريخه، وإطلاق الشبه والطعون في أصوله ومبادئه، وتوجيه الانتقادات الملققة إلى أحكامه وتعاليمه الحياتية السامية.

يقول أحد المستشرقين: " لقد قمنا بدراسة شعوب الأراضي المنخفضة، بشكل لم يقم به أي منتصر، وبشكل لم تدرس أو تفهم فيه قبيلة خاضعة للسيطرة! فنحن نعرف تاريخهم، وعاداتهم، وحاجاتهم، ونقاط ضعفهم، بل وأحكامهم المسبقة.. وهذه المعرفة الخاصة قد أتاحت لنا توفير قاعدة للإرشادات السياسية التي يمكن ترجمتها بالحذر الإداري، والإصلاح اللازم في حينه، وهذا ما يرضي الرأي العام"²، ويمكن تلمس أثر الدراسات الاستشراقية في الحركات الاستعمارية عبر التاريخ، من خلال التأثير الذي مارسته مؤسسات الاستشراق الفرنسية في حملتها على مصر بداية، ثم المغرب العربي بعد ذلك، وكيف لعب الرحالة الفرنسيون المستشرقون بصفة خاصة جداً- الارتباط الفرنسي بالشرق يختلف جوهرياً- كما وكيف- من الناحية التاريخية والثقافية عن الارتباط البريطاني أو أي دولة أوروبية أخرى دوراً كبيراً في تنفيذ الحملة الفرنسية على مصر والمغرب العربي، وساهموا في التخطيط لمشروع الإمبراطورية الفرنسية السياسي الاستيطاني³... ويظهر ذلك جلياً في دعوة

¹ من باب الإنصاف والموضوعية، لا ينبغي بأي حال من الأحوال إسقاط جهود بعض الدارسين ممن التزموا الموضوعية والإنصاف، وتخلو بكل شجاعة عن العصبية والحقد والكراهية، فمايك هارت من خلال كتابه: *The 100 : A Ranking of the Most Influential People in History*، يجعل النبي محمد صلى الله عليه وسلم، أول أعظم عظماء التاريخ، والإسلام عند "هيبرد شان" حاكم المستعمرات الفرنسية في إفريقيا هو: دين الفطرة والتسامح. لكن مثل هؤلاء يعيرون بصفة مقصودة العالم الغربي إعلامياً، وأكاديمياً، وشعبياً.

² جيرار لكرك: *الانثروبولوجيا والاستعمار*. ص38، نقلاً عن صلاح الجابري: *الاستشراق قراءة نقدية*. ط1، دار الأوتار، دمشق، 2009، ص23.

³ ادوارد سعيد: *الاستشراق، المعرفة، السلطة، الإنشاء*. مرجع سابق، ص:47.

القديس (لويس Louis) ملك فرنسا وقائد الحملة الثامنة على مصر التي انتهت بهزيمته ووقوعه في الأسر، دعا إلى ضرورة تكتل جهود الأوربيين لتشويه الإسلام وإفساد عقيدة المسلمين التي هي سر قوتهم وتفوقهم¹.

والاستشراق والاستعمار الفرنسيان تحديدا تتمثل وحدتهما في أنهما وليدا سياسة واحدة كما قال المستشرق الفرنسي المعاصر (جاك بارك J. Park) (1910-1995م) " الاستشراق هو الجناح الفكري للتوسع السياسي، وغياب أحدهما عن الآخر هو بداية تصدع في جدارهما، وهو ضعف لهما ومؤشر لبداية زوالهما "، ويعتبر انعقاد مؤتمر المستشرقين الرابع عشر في الجزائر عام (1905م) حلقة من حلقات التكامل والتعاون الإستراتيجي القائم بين الاستشراق والاستعمار الفرنسيين، أين حاول الفرنسيون إضفاء طابع "الجزائر الفرنسية" التي كان قد مضى على احتلالها حينذاك أكثر من سبعة عقود، ويعد في هذا السياق المستشرق الفرنسي (سلفستر دي ساسي S. Sassi) الابن الثاني لليهودي محرر العقود (أبراهام جاك سلفستر A. J. Sylvester) أحد أبرز حلقات الوصل بين الاستشراق والاستعمار في فرنسا :

✓ عد أول مستشرق أوروبي في العصر الحديث يمثل الاستشراق كمؤسسة سياسية تعمل لخدمة الاستعمار الغربي، الفرنسي منه على وجه الخصوص، وتثبيت أركانه في العالم الإسلامي؛ حيث كان حلقة الوصل بين الاستشراق والسياسة الفرنسية الخاصة بالمسلمين.

✓ عد أول معلم للغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية في فرنسا، ثم مديرا لها عام (1824م)، ثم منصب المستشرق المقيم في وزارة الخارجية منذ (1806م)، واستمر عمله بالوزارة ست سنوات بدون مقابل.

✓ وكان يستشار بانتظام من قبل وزارتي الخارجية والحربية الفرنسيتين.

✓ كما كان من مهامه أن يترجم نشرات الجيش الفرنسي للمسلمين، وقد قام فعلا بترجمة الإعلان الفرنسي إلى الجزائريين باحتلال فرنسا للجزائر عام (1830م).²

¹ محمد جعيجع : « دور الإستشراق الفرنسي في استعمار الجزائر ». مجلة المعيار، صادرة عن كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، عدد خاص أعمال الملتقى الوطني حول: المشروع الثقافي الاستعماري في الجزائر 1830-1962، وتأثيراته المعاصرة، أيام 10/08/2005م، العدد العاشر، سبتمبر 2005، ص 16.

² أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي. جزء 6، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 09.

✓ كان معجبا بالأدب اليهودي، حيث وصف الشعر العبري بأنه (شعر مقدس حقيقة)؛ بسبب ثقافته الأصلية التي تلقاها في الدير هي السبب في ذلك حيث كانت ثقافة لاهوتية عميقة تعتمد على العهدين القديم والجديد.¹

أما بالنسبة لبريطانيا فيقول (إدوارد سعيد) : " شعرت بريطانيا منذ البدايات الأولى فيما يتعلق بالإسلام والبلدان الإسلامية، أنها قوة مسيحية ذات مصالح مشروعة ينبغي المحافظة عليها، وقد أنشأت جهازا أكاديميا ودينيا وثقافيا معقدا لرعاية هذه المصالح.. فبعد المنظمات المبكرة مثل " جمعية نشر المعرفة المسيحية " سنة (1697م)، و " جمعية نشر الإنجيل في المناطق الأجنبية " سنة (1701م)، " جمعية التبشير الإنجيلية " (1792م)، و" جمعية الكتاب المقدس البريطانية والأجنبية " (1804م)، و " الجمعية اللندنية لنشر المسيحية بين اليهود " سنة (1808م)، وقد شاركت هذه الإرساليات بصورة صريحة في التوسع الأوربي... ولقد أصبحت هذه المصالح تحمى فيما بعد بحماسة شديدة وبنفقات عالية... يقول (اللورد بلفور L. Balfour) وزير خارجية بريطانيا سابقا "إن المستشرقين والمبشرين هم ساعد جميع الحكومات المستعمرة، وعضدها في كثير من الأمور المهمة ولولاهم لتعذر على تلك الحكومات، أن تذلل كثير من العقبات، ولذلك فإننا في حاجة إلى لجنة دائمة تعمل لما فيه صلاح هؤلاء".²

فلاستشراف أحد أهم الوسائل التي مهدت وسائرت الاستعمار العسكري، في غزو العالمين العربي والإسلامي ثقافيا وعسكريا، والاستعمار الحديث مدين بشكل بالغ في ذلك إلى المستشرقين من أجل معرفة نفسية الشعوب، وعاداتها، وتقاليدها، وأفضل الوسائل للسيطرة عليها والتحكم فيها بأقل قدر ممكن من التكاليف، والذي يتابع أحداث القرن التاسع عشر والقرن العشرين (وهما أكثر القرون في النشاط الاستعماري) يدرك تماما مدى الصلة القوية بين الاستعمار والاستشراف، ومن هنا فإننا نجد في كثير من وزارات ومؤسسات عليا وسفارات الدول الاستعمارية مستشرقين عاملين بها، يقع على عاتقهم مهمة الاتصال بالعقول المفكرة في البلاد التي يريدون السيطرة عليها ثقافيا أو عسكريا وكذلك الاتصال بكبار العاملين في المناصب القيادية في مجالات الثقافة والإعلام والتعليم العام والجامعي، ولا تنقصهم الوسائل المناسبة في محاولة احتواء هذه الشخصيات عن طريق الصداقة أو المشاركة في أعمال ثقافية أو تقديم الخبرة لهم، أو.. أو.. الخ،

¹ ينظر أحمد عبد الحميد غراب : مرجع سابق، ص ص 107-108.

² ينظر عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : مرجع سابق، ص : 49.

وعن طريق هذه الشخصيات يستطيعون تنفيذ خططهم في غزو البلاد فكريا ثم عسكريا إذا اقتضى الأمر،¹ لذلك، لم يقتصر الاستشراق على مخاطبة العقل الأوربي كما لم تقتصر كتابات المستشرقين ودراساتهم على حماية الأوربي من اعتناق الدين الإسلامي، وإن كان ذلك هو الهدف الأول، وإنما تجاوزت إلى محاولة إلغاء النسق الفكري الإسلامي ومحاولة تشكيل العقل المسلم لممارسة هذا الدور والتقدم باتجاه الجامعات والمعاهد ومراكز الدراسات والإعلام والتربية في العالم الإسلامي، لجعل الفكر الغربي هو المنهج والمرجع والمصدر والكتاب والمدرس في كثير من الأحيان...².

والحقيقة أن المشروع الاستشراقي الغربي في غاياته وأهدافه الكبرى لم يكن في يوم من الأيام مهينا، بفعل المؤسسات والهيئات الضخمة التي كانت قائمة عليه لأن يقارب الإسلام دينا وحضارة مقارنة علمية بتعدد عن الاستعلاء وتكريس المركزية الغربية، وتغرق في الموضوعية والأمانة وذلك لعدة عوامل.

✓ أولها أن مؤسساته وفاعليه لم تفتح لهم أبواب النجاح وفضاءات الحركة إلا بعد تنامي نجاحات قوى التوسع الاستعماري الغربي، مما جعل منه في ذات الوقت وسيلة في يد السياسيين والعسكريين من أجل تحكم أكبر في الشعوب الإسلامية المستعمرة، أو من كان الاستعمار يطلق عليهم مصطلح "الأهالي". فالدراسات، خاصة الأثروبولوجية، التي قام بها المستشرقون حول ثقافة تلك الشعوب وأنماط حياتها في جميع الميادين وظفت في قمعها والسيطرة عليها. فباستثناء القليل من المستشرقين، كان أغلبهم مطبوعين بالإنثنية الغربية المتعالية التي لم تر في الشعوب الإسلامية إلا تجمعات تحتاج إلى التمدين والخروج من البربرية.

✓ العوائق السياسية والسيكولوجية الموروثة عن الحقب السالفة حالت دون مقارنة الإسلام كواقع حضاري وثقافي يمكن دراسته دون تدخل اعتبارات الانتماء، فقلة هم المستشرقون الذين حاولوا إرجاع الأمور إلى أسبابها وهم يكتبون عن الأوضاع في العالم الإسلامي في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. أما أغلبهم فقد قدم تفسيرات عنصرية في شرحه للأوضاع آنذاك، وربطوها بعنصرين: الأول يكمن في العاهات الفطرية للشعوب التي تدين بالإسلام، والثاني متعلق بالإسلام كدين "مطبوع بطابع التخلف" و"عدم الحركة

¹ نصر بن محمد الصنقري: الإسلام والغرب شقاق أم وفاق، مكتبة صيد الفوائد، ص31.

[On-line] ، <http://www.saaaid.net/book/open.19/02/2013,07:08h>

² عبد العظيم محمود الديب: المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي. ط1، سلسلة كتاب الأمة، عدد 27. الدوحة، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، 1411هـ، ص 71.

" ومنهم من ذهب إلى أبعد من ذلك مستوحيا ومتمثلا الصورة الكنسية النمطية للإسلام. وأشهرهم (أرنت رينان E. Renan) الذي لم يجد حرجا في القول "بأن أي فرد يعرف حدودا دنيا من معارف اليوم، يمكن أن يرى بوضوح دونية البلدان الإسلامية، وانحطاط البلدان التي يحكمها الإسلام، والعجز الفكري للأجناس التي تستمد من هذا الدين ثقافتها وتربيتها."¹ فلم يكن يرى في الإسلام إلا " السلسلة الأكثر ثقلا التي لم تحمل البشرية مثلها قط."² أما عنصره فلم يتوان عن نشرها في كل المحافل. ففي محاضرة له حول "نصيب الشعوب السامية في الحضارة" اختزل الإسلام في هذه العبارات "إن الإسلام هو التعصب، إن الإسلام هو احتقار العلم، إنه إلغاء للمجتمع المدني".³

3-4 صورة الإسلام والمسلمين في التراث المسيحي الغربي.

تعود صورة الإسلام النمطية المشوهة عن الإسلام والعرب في المخيال الغربي إلى بداية العلاقة التي نشأت وتطورت بين الإسلام والمسيحية خلال القرون الأولى لظهور الدين الإسلامي، وقد تكونت معها وبخاصة طيلة القرون الممتدة من القرنين الثامن إلى الثاني عشر الميلاديين، صورا أسطورية مزيفة عن الإسلام والعرب والمسلمين، وظلت مهيمنة حتى وقتنا الحاضر إن لم نقل أنها زادت ظلامية بفعل تعقد متغيرات العصر، وكان للأدب الشعبي البيزنطي دورا كبيرا في إرساء أولى معالم هذه الصور، باعتباره سبق غيره في الاحتكاك مع المسلمين، فيزعم أن المسلمين يعبدون ثلاثين إلها أكبرهم " مخومد " ⁴، ويذكر العالمان السويسريان " (H.erkomr et G.hutter) في كتاب لهما عن الصورة الغربية عن النبي (محمد) ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قولهما: " لقد اعتبر المسيحيون الأوروبيون الأوائل: أن (محمدا) رجلا عاش حياة داعرة، وتجاوز خبثه كل حدود الدناءة والانحطاط، ولم يتورع خيالهم عن الادعاء بأن رسول الإسلام كان في الأصل كاردينيا لا كاثوليكيًا، تجاهلته الكنيسة في انتخابات البابا فقام بتأسيس طائفة ملحدة في الشرق انتقاما من الكنيسة،

¹Djamel Kouloughli : « Ernest Renan : un antisémitisme savant » . **Revue Histoire Epistémologie**, vol 29/II, Laboratoire d'Histoire des Théories Linguistiques, Université Paris Diderot, 2007, p 101-112.

² Ibid. p. 956.

³Ibid. p 112.

⁴ ينظر عبد القادر طاش : صورة الإسلام في العالم الغربي . ط2، دار الزهراء للإعلام الغربي، 1994، ص 39 .

واعتبرت أوروبا المسيحية في القرون الوسطى (محمدًا) المرتد الأكبر عن المسيحية الذي يحمل وزر انقسام نصف البشرية عن الديانة المسيحية¹، كما تعد في هذا السياق تشكل الملاحم الشعبية أكبر المكونات لثقافة الصور النمطية التي تم نسجها خلال القرون الوسطى، فملحمة (رولاند Roland) " La Chanson de Roland " الشعبية التي ظهرت في حدود عام (1000م) تصور المسلمين أنهم الجنس الحيواني الحقير... والكلاب والخنازير " وأنهم وثنيين يعبدون ثالوثًا مكونًا من (Tervagen- Apolin- Mahomet)، والإسلام دين جنس وملذات (إشارة إلى تعدد الزوجات في الإسلام)²، وقد عاودت الأساطير والخيالات المتضمنة فيها الظهور مرة أخرى عام (1130م) مع نشيد الضعفاء "Chanson des chétifs"، وفي نشيد أنطاكية " Chanson d'Antioche " عام (1180م)³، وبكذا أعمال تحولت وقائع الحركة الصليبية إلى أساطير وقصص وأشعار ومسرحيات تاريخية تضمنت أبشع النعوت والأوصاف في حق الإسلام والمسلمين، لترسب وتورث في أذهان الأجيال صورًا نمطية مفعمة بالكرهية للشرق والمسلمين، وقد كان لخطاب فلاسفة الكاثوليكية في هذه الفترة، دورًا بارزًا في تكوين جهاز متكامل من الصور النمطية عن الإسلام ونيبه، حيث أسهم اللاهوت وعلماء الفلسفة الدينية في تشكيل صور ذهنية موعلة في الأزدراء والكرهية للإسلام. وتزعم ذلك فلاسفة مشهورون أمثال (توماس الاكوينى T. Aquinas) و(مارتن لوتر M. Luther) و(دانتي Dante)⁴.

وعليه فصورة الإسلام وأمته وحضارته في التراث الغربي وخطابه، ليست مجرد مقالات نظرية ولا تعبيرات عن صور وقوالب ذهنية مجردة، بقدر ما هي بناء فكري مركب بالغ التعقيد، ونما وتكرس عبر مسيرة تاريخ طويل من الصدام العنيف بين الغرب والشرق، لا يقف عند أفكار المفكرين أو كتابات الكاتبيين ونظريات المنظرين، وإنما ليكون التبرير المسوغ والمنهج لهيمنة الغرب على الشرق سياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا، في خطاب تبريري لتسويغ ممارسات أقل ما يقال عنها لا أخلاقية، تجسدها الامبريالية والاستعمار في أرض الواقع،

¹ هوبرت هيركومر و جيرنوت روتر : صورة الإسلام في التراث الغربي . (تر) ثابت عيد، سلسلة في التنوير الإسلامي، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، 1999، ص 23 .

² ينظر محمد عمارة : مرجع سابق، ص 71.

³ حسن عزوزي : « الأسباب التاريخية للصور النمطية السلبية عن الإسلام والمسلمين في الوعي الجمعي للمجتمعات الغربية وسبل تجاوزها ومواجهتها » . ملتقى اجتماع الخبراء. حول : الإسلام والغرب، (غير منشورة)، لندن 19-20 نوفمبر 2008، ص 03.

⁴ هوبرت هيركومر و جيرنوت روتر : مرجع سابق ص 24.

وتكريس نزعة " المركزية الغربية " التي لا تعترف بالآخر غير الغربي-الديني منه والثقافي والحضاري- ولا شك أن هذه النزعة تلعب دورا محوريا وكبيرا في تراكم ثقافة الخطاب المعادي والإقصائي تجاه الآخر الإسلامي.

ويحلل المفكر (محمد أسد)، الخلفيات والدواعي النفسية لهذا الرفض والإقصاء في المخيال الغربي قائلا : " عندما يناقش الإنسان الغربي الهندوسية مثلا أو البوذية فإنه يعني تماما الفارق الكبير بين فكر هذه الديانات وفكره، لكنه يستبعد تماما باستحالة إتباعه لهذه العقائد مسبقا، فهو ينظر إليها ويتعامل معها بحدوء، بل وبل وبتعاطف وتقدير في كثير من الأحيان، أما فيما يتعلق بالإسلام فهو بالطبع ليس بعيدا عن مفاهيمه، ومن ثم تطفو على السطح مشاعر التحيز التي تمزج هدوءه، كما أن ما يشعر به الغربيون اليوم تجاه المسلمين والإسلام هو نتاج تراكم لمشاعر سلبية تكونت أثناء الحروب الصليبية ¹.

وساهم المفكرون والكتاب والأدباء الأوروبيون والدينيون وغيرهم أيضا في مواصلة المسيرة منذ البدايات الأولى لعلاقات الشرق والغرب، وخاصة عقب نهاية الحروب الصليبية وبداية الثورات الشعبية والعلمية وفي أوروبا، في تحويل الإسلام إلى دين كرهه بغض لدى العامة والخاصة؛ حفاظا على مركزية أوروبا من جهة، وصيانة لها من الوقوع تحت وصاية أو اختراقات الدين الإسلامي، بقوته الأخلاقية والفكرية الآسرة من جهة أخرى. لذا كان لا بد لكل هذا التراث الديني والفني والأدبي من أن يساهم ويدي بدوره في تكوين قوالب ذهنية مشوهة عن الإسلام وأصوله ونيبه ومعتنقيه. وقد آثرت الدراسة بداية، الفصل بين رؤيتين :

الرؤية الأولى: انتشرت على المستوى العقلاني، وهي رؤية المقررات والمناهج الدراسية في الغرب، ويمكن تصنيفها بالأكاديمية أو العلمية، انطلاقا مما يفترض أن تتسم به من موضوعية، وقد أفردتها الدراسة بالتناول في المبحث القادم.

أما الرؤية الثانية (محور الدراسة في هذا المبحث): انتشرت على المستوى الخيالي، وهي رؤية التراث الشعبي والأدبي والفني، أو الرؤية غير الأكاديمية، وهذه نجدتها تغذت كثيرا من مخلفات الحروب الصليبية، وخطورتها تكمن في ما تتميز به من تحرر مطلق تجاه كل القيود القيمية، والالتزامات الأخلاقية، والعلمية والموضوعية، فلا ضوابط إلا ما تراه النفس وتجنح، إليه، لذا يكسر التركيز فيها على الآراء الشخصية والانطباعات الذاتية والخبرات الخاصة، ولما لها من تأثير قوي على أفكار قناعات الجماهير، و(أغنية رولاند) التي تمثل من وجهة

¹ صفوت مصطفى خليلوفيتش : الإسلام والغرب " رؤيا محمد أسد " . (تر) هدير أبو النجاه، ط1، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة، القاهرة، 2007، ص ص 31-32 .

النظر الفرنسية المشهد والشاهد التاريخي لأكثر ملحمة صراع للغرب مع المسلمين، وتقدم العرب على أهم وثيون، ونبههم عاهر مهووس بالنساء والقتل والغزو... في خلط غير مسبوق بين الملحمي بالخيايالي¹. تعد أكبر مثال في هذا السياق، فملاحم الصورة منذ البدء كانت تركز على قصور العرب وتخلفهم، كما يخلط فيها غالباً العربي بالمسلم -دون فرق بينهما- وفي كل الأحوال دائماً هو الساذج والأبله، المغفل الذي يلهث خلف النساء في حضارة الغرب، وذلك الغبي الذي لا تقوى ذاكرته لفهم أصول المدنية والتحضر، وغيرها من الإساءات المهينة للإسلام وللمرأة العربية والرجل العربي، ومن بينهما كما يضيف (السيد ياسين) ما قرره (جورج ديهاميل) في كتابه "حضارة فرنسا" من أن الذهنية الشرقية عاجزة تمام العجز عن التفكير التركيبي وعن تجاوز الذات².

لقد استمر بناء هذه الصورة النمطية الكريهة عن الإسلام طوال الألف عام الماضية بشكل دؤوب ومستمر، لم ينقطع إلا في فترات محدودة للغاية، ولم تخالفه أو تعترض عليه إلا بعض الدوائر الثقافية والفكرية الصغيرة وغير المؤثرة في الموقف الفكري الأوروبي. لذلك يمكن القول: إن التصورات الغربية المعاصرة حول الإسلام والمسلمين، لم تتكون وترتسم في صفحة بيضاء خالية، وإنما انعكست في مرآة قديمة مشوهة، إذ إن سكان أوروبا المعاصرة ورثوا عن أسلافهم من القرون الوسطى مجموعة عريضة وراسخة من الأفكار حول الإسلام، التي كانت تتغير تدريجياً مظاهرها الخارجية فقط، تبعاً لتغير الظروف في أوروبا ذاتها، وتبعاً لطبيعة علاقاتها ومواقفها المستجدة نسبياً مع البلدان الإسلامية وثقافتها الحديثة³.

أما من ساهم بالتحديد في تشكيل هذه الصورة في الوعي أو المخيال الغربي، فهو بلا شك الأدب الأوروبي بكل تفاصيله (الأدب الشعبي، الفن، المسرح، الروايات، والقصص... الخ)، "فأدب أوروبا في القرون الوسطى حول الإسلام وضع في غالبته العظمى من طرف رجال الدين المسيحيين، الذين استندوا إلى مصادر شديدة التمايز والتباين، كالحكايات الشعبية، وقصص الأبطال والحجاج والقديسين، والمؤلفات الجدلية - اللاهوتية الدفاعية

¹ David R. Blanks And Michael Frassetto : **Western Views Of Islam In Medieval And Early Modern Europe** . 1st, Edition , Library of Congress Cataloging-in-Publication Data, New York, 1999, pp 12-17.

² السيد ياسين : الشخصية العربية بين صورة الذات ومفهوم الآخر . ط3، دار التنوير، بيروت، 1983، ص73.

³ Norman Daniel : **Islam, Europe And Empire**. 1st , Edition Edinburg University Press, 1966, P.13

للمسيحيين الشرقيين، وشهادات بعض المسلمين، وترجمات مفكريهم وعلمائهم. فكانت المعلومة المقدمة تنتزع في معظم الحالات من سياقها الأصلي، ثم تقدم إلى القارئ الأوروبي. وبهذا الشكل شوهدت الوقائع بصورة متعمدة - واعية أحيانا، أو بشكل غير واع في أحيان أخرى - في إطار البحث الحماسي عن حل سريع لـ (مشكلة الإسلام) التي سيطرت في القرون الوسطى على الموضوعات الدينية - الأيديولوجية¹.

وإذ كنا نتفق أن التصورات الأوروبية عن الإسلام تمتد جذورها إلى القرون الوسطى - كما صدرنا - فإنه يجب أن نشير إلى أن حقيقة هذه التصورات تكونت في كثير من جوانبها وخطوطها الكبرى على خلفية التفسير المسيحي الشرقي للعقيدة الإسلامية. فرجال الدين جعلوا منها - التصورات - مرادفاً للخطيئة " داخل الكنيسة المسيحية، بل تحول الموقف من " الإسلام " لدى رجال الكنيسة إلى موضحة تنافس بين اللاهوتيين البروتستانت والكاثوليك²، وبهذا طبع ومهد رجال الدين الأوائل السبيل أمام الأدباء والفنانين والكتاب، لرسم ملامح صورة خاصة جدا، مجتزأة، مشوهة، مغلوطة، وفي قالب نمطي متميز جدا، عن الإسلام والمسلمين ونبههم وربهم، ليوجهوا من خلالها عموم الناس عن كل معنى طيب للإسلام أو نبهه. بعيدا كل البعد عن الأصول العلمية والموضوعية والأخلاقية التي كثيرا ما تنادت بها عصور الأنوار في الغرب.

ومع ميلاد النصف الثاني من القرن التاسع عشر، شهد الفكر الفلسفي والديني الأوروبي انقساماً إلى تيارين أساسيين تجاه الإسلام، أكبرهما وأوسعهما انتشاراً تبني أفكاراً وتصورات وأساليب رومانسية، جديدة تعتمد على الشحن العاطفي، وتأجيج المشاعر، والغرائبية، والبحث عن الجماليات الطبيعية البدائية والأشياء النادرة الطريفة في الشرق. أما التيار الأصغر حجماً وتأثيراً، فكان يستند نسبياً إلى النهج التحريبي - الميداني، وإلى تحليل الوثائق والمعطيات واستخدامها ولو بصورة جزئية. هذا فيما يتعلق بالأدباء والشعراء والفنيين ذوي النزعة العلمية والأدبية والفكرية التنويرية، أما ذوي النزعة الدينية - المسيحية من علماء ولاهوتيين ومبشرين، فهم في غالبيتهم العظمى ظلوا أسرى دوافعهم وأهوائهم الدينية والطائفية والمذهبية نحو الإسلام³.

وعلى سنوات اثر ذلك تألفت جل الإبداعات الأوروبية الفلسفية والأدبية والفنية وتعايشت مع تصوراتها الخاصة عن الشرق، بوصفه ذلك العالم الغريب وغير العادي، وذلك لأن التصور العام عن لإسلام في المخيال الغربي لم يتشكل فقط بسبب ضعف معرفة الأوروبيين بهذا الدين فحسب، حيث يشير الدارسون إلى ثلاثة

¹ ينظر أليكسي جورافسكي : مرجع سابق، ص 67.

² ينظر المرجع نفسه، ص 71.

³ ينظر أليكسي جورافسكي : مرجع سابق، ص 66-70.

عناصر بنيوية أخرى أعمق، أسهمت في بشكل كبير في تكريس هذه القوالب النمطية دون أن تتعارض فيما بينها، بل إنهما تعايشت وتداخلت من التأثير والتأثير، وهي المكونات الميثولوجية، والمكونات اللاهوتية والمكونات العقلانية.¹

وتدخل في هذا السياق كتابات أوائل الأدباء والمفكرين الفلاسفة الغربيين على غرار (Charles-Louis de Secondât)، و (Denis Diderot)، و (François-Marie Arouet, Voltaire) ... وغيرهم من نقاد الإنتملجنسيا الأوروبية الذين عمموا فكرة "رجعية الإسلام"، والزعم بعدائيته للتقدم والتطور الاجتماعي والثقافي للشعوب، وهي الفكرة التي صارت في القرن التاسع عشر قالباً نمطياً شائعاً لأبعد الحدود، يكفي الإشارة إلى مؤلفات الأدباء الكبار الأوروبيين "تاريخ مصادر المسيحية" (Joseph Ernest Renan)، وترجمة "ألف ليلة وليلة" و "أمثال لقمان" لـ (Antoine Galland)، والفيلسوف والكاتب الفرنسي (فولتير Voltaire) نجده يؤلف كتاباً ضخماً تحت عنوان "محمد أو التعصب" (Mohamed Ou la Fanatisme) الذي أهده إلى البابا، ثم حول إلى مسرحية تم عرضها في الكوميديا الفرنسية المشهورة، قد وصف فيه الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه "خائن" و "متمرد" و "مجرم" و "دجال" ولم يكون أمة إلا من أجل الصلاة والتكاثر والقتال²، وقد استخدم فولتير شخصية النبي عليه السلام في حملته على الكنيسة الكاثوليكية³. وفي المسار ذاته نجد الفيلسوف الألماني (Goethe) لا يتورع من ترجمة مسرحية (فولتير Voltaire) القادحة والمسيئة لشخص رسول الله ﷺ إلى اللغة الألمانية، ومهما دافع عنه بعض الباحثين على اعتبار أن (Goethe) لم يكن موافقاً على ما ورد بالمسرحية الفولتيرية من تحامل وأفكار سخيفة سمجة، ومهما قيل لتبرير تصرفه ومهما قال هو نفسه في رسائله إلى بعض أصدقائه للاعتذار عنه، فستبقى ترجمته لهذه المسرحية نقطة سوداء في صفحة حياته وأدبه وتدينه. وهو القائل - (Goethe) - في حق القرآن الكريم "إنه الكتاب الذي يكرر نفسه تكرارات لا تنتهي فيثير اشمئزازنا دائماً كلما شرعنا في قراءته"⁴، وثمة رجل آخر وهو (توماس كارليل T. Carlyle) في كتابه "البطولة وعبادة الأبطال" يقول: "إن

¹ ينظر المرجع نفسه : ص 67.

² ينظر (Voltaire et l'Islam : Jawad Hadidi) نقلا عن حسين عزوزي : « الأسباب التاريخية للصور النمطية السلبية عن الإسلام والمسلمين في الوعي الجمعي للمجتمعات الغربية وسبل تجاوزها ومواجهتها ». مرجع سابق، ص 05.

³ كاتارينا مومزن : جوته والعالم العربي . (تر) عدنان عباس علي ، سلسلة عالم المعرفة ، رقم 194 فبراير 1995 ص 179

⁴ ينظر حسين عزوزي : « الأسباب التاريخية للصور النمطية السلبية عن الإسلام والمسلمين في الوعي الجمعي للمجتمعات الغربية وسبل تجاوزها ومواجهتها ». مرجع سابق ، ص 21.

(محمدًا) شيء والقرآن شيء آخر ، فالقرآن هو خليط طويل وممل ومشوش جاف وغليظ، باختصار هو غباء لا يحتمل " ¹.

هذه الصورة بمختلف مستويات التعقيد والتشويه نجدتها تتكرر اليوم في شتى إبداعات الفكر الغربي ، وتتجسد في كثير من الأعمال الأدبية والفنية المعاصرة، كما جاء في سلسلة الكتب المسماة (حقيقية طبيب الغابة) تأليف (بول ويت P. White) ، وهي من أضخم وأكثر السلاسل الأدبية انتشارا، والموجهة للأطفال في الغرب تضم العديد من الأفكار الغربية والمسممة عن العرب والمسلمين، والإسلام، تماما كما في "قصة الفارس المسافر" للكاتب (نيكولاس لورد N. Lord)، وقصة "باروخ نادل"، و"تحطمت الطائرة عند الفجر"، وكتاب "الرحالة العرب" لمؤلفه (توماس كيرنان T. Kirnan)، الذي يدل فيه المؤلف على سفه العرب بالإضافة إلى رجال الأدب والفكر مثل الشاعر (كبلنج Kapling) الذي دون أشعاره وكان منها " أن الشرق شرق والغرب غرب ولن يتلقيا" تلخص كل ذلك مقالة الكاتب الأمريكي ذو الأصل اللبناني (جاك شاهين) وهي يوجز تجربة في عالم الغرب قاتلا " قرأت ثلاثين رواية من أصول التراث الأمريكي ، كلها تتكلم في وصف العرب والمسلمين، ولو أردت أن اكتب ما قرأته فيها من صور مشوهة عنهم، لاحتجت إلى أن أؤلف مئات بل الألوف المؤلفة من الكتب في ذلك " ².

ولا تشكل في السياق ذاته الأعمال الفكرية الصهيونية استثناء في ذلك، وهي التي أريد لها أن تعمل على إعادة صياغة الأمة اليهودية، وخدمة التوراة وأصولها العبرية باعتبارهما المصدر الأساس للتاريخ القومي ، والوطن ، واللغة، والرافد الدائم للتقاليد الروحية والأخلاقية اليهودية عبر الأزمان. وقد أشارت أعمال الباحثة (ريز دومب R. Domp) سنة (1985م)، " حول صورة الإنسان العربي في أعمال أدبية صهيونية صدرت قبل عام (1948)، وتوصلت إلى أن:

- ✓ أن أولئك الكتاب يجمعون على وصف الإنسان العربي بالوحشية. الإيحاء دوما بأن العرب يعملون على إبادةهم وتدمير دولة إسرائيل.
- ✓ أنهم جميعا يكرسون النظرة الاستعمارية تجاه العرب والمسلمين .

¹ ينظر المرجع نفسه، ص 05.

² Jack G. Shaheen : Reel Bad Arabs : How Hollywood Vilifies a People. printed and bound canada, 2001 , p 09.

✓ اعتبار الشعب اليهودي شعب الله المختار الذي هو فوق كل الشعوب، وكل الشعوب مسخرة لخدمته، واعتبار أي من الحضارات والعلوم إنما هي وحي من هذا الشعب المختار .

✓ إيجاد المجتمع العسكري الدائم، وتأسيس منظمات (الجنداع)، (النحال) لشحن أفكار الناشئة منذ نعومة أظفارهم بروح العداة والاحتقار للعرب .

✓ تصنع خيالات من أساطير الماضي حول البطولات الخارقة للشعب اليهودي وأن الله وعدهم باستخلاف الأرض، وتذكيرهم بأيام الإذلال والمهانة والمذابح التي واجهها اليهود على أيدي الشعوب الأخرى على مر العصور .¹

✓ وقريب من هذه النتائج نجد كذلك دراسة الباحث الإسرائيلي "أدير كوهين سنة (1988م)"، إذ قام بعد حرب (1967م). بمسح (1700 م) كتاب يهودي صدرت بعد حرب والى قرب نهاية السبعينيات، وبعد تحليل هذه الكتب توصل كوهين إلى :

✓ إن مؤلفي تلك الكتب - وكلها من أدب أطفال- استطاعوا تكريس الكراهية تجاه العرب والمسلمين عن طريق وصفهم بأوصاف غير آدمية، وتشبيههم بالحيوانات.

✓ أن مؤلفي كتب الأطفال اليهود يعترفون صراحة بأنهم يفعلون ذلك بغرض التأثير المبكر في الأطفال اليهود لعنصرة نظرهم إلى العرب.

✓ أن جميع كتب الأطفال الموجهة لأطفال اليهود تكرر تفرقة عنصرية، فتظهر العربي جباناً فقيراً متخلفاً، وتظهر اليهودي شجاعاً متحضراً ثرياً.²

وغير بعيد عن الكتابات الأدبية والفنية نجد الموسوعات العالمية الكبرى، وانجازات دوائر المعارف الغربية، تنحوا نفس الاتجاه في التشويه واللاموضوعية والتنميط والقبولية السالبة للإسلام والمسلمين، يؤكد ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما ذكره المستشرق الأمريكي (ماكدونالد Mc donald) في "دائرة المعارف الإسلامية"، تحت مادة (الله) منكرًا حتى احتمالية أن يكون من صفات الله في الإسلام صفة السلام، قائلاً: "ومن أسمائه أيضاً السلام، وهذه الصفة لم ترد إلا في الآية (23) من سورة الحشر. ومعناها شديد الغموض،

¹ علي بن صالح الخبيتي : صورة العرب والمسلمين في مدارس إسرائيل (تحليل المناهج الدراسية في التعليم العام). مؤسسة العبيكان للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 2009، ص 230.

² علي بن صالح الخبيتي، مرجع سابق، ص 229 .

ونكاد نقطع بأنها لا تعني (السلم). ويرى المفسرون أن معناها (السلامة) أي: البراءة من النقائص والعيوب، وهو تفسير محتمل، وقد تكون هذه الصفة كلمة بقيت في ذاكرة (محمد) من العبارات التي تتلى في صلوات النصارى". فصفة السلام شديدة الغموض، ولا يمكن أن تعني السلم! ولا ندري مصدر هذا القطع والتأكيد؟ أخيرا فليس من الممكن أن يهتدي نبي الرحمة (محمد) ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ إلى هذا المعنى إلا إذا وصله من النصارى - كما يقول¹.

وفي السياق يؤكد الباحث (عفيف البوني) بعد قيامه بمراجعة علمية دقيقة للعديد من الموسوعات الغربية، أنها كثيرا ما تتغافل عن تتبع الجانب التاريخي المشكل للوجود والهوية العربية الإسلامية، والتركيز على ما يسيء للعرب والمسلمين، فـ"الموسوعة البريطانية" بالشكل الذي هي عليه الآن لا تسعف القارئ أو الباحث بشيء هام يمكن أن يساعده على تأليف صورة معينة عن عرب الأمس واليوم لا في التاريخ ولا فوق الأرض"².

ولم تكونا كلا من "الموسوعة العالمية الحرة" إحدى أكبر وأكثر الموسوعات حضورا على شبكة الانترنت، وموسوعة "دائرة المعارف البريطانية" أفضل من سابقتها حالا، إذ نجدهما وصفا واحدا في وصف نبي الإسلام (محمد) ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ بالإشارة إلى "ذلك الرجل الذي زعم أنه نبي مرسل من الله، وأنه أعظم الأنبياء وخاتمهم، وأن المسلمين يعبدون (محمد) ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ ويعتقدون أن الكون خلق من نور (محمد)"³، وفي الموسوعة الفرنسية (محمد) ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ "قاتل دجال، وخاطف النساء وأكبر عدو للعقل الحر"⁴.

وفي موسوعة دائرة المعارف السوفيتية أن الإسلام نشأ نتيجة وجود مجتمع طبقي بين العرب، وكنتيجة لانتصار الاشتراكية. وتعرف هذا الموسوعة القرآن الكريم بأنه "الكتاب المقدس الأساسي للمسلمين، وهو

³ فؤاد كاظم المقدادي : الإسلام وشبهات المستشرقين . سلسلة كتب مجلة (رسالة الثقلين)، المجمع العالمي لأهل البيت، مطبوعات البلاغ، 1996م، ص 116.

² ينظر عفيف البوني : « صورة العرب في العقل الغربي من خلال الموسوعات العلمية الغربية » . مجلة المستقبل العربي، العدد 101، جويلية 1987 م، بيروت، لبنان، ص ص 16-21.

³ ينظر "الموسوعة العالمية الحرة" [On Line] <http://en.wikipedia.org>

دائرة المعارف البريطانية [On Line] <http://www.britannica.com>

⁴ زياد ابو غنيمة : السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية . دار عمار، عمان، 1984م، ص 116.

مجموعة من المواد الدينية والمذهبية والأسطورية والقانونية، ويعتبر محمد مشرع القرآن، كما يعتبر مؤسس الإسلام¹.

أما موسوعة (Tout L'univers) أحد أبرز الموسوعات، والمعتمدة في كثير من المعاهد ومراكز الدراسات بل حتى في المدارس الغربية، كما هو الشأن في المدرسية الفرنسية، فجاءت تعرف (محمد) «صلى الله عليه وسلم» والإسلام - بعد أن أرفقت ذلك بصور مستفزة للداوة والعروبة والجمال والخيول والسيوف والدماء.. - بداية انه دين العرب ورسول العرب الذي عاش راعيا ثم متاجرا بأموال مطلقة غنية تزوجها فيما بعد، تعرف من خلال رحلات طفولته وشبابه برجال الدين اليهود والمسيحيين الذين شكلوا المرجع الأساس لديانته فيما بعد².

لقد كشفت العديد من الدراسات الأكاديمية العربية وغير العربية عن وجود ما يمكن تسميته إعلاميا بصورة نمطية مغلوطة ومشوهة، وخاضعة للتشويه والاستبعاد في الغرب عن الإسلام والمسلمين في غالب الكتابات والدوريات العلمية والكتب الحرة، ومراكز البحث والدراسات الملحقة بالحكومات وجماعات المصالح ومراكز الضغط والشركات الكبرى، ومنتديات الحوار عبر الأديان، ووسائل الإعلام، وغير ذلك من المواقع المسؤولة عن بحث موضوعات الإسلام وتحليل قضاياها³، وهي بلا شك صورة غدت نوازع التاريخ ورواسب الثقافة المتعصبة منذ العصور الوسطى، ورسخها في الوجدان الغربي غلاة الصليبيين ثم المستشرقون والمبشرون في أبحاثهم ودراساتهم وجهودهم العلمية عبر مراكز البحوث والدراسات الشرقية والأنثروبولوجية في العالمين الغربي والإسلامي، فالغرب دائما هو المركز والمحور الذي تدور حوله الأحداث التاريخية الهامة، أما الأحداث التاريخية التي تعتبر ثابتة في تاريخ الثقافات والشعوب الأخرى ومنها بالأخص العالم الإسلامي، فيتم إغفالها تماما

¹ عبد القادر طاش : مرجع سابق، ص74.

² Jean Louis Lisinmashio Et Autres : «**Tout l univers encyclopédie de l'âge scolaire**» . vol 03 , livre de paris, HACHETTE ,Paris, France, p 485 .

³ محمد وقيع الله أحمد : الإسلام في المناهج الغربية المعاصرة (عرض ونقد). ط1، دراسة مقدمة لجائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية، 2006 م.

و ينظر :

A . Al-Qazzaz : **Image Formation and Text books** .(ed ,) split vision Wash, D.C, The American – Affairs Conucil,1983 .

Al -Ashmawi Fawzia : **Etude comparative des manuels scolaires d'histoire de pays des deux rives de la Méditerranée**. Publication Institut Robert Schuman pour l'Europe, paris, 1996.

ولا يذكر منها إلا ما نذر من الأحداث غير ذات الأهمية، والتي تبرز تفوق الغرب وانتصاره ومحوريته العالمية والتاريخية والحضارية . ومما لا شك فيه أن مؤلفي الموسوعات والكتب العامة والمدرسية الغربية، هم كذلك في تناولهم لموضوع الإسلام وحضارته، كانوا متأثرين بما درسوه بدورهم في طفولتهم عن الإسلام والمسلمين في كتب التاريخ الغربية التي أعدها جيل سابق من خبراء التربية والتعليم في الغرب، والتي استقت معلوماتها من دوائر المستشرقين ضد الإسلام والحضارة الإسلامية وموسوعاتهم، وبذلك ظل تشويه صورة الإسلام والمسلمين معرفة تتناقلها الأجيال عبر وسائط متعددة بدءاً بكتب العلوم الإنسانية خاصة، توفره من فرص في خدمة الأنا، ورسم معالم صورة الآخر في الذاكرة الجماعية للأفراد.

4-4 صورة الإسلام في المقررات والكتب المدرسية الغربية

تؤكد العديد من الدراسات المتعلقة بعملية التشكيل الاجتماعي والنفسي أن التعليم المكتسب في مراحل الأولى له تأثير عميق ودائم في شخصية المتعلم،¹ لذلك يمكن إرجاع المواقف التي يتخذها الكبار تجاه جماعات معينة في العادة إلى التجارب التربوية الأولى، ومثلما يؤدي التعليم المقصود إلى تعزيز المواقف الإيجابية.. كذلك من شأنه أن ينشأ يكرس الظواهر السلبية والمواقف المشوهة عن الآخر الأجنبي، من أخطاء التأويل أو الحذف و التحريف خلال عمليات التعليم.. وتحدث أخطاء التأويل عندما تتداخل روايب النفس وإغراض النص وتقحم على الفهم والنقاش وقائع أو مقولات غير دقيقة أو غير كاملة أو غير متصلة بالموضوع بقصد إشاعة صورة مشوهة فتلوى على إثرها المعاني وتوجه نحو أغراض ذاتية خالصة، أما أخطاء الحذف فتحدث عندما يفتقر النص أو أي موضوع ما إلى أفكار جوهرية وأساسية أو حتى تكميلية أحياناً تتعلق بجوهر استكمال الحقيقة الموضوعية، ولأن التعليم من الأهمية بحيث ينبغي عدم تركه لمشئنة الأفراد.. نجد أن معظم حكومات العالم تمارس قدراً كبيراً من الإشراف على مؤسساتها ومقرراتها التربوية والتعليمية وهذا ينطبق بشكل كبير على الفاعلين الرسميين في العالم الغربي، وعلى وجه الخصوص تجاه بعض الموضوعات والقيم والثقافات عالية الحساسية، على رأسها "إشكالية الدين وحضوره في المؤسسات الرسمية الغربية" بصفة عامة، ودين الإسلام والمسلمين بصفة أخص.

¹ ينظر ادريس لكريبي : « التربية والتعليم في ضوء الاتفاقات الدولية » . مجلة رؤى تربوية، العدد 33، مركز القطان للبحث والتطوير، ديسمبر 2010، ص ص 132-133.

تشكل المناهج الدراسية والتربوية التي يتلقفها أبناء المهاجرين المسلمين في ديار المهجر جوهر المشكلة التربوية والتعليمية، فعندما يستوي الطفل أو الشاب المسلم مع غير المسلم في تلقي المنهج الدراسي الغربي المبني على ركائز علمانية وأسس لا دينية، فإن الطفل المسلم بعد أن يكون قد نهل من مختلف المناهج التربوية الغربية لا يستطيع الانفكاك من أثرها العميق في نفسه وروحه، كما أن ثقافته الدينية والتربوية لا يمكن إلا أن تنحوا المنحى الذي يتوافق مع المنهج الدراسي المتبع.¹ فضلا على أن محتويات المناهج الدراسية تجاه الآخر، والمسلم خاصة هي في الأصل حصيلة امتداد لصورة تاريخية تراكمية، غلبت عليها السلبية تجاه هذا الدين وحضارته وأتباعه.² فإذا عرفنا أن المصادر المعرفية لهذه المناهج تتغذى وبطريقة مباشرة أحيانا وغير مباشرة أخرى، من الإنتاج اللاهوتي الكنسي حول الإسلام ومما خطته أيادي من يسمون في الغرب "بمخبراء الإسلام"، وهم من يدعون عندنا في الغالب المستشرقون، أمكننا بسهولة تصور رؤيتها -المصادر- للإسلام. رغم ما نسمعه في كثير من الأحيان من الخطابات الرسمية والأكاديمية وحتى الشعبية من دعاية حول (علمانية) المدرسة التعليمية في الغرب، وعدم تبنيتها لأي رؤية إيديولوجية، خاصة دينية³، مع أن الواقع والدراسات،⁴ يظهران خلاف ذلك تماما إذ أن المضامين المتعلقة بالآخر، وخاصة المسلم والعربي، لا تزال ذات طبيعة كنسية قرو/وسطية مغالية، كما أن "اللائكية المدرسية" المتطرفة قد تحولت هي نفسها إلى إيديولوجية إقصائية تلغي كل ما لا يتفق معها. من هنا كانت كتابات الغربيين عن الإسلام والمسلمين في المناهج الدراسية الغربية على وجه الخصوص متحيزة، ومصاغة في الغالب بأسلوب موجه، منفر مشوه يثير كثيرا من الريبة والشك ويبعث الخوف في قلوب التلاميذ الصغار منذ أول لقاء لهم مع الإسلام، بل ويكبر معهم بتعزيز كبير، ويؤثر فيهم أكثر مما قد تؤثر فيهم المواد التي يتلقونها من المصادر الإعلامية وغيرها، فهم بذلك يبذلون الاهتمام الأكبر لما يتلقونه نظاميا في قاعات الدراسة، ويعطونه الجهد والوقت الكافيين من الدرس والتأمل، فيترسب بالتالي في تكوينهم العلمي

¹ حسن عزوزي : « متغيرات وتحديات أمام الواقع الثقافي للمسلمين في الغرب » . مجلة الوعي الإسلامي، العدد 532، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 03 سبتمبر 2010، ص 105.

² El-Halougi Mostapha : « l'islam dans les manuels scolaire en France ». le courrier international, N°568, paris, 2001.

³ Atschull Elisabeth : **Le voile contre l'école**, Paris, Seuil, 1995, p 279.

⁴ Patrick Cabanell : « Religion, politique et laïcité : de quelques paradoxes du protestantisme français » . Sociologie et sociétés, 67vol. 38, n° 1, 2006, printemps, p. 55-67. FAM . Fédération des Amis de la Morale Laïque asbl [en ligne]. <http://www.faml.be>, 19/02/2013, 23:23 h.

والثقافي، وهو ما حذا بالدراسة أن تنحوا بالاهتمام نحو المناهج والكتب الدراسية لما لها من تأثير بالغ على الاتجاهات والآراء والمواقف التي يكونها الفرد تجاه مختلف القضايا، وهي التي تؤثر أشد التأثير على الصورة التي تكونها الأجيال الفتية فيما بعد عن الشعوب الأجنبية والعلاقات بين الثقافات المختلفة. فالأسس والمبادئ التي نهضت عليها المقررات والمناهج الدراسية في الغرب حول الإسلام وقضايا المسلمين، تعود بالأساس إلى التراث الضخم الذي خلفته الحركة الاستشراقية في مجال الإسلاميات، والذي ظل يوجه لفترات طويلة من الزمن طريقة صياغة مقررات دراسة الإسلام في الغرب،¹ وبخاصة تلك المقررات والكتب المدرسية المرتبطة بالعلوم الإنسانية، وبمادتي التاريخ والثقافة العامة على وجه الأخص، المجال الأكثر تناولا لقضايا الإسلام والمسلمين، نظرا لارتباطهما الوثيق بالأحداث والظواهر الإنسانية الثقافية والاجتماعية والحضارية التي كانت لها صلات وتفاعلات وثيقة مع شعوب وحكومات ومؤسسات الغرب، لذلك عند مراجعة مناهج التاريخ المدرسية المقررة في العالم الغربي، للبحث عما ذكرته عن تاريخ الآخر عامة وتاريخ العرب والمسلمين خاصة، نجد - كما يؤكد ذلك (مصطفى العلوي) - أن معظم الدول الغربية تشيد بتاريخها المجيد، وتندد بتاريخ الآخر وتشوّهه عمدا ودون عمد، وأجمع الدارسون على خطورة هذه الظاهرة، وأطلقوا عليها مصطلح (Eurocentrisme) أي المحورية الغربية الأوروبية التي تجعل من أوروبا محور العالم والثقافة والتاريخ، وتهمش تاريخ الشعوب الأخرى ومن ضمنها الشعوب الإسلامية.²

وهذه النزعة المركزية الأوروبية لها بعدها التاريخي والقيمي الخاص بها، فالغرب دائما هو العقل والآخرون الخرافة، والغرب هو التحضر والآخرون التخلف، والغرب هو المركز والآخرون الأطراف، وهذا ما ظل مستقرا في وجدان الغربيين وعقولهم،³ سواء على مستوى الطبقة السياسية أو النخبة العلمية أو حتى الإنسان العادي. ولهذا فإن المحاجة الرائجة حتى اليوم تقول: بأنه لا توجد لدى الثقافات المهمشة ما يخولها إبداع عقلانية من رحم ثقافتها بالطريقة التي تتناسب مع استيعاب ثقافة المركز الغربي، وبالتالي فإنه ليس أمام أصحاب هذه الثقافات إلا الذوبان بتلك الثقافة. وحتى إذا ما ظهر بعض التواضع الذي يعترف لبعض الشعوب

¹ Edward Saïd : « Special Report: Islam, Orientalisme And the West » . The Time Magazine . Monday, Apr. 16, 1979 p, 54 .

² ينظر المحجوب بن السعيد : مرجع سابق ، ص 39.

³ علي القرشي : « نحن والغرب، قراءة في التمركز الغربي وتجلياته في المجال العربي والإسلامي » . مجلة المستقبل العربي، العدد 196 السنة 18، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1995م، ص 106.

الأخرى بميراث حضاري، فإن ذلك يظل عند ذوي المنظور المركزي مشروطا باستجابة تلك الشعوب لمصالح وترميزات المركزية الغربية.¹

وعليه يبرز من الوهلة الأولى لدراسة كتب التاريخ المدرسية في الغرب أن سرد الأحداث التاريخية لا يتم بالتتابع التاريخي للأحداث في كل دولة على حدة، بل يتم سرد هذه الأحداث من خلال موضوعات وقضايا محورية في الأديان السماوية الثلاثة، اليهودية والمسيحية والإسلام، كما يتم التركيز على الأحداث التاريخية التي كان لها تأثير في حياة الشعوب في الغرب، إما تأثيرا سلبيا إذا تعلق الأمر بموقف المسلمين، أو إيجابيا إذا تعلق الأمر بموقف الغرب، ولعل اقرب مثال على ذلك عملية الاستعمار وتجاذب دلائها بين الغرب والعالم الإسلامي، على كم من صعيد، إذ صورت هذه العملية صورة ايجابية من وجهة نظر المعتدي، فيما اعتبرها المعتدى عليه استغلالا واستدمارا، من اجل هذا تكاد تغفل مناهج التعليم ومقررات الدراسة الغربية الإشارة إلى الأحداث التاريخية الهامة في دول الشرق، وحضارته وإسهاماته وسمو قيمه اللهم إلا قليلا وفي موضوعات بعينها دون أخرى، وفي هذا أشارت دراسة الباحثة (فوزية العشماوي) حول المقررات الأوروبية أن نسبة تغطية الإسلام لم تتجاوز (4,5 %) مقابل توجيه كل الاهتمام نحو أوروبا وأمريكا وتاريخهما القديم والحديث، وأن التاريخ الذي يتم تدريسه للتلاميذ الأوروبيين الصغار في دول شمال البحر الأبيض المتوسط، يحتوى على معلومات مختلفة تماما عما يتم تدريسه للتلاميذ العرب والمسلمين في مدراس جنوب البحر الأبيض المتوسط.²

وفي الكتب الدراسية الفرنسية - على سبيل التمثيل - وعلى الرغم من تأكيد الخطاب الرسمي والأكاديمي على لائكية (علمانية) المدرسة الفرنسية وعدم تبنيها لأي رؤية إيديولوجية، خاصة دينية، إلا أن الواقع يظهر أن جل المضامين المتعلقة بالآخر، وخاصة المسلم والعربي، ما زالت ذات طبيعة كنسية قروسطية مغالية، كما أن " اللائكية المدرسية " المتطرفة قد تحولت هي نفسها إلى إيديولوجية إقصائية تلغي كل ما لا يتفق معها. ففي دراسة (دومنيك منجنيو D. Maingueneau)³ حول خطاب وإيديولوجية المدرسة في عهد الجمهورية

¹ غريغوار منصور مرشو: مقدمات الاستتباع : الشرق موجود بغيره لا بذاته. المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط 1، 1996م، ص 109-110 .

² Al-Ashmawi Fawzia : L islam dans les manuels scolaire européenne. Publication world islamic call society. Tripoli, 2004, p34.

³ Dominique Maingueneau : **Les livres d'école de la République (1870-1914)**. «Discours et idéologie». Ed. le Dycomore, Paris, 1979.p 140.

الثالثة، يذكر أن الدين الإسلامي قدم على أنه مأخوذ من الديانتين اليهودية والمسيحية، ويحمل بين ثناياه الكثير من الخرافات والممارسات العقيمة، وهو دين جنس وملذات، وتطرف يحث أتباعه على شن الحروب المقدسة ضد الشعوب الآمنة والمسالمة؛ إنه دين غزوات ومذابح، وهو لا يشجع على تطور الإنسانية، أما (محمد) فهو "شخص يدعي أنه بعث من طرف الإله، وتتسم عقيدته بأنها تجمع بين بعض الحقائق والأكاذيب. وقد كون أمة من المتطرفين لا هم لهم إلا الغزو وذبح الآخرين." أما المسلمون والعرب خصوصاً فهم أناس "شبه متحضرين"، تتحكم فيهم قيم "التواكل"، "كسلاء حاملين"، "يحملون دائماً خناجر وسيوف"¹. وتتضح من خلال هذه العبارات أن الإسلام في تصورهم دين "غير رباني"، وأن رسوله رجل استهوتته الأهواء، وأن أتباعه قوم يغلب عليهم الخلود إلى الأرض ولا يعرفون غير إراقة الدماء وتدمير الحضارات.

وفي مراجعته لكتب التاريخ الفرنسية المذكورة توصل الباحث (هنري دال ييب D. P. Henri) في دراسته حول صورة الشرق في كتب التاريخ الفرنسية، إلى أن كتاب (Hatier) للتاريخ في عام (2001م) المخصص للصف ثالث إعدادي، خصص أكبر عدد من الصفحات لعرض الحضارة الإسلامية، حيث بلغ عددها أكثر من عشرين صفحة من مجموع (277) صفحة بنسبة (7%)، وهي أعلى نسبة بين جميع الكتب والمقررات الدراسية التي تناولها الباحث في دراسته. إلا أن تناولها لحيثيات هذه الحضارة وتفصيلها يشوبه كثير من التشويه والتحريف، خاصة باعتمادها على مصادر غلاة المستشرقين، والرحالة وكتاب ألف ليلة وليلة.²

وهو تماماً ما أكدته دراسة الباحثة (مارلين نصر)، حول "صورة العرب في كتب القراءة للمرحلة الابتدائية" إذ كشفت أن: العالم الإسلامي والعربي في الكتب الدراسية الفرنسية يكاد أن يختزل في "العربي"، "البدوي"، "ساكن الصحراء"، "المور"، "التارقي"، "المزاي"، وهي مترادفات تستعمل بعضها مكان بعض. والعربي في هذه الكتب ليس له وجود مستقل، فهو موجود بوجود الفرنسي. أما علاقته بهذا الأخير فهي علاقة دونية، بمعنى أنه يحتل موقعا دونيا مقارنة بالفرنسي. "ودونية" المسلم أو العربي ثلاثية الأطراف، فهي عقلية، وأخلاقية واقتصادية.³

¹ Ibid. p p 151-198

² Delp Pup Henri : **Image D'un Orient Européen Dans Les Manuels D'histoire français** . IUFM, Toulouse, France 2002 . pp 33-43.

³ Marlin Nasr : « l'image des Arabes dans les manuels de lecture de l'enseignement primaire » .

Les Langages du politique, N°30, mars 1992.

وفي دراسة أخرى قدمتها " الجمعية الفرنسية "الإسلام والغرب".¹ بينت أن صورة الإسلام، التي ترسمها الكتب المدرسية، ولو أنها تحسنت قليلا إلا أنها مازالت تخضع لنفس النموذج التاريخي السلبي الاحتزالي والغرائبي للإسلام والعالم الإسلامي والعربي في الرؤية الغربية عموما. فهي وإن لم تتسم بالعداوة المفرطة والمباشرة لكل ما هو إسلامي وعربي، فإنها تحمل في طياتها وبصورة، غير واعية أحيانا، مفاهيم وأفكار تحط من الإسلام والمسلمين ("تطرف، تواكل، قمع، خشونة، عدم تسامح").² وتظهر العالم الإسلامي والعربي في الوقت الحاضر كعالم متخلف، يعتمد على المساعدات الخارجية الغربية، غير منتج، ولا يملك إلا تصدير البترول واليد العاملة.³ أما الحضور الإسلامي في فرنسا فلا ذكر له ويتم تحاشيه تماما، وإن تم التطرق إليه فمن خلال "موائد رمضان" حيث يتم التأكيد على بعد البذخ والإسراف للمسلمين، أو كما تسميه بعض وسائل الإعلام الفرنسية "شهر الأكل والتخمة".⁴

ومن جملة القول، أن الكتاب المدرسي لا يخلو من مصطلحات ومفاهيم وعبارات تحمل أحكاما قيمية خطيرة بشأن الإسلام والعالمين الإسلامي والعربي كالتطرف، وعدم التسامح، والتواكل، والعنف والقمع. فالإسلام يقدم على أنه دين غير سماوي، أتى به "رجل يدعي أنه أوحى به إليه، وأنه آخر وأعظم الأنبياء"⁵، وهو دين حدد فيه الله - ونلاحظ هنا أن استخدام مصطلح الله بدل "Dieu" في الفرنسية يوحي بأن للمسلمين إله خاص بهم، كما كان للرومان إلههم "جوبتار" - مصير الإنسان إلى الأبد (وهي مصدر فكرة انتشار "تواكل" المسلمين في الغرب).⁶ كما يؤكد الكتاب المدرسي أن المسلمين فرضوا الإسلام على الآخرين، وهو تأكيد لفكرة انتشار الإسلام بحد السيف.⁷

¹ Association française: **Islam et Occident, L'image de l'Islam dans les manuels scolaires français**, Ed. A/S, Paris, 1984.

² Association française « Islam et Occident »: Op Cite. p 29.

³ Ibid. pp14-15.

⁴ Saddek Rabah : **L'islam dans le discours médiatique. Comment les médias se représentent L'islam en France ?**. Ed, Albouraq, Paris / Beyrouth, 1998.p 13 -25.

⁵ Ibid, pp 24-25.

⁶ Saddek Rabah : Op cite. p22.

⁷ Ibid. p 24.

وفي هذا السياق من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن كتب التاريخ في فرنسا — وهي جد متميزة في هذا ومتأخرة عن باقي الدول الأوروبية كالدنمرك وألمانيا وبلجيكا... بل حتى الولايات المتحدة الأمريكية¹ التي خطت قدما نحو الاعتراف بالإسلام، وأزاحت خلال العشرية الماضية كثيرا من التشوهات والسلبيات التي علقت به خاصة في مناهجها الدراسية والتعليمية— ما زال يوجد بها كثير من الشوائب والسلبيات، ويعتريها الإغفال المتعمد للحضارة العربية والإسلامية، وقد يرجع ذلك إلى الخلفية التاريخية والآثار المترتبة عن استعمار فرنسا لدول إسلامية عديدة، والسياسة الاستعمارية التي انتهجتها فرنسا من أجل طمس اللغة العربية وتشويه صورة الإسلام في تلك الدول وتحقيرهم والاستهزاء بمعتقداتهم من جهة، وكذا طبيعة الوجود الإسلامي في فرنسا مقارنة بغيرها من دول العالم الغربي، إذ يعد الدين الإسلامي والجالية المسلمة ثاني أكبر حضور بعد المسيحية، فضلا على التقارب الجغرافي والسياسي مع دول الشمال الإفريقي من جهة ثانية، ولذلك ترسخت هذه الصورة السلبية عن المسلمين العرب والتصقت هذه التشوهات في أذهان الفرنسيين بالمسلمين عامة.

وفي دراسته لصورة الإسلام في مقرر التاريخ البريطاني، أكد الباحث "عبد المحسن العقيلي" أن المقرر يقوم بتريسيخ نزعة الاستعلاء الثقافي وسط الطلاب، أي تعزيز مفهوم الأنا الحضارية في مقابل هامشية الآخر، مما لا يساعد على الإنصاف في العرض والتحليل والتقويم.²

وباستعراض معظم هذه الكتب وتحليل ما تذكره عن الإسلام وعن المسلمين نجد أن نسبة تناول الإسلام وقضاياها ضئيلة جدا لا تتعدى (10 %) في غالب المناهج الدراسية الغربية، ففي مقررات وكتب مراحل تعليم - الابتدائي والمتوسط والثانوي- الولايات المتحدة الأمريكية لا تركز ما يربوا عن (10%) فقط من مادتها المعرفية لموضوع الإسلام، وتخلطه كثيرا مع قضايا الشرق عموما،³ وكذا المناهج الدراسية الأوربية، كما أشارت الباحثة (فوزية العشماوي) " في دراستها حول المقررات الدراسية الأوربية، وإن كانت الدراسة نسجل أن هذه المقررات -الغربية- ليست بنفس الدرجة من الانسجام والتجانس في الاهتمام والتناول لموضوع الإسلام، فهي غير موحدة والتفاوت بينها كبير من منطقة لأخرى على مستوى المقاطعات والمحافظات أحيانا في البلد الواحد، بل ومن صف لآخر، فضلا على أن المناهج ذاتها تتغير بصورة مستمرة وعلى نحو

¹ ينظر محمد أحمد القفاص : رسالة إلى الشعوب الغربية . ج1، شركة الجزيرة للطباعة والإعلان، بورسعيد، مصر، 2011، ص 89.

² محمد أحمد القفاص، مرجع سابق، ص 102.

³ محمد وقيع الله أحمد : مرجع سابق.

متسارع عبر الزمن، ذلك أن نظم التعليم في غالب الدول الغربية لا تتبع المركز إلا من حيث الأهداف العامة للسياسة التعليمية التي تنتهجها الدولة.

ولا شك أن معالم الصورة الإسلام في المقررات والمناهج الدراسية الغربية لا تكتمل، إلا بعد الرجوع إلى بعض من أهم مؤسراتها الأساسية، واختارت الدراسة - على السبيل المثال لا الحصر - (القرآن الكريم وشخصية الرسول محمد صلى الله وسلم، والحضارة الإسلامية، والمرأة) لكونهم أكثر المواضيع إثارة في مقررات الدراسة الغربية.

1- القرآن الكريم وشخصية الرسول ﴿محمد، صلى الله وسلم﴾:

تركز غالب مقررات الدراسة الغربية وبأسلوب فيه من التشكيك ما فيه، وبصيغ و تعبيرية مضللة ومشككة في الغالب على أن القرآن ليس وحيا من الله تعالى بل هو جملة مواعظ، وتوصيات ابتدعها (محمد) بعد أن تعرف على ما كتبه اليهود والنصارى وحكمة العرب، وربما أن القرآن من تأليف أصحاب محمد أصلا، كما هو الشأن في مقرر الجغرافيا والأدب في الولايات المتحدة الأمريكية الذين جاء فيهما " أن أصحاب (محمد) جمعوا مواعظه في كتاب اسمون فيما بعد القرآن، وذكر كتاب "الأدب خيار القارئ" لنفس المستوى التعليمي في الولايات المتحدة" أن القرآن كتب بعد ثلاثين عاما من موت (محمد) وفي موضع آخر من نفس الكتاب بعد عشرين عاما من موت (محمد)¹. وفي هذا خلط كبير وغير دقيق بين كتابة السنة وكتابة القرآن.

بل وجدت مقررات دراسية تقدم القرآن محرفا في آياته وترجمته وتفسيره، كما في مقرر التاريخ للصف الخامس الابتدائي في فرنسا، نجد قوله تعالى : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [التوبة: 29] فترجم ويقدم التفسير على أن الإسلام يقاتل كل لم يكن مسلما،² دون أدنى إشارة أو

¹ ينظر محمد يسري : التطاول الغربي على التوابت الإسلامية . ط1، دار اليسر، القاهرة، 2007، ص ص 91-94.

² Marlin Nasr : **Les Arabes et l'Islam vus par les manuels scolaires français (1986 et 1997)** . Ed Karthala, Paris, p107

توضيح للسياق وقيم الحرب في الإسلام، إذ الآية نزلت كما يروي ابن كثير في تفسيره في كفار المدينة من اليهود والنصارى.¹

وعند الحديث عن (محمد) ﷺ صلى الله عليه وسلم نبي الإسلام، فالملمح البارز في جل المقررات الغربية بداية، هو إضافتها طابع البداوة والبشرية عليه دون أدنى ذكر لصفة " النبوة " وهذا أكبر قناعة وطعن يغرس في عقول الناشئة في الغرب، أما من حيث الشخصية، فالمقررات والكتب الدراسية الغربية تقدم شخصية (محمد) ﷺ صلى الله عليه وسلم في صور متعددة تتفاوت ما بين الاعتدال والتفريط في الوصف، فتارة رجل الجنس والبدوي والقتال وصاحبة الشخصية المستبدة برأيها، وتارة هو الشاعر الملهم الذي يرى الرؤيا الخارقة، وفي أغلبها هو الفقير المعدم الذي لا يشعر بالأمن إلا من بعد زواجه من سيدة ثرية جدا تكبره بكثير، وأنه التقى بأحبار اليهود، وورهبان النصارى... وتعلم منهم وأخذ كثير من المعلومات من التوراة والإنجيل وأدخلها في كتابه القرآن،² وهذه الفكرة نجدها تتكرر في غالب المقررات الغربية الأوروبية منها والأمريكية، ففي كتاب التاريخ للمرحلة الثالثة ثانوية في المقرر الأمريكي نجد أن "محمدًا التقى ببعض اليهود والنصارى الموحدين، واستفاد عنهم عقيدة التوحيد، لأنه ذكر أن بقية قومه من العرب كانوا مشركين"³ والأمر نفسه في كتاب الصف السادس ابتدائي حيث جاء في مطلع الفصل الثالث "رسول الإسلام محمدًا تعلم التشريعات القانونية والتعليمات الأخلاقية، تلقيا عن أحبار اليهود وورهبان النصارى الذين يعيشون بجواره في جزيرة العرب".⁴

وتذكر بعض كتب التاريخ الفرنسية أن الرسول (محمد) ﷺ صلى الله عليه وسلم كان يرى الرؤى في المنام، والأحلام ثم يصبح يحدث أصحابه عن الوحي وعن الرب ويقرا عليهم القرآن، ويشرهم ويدعوهم إلى عقيدة التوحيد في الرب، وتمكن بفضل فنه في قيادة الجماعات إلى توحيد الضالين الذين زرع فيهم روح

¹ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي : تفسير القرآن العظيم . ج2، ط1، دار الغد الجديد، القاهرة، 2007، ص 324.

² بنظر المحجوب بن السعيد : مرجع سابق، ص 24.

Al -Ashmawi Fawzia : L islam dans les manuels scolaire européenne. Op cite.

³ Elizabeth Gaymor Elis And Anthony Esler : **World History Connection To Today** . The Modern Era , Printice Hall, Glenview, 2005.p 152

⁴ Ellis gel Esler. A : **The World History, Connection To Today** . Upper Saddle RIVER American Textbook Concil, History Textbooks : A Standard and Guide, Center For Education Studies / American Textbook Concil, 1994. P 72.

التعصب ووعدهم بالجنة إذا ماتوا في سبيل الحروب المقدسة أي الجهاد، كما تقدمه على أنه محارب وليس رجل سلام.¹

وفي الكتب المدرسية السويدية تلخص حياة (محمد) في كتاب "الأديان" وهو الكتاب الوحيد المدرسي الذي تضمن حياة نبي الإسلام (محمد) ﷺ صلى الله عليه وسلم، بطريقة تضليلية عجيبة جدا، يغلب فيها التهكم والتلفيق والتقليل والسخرية، ومما جاء فيها " كان (محمد) يظن بأن ديانته تطابق اليهودية والمسيحية وهناك اكتشاف الاختلافات وبدء بوعي كامل يتصرف كمؤسس للدين. ثم هاجر إلى المدينة وفيها تبعه البدو وساعدوه على نهب القوافل المكية وأصبح محمد مهتما باستعادة السلطة على مكة".²

وأرقت عدة كتب غريبة رسومات، وصور متخيلة للنبي (محمد) ﷺ صلى الله عليه وسلم وبعض صحابته، غاية في الإساءة والتشويه أحيانا والطرافة والغرابة أحيانا أخرى، بما يمكن أن يثير خيال الطلاب ويجفزهم لاستنتاج غريب الصفات لشخصية محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، كـ " صورة النبي محمد صلى الله عليه وسلم بين أجنحة سيدنا جبريل" في كتاب (Hatier) للصف الخامس في المنهج الدراسي الفرنسي.³

2- الحضارة العربية الإسلامية :

تميزت الإشارة إلى الحضارة الإسلامية من حيث الشكل العام الغالب ببعض المدح والثناء في العديد إن لم نقل أغلب مقررات الدراسة الغربية، خاصة في شقها المضيء ماضيا، غير أن ذلك سرعان ما يزول إذا ما تعمقنا في تأمل المكتوب في المقررات، ونميز كذلك من حيث الشكل العام ذلك التفاوت الصريح في تناول موضوع "حضارة الإسلام والمسلمين" بين المقرر الأمريكي بموقفه المتميز جدا في وصف "حضارة الإسلام والمسلمين"، لولا وقوعه في بعض الأخطاء والمخالفات التاريخية والمنطقية غير المقبولة، وذلك بالنظر إلى اعتماده على مصادر غير موثوقة تاريخيا ككتاب " ألف ليلة وليلة"، مقابل المقرر الأوربي الذي يغلب فيه التحامل والتجاهل عند معالجة موضوع "حضارة الإسلام والمسلمين"، فكثيرا ما تتحاشى المقررات الأوروبية - بالأخص

¹El Halougi Moustafa : « L'islam Dans Les Manuelles Scolaires En France» . **Le Courier International**, N° 568, Paris, France 2001 , P 32.

² ينظر المحجوب بن السعيد : مرجع سابق، ص 24.

³ ينظر المرجع نفسه، ص 31.

الفرنسية منها - ذكرها عدا في سياق الحديث عن حضارة الشرق عموما، أو عن تاريخ شمال البحر المتوسط وحياة البرابرة، أو من خلال عرض تأثر العلماء الأوروبيين بالعلماء العرب المسلمين في الأندلس وصقلية وغرناطة.. وبأسلوب فيه كثير من الحذر والالتواء.¹

لذا نجد في كتب التاريخ لمراحل التكوين الأمريكي (من الابتدائي إلى الثانوي) فصولا مخصصة لدراسة حضارة الإسلام والمسلمين عبر الزمن، ففي مقرر التاريخ للصف الأول الابتدائي، كتب فصلا مطولا عن الإسلام، وهو الفصل الثالث من الكتاب بعنوان " ميلاد الإسلام " (The Birth Of Islam)، ثم فصلا آخر مطولا في مقرر التاريخ للصف السادس مخصصا لدراسة "الإمبراطورية الإسلامية" (The Muslims Impir مع الخطأ الموجود في التسمية، إلا أن الوصف كان متميزا جدا سواء في تعريف الإسلام أو التذكير بأسسه وتاريخه وإنجازات المسلمين، ومما جاء في ذلك " الإسلام هو الاستسلام لإرادة الله تعالى والتزام أوامره واجتناب نواهيه"² وهذا التعريف مقرر في شرعنا الحنيف، واستخدم الكتاب أسلوبا شيقا وجذابا مدعما بالصور في وصف حضارة الإسلام ومنتجزات المسلمين من ميلادها إلى سقوط الدولة العثمانية، ومن عجيب ما ورد في الكتاب " أن فتح السلطان (محمد الثاني) القسطنطينية جاء تحقيقا لنبوة ذكرها النبي (محمد) تقول من قديم الزمان أن القسطنطينية ستصبح بلادا إسلامية"³، أما كتاب الصف المتوسط فقد أشار بتفصيل كبير لجهود الخلفاء والحكام العباسيين في بناء المكتبات العامة، وإنشاء بيت الحكمة الذي يضم باحثين وكتاب ولغويين ومتخصصين في التكنولوجيا قاموا بنقل التراث اليوناني، وأخضعوه للنقد والتحليل والتجربة العلمية، فحققوا بذلك قفزة علمية هائلة مهدت لنهضة أوروبا.⁴

أما في مقررات الدراسة الأوروبية فيتم عرض الحضارة العربية الإسلامية بأسلوب غير مباشر، من خلال عرض حضارة البحر الأبيض المتوسط، حيث يتم الإشادة بالحضارة المتوسطة والإشادة بالعلماء المسيحيين وبالفنون المعمارية المسيحية، ومن ثم يصبح الأساس هو تألق الحضارة المتوسطة وليس الحضارة العربية الإسلامية، كما يعتبر الحضارة الإسلامية حضارة ميتة ومندثرة، نجد مثال ذلك في كتاب التاريخ للصف الأول ثانوي في فرنسا فصلا من أربع صفحات بعنوان "الإسلام حضارة متألفة متعددة سياسيا"، لكن القارئ يكتشف من متن النص

¹ ينظر محمد وقيع أحمد : مرجع سابق، ص 70-76.

² محمد وقيع أحمد : مرجع سابق، ص 78.

³ المرجع نفسه، ص 83.

⁴ المرجع نفسه، ص 99.

أن الحديث يدور حول انهيار الحضارة الإسلامية، ومما جاء فيه " الإمبراطورية الإسلامية التي كانت تسيطر على اغلب مناطق البحر الأبيض المتوسط، ضعفت وانقسمت في القرن الثاني عشر".¹

وفي دراسة أجريت حول صورة الإسلام في مناهج خمس مدن أوربية أشارت إلى أن جميعها تعرض للإسلام وحضارته عرضا نمطيا مشوها، وحضارة الإسلام متخلفة وتقليدية نتيجة المجتمع الأبوي السلطوي، يتكون من جماعات من الفلاحين والرعاة الذين يواجهون مشاكل خطيرة للتكيف مع الحداثة الغربية.²

من المهم الإشارة أن بعض المقررات عرجت على جوانب مهمة جدا وإيجابية في الحضارة الإسلامية على غرار المقررات الدراسية لكتب التاريخ السويسرية التي أشادت في بعض نصوصها بمنجزات العرب والمسلمين في العصور الوسطى وبخاصة في علم الجبر والطب والجغرافيا، والتسامح الإسلامي مع غير المسلمين، غير أن مأساة هذه المقررات وأزمته تكمن في الصور النمطية الدفينة التي تروجها انطلاقا من مصادرها التاريخية والتراثية المهشة والمغلوبة في فهم وتمثيل الإسلام تمثيلا صحيحا.³

3- المرأة المسلمة والجهاد في مقررات الدراسة الغربية :

تزخر مقررات الدراسة الغربية بالقوالب النمطية المغلوطة والمشوهة عن الإسلام، خصوصا إذا ما تم التطرق لبعض الموضوع بالغة الحساسية على غرار الجهاد، "المرأة" ولا فرق في ذلك تقريبا بين مقررات المدارس الأمريكية عن مقررات المدارس الأوروبية عن غيرها، ففي دراسته لصورة العرب والمسلمين في مقررات الدراسة في أمريكا، إلى أن الملامح الرئيسية لصورة العربي المسلم هي "رقص هز البطن، ولباس العربي، والحجاب للمرأة، وآبار النفط، وسيارات الليموزين الطويلة، واللحية السوداء الضخمة والنظارات الشمسية

¹ ينظر المحجوب بن السعيد : مرجع سابق ، ص 45.

² Al Ashmawi Fawzia : « L'image de l'autre dans les manuels d'histoire de certains pays méditerranéens (Espagne, France, Grèce, Egypte, Jordanie, Liban et Tunisie) » .[On line] <http://www.isesco.org.ma/Islam.Today/FR/1?/P6.htm>, pages consultées le 26.10.2007.

³ Elisabetta Pagnossin : **La représentation de l'Islam dans les manuels d'histoire en Suisse romande** . Etude comparative des manuels scolaires dans le cadre du Dialogue Euro-Arabe, coordonné conjointement par les Commissions française et marocaine pour l'Organisation des Nations Unies pour l'éducation, la science et la culture UNESCO, 2003 pp 22-35

السوداء"،¹ وبخصوص الصور النمطية للمسلمين والعرب داخل مناهج التعليم الأمريكية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، رصدت اللجنة العربية لمكافحة التمييز (ADC) مجموعة من الصور السلبية السائدة، وتنقسم هذه الصور النمطية إلى المجموعات الآتية :

- ✓ صور نمطية عن المرأة المسلمة التي ينظر إليها على أنها مضطهدة، وتقديمها في إطار حریم مترفات راقصات عاريات أو سيدات جميلات يقعن في حب الرجل الغربي الذي ينقدهن من شر الرجل العربي.
- ✓ صور نمطية عن المسلمين أنهم إرهابيون سفاحون، ومحاربون متطرفون، ومغتصبون ومضطهدون للمرأة، ويعتقون الجهاد والحرب المقدسة.
- ✓ صور نمطية تنعت العرب براكبي الجمال والعبيد، وان كل المسلمين عرب، مع استعمال مكثف لمفردة القبيلة، والبدو والواحة، والحریم والشيخ.
- ✓ صور نمطية عن العالم العربي أنه ساحة تنافس يعيش فيها الأبطال الغربيون مغامرات مثيرة من عالم قصص ألف ليلة وليلة والجنيات والبساط السحري.
- ✓ صور نمطية عن الرجل العربي أنه شبح نفط، وثرى جدا، قذر، وغير متعلم وغير أمين ودكتاتوري، ومسرف ويريد شراء الولايات المتحدة.
- ✓ المرأة بعد أن كانت تعيش حرة في التاريخ القديم جاء الإسلام وألزمها بالحجاب ولبس السواد والعيش في عزلة وفي فصل تام عن الرجال.²

وفي هذا يلمح أن المرأة تناولتها المقررات الدراسية بالمعايير الثقافية الغربية، وحتى النصوص المأخوذة عن العرب أو المسلمين إنما أخذت ممن عرفوا بدعاة التحرر، كما نجد أن هذه المقررات أولت اهتماما موسعا للجانب الحربي في الإسلام، وتحدثت بإسهاب عن "الجهاد" أو الحرب المقدسة، ففي أحد المقررات وجدت الفقرة الآتية "بخلاف المسيح فإن (محمد) كان يمتدح ما اسماه بالحرب المقدسة" وجاء في فقرة أخرى "لم يقيم اليهود بدعوة غيرهم إلى دينهم إلا قليلا، ونشر المسيحيون الإنجيل عن طريق التبشير، أما المسلمون فقد نشروا

¹ سليمان قناوي : « صورة العرب والمسلمين في أمريكا » . مجلة المعرفة، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2003، ص 56.

² ADC-RI : **Arab and Muslim Civil Rights and Identity: A Selection of Scholarly Writings from the Decade after 9/11**. Publication by ADC Research Institute Washington, (September 7, 2011) , [On line] <http://www..adc.org> , le 28.10.2012.17:55.

دينهم عن طريق الحرب والعنف"¹، وفي فرنسا: تصف كتب التاريخ الفرنسية المسلمين بأنهم غزاة أو (قراصنة) وأن الحروب التي يخوضونها هي بهدف نشر الدين الجديد (الإسلام)!! كما يلاحظ في هذه الكتب وجود تماثل بين المفردتين (عرب) و (مسلمين) وتعتبر أن تجمع الدول العربية هي فقط لمجرد العداء لإسرائيل، وتصور الإسلام كدين يسعى إلى تحقيق الفتوحات العسكرية.²

وفي أسبانيا: تركز المقررات المنتهجة على النظر إلى الإسلام أنه الدين الذي ابتدعه (محمد) ﷺ صلى الله عليه وسلم ﷺ، وأنه يسمح بتعدد الزوجات ويأمر بقتل غير المسلمين، ويحرم الخمر والخنزير، وأن الإسلام دين عنف وحرب وتسلط، وهو دين متأخر، ويعتبر خطراً على المسيحية وعلى قيمها الروحية. كما أنها لا تزال تؤكد على موضوع تعدد الزوجات وامتهان المرأة وحقوقها.³

وتذكر الكتب الدينية المقررة في ألمانيا أن كل مسلم مكلف بمقاتلة أعداء الإسلام، تبعاً لمبدأ الجهاد حتى تكون كلمة الله هي العليا، وحتى يمكن تحقيق الهدف السياسي المتمثل في جمع المسلمين والعرب في دولة واحدة. وهناك معلومات ساذجة أخرى مثل أن من أهداف الحج هو تقبيل الحجر الأسود وارتداء عمامة خضراء وحمل لقب حاج، وأن المسلمين يصلون الجمعة وقوفاً ويخلعون نعالمهم بعد الوضوء وليس قبله لغسل الرجلين وأن بداية السنة الهجرية تتزامن مع حلول شهر رمضان، وأن الحجاب دليل على التخلف وقمع المرأة،⁴ وليس بعيد عن هذه النمطية نجد في كتاب التاريخ للتعليم المتوسط للبرنامج التعليمي الرسمي في الهند ما يلي: اعتنق الإسلام بعض المنبوذين وأفراد الطبقة السفلى متضايقين من القيود الاجتماعية الشديدة، والتمييز

¹ ينظر عبد القادر طاش: مرجع سابق، ص 77.

² ينظر عبد الله طافر آل عساف الشهري: «الإسلام في المناهج الدراسية الغربية والأجنبية». ندوة بناء المناهج الأسس والمنطلقات، كلية التربية، جامعة الملك سعود، الرياض، 1424/03/12هـ، ص 1.

³ بهيج ملا حويش: «القرآن الكريم في المراجع والمناهج الدراسية الإسبانية: في المرحلة الشيعية». مجلة المعرفة، عدد 92، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص 75.

⁴ نجد ذلك في مقرر التربية الدينية المقرر على الصفين السابع والثامن في إحدى الولايات الألمانية: منشور

Kursbuch Religion, Neuauflage 7/8, Verlag Moritz Diesterweg Verlag, Frankfurt am Main, 1991 [On-line] http://www.dwi.uni-heidelberg.de/personen/schmidt_publicationen.html, le 8.10.2012. 13:50 h.

الطائفي، وبعضهم بسبب البؤس والفقر، و الإسلام لم ينتشر في الهند لمبادئه القويمه الخلقية والقيم الإلهية الإنسانية بل خوفا من السيف وقهرا وظلما.¹

وأخيرا في مقررات الكيان الصهيوني المحتل: تستمد برامج التربية والتعليم في الكيان الصهيوني محتواها، وطرائقها، من فلسفة عنصرية تعتمد على التوراة المزيفة، أو التلمود والمبادئ التاريخية للحركة الصهيونية التي جاءت بها كتابات مفكري اليهود من أساطير وأكاذيب تاريخية من السهل دحضها وتفنيدها، وأدركت حكومة صهيون، منذ إنشائها سنة (1948)، أن التربية سلاح فعال يمكن الاعتماد عليه في تنشئة جيل مبرمج على العداوة والبغضاء، متغطرس، لا يؤمن إلا بالقوة سلاحا، وبالقتل أسلوبا للحياة، وبناء على هذا الإدراك، تم حشو المناهج الصهيونية بأفكار عنادية ضد الإسلام والمسلمين، يقول (جاكوب كلاتزمان J. Clatzman) : " تؤلف دبابات " سنتوريون " عاملا من عوامل الأمن والسلامة على المدى القريب، ولكن المدرسة والجامعة هي العوامل الأكثر أهمية بالنسبة للمستقبل البعيد..، وإذا ما ابتلى المستوى الثقافي في إسرائيل بالركود والجمود، بينما يأخذ مستوى الأعداء بالصعود فإن أيام استقلال إسرائيل معدودة. إن التربية هي أيضا من مستلزمات الدفاع الوطني"²، وتبنت وزارة التربية والتعليم الصهيونية، "القيم التربوية" العنصرية و" العسكرية " كأساس قويم في مناهجها، خاصة في كتب العلوم الإنسانية (الجغرافيا - التاريخ - التربية المدنية - العقيدة اليهودية - المطالعة)، وبشكل ثابت قابل للتطور (مفهوم الاحتلال الاستيطاني لفلسطين وأجزاء من العالم العربي) ومن أهم ما قامت عليه هذه المرتكزات القيمة كما يلخصها:

✓ اعتبار العنصر اليهودي عامل تطور على أرض فلسطين، واعتبار أرض فلسطين والجولان ونهر الأردن، أرضاً إسرائيلية. (ففي كتب الجغرافيا حرص مؤلفو الكتب على الإخراج الفني الجيد للكتاب بحيث يعرض صورا لمنازل العرب المتهاككة، وبجانبا صورا للعمرا والتطور اليهودي، وبما يوحي أن اليهود أضافوا هذا التطور والعمرا!).

✓ العمل دوما على إغفال التاريخ العربي والإسلامي في فلسطين وفي مختلف العصور .

✓ اعتبار العرب في فلسطين مغتصبين لأرض إسرائيل منذ الفتح الإسلامي.

✓ الادعاء دوما بتعرض اليهود للظلم في دول العالم قاطبة، مما دفع اليهود إلى الهجرة لأرض إسرائيل.

¹ Elisabetta Pagnossin : Op Cite, p28.

² أسعد رزوق : في المجتمع الإسرائيلي . معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1971، ص90.

- ✓ إبراز تفوق الجندي الإسرائيلي على العرب، وأنه دائما يلحق بهم الهزيمة في كل حرب.
- ✓ الدعوة لإقامة المعتصبات (المستوطنات) بذريعة الدفاع عن الكيان الإسرائيلي .
- ✓ تحميل العالم أجمع بما جرى من تمييز لليهود وجرائم.
- ✓ غرس العزة في نفوس الأطفال، وإشعار الجيل القادم لبني صهيون بالتميز العرقي، شعب الله المختار.
- ✓ تأكيد أن أموال الناس من غير اليهود وأعراضهم ودمائهم لا شأن لها قيمة، بل قتلهم تقربا.
- ✓ الاعتقاد بتقدم اليهود وتخلف العرب.

وقد أكدت هذا البعد العنصري والتحريضي، العديد من الدراسات الأكاديمية العربية والصهيونية ذاتها نذكر من بينها : دراسة الباحثة (لينا الدحاني) التي تناولت من خلالها بالتحليل كتب الاجتماعيات المقررة على صفوف المرحلة لإلزامية في إسرائيل، وتوصلت إلى أن الكتب عينة الدراسة تعمل على : محاولة إثبات أن لليهود حقوقا تاريخية في الأرض التي احتلوها، ومهاجمة الإسلام والمسيحية على السواء، كما تسعى إلى طمس الأسماء العربية والإسلامية واستعمال بدائل عبرية لها، وتتقصد تشويه صورة العرب والمسلمين، وإظهار التفوق الدائم لليهودي على المسلم أو العربي.¹

وتوصلت دراسة الباحث (سمير سمعان) التي استهدفت تحليل مضمون الكتاب التعليمي المقررة على الصف السابع بالمدارس الإسرائيلية في مادة التاريخ (التاريخ العام)، واسم الكتاب (الرحلة إلى الماضي) ، فقد إلى أن الكتاب واضح التعصب والعنصرية، وانه محشو بالغمز واللمز في العروبة والإسلام، ويحط كثيرا من مكانة الأنبياء والرسل، ويسيء كثيرا إلى نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم)، كما أن الكتاب يتضمن تناقضا فيما يتصل بمعاملة المسلمين لليهود، ويظهر الكتاب تفضيلا لليهود بالثراء والتقدم العلمي مقابل الفقر والتخلف عند المسلمين.²

يلاحظ تعمد تشويه التاريخ الإسلامي والعربي وخصوصا في فلسطين، واعتبار العرب محتلين في قلب وطنهم فلسطين، وهم غزاة تاريخيون للأرض اليهود،³ وفي مقرر للصف السابع الابتدائي جاء فيه: اعتبار أن

¹ رجب مصطفى : الإسلام في المناهج الصهيونية والتحدي التعليمي في الصراع العربي الإسرائيلي . ط1، عالم الكتب الحديث، اربد، المملكة الأردنية الهاشمية، 2006، ص 228.

² المرجع نفسه، ص 231.

³ ينظر أدير كوهين : وجه قبيح في المرأة . (تر) غازي السعدي، دار الجيل للنشر ، عمان، 1988، ص ص 6-15.

الإسلام دين المحاربين وان اليهود قد اثروا في العرب، وان الأيمان الذي جاء به (محمد) ﷺ صلى الله عليه وسلم ﷺ، إنما كان استلهاما من اليهود، ووصف الرسول (محمد) ﷺ صلى الله عليه وسلم ﷺ بأنه الغارق في الأحلام، والمقاتل والأمر أتباعه بنشر الدين بقوة السلاح، كما يزعم المقرر أن الرسول صلى الله عليه وسلم حاول أن يجتذب اليهود إليه فأمر أتباعه أن يتوجهوا في صلاتهم إلى القدس، وان يصوموا يوم الغفران، وعندما سخر منه اليهود وأدرك أنهم بعيدون عنه، ألغى صوم يوم الغفران وعين صوما آخر يستمر شهرا ويدعى رمضان، كما غير القبلة من القدس إلى مكة.¹

بقي التذكير في هذا السياق، ومن وجهة نظر واقعية، أن لا أحد يكاد ينكر ما تقوم به كثير من الجهات الرسمية والإعلامية والمؤسسات والهيئات العلمية وغير العلمية من ممارسة حق الإنكار والاحتجاج على الحملات التشويهية المغرضة ضد الإسلام والمسلمين، من جهة والعمل على تصحيح صورة الإسلام من جهة أخرى، ليس في العالم العربي والإسلامي فحسب، بل في قلب العالم الغربي كذلك ثمة اهتمام متزايد غداة أحداث الحادي عشر من سبتمبر، لدى العديد من المؤسسات والهيئات والمنظمات الدولية مثل المجلس الأوروبي في "ستراسبورغ"، و"منظمة اليونسكو" و« المنظمة الإسلامية للثقافة والعلوم (الإيسيسكو) » و« معهد جورج إيكارت إنستيتوت " في ألمانيا و " مكتب التربية الدولي " في جنيف، بقضية تنقية المناهج الدراسية، من خلال تكليف خبراء ومتخصصين في مجال التربية والتعليم بإجراء دراسات عن كيفية تنقية المناهج الدراسية من الشوائب السلبية التي تشوه صورة الآخر، ومن القوالب النمطية والأفكار المسبقة التي تخلط الحقائق، والوقائع التاريخية بالخزعبلات والاختلافات المغرضة التي روجت في الماضي لتشويه تاريخ الآخر. وعلى الرغم من هذه الجهود ظلت صورة المسلمين في الذهنية الغربية متوقفة عند القرون الوسطى، حيث تجوب خيول المسلمين أصقاع الأرض لتخضعها بحد السيف.²

ويتبين لنا من خلال ما تم استعراضه من أسباب تاريخية كامنة وراء إنتاج الصور النمطية عن الإسلام والمسلمين، أنها ومنذ العصور الوسطى يعاد إنتاجها بصيغ مختلفة وجهات متعددة، اتخذت مواقف معادية تتسم بإطلاق أقدم الأوصاف والنعت، ومختلف أنواع الشتم والتجريح البذيء، وقد أثمرت تراكمات تلك

¹ رجب مصطفى : مرجع سابق، ص ص 231-232.

² ينظر مقابلة مع الدكتورة فوزية العشماوي : رئيسة منتدى المرأة الأوروبية المسلمة بجنيف حول « الإسلاموفوبيا » ، جريدة الشرق الأوسط، عدد العدد 11158، الثلاثاء 22 جمادى الثاني 1430 هـ/ 16 يونيو 2009، ص 23.

الأوصاف والمفردات القدحية، مخزوننا من ثقافة الكراهية والحقده ضد الإسلام ونبهه ورسالته، وشاعت مكونات ومجزوءات ذلك المخزون وترسبت في كثير من ميادين الثقافة والفكر والإعلام لدى الغربيين، وامتدت إلى الفترة المعاصرة بصورة تسيطر عليها عقلية الإقصاء، والقبليات والأحكام النمطية الجاهزة، وبذلك تثبت مختلف المقاربات الغربية للإسلام وحياة المسلمين أنها عاجزة عن فهم الإسلام، وتمثل حركيته داخل التاريخ حيث تم إفراغه من أية نزعة إنسانية أو حضارية يمكن احترامها وتقدير دورها في بناء الحضارة وصياغة التاريخ اللهم إلا ما نذر ممن لا يسمع لهم صوتا في الغرب أصلا ، وبالرغم من تأكيد الدراسة على الأسباب والعوامل التاريخية للصور النمطية عن الإسلام والمسلمين في الوعي الجمعي للمجتمعات الغربية، فإن ثمة أسبابا وممارسات تحصل داخل الفضاءات العربية والإسلامية على الصعيد السياسي والثقافي والإعلامي والاجتماعي تزيد بشأها من تكريس تلك الصور النمطية، حيث أنها تشكل أرضية خصبة، ومبررا موضوعيا لإنتاج الناظر والملاحظ الغربي لصور غير واقعية يتم تعميمها وجعلها قابلة للتعميم على الواقع المتردي للعالمين العربي والإسلامي ، كما يتم عادة تركية وتدعيم ذلك بما يحصل أثناء أوقات الأزمات أو ما يسمى " اللحظات المثيرة"، التي يكون فيها النقاش حول حدث إسلامي معين ، لذلك فعندما تشوب صور المسلمين في الداخل بعض الانحرافات والسلوكيات المشينة ويتم رصدها من قبل الإعلام الغربي، فإنها تكون مادة مثيرة وقابلة لتشكيل صور نمطية سلبية عن الإسلام والمسلمين .

4-5 صورة الاسلام والمسلمين في الإعلام الغربي قبل أحداث 11 سبتمبر 2001.

4-5-1 دور الإعلام الغربي في تشكيل القوالب الذهنية عن الإسلام والمسلمين .

يهدف الإعلام كما يفسره (ولبر شرام W. Schramm) عبر وسائله المختلفة من صحافة، وإذاعة وتلفزيون بصورة مباشرة إلى إحداث التأثير في المستقبل ليقوم بعمل ما، أو بشعر مشاعر معينة، ويؤثر بصورة كبيرة في توجيه رأي الفرد والجماعة، بطريقة تقلل اليقين والبدايل أمامهم في ظرف زمني معين،¹ كما يعد الإعلام أبرز المصادر الرئيسة التي يستقي منها الفرد معلوماته، وهو بذلك لم يعد مجرد أداة لنقل المعلومات فقط، بل أصبح أداة لتوجيه الأفراد والجماعات وتكوين مواقفهم الفكرية والاجتماعية، ولذا فإن دوره لا يقف في صنع الصورة فقط، بل بتنظيم هذه الصورة وطبعها في أذهان الجماهير.. مع ضرورة الأخذ في الحسبان بأنه ليست كل المعلومات التي تصل تؤثر على بناء الصورة الذهنية لدى الفرد، إذ أن هناك معلومات بسيطة قد لا تقع في دائرة اهتمام الفرد بالأساس، من هذا القبيل يكاد يجمع المحللون أن الإعلام يشكل حدا هاما وفاعلا في عملية التغيير الاجتماعي والسياسي والثقافي والقيمي،² أثناء نقله للمعلومات والحقائق وأخبار الحوادث، وقراءتها وتفسيرها وتأويلها على نحو يوافق أجندته وسياسته الإعلامية، فهو بالتالي يؤسس لدى الجماهير الوعي، ويشكل لهم القوالب الذهنية التي ينبغي عليهم التسليم لها، ويقصد بالقوالب الذهنية (Stéréotypie) أو النمطية في هذا السياق، تلك المفاهيم والأحكام المسبقة والمطلقة التي تعمل وسائل الإعلام المختلفة على غرسها في أذهان المتلقين، من خلال أساليب الإقناع المختلفة وبصفة متكررة تهدف في الغالب على تبسيط وتعميم إ وصف الآخر انطلاقا من انتماءاته الدينية أو العرقية أو غير ذلك.

وهو ما يصدق إلى حد بعيد عن مفهوم طبيعة العلاقة بين الإسلام والغرب، فالقبولبة الإعلامية التي يجلو للإعلاميين الغربيين اللجوء إليها عندما يراد الحكم على الإسلام وتوصيفه تستند في واقع الأمر إلى جهاز كامل من الأحكام المسبقة (préjugés) التي لها رصيد ضخم في المخيلة الغربية، مما يجعل تصور العالم الإسلامي

¹ جيهان أحمد رشدي : الأسس العلمية لنظريات الإعلام. دط، دار الفكر العربي القاهرة، دت، ص591.

² Wilber Schramm : **Mass Media And Natioal Development (The role of information in national development)** . Standford University press, and Unesco paper cover, California, p 30-35 .

بكل مكوناته ومقوماته إنما يتم من خلال خلفيات فكرية سابقة تهدف بالأساس إلى الدفاع عن مصالح وأهداف معينة.¹

لكن قبل الخوض في ثنيا تشكل الصورة النمطية عن الإسلام والمسلمين في الوعي الغربي، ودور الإعلام في تكريسها من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن الكيفية التي تعمل بها الآلة الإعلامية عموماً، وفي في الغرب على وجه الخصوص وتحديدًا الموقف تجاه الآخر، إذ تمارس وسائل الإعلام، وفق ما يرى كلا من (انتصار إبراهيم عبد الرزاق، وصفد حسام الساموك) ثلاثة أدوار في بناء الصورة الذهنية، وهذه الأدوار هي أن تكون "ساحة" أو "طرفاً" أو "أداة" لطرح التصورات، فتلجأ الحكومات والقوى السياسية المختلفة لاستخدامها كمساحة تطرح فيها تصوراتها أو قد توظفها أيضاً كأداة لدعم أو تثبيت تصوراتها، وقد تكون وسائل الإعلام طرفاً فعالاً له مفاهيمه وتصورات، كما قد تتداخل الحالات الثلاث وتتفاعل لتصبح وسائل الإعلام ساحة وأداة وطرفاً في الوقت ذاته.²

ولاشك أن وسائل الإعلام عندما تنهض بهذا الدور، فإنها لا تقدم تصورات فحسب، بل تعمل على بناء الجانِب الإدراكي للفرد عن جماعة قومية ما، من خلال إمداده بالمعلومات والآراء والتحليلات وتقديمها في قالب بعينه، لأن العملية الإعلامية لا تتحدد بمجرد كونها قناة تقوم بتقديم المعلومات عن مجتمع أو فئات ما بحياد وتغطية متوازنة، بل بما ترجحه كذلك من تأويلات وتحليل للحقائق، فضلاً على ما يمكن أن تضيفه النظم السياسية والاقتصادية والثقافية من ضغط في علاقتها مع النظام الإعلامي، من أجل طبع صور بعينها، وتعديلها أو تغييرها من الأساس في أذهان الجماهير، وذلك وفق ما يناسب أغراضهم، واهتماماتهم واتجاهاتهم، فهذه الصور الذهنية المتداولة عبر وسائل الإعلام والاتصال المختلفة، لا تنطلق من فراغ وليست عشوائية في ذاتها، بل مقصودة في غالب الأحوال.

من جهة أخرى يجدر التأكيد على أنه من المهم في سياق الحديث، إدراك العلاقة بين الإعلام والديمقراطية، ورأس المال والسياسة، إذ لا يمكن الحديث عن الديمقراطية بدون إعلام حر ونزيه، والإعلام من وجه آخر هو المال، ذلك أننا اليوم أمام مؤسسات جبارة جعلت منه صناعة بمئات ملايين الدولارات، تعجن

¹ ينظر المحجوب بن السعيد : مرجع سابق، 75.

² ينظر انتصار إبراهيم عبد الرزاق، صفد حسام الساموك : الاعلام الجديد.. تطور الأداء والوسيلة والوظيفة. ط1، الدار الجامعية للطباعة والنشر والترجمة، جامعة بغداد. 2011، ص ص 27-29.

عقول البشر - على حد تعبير الأمريكي (هيربرت شيللر H.Shiller) -¹ الذين يقعون في دائرة نفوذها، والديمقراطية تحتاج إلى آلة إعلامية بهذه الضخامة والجبروت، لتكون شعبية وجمهورية، وعليه فالمعادلة المنطقية: هي أن الذي يملك المال هو الذي يملك الإعلام، وهو بالتالي الذي يحرك العملية الديمقراطية ويوجهها وفق ما يرى وما يتصور، وهو الذي يصور النفع ويصور الضرر، ويحدد الأنا ويحدد الآخر،² ولأن العملية الديمقراطية قائمة على حرية التعبير والاختيار الحر لكل فرد، من خلال الخيارات التي تتيحها وتوفرها وسائل الإعلام، لكونها جماهيرية بطبيعتها، ولكونها كذلك، الذي يمكن من خلاله تقديم البدائل الثقافية والسياسية والاجتماعية القيمة، في المجتمع الذي تعمل فيه، فإن العلاقة بينهما مسألة جوهرية، لا يمكن فصلها. لكن مع التأكيد أن الحرية المتحدث عنها في واقعها الحقيقي ما هي إلا حرية شكلية، يجسدها التنوع في أطار الواحد، حيث تشير نتائج الدراسات والبحوث الإعلامية إلى أن الرسائل التي تتكرر بتنوع، يذكرها الفرد أكثر من غيرها، ولكي لا يمل الناس هذا التكرار، فإنها تلجأ إلى التنوع،³ فالاختلاف والتنوع ظاهري في الغالب، بينما يجري تغليب وعي معظم الجماهير بصورة محكمة منذ الطفولة، وفق نظام تظليلي متكامل لصالح الأقوى على حساب الأضعف، كما يؤكد ذلك (هيربرت شيللر H.Shiller)،⁴ من ثم يظل السؤال الحقيقي - كما يرى (جورج جير بنر) - لا يتمثل فيما إذا ظلت وسائل الاتصال الجماهيري حرة أم لا، وإنما يتمثل في كيف؟ ولأي هدف؟ وعن طريق من؟ وبأية نتائج مترتبة تتم ممارسات عمليات التوجيه والسيطرة التي لا محيد عنها في الممارسة الإعلامية؟⁵ وعليه فلما كانت الطبيعة الوظيفية لوسائل الاتصال الجماهيري تعمل بهذا الشكل، وعلى ضوء علاقتها بالديمقراطية، ولها القدرة على تشكيل (وعي) و (رؤية) الجماهير بصفة مظلمة ومغشوشة، وكان الواقع الذي تصنعه وسائل الإعلام، وترتب أحداثه، وتزعم له تمثيل جماهيري، وتدعي أنه ناتج عن إرادة

¹ هيرت شيللر : المتلاعبون بالعقول "كيف يجذب محركو الدمي الكبرى في السياسة والإعلان، ووسائل الاتصال الجماهيري خيوط الرأي العام". (تر) عبد السلام رضوان، عدد 243، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والعلوم، الكويت، مارس 1999، ص ص 25-27.

² ما المنتظر من إمبراطورية مثل تلك التي يملكها : اليهودي الاسترالي روبرت مردوخ : 150 وسيلة إعلامية في أربع قارات، وأكبر شركة لإصدار دليل التلفزيون حيث تسوق أكثر من 30 مليون نسخة سنويا، أو اليهودي صموئيل نيو هادس الذي يجوز 30 صحيفة يومية وستة مجلات وست محطات تلفزيونية وأربع محطات إذاعية، و20 محطة تلفزيون كيبي في الولايات المتحدة، ينظر سعيد اللاوندي : الإسلاموفوبيا لماذا يخاف الغرب من الإسلام؟. ط2، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ماي 2007، ص191.

³ ربا قحطان الحمداني : صورة الولايات المتحدة في الصحافة العراقية. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الإعلام، 2001، ص 52.

4 ربا قحطان الحمداني : مرجع سابق، ص 35.

5 هيرت شيللر : مرجع سبق ذكره، ص30.

شعبية، واقع مزيف لدى المتلقي في المجتمعات الغربية، فهل يمكن أن نراهن بنفس المنطق على أن هذا ينطبق على الإسلام والمسلمين في علاقتهم مع الغرب ؟.

الأمر الآخر الذي ينبغي الإشارة إليه في سياق فهم البعد الوظيفي لوسائل الإعلام في الغرب، هو تلك الخلفية التراثية الضخمة التي تستند إليها حركية هذه الوسائل، في فهم الآخر، نقصد الإسلامي والعربي أو ما أصطلح عليه بالمغايرة (Altérité) أو "الغيرية" أو "الآخريّة"، والمغايرة مفهوم حاضر في كل الثقافات وقائم على أساس ثنائية الاختلاف بين الأنا والآخر، ولا يمكن استيعابه وفك رموزه إلا إذا استحضرننا مجموع التفاعلات والعلاقات وطبيعتها بين الفضاءات الثقافية والحضارية المختلفة، "فالغيرية" بعبارة (محمد عابد الجابري)، "مقولة أساسية مثلها مثل مقولة الهوية، ومما له دلالة في هذا الصدد أن كلمة (Altérité) تعني تغير الشيء وتحوله إلى الأسوأ (تعكّر، استحالة، فساد)، ومعنى ذلك أن مفهوم "الغيرية" في الفكر الأوربي ينطوي على السلب والنفي، بعبارة أخرى: يمكن القول إن ما يؤسس مفهوم الغيرية في الفكر الأوربي ليس مطلق الاختلاف، كما هو الحال في الفكر العربي، بل الغيرية في الفكر الأوربي مقولة تؤسسها فكرة "السلب" أو النفي (La Négation) ، فـ " الأنا " لا يفهم إلا بوصفه سلبيًا، أو نفيًا، لـ "الآخر"، وغياب التواصل لأسباب قد تكون جغرافية أو نفسية مثلاً عادة ما تنتج عنه " ثقافة " قبلية منمطة عن الآخر تعيد صياغته وفق وحدات ذهنية تفرغه من حقيقته، وتنشئ له وجودًا متناسقًا ومتناغمًا مع رؤيتها له. وتفرض القبلية والقيم المتوارثة نفسها كأساس "معرفي" في تصور الآخر، إذا أخذ في بعده الديني العقيدي؛ وهو بعد يغلب عليه الطابع السجالي "المواجهاتي" ذي النزعة الإقصائية.¹

من أجل هذا حري بنا التأكيد في المقابل على أن الإسلام باعتباره منظومة حضارية وإنسانية متميزة، ومختلفة تمامًا في رؤيتها وتصورها للفرد والجماعة، والأنا والآخر، الدين والدنيا، أحد أبرز هواجس الغرب منذ بدايات الاحتكاك الأولى، وبقي كذلك عبر مسيرة التاريخ الطويلة، يطرح كل مرة في قالب التحدي والخطر والإدانة والتهديد، متحولًا بفعل أطماع السياسة ورواسب التاريخ وتوظيف وسائل الإعلام الجماهيري، وتكنولوجيات الاتصال المختلفة إلى شبح يورق الغرب، وبخاصة بما يمتلكه من جاذبية وتأثير بالغين

¹ الصادق رايح : تجليات خطاب الكراهية في الوسائط الإعلامية الفرنسية: بحث في المصادر . كلية الاتصال، جامعة الشارقة، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ص 5.

ساهمتا في انتشاره انتشارا "مقززا ورهيبا"، رغم الحصار والتصفيق والتشويه المتعمد الذي يتعرض له في الغرب، على حد وصف أحد الفلاسفة الملحدين والإعلاميين الفرنسيين البارزين (Anre-Compte Spongille).

وتشير العديد من الدراسات الأكاديمية الغربية،¹ إلى أن صورة الإسلام عقيدة، وثقافة وحضارة لقيت هزات عنيفة في مسيرة الخطاب الإعلامي الغربي- الرسمي والشعبي- وتعرضت بصفات متكررة إلى كثير من التشويه والتحريف والتضليل في اغلب وسائل الإعلام الغربية، التي تحولت بدورها إلى آلة لتعليب وعي الجماهير، وتمييطها تجاه الإسلام وقضايا المسلمين، وفي إطار إستراتيجية لا تترك مساحة لحرية الفكر والاكتشاف، والتي يبتغي ورائها إلصاق تهمة الإرهاب والعنف والتخلف والجهل بالإسلام،² وذلك من أجل الحيلولة دون إقبال الغربيين على الإسلام أو حتى التعرف عليه، مصداقا لقول الله تعالى في القرآن الكريم ﴿وَلَكِنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: 12].

ومما لا شك فيه أن من وراء تكوين هذه الصور النمطية عن الإسلام والمسلمين تراكمات تاريخية غذتها ولا تزال جملة من القبليات والقوالب المشوهة التي لم تفلح القطيعة الاستمولوجية الغربية في اقتلاعها واستبدالها بثقافة عارفة، هدفها العمل بتنسيق تام وتخطيط متكامل لإتقان عملية التمييع والتشويه الموجهة ضد الإسلام والمسلمين، تستند في ذلك إلى تراث استشراقي إعلامي مميز جدا - كما اسماء الكاتب (حسن عزوزي) - شكل دور المعين والمنهل الرئيس، فالمادة الإعلامية التي يتم إنتاجها لا تتردد في أن تضيف على الصورة القائمة للإسلام التي أفرزها هؤلاء نوعا آخر من التضليل والتشويه، وبذلك تتم تغطية الإسلام في الصحافة الغربية على أساس ما يكونه الاستشراق الصحفي من صور نمطية موهلة في التشويه والتضليل، وتعمل على تكريس نزعة التخويف من الإسلام وتصويره وفق قوالب محددة بالغة التعميم، وقد ساهم في تكريسها طبيعة العمل الإعلامي الغربي ذاته، المعروف عليه اعتماد معايير وقيم إخبارية تؤثر على العاملين في وسائل الإعلام، سواء في اختيار المواد أو

¹Voire Bachir Oueslati Et Autres : **Le traitement de l'Islam et des musulmans dans les manuels scolaires québécois de langue française**. Centre Métropolies du Québec Immigration et métropolies, Université Montréal, – Bibliothèque et Archives nationales du Québec, 2010.canada, Janvier 2010.

² Aziz All –AzmeH And Effeie Fokas : **Islam in Europe Diversity, Identity and Influence** . 1st Ed, Cambridge University Press, New York , 2007 .pp 8-9 .

الأخبار أو الآراء التي يتيحون لها الفرصة للنشر أو في صياغتها والتعبير عنها، لعل أهمها الاتجاه نحو الاستجابة لرغبات الجمهور¹، من أجل ذلك تركز التغطيات الإعلامية الغربية في رسمها للإسلام على كل ما هو مستقطب وغريب ومثير في الإسلام مستعينة في ذلك بوسائل دعائية وترويجية هائلة تتمثل في التحرر من الالتزام الموضوعي والمهني والعلمي في التحرير، وتوظيف أساليب الدعاية والتعميم والتخويف ودغدغة عواطف القراء بعيدا عن نوازع العقل، فضلا على ما تمتلكه هذه الكتابات الصحافية الاستشراقية ذاتها من إمكانات وقدرة على الوصول إلى أكبر عدد من الناس، إذ كثيرا ما تطبع وتوزع وترجم بآلاف النسخ ويمكن العثور عليها في مختلف الأماكن الشعبية ومجانبة أحيانا سواء في أنفاق الميترو، وعلى رفوف المحلات ومراكز التسوق والمكتبات العامة، وفي المطارات الدولية وبعض الأكشاك... عكس كتب المستشرقين التي تطبع بأعداد محدودة ولا تكاد تباع سوى في المكتبات العلمية. وهكذا ساهمت الدراسات الاستشراقية الصحفية في تقديم أساليب إعلامية تحريرية طغى فيها أسلوب الإثارة الدرامية والتمويه والتضليل على الحقيقة والمنطق والموضوعية. يقول المؤرخ الفرنسي ذو الكتابات المنصفة عن الإسلام (Marcel Boisard) " إن كتابات المستشرقين - عدا بعض الاستثناءات النادرة - لم تسهم كثيرا في تصحيح الفهم للإسلام أو إعادة تدقيق الصورة التي كانت لدى الرأي العام الغربي إلى نصابها الصحيح".²

ولا يخفى في هذا السياق أن القولية الإعلامية الاستشراقية - إن صحت تسميتها -، قد عملت العقود الأخيرة من خلال عملياتها الدعائية على تعريب وأسلمة " الإرهاب "، وأصبح العرب والإسلام، الضحية الأنموذج لما يطلق عليه بلغة الإعلام " شيطنة العدو"، أي تحويل العرب والمسلمين من دون استثناء إلى شر مستطير، وإلى مصدر رعب وتخويف، وتسعى وسائل الإعلام الغربية إلى تكريس ذلك وتأكيد من خلال لاختراعات مشينة، وتعميمات مطلقة، وتقديم إحصائيات مهولة أو رسوم كاريكاتورية مثيرة أو تحقيقات ميدانية في بلدان العالم الإسلامي تبعث على تصوير المسلمين متخلفين ومتطرفين وناقمين على الغرب إلى غير ذلك.³

ويلخص (ادوارد سعيد E. Said) المسألة في نتائجها قائلا " إن التفكير الاستقطابي اصطنع عدوا للغرب هو الشرق ثم اختزل الشرق في عالم، ومن ثم في الإسلام، والإعلام المتحيز صنع صورة مخيفة ومروعة عن

¹ حسن عزوزي : « الأسباب التاريخية للصور النمطية السلبية عن الإسلام والمسلمين في الوعي الجمعي للمجتمعات الغربية وسبل تجاوزها ومواجهتها ». مرجع سابق، ص 19.

² Marcel Boisard : **L'Islam aujourd'hui**, Unesco 1985, p 8.

³ ينظر حسن عزوزي : **الإسلام وقمة الإرهاب**. مطبوعات رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، 1426 ص 91.

حقيقة الإسلام السمح، يكسوها الاختزال والتعميم والتبسيط المخل مع سطحية المعرفة، مستعيدا في ذلك الاحتكاك العنيف الذي طبع تاريخ العلاقة بين الإسلام والغرب في أثناء الحروب الصليبية، كما استند إلى الدراسات الاستشراقية المتحاملة على الإسلام و حضارته.¹

وقد عبرت العديد من أحداث الصدام خلال العشرية التالية لأحداث الحادي عشر من سبتمبر، تعبيرا واضحا عن عمق العداء الثقافي والديني للمسلمين في الغرب، منها على سبيل المثال لا الحصر، حادثة الصور الكاريكاتورية الداعمة المسيئة لرسول الله ﴿ صلى الله عليه وسلم ﴾، وقرارات الحكومات الغربية تجاه الرموز الدينية الإسلامية كالحجاب والصوامع في سويسرا، والمناهج الدراسية الدينية في بلجيكا، وصولا إلى آخر الفتن وهو الفيلم الأمريكي "براءة المسلمين، Innocence of Muslims" للمخرج اليهودي (سام باسيل Sam Basil)²، والدفاع الغربي المستميت عن نشره بدعوى حرية الفكر، رغم ما في الفيلم من إساءة بالغة، وغير مسبوق للإسلام ولرسول الله ﴿ صلى الله عليه وسلم ﴾، وهذه الأحداث جميعها وما شابهها تؤكد في المشهد لذي سيقف فيه ومن خلاله أن الإسلام والإرهاب والعنف والجنس قرناء لا يكاد ينفصل أحدهما عن الآخر، وهي بهذا ليست مجرد صور نمطية شاذة، أو تهكم وازدراء عابرين، بل تعبير صريح عن حركية منظومة وبناء فكري نما وتكون عبر تاريخ الاحتكاك العنيف بين الغرب والشرق .

فالصورة النمطية المسيئة للإسلام و العرب التي يروج لها الإعلام الغربي اليوم ليست إلا امتدادا لتلك الصورة التي صنعها اللاهوتيون المسيحيون المتعصبون في العصور الوسطى ورسخها في الوجدان الغربي غلاة الصليبيين الطامعين في أرض العرب، وهي ذاتها الصورة التي سخر المستشرقون والمنصرون أبحاثهم ودراساتهم وجهودهم العملية لتثبيتها في العقل الاستعماري للغرب³(...). لذلك سنكون مخطئين كما يشير (محمد عابد الجابري) إذا نحن اعتقدنا أن الغرب قد تحرر من تلك الخلفيات الثقافية الدينية التي كانت توجه فلاسفة التاريخ و المستشرقين وأنه الآن غرب علماني خالص، عقلاني براغماتي لا غير، سنكون مخطئين إذا نحن جردنا الغرب من ذاكرته الثقافية الدينية، ذلك لأنه إذا كانت هذه الذاكرة تفعل في الكنسيين والمتطرفين والعنصريين في كل

¹ Edward Said : **Covering Islam : How the media and the expert determine how we see the rest of the world . Routledge & keganpaul , London, 1981, p**

² David D. Kirkpatrick : « Anger Over a Film Fuels Anti-American Attacks in Libya and Egypt » . **The new York times** , September 17, 2012, p1

³ عبد القادر طاش : مرجع سابق، ص 8.

من أوروبا وأمريكا، فهي تفعل كذلك لا واعية في العلمانيين و الليبراليين، وهي تميظ اللثام عن نفسها بين حين وآخر من خلال ردود فعل معينة غير مراقبة.¹

والحاصل أنه إذا كان الفضاء الغربي ينتج خطابا مختزلا ونمطيا عن الآخر عموما والآخر الإسلامي على وجه الخصوص، فإنه لا يجب أن يكون ذلك هو المشجب الذي تعلق عليه كل الأخطاء والإخفاقات كما يقول (مالك بن نبي) وهو يتكلم عن الاستعمار.² فالفضاء الإسلامي والعربي، وهو يشارك بطريقة غير واعية في بناء صورة الإسلام عند الغرب، أكبر من " يخون الإسلام". وربما يكون هذا الوصف مبالغ فيه لكنه وصف لجانب مهم من الحقيقة التي نعايشها كعرب ومسلمين.

4-5-2 خصائص صورة الإسلام في الإعلام الغربي قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر .

إذا كانت ظاهرة صنع صورة مسيئة للإسلام و المسلمين في الغرب ذات جذور تاريخية امتدت لقرون عديدة، من قبيل فترة الحروب الصليبية خلال القرون الوسطى، مروراً بالمرحلة الاستشراقية كما صدرنا الحديث مطلع هذا الفصل، فإنه يمكن القول بان هذه الظاهرة السلبية قد استأثرت بها وسائل الإعلام الغربية منذ العقد الأخير من القرن العشرين، إذا أمست ظاهرة تشويه الإسلام و الحضارة الإسلامية في وسائل الإعلام الغربية ظاهرة جديدة بالبحث والمتابعة، فقد تمكنت هذه الوسائل من نقل صورة التشويه والتميع من بطون الكتب و الدراسات الاستشراقية إلى أعمدة الصحف و شاشات التلفاز، فغدت تلك الصور الواسعة الانتشار لدى الجماهير بعد أن كانت متداولة في أوساط النخب .

وزاد الأمر حدة وتقصدا عقب سقوط الشيوعية، لتبالغ وسائل الإعلام الغربية في بث وترويج فكرة العدو البديل عن الشيوعية، وكان الإسلام وفق الرؤية الجديدة القديمة هو العدو الأقرب، وبخاصة قد مهد لها منظرون بارزون في الفكر الاستراتيجي الغربي من أمثال "صموئيل هنتغتون، وفرنسيس فوكوياما"، وعليه لم تخرج صورة الإسلام في وسائل الإعلام الغربية عن تلك المتداولة في المدارس، وأدبيات الفكر والسياسة، مع إضافة إخفاقات واقع المسلمين المعاصر السياسي والاقتصادي والثقافي والمدني.

¹ ينظر محمد عابد الجابري : مسألة الهوية " العروبة والإسلام... والغرب ". مرجع سابق، ص ص 136-137.

² مالك بن نبي : مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي . دار الفكر، دمشق، 1990 ، ص 43.

واستغلت وسائل الإعلام قبيل أحداث الحادي عشر من سبتمبر، العديد من الأحداث الدولية، ونقاط الصراع مع الإسلام والثقافة الإسلامية والعربية، لتكريس الرؤية الاختزالية، التي ترى في الإسلام ديناً وحضارة عالماً آخر غريباً قلماً يشترك مع الغرب في قيم أو مميزات معينة، والمثير أن الاختزالية هذه بفعل التكرار وسبل الإقناع المختلفة، مع مرور الزمن تأخذ في ذهن المتلقي الغربي طابع القاعدة والحقيقة المطلقة، وقد بينت على العديد من الدراسات أن وسائل الإعلام الغربي منذ بداياتها الأولى، ساهمت بفعالية كبيرة في تثبيت الصورة النمطية والاختزالية، السلبية التي رسمها الاستشراق الغربي للإسلام والمسلمين منذ منتصف القرن الثامن عشر الميلادي. فيكفي عبارة مثل "الخميني، التطرف والتشدد، الجهاد، الحرب المقدسة، تعدد النساء، النفط، إيران، الجزائر، الهجرة، الحرب لمقدسة، الضواحي... أو غيرها من "المفردات الموجهة" التي تداولتها وسائل الإعلام الغربي فترة الثمانينيات والتسعينيات لاختزال الرؤية الدرامية المثيرة، والمشيئة للإسلام والمسلمين.¹

ومما حرصت على اختزاله وسائل الإعلام الغربي قبيل أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وبتكرار عالي جداً وبمختلف السبل والوسائل: صورة المرأة المسلمة العربية، حيث انطلقت في ذلك من جملة المسلمات والمعايير الموروثة كما وصفتهم الباحثة (نورة بنت عبد الله عدوان) على النحو الآتي:²

✓ الدعوة إلى رفع وصاية الدين عن المرأة في العالم الإسلامي، لأنه يمثل حجر عثرة في طريق تقدمها، ويفرض عليها قيوداً تحد من حريتها كالحجاب و السفر بإذن زوجها.

✓ عدم الموضوعية في عرض قضايا المرأة المسلمة، واستعمال أسلوب الاحتقار و النظرة الدونية للمرأة المسلمة في شكل صورة ساخر تصفها بألة الإنجاب، وغيرها من الأوصاف المشحونة بالاستخفاف بثقافة الآخر، واحتقار قيمه واتهامه بالانغلاق والتحجر والجمود.

✓ السعي إلى ترسيخ النموذج الغربي للمرأة من خلال إبراز محاسنه ومميزاته، وتجسيده للحرية و المساواة واحترام حقوق الإنسان، و مسايرته لتطور العصر.

✓ اعتماد أفكار الحركة النسوية الغربية ومبادئها التحررية الداعية إلى تغيير قوانين الأحوال الشخصية للأسرة المسلمة، والدعوة إلى الصراع بين الرجل و المرأة والنضال من اجل تحقيق المساواة.

¹ ينظر محمد بشاري: صورة الإسلام في الإعلام الغربي. ط1، دار الفكر، دمشق، 2004، ص62.

² ينظر نورة بنت عبد الله بن عدوان: «صورة المرأة المسلمة في الإعلام الغربي».

✓ ازدواجية المعايير في التعامل مع قضايا المرأة المسلمة، ومن الأمثلة على ذلك اعتبار المرأة المسلمة متخلفة عندما تضع الحجاب وتلتزم به، في حين تعد المرأة الغربية الراهبة محترمة و مطيعة لأوامر ربها، أو النظر إلى مكوث المرأة الغربية في بيتها للعناية بالأطفال تضحية، في حين أن قيام المرأة المسلمة بذلك في نظر الإعلام الغربي شكل من أشكال العبودية التي يلزمها التحرر منه.

وقد انعكست وتوسعت هذه الصورة على طبيعة التغطية الإعلامية الغربية ليس لموضوع المرأة المسلمة فحسب، بل تعدى ذلك إلى الشخصية العربية المسلمة، التي يمكن أن نجمل مواصفاتها كما أشار كلا من (محمد المحجوب)¹، و(محمد بشاري)² في دراستيهما على النحو الآتي :

✓ التحيز ضد العرب والمسلمين وعدم الالتزام بالموضوعية أو الحياد في عرض الأخبار المتعلقة بهم، كما حصل مع الروائي سلمان رشدي مؤلف كتاب "آيات شيطانية"، وقضية ختان الإناث في مصر، وقضية الحميني، والتطرف.

✓ القسوة، الحسية، الفظاظة، المستيريا والشذوذ والكسل والأخلاق الفاسدة، وهي صفات تحيل إحالة ضمنية إلى الحيوانية، تلك هي تفاصيل صورة العربي والمسلم الملازمة لهما في العرض عبر وسائل الإعلام الغربي المختلفة، سواء الصحف أو المجلات والإذاعات والتلفزيون. صورة سلبية وسيئة ومنفرة ومشوهة في الغالب.³

✓ نزعت غالب التغطيات الإعلامية في الغرب في الفترة بعد سقوط الشيوعية أو الخطر الأحمر، إلى المساهمة في إبداع، و"شيطنة عدو جديد" دعي لدى بعضهم بالعدو الأخضر، والعدو هنا في العديد من التغطيات والتحليل الإعلامية هو الإسلام والمسلمين، ويقوم هذا المبدأ على إعلاء العنف والقوة في الرد، ونزع الصفة الإنسانية عن العدو، ومواجهته من دون أن يكون ثمة مطالب بتطبيق الشرائع وموثيق حقوق الإنسان المتعارف عنها دولياً.⁴

✓ ربط الإعلام الغربي عموماً والأوروبي على وجه الخصوص، بشكل كبير بين الإسلام كدين وبين ممارسات بعض الأنظمة السياسية الدينية المعقدة كالنظام السياسي الإيراني، وبعض الحركات الإسلامية السياسية، والجهادية المتشددة والمتطرفة -في منظوره وثقافته- على غرار ما وقع الجزائر واليمن ومصر، وفي كثير

¹ ينظر محمد المحجوب : مرجع سابق، ص ص 95-98.

² ينظر محمد بشاري : مرجع سابق، ص ص 24-29.

³ ينظر محمد بشاري، مرجع سابق، ص ص 24-29.

⁴ ينظر حميد حمد السعدون : الغرب و الإسلام و الصراع الحضاري . دار وائل للنشر، عمان، المملكة الأردنية، 2002، ص 119.

من الأحيان لم يفرق هذا الإعلام بين المسلم المعتدل في ممارسته الدينية، وبين المسلمين المنتمين لجماعات إسلامية تختلف في فلسفتها ومرجعيتها وحركيتها.

✓ استخدمت وسائل الإعلام الأوروبية عدة وسائل لإبراز الصورة السيئة للإسلام والمسلمين، من قبيل العناوين المثيرة والتي تبعث الخوف والقلق لدى الرأي العام الأوروبي، والتكرار والاجترار المستمر خاصة في أحداث العنف والربط بين الإسلام والإرهاب، والضرب على وتر المشاعر والأحاسيس الإنسانية باستخدام صور وعبارات مؤثرة نفسياً وموحية بالمعنى الذي تسعى هذه الوسائل إيصاله وبتخاذ الموقف الذي تطمح إليه، ثم التأثير على المتابع مستغلة جهله بالإسلام واعتماده على ما تقدمه له من معلومات وأحكام جاهزة، ومستغلة كذلك المصلحة الشخصية والقومية بتصوير المسلمين والإسلام على أنهم يشكلون الخطر والعدو.¹

وركزت وسائل الإعلام الغربية قبيل أحداث الحادي عشر من سبتمبر على الترويج لبعض الأفكار والافتراضات الجيوبوليتيكية التي لاقت صدى في رسم معالم السياسة الدولية الراهنة، وبخاصة في الجوانب المتعلقة منها بالإسلام والمسلمين، على افتراض أن الإسلام هو العدو البديل للشيوعية، مثل فكرة "نهاية التاريخ (فوكوياما)، و" صدام الحضارات " (لصاموئيل هنتنغتون)، إلى جانب قضية الأصوليات الصاعدة، وخطر الأقليات المسلمة في الغرب، وعموماً، يمكن تلخيص أهم عناوين الصور المغلوطة عن الإسلام في النقاط الآتية:

✓ الإسلام دين العنف والإرهاب، لم تكن الفتوحات الإسلامية سوى توسعات استعمارية ذات طابع اقتصادي للحصول على الغنائم وفرض الجزية، وان المسلمين أناس مختلفون بربريون، والإسلام انتشر بالسيف.

✓ الإسلام يضطهد المرأة (وهنايم التركيز كثيراً على قضية الولاية والزواج والعصمة والقوامة...).

✓ المسلمين هم العرب، والأمة الإسلامية هي جماعة المسلمين، ومحمداً هو مخترع الإسلام وأن المسلمين يعبدونه. ومحمد رجل شهواني.

✓ الإسلام دين ضد السامية (من خلال تحريف الآيات القرآنية التي تتحدث عن قضية اليهود)، والمسلمين يعبدون إلهاماً مختلفاً، ولا يؤمنون ببعسى - عليه السلام - ودينهم ضد حرية الاعتقاد.

✓ الإسلام ضد الديمقراطية وحقوق الإنسان، ويحرم الفنون (الموسيقى - الرسم - النحت...).

¹ ينظر عصام أنور أحمد عيسى: الرحمة المهداة محمد رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾. كاتب الألوكة، الدورة الثانية، 1432هـ. <http://www.alukah.net>, le 21.02.2013.19:29h.

✓ الإسلام دين رجعي، وتواكلي ضد العمل، والصيام يقلل حركة الإنتاج، والزكاة تقلل من الأموال.¹

¹ ينظر عصام أنور أحمد عيسى : مرجع سابق، ص 33.

6-4 صورة الإسلام في الإعلام الغربي بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر

شكلت أحداث الحادي عشر سبتمبر (2001). بالولايات المتحدة الأمريكية فرصة قوية لإعادة تحديث وبعث روايت ماضي علاقات الإسلام والغرب على كثير من الأصعدة السياسية والثقافية والاجتماعية وخاصة الإعلامية، هذه الأخيرة التي تحملت القسط الأكبر في حمل الرسالة الدعائية والتحريضية ضد الإسلام والمسلمين، وتفنتت في ترويج الصور النمطية المشوهة معززة بسيل جارف من التحليلات المتطرفة والصور المشوهة والمقاطع المجتزئة، خاصة تلك التي تسيطر عليها اللوبيات الإعلامية الصهيونية والمناوئة، وبسبب وجود عقليات عنصرية متطرفة استغلت أحداث الحادي عشر من سبتمبر لكي تفرغ ذلك المكبوت من اجل تفعيل تشويه صورة الإسلام، كما كانت الأحداث فرصة مواتية لبعض القادة السياسيين ورجال الدين في الغرب لإعادة تمرير خطاب المركزية والعنصرية والاستعلاء، وترسيخ شعور الخوف والفرع من الإسلام وحضارته، ولعل ابرز تلك التصريحات ما صدر عن الرئيس الأمريكي (جورج بوش الابن G.B.Bush) عندما استعمل عبارات مثل (الحروب الصليبية¹)،² وما صدر عن رئيس الوزراء الايطالي (برلسكوني Berlusconi) عن (التفوق الطبيعي للحضارة الغربية وتميزها وأن الحضارة الإسلامية اقل شأنًا، لأنها متعصبة ومنغلقة على نفسها)³، والرئيس الفرنسي (جاك شراك J.Chirac) "مقتضيات المرحلة تحتم علينا أن نكون مع أميركا"⁴ وتصريح القس البروتستانتي (فرانكلين غراهام F.Graham) احد ابرز رجال الدين المسيحي في الولايات المتحدة الأمريكية، "إن الإسلام دين شيطاني جديد"، في مقابلة لبرنامج (News Nighty) في قناة " NBC " الأمريكية، أكد أن الإسلام " هو الذي هاجم أمريكا، كما أن المسلمين يعبدون إلهًا مختلفًا عن الذي يعبده

¹ يرى بعض الباحثين أن العبارة في دلالتها الاصطلاحية الانكليزية (crusade) لا علاقة لها بالبعد الديني والتاريخي الذي يعتقده المسلمون في نفس المصطلح، لكن كان الأجدد دبلوماسيا في مثل هذا الظروف الحساسة والتغيرات التي تشهدها المرحلة تفادي مثل هذه العبارات الطنانة باللغة الحساسة. ينظر محمد بشاري : مرجع سابق، ص 88.

² Thomas Ferenczi : « La " guerre : juste " contre le terrorisme » . Le Monde, N° 17619, le 10 Octobre 2001, p7-1.

³ Umber To Ecoa : « propos de la " supériorité " occidentale » . Le Monde, N° 17640, le 10 Octobre 2001, p4.

⁴ Service France : « Un débat s'esquisse en France autour de la riposte américaine » . Le Monde, N° 17614, le 15 Septembre 2001, p1.

المسيحيون، ومحمد لا يمكن أن يكون رجلا مرسلا من الله¹. ولم يكن في هذا المسعى رجال السياسة والدين لوحدهم، بل لم يتخلف عن منطقهم كذلك كثير من رجالات الإعلام والثقافة والفن وحتى بعض الأكاديميين المغالين، ولعل الزوبعة التي أثارها الصحفية والكاتبة الأدبية الإيطالية (أوريانا فالالا تشي O.F.Chi) في صحيفة (le Courriere della lasera) الإيطالية، خير مثال على ذلك بعد أن نشرت رسالة، ثم نشرتها في كتابها ذائع الصيت المعنون بـ (La rage et l'orgueil)، فحوها " أن الغرب يعيش أشد حرب صليبية قائمة بالفعل، وهي في ذلك تصرح قائلة : إنكم لا تفهمون ولا تريدون أن تفهوا بأن هناك حربا دينية قائمة، حربا يسمونها جهادا، حربا لا تريد أن تغزو أراضينا بل أرواحنا...ألا تفهمون أن أمثال (أسامة بن لادن) يستحلون نساءكم، وقتل أولادكم، لأنكم تشربون الخمر أو الجعة، لأنكم لا تطلقون اللحية ولا تلبسون النقاب²، وقد عقبته (أوريانا فالالا تشي O.F. Chi) ذاتها مرة أخرى عن خطاب رئيس الوزراء الإيطالي (سيلفيو برلسكوني Berlusconi) قائلة : " لماذا تتحدث عن الذي تسميه صراعا بين ثقافتين ؟ إني أتضايق من الحديث عن ثقافتين وأتضايق من المقارنة بينهما، وكأفهما حقيقتان متساويتان في القيمة...فانا لا زلت حية بفضل علمنا نحن، لا بفضل علم (محمد)"، وقد أثارته هذه التصريحات النارية بحسب مصدرها في إيطاليا استجابة قوية وجدلا واسعا في أوساط الفئات الأكاديمية والسياسية الاجتماعية الغربية- كما بينت العديد من الاستطلاعات المتعلقة بالموقف من الإسلام في الغرب- نتج عنها ردود فعل حادة جدا تجاه الإسلام والمسلمين، مصحفهم ونيبهم ولباسهم وأوطانهم.³

ويؤكد (تيموثي Timothy) الدبلوماسي الأمريكي عبر مجلة (واشنطن كوارترلي) أن استطلاعات للرأي كشفت عن تنامي أنصار الحركات العنصرية في أكثر من بلد أوروبي، وبالرغم من أن هذه الحركات لم

¹ مقابلة مع فرانكلين غراهام : على قناة NBC الأمريكية ، صرح من خلالها القس فرانكلين تصريحات مدوية تتعلق بالإسلام منها :
What I said after 9-11 was that Islam is wicked and evil. I don't believe Mohammad can lead " anybody to God." [On line] <http://www.youtube.com/watch?v=04rpb0iVFmU&feature=related> 19:20 h.. le 5 mai 2010

² ينظر محمد بشاري مرجع سابق، ص 92.

³ Oriana Fallaci : **La rage et l'orgueil** . (Tr) Victor France, Ed Plon, Paris, 2002, p 133.

تصل بعد في العديد من الدول الأوروبية إلى أن تصبح خطرا داهما، فإن التوقعات تشير إلى أنه سيكون لهذه الحركات المتنامية خطر حقيقي في السنين اللاحقة إذا لم تتخذ الإجراءات الكافية للوقوف في وجهها.¹

وإعلاميا شكلت وسائل الإعلام التي اكتسحت بترسانتها المصطلحية وحمولة شبكتها، وقوة تأثيرها في صياغة الأذهان، المكون الأساس لهذه الرؤية.² خاصة في ظل تنامي تطبيقها التقنية، ووسائطها الحديثة المتعددة، الوعاء والحاضن الذي يضم كل هذه الخطابات والتحليلات والتعليقات، ولم تكتف بنقلها بل عمدت إلى تعزيزها بالتحليل والشرح والتدليل والترجيح والتوجيه للرسائل المتعلقة بالإسلام والمسلمين في غالب الأحيان، إذ كانت تتفنن في اختيارها وتمحيصها لخدمة الغاية المنوطة بها، ففي فرنسا سرعان ما تحولت الصحف معتدلتها ويسارها ويمينها، علميها وشعبيها عقب صدمة الأحداث إلى تبني خطاب غاية في التشدد، والتطرف تجاه ما أصطلح عليه "الإرهاب الإسلامي، الأصولية الإسلامية، الجهاديون، المسلمون الهولوغانز... إلى آخر ذلك من الإطلاقات النارية المتعصبة والمسيئة والتعميمية، فصحيفة "لوموند" في عددها الصادر عقب الأحداث كتبت بالبند العريض "كلنا أمريكيون"³ في إشارة قوية إلى تبني التحيز المطلق للرؤية الغربية، الأمريكية على وجه أخص ضد الإسلام والمسلمين، ودعت مجلة (Le Nouvel Observateur) إلى ضرورة

¹ مالك بن إبراهيم الأحمد : « المسلمون في الغرب قبل وبعد الحادي عشر من سبتمبر » .

[On-line] <http://faculty.ksu.edu.sa/malik/Documents>, le 21.02.2013.19:29h.

² بينت العديد من الدراسات العربية والغربية حول صورة الإسلام والمسلمين في الخطاب الإعلامي الغربي عموما خطورة هذه الوسائل وقوتها في فرض منطقتها وتصوراتها وطبعها في أذهان المتلقين وبالأخص الصورة المشوهة والسلبية عن الإسلام والمسلمين في العقل الجماهيري الغربي، ينظر على سبيل المثال في السياق ساري حلمي خضر: صورة العرب في الصحافة البريطانية: دراسة اجتماعية للثبات والتغير في مجمل الصورة. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1988؛ ميخائيل سليمان: صورة العرب في عقول الأمريكيين. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000؛ محمد بشاري: صورة الإسلام في الإعلام الغربي. مرجع سابق؛ جلال أمين، عصر التشهير بالعرب والمسلمين، مرجع سابق.

Saddek Rabah : Op cite .

Deltombe Thomas : " L'Islam imaginaire " La construction médiatique de l'islamophobie . Ed. la Découverte, Paris, 2005.

Tevanian Pierre : Le voile médiatique. Un faux débat : 'l'affaire du foulard islamique' . Ed. Raison d'Agir, Paris, 2005 .

³ Jean-Marie Colombani : « Nous sommes tous Américains » . Le Monde, N°17612, le 13 septembre 2001, p2.

قيام تحالف دولي بزعامة الغرب، يضم مثقفين ورجال دين مسيحيين ليقاتلوا ويحاربوا القرآن كافة، كما يقاتل العالم الأفغان كافة"¹ وفي ذات المجلة علق الصحفي والكاتب الجزائري (بوعلام سنصال B. Sansal) على الإسلام بعد الأحداث قائلا: "الآن فقط، بدأنا نفهم أن الإسلام هو النهج الأكثر تطرفا مما كنا نعتقد في السابق، إن فهمه الأصيل والثابت هو إبادة الآخر، سواء كان يهودي، ملحد، مسلم علماني، وامرأة متحررة، ديمقراطية، مثلي الجنس، وما إلى ذلك، بهذا الجنون"². بل زاد في تعليقاته في مقال آخر قائلا على صفحات نفس المجلة "إن الحدود بين الإسلاموية والنازية تكاد تكون معدومة، وأوجه التطابق بينهما كبيرة جدا ولا خلاف إلا في بعض الجزئيات"³.

ولعل من أشد المقالات تعبيرا على عمق الحقد الذي تكنه وسائل الإعلام الفرنسية، وخطورة التعليقات التي كانت تنشرها عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر ما كتبه في صحيفة "لوموند" الفرنسية الصحفي المتمرس والمتخصص في مجال الأديان والمطلع على القرآن الكريم ونصوصه (Henry Tincq) بعد يومين فقط من الأحداث، "الحرب المقدسة في الشريعة الإسلامية"، باسم أي إسلام يمكن أن نسوق حياة جديدة للآخرين، ونبرر العمليات الانتحارية التي يقوم بها هؤلاء الحمقى، المتعصبون المسلمون، لا شك أن عقيدتهم الدينية هي مصدر إلهامهم... إن الجهاد أمر مألوف في الخطاب الإسلامي منذ القديم، وقرآنهم مليء بآيات الحث على القتل والتدمير والغزو، لكن ما لا يمكن فهمه هو مدى فعالية التأويلات والتفسيرات الحمقاء التي يسوقها هؤلاء الانتحاريين، ويتلاعبون بها من أجل غسل العقول وترسيخ القناعات، وإيجاد شرعية لهم"⁴.

ونشرت مجلة (le Revue de L'histoire) الفرنسية في الفترة ذاتها العديد من المقالات والملفات المطولة عن الإسلام والقرآن والإرهاب، وني الإسلام (محمد) ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، واتجهت غالبها وجهة سلبية حاقدة ومتحيزة ضد الحقيقة التي يتميز بها الإسلام، ومما نشرته وأثار ضجة كبيرة في فرنسا من قبل الجاليات

¹ Marie-France Et Chegoïn : « Les réseaux du djihad en France ». Le Nouvel Observateur, N° 1928, le 01 octobre 2001, p 23.

² Boualem Sansal : « Le 11-Septembre a été pour nous tous un choc terrible » . Le Nouvel Observateur, N° 2386, le 09 septembre 2011, p 1-7.

³ Boualem Sansal : « La frontière entre islamisme et nazisme est mince » . Le Nouvel Observateur, N° 2252, le 09 janvier 2008, p 19.

⁴ Henri Tincq : « la guerre sainte," selon la loi musulmane" » . Le Monde, N° 17621. Le 22 Septembre 2001, p 3.

المسلمة، وبعض المفكرين والصحفيين العرب والمسلمين، ملف أفردته المجلة بعنوان "حقيقة الإسلام" تطرقت من خلاله إلى موضوعات جد حساسة، كالمرأة بين ثقافتين، نقالة معها صورة لعملية إعدام إحدى السائحات بمدينة كابول الأفغانية، وصورة أعضاء من حركة حماس الفلسطينية وهم يحملون القرآن والسيوف، ثم صورة لعملية ختان طفل في إحدى قرى طاجاكستان، كما تطرق الملف بنبرة جد متطرفة وسلبية إلى إشكالية القرآن والجهاد، والنبي محمد والتطرف الإسلامي في بلدان العالم الغربي، وقد اعتبر في هذا الملف الإسلام أكثر الأديان تطرفاً، والمسلمين أشد الناس خطورة على الغرب وتاريخه وقيمته،¹ كما نشرت نفس المجلة ملفاً بخمسين صفحة تضمن أربع ملفات فرعية هي : (محمد الرسول المحارب) و(العصر الذهبي للعالم الإسلامي) و(المرأة و القرآن) و(نزعة التطرف).² وقد كان هذا الملف مشحوناً هو الآخر بإيحاءات سلبية وصور مشوهة عن شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، واستخفافاً بموقف الإسلام من قضايا المرأة، وتشكيكاً في معارضته للإرهاب. ومما لا شك فيه أن المقصود بنشر هذه الصور هو ترسيخ فكرة عنف المسلمين لدى المتلقي الغربي، وزيادة خوفه من كل ما يمت إلى الإسلام بصلة.³

لقد بينت العديد من الدراسات الغربية والعربية والإسلامية عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر مدى تورط وسائل الإعلام الغربية المختلفة في الربط بين الإسلام والعنف والإرهاب، في صفة تكاد تكون أنطولوجية، ففي إحدى المناظرات التلفزيونية "تساءل الفيلسوف الفرنسي (جون بيار فرايسيف-Jean Pierre Fraicev) عن الذين قاموا بتفجيرات سبتمبر، وفيما إذا كانوا منافقين وخارجين عن الإسلام خالفوا التعاليم القرآنية، أم أنهم من المؤمنين الصالحين الملتزمين الذين تصرفوا وفقاً للتعاليم القرآنية؟ وأعاد طرح السؤال بالشكل التالي: هل القرآن يتناقض مع روح حقوق الإنسان؟ فأجاب نعم، معتبراً أن هناك قرابة (7000) كلمة في القرآن تدور حول نساء يستحقن الهجر والضرب، وكذلك فالكفار يستحقون العقاب والعذاب والتدمير."⁴

¹ Catherine Guigon : « Moi, femme en pays musulman. Dossier » . Revue de L'Histoire, 2001 N° 260 , le 29 novembre 2001, p 44.

²Gabriel Martinez-Gros : « L'islam face à la modernité. Dossier » . Revue de L'Histoire, 2001 N° 260 , le 29 novembre 2001, p 7.

³ ينظر المجدوب بن سعيد : مرجع سابق، ص 120.

⁴ الصادق رايح : مرجع سابق، ص 23.

وغيرها من التصريحات الحادة التي أثارت جدلا شديدا، وكان لها وقع خطير على مستوى العلاقات والصورة المتبادلة بين المسلمين والغربيين، إذ تفاعلت هذه التصريحات الصادرة مع التعليقات والتحليلات الصحفية في الغرب، لتنتج أكبر حملة إعلامية شرسة على الإسلام و حضارته، أعقبها موجة من العنصرية كان ضحيتها المواطنون المسلمون المقيمون في البلدان الغربية بدرجة أولى، وفي باقي أطراف العالم بدرجة ثانية بما فيها بلاد العرب والمسلمين، وجدير بالذكر في السياق أن الإعلام الغربي في تعاطيه مع الإسلام والمسلمين عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر(2001)، عمل على طمس العديد من المفكرين¹ والصحفيين والأعمال الأدبية والثقافية والدرامية الضخمة، وتكاد تكون منصفة في حق الإسلام والمسلمين، أو على الأقل متفهمة لوضعه، مقابل سعيه خلق² نخب وأفكار آراء جديدة، ربما لم تكن معروفة من قبل، تنصدر حديث الإساءة والتخويف من الإسلام، كما فعلت وسائل الإعلام الأوروبية والفرنسية على وجه الخصوص مع الكاتب الشاب (دال فال Del valle)³ وهو أحد كتاب وخبراء ما بعد الأحداث إن صح الوصف، - يعني ذاع صيته وعلت أفكاره العنصرية والمتشدة في العالم الغربي وفي فرنسا على وجه الخصوص بعد الأحداث - حصل على دعم امي وإعلامي غير مسبوق، أثار دهشة أحد كبار الكتاب البارزين الفرنسيين (فانسان جيسير V. Jesser)،⁴ فالرجل في فترة قياسية طبعت له كبار المطابع الأوروبية والعالمية، كما استضافته عشرات القنوات الإعلامية الأوروبية والغربية العالمية، واهم دعوة وجهت له كانت من قناتي (LCI) و (TV5) الفرنسيتان عبر سلسلة من التحليل السياسية والجيوبوليتيكة حول موضوع الإسلام في الواقع الفرنسي والغربي وتداعياته المستقبلية، ويشهد عليه أن كتاباته في الفترة الأخيرة ركزت على تضخيم خطر التنظيمات الإسلامية في العالم، فيما أخفى

¹ يذكر في هذا السياق من المفكرين والكتاب البارزين عادة : G. Kepl, J.Cesari B.Etinne, Tarik Ramadan, etc.

² المصطلح من حيث الأصل، والتأصيل خاص بالله تعالى سبحانه، فالخلق لا يكون إلا الله تعالى، وتوظيفه هنا على سبيل الاستعارة لقوته في الدلالة والتعبير على دور الإعلام الغربي.

³ دال فال (Del valle) صحفي وكاتب وأكاديمي وناشط سياسي فرنسي، ملحد معروف بتحيزه ضد الإسلام والمسلمين برز إلى واجهة عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر وبالذات سنة 2002 من خلال ترشحه لقيادة "حزب التجمع من اجل الحركة الشعبية UMP"، و(Del valle) اسم الشهرة والإعلام، إذ اسمه الحقيقي(Marc Dana)، أولى كتاباته انصبت حول فكرة "الحلف الجديد"، إذ في منظوره أن الولايات المتحدة والجماعات الإسلامية متواطفتان من اجل القضاء على الأمم الأوروبية، من أهم كتبه (P'islamisme et Etats-Unis alliance) (contre l'Europe) قدم له الجنرال (Pierre Marie Gallois)، ينظر : (la France en danger de l'islam)،

Réne Monzat : « L'étonnant parcours d'Alexander Del valle ». Revue Ras l'front, N°82, 2002, pp 10-11.

⁴ ينظر فانسان جيسير : الإسلاموفوبيا "المخاوف الجديدة من الإسلام في فرنسا". (تر) محمد صالح ناجي الغامدي، قسم السيد آدم بله، ط1، كتال العربية، الرياض، 1430 هـ، 2009م، ص ص 91-98.

تقريبا عداؤه لأمريكا، أو على الأقل تجاهل في كتاباته الأخيرة افتراضه عن المؤامرة العالمية الإسلامية الأمريكية،¹ والأعجب أن (Dal valle) رغم معاداته لأميركا واستراتيجياتها وحلفائها، نجد أنه يمكن حبا خاصا جدا وموالاته كبيرة للكيان الصهيوني، الذي عبر في كثير من المواقف من خلال كتاباته عن دعمه اللامحدود له في حربه ضد الإرهاب الإسلامي كما يصفه، ومعاداته لكل أشكال المقاومة في الأراضي الفلسطينية، والتي يلحقها هو بدوره إلى خيانة الإرهاب والإرهابيين، من أجل هذا لا نعجب أن نجد جل مقالاته وكتابه عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر نشرت على المواقع الصهيونية، والمواقع الموالية لها.²

وانتشار مثل هذه الأفكار والكتابات والكتاب في الفترة التي أعقبت أحداث الحادي عشر من سبتمبر يعود بدرجة أولى إلى التطورات الأمنية والسياسية التي سادت وتداعياتها المختلفة عبر العالم، والتي أثرت إلى حد بعيد في الأكاديميين، خبراء الإعلام الغربي وقادة رأيه، ما مكن من تحالف قوى الغرب المختلفة السياسية والإعلامية والاقتصادية جراء الصدمة، لخدمة قضية الغرب الأولى (الحادثة)، وهي مصلحة العالم الغربي التي لا يمكن أن تكون إلا بالقضاء على الخطر الأول والوحيد "الإسلام الأصولي" -المزعوم- ، درجة أن غدا ما كان يعد قبيل الأحداث مجرد انبعاث لأفكار عنصرية وهامشية متطرفة، أفكار منطقية ومقبولة تمارس في شكل " واجب اجتماعي عام "، فكل مثقف أو مواطن غربي يجب أن يتبنى خطابا وتصورا مسؤولا تجاه الإسلام والمسلمين، حتى لا يهيمه إن كان وصفائه أعموه بالانحياز أو المثالية المطلقة.

وخطورة هذه مثل هذه التصورات والتحليلات والتعليقات المشوهة لا تكمن في شكلها الظاهري فقط، بقدر ما يمكن أن تحدثه من أثر في عمق الذاكرة الجماعية الغربية، تجاه الإسلام والمسلمين، وبخاصة أنها تعمل على تقزيم واختزال الإسلام وحدوده وأشكال المسلمين في أشخاص ودويلات وأنماط محددة، غاية في السلبية والتشويه فليس كل المسلمين (أسامة بن لادن)، ولا كل أراضيهم هي مكة، ولا كل نساءهم المنقبات... لكن وسائل الإعلام تنقصد تنميط ذلك وقولته، وبخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر.³

من هنا بقيت الشخصية العربية والإسلامية على حد سواء في إستراتيجية الإعلام الغربي عقب الأحداث رهينة الماضي وترسباته، إن لم نقل أنها زادت ضبابية وقمامة وتشويها بفعل هول ما وقع في الحادي عشر من

¹Alexandre Del Valle : « printemps arabes, hiver islamiste, les leçon de-là victoire des islamistes d'Annahda au élections du 23 octobre 2011 en Tunisie». Site officiel de Alexandre Del valle, [On-line] <http://www.alexandredelvalle.com>, le 21.02.2013.21:27h.

² Voir [On-line] <http://infowww.Antisémitisme,reinfo-Israël.com>, le 21.02. 2013 . 21: 27h.

³ Brigitte L. Nacos and Oscar Torres-Reyna : Op Cite, pp 9-11.

سبتمبر، وتداعياته السياسية والأمنية والثقافية والإعلامية من جهة، وبفعل دخول متغير جديد تجسد في الإستحداثات التكنولوجية الإعلامية الاتصالية التي تفجرت منذ بدايات العقد الماضي، على غرار شبكات مواقع التواصل الاجتماعي والمدونات وبرامج وتقنيات التواصل والتبادل العالمي عبر شبكة الانترنت والفضائيات، فالصورة على نمطيتها ازدادت انتشارا وتداولاً واتساعاً عبر الوسائط الإعلامية المختلفة لتصل ابعد حدود الأرض في سابقة لم تكن من قبل، واستغلت السينما والدراما الغربية عموماً هذا الفضاء الرحب وهذه المتغيرات الجديدة لتعيد من جديد الصورة، وتزيد من عتمتها وخطورتها في المخيال الغربي كما وصف ذلك الكاتب والناقد السينمائي (رمضان سليم) " إن التغيير على ما كان عليه قبل، يسير بطيئاً في تعامل السينما الأمريكية و الأوروبية مع الشخصية العربية الإسلامية، خصوصاً بعد أحداث سبتمبر 2001م، حيث بدأت السينما الغربية في إنتاج أفلام تجعل من الإسلام خصماً سياسياً وثقافياً يمكن أن تمارس معه الأساليب نفسها التي استخدمتها هوليوود في عقودها السابقة، وافرزتها عقدة التعالي و استخدام القوة المعرفية والعسكرية بنوع التهور ضد الآخرين.¹

ومن خلال مراجعة الدراسات الغربية والعربية والإسلامية التي تناولت مضامين وسائل الإعلام في الغرب تجاه قضايا الإسلام و المسلمين عقب أحداث الحادي سبتمبر، نلمح المحددات الآتية :

✓ كانت الأحداث فرصة مهمة لنشر الداعية السياسية المغرضة ضد الإسلام والمسلمين، وفي نفس الوقت فرصة لمص الغضب الشعبي، وتبرير الخروقات الدولية، وإدارة الحملات الانتخابية في الغرب -استغل الرئيس الأمريكي (جورج بوش) صور وخطابات (أسامة بن لادن)، لرفع شعبيته بين المواطنين كلما ضعفت وقلت نسبتها²، كما أستغل الرئيس الفرنسي (نيكولا ساركوزي N. Sarkozy) مشكلة الحجاب وفوضى الضواحي الباريسية، والمهاجرين في

¹ ينظر الصادق رابح : « في مصادر الرؤية الإعلامية الفرنسية للإسلام. ضمن دور الإعلام في معالجة ظاهرة الخوف من الإسلام (الإسلاموفوبيا) ». النسوة العلمية للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة -إيسيسكو-، الرباط، المغرب، 2008. ص ص 59-49.

² Thomas L. Friedman : « Marking Down Bin Laden ». The New York Times, February 6, 2005, [Online] <http://www.nytimes.com/2005/02/06/opinion/6friedman.html>.

استقطاب الجماهير أثناء حملته الانتخابية¹، واستغل رئيس الوزراء البريطاني و(طوني بلير T.Blair) أحداث لندن لصد معارضة أمام مجلس العموم والجماهير البريطانية، وفي العديد من الدول الغربية.

✓ كما تم استغلال الأحداث لترويج مصطلحات خارج سياقها الحقيقي ولصقها بالإسلام في المخيال الغربي، مثل (الأصولية، التطرف، العنف، الإرهاب، القبلة الموقوتة، الخطر الأخضر) إلى جانب صور السيف والقرآن، والإعدام، وذبح الأضاحي، وختان الأطفال، والنساء المحجبات، والأثرياء من المسلمين في قصورهم، وغيرها من الصور التي تمارس تأثيرا في المتفرج والسامع والقارئ والمستخدم، تدفع به إلى استخلاص استنتاجات واتخاذ مواقف شعورية و غير شعورية من الإسلام و المسلمين ذات توجه سلبي واحتقاري.

✓ التركيز على حتمية الصراع بين الإسلام و الغرب، كما عبرت عنه سلفا نظرية"صدام الحضارات"، والسعي إلى إقناع الرأي العام الغربي بها، خصوصا بعد أحداث الحاي عشر من سبتمبر (2001)، والتي عدها الإعلام الغربي دليلا قاطعا على صحة نبوءة (هنتغتون).

✓ لم يفرق الإعلام الغربي بين المسلم المعتدل و المسلم المتطرف، بل ربط الإسلام بالأصولية و ببعض الحركات الإسلامية المتشددة، ونتيجة لذلك ساهم الإعلام الغربي في تكريس خطر الإسلام السياسي، والتنظيمي، أسطورة الإرهاب الإسلامي، وظل يغذيها و ينسج خيوطها عبر حملات مكثفة تحت شعار محاربة الإرهاب، على عدم دقة هذا الشعار الذي استخدم لبث رسالة إعلامية تتجاوز العنف لتعلن الحرب على عناصر كثيرة في مقدمتها كل فصائل التيار الإسلامي ، بل على المشروع الحضاري الإسلامي برمته و مختلف رموزه و مفاهيمه.

¹ Constance Baudry : « Nicolas Sarkozy propose de créer un ministère de l'immigration » . **Le Monde**, 11. Décembre.2006 [On line] <http://www.lemonde.fr/societe/article/nicolas-sarkozy-propose-de-creer-un-ministere-de-immigration.html>, le 21.02.2013.21:34 h.

4-7 سبل تجاوز الصور النمطية عن الإسلام والمسلمين، وتصحيحها.

لقد بدا واضحا مما تقدم أن التصورات النمطية جدلية ناتجة عن سوء الفهم المتبادل بين العالم الإسلامي والغرب، وأن آثارها تطال كلا العالمين، على الأقل باليقظة الشديدة واستنفار الحواس، وتضييق الحريات، وسيطرة الكوابيس باستمرار..، كما يؤكد ذلك الدكتور (جابر عصفور) مذكرا " أن التحديق في الغرب بعيدون عربية انطوى على صدمة المعرفة بمدى تخلف الأنا القومية عن الآخر الذي يواجهنا، فالعلاقة بيننا لم تبين على مبدأ التساوي والتكافل بين طرفيها، لذلك لم نر الغرب بطريقة صحيحة، ولم نر أنفسنا بطريقة صحيحة أيضا"¹، إذا كان على مستوى العامة، يمكن تفسيره بنقص جرعة المعرفة لديهم عنه، أو انحراف الأسس المعرفية التي يبنون عليها مواقفهم، وهذا نتيجة تراكم إرث ثقافي طويل من حقبة العصور الوسطى الأوروبية ثم حقبة عصر التنوير والحداثة، وما يصنعه ذلك الإرث الكبير حتى الآن في مناهج التعليم والتوجيه والإعلام والفكر والأدب والفن. ولكن عند التأمل في موقع هذه الظاهرة على صعيد النخبة، ومسلسل المواقف والتصريحات والإجراءات العملية التي تمس بصورة مباشرة التعامل مع الإسلام والمسلمين في الغرب. لا يمكن القبول بهذا التفسير وحده، بل يجب البحث عن الدوافع من وراء ذلك، لتصحيح الصورة، لكن بالرغم من بساطة الأمر ظاهريا، فهو معضلة ليس من اليسير حلها، لتداخل عوامل متشابكة تعود إلى الرائي الذي يرسم الصورة، وإلى المرئي موضوع الصورة في آن واحد، غير أنه تبعا لخصوصيات الصورة التي رأيناها من خلال هذه المقاربة وأهمها تركيزها على الإسلام باعتباره سبب الترددي وموضوعا "للإصلاح"، مما يصطدم بحق حرية المعتقد الذي تكفله الأديان والقوانين.. يمكننا أن نحدد طرحان، أحدهما يتوجه إلى الآخر (الغرب)، مفاده ضرورة إبعاد الأديان عن لعبة السياسة والاستراتيجيات وإشكالات النفوذ.. وذلك حفاظا على المصالح الحيوية للعالم الإسلامي، ومصالح الغرب ذاته على أراضيه وعلى أراضيه المسلمين، فتحميله الإسلام مسؤولية ترددي العلاقات ومطالبته بإصلاحه.. إنما يجعله في مواجهة حوالي مليار ونصف المليار من سكان المعمورة، وعشرات من دول العالم، وهو مالا يتم في الإشكالات السياسية والإستراتيجية خارج الأديان.

¹ ينظر محمد المنسي قنديل : « متى نتخلص من الرؤية المشوهة للذات ولآخر ؟ » . مجلة العربي، ع 544، وزارة الإعلام بدولة الكويت، مارس 2004، ص ص 116-117 .

الطرح الثاني يتوجه إلى كلا العالمين ، ولعله يسهما بدرجة متساوية من المسؤولية ، يتمثل في ضرورة تقبل نقد الآخر، و ممارسة النقد الذاتي واستبطان الرؤية ومحاولة وضع المرئي نفسه مكان الرائي واتخاذ مرآة عاكسة على وجهها يرى نفسه .. للنظر إلى السلبيات بدون تشنج ، والقيام بإصلاحات على الذات دون الوقوف طويلا أمام إشكالية مصدرها ، ولعل ذلك هو بعض ما بدأ يرسم فيه خطاه العالم الإسلامي (والعربي بصفة خاصة) بغض النظر عن الجدل القائم.. فقد عرف هذا الأخير حركية في رؤية الذات ومحاولة إصلاحها بكثير من التجرد العاطفي ، مما أدى إلى تبني الإصلاح باعتباره موقفا داخليا ينبع من قناعة ذاتية، قبل أن يكون موقفا خارجيا يطالب به الآخر!! ، ويتجلى ذلك في ما يأتي:

1- **على المستوى الإعلامي :** بالنظر إلى الأثر الهائل والواسع لوسائل الإعلام المختلفة في التأثير على الرأي العام العالمي والغربي بالتحديد، فإن البحث عن سبل مواجهة انتشار الصور النمطية السلبية عن الإسلام والمسلمين يقتضي توظيف السلاح الإعلامي ذاته، خاصة في ظل وفرة الإمكانيات والوسائل التكنولوجية المتطورة سواء داخل العالم الإسلامي أو في مجتمعات الأقليات الإسلامية (قادة العمل الإسلامي وأصحاب الكفاءات العلمية) .

وفي مواجهة هذه التحديات تبرز أهمية العمل العربي والإسلامي المشترك في مجال الإعلام، وذلك للقيام بدور فاعل في خدمة القضايا الأساسية للأمة، وحتى يتسنى تقديم رؤية موحدة إزاء ما يجري علي الساحة الدولية من متغيرات، علاوة علي نشر الرسالة الإعلامية ذات المضمون الهادف والقادر علي جذب الجماهير من خلال إنتاج متميز يضمن القدرة علي المنافسة، والوقوف أمام الحملة الشرسة التي يتعرض لها. مع ضرورة الانتقال من موقع الدفاع ورد الفعل إلى الفعل والمبادرة، ولا يتم ذلك إلا بالتخطيط البعيد المدى، وتحديد أولويات وبرامج خطط العمل الإعلامي المناسبة، والتفكير في تطوير الأساليب والوسائل وطبيعة الموضوعات والمضامين وطرق العرض والتقييم، مع مراعاة أنماط التفكير لدى الجماهير التي يتوجه إليها الخطاب الإعلامي التصحيحي، ويمكن تفصيل إستراتيجية ذلك في المقترحات¹ الآتية :

¹ ينظر عدلي السيد رضا : « دور وسائل الإعلام في تصحيح صورة الإسلام » . المؤتمر العلمي الثامن ، الإعلام وصورة العرب والمسلمين، 28-29 صفر 1423هـ/ 11-12 ماي 2002م، كلية الإعلام بجامعة القاهرة، نشر مركز المدينة المنورة دراسات وبحوث الاستشراق، [On line] <http://www.madinacenter.com/post.ph>, le 21.02.2013.21:34h.

أ- فيما يخص المضمون الإعلامي الموجه للغرب ويشمل

- ✓ مضامين متصلة بمكونات الصورة الذهنية في المجتمع الغربي.
- ✓ مضامين مشتقة مما ينشر في وسائل الإعلام للرد عليه بصفة مستمرة.
- ✓ مضامين توضح تسامح مبادئ الدين الإسلامي مع الديانات الأخرى.
- ✓ شرح ثنول الدين الإسلامي للمعاملات والأمر الحياتية اليومية.

ب - الجهات التي يمكنها القيام بدور في تحسين الصورة.

- ✓ حكومات الدول الإسلامية ومؤسساتها الرسمية.
- ✓ سفارات الدول الإسلامية لدى الغرب.
- ✓ المؤسسات والمنظمات الإسلامية الوطنية والإقليمية والدولية.
- ✓ مؤسسات المجتمع المدني والجمعيات الأهلية في الغرب وفي داخل الدول الإسلامية.
- ✓ الأجهزة الإعلامية الإسلامية الرسمية والخاصة.
- ✓ الجامعات والمعاهد ومراكز الدراسات والبحث.

ج- الجمهور المستهدف.

- ✓ مجموعة النخبة وصناع القرار في المجتمعات الغربية.
- ✓ أصحاب المؤسسات الإعلامية للتأثير عليهم.
- ✓ الأحزاب والجماعات المعروفة عنها ميلها للموقف الإسلامي.
- ✓ المؤسسات الرئاسية والبرلمانية والحكومية.
- ✓ الشعوب و مؤسسات المجتمع المدني الغرب .

د- الوسائل الاتصالية التي يمكن استخدامها:

- ✓ إنشاء قنوات إسلامية بلغات موجهة للمجتمعات الغربية.
- ✓ التوسع في استخدام الانترنت لنشر ما يصحح الصورة السلبية عن الإسلام والمسلمين.
- ✓ المخاطبة من خلال قنوات التلفزيون في الدول الغربية (حملات مدفوعة الأجر).
- ✓ الاستعانة بوكالات متخصصة في العلاقات العامة للقيام بحملات طويلة الأمد لتحسين الصورة.

- ✓ عقد ندوات ومؤتمرات مع الجماعات المؤثرة في تلك المجتمعات.
- ✓ الصحف والمجلات في الدول الغربية من خلال حملات مدفوعة الأجر.
- ✓ الاتصال الشخصي الفاعل.
- ✓ استخدام وسائل وتقنيات الإشهار المعاصرة (عبر الهواتف الذكية، مواقع الويب، الساحات العامة، والمؤسسات التجارية...).
- ✓ مؤسسات الدعوة الإسلامية في الغرب (مراكز إسلامية، مساجد، منابر حرة).
- ✓ مع ضرورة توفير خبراء متخصصين من رجالات الإعلام والدعوة والفكر يتصفون بالمهارة والإخلاص والقدرة على استيعاب الصورة الكلية والرؤية الشاملة لأسلوب التعامل مع الصور النمطية عن الإسلام - الأكثر ذيوعا وانتشارا- والعمل على تصحيحها، وهي المهمة التي ينبغي منحها أكبر قدر من التأثير والجدابية من خلال مراعاة العقلية غير الإسلامية ونمط تفكير الإنسان الغربي ونهج أسلوب الحوار والإقناع والتقنية العالية في التبليغ والتواصل. خصوصا إذا أقرنا واعترفنا أن تشويه الإعلام الغربي للإسلام إنما نتج عن ضعف الاهتمام بعرض الإسلام إعلاميا وبطريقة جدية في المراكز والمؤسسات الإسلامية في الغرب ، أو السماح لبعض الفئات المضللة لإنشاء قنوات بث يتم من خلالها تقديم الإسلام بطريقة مشوهة وغير صحيحة

2- على المستوى العلمي والثقافي والتربوي :

- ✓ تفعيل دور الهيئات الأكاديمية، والسياسية، والمنظمات الإسلامية الدولية الكبرى على غرار منظمة المؤتمر الإسلامي، و المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ورابطة العالم الإسلامي، وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية وحتى الإقليمية والوطنية والجهوية، لدراسة سبل المواجهة، وآليات العمل وأساليب التعامل حفاظا على صورة الإسلام الصحيحة والأصيلة، وذلك من خلال تكثيف فرص الحوار والتواصل الإسلامي إسلامي والإسلامي غربي، خاصة حول المفاهيم والقضايا الإسلامية الأكثر إثارة للنقاش والتساؤل من طرف الغربيين (العنف- الجهاد- وضعية المرأة - حقوق الإنسان - الإرهاب..)، ومد جسور التواصل مع المنصفين الغربيين لعقد حوارات و ندوات مشتركة في الرد على المعتدين، و نشر تلك الندوات بأشكال متعددة.
- ✓ مد جسور التواصل الإسلامي إسلامي ، وخاصة السعي إلى ترشيد الحركات الجهادية والسياسية المتطرفة وتصحيح مسارها، ومناقشة رؤيتها وفلسفتها، والأخذ على أيدي المتعجلين من أبنائها. ويترك ذلك للعلماء المسلمين الأفاضل المخلصين الذين يشهد لهم بالعلم والوسطية والاعتدال، و الاهتمام بالجوانب السلوكية و

الحضارية لدى الأمة افردا و جماعات، و الدعوة إلى تلك القيم الإسلامية العليا، و الحرص على تقديم صور حضارية مشرفة للمجتمعات المسلمة في عبادتها كالحج و المشاهدة العامة.

✓ توجيه الدراسات الأكاديمية نحو البحث وإعادة النظر في مناهج التربية والتعليم الحاملة للأفكار المغلوطة والمشحونة بالصور النمطية القائمة في الغرب، والتي لا تناسب حقيقة الإسلام والمسلمين. وكذا إعادة النظر في كتب التراث خصوصا تلك المعتمدة كأصول ومنطلقات في المعرفة الغربية، ومحاولة عرضها بطريقة صحيحة ومناقشة ما يمكن مناقشته ودحض ما يمكن دحضه .

✓ ضرورة تعميق البحث وتوجيه الدراسات نحو رصد اتجاهات ومضامين ما يبيث في القنوات الغربية من أخبار وأفلام لتصحيح ما يصدر عنها من تشويه وافراء.. ومحاولة دحضها كل حسب نوعها بالحكمة والموعظة الحسنة والحجج الدامغة، فتواجه الأكاذيب بالحقائق سواء على مستوى الصورة أو الكلمة أو الكاريكاتير، والأفلام بأفلام تعكس روح الثقافة الإسلامية.¹

✓ دعوة قادة العمل الإسلامي والكفاءات العلمية المهاجرة إلى استغلال جميع المنابر الثقافية المتاحة في البلدان الغربية ونسج العلاقات مع مختلف الجهات الثقافية والعلمية والفكرية (كتاب، مفكرون، مستشرقون، تربويون....) وذلك من أجل تمرير الخطاب الإسلامي الهادف إلى تصحيح صورة الإسلام وتبديد الأفكار والمفاهيم الخاطئة المنتجة للصور النمطية.

✓ إنشاء عدد من المؤسسات الإعلامية العالمية لتبني المناقشة عن القضايا والمسائل الإسلامية المثارة في الإعلام الغربي.

✓ تعزيز دور السياحة الثقافية في البلدان الإسلامية بما يخدم تعريف السياح الأجانب بتاريخ وحركة الحضارة الإسلامية التي أسهمت في بناء الحضارة الإنسانية، وهو ما يمكن نقله إلى قلب العواصم والحوضر الغربية من خلال الإسهام في المعارض الدولية الكبرى التي تستمر لمدة طويلة حيث تبدو الفرصة سانحة للتعريف بقيم الإسلام ومثله وتعاليمه السمحة من خلال الأجنحة المخصصة لدول العالم الإسلامي التي ينبغي استغلالها من خلال عرض كل ما من شأنه إيضاح حقائق الإسلام في أسمى صورها للملايين من الزائرين الغربيين من أبناء البلد المنظم وغيره من البلدان المجاورة، ويمكن اعتبار هذه المعارض الدولية الكبرى فرصة للحد من ذبوع الصور النمطية ورسوخها في الأذهان .

✓ تشجيع المبادرات الذاتية للأفراد المؤهلين من المهنيين وأساتذة الإعلام والاتصال، والبرمجية الذين يتعاملون بصفة مباشرة في كثير من الأحيان مع تكنولوجيات العصر، وفي مقدمتها شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)

¹ ينظر حسن عزوزي : « دور العلماء في تصحيح صورة الإسلام » . الندوة الدولية حول " صورة الإسلام في مواقع الانترنت الغربية : الواقع وسبل التصحيح " .

فاس، المملكة المغربية، 18-19-20 أكتوبر 2012م.

من أجل توظيف مهاراتهم لإبراز الصورة الصحيحة للعرب والمسلمين وتفنيد الصور المغلوطة والأحكام المشوهة في حق الإسلام والمسلمين، والتي دأبت أجهزة الدعاية الصهيونية علي ترويجها بصفة دائمة.

3- على مستوى الخطاب الديني الموجه إلى الغرب :

✓ ضرورة السعي الدؤوب والتواصل الدائم والتكامل المنهجي، من أجل تقديم خطاب علمي ومنطقي وعقلاني، أصيل وصحيح يراعي وسطية الإسلام، ويتناسب مع العقلية الغربية من جهة ومقاصد الإسلام الكبرى من جهة ثانية.

✓ ضرورة ترتيب الأولويات من أجل تقديم ما يقدم في الغرب وتأخير ما ينبغي أن يؤخر، فمشكلة الاختلافات الفقهية والمذهبية، والتاريخية التي لم تحسم بعد في الخطاب الإسلامي الداخلي، لا يمكن جرها إلى الغرب مقابل ذلك ينبغي التركيز على القضايا ذات الأهمية والأولوية في الغرب. مما يمكن من إزالة حواجز الخوف والرغبة عن الإسلام والحد من ظاهرة (الإسلاموفوبيا).

✓ التركيز على القضايا العصرية والتحديات الفكرية الكبرى مثل (الديمقراطية، حريات التعبير والإعلام والتفكير وحرية ودور المرأة، الفن، العولمة، ثقافة الحوار والتسامح وقبول الآخر، المشروعات السياسية والأحزاب، حقوق الأقليات، علاقاتنا ومصالحنا مع الحضارات والأمم الأخرى.....) هذه الموضوعات التي ذكرت من التحديات الكبرى للفكر الإسلامي والتي تحتاج إلى اجتهاد وتجديد، ووقفات من التأمل والترشيد.

✓ ضرورة أن يركز الخطاب في تناول أولويات الدعوة الإسلامية وهي قضايا العقيدة قبل الشريعة، قضايا الغاية من الحياة ؟ وسبل التعايش مع الآخر ؟ والبعث والآخرة والجزاء ؟ ثم كيف سيؤثر الإسلام على حياتهم ويجعلها أفضل ؟ بعيدا عن الإغراق في جدل أو موضوعات لا تمس الواقع الغربي.

✓ أن يختار الوسيلة الأنسب والأكفأ وعدم الاقتصار على خطب الجمعة والفتوى، بل ثمة فرص كبيرة لتنوع وتفعيل وسائل الخطاب الإسلامي في الغرب بالشكل المناسب، سواء في صور أدبية، فنية، دراما، رياضة (...). مستخدمين في ذلك كل الوسائل العصرية ولكن بالطبع بضوابطها الشرعية.

✓ ضرورة إنتاج خطاب يلتزم ويدافع عن القيم الإنسانية الكبرى، ويركز على ما لدى الآخر من مخزون ثقافي ومعرفي رصين كفيل بالتبادل والمشاركة، ويبحث عن الكل المشترك ويسعى للتركيز عليه، ودعمه من أجل تكريس التعايش والتفاهم والتقبل بدل التركيز على المختلف فيه، وتنمية روح الرفض والتميز والعداوة.

✓ ضرورة التنسيق العلمي الموسع من قبل العلماء وأهل الفتوى والخطباء والباحثين لإنتاج خطاب معتدل يحرص على "إبراز الوجه وسطية الإسلام، فإن أكثر ما تشكو منه أمتنا في مجال الفكر والدعوة والثقافة، هو:

الجنوح إلى الغلو والتنطع من ناحية، أو إلى التسبب والانفلات من ناحية أخرى. كما قال الحسن البصري من قديم : إنما يضيع الدين بين الغالي فيه والجافي عنه، أي المفرط فيه.¹ وتبقى الحقيقة ... مهما كانت هي الحق الذي يجب أن نقاربه بكل موضوعية وحياد لا ما ترسمه وتروجه الصورة الصادرة عن مراكز الهيمنة والصهاينة والامبريالية في الخطاب الإعلامي الغربي.

فالصورة النمطية المسيئة للإسلام و العرب التي يروج لها الإعلام الغربي اليوم ليست إلا امتدادا لتلك الصورة التي صنعها اللاهوتيون المسيحيون المتعصبون في العصور الوسطى ورسخها في الوجدان الغربي غلاة الصليبيين الطامعين في أرض العرب، وهي ذاتها الصورة التي سخر المستشرقون والمنصرون أبحاثهم ودراساتهم وجهودهم العملية لتثبيتها في العقل الاستعماري للغرب² (...). لذلك سنكون مخطئين كما يشير (الجابري) إذا نحن اعتقدنا أن الغرب قد تحرر من تلك الخلفيات الثقافية الدينية التي كانت توجه فلاسفة التاريخ و المستشرقين وأنه الآن غرب علماني خالص، عقلاني براغماتي لا غير، سنكون مخطئين إذا نحن جردنا الغرب من ذاكرته الثقافية الدينية، ذلك لأنه إذا كانت هذه الذاكرة تفعل في الكنسيين والمتطرفين والعنصريين في كل من أوروبا وأمريكا، فهي تفعل كذلك لا واعية في العلمانيين و الليبراليين، وهي تميظ اللثام عن نفسها بين حين وآخر من خلال ردود فعل معينة غير مراقبة.³

¹ يوسف القرضاوي : خطابنا الإسلامي في عصر العولمة . ط1، دار الشروق، القاهرة، 2004، ص 196.

² عبد القادر طاش: مرجع سابق، ص 8.

³ ينظر محمد عابد الجابري : مسألة الهوية العروبة والإسلام...والغرب". مرجع السابق، ص 136-137.

الفصل الخامس

الدراسة التحليلية ونتائجها الكمية
(العرض الكمي لنتائج تحليل المضامين
والاتجاه)

1-5 مجتمع الدراسة وعينتها.

2-5 تشخيص صحيفة لوموند الفرنسية عينة الدراسة .

3-5 القراءة الكمية المقارنة لنتائج تحليل فئة
الموضوع (ماذا قيل ؟)

4-5 القراءة الكمية المقارنة لنتائج تحليل فئة
القيم .

5-5 القراءة الكمية المقارنة لنتائج تحليل فئة
المصادر.

6-5 القراءة الكمية المقارنة لنتائج تحليل فئة
الشكل (كيف قيل ؟)

7-5 القراءة الكمية المقارنة لنتائج تحليل
اتجاه مضامين فئات الموضوع

1-5 مجتمع الدراسة وعينتها.

5-1.1 مجتمع الدراسة .

يعرف مجتمع الدراسة في أدبيات منهجية البحث في العلوم الانسانية والاجتماعية بأنه "مجموع وحدات البحث التي نريد الحصول على بيانات منها أو عنها"¹، كما يعرف بأنه ذلك الاطار الذي يحوي جميع مفردات الظاهرة التي يدرسها الباحث،² وبالنظر إلى إشكالية الدراسة وتساؤلاتها الرامية إلى تحليل اتجاهات مضامين الصحافة الفرنسية تجاه الإسلام بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001)، (صحيفة لوموند أنموذجا) فإن مجتمع الدراسة هو كل أعداد صحيفة لوموند الصادرة منذ تاريخ الحادي عشر من سبتمبر (2001) .

5-2.1 عينة الدراسة .

لا شك أن دراسة مجتمع كلي بحجم المجتمع المشار إليه أعلاه تعد ضربا من المستحيل كما وكيفا، فضلا على محدودية النتائج وضعف دلالتها ومصداقيتها إذا ما وتحققت، وعليه كان من لزاما على الباحث اللجوء إلى انتخاب جزء معين من مفردات هذا المجتمع بغية الخروج بنتائج أكثر دقة وبأسلوب أضبط يمكن من إجراء عملية التعميم فيما بعد، لهذا تم اختيار مفردات العينة على مستويين:

المستوى الأول التوزيع .

أي أكثر الصحف توزيعا وسحبا ومقروئية في فرنسا، وتجدد الإشارة الى عدم وجود هيمنة مطلقة لصحيفة واحدة دون سواها من الصحف الفرنسية من حيث السحب أو التوزيع أو المقروئية، إذ الأمر يختلف من سنة لأخرى ومن شهر لآخر، لكن ومع ذلك يلاحظ أن ثمة أربع صحف تتقاسم الريادة والصدارة بشكل دوري طيلة العشرين سنة الأخيرة، وهي (Le Figaro Le Monde, L'équipe, Le Parisien)³ والدراسة استبعدت كلا من جريدة (Le Parisien) باعتبار تصنيفها صحيفة باريسية محلية⁴ كما

1. عامر عبد الله الهماي : أسلوب البحث الاجتماعي وتقنياته . ط2، منشورات جمعة قاريونس، بن غازي ليبيا، 1994، 158.

2. ينظر احمد بن مرسلي : مناهج البحث العلمي في عوم الاعلام والاتصال . ط4، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، 166.

3 Patrick le Floch : **Les coûts de distribution par abonnement de la presse**. Etude commandée par la Direction du développement des médias, 14 janvier 2008, pp 3-22. [On-line] http://www.ddm.gouv.fr/IMG/pdf/version_finale_7.pdf, 31/12/2012, 00:27 h

4 Presse Quotidienne Regionale : Zonne : Paris; Hauts-de-Seine, Val-de-Marne, Essonne, Seine-Saint-Denis, Val-d'Oise, , Seine-et-Marne, Ois.

استبعدت الدراسة صحيفة (L'équipe) باعتبارها صحيفة متخصصة في الشأن الرياضي لا تخدم سياقات الإشكالية، وعليه تم انتخاب صحيفة (Le Monde) لوموند الفرنسية) وذلك للاعتبارات الآتية :

- صحيفة احتلت صدارة التوزيع قبل وبعيد تاريخ تفجر أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001)، إذ نجدها مهيمنة طيلة السنوات العشر الأخيرة - بدءا من سنة 2000 - على حساب صحيفة (Le Figaro).

- تصنف صحيفة لوموند ضمن أهم الصحف الوطنية اليومية الفرنسية، وتلقى مكانة هامة في الاوساط الرسمية والشعبية والثقافية الفرنسية .

- فضلا على أنها وطنية، نجد لها تصنيفا وتوزيعا دوليا تفوق به صحيفة (Le Figaro). إذ أنها توزع في أكثر من 120 دولة عبر العالم يوميا، متحديا بذلك كبرى الصحف العالمية وليست الفرنسية فقط،¹ بما يمكنها من خدمة الدراسة في أبعادها الإشكالية وأهدافها.

جدول رقم (04) يوضح توزيع الصحف الوطنية الفرنسية الرئيسية : من سنة 2000 الى سنة 2011.

| | Les Echos | L'équipe | Le Figaro | Le Monde | Le Parisien |
|------|-----------|----------|-----------|----------|-------------|
| 2000 | 128 342 | 397 898 | 360 909 | 392 772 | 486 145 |
| 2001 | 127 445 | 370 661 | 366 529 | 405 983 | 506 610 |
| 2002 | 120 333 | 331 638 | 359 108 | 407 085 | 509 114 |
| 2003 | 116 903 | 336 533 | 352 706 | 389 249 | 505 419 |
| 2004 | 119 370 | 365 752 | 341 083 | 371 803 | 501 492 |
| 2005 | 140 313 | 355 333 | 342 445 | 367 153 | 506 490 |

¹ Kirsi Palkki : **Les idéologies linguistiques dans les articles du journal Le Monde relatifs au débat sur la signature et la ratification de la Charte européenne des langues régionales ou minoritaires en France de 1992 à 1999.** These du Master,(Non publier) , faculty of arts, Department of Languages, Mars 2012 , p4.

| | | | | | |
|------|---------|---------|---------|---------|---------|
| 2006 | 137 448 | 365 349 | 338 269 | 355 017 | 517 965 |
| 2007 | 138 726 | 336 929 | 344 479 | 358 655 | 534 032 |
| 2008 | 137 775 | 323 403 | 336 888 | 340 143 | 524 516 |
| 2009 | 127 361 | 315 504 | 331 022 | 323 039 | 499 269 |
| 2010 | 120 444 | 314 566 | 330 237 | 319 022 | 470 583 |
| 2011 | 121 203 | 301 779 | 332 120 | 322 872 | 462 403 |

المصدر : (Medias (Organisme De Reference En Matiere De Certification De La Duffusion Des : Numeriques En France¹.

المسوى الثاني : إطار المعاينة

شكل هذا المستوى من الإختيار أعقد مراحل الدراسة التحليلية خاصة بعد أن تعذر على الباحث الحصول على أرشيف جريدة نيويورك تايمز الأمريكية التي كان من المزمع عقد مقارنة بينها وبين صحيفة لوموند، وتعذر كذلك الحصول على أرشيف صحيفة لوموند الفرنسية هي الأخرى بصفة كادت أن تلغ الدراسة من أساسها، لكن بعد توسيع المشورة، وطرح الانشغال على الأستاذ المشرف وعينة من الخبراء في المنهجية والمعلوماتية، ليتسنى الخروج بحل يقتضي إعداد إطار معاينة يمكن من ضبط عملية ونوع الاختيار،² تم اللجوء قصرا إلى استخدام أسلوب ما يعرف في أدبيات المنهجية، **بالعينة المتاحة**، ويستخدم هذا الأسلوب من المعاينة حين يستحيل على الباحث في ضوء معطياته وإمكاناته البحثية الحصول على اطار واضح وكامل للمجتمع، وتعرف بأنها العينة التي تدخل في إطار المبحوثين الذين في مقدور الباحث الوصول إليهم، وجمع معلوماته منهم، وتفيد هذه العينة كثيرا في المساهمة في دعم الدراسات وتوفير الارضيات وهيئة الظروف للبحوث اللاحقة، على

¹: ينظر : 21:44h.

2011/12/27 [http://:www.OJd-internet.com](http://www.OJd-internet.com),] On-ligne[

استنفذ كلا من المشرف على الدراسة والباحث جهودهما من أجل الحصول على اطار معاينة يضم وحدات ومفردات الدراسة التحليلية،² مستعنين في ذلك بشبكة علاقتهم المهنية والاجتماعية الخاصة من جهة وبالمراسلات الرسمية الالكترونية والبريدية مع ادارة الصحيفة التي لم تتوفر شيئا يذكر، أو الجامعات والمكتبات الوطنية في الجزائر ومراكز الارشيف والتوزيع الصحفي، ليكتشف الباحث في الأخير أن لا سبيل للحصول على ارشيف الصحيفة إلا من خلال شرائه وقد بلغت كلفته سنة 2007 وهي السنة المقررة للدراسة التحليلية - €700 للسنة الواحدة تقريبا، وكان ذلك أمرا غاية في الاستحالة في ضوء إمكانات الباحث، وبعد استشارة خبراء في البحث والدراسات والاستعانة بخبراء في المعوماتية تم الحصول على اطار للمعاينة في ضوء العينة المتاحة.

الرغم من إشكالية تمثيلها وضعفها،¹ ومع ذلك شكلت العينة المحصل عليها فرصة مهمة لاستنتاج وضبط اشكالية الدراسة في ضوء افتراضات " فرديناند بروديل " عن التاريخ الحداثي والتاريخي اللاحدي. وذلك وفق الآتي :

- وفر خبراء المعلوماتية للباحث الحصول على اعداد ثلاثة أشهر ابتداء من (11 سبتمبر 2001) إلى غاية (29 نوفمبر 2001).
 - شرع الباحث بالاتفاق مع موزعي الصحيفة على مستوى الوطن في اعداد ارشيف خاص من خلال شراء الأعداد بدءا من تاريخ (20 مارس 2009) إلى غاية (29 جوان 2009).
 - تم تحليل كل المفردات التي وقعت بين يدي الباحث من دون اقتضاء .
- وكانت الاعداد موزعة وفق الآتي :

جدول (05) : يوضح توزيع أفراد العينة حسب تاريخ الصدور

| اعداد سنة 2009 | | | اعداد سنة 2001 | | |
|----------------|------------|-------|----------------|------------|-------|
| العدد | التاريخ | الرقم | العدد | التاريخ | الرقم |
| 19942 | 2009/03/20 | 01 | 17610 | 2001/09/11 | 01 |
| 19943 | 2009/03/21 | 02 | 17611 | 2001/09/12 | 02 |
| 19944 | 2009/03/22 | 03 | 17612 | 2001/09/13 | 03 |
| 19945 | 2009/03/23 | 04 | 17613 | 2001/09/14 | 04 |
| غير متوفر | 2009/03/24 | 5 | 17614 | 2001/09/15 | 5 |
| 19947 | 2009/03/25 | 6 | 17615 | 2001/09/16 | 6 |
| 19948 | 2009/03/26 | 7 | 17616 | 2001/09/17 | 7 |
| 19949 | 2009/03/27 | 8 | 17617 | 2001/09/18 | 8 |

راسم محمد الجمال: مرجع سابق، 134.¹

| | | | | | |
|-----------|------------|----|-----------|------------|----|
| 19950 | 2009/03/28 | 9 | 17618 | 2001/09/19 | 9 |
| 19951 | 2009/03/29 | 10 | غير متوفر | 2001/09/20 | 10 |
| 19952 | 2009/03/30 | 11 | 17620 | 2001/09/21 | 11 |
| 19952 | 2009/03/31 | 12 | 17621 | 2001/09/22 | 12 |
| 19953 | 2009/04/01 | 13 | 17622 | 2001/09/23 | 13 |
| 19954 | 2009/04/02 | 14 | 17623 | 2001/09/24 | 14 |
| 19955 | 2009/04/03 | 15 | 17624 | 2001/09/25 | 15 |
| 19956 | 2009/04/04 | 16 | 17625 | 2001/09/26 | 16 |
| 19957 | 2009/04/05 | 17 | 17626 | 2001/09/27 | 17 |
| 19958 | 2009/04/06 | 18 | 17627 | 2001/09/28 | 18 |
| 19959 | 2009/04/07 | 19 | 17628 | 2001/09/29 | 19 |
| 19960 | 2009/04/08 | 20 | 17629 | 2001/09/30 | 20 |
| 19961 | 2009/04/09 | 21 | 17630 | 2001/10/01 | 21 |
| 19962 | 2009/04/10 | 22 | غير متوفر | 2001/10/02 | 22 |
| 19963 | 2009/04/11 | 23 | 17632 | 2001/10/03 | 23 |
| غير متوفر | 2009/04/12 | 24 | 17633 | 2001/10/04 | 24 |
| 19965 | 2009/04/13 | 25 | 17634 | 2001/10/05 | 25 |
| 19966 | 2009/04/14 | 26 | 17635 | 2001/10/06 | 26 |
| 19967 | 2009/04/15 | 27 | 17636 | 2001/10/07 | 27 |
| 19968 | 2009/04/16 | 28 | 17637 | 2001/10/08 | 28 |

| | | | | | |
|-------|------------|----|-----------|------------|----|
| 19969 | 2009/04/17 | 29 | غير متوفر | 2001/10/09 | 29 |
| 19970 | 2009/04/18 | 30 | 17639 | 2001/10/10 | 30 |
| 19971 | 2009/04/19 | 31 | 17640 | 2001/10/11 | 31 |
| 19972 | 2009/04/20 | 32 | 17641 | 2001/10/12 | 32 |
| 19973 | 2009/04/21 | 33 | 17642 | 2001/10/13 | 33 |
| 19974 | 2009/04/22 | 34 | 17643 | 2001/10/14 | 34 |
| 19975 | 2009/04/23 | 35 | 17644 | 2001/10/15 | 35 |
| 19976 | 2009/04/24 | 36 | 17645 | 2001/10/16 | 36 |
| 19977 | 2009/04/25 | 37 | 17646 | 2001/10/17 | 37 |
| 19978 | 2009/04/26 | 38 | 17647 | 2001/10/18 | 38 |
| 19979 | 2009/04/27 | 39 | 17648 | 2001/10/19 | 39 |
| 19980 | 2009/04/28 | 40 | 17649 | 2001/10/20 | 40 |
| 19981 | 2009/04/29 | 41 | 17650 | 2001/10/20 | 41 |
| 19982 | 2009/04/30 | 42 | غير متوفر | 2001/10/21 | 42 |
| 19983 | 2009/05/01 | 43 | 17652 | 2001/10/22 | 43 |
| 19984 | 2009/05/02 | 44 | 17653 | 2001/10/23 | 44 |
| 19985 | 2009/05/03 | 45 | غير متوفر | 2001/10/24 | 45 |
| 19986 | 2009/05/04 | 46 | 17655 | 2001/10/25 | 46 |
| 19987 | 2009/05/05 | 47 | 17656 | 2001/10/26 | 47 |
| 19988 | 2009/05/06 | 48 | 17657 | 2001/10/27 | 48 |

| | | | | | |
|-----------|------------|----|-----------|------------|----|
| 19989 | 2009/05/07 | 49 | 17658 | 2001/10/28 | 49 |
| 19990 | 2009/05/08 | 50 | 17659 | 2001/10/29 | 50 |
| 19991 | 2009/05/09 | 51 | 17660 | 2001/10/30 | 51 |
| 19992 | 2009/05/10 | 52 | 17661 | 2001/10/31 | 52 |
| 19993 | 2009/05/11 | 53 | 17662 | 2001/11/01 | 53 |
| 19994 | 2009/05/12 | 54 | 17663 | 2001/11/02 | 54 |
| غير متوفر | 2009/05/13 | 55 | 17664 | 2001/11/03 | 55 |
| 19996 | 2009/05/14 | 56 | 17665 | 2001/11/04 | 56 |
| 19997 | 2009/05/15 | 57 | 17666 | 2001/11/05 | 57 |
| 19998 | 2009/05/16 | 58 | 17646 | 2001/11/06 | 58 |
| 19999 | 2009/05/17 | 59 | 17667 | 2001/11/07 | 59 |
| 20000 | 2009/05/18 | 60 | 17668 | 2001/11/08 | 60 |
| 20001 | 2009/05/19 | 61 | 17669 | 2001/11/09 | 61 |
| 20002 | 2009/05/20 | 62 | غير متوفر | 2001/11/10 | 62 |
| 20003 | 2009/05/21 | 63 | 17671 | 2001/11/11 | 63 |
| 20004 | 2009/05/22 | 64 | 17672 | 2001/11/12 | 64 |
| 20005 | 2009/05/23 | 65 | 17673 | 2001/11/13 | 65 |
| 20006 | 2009/05/24 | 66 | 17674 | 2001/11/14 | 66 |
| 20007 | 2009/05/25 | 67 | 17675 | 2001/11/15 | 67 |
| 20008 | 2009/05/26 | 68 | 17676 | 2001/11/16 | 68 |

| | | | | | |
|-----------|------------|----|-----------|------------|----|
| 20009 | 2009/05/27 | 69 | 17677 | 2001/11/17 | 69 |
| 20010 | 2009/05/28 | 70 | 17678 | 2001/11/18 | 70 |
| 20011 | 2009/05/29 | 71 | 17679 | 2001/11/19 | 71 |
| 20012 | 2009/05/30 | 72 | 17680 | 2001/11/20 | 72 |
| 20013 | 2009/05/31 | 73 | 17681 | 2001/11/21 | 73 |
| 20014 | 2009/06/01 | 74 | 17682 | 2001/11/22 | 74 |
| 20015 | 2009/06/02 | 75 | غير متوفر | 2001/11/23 | 75 |
| 20016 | 2009/06/03 | 76 | 17684 | 2001/11/24 | 76 |
| غير متوفر | 2009/06/04 | 77 | 17685 | 2001/11/25 | 77 |
| 20018 | 2009/06/05 | 78 | 17686 | 2001/11/26 | 78 |
| 20019 | 2009/06/06 | 79 | 17687 | 2001/11/27 | 79 |
| 20020 | 2009/06/07 | 80 | 17688 | 2001/11/28 | 80 |
| 20021 | 2009/06/08 | 81 | 17689 | 2001/11/29 | 81 |
| 20022 | 2009/06/09 | 82 | 17690 | 2001/11/30 | 82 |
| 20023 | 2009/06/10 | 83 | 17691 | 2001/12/01 | 83 |
| 20024 | 2009/06/11 | 84 | غير متوفر | 2001/12/02 | 84 |
| 20025 | 2009/06/12 | 85 | غير متوفر | 2001/12/03 | 85 |
| 20026 | 2009/06/13 | 86 | 17694 | 2001/12/04 | 86 |
| غير متوفر | 2009/06/14 | 87 | غير متوفر | 2001/12/05 | 87 |
| 20028 | 2009/06/15 | 88 | 17696 | 2001/12/06 | 88 |

| | | | | | |
|-------|------------|----|-----------|------------|----|
| 20029 | 2009/06/16 | 89 | 17697 | 2001/12/07 | 89 |
| 20030 | 2009/06/17 | 90 | غير متوفر | 2001/12/08 | 90 |
| 20031 | 2009/06/18 | 91 | غير متوفر | 2001/12/09 | 91 |
| 20032 | 2009/06/19 | 92 | 17700 | 2001/12/10 | 92 |
| 20033 | 2009/06/20 | 93 | 17701 | 2001/12/11 | 93 |

3.1-5 تشخيص الصحيفة عينة الدراسة .

تعد صحيفة (لوموند Le Monde) الفرنسية، أحد أهم وأقدم الصحف اليومية الفرنسية والعالمية، وأكثرها مهنية واحترافية، فخلافا للصحف البريطانية والأمريكية الكبرى " الواشنطن بوست، نيويورك تايمز، الدايلي تلغراف، لا تعد صحيفة لوموند صحيفة فضائح السياسة بقدر ما تصنف ضمن الصحف الأكثر رصانة إذ تركز على التحليل والتفسير للوقائع، وتقديم المعلومات الكافية، وشرح الجبايا للقراء.¹

ويرجع صدور أول عدد لها بصفة رسمية إلى تاريخ (18 ديسمبر 1944) ، وكان الدافع الرئيس لإنشائها وحصولها على الاهتمام الكبير من قبل السلطات الفرنسية ورجال الأعمال وكبار الكتاب والصحفيين، هو قرار الجنرال " ديغول De Gaulle " الذي أراد أن يؤسس صحيفة تكون واجهة فرنسا للعالم، بدل صحيفة " الوقت " التي صادرها الاحتلال الألماني إبان الحرب العالمية الثانية، وشكلت أول هيئة تحريرية لها برئاسة (Hubert Beuve-Mery)، وضمت (René Courtin) أستاذ القانون الدولي والمسيحية، و -Funck bernato Christian مسؤول الإعلام لدى مكتب الجنرال " ديغول ")، وقد رسم لها رئيس التحرير نظاما صارما، وهيكلية إدارية تضمن استقلالية تامة للصحيفة، وكان لهذه التركيبة النوعية الأهمية البالغة في بروز صحيفة لوموند الفرنسية من أول نشأتها، وتميزها وانتشارها وتصدرها الصحافة الفرنسية، بداية على مستوى العاصمة، لتتوسع بعد ذلك عبر القطر الفرنسي، ثم تتحول في فترة وجيزة جدا نحو العالمية، وهي تعد اليوم أحد

¹ وهذه أحد نتائج الدراسة التحليلية التي توصلنا إليها من خلال فئة المصادر وأساليب الإقناع.

أكثر الصحف انتشارا في خارج موطنها، إذ تجاوز توزيعها خارج فرنسا حتى سنة (2010) (40.000) نسخة يوميا.¹

ومع مسيرها الناجحة أسست سنة (1954) أول فرع لها خاص بالتحليل السياسي عبر جريدتها الأسبوعية الشهيرة "Le Monde Diplomatique"، ومع بداية سنة (1960) شهدت جريدة لوموند الفرنسية ربيع عمرها توزيعا وإنتشارا على مستوى العالم، إذ تضاعف حجم إنتشارها وتوزيعها ثلاث مرات خلال عشرين عاما، من (137.433 نسخة في عام 1960م - إلى 500.000 نسخة سنة 1970م) سنة واحدة قبل تقاعد أول رئيس لهيئة تحريرها (Hubert Beuve-Mery)،² وهي سابقة في الصحافة العالمية، ما يعكس قيمة وأهمية هذه الصحيفة على مستوى الداخل الفرنسي وعلى مستوى العالم. توجت هذه النجاحات بميلاد العديد من الأقسام الجديدة والجرائد المتخصصة والملاحق والمطبوعات الخاصة بالمؤسسة، على غرار (Cahiers de cinema)، ومجلة (Le Monde2)، سنة (2000)، و (Le Courier International) ...³

وشهدت الصحيفة مسيرة تاريخية حافلة مكنتها لتكون أحد اكبر الفاعلين في الساحة الفرنسية وعلى كم من صعيد، كما كان لمسيرتها التاريخية الطويلة أثرا مهما في حدوث تغيرات كبيرة لشكل ومضمون الصحيفة وحجم توزيعها. لتتحول إلى مؤسسة إعلامية ضخمة في فرنسا، لها وزنها وثقلها في الواقع السياسي والاجتماعي والثقافي والأكاديمي الفرنسي، والعالمي أيضا، ومما يذكر أن الصحيفة مع المسيرة التاريخية الطويلة التي مرت بها شهدت العديد من الهزات والأزمات على المستوى الداخلي والخارجي، خاصة من سنة (2003) إذ فقدت الصحيفة قرابة (800) ألف قارئ يومي، وذلك بما عانتها الصحيفة من انتقادات عدة من الخارج بسبب فقدان مهنتها وتحيزها - على حد قول نقادها - ما جعل رئيس التحرير يعلق قائلا: من الطبيعي أن نتقد، ويجب أن نعتبر ذلك مجاملة، كما عانت الصحيفة من الداخل إذ شهدت في جانفي (2008) فراغا إداريا وماليا رهيبا تسببت فيه استقالة جماعية لمجلس إدارتها بعد خلاف طويل مع جمعية المحررين، حول النفقات والواردات وتوزيع الرواتب،⁴ زيادة على ذلك خفض نسبة الإعلانات، وتحول الجماهير نحو الفضائيات

¹ Voir [On-line] http://fr.wikipedia.org/wiki/Le_Monde, (22/10/2013, 22:15h)

²) [On-line] <http://www.maghress.com/almassae/7910>, (22/10/2013) 22:15h ينظر

³ Voir [On-line] http://Le_Monde.fr/leschiffres, (22/10/2013, 22:15h).

⁴ ibide

والرياضة، وتناقص الاهتمام بالقراءة لدى الأجيال الجديد بفعل تطور تكنولوجيات الاتصالات، وظهور الصحف المجانية هذه التي تخطى توزيعها عتبة المليون في العاصمة الفرنسية باريس، إضافة إلى تزايد كلفة الورق والطباعة مما أضعف قوة الصحيفة لتراجع إلى ادني مستوياتها في السنوات الثلاث الأخيرة.¹

ومع ذلك تبقى صحيفة لوموند رغم ما عصفت بها ولا يزال أحد ركائز الصحافة العالمية، كما تعد من أهم مراجع الفرونكفونية، توزع في أكثر من (120) دولة، و يقرؤها مليوني شخص يوميا في فرنسا.²

4.1-5 الأساليب الاحصائية .

من أجل الوصول الى نتائج علمية أكثر دقة ومصداقية، وتحقيق فرضيات الدراسة ، تم اعتماد جملة من المعالجات الاحصائية وهي كالآتي:

- طريقة التباين باستخدام معادلة ثبات (الفا كرونباخ)³ Cronbach Alpha: تعتمد هذه المعادلة على تباينات أسئلة الاختبار، وتشرط أن تقيس بنود الاختبار سمة واحدة فقط، وصيغة معادلة الفا كرونباخ للتوضيح:

- النسب المئوية .

وهي تعبير رياضي بمعنى "من أصل مائة (100)، ويطلق هذا المعنى في الرياضيات ليؤشر إلى قيمة كسرية، وتكتب برمز (%)، كما أنها وسيلة سهلة لكتابة أي تعبير رياضي، على سبيل المثال طريقة سهلة لقول (75 من أصل 100) طالب كانوا موجودين، لكن سيكون أسهل عند القول ان هناك (75 %) من الحضور. وحساب النسبة المئوية : طريقة حساب النسبة المئوية

$$\text{ن } \% = \frac{\text{التكرار}}{100} \times \text{تقسيم المجموع}$$

- معامل ارتباط بيرسون لقياس ثبات الاختبار. وذلك كما يلي :

$$\text{مجم ح س} \times \text{مجم ح ص}$$

$$= \text{معامل ارتباط بيرسون (ر)}$$

$$\frac{(\text{مجم ح س} \times \text{مجم ح ص})}{2}$$

¹ ينظر أسعد حيدر : « أزمة " لوموند " عامة ». المستقبل ، عدد 1766، الخميس 2 كانون الأول 2004، ص 13.

² المرجع نفسه.

³ صالح محمد العساف : مرجع سابق، ص 366.

- اختبارات (T-test)، لحساب دلالة الفروق بين مجموعتين مستقلتين، وذلك عن طريق البرامج الإحصائية الآتية :

- الرزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS).

- وبرنامج المعالجة Exel.

5 - 2 القراءة الكمية المقارنة لنتائج تحليل فئة الموضوع (ماذا قيل ؟)

5-2-1 النتائج المتعلقة بفئة الموضوع .

5-2-1.1 علاقة الإسلام والمسلمين بظاهرة الإرهاب.

جدول رقم (06) يوضح : توزيع فئات (علاقة الإسلام والمسلمين بظاهرة الإرهاب) خلال فترتي التحليل (2001-2009) .

| 2009 | | 2001 | | علاقة الإسلام والمسلمين بظاهرة الإرهاب |
|--------|---------|--------|---------|--|
| النسبة | التكرار | النسبة | التكرار | |
| 9,77 | 100 | 23,27 | 313 | 1-المسلمون هم من نفذ هجمات 11 سبتمبر في الولايات المتحدة. |
| 10,45 | 107 | 2,60 | 35 | 2- المسلمون وراء أحداث 11 سبتمبر (تمويلا و تدريبا). |
| 10,16 | 104 | 2,45 | 33 | 3-المسلمون أبرياء من هجمات 11 سبتمبر |
| 8,11 | 83 | 1,64 | 22 | 4-التنشئة الدينية للمسلمين مسؤولة عن أحداث الإرهاب في العالم. |
| 5,18 | 53 | 2,01 | 27 | 5-مصادر الإسلام الأساسية (القرآن، السنة) تقدر الجهاد وتدعو له. |
| 4,10 | 42 | 4,54 | 61 | 6- المسلمون في المهجر يوفرون الدعم المادي للمجاهدين في العراق، و أفغانستان، وفلسطين. |
| 6,93 | 71 | 18,74 | 252 | 7- الإسلام يشجع على العنف ضد غير المسلمين. |
| 16,50 | 169 | 14,80 | 199 | 8- الخلط بين الإرهاب و الجهاد و الأصولية والإسلام. |

| | | | | | |
|------------|-------------|------------|-------------|----|---------------------------------|
| 9,47 | 97 | 13,09 | 176 | 9 | - الخلط بين الإرهاب والمقاومة |
| 15,14 | 155 | 12,57 | 169 | 10 | ربط الإسلام بمصطلح الإرهاب. |
| 4,20 | 43 | 4,31 | 58 | 11 | - هجمات 11 سبتمبر صناعة أمريكية |
| 100 | 1081 | 100 | 1345 | | المجموع |

| الثقة | درجة الحرية | الجدولية | المحسوبة | الجدولية | المحسوبة |
|-------|-------------|----------|----------|----------|----------|
| 95 % | 10 | 0,24 | 0,31 | 0,33 | 0,98 |

بينت نتائج المعالجة الإحصائية أن ثمة فروق ذات دلالة إحصائية عالية تعزى إلى طبيعة معالجة صحيفة لوموند le Monde لفئة " علاقة الإسلام والمسلمين بظاهر الإرهاب " بين فترتي التحليل (2001 و2009)، ذلك أن نتيجة اختبار -ت-¹ للفروق بين المجموعات، بينت أن القيمة المحسوبة (0,98) أكبر من القيمة الجدولية، والتي تساوي (2,20) عند درجة حرية (10) مستوى ثقة (95 %) ما يفسر بأن ثمة فروق ذات دلالة إحصائية بين فترتي التحليل، و تؤكد هذه الفروق أيضا دلالة معامل الارتباط،² الذي بلغت قيمته المحسوبة (0,33)، وهي قيمة ضعيفة جدا وبعيدة عن القيمة الجدولية التي تساوي (0,57) عند درجة حرية (10) مستوى ثقة (59%). ما يفسر إحصائيا بعدم وجود ارتباط بين الفترتين في معالجة موضوعات فئة "علاقة الإسلام بظاهرة الإرهاب".

ويزيد ذلك تفصيلا قراءة النسب المحصل عليها في الجدول أعلاه، حيث تشير تحليلات فترة (2001)، إلى أن (23,27 %) من الموضوعات التي سيقى في إطار فهم وتحليل مسؤولية تنفيذ هجمات الحادي عشر من سبتمبر تؤكد أن المسلمين هم من نفذ الهجمات، لكن مع مسيرة الأعوام وتغير المشهد العالمي تبين أن النظرة طرا عليها تغير ملحوظ، إذ نجد (10,16 %) مما كتب سنة (2009) في السياق ذاته ينزه المسلمين عن تنفيذ

¹ من أكثر اختبارات الدلالة شيوعا في الأبحاث النفسية والتربوية والرياضية والإعلامية، ويهدف إلى معرفة ما إذا كانت الفروق بين المتوسطات حقيقية وتعزى إلى متغيرات معينة أو أنها تعزى إلى الصدفة وحدها. وتستخدم اختبارات "ت" لقياس دلالة فروق المتوسطات المرتبطة وغير المرتبطة، للعينات المتساوية وغير المتساوية.

² معامل الارتباط **Corrélation**: يستخدم هذا الأمر لمعرفة العلاقة بين المتغيرين أو أكثر ويرمز له بالرمز r وتكون العلاقة إما طردية أو عكسية أو تامة وتكون قيم معامل الارتباط محصورة بين $-1 \leq r \leq 1$ ويستخدم في حالة البيانات الوصفية، يستخدم في حالة البيانات الكمية.

الأحداث ويرفع عنهم المسؤولية، والتحليلات تشير إلى أن المسؤولية عن الأحداث من وجهة نظر الصحيفة إنما تتقاسمها من جهة جماعة متطرفة لا تمثل بالضرورة عامة المسلمين، ونظم سياسية غربية وإسلامية ضليعة من جهة ثانية ولو بصفة غير مباشرة، ثاني مراتب الفروق بين المجموعتين كان لصالح فئة " الإسلام يشجع على العنف ضد غير المسلمين"، وقد ارتفعت هذه نسبة كثيرا غداة الأحداث لتصل إلى (18,47 %)، لكن تراجعت بعد ثمان سنوات من الحدث إلى مستوى ضعيف جدا بلغ (6,93 %). وثالث مراتب الفروق في السياق نجد كلا من فئة " المسلمون وراء أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001) (تمويلا و تدريبا)" بنسبة بلغت (10,45 %) سنة (2001)، و (2,60 %) سنة (2009)، و " فئة براءة المسلمين من هجمات الحادي عشر من سبتمبر (2001)" بنسبة بلغت (10,16 %) سنة (2001)، و (02,45 %) سنة (2009). أما آخر الفروق في المعالجة خلال الفترة، فكان في سياق الحديث عن " التنشئة الدينية للمسلمين ومسؤوليتها عن أحداث الإرهاب في العالم " بتغطية لم تكن عالية بلغت نسبة (8,11 %) سنة (2001)، و (1,64 %) سنة (2009).

الثبات¹ في المعالجة والتحليل بين سنتي (2001) و (2009) فيما يتعلق برؤية الصحيفة لـ "علاقة الإسلام والمسلمين بظاهرة الإرهاب":

أشارت نتائج الدراسة التحليلية إلى وجود ثبات نسبي-عدم الدلالة الإحصائية- في معالجة الصحيفة للموضوعات المتعلقة بهذه الفئة، رغم المتغيرات التي عصفت بالعلاقة "الإسلام والغرب" داخل فرنسا وخارجها. نجد أولاها فئة "الخلط بين الإرهاب والجهاد والأصولية والإسلام". وقد بلغت نسبتها (14,80 %) في سنة (2001)، و (16,50 %) سنة (2009)، بما يعني إن الصحيفة بقيت على نهجها في الخلط بين المصطلحات الأربعة دون تمييز وتستخدمهم بصفة متداخلة وغير موضوعية، مما عسر على الدراسة التحليلية إيجاد معيار مفاهيمي لتصنيف هذه المصطلحات فيما بينها، وبنفس الأسلوب في توظيف المصطلحات دأبت الصحيفة خلال فترتي التحليل، إذ نجد بعدها مباشر فئة "الخلط بين الإرهاب والمقاومة" بنسبة (13,09 %) سنة (2001)، و (09,07 %) سنة (2009)، تتبعهما فئة "المسلمون في المهجر يوفرون الدعم المادي للمجاهدين في العراق، و أفغانستان، وفلسطين" بنسب متقاربة جدا بلغت (4,31 %)، سنة (2001)،

تقصد الدراسة بالثبات النسبي عدم وجود فروق في طبيعة وحجم تناول الصحيفة لموضوعات الفئة بين فترة التحليل لسنة 2001 وفترة التحليل لسنة 2009.

و(04,10 %) سنة (2009)، إذ لم تؤيد كثيرا الصحيفة هذه الفئة بل تطرقت إليها تقريبا في سياق الحديث عن ما أسمتهم بالإرهابيين المقيمين في الغرب ومصادر تمويلهم ومخططاتهم، أعقبت ذلك فئة "هجمات الحادي عشر من سبتمبر، صناعة أمريكية" بنسبة بلغت (4,31 %) سنة (2001)، و(04,20 %) سنة (2009)، لتتبع هذه الفئة الأخيرة بفئة "مصادر الإسلام الأساسية (القرءان، السنة) تقديس الجهاد وتدعو له" بنسبة بلغت (2,01 %) سنة (2001)، و(05,18 %) سنة (2009). ويلاحظ ان الفئتين الأخيرتين لم تحظيا بتأييد واهتمام كبيرين من الصحيفة، فأمریکا بسياساتها الاستعلائية تسببت لحدوث الهجمات بمسؤولية غير مباشرة، ومصادر الإسلام تتضمن كثيرا من النصوص المحرصة على الجهاد والمقدسة له.

2. 1-2-5 المسلمون وأطروحي نهاية التاريخ وصراع الحضارات

جدول رقم (07) يوضح : توزيع فئات (المسلمون وأطروحي نهاية التاريخ وصراع الحضارات) خلال فترتي التحليل (2009- 2001) .

| 2009 | | (2001) | | المسلمون وأطروحي نهاية التاريخ وصراع الحضارات |
|--------|---------|----------|---------|--|
| النسبة | التكرار | النسبة | التكرار | |
| 7,52 | 23 | 15,78 | 89 | 1-أحداث 11 سبتمبر تؤكد صدام الحضارات . |
| 4,90 | 15 | 6,03 | 34 | 2-الهجمات الإرهابية بداية صراع أكبر بين الإسلام والغرب |
| 5,88 | 18 | 7,45 | 42 | 3-الإسلام والغرب على طريق تصادم حتمي . |
| 3,59 | 11 | 3,72 | 21 | 4-الحرب الصليبية الجديدة. |
| 3,59 | 11 | 5,67 | 32 | 5-الإسلام هو العدو الجديد لمرحلة ما بعد الحرب الباردة. |
| 33,99 | 104 | 36,17 | 204 | 6-التهديد الإسلامي حقيقة يجب مجاهاتها. |
| 6,54 | 20 | 4,08 | 23 | 7-الإسلام يقف سدا منيعا أمام المدينة الغربية. |
| 33,99 | 104 | 21,10 | 119 | 8-حركات الإسلام السياسي تشكل تحديا في وجه التواصل الحضاري الإسلامي الغربي. |

| | | | | | | |
|-------|-------------|------------|------------|------------|------------|--|
| 100 | 408 | 100 | 564 | المجموع | | |
| الثقة | درجة الحرية | ر الجدولية | ر المحسوبة | ت الجدولية | ت المحسوبة | |
| % 95 | 07 | 0,98 | 0,89 | 2,36 | 0,25 | |

بينت نتائج المعالجة الإحصائية غياب الفروق بين فترتي التحليل سنة (2001 - 2009)، في معالجة " لفئة " المسلمون وأطروحي نهاية التاريخ وصراع الحضارات"، كما " le Monde صحيفة لوموند توضح نتيجة معامل اختبار-ت- للفروق بين المجموعات، حيث بلغت قيمته المحسوبة (0.25)، وهي أقل من القيمة الجدولية، التي تساوي (2,36) عند درجة حرية (7) ومستوى ثقة (95 %)، وكذا قيمة اختبار معامل للارتباط التي بلغت قيمة اختبار معامل الارتباط (0,98)، ودلالته الإحصائية انعدمت (0,00) تماما عند درجة حرية (7) ومستوى ثقة 95 %، ما يفسر إحصائيا بعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في معالجة الصحيفة لفئة " المسلمون وأطروحي نهاية التاريخ وصراع الحضارات" بين سنتي (2001 - 2009)، ووجود ارتباط كبير بين الفترتين من حيث الإجمال، أي أن اهتمامات وأوليات الصحيفة من حيث حجم المعالجة بقيت ثابتة فيما يتعلق بهذه الفئة، والفروق والتفاوت الذي تظهره النسب المؤوية على بعض الفئات الفرعية الموجودة في الجدول غير دال إحصائيا، وهذا التفاوت يظهر بشكل خاص أثناء معالجة الصحيفة لفئتي "الهجمات الإرهابية في العالم بداية صراع أكبر بين الإسلام والغرب"، وفئة "الإسلام يقف سدا منيعا أمام المدنية الغربية" اللتين إنعكستا في الترتيب بين فترة التحليل لسنة (2001)، وفترة التحليل لسنة (2009)، وتشير قراءة النسب بداية إلى أن أولى مراتب الاهتمام في التغطية لدى الصحيفة كان لفئة (% سنة (2001)، و(33,99 %) سنة ، 36,17" التهديد الإسلامي حقيقة يجب محاربتها " بنسبة (2009) متبوعة في المرتبة الثانية بفئة "حركات الإسلام السياسي تشكل تحديا في (التواصل والحوار الحضاري الإسلامي الغربي)" بنسبة بلغت (21,10 %) سنة (2001)، و(33,99 %) سنة (2009)، ويلاحظ أن هاتان الفئتان حازتا على أكبر قدر من الاهتمام تجاوز نصف حجم المعالجة خلال فترتي التحليل ما ينذر بوجود تخوف حقيقي من الإسلام لدى الصحيفة ويستبطن في ذات الوقت الخلفية العدائية ودعوات مواجهة الإسلام في ثنايا تغطية وتحليلات الصحيفة، أعقب ذلك فئة "هجمات الحادي عشر من سبتمبر

(% سنة (2001)، و (07,52 %) سنة (15,78) تؤكد صدام الحضارات " في المرتبة الثالثة بنسبة (07,45) 2009)، تليها في المرتبة الرابعة فئة "الإسلام والغرب على طريق تصادم حتمي" بنسبة بلغت (07,45) (% سنة (2001)، و (5,88 %) سنة (2009)، متبوعة في المرتبة الخامسة بفئة "الهجمات الإرهابية في العالم بداية صراع أكبر بين الإسلام والغرب" بنسبة (06,03 %) سنة (2001)، و (04,90) (% سنة (2009)، و احتلت فئة " الإسلام هو العدو الجديد لمرحلة ما بعد الحرب الباردة" سادس الترتيب بنسبة (05,67 %) سنة (2001)، و (03,59) سنة (2009)، ويلاحظ أن الفئات الأربعة سألقة الذكر تدخل في سياق مضامين نظرية صدام الحضارات، لم تحظ بتأييد نسبي كبير بل تراوحت نسبها ما بين (7 و 3 %) إذا ما استثنينا تحليلات غداة الأحداث التي ارتفعت فيها النسبة مع فئة "هجمات الحادي عشر من (%، أما آخر الترتيب فكان لصالح فئة "الحرب الصليبية 15,78 سبتمبر تؤكد صدام الحضارات " إلى (% الجديدة " بحجم تغطية ضعيف لم يتجاوز (03,27 %) سنة (2001)، و (03,57) سنة (2009).

5-2-1. 3. الإسلام والمسلمون وقيم الحضارة الغربية .

جدول رقم (08) يوضح : توزيع فئات (الإسلام والمسلمون وقيم الحضارة الغربية) خلال فترتي التحليل (2009-2001).

| 2009 | | (2001) | | الإسلام والمسلمون وقيم الحضارة الغربية |
|--------|---------|----------|---------|---|
| النسبة | التكرار | النسبة | التكرار | |
| 10,71 | 51 | 10,12 | 77 | 1-قيم الإسلام غربية عن منجزات الحضارة الغربية. |
| 7,77 | 37 | 8,54 | 65 | 2-الإسلام يصادر الحريات العامة وحقوق الإنسان. |
| 5,67 | 27 | 4,60 | 35 | 3-الإسلام يرفض العقلانية و كل قيم الحداثة الغربية. |
| 23,74 | 113 | 29,04 | 221 | 4-الأصولية الإسلامية، تشكل تهديداً لحضارة الغرب ومستقبله. |
| 4,41 | 21 | 5,52 | 42 | 5-الإسلام لا يحض على احترام معتقدات الأديان الأخرى |

| | | | | |
|-------|-----|-------|-----|---|
| 5,67 | 27 | 2,23 | 17 | 6- المسلمون المغتربون غير موالين (من الولاء) لبلدان المهجر. |
| 5,46 | 26 | 4,07 | 31 | 7- العالم الإسلامي يعتبر نفسه في حرب ضد الحضارة الغربية. |
| 14,92 | 110 | 15,24 | 160 | 8- الربط بين الإسلام والرجعية والتخلف. |
| 12,44 | 64 | 14,85 | 113 | 9- وصف المسلمين بالأغبياء الأغبياء محبي الجنس . |

| المجموع | 761 | 100 | 476 | 100 |
|------------|------------|------------|------------|-------------|
| ت المحسوبة | ت الجدولية | ر المحسوبة | ر الجدولية | درجة الحرية |
| 0,82 | 2,26 | 0,90 | 0,60 | 08 |
| | | | | الثقة |
| | | | | % 95 |

بداية تشير نتائج المعاملات الإحصائية إلى غياب الفروق في المعالجة بين فترتي التحليل، كما يوضح اختبار معامل (ت) للفروق بين العينات المستقلة، والذي بلغت قيمته المحسوبة (0,82)، وهي أقل من القيمة الجدولية، التي تساوي (2,26) عند مستوى ثقة (0,05). وكذا ذلك قيمة معامل الارتباط التي بلغت (0,97)، وهي قيمة دالة على ارتباط قوي بين المجموعتين، وثبات في حجم المعالجة، بما يفسر إحصائياً أن ليست ثمة فروق ذات دلالة إحصائية في معالجة صحيفة "لوموند" لفئة "المسلمون وقيم الحضارة الغربية" تعزى إلى تفاوت فترتي التحليل سنتي (2001 و2009).

والقراءة التفصيلية النسبية توضح ذلك، مع ضرورة الإشارة دائماً إلى وجود بعض التفاوت الطفيف في المعالجة، لكن غير الدال إحصائياً خلال فترتي الدراسة. أولى مراتب حجم المعالجة كانت لفئة "الأصولية الإسلامية"، تشكل تقييداً لحضارة الغرب ومستقبله" بنسبة بلغت (29,04%) سنة (2001) وهي نسبة أعلى مما تداولته سنة (2009) حيث لم تتعد (23,74%)، في المرتبة الثانية من حجم المعالجة نجد اهتمام الصحيفة بفئة "الربط بين الإسلام والرجعية والتخلف" وذلك بنسبة (15,24%) سنة (2001)، ونسبة (14,92%) سنة (2009)، وهي نسبة معتبرة تعكس مدى تمسك الصحيفة بالربط بين الإسلام والتخلف، مساندة في ذلك الصور النمطية الراجحة في الإعلام الغربي حول الإسلام والمسلمين، وليس بعيداً عن هذه الفئة تعتمد الصحيفة على التورط في وصف المسمين بأشنع الأوصاف كما توضح ذلك فئة "وصف المسلمين بالأغبياء الأغبياء محبي الجنس" التي جاءت في ثالث الترتيب وبنسب معتبرة كذلك بلغت (14,85%) سنة (2001)، ونسبة (12,44%) سنة (2009)، بعد ذلك لا تتورع الصحيفة مطلقاً في تحليلاتها الإفصاح عن

غربة الإسلام وقيمه، إذ احتلت هذه الفئة رابع المراتب " قيم الإسلام غربية عن منجزات الحضارة الغربية " بنسبة بلغت (10,12 %) سنة (2001)، ونسبة (10,71 %) سنة (2009)، وبينت الدراسة التحليلية أن الصحيفة تستبطن صورة نمطية قائمة عن الإسلام ، كما توضح ذلك فئة " الإسلام يصادر الحريات العامة وحقوق الإنسان " بنسبة بلغت (08,54 %) سنة (2001) ، و(07,77 %) سنة (2009)، خامس الترتيب، وكذا فئة " الإسلام يرفض العقلانية و كل قيم الحداثة الغربية " سادس الترتيب بنسب بلغت (05,60 %) سنة (2001)، و(04,60 %) سنة (2001)، وليس بعيد من ذلك أيضا تترتب فئة " الإسلام لا يحض على احترام معتقدات الأديان الأخرى " بنسبة بلغت (04,07 %) سنة (2001)، كما بلغت (04,46 %) سنة (2009)، في المرتبة الثامنة من تحليلات هذه الفئة تترتب فئة " العالم الإسلامي يعتبر نفسه في حرب ضد الحضارة الغربية " بنسبة في الاهتمام والمعالجة بلغت (4,07 %) سنة (2001)، و (05,46 %) سنة (2009)، أما آخر مراتب التغطية في السياق وبنسبة بلغت (02,23 %) سنة (2001)، و(05,67 %) سنة (2009)، كان لفئة "المسلمون المغتربون غير موالين (من الولاء) لبلدان المهجر"، ويلاحظ في هذا السياق من حيث الإجمال أن الصحيفة لم تستقل بصورة جديدة وموضوعية لبها عن الإسلام والمسلمين سواء غداة أحداث الحادي عشر من سبتمبر أو بعد مرور ثمان سنوات من ذلك، بل العكس تماما سعت نحو تكريس صورة نمطية سوداوية وقائمة عن الإسلام والمسلمين في مقابل الحضارة الغربية.

5-2-1. 4. الاسلامو فوبيا أو الخوف المرضي من الإسلام .

جدول رقم (09) يوضح : توزيع فئات (الاسلامو فوبيا أو الخوف المرضي من الإسلام) خلال فترتي التحليل (2001 - 2009).

| 2009 | | 2001 | | الاسلامو فوبيا أو الخوف المرضي من الإسلام |
|--------|---------|--------|---------|---|
| النسبة | التكرار | النسبة | التكرار | |
| 3,56 | 15 | 13,02 | 109 | 1-بعد أمريكا الدور على أوروبا . |
| 8,08 | 34 | 7,89 | 66 | 2-المهاجرون المسلمون يشكلون خطرا على الغرب. |
| 28,03 | 149 | 27,60 | 231 | 3-الحركات الإسلامية تهدد استقرار العالم . |
| 9,03 | 38 | 8,96 | 75 | 4-المدارس والجامعات الإسلامية تصنع الإرهاب. |

| | | | | |
|-------|-----|-------|-----|--|
| 10,45 | 78 | 10,04 | 84 | 5- الحد من حقوق وحرريات المسلمين في الغرب. |
| 12,83 | 54 | 8,48 | 71 | 6- سن تشريعات صارمة ضد الأصوليين المسلمين. |
| 28,03 | 118 | 24,01 | 201 | 7- المسلمون لهم مطامح سياسية وعسكرية . |

| 100 | 486 | 100 | 837 | المجموع | |
|-------|-------------|------------|------------|------------|------------|
| الثقة | درجة الحرية | ر الجدولية | ر المحسوبة | ت الجدولية | ت المحسوبة |
| % 95 | 6 | 0,71 | 0,86 | 2,44 | 0,14 |

أشارت نتائج المعالجة الإحصائية إلى عدم وجود فروق في معالجة صحيفة لوموند "le Monde" للمضامين المتعلقة بفئة "الإسلاموفوبيا (الخوف المرضي من الإسلام)" أو جاءت في سياقها خلال فترتي التحليل لسنتي (2001 و2009)، كما تؤثر إلى ذلك قيمة اختبار -ت- للفروق بين المجموعات، الذي بينت نتيجته أن القيمة المحسوبة (0,14) أقل من قيمته الجدولية التي تساوي (2,02) عند مستوى ثقة (0,05). وكذا قيمة معامل الارتباط، الذي بلغت قيمته المحسوبة (0,86)، وهي قيمة عالية جدا وأكبر من القيمة الجدولية التي تساوي (0,71) عند مستوى ثقة (0,05)، مما يبنى بوجود ارتباط قوي خلال فترتي المعالجة بخصوص هذه الفئة. وهو ما يفسر إحصائيا بعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في معالجة صحيفة لوموند "le Monde" لموضوعات "الإسلاموفوبيا (الخوف المرضي من الإسلام)".

وقراءة النسب المئوية للجدول توضح ذلك، فأولى مراتب التغطية والاهتمام كان لفئة "الحركات الإسلامية تهدد استقرار العالم". بنسبة بلغت (27,60) سنة (2001)، و(28,03) سنة (2009)، في المرتبة الثانية من الاهتمام ركزت الصحيفة على فئة "المسلمون لهم مطامح سياسية وعسكرية"، وبرؤية ثابتة بلغت نسبتها (28,03%) سنة (2001)، و(24,21%) سنة (2009)، في ثالث المراتب تكشف الدراسة التحليلية عن تحول في المعالجة وفروق كبير جدا عند فئة "بعد أمريكا الدور على أوروبا" التي بلغت نسبتها (13,02) سنة (2001)، فيما كانت بنسبة ضعيفة لم تتعد نسبة (03,66%) سنة (2009)، ما يقرا بتحول مهم في رؤية الصحيفة لخطر هجمات تنظيم لقاعدة مستقبلا على أوروبا، بل تنازلت عن اعتقادها القائم على امتداد هذه الهجمات في لغرب من أمريكا إلى أوروبا، لتستبدل مرتبة هذه الفئة في سنة (2009) بفئة

"ضرورة سن تشريعات صارمة ضد الأصوليين المسلمين"، بنسبة بلغت (12,83%) سنة (2009)، و، رابع مراتب الاهتمام في هذه الفئة كان لفئة "الحد من حقوق وحرريات المسلمين في الغرب" بنسبة لغت (10,04%) سنة (2001)، و(10,45%) سنة (2009)، ويلاحظ هنا تقارب في حجم التغطية والترتبة والاهتمام ما يعني ثبات رؤية الصحيفة في ضرورة اتخاذ إجراءات ضد المسلمين، وان كان بنسبة ليست كبيرة نوعا ما، أما خامس المراتب فقد وقع فيه هو تفاوت بين فترتي التحليل إذ نجده سنة (2001)، انصب على فئة "سن تشريعات صارمة ضد الأصوليين المسلمين" بنسبة بلغت (08,96%) سنة (2001)، وعلى فئة "المدارس والجامعات الإسلامية تصنع الإرهاب" بنسبة (9,03%) سنة (2009)، أما سادس المراتب وبنسبة (07,89%) سنة (2001)، و(08,08%) سنة (2009)، فقد كان لفئة "المهاجرون المسلمون يشكلون خطرا على الغرب".

5-2-1. الإسلام وقضايا المسلمين في فرنسا .

جدول رقم (10) يوضح : توزيع فئات (الإسلام والمسلمون في فرنسا) فترتي التحليل (2009-2001).

| 2009 | | 2001 | | الإسلام والمسلمون في فرنسا |
|--------|---------|--------|---------|--|
| النسبة | التكرار | النسبة | التكرار | |
| 8,73 | 29 | 17,36 | 175 | 1-الإسلام خطر يهدد فرنسا. |
| 5,72 | 19 | 9,52 | 96 | 2-يصعب التعايش مع المسلمين في فرنسا. |
| 9,34 | 31 | 9,82 | 99 | 3-حضر الحجاب و الرموز الدينية في المؤسسات الرسمية . |
| 8,73 | 29 | 10,02 | 101 | 4- تزايد المسلمين خطر على مستقبل فرنسا. |
| 10,54 | 35 | 3,47 | 35 | 5-المسلمون وراء الاضطرابات في فرنسا. |
| 0,90 | 3 | 1,69 | 17 | 6-رفع الشعارات العنصرية. |
| 11,45 | 38 | 9,42 | 95 | 7- التمكين السياسي للمسلمين في فرنسا. |
| 21,69 | 76 | 15,47 | 166 | 8- المسلمون جزء من التنوع الثقافي والاجتماعي في فرنسا. |

9- الإقرار بالحقوق الاجتماعية والثقافية ... للمسلمين. 108 10,71 37 11,14

01-احترام مبادئ العلمانية 116 11,51 39 11,75

| بينت | نتائج | الدار | سنة | التح | |
|------------|------------|------------|------------|-------------|-------|
| المجموع | 1008 | 100 | 336 | 332 | |
| ت المحسوبة | ت الجدولية | ر المحسوبة | ر الجدولية | درجة الحرية | الثقة |
| 0,001 | 2,26 | 0,62 | 0,60 | 9 | % 95 |

ليلية بداية من خلال المعالجة الإحصائية إلى عدم وجود فروق دالة إحصائية في معالجة الصحيفة لفئة " الإسلام وقضايا المسلمين في فرنسا " خلال فترتي التحليلي سنتي (2001 و 2009)، رغم وجودها ظاهرا من خلال القراءة العابرة للنسب وترتيب الفئات فيما بينها فترتي التحليل، وتؤشر إليها كذلك قيم الاختبارات الإحصائية ، خاصة قيمة معامل الارتباط التي بلغت (0,62) وهي قيمة ضعيفة تنذر بوجود ارتباط ضعيف بين المجموعتين، وقريبة جدا من قيمتها الجدولية التي تساوي (0,60) ويزيد هذه الدلالة الإحصائية وضوحا قيمة قيمة معامل اختبار الفروق ت بلغت (0,001)، وهي

قيمة ضعيفة جدا مقابل القيمة الجدولية التي تساوي (2,26) عند درجة حرية (9)، ومستوى ثقة (%95)، مما يؤشر_وان بغير دلالة إحصائية قوية_ إلى تغير في مركز وموضع اهتمام الصحيفة تجاه هذه الفئة خلال فترتي الدراسة، ولما كان الارتباط ضعيفا والفروق ظاهرة، ارتأت الدراسة معالجة كل سنة على حدا، والملاحظ من خلال مراجعة الفئات الفرعية والقراءة العامة للنسب المؤوية، أن الاهتمام والمعالجة في الصحيفة سنة (2001) ركز على خطاب التحذير والخوف ورد الفعل المباشر ضد المسلمين ، بدل موضوعات التحليل المنطقي والنقدي والعلمي وخطاب التعايش والاندماج في فرنسا، عكس ذلك تماما سنة (2009)، مما يعني أن الصحيفة عدلت من موقفها من خطاب التحذير والخوف إلى خطاب التعايش والتواصل والإدماج.

سنة (2001) : شكلت فئة " الإسلام خطر يهدد فرنسا " أولى مراتب تركيز الصحيفة في السياق بنسبة بلغت (17,36 %)، يليها " المسلمون جزء من التنوع الثقافي والاجتماعي في فرنسا " بنسبة بلغت (15,47 %). ثم فئة "ضرورة احترام مبادئ العلمانية" بنسبة (11,51 %)، لترجع بعد ذلك إلى حديث الخوف من خلال فئة " تزايد المسلمين خطر على مستقبل فرنسا " بنسبة (10,02 %)، ثم الدعوة إلى " حضر

الحجاب والرموز الدينية في المؤسسات الرسمية الفرنسية " بنسبة (09,82 %)، ثم الإقرار بـ "صعوبة التعايش مع المسلمين في فرنسا" بنسبة (09,52 %) وكلها فئات تعكس مدى توجس وحذر الصحيفة مما يتعلق بالإسلام والمسلمين غداة الأحداث، عدا بعض الفئات التي تدخل في سياق خطاب التعايش لم تحظ باهتمام كبير من الصحيفة، نجدتها مرتبة وفق الآتي وينسب ضعيفة نوعا ما أولها الحديث عن فئة "التمكين السياسي للمسلمين في فرنسا" بنسبة بلغت (09,42 %)، ثم فئة "إمكانية التعايش مع المسلمين في فرنسا" بنسبة (04,66 %)، أما آخر المراتب من الاهتمام فنجد كلا من فئتي "المسلمون وراء الاضطرابات الاجتماعية" في فرنسا، ثم فئة "رفع شعارات العنصرية ضد المسلمين" بنسبة ضعيفة جدا بلغت (01,69) % لكل منهما.

سنة (2009): يلاحظ بداية تقارب النسب المثوية فيما بينها وتشتتها كثير نسبيا مع جميع الفئات الفرعية لهذه الفئة الرئيسية، مما يعني إن الفئات جميعها لها حضور في هذا السياق على خلاف معالجة سنة

(2001) التي عرفت نوعا ما تفاوتات في النسب، وفي هذه الفترة من التحليل احتلت فئة "من الممكن التعايش مع المسلمين في فرنسا" أولى الترتيب بنسبة بلغت (12,05 %) متبوعة بفئة "التمكين السياسي للمسلمين في فرنسا" بنسبة (11,45 %)، ثم تتلوها فئة "ضرورة احترام مبادئ العلمانية" بنسبة (11,75) %، تليها في المرتبة الثالثة تغطية فئة "الإقرار بالحقوق الاجتماعية والثقافية والدينية للمسلمين" بنسبة (11,14) %، أما رابع مراتب الاهتمام في هذه السنة كان لصالح فئة "المسلمون وراء الاضطرابات في فرنسا" بنسبة بلغت (10,45) % يليها في الترتيب فئة "المسلمون جزء من التنوع الثقافي والاجتماعي في فرنسا" بنسبة (09,64) %، متبوعة بفئة "حضر الحجاب وباقي الرموز الدينية في المؤسسات الرسمية الفرنسية" بنسبة بلغت (09,34) %، بعد ذلك تتوجه الصحيفة إلى تغطية موضوعات الخطر الإسلامي على فرنسا، من خلال فئة "الإسلام خطر يهدد فرنسا" بنسبة (08,73) %، وآخر المراتب حضورا واهتماما في تغطية الصحيفة من خلال هذه الفئة، بنسبة كادت أن تكون منعدمة تماما (0,90) % موضوعات "شعارات العنصرية" ضد الإسلام والمسلمين الفرنسيين في تحليلات ومقالات الصحيفة .

تكشف نتائج هذا التحليل بغض النظر عن ضعف الدلالة الإحصائية أن الصحيفة اتخذت موقفا مناهضا ومتشددا ضد الإسلام والمسلمين غداة وقوع الأحداث، وغلب على رؤيتها وخطابها التحامل والتشويه

والتشهير المتعمد وغير المتعمد أحيانا ، وتخويف المجتمع من ما قد يصدر من الإسلام والمسلمين ، بل أوزعت الخطر والاضطرابات التي هددت وتمهدد فرنسا إلى المسلمين، غير أن ذلك لم يستمر بجديته وقوته بل طرأ عليه تعديل يبدو مهما في هذا السياق، إذ بعد ثمان سنوات ظهرت على صفحات الجريدة كثير من المضامين الناقدة والمنطقية والساعية نحو تعديل الصورة، والمالية بقي التقبل والتفهم والتسامح بل وأحيانا المناهضة لخطاب التحامل والتشويه.

5-2-1 مبادئ الإسلام وقيمه الأصيلة

جدول رقم (11) يوضح توزيع فئات (مبادئ الإسلام وقيمه الأصيلة) فترتي التحليل (2001-2009).

| 2009 | | 2001 | | مبادئ الإسلام وقيمه الأصيلة | |
|------------|-------------|------------|------------|--|-----------|
| النسبة | التكرار | النسبة | التكرار | | |
| 17,97 | 39 | 20,67 | 99 | 1-الإسلام رسالة تحترم الإنسانية. | |
| 11,98 | 26 | 9,39 | 45 | 2- محمد رسول عظيم. | |
| 14,29 | 31 | 20,25 | 97 | 3-الإسلام دين سلام . | |
| 18,43 | 40 | 21,09 | 101 | 4-الإسلام يدعو إلى التسامح. | |
| 17,97 | 39 | 12,53 | 60 | 5-الإسلام يدين العنف وقتل الأبرياء. | |
| 19,35 | 42 | 16,08 | 77 | 6-الدعوة إلى الدعوة إلى الإسلام الحداثي، العلماني. | |
| 100 | 217 | 100 | 479 | المجموع | |
| ثقة | درجة الحرية | ر الجدولية | ر المحسوبة | ت الجدولية | ت لمحسوبة |
| % 95 | 05 | 0,75 | 0,45 | 2,57 | 0,004 |

بينت نتائج الدراسة التحليلية بداية من خلال المعالجة الإحصائية إلى عدم وجود فروق دالة إحصائية في معالجة الصحيفة لفئة " مبادئ الإسلام وقيمه الأصيلة " خلال فترتي التحليلي سنتي (2001 و2009)، رغم

بعض الفروق الظاهرة عرضاً من خلال القراءة العامة للنسب في الجدول أعلاه، وهي فروق لها دلالتها المعنوية في التحليل وان افتقدت إلى الدلالة الإحصائية، وتوضح هذه الفروق قيمة معامل الارتباط الخطي التي بلغت (0,45) وهي قيمة ضعيفة تقلل الثبات في المعالجة بين الفترتين (2001 و2009)، وكذا قيمة معامل اختبار-ت- للفروق التي بلغت (0,004) وهي كذلك ضعيفة وأبعد من القيمة الجدولية التي تساوي (2,57) عند مستوى ثقة (59 %)، ولما كانت الفروق موجودة - رغم غياب الدلالة الإحصائية - ارتأت الدراسة معالجة نتائج كل سنة على حده.

سنة (2001) : رغم ركوب الصحيفة موجة العداء والتحامل ضد الإسلام والمسلمين، كما كشفت المعالجات السابقة، إلا أن الدراسة التحليلية لهذه الفئة حول "قيم الإسلام ومبادئه النبيلة" كشفت أن للصحيفة موقف متحفظ عندما يتعلق الأمر بالحديث عن جوهر الإسلام كدين جاء بقيم وأخلاق إنسانية سامية، فإن كانت ترفض وتتوجس من بعض مبادئ الإسلام وموضوعاته الحساسة ومن فهوم أنصاره ومريديه، نجدها لا تتوان في إظهار احترامها وإعلان تقبلها للإسلام، وقد تقدمت في هذا السياق فئات " الاحترام والإقرار بعظمة الإسلام وقيمه" رغم حساسية الفترة وغلبة خطاب رد الفعل على جميع الأصعدة السياسية والثقافية والإعلامية وفي المجتمعات الغربية، فنجد في المرتبة الأولى من الاهتمام والتغطية فئة " الإسلام يدعو إلى التسامح" بنسبة (21,09 %) تليها فئة "الإسلام رسالة تحترم الإنسانية" بنسبة (20,69 %)، وليس بعيد عنهما فئة "الإسلام دين سلام" بنسبة (20,25 %) متبوعة بفئة "الدعوة إلى الإسلام الحدائي، العلماني، المعتدل" وذلك بنسبة (16,08 %)، ثم تلا ذلك اهتمام الصحيفة بموضوع إدانة الإسلام للعنف، حيث بلغت نسبة فئة "الإسلام يدين العنف وقتل الأبرياء" (12,53 %)، وحتى هذه النسبة يلاحظ أن جميع الفئات نالت حظها من الاعتبار في التغطية والتحليل وبنسب تكاد متقاربة فيما بينها، مما يقوي اعتبار صحيفة "لوموند" لهذه الفئة المهمة-مبادئ الإسلام وقيمه الأصيلة-، أما آخر الترتيب وبنسبة (09,39 %) في سياق هذه فكان للموضوعات المتعلقة بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم من خلال الفئة "محمد رسول الإسلام"، وقد ذكرته في سياقات متعددة امتزج فيها الإقرار والقبول بالتعصب والرفض.

سنة (2009) : اختلفت أولويات الصحيفة من خلال التركيز وحجم المعالجة في رسم موقفها المتعلق بفئة "مبادئ الإسلام وقيمه الأصيلة"، ويبدو أنه اختلاف معقول بالنظر إلى حجم وطبيعة المتغيرات التي سادت طيلة الثمان سنوات فيما يتعلق بهذه الفئة، حيث ركزت تغطيات وتحليلات فترة التحليل لسنة (2009) في

سياق هذه الفئة بدرجة أولى، وبنسبة بلغت (19.53 %) على فئة " الدعوة إلى الإسلام الحداثي، العلماني، المعتدل "، يليها في المرتبة الثانية من التغطية اهتمام نحو فئة "الإسلام يدعوا إلى التسامح" وذلك لتزيد التأكيد أنها لا ترى في الإسلام من منطلق أنه دين تعبدي، ما يعارض العلمانية وقيم الحداثة الغربية، وما يدعوا فيه إلى العنف بل هو دين مليء بالقيم الايجابية السامية التي تدعوا إلى التسامح والإقرار بحق الآخر، يؤكد ذلك ما جاء بعدها من فئات ركزت عليها الصحيفة ألا وهم فئتا "الإسلام يدين العنف وقتل الأبرياء" و"الإسلام رسالة تحترم الإنسانية" بنسبة (17,97 %) لكل منهما، وفئة "الإسلام دين سلام" بنسبة (14,29 %)، آخر المراتب في الاهتمام والتغطية كان لفئة " محمد رسول الإسلام " وقد حازت على نسبة (11,98 %).

7. 1-2-5 معالجة قضايا المسلمين الدولية.

جدول رقم (12) يوضح توزيع فئات (معالجة قضايا المسلمين) فترتي التحليل (2001 – 2009).

| معالجة قضايا المسلمين الدولية | | | | |
|-------------------------------|---------|--------|---------|-----------------------------------|
| 2009 | | 2001 | | |
| النسبة | التكرار | النسبة | التكرار | |
| 9,50 | 76 | 3,06 | 14 | 1- حوار الأديان |
| 4,120 | 33 | 5,9 | 27 | 2- احترام حقوق الإنسان في الإسلام |
| 12,25 | 98 | 5,68 | 26 | 3- الإسلام وقضايا المرأة |
| 27,12 | 217 | 26,42 | 121 | 4- الإسلام السياسي |
| 14,62 | 117 | 12,82 | 60 | 5- ايران |
| 90 | 72 | 5,46 | 25 | 6- تركيا والاتحاد الأوربي |
| 1,37 | 11 | 7,64 | 35 | 7- احتلال العراق |
| 6,62 | 53 | 8,08 | 37 | 8- الحرب على أفغانستان |
| 05.66 | 14 | 1,53 | 70 | 9- المسلمون في اوربا الشرقية |

| | | | | |
|-------|----|-------|----|--------------------------------|
| 40 | 32 | 5,46 | 25 | 10- المسلمون في القرن الإفريقي |
| 3,87 | 15 | 3,17 | 27 | 11- السودان |
| 2,25 | 18 | 0,12 | 10 | 12- غوانتانامو |
| 3.56 | 31 | 10,46 | 89 | 13- باكستان |
| 1,620 | 13 | 0,59 | 40 | 14- القاعدة في بلاد المغرب |

| | | | | |
|------|----------|---------|----------|---------|
| 100 | 800 | 100 | 498 | المجموع |
| ثقة | الجدولية | الحسوبة | الجدولية | الحسوبة |
| % 95 | 0.53 | 0.69 | 2.14 | 0.24 |

تجدر الإشارة بداية إلى إن قائمة "قضايا الإسلام والمسلمين الدولية" المقترحة للتحليل تم إعدادها على مرحلتين: مرحلة أولى من اقتراح الباحث والمشرف ثم تحكيم المحكمين، الذين بدورهم عدلوا واقتروا قضايا جديدة قابلة للتحليل في سياق الموضوع العام للإشكالية، ومرحلة ثانية متأخرة فرضتها إجراءات التحليل، ونوعية القضايا المقترحة، وطبيعة وحجم معالجة الصحيفة لها، ما ألزم الدراسة بالعمل على عزل بعض القضايا نظرا لتعقيدها وتضمنها العديد من الفئات الفرعية الصالحة للمعالجة مفردة من جهة، وحجم تغطيتها في الصحيفة إذ نجد لها في كل عدد من أعداد تغطية وربما تغطيات متعددة خاصة كمية ونوعية، لتوزع في النهاية -بعد التحكيم الثاني- القضايا على القضايا العامة، ثم القضية الفلسطينية والقضية الإيرانية. وهذه العملية التصنيفية قدمت نتيجة أولى نتيجة أولى مفادها: "القضية الفلسطينية" أكثر القضايا اهتماما ومعالجة، كما وكيفا، من قبل الصحيفة في ما يتعلق بالشأن الإسلامي، سواء غداة أحداث الحادي عشر من سبتمبر أو بعد مرور ثماني سنوات من سبتمبر، لترتب بعد ذلك القضايا الأخرى كل قضية حسب سياقها ومعالجة الصحيفة لها.

بينت نتائج المعالجة الإحصائية لفئة "معالجة قضايا الإسلام والمسلمين الدولية" إلى وجود فروق بين الفترتين المخصصتين للدراسة في حجم المعالجة، وترتيب الأولويات للقضايا المتعلقة بالشأن الإسلامي، كما

تؤكد ذلك قيمة معامل اختبار-ت- للفروق التي بلغت (0,24)، وهي أقل من القيمة الجدولية التي تساوي (2,14) عند مستوى ثقة (59 %)، غير أن هذه الفروق إحصائيا ليس لها دلالة معنوية، كما بينت قيمة معامل الارتباط (ر) المحسوبة التي تساوي (0,69) وهي أقل من القيمة الجدولية التي تساوي (02,14)، بمعنى ضعف الارتباط وهو ظاهر جدا خاصة مع كثرة القضايا وتشنت النسب، ولما كانت الفروق موجودة والقضايا متعددة والنسب مشتتة ارتأت الدراسة معالجة نتائج كل سنة حده بداية :

سنة (2001) : أولى مراتب الاهتمام والمعالجة غداة الأحداث كان لصالح فئة "الحرب على أفغانستان" بنسبة بلغت (26,42 %)، وان كانت الحرب لم تبدأ بعد إلا أن الصحيفة ، غير طبولها كانت تقرع ونذرها تملأ آفاق الخطاب السياسي والإعلامي الدولي، ثاني مراتب الاهتمام كرسته الصحيفة للحدث عن **باكستان** بنسبة بلغت (10,46 %)، ذلك راجع بلا شك لصدمة الأحداث وانحصر الخطاب العالمي السياسي والاستراتيجي والإعلامي حينها في جغرافية وموضوعاتية تكاد تكون ضيقة تمثلت في الولايات المتحدة، التحالف الدولي، الحرب على الإرهاب، أفغانستان، باكستان...، بعد ذلك وجهت الصحيفة اهتمامها للحدث عن " إيران" وقضاياها الأمنية والداخلية وعلاقتها بالواقع الدولي والمتغيرات المحيطة، بنسبة بلغت (10,04 %)، "الحرب على العراق" بنسبة بلغت (08,08 %) وقد غلبت على هذه الفترة تغطية موضوعات "موقف التحالف الدولي من النظام العراقي وعلاقته بالأحداث وبحركة الطالبان، وامتلاك العراق أسلحة الدمار الشامل، وخطر صدام ونظامه على شعبه وعلى الاستقرار الدولي..."، وقد لاقت هذه القضية مكانها في خطاب واستراتيجيات الولايات المتحدة زعيمة التحالف الدولي ضد الإرهاب، مما أهلها لتلقى بذلك إعلامية من قبل الإعلام الدولي وعلى راس ذلك صحيفة لوموند الفرنسية، بعد ذلك جاء الحديث عن "السودان" بنسبة بلغت (07,64 %)، ، عقب ذلك توجه اهتمام الصحيفة نحو موضوع " قضايا المغرب العربي" بنسبة بلغت (05,90 %)، وبخاصة الواقع السياسي والأمني والثقافي لبلدان المغرب العربي، وعلاقتها البينية ، وان كان غلبت عليها في سنة (2001) قضية الأزمة الأمنية والسياسية في الجزائر ومساعي المصالحة الوطنية ونتائجها، والتوترات البينية الجزائرية المغربية بشأن الصحراء الغربية التي تكاد تغطي كل الموضوعات، مع وجود بعض الموضوعات الثقافية والاقتصادية وغيرها، بعدها تناولت الصحيفة موضوع "الإسلام وحقوق الإنسان" بنسبة بلغت (05,90 %) حاولت الصحيفة من خلالها إبراز بعض الخصائص الإنسانية للإسلام خاصة فرض العنف، التسامح واحترام الحريات لكن شاب هذه الفئة موضوعات أخرى

معادية ومغلوبة حول ظلم الإسلام للمرأة ، ضيق فضاء الحريات في الإسلام، التعدي على الغير وغيرها من التهم المغلوط في حق الإسلام وحقوق الإنسان، تبع ذلك الحديث عن "الإسلام وقضايا المرأة" بنسبة بلغت (05,68%)، وقد أعطت الصحيفة جانبا مهما من تحليلاتها للحديث عن قضايا المرأة في الإسلام ولعل ابرز ما أشارت إليه من خلال التحليلات والصور والكاريكاتوريات في هذا الشأن كان مسألة "الحجاب"، "البرقع"، تعدد الزوجات"، "المشاركة السياسية للمرأة" ولم تجنب الصحيفة الحديث عن المرأة المتحررة المسلمة الأ نموذج -من وجهة نظرها- التي تتقبل الثقافة الغربية وتندمج مع قيمها ، بعد ذلك تحول اهتمام الصحيفة في التغطية نحو موضوعات "المسلمون في القرن الإفريقي" بنسبة بلغت (0,46%) ، الملح البارز في هذه الفئة خلال فترتي الدراسة أنه غلب عليها أخبار الصومال والصراع الدائر هناك، وعمليات القرصنة، والتواجد الأمريكي في القرن الإفريقي، ثم توجه الاهتمام نحو موضوع تركيا والاتحاد الأوربي بنسبة بلغت (05,46%) وهو موضوع مهم جدا يتعلق بانضمام دولة مسلمة إلى كتل دول مسيحية، تلا ذلك الحديث عن موضوع "المسلمون في أوروبا الشرقية" بنسبة بلغت (02,82%)، وركزت الفئة على رصد الأخبار والتعليقات والتحليل التي تعنى بالشأن الإسلامي في أوروبا الشرقية، لتجد من ذلك موضوعات الحرب ضد الشيشان، القواعد الخلفية للقاعدة في أوروبا الشرقية، مشاركة دول أوروبا الشرقية في التحالف الدولي ضد الإرهاب، القواعد الأمريكية في أوروبا الشرقية، الأزمة الأمنية في كوسوفو ، ومحاكمة (سلوبودان ميلوسوفيتش Slobodan Milosovic) وغيرها من الموضوعات التي غلب فيها الجانب الأمني والعسكري على باقي الجوانب الأخرى، عقب ذلك توجه اهتمام الصحيفة نحو الحديث عن "القاعدة في بلاد المغرب" وبنسبة ضعيفة جدا لم تتجاوز (01,53%)، آخر مراتب التغطية والتحليل في سنة (2001) كان لصالح فئة " معتقل غوانتانامو" بنسبة بلغت (00,12%)، وهي اضعف النسب ولاشك أن ذلك له ما يبرره إذا ما تتبعنا كرونولوجيا أحداث الحادي عشر من سبتمبر، حيث أن العمل به لم يبدأ حتى سنة 2002، ومع ذلك كانت إشارات له كون الحديث عنه وإرهاصات استغلاله في الخطاب الأمريكي بدأت تظهر.

سنة (2009): بينت نتائج الدراسة التحليلية لمضامين هذه الفئة أن الصحيفة وجهة تغطيتها بصفة أكبر نحو موضوعات فئة "الحرب على أفغانستان" بنسبة بلغت (27,12%) وذلك لما حازته أخبار هذه الحرب وتداعياتها السياسية والإنسانية والأمنية والجيوسياسية، من اهتمام وتغطية وحركية إعلامية غير مسبوقة على مدى عشرية كاملة من الزمن، بل ولا تزال تشكل إلى اليوم في كثير من الأحيان محور الصدارة في التداول

الإعلامي العالمي، تبع ذلك الاهتمام بالحديث عن "احتلال العراق" بنسبة بلغت (12,37%) وهذه ليست ابعده من تلك في الوصف والتداعيات، فأخبارها غطت الساحة الإعلامية ووجها الموازي غدا من أكبر مآسي الإنسانية في هذا العصر، فضلا على تداعيات احتدام التنافس الدولي والصراع حول هذه البقعة النفطية الأضخم في العالم، بين الولايات المتحدة، وبريطانيا وفرنسا وإيران وباقي الطامعين، ثم تلا ذلك الحديث عن "باكستان" بنسبة بلغت (12,25%) ولاشك تقدمت هذه النسبة لارتباطها الوثيق بالفئات السابقة من جهة، وتضمنها بعض الخصوصية من جهة أخرى على غرار التنافس النووي الباكستاني الهندي، والأوضاع السياسية والأمنية الداخلية، الموقع والعلاقة مع تنظيم القاعدة، القواعد الأمريكية، أعقب الحديث عن باكستان الحديث "إيران" بنسبة (09,50%) وهي الأخرى حازت اهتماما ملحوظا من قبل الصحافة، وقد شكل غالب موضوعاتها قضايا المعارضة الإيرانية، الحريات الدينية في إيران، النظام الإيراني، إيران وعلاقتها الدولية وتداعياتها على منطقة الشرق الأوسط والأمن والاقتصاد العالميين، أعقب ذلك الحديث عن موضوع "المسلمون في معتقل غوانتانامو" بنسبة بلغت (09%) وهو اهتمام مميز خاصة حاولت من خلاله الصحافة عرض موقفها الأخلاقي والإنساني الرفض والناقد للإستراتيجية الأمريكية في التعامل مع الإرهاب، خامس مراتب الاهتمام في تغطيات الصحافة خص بموضوع "تركيا والاتحاد الأوروبي" بنسبة بلغت (06,62%) ومن أهم قضايا هذه الفئة التي همت الصحافة كان مسألة الانضمام إلى الاتحاد، المشكلة القبرصية، تركيا والعراق وقضايا الشرق الأوسط، بعد ذلك غطت الصحافة موضوعات "القاعدة في بلاد المغرب" بنسبة بلغت (04,12%) وهو موضوع حساس، ومتغير فاعل في هذا السياق، لذلك عمدت الدراسة على عزله عن موضوعات فئة "قضايا المغرب العربي" وقد وجد في الصحافة مكانه وان لم يكن كبيرا من حيث حجم التغطية، وبالأخص عند الحديث عن أعمال العنف المختلفة التي شهدتها بلاد المغرب العربي، أعقبه الحديث عن فئة "المسلمون في القرن الإفريقي" بنسبة بلغت (04%)، ثم "الإسلام وقضايا المرأة" بنسبة بلغت (03,87%) وقد صعب استخلاص هذه الفئة نظرا لتداخلها مع جميع الفئات إذ تذكر قلما تفرد الفئة بالتحليل، بل عادة المرأة في ظل الحديث عن أقاليم جغرافية أو دول وحيزات حضارية محددة (المرأة في الشرق الأوسط، المرأة في إيران، المرأة المسلمة في الغرب...)، ثم أعقب ذلك الحديث عن "السودان" وقضاياها الداخلية والدولية بنسبة بلغت (02,25%)، ثم بعد ذلك تلا الحديث عن فئة "المسلمون في أوروبا الشرقية" بنسبة بلغت (01,87%) وذلك من خلال ما يحدث أعمال عنف في هذه الأقاليم، وتحقيقات قضائية تتعلق

بمجازر النظم السابقة في حق الأقليات المسلمة، ومشاركة دوليات المنطقة في الحرب على الإرهاب، وأوضاع الأقليات الدينية هناك، آخر مراتب من اهتمامات الصحيفة في ما يتعلق بهذه الفئة لهذه السنة كان حول " الإسلام وحقوق الإنسان " بنسبة بلغت (01,62 %)، ولم تفرد الصحيفة موضوعات بهذه العنوان للحديث عن الإسلام بل ساقته في سياق الحديث عن موضوعات اعم وأعمد تتعلق بالإسلام مظاهر التدين في الإسلام، وحقوق الأفراد والجماعات والحريات العامة والخاصة، ومما يلاحظ على تحليلات هذه الفئة من خلال مراجعة حجم المعالجة :

غالب القضايا التي عالجتها الصحيفة في هذا السياق، لها صلة من قريب أو بعيد بالحرب أو العنف أو القتل والتطرف والتشدد، ما يكرس لدى القارئ من خلال التكرار ان الإسلام والعنف والإرهاب والتشدد قرناء لا ينفصلون عن بعضهم البعض في عالم اليوم، وهذه أمر خطير تعمل الصحيفة على رسمه وطبعه في أذهان القراء بقصد أو غير قصد.

5-2-1. القضية الفلسطينية .

جدول رقم (13) يوضح : توزيع فئات (القضية الفلسطينية) خلال فترتي التحليل (2001)-(2009).

| 2009 | | (2001) | | القضية الفلسطينية |
|--------|---------|----------|---------|-------------------------------|
| النسبة | التكرار | النسبة | التكرار | |
| 16,82 | 37 | 35,20 | 88 | 1- الاحتلال الإسرائيلي. |
| 28,18 | 62 | 6,80 | 17 | 2- الدعم الأمريكي الصهيوني. |
| 9,09 | 20 | 8,40 | 21 | 3- الاستيطان. |
| 15,00 | 33 | 3,60 | 09 | 4- صراع فلسطيني الداخلي. |
| 18,64 | 41 | 21,60 | 54 | 5- مبادرات السلام. |
| 12,27 | 27 | 24,40 | 61 | 6- حركات المقاومة الإسلامية . |

| | | | | | | |
|-------|-------------|----------|----------|----------|----------|--|
| 100 | 220 | 100 | 250 | المجموع | | |
| الثقة | درجة الحرية | الجدولية | المحسوبة | الجدولية | المحسوبة | |
| % 95 | 5 | 1 | 0,73 | 2,57 | 0,12 | |

بينت نتائج المعالجة الإحصائية لفئة "القضية الفلسطينية" إلى عدم وجود فروق ذات دلالة معنوية ، في ما يتعلق بحجم معالجة الصحيفة للموضوعات المتعلقة بالقضية بين الفترتين (2001)، و(2009)، كما تبين ذلك قيمة اختبار -ت- التي تساوي (0,12) وهي أقل من القيمة الجدولية التي تساوي (2,57) عند درجة حرية (5) ومستوى ثقة (95 %)، مما يفسر إحصائياً بعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى إلى عامل اختلاف الزمن، ويزيد تأكيد ذلك قيمة معامل الارتباط الخطي التي بلغت (0,73) وهي قيمة عالية قريبة من قيمتها الجدولية التي تساوي (1) عند مستوى ثقة (95 %)، مما يفسر إجمالاً بعدم وجود فروق في حجم معالجة صحيفة لوموند الفرنسية لموضوعات القضية الفلسطينية خلال الفترتين (2001) و(2009)، مع وجود بعض التفاوت في أولويات الصحيفة تجاه بعض الموضوعات خلال فترتي الدراسة، والقراءة النسبية التفصيلية تكشف ذلك :

احتل الحديث عن "الاحتلال الإسرائيلي" مركز الصدارة في تحليلات الصحيفة لسنة (2001) بنسبة بلغت (35,20%)، وبانحياز كبير لصالح الكيان الصهيوني وأخباره، واستراتيجياته وتوجهاته على حساب أخبار ومعاونة الفلسطينيين، غير أن هذه الدرجة الانحياز لم تثبت طويلاً مع الصحيفة بل نسبياً سنة (2009) مع هذه الفئة- الاحتلال الإسرائيلي - لتصل إلى (12,27%) من خلال تحول ملحوظ في مجالات وموضوعات التغطية.

أما في سنة (2009) فقد شكل راس الاهتمام والتركيز في تحليلات الصحيفة فئة "الدعم الأميركي الصهيوني" والملمح البارز في هذا السياق والتحليلات والمعالجات ظهور موقف الناقد والمستنكر للموقف الأميركي، وفي المرتبة الثانية لسنة (2001)، نجد فئة "حركات المقاومة الإسلامية في فلسطين" بنسبة (24,40%)، وهي ذات المرتبة في تغطية سنة (2009)، مع نسبة أقل قليلاً بلغت (18,64%)، عقب ذلك تحولت الصحيفة سنة (2001)، في الاهتمام والمعالجة إلى موضوع "المستوطنات" بنسبة بلغت (08,40%)، خامس مراتب المعالجة لسنة (2001)، نجده لدى فئة "الدعم الأميركي الصهيوني" بنسبة بلغت

(06,80%) أما سنة (2009) فقد عادت الصحيفة بشكل ملحوظ لتركز اهتمامها أكثر نحو فئة " مبادرات السلام " بنسبة بلغت (12,27%).

آخر الترتيب في المعالجة سنة (2001)، كان لصالح فئة "الصراع الفلسطيني الفلسطيني" بنسبة بلغت (03,60%) ، هذه الفئة التي احتلت المرتبة الرابعة في تغطية سنة (2009) بنسبة (15,00%).

5-3 القراءة الكمية المقارنة لنتائج التحليل فئة القيم.

5-1.3 القيم الايجابية والسلبية خلال فترتي الدراسة

جدول رقم (14) يوضح : توزيع فئات (القيم) خلال فترتي التحليل (2001-2009).

| القيم السلبية | | القيم الايجابية | | سنة التحليل |
|---------------|---------|-----------------|---------|-------------|
| النسبة % | التكرار | النسبة % | التكرار | |
| 60,79 | 726 | 39,21 | 309 | سنة 2001 |
| 54,83 | 598 | 45,17 | 479 | سنة 2009 |
| 62,69 | 1324 | 37,31 | 788 | مجموع القيم |

| الثقة | درجة الحرية | ر جدول | ر حساب | ت جدول | ت حساب |
|-------|-------------|--------|--------|--------|--------|
| 95 % | 1 | 01 | 01 | 12,71 | 0,83 |

بينت نتائج المعالجة الإحصائية لإجمالي فئات القيم أن ليست هناك فروق ذات دلالة إحصائية تعزى إلى التفاوت الزمني لمرحلي الدراسة في معالجة الصحيفة لقضايا الإسلام والمسلمين بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001)، كما تشير إلى ذلك قيمة معامل اختبار الفروق -ت- التي تساوي (0,83) وهي قيمة بعيدة جدا عن القيمة الجدولية التي تساوي (12,72)، بما يعني أن الصحيفة بقيت ثابتة في تغليب قيم على قيم طيلة فترتي الدراسة، يؤكد ذلك قيمة معامل الارتباط التي بلغت (1)، وهي قيمة عالية جدا ومساوية للقيمة

الجدولية عند درجة حرية واحد ومستوى ثقة (0,05)، ما يفسر بوجود ارتباط قوي في النتائج خلال فترتي الدراسة، إن هذا التطابق في النتائج والثبات في الفروق كما تكشفه بيانات الجدول يبين أن الصحيفة على اختلاف فترتي الدراسة تغلب القيم السلبية على القيم الإيجابية عند معالجتها موضوعات الإسلام وقضايا المسلمين، إذ بلغت نسبة إجمالي القيم السلبية (62,69%) خلال فترتي الدراسة، مقابل (37,31%) للقيم الإيجابية، ونتائج الجدول التفصيلية تشير إلى أن الصحيفة ركزت في ربط القيم السلبية بالإسلام والمسلمين سنة (2001)، أكثر من سنة (2009)، إذ بلغت نسبة القيم السلبية سنة (2001) (60,79%) مقابل (39,21%) سنة (2009)، فيما لم تتعد نسبة القيم الإيجابية سنة (2001) (39,21%)، و (45,1) % سنة (2009).

هذه النتائج المتوصل إليها فيما يتعلق بهذه الفئة توضح أن صحيفة لوموند الفرنسية هيأت نفسها -بقصد أو غير قصد- للسير في ركب العداة والتحامل والتنميط السلبي للإسلام والمسلمين في الإعلام الغربي، ومكنت نفسها لأن تكون رافداً من روافد الإعلام المنحاز والمضلل، إن لهذا التركيز على القيم السلبية في معالجة قضايا الإسلام والمسلمين بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر خلفيته وفلسفته الضاربة في عمق التاريخ والفكر الغربيين منذ البدايات الأولى للإسلام والغرب، مروراً ب. والتي تعمل على معادة الإسلام والتحريض ضد المسلمين وتشويه قضاياهم، وغرس صورة نمطية قائمة عنهم في المخيال الغربي، ولعبت أحداث الحادي عشر من سبتمبر الذريعة لتعميق الجراح وتعتميم الصورة من خلال القيم السلبية، لدى الرأي العام العالمي والغربي بصفة خاصة، في وقت كان يفترض منها التعامل بموضوعية ومهنية راقية.

5-2.3 التحليل الكمي لنتائج فئة القيم السلبية .

جدول رقم (15) يوضح : توزيع فئات (القيم السلبية) خلال فترتي التحليل (2001 -2009).

| 2009 | | (2001) | | القيم السلبية |
|--------|---------|----------|---------|-------------------------------------|
| النسبة | التكرار | النسبة | التكرار | |
| 11,54 | 69 | 13,22 | 96 | 1- رفض الإسلام والتعايش مع المسلمين |
| 7,02 | 42 | 12,12 | 88 | 2- التحامل على الإسلام والمسلمين |
| 9,20 | 55 | 13,77 | 100 | 3- التمييز ضد الإسلام والمسلمين |

| | | | | | |
|-------|-------------|--------|--------|-------------------------------------|--------|
| 10,54 | 63 | 14,05 | 102 | 4-التعصب ضد الإسلام والمسلمين | |
| 36,12 | 216 | 31,54 | 229 | 5-العنف | |
| 25,59 | 153 | 15,29 | 111 | 6-التحريض على حرب الإسلام والمسلمين | |
| 100 | 598 | 100 | 726 | المجموع | |
| الثقة | درجة الحرية | ر جدول | ر حساب | ت جدول | ت حساب |
| 95 % | 5 | 0,75 | 0,88 | 02,57 | 0,56 |

بينت نتائج المعالجة الإحصائية فيما يتعلق بفئة "القيم السلبية" خلال فترتي الدراسة، أن ليست هناك فروق ذات دلالة إحصائية في المعالجة بين سنتي (2001 - 2009)، كما تشير إلى ذلك قيمة معامل اختبار الفروق -ت- التي بلغت (0,56) وهي قيمة أقل بكثير من القيمة الجدولية التي تساوي (02,57) عند درجة حرية (5) ومستوى ثقة (95 %)، كما يفسر هذا الثبات في المعالجة، وغياب الفروق قيمة معامل الارتباط التي بلغت (0,88)، وهي قيمة عالية ومعتبرة وأكبر من القيمة الجدولية التي تساوي (0,75) عند درجة حرية (5) ومستوى ثقة (0,05)، ما يفسر بوجود ثبات في طبيعة المعالجة بالقيم السلبية في تغطية وتحليلات الصحيفة طيلة فترتي الدراسة، والقراءة التفصيلية بالنسب توضح ذلك:

فخلال فترتي الدراسة (2001 / 2009): احتلت " قيم العنف " المرتبة الأولى في تحليلات الصحيفة وتغطيتها لقضايا الإسلام والمسلمين بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر بنسبة بلغت (31,54 %) سنة (2001)، و(36,12 %) سنة (2009) وهذه النسبة الأخيرة أعلى من سابقتها، مما يؤشر إلى ملمح بارز في تحليلات الصحيفة وتغطيتها من خلال الدراسة التحليلية، إذ لا نكاد نجد عنوانا يتعلق بالإسلام والمسلمين إلا وله ارتباط من جهة ما بقيمة من قيم العنف، وكأني بالصحيفة تتقصد ربط الإسلام بالعنف في ذهن القارئ آليا، ويزيد هذه المعضلة سوءا توجه الصحيفة نحو نشر قيم "التحريض على الحرب ضد الإسلام والمسلمين" وبنسبة معتبرة خلال فترتي الدراسة، بلغت (15,29 %) سنة (2001)، و(25,59 %) سنة (2009)، ويلاحظ من خلال القراءة الإحصائية أن الفئتين سالفتي الذكر شكلتا ثلاثا حجم التغطية سواء في (2001)، أو في (2009)، ما يعكس تمسك الصحيفة بموقف معادي ومحرض ضد الإسلام وقضايا المسلمين.

اتبع ذلك وينسب متقاربة سنة (2001)، فئات كلا من " التمييز ضد الإسلام والمسلمين " بنسبة (13,77%)، و" رفض الإسلام والتعايش مع المسلمين " و" التعصب ضد الإسلام والمسلمين " بنسبة (13,22%) لكل منهما، وهي الأخر نسب معتبرة كما وكيفاً تعكس الموقف السلبي للصحيفة من التواجد الإسلامي في فرنسا والغرب عموماً، خاصة غداة أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001)، وفي آخر مراتب هذه الفترة من التحليل (2001)، نجد فئة قيم "التحامل على الإسلام والمسلمين " بنسبة (12,12%)، أما سنة (2009) : فكان ثالث المراتب لصالح فئة قيم " رفض الإسلام والتعايش مع المسلمين " بنسبة بلغت (11,54%)، ثم فئة قيم "التعصب ضد الإسلام والمسلمين " بنسبة (10,54%)، وفي المرتبة الخامسة فئة قيم " التمييز ضد الإسلام والمسلمين " بنسبة (9,20%)، أما آخر المراتب فنجد فئة قيم "التحامل على الإسلام والمسلمين " بنسبة (7,02%)، والقراءة الأولية توضح أن كل النسب الواردة معتبرة في حجمها ودلالاتها ما بنذر بخاطر القيم السلبية المتضمنة في تحليلات الصحيفة وتغطياتها لشأن إسلام وقضايا المسلمين.

5-3 التحليل الكمي لنتائج فئة القيم الايجابية.

جدول رقم (16) يوضح : توزيع فئات (القيم الايجابية) فترتي التحليل (2001 – 2009).

| 2009 | | (2001) | | القيم الايجابية |
|--------|---------|----------|---------|---|
| النسبة | التكرار | النسبة | التكرار | |
| 16,91 | 81 | 14,24 | 44 | 1- احترام الدين الإسلامي ومقدسات المسلمين |
| 18,37 | 88 | 18,12 | 56 | 2- التعاون مع المسلمين |
| 15,45 | 74 | 10,36 | 32 | 3- تقبل الإسلام والمسلمين |
| 15,31 | 36 | 10,03 | 31 | 4- تفهم خصوصية الإسلام والمسلمين |
| 64,20 | 75 | 25,24 | 78 | 5- الإقرار بايجابية الإسلام |
| 15,66 | 75 | 22,01 | 68 | 6- السلم |
| 100 | 479 | 100 | 309 | المجموع |

| ت حساب | ت جدول | ر حساب | ر جدول | درجة الحرية | الثقة |
|--------|--------|--------|--------|-------------|-------|
| 0,06 | 02,57 | 0,69 | 0,75 | 6 | 95 % |

بينت نتائج المعالجة الإحصائية المتعلقة بفئة "القيم الايجابية" خلال فترتي الدراسة، أن ليست هناك فروق ذات دلالة إحصائية في المعالجة بين سنتي (2001-2009)، كما تشير إلى ذلك قيمة معامل اختبار الفروق -ت- التي بلغت (0,06) وهي قيمة ضعيفة جدا وأقل بكثير من القيمة الجدولية التي تساوي (02,57) عند درجة حرية (6) ومستوى ثقة (95 %)، كما يفسر هذا الغياب الفروق قيمة معامل الارتباط التي بلغت (0,69)، وهي قيمة أقل من القيمة الجدولية التي تساوي (0,75) عند درجة حرية (5) ومستوى ثقة (0,05)، وملخص المعالجة الإحصائية أن الفروق في طبيعة المعالجة بالقيم الايجابية عند تغطية الصحيفة لموضوعات الإسلام والمسلمين طيلة فترتي الدراسة موجودة ودلالاتها الإحصائية معتبرة، مع ضعف في الارتباط يرجع إلى تفاوت في ترتيب فئات دون أخرى، والقراءة التفصيلية للنسب توضح ذلك:

ففي سنة (2001) : كانت المرتبة الأولى في تحليلات الصحيفة وتغطيتها لقضايا الإسلام والمسلمين بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر في سياق هذه الفئة لصالح فئة "الإقرار بايجابية الإسلام" بنسبة بلغت (25,24 %)، (2001) ، يليها في المرتبة الثانية تغطية موضوعات الإسلام والمسلمين في سياق فئة "السلم" بنسبة معتبرة بلغت (22,01 %) سنة (2001) ، متبوعة بفئة "التعاون مع المسلمين" دولا وشعوبا وجماعات وذلك بنسبة (18,12 %)، ثم فئة "احترام الدين الإسلامي ومقدسات المسلمين" في المرتبة الرابعة بنسبة (14,24 %)، ويلاحظ أن هذه النسب الأربعة سالفة الذكر في مجموعها (79,61 %) معتبرة جدا ومهمة تؤثر إلى وجود شريحة لا بأس بها لدى بالصحيفة تحترم أو على الأقل لها شيء من التحفظ عن السب والتعميم والتشويه تجاه الإسلام والمسلمين، رغم أن الواقع الإعلامي والسياسي العام آنذاك لا حديث له في السياق إلا عن الحرب والمهجمات والإرهاب وغيرها، وقد يكون سبب هذا ما يكتبه بعض المسلمون العاملون في الصحيفة أو المتعاقدين معها، يتبع ذلك وفي المرتبة الخامسة بنسبة (10,36 %) فئة "تقبل الإسلام والمسلمين" ، وآخر الترتيب بنسبة (10,03 %) كان لصالح فئة " تفهم خصوصية الإسلام والمسلمين " .

أما في سنة (2009) فقد شكلت فئة "الإقرار بايجابية الإسلام" راس الاهتمام في سلم القيمة الايجابية بنسبة بلغت (64,20 %)، وهي نفسها المرتبة التي حازتها هذه الفئة فترة (2001) من التحليل، مما

يعكس ثبات الصحيفة على هذه القيمة رغم ما شاب هذه الفترات من توتر وحساسية تجاه الإسلام والمسلمين، يليها في المرتبة الثانية فئة " التعاون مع المسلمين " وبنسبة مهمة بلغت (18,37 %) ، يلي ذلك في المرتبة الثالثة وبنسبة (16,91 %) فئة " احترام الدين الإسلامي ومقدسات المسلمين " ، تعقبها فئة " السلم " بنسبة (15,66 %) ، ثم فئة " تقبل الإسلام والمسلمين " في المرتبة الخامسة بنسبة (15,45 %) ، وآخر الترتيب كان لصالح فئة " تفهم خصوصية الإسلام والمسلمين " بنسبة (13,15 %) ، والملح البارز في السياق هو تسجيل نوعاً من التراجع في موقف عن موقفها المتحامل والمعادي أو التحفظ على الأقل في رصد موضوعات الإسلام والمسلمين بعد مرور ثمان سنوات من أحداث الحادي عشر من سبتمبر، فرغم و (25,59 %) سنة (2009)، ويلاحظ من خلال القراءة الإحصائية أن الفئتين سالفتي الذكر شكلتا ثلاثاً حجم التغطية سواء في (2001) ، أو في (2009) ، ما يعكس تمسك الصحيفة بموقف معادي ومحرض ضد الإسلام وقضايا المسلمين.

4-5 القراءة الكمية المقارنة لنتائج تحليل فئة المصادر.

جدول رقم (17) يوضح : توزيع فئات (فئة المصادر) خلال فترتي التحليل (2001-2009).

| فئة المصادر | 2001 | | 2009 | |
|--------------------|---------|--------|---------|--------|
| | التكرار | النسبة | التكرار | النسبة |
| 1- وكالات الأنباء | 154 | 26,37 | 277 | 26,74 |
| 2- المراسل الصحفي | 294 | 50,34 | 477 | 46,04 |
| 3- شخصيات | 78 | 13,36 | 176 | 16,99 |
| 4- صحف أخرى | 27 | 4,62 | 0 | 0,00 |
| 5- محطات تلفزيونية | 12 | 2,05 | 0 | 0,00 |
| 6- قراء | 0 | 0,00 | 0 | 0,00 |
| 7- دون توقيع | 19 | 3,25 | 106 | 10,23 |

| | | | | | |
|-------|-------------|--------|--------|---------|--------|
| 100 | 1036 | 100 | 584 | المجموع | |
| الثقة | درجة الحرية | ر جدول | ر حساب | ت جدول | ت حساب |
| % 95 | 6 | 0,71 | 0,97 | 2,44 | 0,43 |

بينت نتائج المعالجة الإحصائية فيما المتعلقة بفترة " مصادر المادة الإعلامية " خلال فترتي الدراسة، أن ليست هناك فروق ذات دلالة إحصائية تعزى إلى عامل اختلاف فترتي التحليل (2001)-(2009)، في سياق رصد المصادر التي اعتمدها الصحيفة في معالجة وتغطية موضوعات الإسلام والمسلمين فترة الدراسة، كما تشير إلى ذلك قيمة معامل اختبار الفروق -ت- التي بلغت (0,43) وهي قيمة أقل من القيمة الجدولية التي تساوي (02,57) عند درجة حرية (6) ومستوى ثقة (95 %)، كما يفسر هذا الثبات في الاعتماد على "المصادر الإعلامية" خلال فترتي التحليل وغياب الفروق، قيمة معامل الارتباط التي بلغت (0,97)، وهي قيمة عالية ومعتبرة وأكبر من القيمة الجدولية التي تساوي (0,71) عند درجة حرية (6) ومستوى ثقة (0,05)، ما يفسر بعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في طبيعة المصادر الإعلامية المعتمدة في تغطية أخبار وموضوعات الإسلام والمسلمين خلال فترتي الدراسة التحليلية، والقراءة التفصيلية للنسب توضح ذلك: فمن خلال الجدول يلاحظ تنوع المصادر التي اعتمدت عليها صحيفة " Le

Monde " في تقديم مضمونها الإعلامي المتعلق بالإسلام والمسلمين، معتمدة في ذلك بدرجة أولى على "الصحفيين" بنسبة (50,34 %) سنة (2001) و(46,04 %) سنة (2009)، ويلاحظ هنا مدى ارتفاع النسبتين كون الصحيفة لها أكبر المؤسسات الإعلامية اليومية النخبوية في العالم، والتي تضم طاقما هائلا من الخبراء والمختصين، يمكنها من الانتشار والاعتماد على الذات في رصد مختلف الموضوعات بما فيها موضوع الإسلام والمسلمين، في المرتبة الثانية من اعتماد الصحيفة نجد "وكالات الأنباء" بنسبة (26,37%) و(26,74%) سنة (2009)، يذكر في هذا السياق أن أكثر من (50 %) من هذه النسبة لفترتي الدراسة، خص بالاعتماد على وكالة الأنباء الفرنسية " AFP "، والشطر الباقي من النسبة لباقي وكالات الأنباء العالمية، في ملمح إلى مدى اعتماد الصحيفة في المعالجة والتغطية على المصادر الذاتية والمحلية القريبة أكثر من اعتمادها على المصادر الخارجية، في المرتبة الثالثة نجد الصحيفة اعتمدت على "الشخصيات" العالمية والمحلية والنخبة المعروفة في السياق بنسبة بلغت (13,36%) سنة (2001)، و(16,99%) سنة (2009)،

وهي نسبة لا بأس بها كون موضوع الإسلام والمسلمين، و أحداث الحادي عشر من سبتمبر من الأهمية مكان رصد معاملة من وجهات نظر متعددة ومتنوعة لفهمها واستخلاص تداعياته المرحلية والإستراتيجية على الواقع الفرنسي خصوصا والواقع الغربي والعالمي عموما، رابع مراتب الاعتماد للصحيفة في سنة (2001) كان لصالح فئة "صحف أخرى" بنسبة (4,62 %) ، ولاشك أن غمرة الأحداث وتسارع تداعياتها جعل الصحيفة تنهل من صحف أخرى مادتها الإعلامية ، بينما لم توظف ذلك مطلقا سنة (2009)، ونفس الأمر فيما يخص الاعتماد على "محطات تلفزيونية" سنة (2001) بلغت نسبتها (2,05 %)، وانعدمت سنة (2009) .

وما يتعلق برابع الترتيب وآخرها سنة (2009) -لأن باقي الفئات (صحف أخرى، محطات تلفزيونية، قراء)، انعدمت قيمها - فكان من مصادر "دون توقيع" بنسبة (10,23 %) أما "القراء" فلم يكن لهم حضور يذكر في الصحيفة خلال فترتي التحليل لا سنة (2001) ولا (2009).

5-5 القراءة الكمية المقارنة لنتائج فئة الشكل، كيف قيل ؟

5-1.5 القراءة الكمية المقارنة لنتائج التحليل فئة موقع النشر.

جدول رقم (18) يوضح : توزيع فئات (موقع النشر) خلال فترتي التحليل (2001-2009).

| 2009 | | 2001 | | فئة موقع النشر |
|--------|-------------|---------|----------------|----------------------|
| النسبة | التكرار | النسبة | التكرار | |
| 23,94 | 248 | 16,78 | 98 | 1-الصفحة الاولى |
| 0,00 | 0 | 0,34 | 02 | 2-الصفحة الأخيرة |
| 69,31 | 718 | 66,27 | 387 | 3-الصفحات الداخلية |
| 6,76 | 70 | 16,61 | 97 | 4-صفحة مفردة أو ملحق |
| 100 | 1036 | 100 | 584 | المجموع |
| الثقة | درجة الحرية | دلالة ر | معامل الارتباط | ت الجدولية |
| | | | | ت محسوبة |

| | | | | | |
|------|---|------|------|------|------|
| 95 % | 3 | 0,88 | 0,97 | 0,76 | 0,56 |
|------|---|------|------|------|------|

بداية من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن لمكان نشر الخبر أو التحليل على الصحيفة أهمية قصوى يمكن أن تؤثر إلى الاهتمام والموقف والاتجاه من أي حدث، فلا شك أن الخبر المنشور على الصفحة الأولى أكثر دلالة على الاهتمام من الخبر المنشور على الصفحة الثانية أو الثالثة، والذي على يمين الصفحة أكثر جاذبية للقارئ عن الذي في يسارها، وأعلى الصفحة يجذب العين عن أسفل الصفحة، والصفحة الأخيرة أهم من الصفحات الداخلية ... من هذا المنظور استخدمت الدراسة هذه الفئة مقسمة إياها أربعة فروع حسب الأهمية، الصفحة الأولى والصفحات الداخلية، صفحات فردة أو ملحق، الصفحة الأخيرة، وفي هذا السياق بينت نتائج المعالجة الإحصائية المتعلقة بفئة "موقع النشر على الصحيفة" خلال فترتي الدراسة، أن ليست هناك فروق ذات دلالة إحصائية في تحديد موقع النشر على الصحيفة بين سنتي (2001-2009)، كما توضح ذلك نتيجة اختبار الفروق -ت- التي بلغت (0,56) وهي قيمة أقل من القيمة الجدولية التي تساوي (0,76) عند درجة حرية (3) ومستوى ثقة (95%)، ويؤكدها كذلك قيمة معامل الارتباط التي بلغت (0,97)، وهي قيمة عالية ومعتبرة وأكبر من القيمة الجدولية التي تساوي (0,88) عند درجة حرية (3) ومستوى ثقة (0,05)، ما يفسر إحصائياً بعدم وجود فروق ذات دلالة تعزي إلى متغير زمن التحليل بين المجموعتين، فالصحيفة بقيت ثابتة في توظيف مواقع النشر فيما يتعلق بموضوعات الإسلام والمسلمين سواء غداة الأحداث أو بعد مرور ثمان سنوات من الحدث، القراءة التفصيلية للنسب توضح ذلك: خلال فترتي التحليل لم تغير الصحيفة من منهجها في تحديد مواقع نشر الأخبار والتحليل المتعلقة بالإسلام والمسلمين، حيث ركزت بدرجة أولى في النشر على "الصفحات الداخلية"، وذلك بنسبة بلغت (66,27%) سنة (2001)، و(69,31%) سنة (2009)، أعقبها النشر على "الصفحة الأولى" بنسبة (16,78%) سنة (2001)، و(23,94%) سنة (2009)، أعقبها النشر على الصفحة "صفحة مفردة داخل الصحيفة أو ملحق" خاص بقضية من قضايا الإسلام والمسلمين، وذلك بنسبة (16,61%) سنة (2001)، و(6,76%) سنة (2009)، أما آخر المراتب في مواقع النشر فكان النشر على "الصفحة الأخيرة" بنسبة بلغت (0,34%) سنة (2001)، وفيما انعدمت النسبة كلية في فترة التحليل سنة (2009).

5-2.5 فئة أسلوب الإقناع.

جدول رقم (19) يوضح : توزيع فئة (أساليب الإقناع) فترتي التحليل (2001 – 2009).

| 2009 | | (2001) | | فئة أساليب الإقناع |
|--------|---------|----------|---------|---|
| النسبة | التكرار | النسبة | التكرار | |
| 51,16 | 530 | 49,49 | 289 | 1- الأسلوب المباشر(التصريحات المباشرة للقادة) |
| 30,69 | 318 | 12,33 | 72 | 2- أسلوب الأرقام والتواريخ والإحصاءات.... |
| 7,82 | 81 | 8,56 | 50 | 3- الإستمالات العاطفية |
| 5,60 | 58 | 23,29 | 136 | 4- أسلوب الاستدلال بالمصادر والمراجع العلمية |
| 4,73 | 49 | 6,34 | 37 | 5- الكاريكاتير (الأسلوب الساخر) |
| 100 | 1036 | 100 | 584 | المجموع |
| % 95 | 0,81 | ر جدول | 0,78 | ر حساب |
| | | | 2,78 | ت جدول |
| | | | 0,42 | ت حساب |

بينت نتائج المعالجة الإحصائية لفئة " فئة أساليب الإقناع " إلى عدم وجود فروق ذات دلالة معنوية، في ما يتعلق "نوعية الأساليب الإقناعية" التي تستخدمها صحيفة لوموند الفرنسية عند عرض ما يتعلق بالإسلام وقضايا المسلمين خلال الفترتين (2001 و 2009) ، كما تبين ذلك قيمة اختبار -ت- التي تساوي (0,42) وهي أقل من القيمة الجدولية التي تساوي (2,78) عند درجة حرية (5) ومستوى ثقة (95 %)، مما يفسر إحصائياً بعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى إلى عامل اختلاف الزمن، ويزيد تأكيد ذلك قيمة معامل الارتباط الخطي التي بلغت (0,78) وهي قيمة عالية قريبة من قيمتها الجدولية التي تساوي (0,80) عند مستوى ثقة (95 %)، مما يفسر إجمالاً بعدم وجود فروق في " نوعية الأساليب الإقناعية " التي تستخدمها صحيفة لوموند الفرنسية عند عرض ما يتعلق بالإسلام وقضايا المسلمين خلال الفترتين المعينتين بالدراسة (2001) و(2009)، مع أن القراءة النسبية تكشف وجود بعض التفاوت في أولويات الصحيفة تجاه "استخدام أساليب دون غيرها خلال فترتي الدراسة" :

ففي سنة (2001)، ركزت الصحيفة أثناء تغطيتها للإسلام وقضايا المسلمين على استخدام " الأسلوب المباشر (في سرد الوقائع ونقل تصريحات القادة والسياسيين وفاعلي الحدث مباشرة)" بنسبة بلغت (49,49 %)، وهي نفس المرتبة التي احتلها هذا الاستخدام سنة (2009)، مما يعني ان الصحيفة تركز على الوصول إلى مصدر الخبر، ونقل حيثياته مباشرة دون اللجوء إلى التأويل أو التفسير أو توظيف أساليب أخرى، ولا غرو أن لهذا الثبات أسباب عديدة منها ما يرجع إلى إمكانات الصحيفة المادية والبشرية، ومهنتها، فللصحيفة المؤهلات الضخمة التي تؤهلها لأن أن تكون حاضرة في عين المكان لنقل الأخبار وتفاصيل الحوادث من حينها وفعاليتها،

✓ تملك الصحيفة شبكة ضخمة من المراسلين على مستوى جل المناطق الساخنة في العالم بما فيها دول العالم الإسلامي .

✓ ثبات العديد من الصحفيين والكتاب والنقاد في الصحيفة على مساحتهم المخصصة لسنوات مما يجعل إمكانية التحول أمرا غير وارد .

✓ تسارع الأحداث وتدايها وحركية الفاعلين مكن لهذا الاستخدام من أن يطغى على تحليلات الصحيفة .

✓ إن لهذا النوع من الاستخدام أهمية بالغة فيما يمكن أن يضيفه على الصحيفة من مصداقية ومهنية في التعامل مع الأخبار والوقائع، ويجنبها الكثير من التأويلات القريبة والبعيدة وتشويه الحقائق.

✓ أين الخلل؟ في أن الصحيفة تستضيف آراء واتجاهات دون أخرى، أو تغطي موضوعات مباشرة ولكن من وجهة نظر مختلفة .

في المرتبة الثانية من الاستخدام نجد أن الصحيفة سنة (2001)، تستخدم أسلوب " أسلوب الاستدلال بالمصادر والمراجع العلمية المتخصصة " بنسبة (23,29 %)، والصحيفة في هذا الشأن دقيقة جدا في إسناد المعلومات وتوثيقها وعزوها إلى أصحابها، فإن استخدمت مصدرا من المصادر أو مرجعا من المراجع الأدبية أو العلمية أو التاريخية لا تتواني في الإشارة إليه، إما في متن الموضوع أو إحالة على هوامشه، والصحيفة مميزة جدا في استخدام المصادر والمراجع والمخطوطات العلمية والتاريخية بصفة :

- ✓ توظيف المصادر العلمية في المضامين العلمية الدقيقة .
- ✓ توظيف المصادر التاريخية في رصد أحداث الماضي .

مما يرفع بكثير من مقالاتها وتحليلاتها إلى مرتبة الكتابات العلمية والاكاديمية الدقيقة، وذلك بلا شك مقبولا خصوصا وأن كثيرا من العاملين هم في الأصل خبراء وأساتذة جامعيون، وباحتون كبار كما أن للصحيفة مراكز بحث ومكاتب لفرق بحث علمية وتاريخية متخصصة¹.

5-6 القراءة الكمية المقارنة لنتائج تحليل اتجاه مضامين فئات الموضوع

5-6.1 القراءة الكمية المقارنة لنتائج تحليل اتجاه مضامين فئة " علاقة الإسلام والمسلمين بظاهرة الإرهاب ".

تشير النتائج المتعلقة باتجاهات التغطية الاعلامية لفئة : علاقة الاسلام والمسلمين بظاهرة الإرهاب خلال فترتي التحليل من حيث الاحمال الى عدم وجود فروق دالة إحصائية بين الفترتين تعزى الى طبيعة الاتجاه، إذ غلب على كليهما الاتجاه السلبي في التغطية، بنسبة (67 % سنة (2001) و(80,66 % سنة 2009)، مما يعكس من جهة ثبات توجه الصحيفة تجاه الاسلام وقضايا المسلمين سواء غداة الاحداث أو بعدها بسنوات، ويعكس في ذات الوقت مدى توظيف الصحيفة للصور المغلوطة والمشوهة في تغطية قضايا الاسلام والمسلمين، وخاصة في ما يتعلق بموضوع العنف والإرهاب، وذلك في تناسق وتناغم تام مع ما قررته سلفا أديبات الإستشراق والدراسات اللاهوتية منذ بدايات المد والجزر في العلاقة بين الاسلام والغرب، في المرتبة الثانية من اتجاه التغطية تشير النتائج في سنة (2001) الى وجود (18.35 %) من التغطية إيجابية، ونقصد الإيجابية في هذا السياق أنها معارضة للتنميط والتشويه، وتستخدم منطق الدفاع والاستدلال بمختلف أنواع الأدلة والبراهين على غلط التصورات والتعميمات والاطلاقات الحكمية على الاسلام والمسلمين، والنسبة هذه تعكس في واقع الحال ما يجب على المسلمين في الغرب أو الشرق تعزيزه لتصحيح الصورة، وهو ما لم يقع كما تشير الدراسة التحليلية لسنة (2009) حيث لم تتعد نسبة التغطية الإيجابية (05.65 %)، أما التغطية المحايدة وهي التي تتجنب فيها الصحيفة طرقي الاتهام أو الدفاع بل تتجرد في النقل دونما تأويل قريب أو بعيد، فقد بلغت)

وقف الباحث بنفسه على مثل بعض المكاتب العلمية والادبية المتخصصة، أثناء زيارته لمقر الصحيفة في العاصمة الفرنسية باريس، وقام بمقابلة¹ بعض العاملين او الخبراء الذين زودوه بمعلومات وافية حول هذه المؤسسة الاعلامية والاقتصادية والادبية والسياسية الضخمة، وذلك بتاريخ " 18 جوان 2012"، كما وقف الباحث على مكاتب بيع الإصدارات الخاصة بالصحيفة وغيرها.

14.74 % سنة (2001)، و (13.68 %) سنة (2009). وتفصيلا يمكن تقديم القراءة النسبية للفئات المتضمنة وفق الآتي :

سنة (2001) : بينت نتائج الدراسة التحليلية المتعلقة بفئة الاتجاه في إطار تغطية مضامين فئة : "المسلمون هم من نفذ هجمات الحادي عشر سبتمبر في الولايات المتحدة، أن (77 %) من التغطية كانت في اتجاه سلبي، في حين كانت (22 %) من التغطية في اتجاه ايجابي معارض، بينما لم تتعد نسبة التغطية المحايدة (1 %)، وهذا يعكس مدى تحامل الصحيفة في تغطيتها وحرصها على تحميل المسلمين مسؤولية أحداث الحادي عشر من سبتمبر. ونجد نفس السياق والنسق مع فئة : المسلمون وراء أحداث سبتمبر تدريبا وتمويلا، إذ نجد (62 %) طبيعة التغطية كانت سلبية، و(37 %) من التغطية ايجابية، وهي نسبة معتبرة الى حد ما مقارنة بغيرها وربما يرجع ذلك الى أن الصحيفة ركزت في تحليل هذه الفئة على جماعات ومناطق جغرافية محددة دون سواها ونزهت عن ذلك باقي مناطق الاسلام والمسلمين، أما نسبة التغطيات المحايدة لهذه الفئة فقد إنعدمت كليا. ومع الفئة الموالية وهي : المسلمون أبرياء من هجمات الحادي عشر من سبتمبر، فقد بينت نتائج الدراسة التحليلية المتعلقة بهذه الفئة أن (100 %) من التغطيات كانت في اتجاه سلبي، محملة في ذلك الصحيفة المسؤولية الكاملة وفق عدد من أنماط التأويل والتشويه إلى الاسلام والمسلمين. وللفئة الموالية : التنشئة الدينية للمسلمين مسؤولة عن أحداث الإرهاب في العالم، فقد أشارت القراءة النسبية للاتجاه إلى أن (45 %) من التغطية اتسمت بالسلبية، فيما بلغت نسبة التغطية الايجابية (42 %) وهي من أقوى النسب، تعكس خصوصية هذه الفئة مقارنة مع باقي الفئات المتضمنة، إذ أن الصحيفة تعادي كل أشكال أسلمة الحياة العامة في الواقع العربي والإسلامي معتبرة ذلك مناقض لعلمانية الحياة ولائكيتهما وسببا في ميلاد العنف والإرهاب الإسلامي، فيما بلغت نسبة التغطيات المحايدة لهذه الفئة (12 %). أما فيما يتعلق بفئة: مصادر الإسلام الأساسية (القران ، السنة) تقديس الجهاد وتدعوه له، فقد بينت الدراسة التحليلية أن (73 %) من طبيعة التغطية اتسمت بالسلبية، إذ اعتبرت مصادر الوحي هي فعلا مصدر الارهاب والعنف تحت مسمى الجهاد، وشنعت في وصفها والإساءة إليها متجاهلة كل آيات السلم والأمن ، ومقتضيات الجهاد كما قررها القرآن الكريم والسنة الشريفة، ومع نفس الفئة بلغت نسبة التغطيات الايجابية (26 %) إذ حاولت بعض المقالات خاصة بقلم المسلمين وبعض المنصفين تنزيه مصادر الوحي من العنف والإرهاب، فيما انعدمت نسبة التغطية المحايدة تماما. وفي تغطية فئة: المسلمون في المهجر يوفرون الدعم للمجاهدين في العراق وأفغانستان و

فلسطين، فبينت نتائج التحليل أن (76 %) من التغطية لهذه الفئة كانت محايدة، أي أنها اكتفت بنقل الاخبار دون تأويل أو تحامل أو دفاع، فيما بلغت نسبة التغطية السلبية (23 %)، وانعدمت تماما نسبة التغطية الايجابية. وما يتعلق بفئة : الإسلام يشجع على العنف ضد غير المسلمين، فبينت القراءة النسبية أن (46 %) من التغطية كانت في اتجاه ايجابي ويلاحظ أنها الوحيدة التي بلغت هذه النسبة في هذا السياق، وقد يرجع ذلك كون الصحيفة كثيرا ما نجدتها تفرق بين الاسلام كدين في مبادئه العامة السامية وبين الحركات الاسلامية، والإسلام السياسي المرفوض في منطقتها - كما وضحت الدراسة التحليلية الكيفية- وأشارت الدراسة في السياق أن (40 %) من التغطية كانت محايدة ، و(12 %) من التحليلات اتسمت بالسلبية. وما يتعلق بفئة : الخلط بين الإرهاب و الجهاد و الأصولية و الإسلام، فقد بينت نتائج الدراسة التحليلية للاتجاه أن (78 %) من التغطية اتسمت بالسلبية، في اشارة الى الخلط الكبير الذي ساد تحليلات الصحيفة ومقالاتها وأخبارها، خلطا يربط الاسلام بالجهاد و الأصولية وغيرها من المصطلحات المقاربة اشتقاقا ومعنى، بما يهيئ القارئ الى تقبل الصور النمطية المشوهة والمعادية والسلبية حول الاسلام والمسلمين، بالمقابل لم تتعد نسبة التغطية الايجابية المدافعة الا (6 %) هي نسبة ضعيفة جدا توحى بقلّة الموضوعية في التغطية، وبلغت نسبة التغطية المحايدة التي تحاول ان تكون موضوعية في رصد مضامين هذه الفئة (15 %). وفيما يخص فئة: الخلط بين الإرهاب و المقاومة، فجاءت نتائج الدراسة التحليلية تبين الآتي : (87 %) من التغطيات كانت سلبية الاتجاه، كسابقتها في الخلط والربط، وبلغت نسبة التغطية المحايدة (12 %)، وانعدمت نسبة التغطية الايجابية تماما مع هذه الفئة، ليرز معها مدى تورط الصحيفة في نقل وتشويه الصور عن الاسلام والمسلمين بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر. اما آخر الفئات في هذا السياق لهذه الفترة من التحليل، وهي فئة : هجمات 11 سبتمبر صناعة أمريكية، فقد خلصت النتائج إلى أن : (76 %) من التغطية اتسمت بالايجابية ومقصود بها هنا معارضة ومدافعة ضد هذه الفئة، إذ ترى غالب التحليلات في الهجمات صناعة اسلامية محضّة، وإن تسببت فيها الغطرسة الامريكية ومهدت لتأجيحها كما توضح ذلك نسبة التغطية السلبية المؤيدة لهذه الفئة، والتي بلغت (18 %)، فيما بلغت نسبة المقالات المحايدة (4 %).

سنة (2009) : بينت نتائج الدراسة التحليلية المتعلقة بفئة الاتجاه في إطار الحديث عن فئة : المسلمون هم من نفذ هجمات الحادي عشر من سبتمبر في الولايات المتحدة، أن 100% من التغطية اتسمت بالسلبية، بما يوحي أن قناعة الصحيفة في تحميل الاسلام والمسلمين مسؤولية الأحداث لم تزرع قيد انملة بل

زادت يقينا، والأكثر إيجاءا هما زادت تحاملا وتشويها إذ ككل الاخبار والتقارير اتسمت بالسلبية والتحامل في رصدها خلال الفترة، ونفس الملمح مع الفئة الثانية : المسلمون وراء أحداث سبتمبر تدريبا و تمويلا، إذ بينت النتائج أن : (68 %) من التغطية اتسمت بالسلبية والتحامل وعدم الضط في رصد ممول الأحداث، فيما بلغت نسبة التغطية الإيجابية المدافعة والمعارضة عن اتهام المسلمين (25 %)، وبلغت نسبة التغطيات المحايدة (5 %) . ولم تشد عن القاعدة في السياق الفئة الموالية وهي فئة : المسلمون أبرياء من هجمات 11 سبتمبر، التي كشفت أن (39 %) من التغطية كانت في اتجاه سلمي، وأن (33 %) من التغطية اتسمت بالحياد أي رصد الأحداث المتعلقة الفئة دون تأويل أو توجيه من الصحيفة، وبلغت نسبة التغطية الايجابية التي تدافع عن موقف المسلمين في الاحداث وتحاول تبرير ردة افعالهم وترفض تعميم الحكم على الجميع (27 %)، والملمح المهم في سياق هذه الفئة هو تشتت النسب و بروز التغطية الايجابية بنسبة معتبرة إلى حدا ما تعكس تحول الصحيفة ولو قليلا تجاه تناول المنطقي لمضامين هذه الفئة، حتى وأن كان هذا التحول عديم الدلالة الاحصائية إلا انه موجود، يفرض ضرورة السعي في هذا الاتجاه لتعزيزه من المسلمين . وفيما يتعلق بفئة : **التنشئة الدينية للمسلمين مسؤولة عن أحداث الإرهاب في العالم:** فقد أبانت نتائج الدراسة التحليلية أن (50 %) من التغطية اتسمت بالسلبية، أي عززت مضامين هذه الفئة بالتحامل والتشويه والتعميم المغلوط، فيما لم تتعد نسبة التغطية الإيجابية (13 %)، وكانت نسبة (36 %) من التغطية محايدة. يلي هذه الفئة تغطية مضامين فئة : **مصادر الإسلام الأساسية (القران ، السنة) تقدس الجهاد وتدعو له، والتي شهدت انعدام التغطية المحايدة والايجابية مطلقا، واتسام كل التغطيات بالسلبية، ما يعكس أن الصحيفة سائرة في سياستها المعادية والمشوهة والمنمطة للإسلام ومصادره الأساسية حتى عد مرور ثمان سنوات من الأحداث. ومع الفئة السادسة وهي فئة : المسلمون في المهجر يوفرون الدعم للمجاهدين في العراق و أفغانستان و فلسطين،** كشفت الدراسة أن (50 %) من التغطية كانت سلبية، ترى في المسلمين مصدر دعم للفوضى والإرهاب العالمي، وخاصة أولئك الذين يتنعمون بنعيم الحضارة الغربية وفضاءاتها، وكما كشفت أن (31 %) من التغطية جاءت في اتجاه ايجابي اي داعم لهذه الفئة، و(18 %) من التغطيات كانت بصفة المحايدة.

وفي تغطية الفئة السابعة وهي : **الإسلام يشجع على العنف ضد غير المسلمين،** فقد أبانت نسب الاتجاه أن النسبة الغالبة (81 %) من التغطيات تميزت بالسلبية، وحرصت من خلالها الصحيفة القارئ ضد الاسلام في علاقته بالعنف، مروجة العديد من الافكار والصور المغلوطة والمشوهة لتبرير ذلك، وان (10 %) فقط

هي نسبة التغطية المحايدة، فيما لم تتعد نسبة التغطيات المعارضة (8 %) . وفي الفئة الثامنة، وهي فئة **الخلط** بين الإرهاب و الجهاد و الأصولية و الإسلام، فقد خلصت نتائج الدراسة التحليلية إلى أن : (56 %) من التغطيات كانت سالبة تماما، تخلط الاسلام بالإرهاب والأصولية والجهاد في سلة واحدة، بل تدعمهما بالأدلة والبراهين العقلية والعاطفية والنقلية في شكل مبالغ فيه كل المبالغة، يؤكد ثبات موقف الصحيفة المعادي والمشوه للإسلام، وفي نفس السياق بلغت نسبة التغطيات المحايدة (40 %) وارتفاع هذه النسبة قد نجد له مايرره كون مضامين هذه الفئة غلبت عليها أخبار الأحداث التي تنتشر حول ما يقع في العراق وافغانستان وباكستان أكثر من التحليل والقصص المقالات المتعلقة بالاسلام كدين وشرعية ونظام حياه، فيما لم تتعد نسبة التغطية الايجابية (2 %) . ولم تكن فئة : **خلط بين الإرهاب و المقاومة**، أقل شنا من سابقتها فقد أبانت أن كل التغطيات من دون استثناء اتصفت بالسلبية، أي أن الصحيفة تدعم اعتبار المقاومة إرهابا يجب الحذر منه والاعتراض له، وذلك منطقي بالنظر الى فلسفة الصحيفة القائمة على رفض كل أشكال المقاومة التي ترفع لواء الاسلام مهما كان موقعها او شكلها أو خطابها. ولهذا انعدمت تماما باقي الفئات. وعن آخر الفئات وهي فئة : **هجمات الحادي عشر من سبتمبر صناعة أمريكية**، يلاحظ بعضا من التحفظ لدى الصحيفة إذ ارتفعت نسبت التغطية المحايدة إلى (31 %) وهي نسبة معتبرة بالنظر الى ما سبق، وانخفضت نسبة التغطية السلبية الى (51 %)، فيما بلغت نسبة التغطيات المعارضة لهذه الفئة (17 %) . ما يمكن أن يفسر ولو نسبيا بتراجع الصحيفة عن تحميل الاسلام والمسلمين المسؤولية المطلقة عن الأحداث بل في السياسة الامريكية واستراتيجيتها الأمنية والسياسة ما يمكن ان يكون سببا في الأحداث وبخاصة بعدما كشفت العديد من التقارير عن تورط الولايات المتحدة في الأحداث ولا أدل على هذا الكلام ما نقله على صفحات الجريدة الصحفي (Corine Lesnes) في مقال له بعنوان " نشر وثائق التعذيب تشير جدلا في واشنطن"¹

5-2.6 القراءة الكمية المقارنة لنتائج اتجاه مضامين فئة " المسلمون وأطروحتي نهاية التاريخ وصراع

الحضارات " .

بينت نتائج الدراسة التحليلية فيما يتعلق باتجاه مضامين هذه الفئة : **علاقة الإسلام والمسلمين بظاهرة الإرهاب**، من حيث الاجمال إلى غلبت الاتجاه السلي المشوه والمعادي والمغلوط على حساب الاتجاه المحايد

¹ Corine Lesnes : « La publication de documents sur la torture pratiquée par la CIA fait débat à Washington » . **Le Monde** ,N° 19974, le 22 Avril 2009, p 17.

والايجابي في تغطية الاسلام وقضايا المسلمين، وذلك خلال فترتي التحليل، من دون ان نشهد تحولا او اعتدالا ولو طفيفا، كما تشير الى ذلك القراءة الاحصائية للنسب المؤية والتي بلغت (73 % سنة 2001)، و(65,78 % سنة 2009)، ما يؤكد ثبات السياسة العامة للصحيفة تجاه الاسلام والمسلمين، والتي تصب في افتراضات المستشرقين واللاهوتيين المؤسسة لحدود العلاقة وطبيعة الصورة المتبادلة بين الاسلام والغرب، وفي ذات السياق من التحليل تشير النسب في المرتبة الثانية الى وجود اتجاه محايد في التغطية بنسبة (16 % سنة 2001)، و(18 % سنة 2009)، لتبقى ما نسبته (14 % سنة 2001)، و(15 % سنة 2009)، لصالح التغطية الايجابية في الأخير لتؤكد ما تم الاشارة اليه سلفا من ثبات التحليل والسياسة العامة للصحيفة تجاه الاسلام بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، والقراءة التفصيلية للنسب تزيد ذلك توضيحا .

سنة (2001) : بخلاف لنتيجة العامة للتحليل بينت نتائج الدراسة التحليلية المتعلقة بطبيعة اتجاه مضامين فئة : **أحداث الحادي عشر سبتمبر تؤكد صدام الحضارات**، أن (69 %) من التغطية كانت في اتجاه سلبي، متحاملا على الاسلام والمسلمين، معتبرا نهم رواد الشرارة الأولى لصراع الحضارات وبداية التوتر الدائم في مستقل العلاقات الدولية، فيما أن (21 %) من التغطية اتسمت بالإيجابية في التغطية وهي نسبة مهمة تعكس وجود بعضا من النقد وعدم التسليم لمضامين هذه الفئة، والتحفظ من بعض افتراضات المروجين لها وللصراع في العلاقات الدولية، فيما لم تبلغ التغطية السلبية في هذا السياق سوى (8 %). أما مع الفئة الثانية : **الهجمات الإرهابية في العالم بداية صراع أكبر بين الإسلام والغرب**، فبينت نتائج دراسة الاتجاه في هذه الفترة إلى وجود (66 %) من التغطية ذات اتجاه سلبي، تعتقد وتؤيد هذا المسعى، بل وتحرض على تعميمه لدى القرار وصناع القرار في العالم، من دون ان تحاول التمييز بين اطراف العمل المقاوم والمسلح في العالم الإسلامي فيما كانت نسبة (20 %) من التغطية ذات اتجاه محايد، وهي في الغالب الأعم تغطية أو نقلا لآراء وأعمال بعض الكتاب والمفكرين المهتمين بمعالجة قضايا الصراع بين السلام والغرب، فيما بلغت نسبة التغطية الايجابية الناقدة والمدللة على الرفض (13 %). وفيما يخص الفئة الثالثة : **الإسلام والغرب على طريق تصادم حتمي**، أظهرت نتائج الدراسة التحليلية أن : (72 %) من التغطية اتسمت باتجاه سلبي يرى في الإسلام مصدر التوتر الاستراتيجي بين الاسلام والغرب، فيما أن (27 %) من التغطية اتسمت باتجاه ايجابي مدافع عن الاسلام وابعثاره دينا قابل للتعايش والحوار ولا يشكل مصدر خطر للغرب مستقبلا مهما ألصق به من تهم الارهاب والعنف، فيما انعدمت نسبة التغطية محايدة في هذا السياق. وفي تغطية الفئة الرابعة الحرب

الصليبية الجديدة، بينت نتائج الدراسة التحليلية ان كل التغطيات من دون استثناء جاءت في اتجاه إيجابي ناقد ومتحفظ بل بعضها رافض مطلقا اعتبار ما وقع او سيقع بسبب الأحداث حربا صليبية بين المسلمين والغرب، مع الاشارة أن مصطلح الحرب الصليبية لا يلق نفس الوقع في المخيال الغربي منه في المخيال العربي الإسلامي، سواء من حيث المصطلح او من حيث الحقائق التاريخية، وراجع ذلك بلا شك الى التفاوت اصلا في استيعاب مسيرة التاريخ الحافل بين الفضائين . أما مع الفئة الخامسة : الإسلام هو العدو الجديد لمرحلة ما بعد الحرب الباردة، فقد أبانت نتائج الدراسة التحليلية أن (81%) من التغطية اتسمت باتجاه ايجابي نقدي لا ير في الاسلام العدو القادم بعد نهاية الحرب الباردة، وهذا مؤشر ايجابي يعكس مدى تقبل الصحافة الاسلام لا كعدو بل كشريك في الحياة الدينية والمدنية الغربية، فيما لم تتعد نسبة التغطية السلبية (18 %) إذ قلما نجد في التغطية لمضامين هذه الفئة ما يشير الى اعتبار الاسلام عدو، حتى وان وجد فغالبا يدور حول الاسلام السياسي والتنظيمي والحركي لا الاسلام المدني والتعبدي، فيما انعدمت نسبة الاتجاه المحايد. وفي ما يتعلق بالفئة السادسة : التهديد الإسلامي حقيقة يجب مجابته، أشارت نتائج الدراسة التحليلية أن (83 %) من التغطية اتسمت بالسلبية، وذلك رد فعل متوقع اذا ما استصبحنا موقف الصحافة الذي تبنته للوهلة الاولى غداة الأحداث، فيما أن (15 %) من التغطية اتخذت صبغة محايدة، وخاصة في تغطية الصحافة لأخبار أعمال العنف والإرهاب والمقاومة التي يتورط فيها المسلمون او يورطونهم فيها عبر العالم ، بينما انعدمت نسبة التغطية الايجابية مطلقا. ومع الفئة الموالية فئة : الإسلام يقف سدا منيعا أمام المدنية الغربية، بينت نتائج تحليل الاتجاه أن (60 %) من التغطية جاءت محايدة وهي سابقة في هذا السياق، الذي غلبت على جل فئاته التغطية السلبية، ويرجع هذا الاستثناء إلى كون الصحافة كثيرا ما تتجنب في التحليل التصريح المباشر بالعداء والتشويه، فتظهر فقرات بنوع من الحياد حفاظا على مقروئيتها بين العرب والمسلمين، في حين بلغت نسبة التغطيات السلبية لهذه الفئة (30 %)، فيما لم تتجاوز التغطيات الايجابية لناقده والرافضة لهذه الفئة (10 %). ومع آخر الفئات وهي فئة : حركات الإسلام السياسي تشكل تحديا في وجه الحضارة الغربية، فبينت نتائج الدراسة التحليلية أن (95 %) من التغطية كانت سلبية، أي مؤيدة ومدافعة ومدلل على هذه الفئة، ولا شك ذلك راجع بالأساس الى الرفض المطلق والتمام من الصحافة لكل اشكال وأنماط الاسلام السياسي والتنظيمي، مهما كان شكله أو موقعه أو خطابه أو اتجاهه، بل تظهر حدة وشراسة الصحافة وتحاملها على الاسلام كلما

تبد لها - ما تعتقده - خطر الاسلام السياسي المحقق بالعلمانية الغربية، فيما بلغت نسبة التغطية المحايدة (4%)، وانعدمت نسبة التغطية الايجابية كلية.

سنة (2009): بينت نتائج الدراسة التحليلية المتعلقة بفتة الاتجاه في إطار الحديث عن فتة : أحداث الحادي سبتمبر تؤكد صدام الحضارات أن : (66%) من التغطية جاءت في اتجاه سلبى مبالغ فى تحميل المسلمين مسؤولية الأحداث من دون مبرر عدا ما تتداوله وسائل الاعلام الغربية، وبالتالى تعتبر هذه التغطيات تورط المسلمين مسلمة غير قابلة للنقاش، مقابل ذلك بلغت نسبة التغطيات المحايدة (17%) وهي تلك التي نأت بنفسها عن التبرير والتحامل والاستدلال على قبول او رفض هذه الفتة، وجلها مضامين إخبارية لا أكثر، وبلغت نسبة التغطيات المعارضة (15%) ونجدها في هذه الفتة لمفكرين كبار مسلمين وعرب وغربيين نظروا بمنطقهم الى الاسباب بدل الخوض في سرد النتائج ما ترتب عنه تحميل السياسة الامريكية بل والغربية عموما مسؤولية الاحداث ولو كان ظاهرها أباد مسلمة . وبخصوص الفتة الثانية : الهجمات الإرهابية فى العالم بداية صراع أكبر بين الإسلام والغرب، فقد أبانت الدراسة التحليلية أن (38%) من التغطية معارضة، وهي نسبة مهمة تعكس وجود بعض الرشد والتحول فى الخطاب وحدته تجاه المسلمين، ومع ذلك بقيت بعض التحليلات على خطها فى التحامل والتشويه والتخويف من المد الاسلامي القادم، وبلغت نسبتها (32%)، وبلغت نسبة التغطية المحايدة (29%). ثالث الفئات وهي فتة :الإسلام والغرب على طريق تصادم حتمي ، لم تكن عن غيرها، فغالبا مضامينها جات فى اتجاه سلبى، متحامل يرى فى الاسلام مستقبل الصدام، وذلك بنسبة (64%)، فى حين جاءت (26%) من مضامين هذه الفتة بصيغة محايدة، فيما لم تتعد نسبة المقالات المؤيدة (9%). رابع الفئات وهي فتة : الحرب الصليبية الجديدة) فقد أظهرت الدراسة التحليلية أن : 47% من التغطيات و المقالات كانت معارضة لهذه الفتة ، بينما كانت نسبة التغطيات المحايدة 42% ، فى حين بلغت نسبة التغطيات المؤيدة لهذه الفتة (9%). عند خامس الفئات فتة: الإسلام هو العدو الجديد لمرحلة ما بعد الحرب الباردة ، بينت نتائج تحليل الاتجاه أن (43%) من التغطيات كانت ايجابية وقد أسلفنا الاشارة الى هذا الملح مع الفتة الثالثة، أين نجد الصحيفة رشدت العديد من توجهاتها وخففت من حدتها تجاه اعتبار الاسلام عدوا الان او مستقبلا، وذلك لانشغالها الحثيث بنقد ورفض الاسلام السياسي الممانع، وتقبل الاسلام التعبدى المدنى، والإسلام العلماني و الحدائي، وبلغت نسبة التغطية المحايدة (37%)، وهي الأخرى مهمة جدا تكشف أن الصحيفة لا تظهر العدا والتحامل مع الاسلام ومبادئه

وقيمه، وان خاضت في ذلك فانما تقصد الاسلام السياسي الحركي التنظيمي الاصولي أو المقاوم، وقد بلغت نسبة ذلك (18 %) . سادس الفئات، فئة : التهديد الإسلامي حقيقة يجب مجابته، لم تشهد تحولا في طبيعة الاتجاه مع الفترة السابقة إذ بلغت نسبة التغطية السلبية (91 %) وذلك لرفض الصحيفة المطلق للإسلام الجهادي المقاوم السياسي الحركي، بلغت نسبة التغطية المحايدة (7 %) فيما انعدمت نسبة التغطية الايجابية تماما. ومع سابع الفئات وهي فئة : الإسلام يقف سدا منيعا أمام المدينة الغربية، فقد بينت نتائج الدراسة أن (43 %) من اتسمت بالاجيائية ، وأن (34 %) وقد شكلت النسبتان أغلبية مطلقة تعكس بعض التحول والتعديل في حدة الخطاب والرؤية للسلام بعد صدمة الأحداث، هذا وبلغت نسبة التغطية السلبية 21 % وهي الأخرى نسبة مهمة تعكس عدم تخلي لصحيفة عن سياستها العدائية تخليا كاملا يضيفي عليها الموضوعية وعدم التحيز، أما نتائج آخر فئة وهي فئة : حركات الإسلام السياسي تشكل تحديا في وجه الحضارة الغربية، فبقيت على حالها كما في الفترة السابقة ولنفس الاسباب، وهي الرفض المطلق من الصحيفة لمسمى الاسلام السياسي او الحركات او التنظيمي او المقاوم رفضا تاما، دونما تبرير، فكانت (81 %) من التغطيات و المقالات جاءت في اتجاه مؤيد لهذه الفئة ، بينما بلغت نسبة التغطيات المحايدة (18 %) ، في حين كانت انعدمت نسبة التغطية الايجابية تماما كسابقتها.

5-3.6 القراءة الكمية المقارنة لنتائج تحليل اتجاه مضامين فئة المسلمون وقيم الحضارة الغربية.

بينت نتائج الراسة فيما يتعلق بفئة : المسلمون وقيم الحضارة الغربية، من حيث الاجمال الى عدم وجود فروق في اتجاه التغطية الصحفية خلال فترتي الدراسة، والصحيفة ثابتة في سياهما في التغطية التي غلب عليها الاتجاه السلبي، المتحامل غير الموضوعي ويظهر ان فترة (2001) كانت أشد وقعا من الفترة (2009)، وفي هذا أشارت نتائج المعالجة الاحصائية إلى أن غالب التغطية خلال الفترتين اتسمت بالاتجاه السلبي (58 % سنة (2001)، و53 % سنة 2009) ما يدل أن الصحيفة ترى في الاسلام تخلفا ومعاداة للحضارة الغربية الحديثة، وغير قابل للتكيف معها فهو دين بدائي متحجر لا يرقى لمستوى تطلعات الانسانية في العصر الراهن، وذلك ما فيه من عوامل الاخفاق والجمود، ولا شك هذه هي عينها النظرة الاستشراقية واللاهوتية التي كانت تقال وتنشر مع بدايات تعرف الغرب على الاسلام وترسبت عبر قرون من الجهل المتبادل والعداء الماكر، وهي في ذات الوقت لغة تنبئ عن مدى جهل أصحابها بحقيقة الدين الاسلامي وحقيقة المسلمين، وتتطلب مزيدا من الجهد للتصحيح والتصويب من المسلمين وغيرهم، ومع ذلك لا يعفينا هذا من القول أن بعض التغطيات في

مستوى تفهم حقيقة الاسلام، وناقدة لتصور الغرب المنمط والمشويه كما تكشف ذلك نسبة التغطية الايجابية لفتري الدراسة واللتن بلغتا (21 % سنة 2001، و22 % سنة 2009)، وهي نسبة معتبرة الى حد ما، إذا جمعناها مع التغطية المحايدة والتي بلغت (15,37 % سنة 2001، و24 % سنة 2009). وتبيننا قرعة النسب في هذا السياق عن مزيد من التفصيل، وفق الآتي :

سنة (2001) : بينت نتائج الدراسة التحليلية المتعلقة بفئة الاتجاه في إطار الحديث عن فئة : قيم الإسلام غربية عن منجزات الحضارة الغربية، أن (70 %) من التغطيات سبقت في اتجاه سلبي متحامل يرى في قيم الإسلام غربة عن الواقع الغربي وثقافته وقيمه ومنتجاته، في حين (35 %) من التغطية كانت محايدة، إكتفت من خلالها الصحيفة بنقل الاخبار والصور المتعلقة بمضامين هذه الفئة من غير تأويل أو تعليق بالإيجاب أو السلب، فيما بلغت نسبة التغطية الايجابية المعارضة لاثام قيم الإسلام بالغربة ومعاداة منجزات الحضارية (11%). وما يتعلق بفئة : الإسلام يصادر الحريات العامة و حقوق الإنسان، فقد بينت نتائج تحليل الاتجاه أن (56 %) من التغطيات كانت ايجابية مدافعة عن حقيقة الإسلام، الذي لم تر أنه مصادر للحريات العامة ولحقوق الانسان، بالمقابل بلغت نسبة التغطيات السلبية لهذه الفئة (24 %)، وجدير بالاشارة أن غالبها كانت قد سبقت في موضوعات المرأة والعمل السياسي والتنظيمي والتعليمي، وبعضها منها جاء في سياق الاسلام والاوزاع الاجتماعية للناس، وبخاصة عند تغطية الواقع الاجتماعي والحقوق في العالم الاسلامي وبالاخص أفغانستان والصومال وبلدان الخليج العربي، وبلغت نسبة التغطيات المحايدة لمضامين هذه الفئة (18 %) . فيما يتعلق بالفئة الثالثة فئة : الإسلام يرفض العقلانية و كل قيم الحداثة الغربية، فقد أظهرت نتائج الدراسة التحليلية أن (55 %) من التغطيات و المقالات جاءت في اتجاه محايد، في حين أن (40 %) من التغطيات جاءت في اتجاه ايجابي، لا يرى الإسلام يرفض العقلانية وقيم الحداثة الغربية، خاصة وان الصحيفة ركزت في رفضها على الإسلام السياسي والتنظيم والجهادي، لا الإسلام التعبدي والقيمي وحتى الحداثي، وبلغت نسبة التغطيات السلبية لهذه الفئة (3 %). وهذا ملمح مهم يلخص تفريق الصحيفة في التغطية بين الاسلام كدين له قيم ومبادئ قد تتفق مع الحضارة الغربية، وبين اسلام الحركات السياسية والجهادية والمقاومة، وفيما يخص الفئة الرابعة فئة : الإسلام دين الرجعية، فقد بينت نتائج الدراسة التحليلية أن (41 %) من المقالات و التغطيات كانت محايدة لهذه الفئة، و(34 %) من التغطيات كانت ايجابية معارضة ومدافعة عن اثم الاسلام بالرجعية والتخلف، في حين بلغت نسبة التغطيات السلبية (24 %) وهي نسبة

معتبرة تكشف ما لا ينفك من رسالة الصحافة وسياستها العامة حول الاسلام. أما مع الفئة الخامسة : **الأصولية الإسلامية** تشكل قديدا حضارة الغرب و مستقبله، فقد كانت جل التغطيات، (92 %) من التغطيات والمقالات جاءت في اتجاه سلبي معارض متحامل ورافض ولا شك أن هذا يؤكد ما توصلت اليه الدراسة مع الفئات السابقة، أن الصحيفة لا تقبل مطلقا مسمى الأصولية وتعتقد أنه مصدر التهديد، ولهذا لم تتجاوز نسبة التغطية المحايدة (7 %)، وإنعدمت نسبة التغطية الايجابية . و فيما يتعلق بفئة : **الإسلام لا يحض على احترام معتقدات الأديان الأخرى**، فقد خلصت دراسة الاتجاه إلى أن (42 %) من التغطيات و المقالات جاءت سلبية متحاملة ترى أن في الاسلام ما يرفض الاديان الأخرى، بل كثيرا ما تروج اعتقاد ان الاسلام دين اقصائي لا يؤمن بالأحر، وهذا الشائع، كما أبانت أن (42 %) من التغطيات جاءت محايدة تذكر الاسلام والأديان الأخرى من دون ادنى تعليق او توجيه، فيما بلغت نسبة التغطية الايجابية المدافعة عن رحابة الاسلام وسعته ليقبل الأديان الأخرى (14 %) وهي نسبة ضعيفة تحتاج مزيدا من التعزيز. وفي الفئة الموالية فئة : **المسلمون المغتربون غير موالين (من الولاء) لبلدان المهجر**، فقد أظهرت نتائج دراسة الاتجاه أن (59 %) من التغطيات كانت إيجابية مدافعة عن المسلمين المهاجرين باعتبارهم مواطنين ومسلمين ساهموا كثيرا في بناء الحضارة الغربية الحديثة، ولا يشكلون خطرا ولا دعامة للإرهاب في بلادهم، في حين بلغت نسبة التغطيات المحايدة (29 %)، و بلغت نسبة التغطيات السلبية (11 %) وانطلقت جلها الى بعض المظاهر والأحداث الخاصة خصوصية اسبابها وفاعليها والتي جاءت في سياق مضامين هذه الفئة، ومع الفئة الثامنة فئة : **العالم الإسلامي يعتبر نفسه في حرب ضد الحضارة الغربية**، فقد كشفت نتائج دراسة الاتجاه أن (53 %) من التغطيات جاءت في اتجاه ايجابي، و (34 %) من التغطيات جاءت في اتجاه محايد ، في حين بلغت نسبة التغطيات السلبية (11 %) وهذا الفئة توضح ان للصحيفة نوع من الاسلام عدائي يعتقد انه في حرب وهو الاسلام الممانع المقوم السياسي، ونوع من الاسلام مقبول ومتعايش معه وهو الحدائي الذي يقبل بالعلمانية والتعدي. وفيما يتعلق بفئة : **الربط بين الإسلام و الرجعية و التخلف**، فقد بينت نتائج الدراسة التحليلية للاتجاه أن (80 %) من التغطيات كانت سلبية، و(16 %) من التغطيات كانت ايجابية، في حين كانت نسبة التغطيات المحايدة لهذه الفئة (02 %). وتكشف هذه النسب مدى تورط الصحيفة في التحامل على الاسلام وربطه بالرجعية والتخلف وتقصد ذلك احيانا خاصة عقب الأحداث، ومع الفئة العاشرة فئة: **وصف المسلمين بالبدعوة**، لم تكن بعيدة البتة عن سابقتها وذلك لتقاربهما، أن (46 %) من التغطيات كانت سلبية،

وأن (30%) من التغطيات كانت محايدة ، وبلغت نسبة التغطيات الايجابية (23%) وهي نتيجة تؤكد سابقتها، أما مع الفئة الحادية عشر: **وصف المسلمين بمحبي الجنس**، فقد خلصت نتائج الدراسة إلى أن (45%) من التغطيات جاءت في اتجاه إيجابي، وأن (37%) من التغطيات كانت سلبية، فيما بلغت نسبة التغطيات المحايدة (16%). وهذه الأخيرة شئت نسبها لكون الصحيفة تتحاشى التصريح في وصف المسلمين بأقبح الأسباب، فهي لا تستخدم ذلك إلا تعريضا.

سنة (2009): بينت النتائج في إطار تحليل اتجاه مضامين فئة : **قيم الإسلام غريبة عن منجزات الحضارة الغربية**، لسنة (2009)، أن (52%) من التغطية كانت سلبية متحاملة ورافضة، وأن (35%) من التغطية كانت محايدة، في حين بلغت نسبة التغطيات المعارضة (11%). وهذه تؤكد نتيجة التحليل للفترة السابقة إذا لم تختلف عنها كثيرا، والتي تركز فكرة غريبة الاسلام عن قيم ومدنية الحياة الغربية، وبنفس الثبات في التحليل والاتجاه مع الفئة الثانية: **الإسلام يصادر الحريات العامة و حقوق الإنسان**، إذ بينت النتائج أن (56%) من التغطيات جاءت في اتجاه ايجابي مدافع عن الإسلام في شكله العام كدين سماوي، وأن (24%) من التغطيات جاءت سلبية، في حين كانت نسبة التغطيات المحايدة (18%). وبنفس الثبات في التحليل أيضا كانت ثالث الفئات : **الإسلام يرفض العقلانية و كل قيم الحدائث الغربية**، فقد أظهرت نتائج الدراسة التحليلية أن (55%) من التغطيات كانت محايدة، في حين بلغت نسبة التغطيات الايجابية (40%)، ونسبة التغطيات السلبية (3%). ولم تشذ الفئة الرابعة: **الإسلام دين الرجعية**، فقد بينت نتائج الدراسة التحليلية أن (41%) هي نسبة التغطيات لمضامين هذه الفئة كانت المحايدة، وأن (34%) من التغطية اتسمت بالإيجابية فيما بلغت نسبة التغطيات السلبية (24%). ومع الفئة الخامسة : **الأصولية الإسلامية تشكل تهديدا لحضارة الغرب و مستقبله**، أظهرت نتائج تحليل الاتجاه نفس الثبات فئمة (92%) من التغطيات اتسمت بالسلبية والتحامل والعنف في الرفض وعدم التقبل، في حين بلغت نسبة التغطيات المحايدة (7%)، أما نسبة التغطيات المعارضة فانعدمت كما في الفترة السابقة من التحليل. ومع الفئة السادسة : **الإسلام لا يحض على احترام معتقدات الأديان الأخرى**، بينت نتائج تحليل الاتجاه أن (42%) من التغطيات جاءت في اتجاه سلمي متحامل على الاسلام والمسلمين، وأن (42%) من التغطيات كذلك، جاءت في اتجاه محايد، في حين كانت نسبة التغطيات المعارضة (14%). وفيما يتعلق بفئة : **المسلمون المغتربون غير موالين (من الولاء) لبلدان المهجر**، فقد خلصت دراسة الاتجاه إلى نفس ما خلصت إليه تحليلا الفترة السابقة، وموافقة لها إذ أن (59%)

(%) من التغطيات كانت ايجابية منزهة المواطنين المسلمين الذين يعيشون في الغرب من فتنة عدم الولاء، وأن (29%) من التغطيات كانت محايدة، أما نسبة التغطيات السلبية المعارضة فقد بلغت (11%) وهي على الأغلب مقالات وتحليلات اليمينين من الصحفيين والمفكرين. وفيما يتعلق بفئة: العالم الإسلامي يعتبر نفسه في حرب ضد الحضارة الغربية، فقد أظهرت نتائج الدراسة التحليلية الآتي (53%) من التغطيات كانت ايجابية تماما كما في التحليلات السالفة، وأن (34%) من التغطيات كانت محايدة، أما نسبة التغطيات كنت الايجابية فلم تتعد (11%). والفئة التاسعة الربط بين الإسلام و الرجعية و التخلف، أكدت في تحليل مضامينها ما نحت اليه الفئة نفسها فترة التحليل (2001)، : أن (80%) من التغطيات جاءت في اتجاه سلبى لهذه الفئة، في حين بلغت نسبة التغطيات الايجابية لمضامين هذه الفئة (16%)، و(02%) هي نسبة التغطيات المحايدة. وعند الفئة العاشرة: وصف المسلمين بالبدواة، كذلك ثبتت تحليلات الصحيفة على نفس النمط كما في تحليلات الفترة السالفة، إذ بلغت التغطية الايجابية (46%)، و بلغت نسبة التغطية المحايدة (30%)، في حين بلغت نسبة التغطيات الايجابية (23%). ولم تشذ عن القاعدة الفئة الحادية عشر والأخيرة في هذا السياق وهي فئة: وصف المسلمين بمحبي الجنس، إذ خلصت التحليلات إلى أن (45%) من التغطيات و المقالات كانت في اتجاه إيجابي منزه ومدافع عن اعتبار المسلمين جنسيين، فيما أن (37%) من التغطيات جاءت سلبية وهي نسبة تعكس وجود المتحاملين والمناهضين رغم مرور سنوات على الاحداث ودخول العديد من المتغيرات في العلاقة بين الاسلام والغرب، وبلغت نسبة التغطية المحايدة في الاخير (16%).

4.6-5 القراءة الكمية المقارنة لنتائج اتجاه مضامين فئة الاسلاموفوبيا.

بينت نتائج الدراسة التحليلية لاتجاه مضامين فئة الاسلاموفوبيا، من حيث الاجمال بداية الى عدم وجود فروق دالة احصائيا * بين فترتي التحليل (2001 و 2009)، فالصحيفة رست على سياسة ثابتة في تغطية مضامين هذه الفئة، التي غلب عليها (63% سنة 2001، و 57% سنة 2009) التغطية السلبية أي الداعمة لنشر مضامين الخوف المرضي من الإسلام، ولا شك انهما مضامين نمطية مشوهة تركز على المبالغة والتحامل غير المرر، وغير المبرهن في عرض حقائق الاسلام والمسلمين، ولا شك أن هذا امتداد- متوقع - للرؤى

قام الباحث بحساب قيمة معامل الارتباط لمجموع هذه الفئة، من أجل التأكد من دلالة الثبات وتوافق فترتي التحليل، والذي بلغت قيمته (1) وهي * اعلى قيمة للارتباط احصائيا تفسر عدم وجود فروق بين فترتي التحليل.

والتصورات الموروثة عن الدراسات الاستشراقية واللاهوتية والتعميمات التاريخية كما يظهر من حيث حجم المادة المحللة أن هذا التخويف بلغ أشده من حيث عدد الموضوعات في الفترة الأولى من التحليل¹ ليصدق في ذلك تنبؤ (فرديناند بروديل) عن التاريخ الحديث والتاريخ اللاحدي، وان كان هنا لم يشكل الفاصل التاريخي تحولا في الاتجاه، وأشارت الدراسة التحليلية للاتجاه في مجموعها كذلك أن (22 %) من التغطية سيقت في اتجاه محايد فترة التحليل لسنة (2001)، فيما لم تتعد نسبة التغطية الايجابية (14 %) لنفس الفترة، بالمقابل يلاحظ ارتفاع محسوس (26 %) -وان كان غير دال إحصائيا- فترة التحليل لسنة (2009)، في نسبة التغطية الايجابية المدافعة والناقدة لمضامين الخوف والتخويف من الاسلام في الخطاب الاعلامي الغربي، فيما بلغت نسبة التغطية المحايدة (16 %)، وتفصيلا تشير القراءة النسبية للفئات الفرعية لفئة الخوف المرضي من الاسلام ما يأتي:

سنة (2001) : بينت نتائج الدراسة التحليلية المتعلقة بفئة الاتجاه في إطار الحديث عن فئة : بعد أمريكا الدور على أوروبا، أن (70 %) من التغطيات جاءت في اتجاه سلبي، و(18 %) من التغطية جاءت في اتجاه محايد، فيما بلغت نسبة التغطيات الايجابية (11 %)، ما يعكس مدى التخوف الكبير الذي كرسته الصحيفة في مخيال قارئها من جهة وعمق الإرتياب وردة الفعل القوية التي انتابت الصحفيين والكتاب والمفكرين العاملين في الصحيفة غداة الأحداث، فالتخويف من الاسلام غدا أمرا ظاهرا وصبغة اصطبت بها تغطيات الصحيفة، وفي الفئة الثانية : المهاجرون المسلمون يشكلون خطرا على الغرب، أظهرت نتائج دراسة الاتجاه أن : (37 %) من التغطيات سيقت في اتجاه سلبي متحامل وغير موضوعي، وأن (33 %) من التغطيات جاءت في اتجاه محايد، في حين بلغت نسبة التغطيات الايجابية لهذه الفئة (28 %). وشكل المسلمون المجاهدون والمقاومون والناشطون السياسيون في مختلف مناطق العام، وفي تغطية مضامين الفئة الثالثة : الحركات الإسلامية تهدد استقرار العالم، فبينت نتائج الدراسة أن: (69 %) من التغطيات جاءت في اتجاه سلبي متحامل، في حين بلغت نسبة التغطيات المحايدة (25 %)، ولم تتعد نسبة التغطية الايجابية (5 %)، وتعكس هذه النتيجة مدى استغلال الصحيفة خلفيتها العلمانية في ارباب وتخويف المتلقين من الاسلام غداة الأحداث، بل ان الصحيفة ثابتة في موقفها الرافض لكل أشكال الحركات الاسلامية، وعند الفئة الرابعة : المدارس و

بلغت عدد الموضوعات المغطاة لمضامين هذه الفئة: 738 سنة 2001، و421 سنة 2009، ما يعكس شدة الاهتمام بمضامين هذه الفئة غداة¹ الأحداث ثم تراجع ذلك بعد ثمان سنوات. وان كان من دون دلالة احصائية

الجامعات الإسلامية تصنع الإرهاب، فقد بينت نتائج الدراسة التحليلية للاتجاه أن: (77%) من التغطيات والمقالات كانت في اتجاه سلبي، في حين كانت (17%) من التغطيات في اتجاه محايد، وبلغت نسبة التغطيات المعارضة لهذه الفئة (5%). وقد ركزت التحليلات لهذه الفئة على مدارس الطالبان وافغانستان وبعض منها حول المدارس في قطاع غزة والجامعات السعودية، خاصة وقد أشارت بكثير من التركيز في هذه الفترة الى هوية المنفذين لعمليات الحادي عشر من سبتمبر، والذين كانوا في الغالب من المملكة العربية السعودية، ومع الفئة الخامسة: الحد من حقوق وحرية المسلمين في الغرب، فقد أبانت نتائج دراسة الاتجاه أن (51%) من التغطيات جاءت معارضة لهذه الفئة، في حين بلغت نسبة التغطيات المحايدة (25%)، و نسبة التغطية السلبية (23%). ما يوضح أن الصحيفة وإن زرعت الخوف من المسلمين ورهبت منهم، فهي مستمسكة بضرورة الحفاظ على حرياتهم وحقوقهم السياسية والمدنية وبالاخص في المجتمعات الغربية، وهذه اشارة مميزة تصب في صالح المسلمين والإسلام عكس ما قررته سلفا، وعند الفئة السادسة: سن تشريعات صارمة ضد الأصوليين المسلمين، فقد خلصت الدراسة أن (69%) من التغطيات جاءت سلبية، أي داعمة لهذه الفئة ومحرضة عليها بالتعميمات والأحكام المسبقة، وأن (18%) من التغطيات المحايدة، أما نسبة التغطيات الإيجابية، الناقدة بموضوعية لهذه الفئة فلم تتعد (12%)، وهذه الفئة تزيد سابقتها جلاء ووضوحا، فالصحيفة هوسها وخوفها مرده في الأساس الى من تعتبرهم أصوليين من المسلمين-مع غياب الحدود الدقيقة لمفهوم وأبعاد الأصولية في الفكر الغربي عموما وكتاب الصحيفة على وجه أخص - لا من المسلمين إجمالا، وعند الفئة السابعة: المسلمون لهم مظالم سياسية وعسكرية، بينت نتائج دراسة الاتجاه أن: (74%) هي نسبة التغطيات سيقت بطريقة سلبية متحاملة وغير موضوعية، وأن (17%) من التغطيات محايدة، في حين بلغت نسبة التغطيات الإيجابية المدافعة (7%).

سنة (2009): بديلة اختلفت بعض الفئات في التغطية من حيث الاتجاه مقارنة بالفترة السابقة من التحليل، ويظهر ذلك جلي مع الفئة الأولى والثانية، فبعد أن كانت التغطية تصب بطريقة سلبية في سياق تخويف الاوروبيين من خطر الضربة المقبلة، نجدها تحولت الى النقيض تماما، فالصحيفة اهملت هذه الفئة تقريبا وتناولتها بطريقة ناقدة جدا للسياسة الأمريكية ومحدرة اياها في بعض الحالات من تكرار السيناريو مرة ثانية اذا ما استمرت في نفس الاستراتيجية، وان اشارت الى ضرورة توخي الحذر من الاوروبيين، وتكشف نتائج الاتجاه في إطار الحديث عن فئة: بعد أمريكا الدور على أوروبا، أن (80%) من التغطيات كانت في اتجاه

معارض لهذه الفئة، في حين بلغت نسبة التغطيات المحايدة (20 %)، فيما انعدمت تماما نسبة التغطية السلبية، مؤكدة ما اسلفنا الحديث عنه مع مطلع التحليل، وفيما يتعلق بفئة : **المهاجرون المسلمون يشكلون خطرا على الغرب**، فقد بينت نتائج الدراسة أن (79 %) من التغطيات جاءت ايجابية و (11 %) من التغطيات كانت محايدة ، فيما لم تتعد نسبة التغطية السلبية (8 %)، وقد وافقت هذه سابقتها، وكلا الفئتين السابقتين تكشفان عن تحول اتجاه الصحيفة من السلب الى الايجاب في تغطية مضامين هذه الفئة. أما في الفئة الثالثة المتعلقة بـ : **الحركات الإسلامية تهدد استقرار العالم**، فثبتت الصحيفة على موقفها السابق، وأن بتعديل طفيف في الشدة الا أنه غير مؤثر في الفروق، وبلغت نسبة التغطية السلبية (57 %)، في حين بلغت التغطية الإيجابية (31 %) ، أما نسبة التغطيات المحايدة فقد بلغت (11 %). وعند الفئة الرابعة : **المدارس و الجامعات الإسلامية تصنع الإرهاب**، بينت النتائج أن (39 %) من التغطيات جاءت في اتجاه سلبي، وأن (31 %) من التغطيات جاءت في اتجاه محايد، فيما بلغت نسبة التغطيات الإيجابية (28 %) ل يبقى نفس النمط من التغطية غالب على تغطيات الصحيفة لمضامين هذه الفئة فترتي الدراسة. ونفس الامر مع الفئة الخامسة : **الحد من حقوق و حريات المسلمين في الغرب**، إذ أشارت نتائج دراسة الاتجاه أن (63 %) من التغطيات كانت سلبية متحاملة وغير موضوعية لهذه الفئة ، وبلغت نسبة التغطيات المحايدة (27 %) ، وبلغت نسبة التغطيات الإيجابية (9 %). ويلاحظ هنا مع هذه الفئة وجود تعديل طفيف في الاتجاه مع الفترة السابقة إذا بعد أن غلب على مضامين الفئة التغطية الإيجابية في الفترة السابقة، عادت لتغلب على مضامين نفس الفئة التغطية السلبية، في إشارة مهمة إلى تحول في اتجاه خطاب الحقوق والحريات تجاه المسلمين بعد سنوات، وربما هذا الارتفاع مرده تعالي صيحات المنظمات الحقوقية ضد انتهاكات العنصرية الغربية لحقوق الانسان وبالأخص في معتقل "جوانتانامو"، وكذا حقوق المرأة والحريات الدينية، وبقيت الصحيفة على رفضها واتجاهها في التغطية حول ما يتعلق بمضامين الفئة السادسة : **سن تشريعات صارمة ضد الأصوليين المسلمين**، إذ أظهرت النتائج أن (57 %) من التغطيات سبقت في صبغة سلبية متحاملة وغير موضوعية خاصة في حدود الفصل بين الأصولي وغيره، وأن (29 %) من التغطية سبقت في قالب إخباري مجرد وباتجاه محايد، في حين شكلت نسبة التغطيات الإيجابية المناهضة لهذه الفئة (12 %)، وبخصوص الفئة السابعة والأخيرة : **المسلمون لهم مطامح سياسية و عسكرية**، فقد بينت نتائج دراسة الاتجاه أن (82 %) من التغطيات كانت سلبية وقد ترجع الدراسة ذلك إلى الحساسية الكبيرة التي تتعامل بها الصحيفة حين تتطرق لموضوعات الإسلام والمسلمين

والعمل السياسي والعسكري والمقاومة والعنف،، وبلغت نسبة التغطيات لإيجابية (10 %) ، أما نسبة التغطيات المحايدة فلم تتعد (7 %) . من هنا يلاحظ أن الصحيفة لها منظرها الخاص الذي تخوف بموجبه القارئ الغربي من الاسلام والمسلمين، وبخاصة الاسلام السياسي والمسلمون النشطون في ظلالة سواء تحت مسمى الجهاد أو المقاومة أو حتى تحت لواء الديمقراطية، كما أن الصحيفة تتحرى تفادي الهجوم الصريح وان كانت تستبطن كثيرا التغطيات السلبية والمعادية والمتحاملة وغير الموضوعية ضد الإسلام.

5.6-5 القراءة الكمية المقارنة لنتائج تحليل اتجاه مضامين فئة الإسلام والمسلمون في فرنسا.

بينت نتائج الدراسة المتعلقة بتحليل اتجاه الصحيفة تجاه فئة : الاسلام والمسلمون في فرنسا، من حيث الشكل العام الى عدم وجود فروق دالة احصائيا بين طبيعة الاتجاه في التغطية فترتي التحليل (2001)، و(2009)، فالصحيفة انتهجت سياسة إعلامية ثابتة في تغطية مضامين هذه الفئة، التي غلب عليها التغطية السلبية وذلك بنسبة (81 % سنة 2001، و55 % سنة 2009)، مع ملاحظة أن سنة (2001) كانت أكثر كثافة في التغطية، ما يعكس مدى تأثر الصحيفة السلي بالأحداث كما وكيفا، ومع هذا لا يعني ذلك وجود العديد من التغطيات الايجابية (40 % سنة 2001)، و(30 % سنة 2009) المقررة والمعترفة بالإسلام والمسلمين، بل وتحاول الدفاع عنهم وتبرير وجودهم ومواقفهم الحياتية المختلفة في المجتمع الغربي أحيانا، وتشكل هذه التغطيات مؤشرا مهما يمكن الانطلاق منه في تقييم صورة الإسلام في الاعلام الغربي، واتجهت (22 % سنة 2001، و13 % سنة 2009) من التغطية اتجاهها محايدا، وهذه الأخيرة ف غالبها تغطيات إخبارية لما يقع من تظاهرات وأحداث في السياق، وفيما يأتي تفصيل ذلك :

سنة (2001) : بينت نتائج الدراسة التحليلية المتعلقة بفئة الاتجاه في إطار تغطية مضامين فئة : الإسلام يهدد فرنسا، أن (56 %) من التغطيات كانت في اتجاه سلمي يرى في الإسلام تهديدا قائما، وتدعم الصحيفة ذلك بالعديد من الشواهد والبراهين من منظورها الخاص على غرار أحداث الشغب والعنف التي يتورط فيها مسلمون سواء داخل أو خارج فرنسا، وجاءت (23 %) من التغطية في اتجاه محايد، فيما بلغت نسبة التغطيات الإيجابية (20 %)، وعند الفئة الثانية : يصعب التعايش مع المسلمين في فرنسا، فقد أظهرت نتائج الدراسة التحليلية أن (50 %) من التغطيات كانت ايجابية ، وأن (31 %) من التغطيات سلبية ، فيما بلغت نسبة المحايدة بلغت (18 %)، ويلاحظ على خلاف التغطية العامة مع هذه الفئة تقدم التغطية الإيجابية وبنسبة معتبرة تعكس مدى تقبل الصحيفة للمواطنين المهاجرين من اصول اسلامية في الواقع الغربي، بل وكثيرا

ما تقمصت لواء الدفاع عن حقوقهم الاجتماعية والسياسية والتعليمية والإنسانية، وعند الفئة الثالثة : **حضر الحجاب في فرنسا و باقي الرموز الدينية في فرنسا**، فقد بينت نتائج دراسة الاتجاه أن (81 %) من التغطيات كانت سلبية رافضة ومتحاملة على وجود الحجاب او البرقع أو أي رمز ديني في الواقع الفرنسي عموما والثقافة الغربية عموما، ورفعت في ذلك شعارا كثيرا ما رددته وهو الدفاع عن العلمانية كمكسب تاريخي في الثقافة الغربية، في حين كانت (10 %) من التغطيات محايدة، أما نسبة التغطيات الإيجابية فلم تتعد (8 %)، ما يعكس عمق الاحتقان الذي خلفته تداعيات احداث الحادي عشر من سبتمبر الاسلام والمسلمين في الوعي الاعلامي الغربي، وفيما يتعلق بفئة : **تزايد المسلمين خطر على مستقبل فرنسا**، فقد بينت نتائج دراسة الاتجاه أن (48 %) هي نسبة التغطيات سبقت في اتجاه إيجابي، في حين بلغت نسبة التغطيات السلبية (36 %) ، أما نسبة التغطيات المحايدة فبلغت (14 %) . وعن الفئة الخامسة **المسلمون وراء الاضطرابات في فرنسا**، فقد جاءت نتائج الدراسة التحليلية للاتجاه تبين أن (45 %) من التغطيات كانت سلبية، وربما رجع ذلك الى تداعيات اضطرابات النواحي الباريسية خلال الفترة وبعدها، نتيجة الضغط والحرمان الذي تعيشه كثير من الجالية المسلمة في فرنسا، و(31 %) من التغطيات كانت محايدة، في حين بلغت نسبة التغطيات الإيجابية لهذه الفئة (22 %) . وفيما يتعلق بالفئة السادسة : **التمكين السياسي للمسلمين في فرنسا**، فجاءت (47 %) من التغطيات في اتجاه سلبى رافض ومتحامل وذلك رد فعلي متوقع غداة الأحداث، فضلا على دفاع الصحيفة المستميت عن العلمانية الفرنسية، أما نسبة التغطيات التي جاءت في اتجاه إيجابي فقد بلغت (29 %) ، في حين بلغت نسبة التغطيات المحايدة لهذه الفئة (23 %) . وعند الفئة السابعة : **المسلمون جزء من التنوع الثقافي والاجتماعي في فرنسا** ، بينت نتائج الاتجاه أن (50 %) من التغطيات كانت سلبية، وأن (29 %) من التغطية جاءت إيجابية، في حين أن (20 %) من التغطيات كانت محايدة ، وبخصوص الفئة الثامنة : **الإقرار بالحقوق الاجتماعية والثقافية والدينية للمسلمين**، فقد خلصت الدراسة التحليلية للاتجاه أن (49 %) من التغطيات كانت سلبية، وأن (40 %) من التغطيات كانت إيجابية، فيما بلغت نسبة التغطيات المحايدة (10 %) . ومع الفئة التاسعة : **من الممكن التعايش مع المسلمين في فرنسا**، فكشفت نتائج دراسة الاتجاه التحليلية أن (50 %) من التغطيات جاءت سلبية رافضة لقبول المسلمين جيران في المجتمع الغربي، ويدخل في السياق رفض الصحيفة وتحاملها الشديد ضد المهاجرين واللاجئين بل وفي السياق شكل القرار التركي بالانضمام الى دول الاتحاد الأوربي فرصة لتشديد الرفض بداعي عدم إمكانية التعايش مع

ثقافة وعقيدة إقصائية متطرفة كما جاء في العديد من التغطيات، هذا وشكلت نسبة التغطيات الإيجابية (35%)، أما نسبة التغطيات المحايدة لهذه الفئة فقد شكلت (14%)، ومع الفئة العاشرة : احترام مبادئ العلمانية، فقد أبانت نتائج الدراسة التحليلية للاتجاه أن (93%) من التغطيات كانت سلبية رافضة ومتحاملة على اعتبار الاسلام أكبر عدو للعلمانية، في حين بلغت نسبة التغطيات المحايدة (04%)، أما نسبة التغطيات المعارضة فلم تتعد (01%).

سنة (2009) : بينت نتائج الدراسة التحليلية المتعلقة بفئة الاتجاه في إطار الحديث عن فئة : الإسلام يهدد فرنسا، لم تختلف في اتجاهها عن الفترة السابقة فكانت (41%) من التغطيات في اتجاه سلبي، في حين بلغت نسبة التغطيات المعارضة (31%) ، أما نسبة التغطيات المحايدة فقد بلغت (27%). ما يؤكد تغليب الصحيفة خطاب التوجس والاثم على غيره من الخطابات بشأن الإسلام، والشأن نفسه مع الفئة الثانية : يصعب التعايش مع المسلمين في فرنسا، فكانت (63%) من التغطيات إيجابية، و(21%) سلبية ، أما التغطيات المحايدة فبلغت نسبتها (15%)، لتؤكد هذه النسب ما قررته الدراسة سلفا من تقبل الصحيفة واقرارها بحق المواطنة الكامل للمواطنين المهاجرين من اصول اسلامية في الواقع الغربي، بل وكثيرا ما تقمصت لواء الدفاع عن حقوقهم الاجتماعية والسياسية والتعليمية والإنسانية، وشهدت الفئة الثالثة : حضر الحجاب في فرنسا و باقي الرموز الدينية في فرنسا، نفس الثبات في اتجاه التغطية فقد بينت النتائج أن (83%) من التغطيات كانت في اتجاه سلبية، في حين كانت (12%) من التغطيات إيجابية ، أما نسبة التغطيات المحايدة لهذه الفئة فقد بلغت (3%). وعند الفئة الرابعة : تزايد المسلمين خطر على مستقبل فرنسا، فقد بينت نتائج الدراسة أن (82%) من التغطيات جاءت في اتجاه إيجابي، و(10%) من التغطية كانت سلبية ، أما نسبة التغطيات المحايدة فقد بلغت (06%)، وعند الفئة الخامسة : المسلمون وراء الاضطرابات في فرنسا (فقد أظهرت نتائج الدراسة التحليلية الآتي (80%) من التغطيات و المقالات كانت معارضة، و(14%) من التغطيات جاءت محايدة ، في حين بلغت نسبة التغطيات المؤيدة له الفئة (05%)، وهذه النسب للاتجاه تؤكد ما سبق الإشارة إليه من أثر تداعيات اضطرابات النواحي الباريسية خلال فترتي التحليل وما بينهما وبخاصة سنة 2006 التي بلغت فيها أحداث الضواحي الباريسية أوجها، و فيما يتعلق بفئة : التمكين السياسي للمسلمين في فرنسا : فبقيت الصحيفة على تمسكها بمبدأ العلمانية في التعاطي مع الاسلام السياسي، وبالتالي الرفض القاطع لتقبل مسلمين بتنظيماتهم المختلفة في الشأن السياسي الفرنسي، وتشير الاحصاءات الى أن (76)

(%) من التغطيات و المقالات جاءت في اتجاه سلبي، و(15 %) من التغطيات محايدة، في حين لم تتعد نسبة التغطيات الإيجابية (07 %)، في مع الفئة السابعة : المسلمون جزء من التنوع الثقافي والاجتماعي في فرنسا، فقد أكدت نتائج هذه الفترة من التحليل ما تم الإشارة اليه في الفترة السابقة، وبخاصة غلبة خطابات العنصرية ضد المسلمين، فنجد (75 %) من التغطيات كانت سلبية، و(12 %) هي نسبة التغطيات المحايدة، في حين بلغت نسبة التغطيات الإيجابية لهذه الفئة (12 %)، وعند الفة الثامنة : الإقرار بالحقوق الاجتماعية والثقافية والدينية للمسلمين، أشارت نتائج دراسة الاتجاه أن (81 %) من المقالات و التغطيات كانت في اتجاه سلبي ، و(13 %) من التغطية سبقت محايدة، فيما لم تتعد نسبة التغطيات الإيجابية (05 %)، وبخصوص الفئة التاسعة :من الممكن التعايش مع المسلمين في فرنسا، فأظهرت نتائج دراسة الاتجاه أن (81 %) من التغطية سبقت في اتجاه إيجابي متقبل ومتفهم للتواجد الإسلامي كشريك في الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية في فرنسا، فيما بلغت نسبة التغطيات المحايدة (13 %)، فيما لم تتعد نسبة التغطية السلبية (06 %)، نسبة التغطية السلبية تماما، وهذه الفئة مؤشر مهم لحقيقة الوعي الفرنسي تجاه الاسلام والمسلمين، إن الصحيفة تقبل المسلمين والاسلام في اطار من الشراكة النفعية والمدنية والمواطنة وبرؤية علمانية خالصة ترفض كل مسميات الاسلام السياسي والتنظيمي، وعند آخر الفئات :احترام مبادئ العلمانية : فقد بينت نتائج دراسة الاتجاه أن (79 %) من التغطيات سبقت في قالب سلبي، في حين شكلت نسبة التغطيات المحايدة (12 %)، أما نسبة التغطيات المعارضة لهذه الفئة فقد بلغت (07 %).

5-6.6 القراءة الكمية المقارنة لنتائج تحليل اتجاه مضامين فئة مبادئ الإسلام وقيمه الأصيله.

بينت نتائج الدراسة المتعلقة بتحليل اتجاه الصحيفة تجاه فئة : مبادئ الإسلام وقيمه الأصيله ، من حيث الشكل العام الى عدم وجود فروق دالة احصائيا بين طبيعة الاتجاه في التغطية فترتي التحليل (2001، و2009)، فالصحيفة انتهجت سياسة إعلامية ثابتة في تغطية مضامين هذه الفئة، التي غلب عليها بدرجة أولى التغطية السلبية وذلك بنسبة (35 % سنة 2001 ، و 61 % سنة 2009) ، مع ملاحظة أن سنة (2001) كانت أكثر كثافة في التغطية، وأشارت نتاج دراسة الاتجاه كذلك من حيث المجموع العام لهذه الفئة أن لتغطيات الايجابية احتلت ثاني الترتيب خلال الفترتين، إذ بلغت (39 % سنة 2001 و 19 % سنة 2009)، فيما اتجهت (24 % سنة 2001 ، و 18 % سنة 2009)، من التغطية اتجاها محايدا، إن محصلة هذه النتائج من حيث المجموع مع هذه الفئة بالذات يكشف أن الصحيفة لم تنسلخ من ذاتيتها وتحيزها في تحليلاتها طيلة

فترتي التحليل، وأنها سائرة في خط التحامل والتعريض بالأحكام المسبقة الموروثة عن رواسب التاريخ تجاه الإسلام والمسلمين، ، وفيما يأتي تفصيل ذلك :

سنة (2001) : بينت نتائج دراسة الاتجاه المتعلق بالفئة الأولى : الاسلام رسالة تحترم الإنسانية، أن نصف التغطيات (50 %)، سيقت في اتجاه إيجابي متقبل ومدافع عن رسالة الإسلام فيما بلغت نسبة التغطيات المحايدة (27 %)، أما نسبة التغطيات السلبية لهذه الفئة فقد بلغت (22 %). وما يميز تغطية هذه الفئة على خلاف ما قررته نتائج المجموع فإنها قدمت التغطيات السلبية على الايجابية و كأن بالصحيفة تحترم الاسلام في بعده الإنساني الرسالي وقيمه السامية، فيما ترفض غير ذلك منه، أو من مرديده، ومع الفئة الثانية : محمد رسول عظيم، فأظهرت نتائج الاتجاه أن نصف التغطيات (50 %)، هي نسبة التغطيات سيقت في اتجاه سلبى يربط كثيرا اسمه ﴿ صلى الله عليه ﴾ وسلم بالعنف والإرهاب، فضلا على عدم الاشهاد له بالرسالة والنبوة في الغالب، وبلغت نسبة التغطيات الإيجابية (29 %)،، في حين كانت (20 %) من التغطيات محايدة، ولعبت في هذا السياق الأحداث دورا كبيرا في تصاعد نسبة التغطية السلبية، ومع الفئة الثالثة : الاسلام دين سلام، كشفت نتائج دراسة الاتجاه ان (67 %)، من التغطيات كانت سلبية مناقضة تماما لهذه الفئة فالاسلام والعنف والشغب والارهاب تكاد تكون السمة الغالبة في جل التغطيات، في حين كانت نسبة التغطيات الإيجابية (22 %)، اما نسبة التغطيات المحايدة فقد بلغت (10 %)، ومع هذه الفئة يلمح أن الأحداث رجعت بخطاب الصحيفة الى عصور القرون الوسطى وعهد الاستعمار والدعاية المغرضة، ويكاد يكرر نفس الأمر مع الفئة الموالية : الاسلام يدعو الى التسامح، إذ بينت ان (37 %) من التغطية كانت تغطية سلبية متحيزة، فيما كانت نسبة (31 %) من التغطيات محايدة، وشكلت نسبة التغطيات الإيجابية (30 %). ومع المرتبة الخامسة : الاسلام يدين العنف و قتل الأبرياء، اوضحت الدراسة ان (45 %) من التغطيات سيقت محايدة، وارتفاع هذه النسبة يعود إلى كثرة التغطية الإخبارية المتعلقة بالإسلام والمسلمين، والتغطية الاخبارية عادة يقل فيها التأويل، وأشارت كذلك نتائج الدراسة التحليلية للاتجاه أن نسبة (33 %)، من التغطية السلبية الرابطة عمدت الى الربط بين الاسلام والعنف و قتل الأبرياء، فيما بلغت نسبة التغطيات الإيجابية (21 %)، وعند آخر المراتب : الاسلام المعتدل (العلماني)، جاءت نسبة (75 %) من التغطية إيجابية مدافعة عن العلمانية وداعية الى الاسلام العلماني الذي تعتقد اعتداله، فيما جاءت (18 %) من التغطية محايدة، ولم تتعد نسبة التغطية السلبية (5%) .

سنة (2009) : بينت نتائج الدراسة التحليلية المتعلقة باتجاه الفئة الأولى : الاسلام رسالة تحترم الإنسانية أن (62 %) التغطية جاءت في اتجاه سلبي على خلاف ما قررته نتائج الفترة الاولى من التحليل مع الفترة السابقة لنفس الفئة، في حين بلغت نسبة التغطيات المحايدة (22 %)، و(14 %) من التغطية إيجابية، وهذا يؤكد أن الصحيفة مستمسكة بتوجهها المتحامل بالاحكام والنمطية تجاه الاسلام ورسائله السمحة، ومع الفئة الثانية محمد رسول عظيم، فبينت نتائج تحليل الاتجاه (73 %) من التغطيات سبقت في اتجاه سلبي، و(19 %) من التغطية كانت محايدة، فيما بلغت نسبة التغطية الإيجابية (07 %)، وعند فئة : الاسلام دين سلام، فبينت نتائج الاتجاه ان(38 %) من التغطية كانت في اتجاه سلبي، لا يعتقد وجود السلم في دين الاسلام ، وبنفس النسبة سبقت تغطيات في اتجاه محايد، فيما بلغت نسبة التغطية الإيجابية (22 %)، ولم تغرد الفئة الرابعة : الاسلام يدعو الى التسامح، خارج سرب الفئات العامة، فكانت (65 %) من التغطية سلبية قائمة، منحازة، غير موضوعية في اعتبار الاسلام دين تسامح، بل العكس تماما فيما تصوره وتروج له الاسلام دين عداوة وانتقام وعنصرية، كما أن (17 %)، من التغطيات جاءت في اتجاه محايد، وكذا بنفس النسبة كانت التغطيات الإيجابية ليتأكد مدى غلبة التحيز في تغطيات الصحيفة لمضمين هذه الفئة. ويزيد تأكيد هذا الاستنتاج نتائج تحليل اتجاه الفئة الخامسة : الاسلام يدين العنف و قتل الابرياء، والتي جاءت (50 %) من تغطياتها في إتجاه سلبي يربط العنف بالقتل بالإسلام وكأنها الحقيقة المطلقة التي تعيش تلازم الحضور، فيما أن نسبة التغطية الإيجابية بلغت (36 %)، وبقية(13 %) من التغطية سبقت في اتجاه محايد، أما عن آخر الفئات : الاسلام المعتدل (العلماني)، فلم تتأخر الصحيفة عن موقفها السابق ورأت أن هذا النوع من الإسلام هو المطلوب وهو الاعتدال وهو سبيل التواصل والتعايش، وقد نسبت ذلك (78 %) من إجمالي تغطية مضامين هذه الفئة،، فيما بلغت نسبة التغطية المحايدة (16 %)، ولم تتعد نسبة التغطية الإيجابية (04 %).

5-7.6 القراءة الكمية المقارنة لنتائج تحليل اتجاه مضامين فئة معالجة قضايا الإسلام الدولية.

لما كانت الفروق في النسب بين فترتي الدراسة ظاهرة إلى حد ما مع هذه الفئة : معالجة قضايا الإسلام والمسلمين الدولية، عمدت الدراسة إلى حساب دلالة هذه الفروق إحصائيا، فتبين وجود فروق كبيرة بين الفترتين لها دلالتها الإحصائية كما تؤكد ذلك قيمة معامل اختبار -ت- للفروق التي بلغت (0,87)، وهي اقل من القيمة الجدولية التي تساوي (2,14) عند مستوى ثقة (59 %)، وأكدتها قيمة معامل الارتباط (ر) المحسوبة التي تساوي (0,77) وهي أكبر من القيمة الجدولية التي تساوي (0,53)، بما يعنى ضعف الارتباط

وهو ظاهر جدا خاصة مع كثرة القضايا وتششت النسب، ولا شك أن للأحداث والعامل الزمني أثر كبير في تششت النسب وتحول طبيعة التغطيات واتجاهاتها، ففي فترة التحليل لسنة (2001)، أي غداة الأحداث مباشرة غلبت التغطية السلبية المشوهة والمتحاملة وغير الموضوعية على جل مضامين هذه الفئة وذلك بنسبة (72 %)، أعقبها في الترتيب التغطية المحايدة بنسبة (16 %) ثم التغطية الإيجابية بأضعف نسبة بلغت (11 %)، عكس ذلك فترة التحليل من سنة (2009)، التي غلبت عليها التغطية الإيجابية بنسبة (49 %)، تلتها في الترتيب التغطية السلبية بنسبة (39 %) ثم التغطية المحايدة بنسبة بلغت (16 %)، وهذه النسب تكشف بجلاء مدى تأثير الأحداث في المواقف تجاه الاسلام والمسلمين، كما تبين أن الصحيفة عدلت في كثير من الأحيان ومع العديد من القضايا من اتجاه تغطيتها من الانفعال السلبي الى الرؤية الواقعية - على الاقل - وذلك لا يعفي من الإشارة إلى أن الصحيفة تمسكت ببعض الافكار المغلوطة والمشوهة بل وعملت على نشرها وتعميمها في السياق، ونظرا لكثرة القضايا المطروحة فركز فيما يأتي على القضايا التي شهدا تحولا في الاتجاه دون باقي القضايا التي وافقت فيها فترة التحليل (2001)، فترة التحليل (2009)، وذلك وفق الآتي :

ظهر تحول كبير في اتجاه تغطية الصحيفة لمضامين فئة : **ظلم المرأة في الإسلام**، ففي فترة التحليل لسنة (2001)، جاءت (69 %) من التغطية في اتجاه سلبي، مشوه ومتحيز يرى في الاسلام أكبر عدو وظالم للمرأة، جدير بالذكر أن الصور الكاريكاتورية والفتوغرافية للمرأة في الاسلام وبلاد المسلمين حضرت بقوة في هذا السياق، فيما شكلت نسبة (15 %) قيمة التغطية الإيجابية والمحايدة على حد سواء في الترتيب ، بخلاف فترة التحليل لسنة (2009)، التي بينت غلبت الاتجاه الايجابي في تغطية مضامين هذه الفئة وذلك بنسبة (57 %)، فيما بلغت نسبة التغطية السلبية (38 %)، ولم تتعد التغطية المحايدة (3 %) .

ومع فئة : **احتلال العراق**، بينت نتائج تحليل اتجاه التغطية في الفترة الأولى من التحليل هيمنة التغطية السلبية بنسبة بلغت (40 %)، في حين لم تتعد نسبة التغطية الإيجابية (34 %) و(25 %) نسبة التغطية المحايدة، بخلاف ذلك تماما شهدت فترة التحليل من سنة (2009) هيمنت التغطية الإيجابية بنسبة (60 %)، تلتها التغطية المحايدة بنسبة (31 %)، وأخيرا التغطية السلبية بنسبة (8 %) وتعد نتائج هذه الفئة أحد أهم مؤشرات تحول اتجاه الصحيفة تجاه قضايا الإسلام والمسلمين، فبعد أن ركبت الصحيفة موجة العداة والتحامل والدعوة الى تبني الاستراتيجية الامريكية في محاربة الإرهاب، وملاحقته وأذنابه، محاولة بذلك شرعنة الاحتلال الامريكي للعراق، وداعية الى دعمه والوقوف في صفه عدة وعتادا غداة الأحداث، نجدها تتحول بعد ثمان

سنوات رأسا على عقب لتؤسس خطابها على رفض الاحتلال وتجريمه وفضح تداعياته السلبية أمنيا واقتصاديا وإنسانيا، ولعبت صرعة الأحداث وتداعياتها عاملا مهما في هذا التحول، ويكاد يتكرر نفس الأمر مع الفئة الموالية، فئة : الحرب في أفغانستان، إذ بينت نتائج تحليل الاتجاه للفترة (2001)، ان : نسبة التغطيات السلبية بلغت (38 %) ، في حين بلغت نسبة التغطيات الإيجابية (33 %)، أما نسبة التغطيات المحايدة فكانت (27 %)، على العكس من ذلك تماما في الفترة الثانية من التحليل أي سنة (2009)، شكلت التغطية الإيجابية نسبة (64 %)، وبلغت التغطية المحايدة (24 %) من التغطيات المحايدة، فيما لم تتعد التغطية السلبية (10 %) .

ومع الفئة الموالية : القرن الافريقي، اشارت نتائج تحليل اتجاه التغطيات أن (68 %) من التغطية كانت في اتجاه سلبي يركز على الحركات والتنظيمات الجهادية وما تصفهم الصحيفة بالجماعات والعصابات المتطرفة في القرن الافريقي وعلاقتها بالقاعدة والإرهاب الإسلامي العالمي، أكثر من المعاناة الانسانية للمسلمين في هذه المنطقة، فيما أن (24 %)، من التغطية جاءت محايدة، و(8 %) كانت إيجابية، مقابل ذلك مع نفس الفئة في الفترة الثانية من التحليل سنة (2009)، اشارت نتائج الاتجاه ان نسبة (46 %) من التغطية كانت في إتجاه إيجابي، وأن (18 %) من التغطيات في إتجاه سلبي، بينما بلغت نسبة التغطية المحايدة ()، ويلاحظ في هذا السياق أن الصحيفة تراجعت تغطياتها السلبية بعد ثمان سنوات من الأحداث، لتركز مع مضامين هذه الفئة على التداعيات السياسية والأمنية والجيواستراتيجية وحتى الانسانية أكثر، وذلك مايفسر ارتفاع نسب التغطية الإيجابية والمحايدة، وعند الفئة الموالية التدخل الدولي في السودان، بينت الاتجاه لفترة الأولى من التحليل أن (70 %)، من التغطيات كانت سلبية متحاملة على السودان ومنددة بظامها الذي اعتبرته نظاما متطرفا اراهيبيا، واعتبرت السودان أحد الخلفيات الاستراتيجية لتنظيم القاعدة، وصبت جل تغطياتها وتحليلها المتعلقة بالشأن السوداني في هذا السياق، وشكلت نسبة التغطيات المعارضة (22 %)، في حين بلغت نسبة التغطيات المحايدة (7 %) . غير أن الصحيفة لم تثبت وتستقر على هذا التوجه السلبي في التغطية، لتتحول بعد مرور ثمان سنوات الى الاتجاه المعاكس تماما، فبعد أن غلبت التغطية السلبية على مضامين هذه الفئة، رجعت التغطية الإيجابية لتهيمن من جديد وذلك بنسبة بلغت (53 %)، فيما بلغت نسبة التغطية السلبية (30 %) ولم تتعد نسبة التغطية المحايدة (6 %)، وفيما يتعلق بفئة : غوانتاناموا، بينت نتائج دراسة الاتجاه لفترة التحليل من سنة (2001) أن جميع التغطيات سيقنت في اتجاه سلبي، جدير بالذكر على قلتها، بخلاف ذلك مع فترة التحليل

لسنة (2009)، و التي كشفت أن (54 %) من التغطية جاءت في سياق إيجابي، إنساني مناهض لانتهاكات حقوق الإنسان في هذا السجن، ومنددة بالغطرسة الأمريكية وتعسفها في معالجة ملفات الموقوفين، واتجهت (22 %) من

التغطية إتجاهها سلبيا منددا بما تصطلح عليه الصحيفة " الإرهاب والإرهابيين الإسلاميين "، فيما اتجهت (20 %) من التغطية إتجاهها محايدا، وعند آخر الفئات : **القاعدة في بلاد المغرب**، جاءت نتائج الاتجاه للفترة الأولى من التحليل توضح ان كل التغطيات سبقت في اتجاه سلبي، رافض ومندد بأعمال هذا التنظيم بل حاملة معها دعوات محاربتة وإبعاده، وانعدمت باقي النسب، فيما تشتت نسب نفس الفئة وان غلب عليها الاتجاه السلبي دائما في الفترة الثانية من التحليل، أي سنة (2009)، لتبلغ (50 %) تغطية سلبية، و(35 %) تغطية محايدة فيما بلغت نسبة التغطية الإيجابية (14 %) .

5- 8.6 القراءة الكمية المقارنة لنتائج اتجاه مضامين فئة القضية الفلسطينية.

بينت نتائج دراسة الاتجاه لمضامين فئة : **القضية الفلسطينية**، من حيث الاجمال إلى وجود فروق كبيرة دالة احصائيا بين فترتي التحليل ، كما تبين ذلك قيمة معامل الارتباط التي كانت ضعيفة كلية لم تتجاوز (0,49 -). بما يعني ضعف الارتباط ، واختلاف فترة عن الأخرى في اتجاه التحليل، ومزيديا من التأمل في قراءة النسب المتويرة نلمح أن ذلك التحول في الاتجاه كان نحو مزيد من الإيجابية في تغطية أخبار القضية الفلسطينية، وهذا ما يبين ان الأحداث أثرت تأثيرا سلبيا على القضية الفلسطينية لدى القائم بالاتصال في الصحيفة، وما يفسر ان الأحداث ألفت بظلالها السلبية على الاسلام والمسلمين وقضاياهم العالمية والإقليمية، والنتائج التفصيلية توضح ذلك :

سنة (2001) : بينت نتائج دراسة الاتجاه لمضامين فئة : **الاحتلال الإسرائيلي**، ان نسبة التغطيات السلبية بلغت (42 %)، يليها نسبة التغطيات الإيجابية بنسبة (13 %)، في حين شكلت نسبة التغطيات المحايدة (18 %). وهنا نشير في واقع الحال أن مقصود الفئة كان البحث في حقيقة وصف الصحيفة لما يقع على الاراضي الفلسطينية، ما بين اعتباره ووصفه احتلالا ونهبا وغصبا وبين وصفه حقا يتقاسمه طرفان، والأخير هو ما غلبت عليه التغطية الصحفية وبخاصة عقب الأحداث، وعند الفئة الثانية : **الدعم الامريكى الصهيوني** ، اظهرت نتائج الاتجاه ان : (14 %) هي نسبة التغطيات الإيجابية، و(10 %)، نسبة التغطيات المحايدة، و(2 %) نسبة التغطيات المؤيدة. وهذه النسب توضح مدى تقبل الصحيفة وتفهمها بل ودفاعها المستميت

أحيانا عن القرارات الأمريكية بشأن القضية الفلسطينية، وكان لظلال الاحداث بلا شك دور في هذا السياق وبخاصة ان في ثنايا القضية الاسلام السياسي وحركات الجهاد والمقاومة، وهو ما لا تقبله الصحيفة مطلقا، وعند الفئة الثالثة : **الاستيطان**، جاءت جل التغطيات في صيغة سلبية، فيما بلغت نسبة التغطيات الإيجابية، (29 %)، في حين شكلت نسبة التغطيات المحايدة (6 %)، وانعدمت تماما نسبة التغطية السلبية، ومع الفئة الرابعة : **الصراع الفلسطيني الداخلي**، جاءت نتائج الدراسة التحليلية للاتجاه لتؤكد أن (77 %) من التغطية سبقت سلبية، متحاملة على هذا الصراع الذي تخندق فيه ضد الحركات الاسلامية، وكانت نسبة (22 %) من التغطية محايدة، وانعدمت نسبة التغطية الإيجابية تماما. وما يتعلق بالفئة الخامسة : **مبادرات السلام**، يظهر من خلال نتائج الجدول ان التغطيات المحايدة شكلت اكبر نسبة (60 %)، في حين بلغت نسبة التغطيات الإيجابية (24 %)، اما نسبة التغطيات المؤيدة فبلغت (7 %). آخر الفئات كانت فئة : **حركات المقاومة الإسلامية**، لم تحظ بأي تغطية إيجابية أو حتى محايدة تذكر بل سبقت كل الفئات بصيغة سلبية، قائمة رافضة ومتحاملة على حركات المقاومة الاسلامية.

سنة (2009) : كما صدرنا الحديث، فقد أبانت نتائج دراسة الاتجاه إلى وجد فروق لها دلالتها بين فترتي التحليل، وهذا ما تؤكد نتائجه هذه الفترة بالذات وبخاصة مع الفئة الأولى والثالثة اللتين اختلفتا كلية، هذا وبينت نتائج تحليل مضامين الفئة الأولى : **الاحتلال الإسرائيلي**، لهذه الفترة تراجع التغطية السلبية وعودة التغطية الإيجابية المعارضة والصريحة في رفض الاحتلال بنسبة (48 %)، وجدير بالذكر أن حرب غزة التي مرت قبيل هذه الفترة من التحليل كان لها دور حاسم في تراجع نسبة التغطية السلبية، ومع ذلك بقيت قناعة الصحيفة السلبية قائمة، وإن بنسبة لم تتعد (27 %)، في حين كانت نسبة التغطيات المحايدة (24 %). وعند الفئة الثانية : **الدعم الأمريكي الصهيوني**، لم تتغير المعطيات في هذه الفترة عن سابقتها إذ تصدرت التغطيات الإيجابية بنسبة بلغت (75 %)، بينما بلغت نسبة التغطية المحايدة (16 %)، ولم تتعد نسبة التغطيات السلبية (8 %). وكما أسلفنا الذكر شهدت الفئة الثالثة : **الاستيطان**، تغيرا تماما في تحليل نتائج الاتجاه، فبعد أن سادت بدرجة أولى التغطيات السلبية الفترة السابقة، جاءت التغطية الايجابية بنسبة (70 %) لتصبح هذه الفترة، وتؤكد تصريحها عدم إقرارها هذه السياسة اللامشروعة، والتي عدتها انتهاكا للحقوق وفي كثير من الاحيان المعرقل الأساسي لعملية السلام، بينما بلغت نسبة التغطيات المحايدة (30 %)، وانعدمت كلية التغطية السلبية، وعند رابع الفئات : **الصراع الفلسطيني الداخلي** فقد بينت نتائج التحليل تغيرا طفيفا في

الاتجاه فترتي الدراسة، إذ أن (57%) من التغطية جاءت محايدة بعد أن كانت سلبية الفترة السابقة، واتسمت نسبة (42%) من التغطية بالإيجابية، بينما انعدمت تماما نسبة التغطية السلبية، وتشكل هذه الفئة هي الأخرى مؤشرا مهما في فهم طبيعة اتجاهات صحيفة لوموند، تجاه القضية الفلسطينية، وعند تحليل الفئة الخامسة : **مبادرات السلام**، بينت نتائج دراسة الاتجاه ان (96%) من التغطيات جاءت سلبية غير موضوعية ويغلب عليها الاتهام والتحيز لصالح الصهاينة، في حين بلغت نسبة التغطيات المحايدة (3%)، فيما انعدمت نسبة التغطية الإيجابية كلية، وما يثير الانتباه كذلك في السياق تحول في كثافة الاتجاه فيما يتعلق بالفئة السادسة والأخيرة، **حركات المقاومة الإسلامية**، إذا كانت مرفوضة جملة وتفصيلا وبصفة سلبية غداة الأحداث، نجد لها بعض التغطيات المحايدة وحتى الإيجابية في سابقة تعكس تحولا في طبيعة الخطاب الى تقبل هذه الحركات بل وأحيانا الدفاع عنها وعن حقها المشروع في المقاومة، وهنا نستصحب دوما أن فترة التحليل هذه الأخيرة سبقتها ايشع حرب اخترقت فيها وانتهكت حرمت الاطفال والنساء والضعفاء في ارض فلسطين المحتلة، ما يرجح تفهم المقاومة كرد فعل طبيعي متوقع، وأشارت النسب إلى أن (52%) نسبة التغطيات سيقنت ايجابية وأن (26%) من التغطية كانت المحايدة اما نسبة التغطيات السلبية فقد شكلت (21%).

الفصل السادس

التحليل الكيفي المقارن لنتائج دراسة
(المضامين والاتجاه) فترتي التحليل
(2009/2001)

- 1-6 علاقة الإسلام والمسلمين بظاهرة الإرهاب.
- 2-6 المسلمون وأطروحتي نهاية التاريخ وصراع الحضارات .
- 3-6 المسلمون وقيم الحضارة الغربية.
- 4-6 الاسلاموفوبيا أو الخوف المرضي من الإسلام .
- 5-6 الإسلام وقضايا المسلمين في فرنسا.
- 6-6 قيم الاسلام ومبادئه الاصيله .
- 7-6 الاسلام وقضايا المسلمين الدولية .
- 8-6 القضية الفلسطينية .

1-6 التحليل الكيفي المقارن لنتائج فئة " علاقة الإسلام والمسلمين بظاهرة الإرهاب " :

من حيث طبيعة مضامين واتجاهات التحليل المتعلقة بهذه الفئة فقد أبانت الدراسة التحليلية عن ثبات الصحيفة في اتجاهها السلبي المتحامل والمشوه للإسلام في علاقته مع ظاهرة الارهاب العالمية، تغطية توشي للقارئ أن الاسلام والإرهاب وجهان لعملة واحدة رغم اختلاف وتباعد فترتي التحليل، وتفاوت حجم التغطية تفاوتاً إحصائياً كما وضحت ذلك المعالجة الإحصائية للبيانات المتعلقة بهذه الفئة، والتي أشارت إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى إلى اختلاف فترتي التحليل بين سنتي (2001 و2009)، مرجعة تلك الفروق إلى أربع فئات فرعية أساسية وهي : (الإسلام يشجع على العنف ضد غير المسلمين، المسلمون وراء أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001) " تمويلا و تدريبا "، براءة المسلمين من هجمات الحادي عشر من سبتمبر (2001)، لتنشئة الدينية للمسلمين ومسؤوليتها عن أحداث الإرهاب في العالم).

ويمكن تفسير فروق التغطية هذه في ضوء افتراض المؤرخ الفرنسي (Fernand Braudel)، القائم على التمييز بين "التاريخ الحداثي" الآني ذي الإيقاع السريع، أي زمن الأحداث اليومية المتتالية، و"التاريخ اللاحداثي" ذي الإيقاع البطيء، أي زمن البنيات العميقة والتحويلات الهيكلية للظاهرة، حيث يذهب (Braudel) إلى أن "الزمن الحداثي" الذي يسميه أيضا "زمن الحروب والمعاهدات" هو الذي استأثر باهتمام المؤرخين رغم أنه نسبي، جزئي ومضلل أحيانا، بوصفه يقف عند التموجات السريعة التي لا يتسنى فهمها وضبطها إلا في سياقها البنيوي الأعمق.¹

وتتجسد هذه الفروق في ذلك التحول من خطاب أحادي الرؤية، خطاب رد الفعل والتعميم والاختزال والتشويه للإسلام والمسلمين غداة أحداث الحادي عشر من سبتمبر، إلى خطاب أقل حدة وأوسع نظرا وأكثر مسؤولية، وإن لم يرق إلى مستوى الموضوعية المطلوبة في التعاطي مع مثل هكذا موضوعات، كما توضح ذلك دلالات قيم الاتجاه، فالصحيفة منذ الشرارة الأولى للأحداث اتخذت لنفسها موقفا محددًا مدافعا عن الغرب وقيم الغرب ضد الإسلام والمسلمين، ونشرت في هذا السياق رسالة الرئيس (جاك شيراك) موجهة للرئيس الأميركي " سنكون كلنا متضامنين مع الولايات المتحدة، ضد الخطر الإسلامي، وبالنظر إلى نص المادة الخامسة

¹Fernand Braudel : Op cite, p p, 25-30.

من الحلف الأطلسي فإن أي اعتداء على دولة من دول الحلف هو اعتداء علينا جميعا" ووقعت الصحيفة إثر هذا التصريح تبعيتها المباشرة لإستراتيجية الرئيس الأمريكي جورج بوش في استراتيجيته الأمنية والعسكرية ضد الإرهاب، و كتب في هذا رئيس التحرير مقالا افتتاحيا أحدث ضجة كبيرة آنذاك في العالمين العربي والإسلامي، بعنوان (كلنا أمريكيون) قائلا " كلنا أمريكيون إن وراء موجة القتل الفاضح، أشخاص ينطلقون من منطق وجنون في القتل، ولا شك أن هذه البربرية والنازية الجديدة، البغيضة الانتحارية التي تقتل الأبرياء موجودة لدى كثير ممن يعتقدون الدين الإسلامي، جديرة بالحرب والاعتراض لها، انه منطق سياسي يذهب إلى أقصى حدود التطرف ليفرض على الآخرين رأيه ويلزمهم بمحاربة الشيطان الأكبر الذي يصوره لهم، وأغراضهم توسيع هوة لأزمة لم يسبق لها مثيل في العالم العربي"² وهذه الفقرة تشير بوضوح من خلال مفرداتها القاسية والمتطرفة، إلى مدى التحيز الذي وصلت إليه صحيفة لوموند الفرنسية في الوصف، وتؤكد عمق الأثر والتخوف الذي خلفته الهجمات على سياسات القائم بالاتصال في الصحيفة، تأثيرا جعلها تسير بكثافة عالية مسيرة الأحداث وتداعياتها الإقليمية والدولية بصورة سلبية جدا، وهذا ظاهر من مساحة التغطية الكبيرة التي خصتها الصحيفة لموضوعات (علاقة الإسلام بالإرهاب)، ومن هول المشهد الذي أضحت تصوره صحيفة لوموند للقارئ، كتب الصحفي (Frederic Chambon) بعد أقل من عشرين يوم من الأحداث، عن مدى التخوف من الإرهابيين مسلمي فرنسا قائلا : " لم يعد (بن لادن) البطل الجديد للمدن، فهجمات الحادي عشر من سبتمبر جعلت الجميع مدانون، بما فيهم المواطنين الفرنسيين الذين يظهرون تعبيرا وتضامنا مع العالم العربي والمسلم، وبخاصة مع الفلسطينيين"³.

لقد وقعت الصحيفة، في أسر ما أسماه " فرندبروديل "، ضلالات الزمن الحديث، أين فقدت تحليلاتها بوضوح المنطق والموضوعية في نظرها إلى الظاهرة الإرهابية وعلاقتها بالإسلام، فبدل أن تخصص تحليلات منطقية، موضوعية، ومستقلة توافق مهنتها وحجمها، وتستضيف شخصيات متعددة الرؤى والتوجهات ومتخصصة في الموضوع، نجدتها تحتل ذلك في رؤية واحدة لخصها رئيس التحرير (Jean-marie Colombani) غداة الأحداث مباشرة في افتتاحية الصحيفة بتاريخ عشية الأحداث " كلنا أمريكيون.... بهذه

¹ Sans Signature : «Un débat s'esquisse en France autour de la riposte américaine» . **Le Monde**, N° 17614, le 15 Septembre 2001, p1.

² Jean-Marie Colombani : «Nous sommes tous Américains» .Op cite.

³Frederic Chambon : « Les jeunes des banlieues craignent l'amalgame entre musulmans et terroristes». **Le Monde**, N° 17629, le 30 Septembre 2001, p13.

اللحظة المأساوية عندما الكلمات تبدو سيئة جدا للتعبير عن الصدمة التي يشعر، فإن أول ما يتبادر إلى الذهن هو: نحن جميعا أمريكيون ! نحن جميعا من سكان نيويورك، تماما كما قال (جون كينيدي) في عام (1963) في برلين¹، مستسلمة في ذلك لإستراتيجية السياسة الأمريكية المضللة ، و متحولة إلى بوق للدعاية الأمريكية في أوروبا والعالم. والملفت ان الصحيفة لم تتراجع أو تتنازل عن عرش عن ظلالها الحديث بل بقت في مسيرتها المضللة والمشوهة حتى بعد ثمان سنوات من الأحداث. وتفصيل ذلك مع كل فئة فرعية وفق ما يأتي :

6-1.1 المسلمون هم من نفذ هجمات الحادي عشر من سبتمبر (2001) في الولايات المتحدة/ الإسلام يشجع على العنف ضد غير المسلمين.

لم تحفظ صحيفة لوموند الفرنسية في تحميل المسلمين مسؤولية أحداث الحادي عشر من سبتمبر منذ الوهلة الأولى لوقوعها، حيث كتب نشرت مقالا دون توقيع تحت عنوان (الأدلة والهدف) " كل شيء تم بطريقة مبرجة وسلسلة، وتم حسم مسألة مسؤولية بن لادن على تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر، ففي نفس الوقت الذي شنت فيه الولايات المتحدة أول عملياتها العسكرية ضد المنشق السعودي (أسامة بن لادن)، حتى خرج بعد نصف ساعة من بداية القصف في شريط فيديو بث على قناة الجزيرة، يعلن مسؤوليته على الأحداث"²، وكانت الصحيفة قد نشرت تقريرا خاصا عن (أسامة بن لادن) نشأته، مسيرة نضاله منذ كان حليفا للولايات المتحدة، إلى أن خطط و نفذ هجمات الحادي عشر سبتمبر من وجهة نظر الصحيفة،³ وعن (الملا عمر) وعن التنظيم كذلك، لكن ماهو مميز في تغطية هذه الفترة غداة الأحداث هو التركيز بشدة وبلهجة تعميمية ومتحاملة ومشوهة، على مخاطر "التهديد الإسلامي" حيث كتبت " رغم عدم وجود تهديدات مباشرة من (أسامة بن لادن) مفجر أبراج الثلاثاء الأسود، إلا أن فرنسا يجب أن لا تستبعد تلقي ضربات من تنظيم القاعدة، خاصة مع وجود تهديدات قائمة نشرت على مسلمين موالين (لأسامة بن لادن)"⁴، وزاد الصحفيون أنفسهم نشر قصة إخبارية، تحت عنوان (الإرهاب الإسلامي، فيلم مرعب) في قالب درامي على طريقة

¹ Jean-Marie Colombani : « Nous sommes tous Américains » . Le Monde, N° 17629. Le 13Septembre 2001, p2.

² Sans Signature : « Les preuves et la cible». Le Monde, N° 176 37, le 09 octobre 2001, p3.

³ Françoise Chipaux: «Ben Laden : un antiaméricanisme absolu au service du Djihad islamique » . Le Monde , N° 17614. 13 Septembre 2001, p2.

⁴ Pascal Ceaux Herve Gattegno Et Franck Johannes : «Une enquête ouverte depuis lundi à Paris sur un groupe de la mouvance Ben Laden » . Le Monde, N° 17614. 13 Septembre 2001, p 3.

أفلام وروايات جيمس بوند، تنسج صورة شديدة السواد عن "الإرهاب الإسلامي" و"الإسلام والمسلمين" وخطرهم القادم وخطورة مشاريعهم، التي سيتسللون بها إلى قلب العالم الغربي من خلال المؤسسات الرسمية والشعبية¹، ولم تتوقف الصحيفة عند هذا الحد بل ذهبت أبعد من ذلك معتبرة إياها بداية خطيرة لحرب إسلامية متطرفة قادمة ضد القيم والثقافة والحضارة الغربية، حيث كتب (Dominique Dhombres) بعنوان (البداية لحرب أكبر) مقالا تحليليا مطولا استند فيه إلى افتراضات نظرية صدام الحضارات ل(صموئيل هنتغتون) ركز من خلاله على فكرة الصحوحة الإسلامية القادمة في العالم العربي والإسلامي والغربي وما يمكن أن تشكله من تهديد على الحضارة الغربية، خاصة وأن الثقافة الإسلامية بما تتملك من رصيد وخطاب تقدم الكرامة للشباب المنبوذين الذين تعيشون في الأحياء الفقيرة في القاهرة وكراتشي وكابول.²

كما لم تتوان في العديد من التغطيات والتحليلات من الإفصاح عن موقفها من "الحرب على الإرهاب" التي أعلنها الرئيس (جورج بوش)، لتعلن صراحة كما كتب (Alain Touraine) "في مثل هذه الظروف لا يمكنك أن تقف إلا لأحد الطرفين إما الحرب على الإرهاب أو دعم العنف والأعمال الإجرامية، فنحن لا نستطيع أن ندين العنف دون أن نقف إلى جانب الولايات المتحدة في حربها"³

والموصول إليه من خلال الدراسة التحليلية أن هذه الشدة في التحامل والتشويه والضغط على الإسلام والمسلمين لم تستمر طويلا بنفس الدرجة مع الصحيفة، إذ بعد مسير ثمانية أعوام عن الأحداث، خفت شدة تركيزها وتعميمها وحدة تحاملها، وعدلت إلى حد ما في طبيعة تعليقاتها وتحليلها عند الحديث عن مسؤولية أحداث الحادي عشر من سبتمبر، معتبرة إياها هجمات أعمالا إنتحارية جبانة نفذها أنصار تنظيم القاعدة بزعامة (أسامة بن لادن) وليس كل المسلمون، وكان لسياسة الولايات المتحدة العدائية والعنصرية دور في تأجيج فتيلها، كما كتب (Paul Kennedy) على صفحات الجريدة بعنوان "قوة العدو والهشاشة الأمريكية" ما جنته أمريكا من عدااء وهجمات وكره عالمي هو من صنع يديها، بل نتيجة منطقية للعولمة الثقافية والاقتصادية والسياسية والدعائية المغرضة، التي أضحت تشكل تهديدا لكثير من الجماعات والدول عبر العالم⁴، مجرية هذا الوصف على غالب المقالات والتحليلات وحتى الصور الكاريكاتورية التي سيقف خلال هذه الفترة، وهو

¹Ibide , p4.

² Dominique Dhombres : « La prédiction de Samuel Huntington : le début d'une grande guerre ». **Le Monde**, N° 17614. 13 Septembre 2001, p5.

³Alain Touraine : « Aujourd'hui et demain » . **Le Monde**, N° 17688. 27 Novembre 2001, p7.

⁴ Paul Kennedy : « Puissance de l'ennemi et fragilité américaine». **Le Monde**, N° 17626. Le 27 Septembre 2001, p6.

وصف لم يكن موجودا غداة الأحداث، إذ بعد مسير الأعوام وتغير المشهد العالمي خاصة بعد احتلال أفغانستان والعراق، وظهور كثير من المتغيرات والأحداث القوية (تأثر المصالح الفرنسية السياسية والثقافية والاقتصادية من خلال التبعية المطلقة لإستراتيجية الولايات المتحدة الخارجية، مشكلة الحجاب في فرنسا، إشكالية الرسوم المسيئة للنبي صلى الله عليه وسلم، فعالية المسلمين في المجالس والهيئات الرسمية وغير الرسمية في الغرب وخصوصا فرنسا،...) المتعلقة بالغرب والإسلام، تبين أن النظرة طرأ عليها تغير ملحوظ، فالعديد¹ مما كتب سنة (2009)، ينزه المسلمين عن تنفيذ الأحداث، بل ويجعل الأحداث نتيجة منطقية لغطرسة السياسة الأمريكية وإجحافها،² بل ابعده من ذلك ذكرت الصحيفة - مرتين - أن الأحداث كانت بمثابة بيرل هاربور جديدة، بما يعني مسؤولية المخبرات الأمريكية، التي كانت تملك القرائن والمؤشرات الكافية لاحتمال وجود هجمات ضد مصالح إستراتيجية في الولايات المتحدة، من دون أن تحرك المخبرات الأمريكية ساكنا، وكأنها كانت تتقصد الأمر.

وحاولت الصحيفة أن تقدم خطابا جديدا أكثر اعتدالا وتوازنا في تمييز التطرف الإسلامي - على حد وصفها - عن الإسلام المعتدل، ونذكر في هذا السياق تلك المناظرة القيمة التي نشرتها الصحيفة عبر صفحاتها، وفي ملف خاص، لثلاثة من كبار المنظرين والخبراء البارزين في هذا السياق وهم على التوالي: (Gilles Kepel , Farhad Khorosr Okhavar, Alain Gresh) من أجل تحليل مفهوم "التهديد الإسلامي" وتشكل هذه المناظرة القيمة رؤية من زوايا مختلفة، لموضوع مهم، تعدى الحديث فيه إلى تنظيم القاعدة، نشاطه وبنائه وتصورات ووسائله وموقفه من الغرب، وقناعاته التي هي في الغالب تفسيرات وتأويلات ومصالح جماعات وأشخاص محددة، ما يكشف - من منظورهم - أن العنف في الإسلام ناتج عن التأويل والحسابات الشخصية المتعلقة بالقيادات، وداعين في نفس الوقت ذاته الغربي إلى التمسك بالنظر الثاقب والتحليل العميق والدقيق للأسباب والخصوصيات، وضرورة الفصل بين الإسلام كدين بمبادئه وقيمه النبيلة، وبين سلوك من يسمون بالمطرفين المسلمين، فالمسلمون كجماعات تعيش في الغرب أو كشعوب وحكومات تحيا على أراضيها لا يؤيدون الأحداث بل ويستنكرون ويتبرؤون من مرتكبيها،³ والإسلام بالنظر إلى بعده التعبدي وأصوله (القرآن

¹ بلغت النسبة (16,10%) في تحليلات سنة (2009).

² Marc Weitzman : « Le droit à la violence » . **Le Monde**, N° 17610, Le 11 septembre 2009.p 26.

- Stephanie Le Bars : « Devant la communauté musulmane, Horte feux exprime ses regrets plus que des excuses». **Le Monde**, N° 19968 ,16 avril 2009.p 07.

-Royaume Uni : « " C'est la guerre ", " Salauds ", " Combien de morts ? " : les " unes" du 12 septembre 2001 » . **Le Monde**, 19961, 09 septembre 2009.p 1/19.

³ Gilles Kepel : رئيس مشروع علاقات الشرق الأوسط، البحر المتوسط، معهد العلوم السياسية باريس، و Farhad Khorosr Okhvar : باحث في المعهد العالمي للعلوم الاجتماعية باريس، و Alain Gresh : رئيس تحرير صحيفة " لوموند ديبلوماسيك " ينظر :

والسنة) الرئيسية، دين لا يشجع على العنف. فضلا على ضرورة خروج فرنسا، ذات الخصوصية الجغرافية والاجتماعية في العلاقة مع المسلمين، من موقف المحرض والتابع لسياسات واستراتيجيات الولايات المتحدة العدائية، والبراغماتية المحضة.¹

6-2.1 موقف الإسلام من العنف وقتل الأبرياء.

في المرتبة الثانية من الفروق في المعالجة "وقد ارتفع حجم تغطية هذه الفئة كثيرا غداة الأحداث متضمنا كل أشكال الاتهام والتشويه والتحريف والمبالغة، وحريصة حرصا شديدا على لصق العنف والإرهاب بالإسلام والمسلمين، من دون تدقيق أو تمييز أو حتى استثناء، وظهر فيما نشرت خلال هذه الفترة من التحليل في السياق كثيرا من التجاوزات المشينة في حق الإسلام والمسلمين، وأضحت تلصق جل أعمال العنف والإرهاب والتخويف والتفجير التي تقع عبر العالم بالإسلام والمسلمين، ولعل من أشد المقالات تعبيرا على ذلك ما كتبه الصحفي المتخصص في مجال الأديان والمطلع على القرآن الكريم ونصوصه (Henry Tincq) بعد يومين فقط من الأحداث، " الحرب المقدسة في الشريعة الإسلامية " باسم أي إسلام يمكن أن نسوق حياة جديدة للآخرين، ونبرر العمليات الانتحارية التي يقوم بها هؤلاء الحمقى، المتعصبون المسلمون، لا شك أن عقيدتهم الدينية هي مصدر إلهامهم ... إن الجهاد أمر مألوف في الخطاب الإسلامي منذ القدم، وقرآهم مليء بآيات الحث على القتل والتدمير والغزو، لكن ما لا يمكن فهمه هو مدى فعالية التأويلات والتفسيرات الحمقاء التي يسوقها هؤلاء الانتحاريين، ويتلاعبون بها من أجل غسل العقول وترسيخ القناعات، وإيجاد شرعية لهم"،² ومثل هذا الخطاب العدائي المتحامل المشوه كتب (Alain Touraine) " إن مجرد إدانة الإسلام من العنف لا يكفي وحده، بل يجب أن نشارك في مطاردة إرهابه وملاحقته ودعم الولايات المتحدة في أفغانستان وفي كل مكان عبر العالم"،³ لكن بعد ثمان سنوات من الأحداث، تراجعت شدة التركيز على هذه الفئة وان كان لم تنعدم تماما، وتراجعت معها حدة التحامل والتشويه فأضحت الصحيفة تستخدم لغة أكثر تحفظا ودبلوماسية حين

- Sylvain Cypel Et Laurent Greilsamer : « L'état de la menace islamiste » . trois ans après le 11-Septembre » . **Le Monde**, N° 17912. Le 11 Septembre 200, p6.

¹ Xavier Ternisien : « Le ramadan, temps fort de la pratique ordinaire des musulmans de France » . **Le Monde**, N° 17979. Le 20 Novembre 2001, p10.

² Henri Tincq : « Enseigner l'islam à l'école, Comment s'étonner que l'islam soit si mal connu, alors qu'il est si peu enseigné ? » . **Le Monde**, 17653, Le 24 octobre 2001 .P22.

³ Alain Touraine : « Aujourd'hui et demain » . **Le Monde**, N° 17682, le 27 Novembre 2001, p14.

تصف جموع المسلمين وخصائص الإسلام، محاولة إظهار التمييز بين المصطلحات المشينة كالتطرف والإرهاب والنازيين والعنصريين والشياطين...، مما يؤشر من جهة إلى مدى التأثير السلبي والكبير الذي بلغ الصحيفة عقب الأحداث، ما جعلها تركب قارب المغالين والمتطرفين، كما يشير إلى عمق التحول الذي طال الصحيفة، عن موقفها الراض والمعادى للإسلام، والمسلمين، إلى موقف المتحفظ والبراغماتي والمسالماً نوعاً ما مع الإسلام والمسلمين وقضاياهم بل والناقد في العديد من المرات للسياسة الغربية وغطرستها، والمدافع عن المسلمين بلغة عقلية ومنطقية تقارب حقيقة ما ينبغي أن يكون. كما كتب احد المرسلين (دون توقيع)، مقالا من أشد المقالات تميزا واستماتة في الدفاع عن المسلمين بعنوان (من يستطيع الحديث عن المسلمين في فرنسا ؟) " مشروع منظمة لائكيه أعيد إحيائه في الشرق والجنوب، لكن المجلس الفرنسي للثقافة الفرنسية ضعيف جدا بفعل الانشقاقات الداخلية، والمسلمون لم يشهدوا تمثيلا ناجحا لهم حتى مع المجلس الفرنسي للثقافة الفرنسية (CFCM)، منذ أن أعلن وزير الداخلية ساركوزي عن إنشائه سنة 2003، وحدد بموجبه المكونات الرئيسية للإسلام، خاصة وأن هناك من يحاول توجيهه وجهة لائكيه،- متسائلا صاحب المقال- لما لا يكون للمسلمين دور وتمثيل كما تمثيلهم في المجلس التمثيلية للمؤسسات اليهودية في فرنسا¹(CRIF).

3.1-6 المسلمون وراء أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001) (تمويلا و تدريبا)، وفئة براءة المسلمين من هجمات الحادي عشر من سبتمبر(2001) .

وتجلت فروق المعالجة بين هاذين الفئتين بوضوح كبير، فغداة الأحداث انجرت الصحيفة نحو ما كتب وقيل في وسائل الإعلام الغربية دون أدنى تحفظ، من اعتبار المسلمين، خطر العالم وراء الأحداث (تمويلا و تدريبا)، "موجهة بذلك أصابع الاتهام ليس إلى " تنظيم القاعدة " - الذي أعلن في خطابه تبنيه للعملية- فحسب، بل إلى العديد من المسلمين فرادى وجماعات في الشرق كانوا أم في الغرب، وإلى المؤسسات المالية والجمعيات الخيرية الإسلامية في العالم بما في ذلك الحكومات الدينية والممالك التي تصدر الإرهاب وتأوي الإرهابيين، وركزت الصحيفة بصفة خاصة ومميزة جدا في هذه الفترة، على تغطية كل الأخبار والحوادث المتعلقة بملاحقة من سمّتهم بالمسلمين الإرهابيين المندسين في أوروبا، والداعمين والممولين للإرهاب العالمي، على غرار ما نشرته تحت عنوان (إرهابي رحلة باريس ميامي ينشط من خلال شبكات إسلامية) "كان يحمل المتفجرات في حذائه

¹ Sans Signature : « Qui peut parler pour les musulmans de France ? ». Le Monde, N° 19992, le 10 Mai 2009, p16.

هذا ما كشفتته الشرطة الحدودية لمطار ميامي ... الشاب ينتمي إلى شبكة دولية تدعم الإرهاب الإسلامي تنطلق من أوروبا"¹، ولم تخف الصحيفة دعمها وتأييدها لسياسية الولايات المتحدة في محاربة الإرهاب وتخفيف منابعه ومصادر تمويله، فنجدها كثيرا ما تهتم بتغطية متابعات الحكومة الأمريكية للأصول المالية في البنوك، التي تخص أفرادا وجماعات ومؤسسات إسلامية مشكوك في تمويلها ودعمها لما سمي بالإرهاب العالمي، فنقلت على سبيل المثال "الولايات المتحدة تجمد أصول المالية لسبع وعشرين منظمة أو أفراد لهم صلة بالإرهاب، وتهدد البنوك والدول المارقة (المقصود بها ليبيا، سوريا، إيران، وكوريا الشمالية). بملاحقتها في عمليات انتقامية، من اجل تفكيك هذه الشبكات الخلفية للإرهاب الإسلامي العالمي، وتسليط الضوء على هذه الصناعة التي كان قد أعدت لهجمات الإسلاميين في أوروبا والعالم الغربي"².

فغداة الأحداث تزحزحت الصحيفة من اليسار إلى أقصى اليمين المتطرف، في التعامل مع مضامين هذه الفقرة، لترجع بعد ذلك إلى خطها اليساري بعد مرور ثماني سنوات من الأحداث، وترشد بعضا من تحليلاتها ومواقفها تجاه الإسلام والمسلمين، ولا يعني هذا أنها تحولت تحولا جذريا، بالعكس ثابته الصحيفة تجاه الإسلام السياسي والعمل التنظيمي الإسلامي، ومظاهر الإلتزام وعلاقة المسلمين بالجهاد وبعض التصورات الدينية - التي تعتقدها الصحيفة مخالفة ولا إنسانية أو تقاليد مورثة عن عصور بائدة - بقيت على حالها، ولكن قلت حدة التحامل والتشويه والتعميم على ما كانت من قبل من حيث الشكل العام، ليرز وجه آخر يتضمن رؤيتان - على الأقل - يمزجان الفعل ورد الفعل، الأسباب والنتائج، التأييد والمعارضة، التحليل والنقد. من أجل هذا ظهرت على الصحيفة بعد سنوات ثمان، تغطية وتحليلات لموضوعات بالغة الحساسية، على غرار المقاربات النظرية العسكرية والأمنية الجديد للعالم والشرق الأوسط في ظل التنافس الدولي، ضلوع المخابرات الأمريكية في فبركة أحداث الحادي عشر من سبتمبر³، الحرب على الإرهاب الدولي ومسألة حقوق الإنسان⁴، فضلا على

¹Eric Leser : « Le terroriste du vol Paris-Miami aurait des liens avec les réseaux islamistes » . Le Monde N° 17628, le 27 Décembre 2001.P2.

²Sans Signature : « Ben Laden : sa filière française, ses liens financiers » . Le Monde, N° 17625, le 26 septembre 2001, p11.

³ Sans Signature : « La CIA a nouveau accusée d'avoir torturé des prisonniers » Le Monde, N° 19983, le 22 Avril 2009, p13.

⁴ Frederic Bobin : « La CIA a nouveau accusée d'avoir torturé des prisonniers » . Le Monde, N° 19992, le 10Mai2009, p13. Nicolas Bourcier: « La torture dans les prisons de la

تأكيداً وانتقاداً بشدة تبعية فرنسا - بصفة خاصة - للإستراتيجية الأمريكية، ورفضها لمسمى الحرب على الإرهاب، حتى أنما نشرت حواراً مطولاً مع الباحثة الباكستانية (Mariam Abou Zahab) حول تساؤل جوهري: ماهي أفضل طريقة لمحاربة طالبان؟ الحوار أم المواجهة المسلحة؟، وبالبنء العريض كتبت العنوان (كان يجب الحوار مع حركة طالبان منذ عام 2001)،¹ وزاد في هذا السياق (Hubert Védrine) " لماذا يجب معارضة أطلسية فرنسا " قائلاً : إن التحالف مع الأطلسي في هذه الظروف لا يعطينا المزيد من النفوذ في العالم و(ساركوزي) يريد فرنسا للانضمام إلى القيادة المتكاملة لحلف شمال الأطلسي، ثلاثة وثلاثين عاماً بعد أن قرر الجنرال (ديغول) الخروج... وهو ما يجب أن نساأل عنه، ونستجوب حوله، المخاطر والفرص والتحديات".²

6-4.1 براءة المسلمين من هجمات الحادي عشر من سبتمبر (2001).

ظهرت في سياق هذه الفترة من التحليل ظهرت بعض التغطيات والكتابات التي قد تبدوا غريبة أحياناً، وغير مألوفة للقارئ، بل وجريئة جداً تعلن- في ظل التأكيد الإعلامي والشعبي على مسؤولية المسلمين في أحداث الحادي عشر من سبتمبر- براءة المسلمين والمقصود ببراءة المسلمين أمران، أولهما تورط السياسة الأمريكية ومسؤولية جهاز المخابرات العامة في هندسة الأحداث، خاصة في ظل حكم اليمين المتطرف الصهيوني المعروف بأهدافه وطموحاته الاستعمارية المتوحشة، وفي ظل تواضع الإمكانيات المادية والتقنية لـ "تنظيم القاعدة" لتحقيق مثل هذا النمط من التخطيط والتدقيق في التنفيذ. والأمر الثاني أن الأحداث قام بتفجيرها أفرد ربما ذوي خلفية إسلامية، لكنهم في واقع الحال ينتمون إلى جماعة متطرفة عنصرية تكره الغرب وتقدس الدم، وبالتالي ليست من مسؤولية الإسلام والمسلمين، وقد كشفت الدراسة التحليلية وجود الأمران معا في تحليل وتغطية الصحيفة لهذه الفتنة.³

CIA décrite par la Croix-Rouge internationale » . Le Monde, N° 19950, le 18 Mars 2009, p1.

Le .¹ Antonion Sabot : « Le dialogue avec les talibans aurait dû être engagé dès 2001 » mai 2009, p13.9 N° 20011, le 2 Monde,

² Hubert Vedrine : « Pourquoi il faut s'opposer à une France atlantiste » . Le Monde, N° 19937, le 06 Mars 2009, p13.

³ Sans Signature : « Débat sur les méthodes du président Bush contre le terrorisme » . Le Monde, N° 19910, le 09 Mars 2009, p13.

6-5.1 التنشئة الدينية للمسلمين ومسؤوليتها عن أحداث الإرهاب في العالم .

وتعد آخر الفروق في المعالجة والتحليل خلال الفترة، إذ غداة الأحداث سعت الصحيفة من خلال بعض أشكال وأساليب التغطية إلى محاولة إرجاع أسباب ما سمته بالإرهاب الإسلامي، إلى مصادر التنشئة الدينية (مدارس، مناهج دراسية، جامعات، مؤسسات وجمعيات وجماعات ... في العالم الإسلامي والعالم الغربي) التي توظف فهم الإسلام وحياة المسلمين، وركزت الصحيفة في هذه الفترة بصفة كبيرة جدا على المدارس الإسلامية في باكستان والمملكة العربية السعودية التي عدتها الصحيفة المصدر الأول للإرهاب في العالم، ثم المناهج الدراسية في العالم الإسلامي، ونشرت في هذا السياق كلمة (Lionel Jospin) إلى الجمعية العامة والتي أكد فيها على "الدرس الذي يجب أن نتعلمه من هجمات الحادي عشر من سبتمبر متسائلا: كيف لدولة مثل باكستان أن تفرخ لنا كل هذا الإرهاب والجريمة المنظمة"¹، مما يعني ضرورة السعي نحو تحديث هذه المجتمعات، وعلمتها، وتخفيف كل منابع الفكر الديني سواء في مناهج التربية والتعليم، أو في وسائل الإعلام، أو المؤسسات الرسمية وغير الرسمية... وهذا انعكاس جلي لخطاب الإستراتيجية الأمريكية بعد الأحداث الداعي إلى تحديث المجتمعات الإسلامية من الداخل. غير أن هذه الدعوى في الحقيقة تبنتها صحيفة لوموند فقط غداة الأحداث، فيما تراجعت عنها بشكل كبير جدا بعد ثمان سنوات.

الثبات في المعالجة والتحليل بين سنتي " (2001 و 2009) " فيما يتعلق برؤية الصحيفة لعلاقة الإسلام والمسلمين بظاهرة الإرهاب.

أشارت نتائج الدراسة التحليلية إلى وجود ثبات نسبي في طبيعة اتجاه بعض الموضوعات المتعلقة بفئة "علاقة الإسلام والمسلمين بظاهرة الإرهاب"، رغم المتغيرات التي عصفت بالعلاقة "الإسلام والغرب" داخل فرنسا وخارجها، مع بقاء اتجاهات التحليل السليبي مهيمنة على التحليل، مما يمكن أن يفسر بأنه إلتزام وخط ثابت، وقناعة ترسخت لدى الصحيفة طيلة سنوات الدراسة وربما قبلها وبعدها، من ذلك نجد بديلة :

6-6.1 فئة الخلط بين الإرهاب والجهاد والأصولية والإسلام .

بداية أشارت نتائج التحليل إلى وجود خلط كبير- من حيث الدقة والتأصيل- في استخدام وتوظيف القائم بالاتصال في الصحيفة لمصطلحات مثل "الإرهاب، الجهاد، الأصولية والإسلام" سواء مجتمعة أو منفردة، وأظهرت المعالجة الإحصائية من جهتها أن هذا الخلط قائم وثابت خلال فترتي الدراسة، لعدم وجود فارق

¹ Sans Signature : « Il est souhaitable qu'à la coalition contre le terrorisme succède une coalition pour un monde plus juste » . Le Monde, N° 17628, le 29 novembre 2001, p1.

تذكر بدلالاتها الإحصائية، وبينت القراءة النسبية أن الخلط وعدم التمييز بلغ نسب معتبرة ولها دلالتها المهنية والإيديولوجية والموضوعية، فمن جهة تقتضي الضرورة المهنية والموضوعية لزوم التثبيت والدقة في ضبط المصطلحات، والمفاهيم وبخاصة تلك التي لها دلالات أيديولوجية وعقيدية، وترتبط بمعطيات ذات حساسية كبرى على غرار الإسلام في فرنسا، غير أن الصحيفة عند هذا المستوى من التناول، تكاد لا تثير اهتماما يذكر في التثبيت عند استخدام المصطلحات الثلاثة، فتارة الإرهاب الأصولي، وتارة الجهاد والجهاديون المسلمون، وتارة الأصولية الإسلامية... وغيرها من الاشتقاقات المركبة القريبة والبعيدة من هذه المصطلحات، مثل: المتشددون، المتعصبون الجهاديون، التطرف الإسلامي، الراديكاليون، مسلمو اليمين، الهوليجانز الإسلامي،...¹ في سياق تعبيرى يتضمن في الغالب الحديث عن الحرب أو العنف أو الجرائم أو التطرف، من دون تمييز الدقيق، أو إشارة إلى الاستثناء، والخصوصية وعدم التعميم، حتى مع كبار الكتاب والنقاد على سبيل المثال لا الحصر (Gilles Kepel) - وهو الأكاديمي والخبير في الإسلام والدراسات الإستشراقية - نشر مقالا غداة الأحداث بعنوان (فخ الجهاد الأفغاني)، أخلط فيه كل هذه المصطلحات من دون ادني تحييص، ويظهر ذلك أول ما يظهر من العنوان الذي جعل الجهاد مظهرا مرفوضا، غير شرعي ينتهجه الأفغانيون، ثم أورد مع مطلع المقال " إن المجزرة الإرهابية التي أصابت الولايات المتحدة أكبر رمز لما يمكن أن يجذته الإرهاب الإسلامي، مجسدا في تنظيم الإرهابي الملياردير السعودي أسامة بن لادن، زعيم حركة الجهاد الإسلامي ضد الغرب ومكاسبه المادية والمدنية"²، وكما كتبت (Maie De Verges) وهي ترصد خيرا على صفحات الجريدة، تحت عنوان (ألمانيا تفتتح محاكمة الجهاد بين الذين كانوا يخططون لهجوم) " ثلاثة من الإرهابيين الإسلاميين الذين خططوا

¹Francois Chipaux : « Oulémas préconisent un djihad soutenu par la communauté musulmane » . **Le Monde**, N° 17621, 22 septembre 2001.

-Sans Signature : « Des islamistes tuent sept militaires en Algérie » . **Le Monde**, N° 19937, 17 Mars 2009, P 7.

Stephanie Le Bars : « Le port du voile intégral bouscule la tradition laïque française » . **Le Monde**, N° 19967, 15 avril 2009.

²Gilles Kepel : « Le piège du djihad afghan » . **Le Monde**, N° 17619, le 20 septembre 2001, p12 .

لارتكاب هجمات انتحارية في وسط ألمانيا "،¹ ونحو ما كتبه (Jacques Folloron) بعنوان (الإسلام الأصولي

يزحف نحو المهجوم في واد سوات)،² وغير ذلك كثير ما يكرس في أذهان القراء صورة نمطية مشوهة عن الإسلام، تجمع التطرف بالأصولية والإرهاب بالإسلام، مع شساعة البون بين المصطلحات الثلاثة في واقع الحال، ويدفع إلى القول أن الصحيفة تساهم بهذا في ترسيخ، وقولية صورة ذهنية نمطية مغلوطة ومشوهة عن الإسلام وكثير من قضايا المسلمين.

6-1.7 الخلط بين الإرهاب والمقاومة.

أشارت نتائج الدراسة التحليلية في هذا السياق إلى أن الصحيفة لا تدقق في ضبط المفاهيم المتعلقة بـ " الإرهاب والمقاومة " وبخاصة في الموضوعات المتعلقة بمناطق الحروب والنزاعات بين المسلمين وغيرهم، على غرار " فلسطين، العراق، لبنان، أفغانستان والشيشان ... فنجد وصف " الإرهاب " ينطبق على المقاوم في فلسطين، والمدافع عن أرضه في لبنان، العراق، الصومال، وأفغانستان ... في حين توصف القوى الكبرى الغازية أوصافاً مختلفة لا ترق لمستوى وصف الإرهاب أو التطرف،³ وكأما بذلك تسائر إستراتيجية القوى العظمى المهيمنة، التي تتعامل وفق الكيل بمكيالين حين الحديث عن الجلاذ والضحية، ففي غالب تحليلات الصحيفة وبشكل ثابت بين سنتي (2001 و2009) يصدق وصف " الإرهاب " في الغالب على أعمال المقاومين في فلسطين⁴ والشيشان وأفغانستان، فيما لا يصدق الوصف ذاته على أعمال العنف لقوات الولايات

¹Marie De Verges : « En Allemagne s'ouvre le procès de djihadistes qui préparaient un attentat » . **Le Monde**, N ° :19983, le 22 Avril 2009,P9 .

²Jacques Follorou : « Au Pakistan, l'islam radical se mobilise contre l'offensive dans la vallée de Swat » . **Le Monde**, N ° 19985, le 16 Mai 2009, P9 .

³ Gilles Paris : « Ariel Sharon annule la rencontre prévue entre Yasser Arafat et Shimon Pérès » . **Le Monde**, N ° 1762425 Septembre 2001.

- Sans Signature : « Le gouvernement d'entente nationale divise Fatah et Hamas » . **Le Monde**, N ° 19958 , 16.Mars 2009, p3.

Michel Bôle-Richard : «Gaza : Amnesty International accuse Israël et le Hamas de " crimes de guerre » » . **Le Monde**, N ° :19916, 23 février 2009 . p3.

⁴ الملاحظ حتى في العدوان على قطاع غزة لم تجرأ الصحيفة على وصف ماوقع بالعدوان أو الجريمة، بل سمتها حرباً وسمت في نفس القضية المقاومين الفلسطينيين بالمحررين والمناوئين لسلام الخطر الدفين الإرهابيين ينظر على سبيل المثال مقال :

Michel Bole Richaard : « Gaza : Amnesty International accuse Israël et le Hamas de "crimes de guerre " » . **Le Monde**, N ° 20004, le 22 Avril 2009, P9 .

المتحدة الأمريكية أو القوات الصهيونية أو الروسية أو غيرها في مناطق العالم المختلفة، مما يؤكد أن الصحيفة سائرة وثابتة في سيرها على تنميط صورة المقاوم الإسلامي خاصة، ولصقتها بالإرهاب متبعة في ذلك خطى الإستراتيجية الغربية المهيمنة.

8.1-6 المسلمون في المهجر يوفرون الدعم المادي للمجاهدين في العراق، و أفغانستان، وفلسطين.

أشارت نتائج الدراسة التحليلية إلى عدم تحمس الصحيفة إلى فكرة " توفير مسلمي المهجر " الدعم المادي واللوجستي للمجاهدين في بلدانهم الأصلية، ويظهر ذلك من قلة نسبة المعالجة الصحفية للموضوع سواء غداة الأحداث، أو بعدها، وان أشارت إلى ذلك في العديد من مرات عديدة ، وهي لا توجه التهمة إلى جماهير مسلمي المهجر في هذا السياق بل إلى الشبكات الخلفية والقاعدية للإرهابيين على حد وصفها في بلدان الغرب أو في بلادهم العربية والإسلامية، كما كتب (Jean-Pierre Stoobants) في إطار تحليله قضية توقيف لإسلاميين فرنسيين في إيطاليا، بعد عرض القضية أكد " إن مثل هؤلاء يشكلون خلفية وقاعدة يستند إليها الإرهابيون، فهم يستفيدون من إمكانات الغرب السياسية والاقتصادية والحقوقية ثم يوجهونها لتحقيق طموحاتهم وأعمالهم ضد مصالحه " ¹.

9.1-6 هجمات الحادي عشر من سبتمبر، صناعة أمريكية.

بينت نتائج الدراسة التحليلية أن ثمة رؤية قائمة لدى الصحيفة وثابتة لكنها ليست المعتمدة رسميا في معرفة المتسببين في الأحداث، تعتقد أن مسؤولية الأحداث إنما تتحملها الإدارة الأمريكية ²، وبخاصة عند الحديث عن التجاوزات الخطيرة، والفضائح الأمنية والسياسية والعسكرية والاقتصادية التي تورطت فيها المخبرات والحكومة الأمريكيتين بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، إن هذه الرؤية الذرائعية إن صح تسميتها رؤية

- AFP : «Le gouvernement d'entente nationale divise Fatah et Hamas » . **Le Monde**.

N° 19958 , le 16.Mars.2009 .p2.

¹ Jean Pierre Stroobants : « Deux Français détenus en Italie accusés d'être liés à Al-Qaïda » . **Le Monde**, N ° 19958, le 16 Mars 2009, p4. -Voir Marie - Claude

De Champs : « Depuis les attentats aux Etats - Unis, les immigrés " illégaux " ne tentent plus de passer en Espagne » . **Le Monde**, N° 17628, le 27 Septembre 2001. P6.

- Voir Philippe Ricard : « Les attentats du 11 septembre changent la donne monétaire » . **Le Monde**, N° 17631, le 30 Septembre 2001. p1.

² Voir Philippe Ricard : « Les attentats du 11 septembre changent la donne monétaire» . **Le Monde**, N° 17631, 30 Septembre 2001, P 6.

تأتي في سياق المقاربة الأمنية التي تؤكد أن الأحداث كانت قائمة بمهندسة أمريكية محضمة، بل هي "بيرل هاربر" جديدة¹ من أجل توفير الفرصة لإدارة المحافظين الجدد - أو من يسمون باليمين المتصهين-تجسيد مشروعها الإمبراطوري للهيمنة، ذي الخلفية الأيديولوجية المحافظة القائمة على ثلاث ركائز أساسية هي: التفوق العسكري والأصولية الدينية وأصولية السوق. ولها أنصار أكثر من أمثال المفكر الأمريكي (راهولهاجان)، صاحب مؤلف "السلطة المطلقة"، (وليم بلوم) في مؤلفه "الدولة المارقة دليل إلى القوة الوحيدة في العالم"² ورجل الأعمال (جور سوروس، ونعوم تشومسكي) وأصحاب نظرية المؤامرة في عالمنا العربي والإسلامي.

وان كان الصحيفة في الحقيقة تؤكد في الغالب أن المسلمين السياسيين، الجهاديين، والأصوليين، المتطرفين منهم على أدق تعبير خاصة في تحليلات فترة (2009)، هم من وراء الأحداث وأصحاب المسؤولية المباشرة في ذلك وتحديدًا تنظيم القاعدة استنادًا إلى تصريحاتهم أنفسهم التي نشرتها وأدارت حولها نقاشات وتحليلات وتحقيقات مطولة غداة الأحداث.

6-10.1 مصادر الإسلام الأساسية (القرآن، السنة) تقدر الجهاد وتدعو له.

انطلاقًا من نتائج المعالجة الإحصائية لمضامين هذه الفئة، بينت نتائج الدراسة التحليلية أن موقف الصحيفة في رصد تحليل أحداث العنف والإرهاب المختلفة عبر العالم، بمصادر الإسلام الأصلية القرآن والسنة، ثابتة بين فترتي (2001، و2009)، مع ضرورة الإشارة إلى أن الصحيفة تطرقت كثيرًا لموضوع القرآن الكريم غداة الأحداث، وبعض الموضوعات أثارت جدلاً، واستفزازًا كبيرين للمسلمين، على غرار ما كتبه غداة الأحداث (Xavier) بعنوان (سؤال في القرآن)، وهو سؤال أراد من خلاله التأكيد على جملة من الأفكار الأساسية على رأسها التشكيك في صحة القرآن من حيث الأصل، والخلط بينه وبين أقوال المفسرين، وتكذيب نبوة ﴿محمد، صلى الله عليه وسلم﴾، والقرآن يدعو إلى العنف والجهاد وقتل المدنيين، ولا يراعي حرمة غير المسلمين، ويظلم المرأة وينتهك حقوق الإنسانية، محاولًا نقل بعض الآيات التي تتحدث

¹ Sans Signature : « L'Amérique sous le choc d'un " Pearl Harbor " terroriste » . Le Monde, N° 17616, le 13 Septembre 2001, p1.

- Sans Signature : « De Pearl Harbor à Kaboul » . Le Monde, N° 17615, le 14 Octobre 2001, p11.

² وليام بلوم : مرجع سابق.

عن القتال، مدعماً بذلك افتراض هذه الفئة "مصادر الإسلام الأساسية (القرآن، السنة) تقديس الجهاد وتدعو له"، وعقب عليه (Hani Ramadan) في مقال تحليل بعنوان (أصالة القرآن) مفنداً ومدافعاً على الإدعاءات والتهم والتشويهات التي أوردها (Xavier)، خاصة شبهتي صحة القرآن وموقف القرآن من الجهاد، وبنفس التحامل الذي تعامل به (Xavier) كتب (Roger-Pol Droit) بعنوان (إرهاب بلا حدود) قائلاً: "لا بد من أجل فهم ما يحدث يجب الرجوع إلى استعمال القرآن، هذا الكتاب المقدس مكن السر الذي ينطلق منه الانتحاريون والمتعصبون والمتطرفون"¹، كما تطرقت الصحيفة كذلك إلى ظاهرة مهمة تتعلق بمصادر الإسلام، تتمثل في تحول الجمهور الفرنسي عقب الأحداث إلى أصول الإسلام، القرآن والسنة الشريفة من أجل التعرف وفهم حقيقة الإسلام مشيرة إلى انتشار المصاحف، ونفاذ العديد من العناوين والنسخ المترجمة للقرآن، حتى كتب (Alain Salles) تحت عنوان (الجمهور يتحول إلى كتاب الإسلام) "الكتب التي تتكلم عن الإسلام، المسلمين، البرجين التوأمن، القرآن، السنة... كادت أن تنفذ من المكتبات جراء إقبال الجمهور الفرنسي على اقتنائها، بعد مشاهد الصور المرعبة التي أحدثتها أحداث الحادي عشر من سبتمبر، عكس ما وقع أعقاب حرب الخليج الثانية"².

والصحيفة رغم ما حوته من بعض التأويلات البعيدة لفهم أصول الإسلام، ووقوعها في تجاوزات خطيرة تربط العنف والجهاد والقتل غير المسؤول بالقرآن والسنة وتوجيهات النبي محمد ﴿ صلى الله عليه وسلم ﴾،³ إلا أنها من تشير أحياناً إلى أن الفهم الخاطئ لأصول الإسلام - القرآن والسنة - هو السبب في وقوع التطرف وأعمال الإرهاب عبر العالم، أو لأن هؤلاء المتطرفين تحكمهم ظروف وعقليات ونفسيات خاصة من غير الممكن تعميمها على باقي المسلمين في داخل فرنسا أو خارجها، وإن كانت تجادل في بعض التحليلات في الصحيفة حول "الجهاد" ومكانته في شريعة المسلمين.

¹ Roger Pol Droit : « Assassins sans frontières crise » . Le Monde, N° 176 le 11 Janvier 2002, p13.

² Alain Salles Et Autre : « Le public se tourne vers l'écrit pour comprendre la crise » . Le Monde, N° 17621, le 22 Septembre 2001, p8.

³ Jean-Claude Pomonti : « Les combattants de la guerre sainte veulent les étrangers » . - alayer - Le Monde, N° 176 le 11 Novembre 2001, p11.

وقد خصت الموضوع بدراسة قيمة نشرتها على صفحاتها وتداولتها العديد من دور النشر والمكتبات والباحثين وحتى المواقع الالكترونية بعنوان (الإسلام السلمي والمسلمون في فرنسا)، حيث عبر المسلمون عينة الدراسة في غالبهم أن القرآن والسنة يتعارضان مع الإرهاب، ولا يدعوان إليه جملة وتفصيلا، صرح (60%) منهم أن " منفذي الهجمات لا يمثلون الإسلام، والإسلام منهم بريء، الإسلام دين اعتدال ووسطية" وأقر هؤلاء أن سياسة الولايات المتحدة هي التي دفعت بالمسلمين إلى التطرف.¹ وهذه الدراسة الاخيرة المشار إليها في السياق تكشف أن للشعوب رؤيتها وفلسفتها الخاصة تجاه الغسلام والمسلمين والتي لا تتوفق بالضرورة مع التوجهات الإعلامية والسياسية للبلد الذي ينتمون إليه، ولا تساير بالضرورة التعميمات الإسلامية للغرب باعتباره كتلة واحدة، وهذا مؤشر مهم من جهة أخرى للمسلمين للتفريق في الرسالة الموجهة للغرب نحو الشعوب ونحو الحكومات والانظمة ومؤسسات الاعلام، فلا ينبغي ان يقع الخلط طالما أن لكل رؤيته وأهدافه وخصوصيته وإن بدا أنهم كيان واحد.

6-2 التحليل الكيفي المقارن لنتائج فئة "المسلمون وأطروحتي نهاية التاريخ وصراع الحضارات".

تهدف هذه الفئة إلى معرفة الأسس والفلسفات النظرية التي سايرتها الصحيفة في سياق تحليلها لموضوعات الإسلام والمسلمين خلال فترتي الدراسة (2009/2001) وثبات أو تغير اتجاهات هذه التحليلات ذلك أن الافتراضات النظرية المشار إليها بتركيز في الفصل الثاني من الجانب النظري للدراسة وهما: " نهاية التاريخ عند رجل الحضارة الغربية لـ " فرنسيس فوكوياما"، و " صراع الحضارات" لـ " صموئيل هنتنغتون" واللتين شكلتا ولا تزالان خلفية مهمة للفهم والتأويل في الثقافة السياسية للعقد الأخير من القرن العشرين في الغرب وحتى في العالم العربي، وهي في الأصل مجموعة أفكار وطروحات تتقاطع في مجموعها لتبرز مركزية الحضارة الغربية وتفردتها - ضمن إطارها الثقافي والجغرافي - بالقوة والعظمة دون أي دور أو ترابط مع حضارات العالم الأخرى، على أساس أن حضارة الغرب - كما يقول (صموئيل هنتنغتون) - " لها جوهر واحد ثابت لا يعرف

¹ Xavier Temisien : « L'islam apaisé, des musulmans de France » . Le Monde, N° 176729, Le 4 Octobre 2001, p13.

التغيير، وهوية مطلقة تبقى كما هي عبر القرون " ¹ أو كما يعتقد (فرنسيس فوكوياما) ، " الانتصار الساحق للبرالية الجديدة ، تكون البشرية قد بلغت نقطة النهاية لتطورها الأيديولوجي " ².

وفي هذا السياق بينت نتائج الدراسة الإحصائية ثبات التحليلات -سواء من حيث حجم التغطية أو اتجاهها- ووجود ارتباط كبير بين فترتين الدراسة التحليلية، أي أن اهتمامات وأوليات الصحيفة من حيث حجم المعالجة أو اتجاهها بقيت ثابتة فيما يتعلق بهذه الفئة، رغم وجود بعض التفاوت الطفيف في المعالجة - غير دال إحصائيا -، هذا التفاوت يظهر بشكل خاص أثناء معالجة الصحيفة لفئتي: "الهجمات الإرهابية في العالم بداية صراع أكبر بين الإسلام والغرب"، وفئة "الإسلام يقف سدا منيعا أمام المدينة الغربية".

6-1.2 حركات الإسلام السياسي تشكل تحديا في وجه التواصل الحضاري الإسلامي الغربي.

بينت نتائج الدراسة التحليلية لفئة " المسلمون وأطروحتي نهاية التاريخ وصراع الحضارات " أن الحظ الأوفر من المعالجة سواء فترة التحليل (2001) أو فترة التحليل (2009)، كان لصالح الفئة الفرعية (حركات الإسلام السياسي تشكل تحديا في وجه التواصل والحوار الحضاري الإسلامي الغربي)، ومن غير المستبعد منطقا أن تكثر معالجة أخبار " الإسلام السياسي " على الصحيفة خلال فترتي التحليل، بالنظر إلى طبيعة الأحداث الاستثنائية التي عمت العالم الإسلامي منذ تفجر الأحداث (حرب العراق، حرب أفغانستان، هجمات القاعدة، لبنان، المغرب العربي، فلسطين، أوربا، وأمريكا) خلال العشرية الماضية كانت للحركات الإسلامية (كما تسميها الصحيفة) إن بشكل مباشر أو بغير مباشر علاقة بها، ذلك أن الاعتقاد السائد لدى كثير من الغربيين أن العلاقات الإسلامية الغربية تمثل بذاتها مجالا خصبا للصراع الأيديولوجي إستراتيجيا، خاصة مع تصاعد قوى التيار السياسي الإسلامي، الذي يطرد نموه يوما بعد يوم عبر العالم عموما، وفي كثير من البلاد الإسلامية على وجه الخصوص تلك التي تحسنت فيها فرص الوصول للسلطة بسبب التعامل الخاطيء مع الإسلام السياسي - في نظر الغربيين- وانتشار أسباب السخط والاستياء الناجمة عن الأنظمة السياسية الاستبدادية القائمة عند أخرى، وهو مظهر ترى فيه الصحيفة بمنظورها العلماني الخاص الخطر القادم.

ولعل أول ما يميز في طرح الصحيفة لتفاصيل هذه الفئة، بداية توظيف مسمى "الحركات الإسلامية " بل الإسلام السياسي عموما، في سياق العنف والإرهاب، إذ دائما تربط هذه الحركات مهما كان منشأها بمظهر

¹ Voir Samuel Huntington: Op ite, PP 6-8.

² Francis Fukuyama : Op ite, P31.

من مظاهر العنف، بل تصنف العديد من أخبار هذه الحركات في ركن : محاربة الإرهاب " Antiterrorisme " ، وقد جمعت في العديد من المرات حركات متعددة المشارب والاتجاهات، ومتباينة الجغرافيا في سلة واحدة تجمع بين المقاومين والإرهابيين، والضحايا والمعتدين، من دون تدقيق أو تمحيص،¹ وأظهرت الدراسة التحليلية في السياق مدى حساسية الصحيفة المفرطة، تجاه كل أشكال الإسلام السياسي، وحركات المقاومة في فلسطين ولبنان والعراق وأفغانستان بل في كل بقاع العالم التي تتحرك تحت مسمى الإسلام والمسلمين، كما تصور الصحيفة في غالب تحليلاتها أنها تلك الأعمال الجهادية والمقاومة في سياق أعمال الشياطين المخربين الانتحاريين، الذين يتشكلون الخطر الأكبر في مستقبل العلاقات الإسلامية الغربية وخاصة في الشرق الأوسط، ونميز أيضا في السياق ذاته اعتبار الصحيفة مصطلح " الإسلام السياسي " مقابل " الإسلام التعبدي المدني "، فالأول مرفوض وهو رمز الإرهاب والتطرف والعنف ينما الثاني رمز المدنية والتحضر والقيم النبيلة، وهذا تقسيم تحذوه ملابسات كبيرة، كما انه محل جدل في دائرة الفكر الإسلامي المعاصر، وبخاصة فيما يتعلق بالخلفية العلمانية والحداثية اللتين تشيد بهما الحضارة الغربية المعاصرة، وجدير بالذكر أن الصحيفة وجدت لنفسها مستندا في ذلك من خلال كتابات مفكرين مسلمين فرنسيين وعرب وغيرهم، من جهة أخرى يظل التأكيد على ربط هذه الحركات بالإسلام السياسي خلال المعالجة، محل شبهة واستنكار وتشويه وتصنيف في ذهنية وتصور القارئ الغربي، حيث تسوق له هذه الحركات معتد لها ومتطرفها في سياق الإسلام المارق والشاذ والأصولي والراديكالي، وفي سياق محاربة العنف والإرهاب والتطرف الإسلامي السياسي، لذا من الطبيعي أن ترى الصحيفة في إطار هذا السياق التحليلي التنميطي حركات الإسلام السياسي تشكل تحديا في وجه التواصل والحوار الحضاري الإسلامي الغربي، مع أن ثمة العديد من الحركات الإسلامية الرائدة في مجال حوار الإسلام مع الآخر على مستوى العالمين الغربي والإسلامي.

2.2-6 التهديد الإسلامي حقيقة يجب محاربتها.

في المرتبة الثانية من الاهتمام نجد أن الصحيفة في الفترتين المخصصتين للدراسة والتحليل، ركزت على فكرة "التهديد والحرب"، وهي من حيث الشكل العام تتقارب مع الفئة السابقة، لذا ركز التحليل في هذه الفئة على مضامين التهديد والمحاربة، والنتيجة الأولى للتحليل أن التدقيق في ما أورده الصحيفة من مضامين التهديد

¹ Sans Signature : « Antiterrorisme : Rétorsion financière américaines contre le Hamas » . Le Monde, N° 17605, le 06 novembre 2001, p8.

ومظاهره وأشكاله ومصادره وطرق محاربه يبرز خلطا كبيرا وغموضا وضبابية، يعسر معها تمييز ما هو تهديد وما هو غير تهديد، فأحيانا تجعل الإسلام كله في سلة واحدة دون تفریق أو تمييز بين أنواع خطاباته ولا مصادرها في العالمين الغربي والإسلامي ملاذا للتهديد والخطر، كما كتب (Mezrie Hadadde) تحت عنوان " الرعب الإسلامي " ¹ وأحيانا حركات التطرف كما أورد الصحفي المختص في الشأن الإسلامي (HenriTincq) وهو يصف من منظوره حركات التطرف الإسلامي المتصاعدة في العالم، تحت عنوان (تخوف المسلمين من تصاعد الاسلاموفوبيا) قائلا " الأشرار القادمون هؤلاء مجانين الله، الطامحين لإمبراطورية الشر، بفضل الدعم الذي يلقونه من الشبكات التحتية الداعمة لهم في الغرب " ² وما كتبه (Patrice De Beer) بعنوان (الطالبان، ومرض رهاب النساء)، ³ وأحيانا دولا بعينها كالعربية السعودية، وأفغانستان، وباكستان وإيران، ⁴ وأحيانا مسلمو المهجر غير ذلك، فالتحليلات والكتابات الصحفية في صحيفة "لوموند" غالب الأحيان ما لا تميز أوتدقق عند تناول موضوعات التهديد والخطر الذي قد يتشكل أو يتبادر إلى الذهن بمسمى الإسلام والمسلمين.

6-3.2 هجمات الحادي عشر من سبتمبر تؤكد صدام الحضارات.

في المرتبة الثالثة من التحليل توجه حجم المعالجة الصحفية لموضوعات هذه الفئة نحو فكرة " صراع الحضارات "، إذ عالجت باهتمام ملحوظ فكرة أن " هجمات الحادي عشر من سبتمبر تؤكد صدام الحضارات " وساهمت بذلك في إعادة بعث هذا التصور من جديد، وان لم تقدمه كاعتماد مطلق خاصة في تحليلات سنة (2009)، لتفسير ما وقع ويقع من إحداث الصدام بين الثقافتين والحضارتين -إن صحت المقابلة- الإسلامية

¹ Mezrie Hadadde : « Vampirisation de l'islam » . Le Monde, N° 19987, le 26 Avril 2009, p18.

² Henri Tincq: « La montée de l'islamophobie est redoutée par le monde musulman » . Le Monde, N° 17613, le 14 Septembre 2001, p14.

³ Patrice De Beer: «Les talibans, malades de leur " phobie des femmes " » . Le Monde, N° 17641 , le 12 Octobre 2001,p11.

⁴ Natalie Nougayrde : «Inquiétudes sur le rôle de l'Iran en Afghanistan » . Le Monde, N° 20039, le 27 Juin 2009, p14.

⁵ Caroline Ourest: « Verts-bruns : la nouvelle extrême droite » . Le Monde, N° 19995, le 27 Juin 2009, p 09.

والغربية، وقدمت تحليلات ترى في الأحداث مظهرا من مظاهر الصراع الحضاري الذي يشهده العالم بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001).¹

مع أن العديد من الطروحات النقدية الغربية² والإسلامية، وطروحات أخرى خاصة بالصحيفة أوردتها لا ترى في افتراض صراع الحضارات مستندا علميا ومنطقيا يصلح لتفسير الوقائع والأحداث أكثر من اعتباره مبررا ودعاية مغرضة شنها الإعلام الغربي، يشهد لهذا ما كتبه (Jean-Birnbaum) تحت عنوان (الإسلام والغرب الموعد الغائب) حلل من خلاله افتراضات القائلين بالصراع بين الحضارة الإسلامية والغرب، واعتبارها حتمية مستقبلية تمتد جذورها في عمق التاريخ الإنساني، منذ الحروب الصليبية، وركز الباحث جهده في هذا المقال التحليلي، من خلل نقد وجيه جدالكتاب (صدام الأديان) لصاحبه (Paul Roux) وهو احد المختصين في الحضارة الإسلامية والحروب الصليبية، متسائلا في الأخير عن إمكانية الحديث عن التناقض والتحاوور بين الحضارات؟³.

وقد ساهمت لوموند - خاصة في سنوات (2001، 2002) غداة الأحداث- في إثارة فكرة صراع الحضارات، بل وحاولت الترويج لفلسفتها وأبعادها، لتكرس في الوعي الغربي والعالمي ما تراه تميزا، وهيمنة منطقية للمركزية الغربية على حساب الأطراف، من قبيل ذلك ما كتبه (Myriam Revault D'allonnes) تحت عنوان (هل ينبغي أن نكون خائفين من الجميع ؟) في سلسلة مقالات - ناصرتها الصحيفة ودعمتها - إنتصرت من خلالها لنبوءة (صموئيل هنتغتون)، معلنة مع مطلعها أن هذه النظرية الفذة والعميقة في إستشراف العلاقات الدولية المستقبلية ترجع من جديد اليوم، لتفرض نفسها بقوة بعد أن لم يكن من المتوقع أن تشهد لها حياة منذ بضع سنوات خلت، وبعد أن سادت لسنوات التسعينيات رؤية (فرنسيس فوكوياما) حول " نهاية التاريخ "،

¹ Richard La Bévière : **Vérités et mythologies du 11 septembre – Modeste contribution aux cérémonies officielles du Xe anniversaire**. Ed Nouveau monde = 2011. PP 173-190. –Veronique Montainne : « Le 11 -Septembre était déjà là avant » . **Le Monde**, N° 17651, 22 octobre 2001, p4.

² Fernand Broudel: **Grammaire Des Civilisation**. Ed Arthoud, Paris ,1963. – Richard Labeviere : **Vérités et Méthodologie Du 11 Septembre**. Ed Nouveau Monde, Paris, 2011.

- محمد عابد الجابري. مسألة

الهوية "العروبة والإسلام والغرب". مركز دراسات الوحدة العربية، ط3، بيروت، لبنان، 2006.

³ Paul Roux : « Islam-Occident, le rendez-vous manqué ». **Le Monde**, N° 20023, le 07 Septembre 2007, p 9.

هذه الرؤية التي سرعان ما خفت صيتها بعد أن تعالت صيحات الخصوصية والهوية، لتؤكد وتردّد بكل حزم على المآخذ التي كانت أخذت عن افتراض " صدام الحضارات"، هذا الذي أضحي يجسد أحد الأطر الفلسفية المهمة المقبولة لفهم تحولات وتداعيات أحداث الحادي عشر من سبتمبر من وجهة نظر الصحيفة.¹ -جدير بالذكر أن الدراسة تطرقت في فصلها الثاني لهذه النظرية بالعرض والنقد والتحليل-وان غلبت في الكثافة والنقد كتابات الفترة الأولى من الدراسة، على كتابات وتحليلات سنة (2009)، وذلك بالنظر إلى قوة الصدمة وصرعة المصطلحات الرائجة حينها " الصدام، الصراع، الحوار، النهاية والبداية ...، في خطابات الأكاديميين والسياسيين والإعلاميين، بل وحتى العوام، لكن ما هو غير مستساغ هو التسليم والثبات في تبني الصحيفة لافتراضات الصدام ونشرها وتعميمها وتبنيها في العديد من الأحداث، من خلال تبني مواقف وردود أفعال صدامية، من قبيل (إعادة نشر الرسوم المسيئة للنبي صلى الله عليه وسلم، الحملات الدعائية المغرضة ضد البرقع والدعم اللامنتاهي لقانون منع الحجاب والرموز الدينية في الدولة الفرنسية، ومناهضة مشاركة الإسلاميين في السلطة في العالمين العربي والإسلامي، وإدانة عمليات التفجير - بمسمى الإسلام - المختلفة عبر العالم، والتحيز الفاضح في معالجة قضايا الصراع في الشرق الأوسط)، فإذا كانت الصدمة وردة الفعل غداة الأحداث مبررا لتبني مفهوم الصراع، فلا يعتقد أن يضلا مبررا مقنعا عقب ثمان سنوات من الحدث، مما يعني أن الصحيفة لها افتراضاتها وسياستها ومسلماها التي لا تنفك عن الفلسفة الإستشراقية القائمة على محورية المركزية الغربية، مقابل الآخر باعتباره غير مؤهل للتحضر والتقدم المادي والتقني بفعل رواسته الدينية والفكرية والسياسية والتاريخية، بالأخص الآخر الإسلامي. هذا لا يعني وجود بعض الاستثناءات لبعض الأعلام وبعض المواقف أين تورد الصحيفة مواقف ناقدة ومستقلة، لكتاب أعلامهم وأعمالهم الصحافية معروفة بالتوجه الناقد والساحر للخطرة الأمريكية، بل خطاباتهم معادية للأمركة وتجلياتها السياسية والثقافية والأمنية والعسكرية، نجد من ذلك كتابات (Frédérique bobin)،(Nathalie Guibert)²، بل ونجد بعضهم أقل تحيزا ومنطقية وتعاطفا ملموسا جدا مع الإسلام وقضايا المسلمين.³

4.2-6 الإسلام والغرب على طريق تصادم حتمي .

¹ Myriam RevaultD'allonnes: « Faut-il avoir peur de l'universel ? ». Le Monde, N° 17688, le 24 Novembre 2001, p12.

² Nathalie Guibert : «Tombés pour la France ». Le Monde, N° 20032, 20 Juil 2011, p12.

³Gilles Kepel : islamologue professeur à Sciences-politiques ,Abdenmour Bidar, professeur de philosophie à Sophia Antipolis (Alpes-Maritimes).

بينت نتائج الدراسة التحليلية لحجم معالجة هذه الفئة وطبيعة اتجاهها أن الصحيفة لم تول اهتماما بالغاً للاعتقاد أن ثمة تصادم حتمي مع الإسلام ينتظر الغرب مستقبلاً، وما قيل ونشر عن حتمية التصادم والرفض مستقبلاً عبر الصحيفة في غالب الأحوال لا يعدو من أن يكون إما تعبيراً عن مخاوف قد تقع، أو نقلاً وتحليلاً لآراء معروفة برؤيتها المتطرفة تجاه الإسلام والمسلمين في فرنسا والغرب عامة من أمثال الرؤى اليمينية المتطرفة، أو المتصهينة، والعنصرية على غرار ما نقله الصحفي في جريدة لوموند (Renaud Camus) عن زعيم تيار اليمين (Le Pen) قائلاً: "نحن نرفض التحول عن حضارتنا، والقادمون يشكلون خطراً محدقاً في وجه ما حققناه من إنجازات وقفزات نوعية في مسيرتنا ومسيرة فرنسا الفرنسيين..."¹، إن مثل هذا الطرح في واقع الأمر شكل جزءاً بسيطاً من ظاهرة أعقد بكثير تضرب بجذورها عميقاً في تاريخ قدم حافل بمسلسل طويل من العلاقات المضطربة بين "الغرب" و"الإسلام" استقر - هذا الأخير - في الذهن الغربية بوصفه تعبيراً عن خطر داهم محدق يتهدد كل ما هو غربي، ربما انطلاقاً من الاقتران المتكرر الذي كرسته وسائل الإعلام الغربية المختلفة بعد الأحداث خاصة، مما أضحى يكرس نوعاً من علاقة الصدام الحتمية بين الإسلام الحضارة الغربية ..! ومع ذلك يبقى من الواجب الإشارة إلى أن الصحيفة وإن تطرقت لموضوع الصدام أو الصراع، فهي في كثير من التحليلات ترجع افتراض الصدام إلى المصالح الإستراتيجية والحيوية والاعتبارات القطرية،² وربما الفردية لبعض الجماعات والتنظيمات، أكثر من كونه حتمية حضارية دينية وثقافية.³

6-5.2 الهجمات الإرهابية في العالم بداية صراع أكبر بين الإسلام والغرب.

بينت نتائج الدراسة التحليلية المتعلقة بهذه الفئة إثر أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وحتى عقبها بثمان سنوات، غالب التحليلات باتجاه سلبي خاصة تلك التي ركزت من خلالها الصحيفة على ضرورة تشديد العداء ودق ناقوس خطر الصدام القادم مع الإسلام، مما يتعين على الغرب المواجهة والتسلح والتخطيط، وبخاصة تحليلات الأشهر الأولى غداة الأحداث، على غرار ما كتبه (Francoi Chipaux) في مقال له بعنوان (بن لادن : عدو أمريكا وخادم الجهاد الإسلامي) "بعد أن أطلق تعميمات مبالغت بشأن

¹ Renaud Camus : « Nous refusons de changer de civilisation » . Le Monde, N° 19989, 20 Avril 2009, p7.

² Henri Tincq : « Gilles Kepel » . Le Monde, N° 17613, 14 Septembre 2001, p 9.

³ Corine Le Snès : « Au Caire, Barack Obama reconnaît « la dette de la civilisation à l'islam » . Le Monde, N° 20019, le 06 juin 2009. P1/3.

الجهاديون المسلمون المتورطون في ما أسماه مآسي الغرب، عقب الحديث عن خطر (أسامة بن لادن) معتبرا إياه وليد المخابرات الأمريكية، من ثم عرج الى الحديث عن عدوانية آيات القراءان و هيمنة القراءات المضلله له ودعوات الجهاد، كل ذلك ليبرر أن علماء الدين هم أعداء الغرب، وخطره القادم مع المجاهدين المسلمين العرب والأفغان¹، غير أن هذه الرؤى المجاهرة بالعداء والتحامل والتشويه في واقع الحال ومن خلال مراجعة الإحصاءات، لم يعلو صيتها في الصحيفة وبخاصة فترة التحليل سنة (2009)، لتشكل ما يمكن أن نسميه رأيا عاما أو موقفا ثابتا للصحيفة في هذا السياق، بل العكس من خلال التدقيق فيما كتب نجد غالب التحاليل والتغطيات ركزت لا على الإسلام في ذاته كدين تعبدى، ولا على المسلمين كمواطنين يعيشون في الغرب أو في بلدانهم الأصلية، بقدر ما ركزت على حركات الإسلام السياسي، والمنظمات الإرهابية-في منظور الصحيفة-والنظم الدينية الراديكالية المعادية كالنظام الإيراني، فهذه الفئة لم تحظ بدعم كبير من الصحيفة، بل نجدها في مواقف متعددة تحصر أحداث الصدام والصراع في نطاقها الجغرافي والاستراتيجي، وفي حدود أهداف الفاعلين والمستفيدين، فالتغطية في مثل هذه المواقف في الغالب تتركز في حدود الحدث والفاعلين أكثر من الأبعاد والخلفيات الثقافية والدينية.²

6-2-6 الإسلام هو العدو الجديد لمرحلة ما بعد الحرب الباردة .

بادي الأمر ينبغي الإشارة إلى أن طرح فكرة " العدو الجديد " أو " البديل " لثقافة الغرب وحدثته حقيقة دارت في أوساط السياسيين والمفكرين الغربيين عقب سقوط الاتحاد السوفيتي، من ذلك ما كتبه اثنان من كبار علماء الاجتماع البريطانيين في مجلة " شؤون دولية " الصادرة بكمبريدج في ملف حول الإسلام، وهما (ادوارد مورتيمر، وارنست جيلنر) إثر سقوط الشيوعية سنة 1991 " لقد شعر الكثيرون بالحاجة الماسة إلى اكتشاف تهديد يحل محل التهديد السوفيتي ... وبالنسبة لهذا الغرض كان الإسلام جاهزا في المتناول... إن الإسلام دين رافض لأي تمييز بين ما لله وما لقيصر ... وهو لا يسمح لمعتنقيه بأن يصبحوا كمواطنين في دولة علمانية (...). إنه مقاوم للعلمنة في ظل مختلف النظم السياسية- راديكالية كانت أم تقليدية أم بين- بين- ذلك هو التفسير الأساسي لمقاومة الإسلام المرموقة للعلمنة - وقيم الحداثة الغربية - ولأن الإسلام هو الثقافة الوحيدة

¹ François Chipaux : « Ben Laden : un antiaméricanisme absolu au service du Djihad ». **Le Monde**, N° 17613, Le 13 Septembre 2001, p 11.

² Voir Yves Mamou et Martine Orange : « L'impact des attentats devrait être moindre qu'en septembre 2001 ». **Le Monde**, N°19939, 17 Mars 2004.p 12.

القادرة على توجيه تحد فعلي للثقافة العلمانية الغربية من بين ثقافات الجنوب، كان ولا بد أن يكون المقصود المباشر للحملة الغربية الجديدة على الإسلام...¹ " !¹، في هذا السياق يمكن قراءة ما توصلت إليه نتائج الدراسة التحليلية لهذه الفئة،² التي كشف فيها حجم المعالجة أن الصحيفة لا تر في الإسلام باعتباره دين تعبدية، أو في المسلمين كمعتنقين لهذا الدين " العدو " للمرحلة القادمة، أو بديلا عن الشيوعية كما أرادت نظرية صدام الحضارات، أو نهاية التاريخ، أو غيرهما من الافتراضات النظرية المتعلقة بالإسلام في مستقبله مع الغرب، فيما تعتقد يقينا أن " الإسلام السياسي والراديكالي واليميني المتطرف يشكل خطرا قادمًا قد يفوق الشيوعية ذاتها، خاصة عقب هول ما وقع في الحادي عشر من سبتمبر، إن مكن التخوف كما بينت الصحيفة من الإسلام هو التنظيمات والحركات والأفراد الذين يتبنون الطرح السياسي، والجهادي المتطرف، لذا لم تحظ هذه الفئة بدعم كبير من قبل الصحيفة اللهم إلا في شقها الثاني المتعلق بالإسلام السياسي، كما تؤكد ذلك تواضع النسب المحصل عليها في التحليل، والصحيفة من خلال قراءة التحليلات - على الأقل فيما صرح به المحللون والصحافيون - تحاول التمييز وتتكلم عن النظم والحكومات الإسلامية، اليمين المتشدد الإسلامي، اليسار الإسلامي، الاعتدال الإسلامي، الشعوب والجماعات والتنظيمات المسلمة، وهي بهذا تكشف عن تصنيف وتمييز للإسلام والمسلمين، تميزا قد لا يكون كافيا بما يلزم الموضوعية والحياد لرصد المواقف الصحيحة المتعلقة بالإسلام، إلا انه مؤثر مهم إلى أن الصحيفة لا تقحم نفسها - على الأقل بصفة مباشرة وفاضحة - في حرب ضد الإسلام، ولا تتخذ منه عدوا مباشرا لها مثلما تفعل الصحف اليمينية المتطرفة في فرنسا، وإن فعلت ذلك نجدها تستتر تحت غطاء الدفاع عن الحرية والقيم الإنسانية العليا والمهنية كما في إعادتها نشر الصور المسيئة للنبي محمد ﴿صلى الله عليه وسلم﴾³.

6-7.2 الحرب الصليبية الجديدة .

لم تشكل ردة فعل (جورج بوش) في خطابه الشهير عقب الأحداث " سنعلنها حربا صليبية " مادة صحافة خصبة للتداول لدى كتاب ومحلي صحيفة " لوموند " تماما كما كان وقعها في صحف العالمين العربي والإسلامي، ومع ذلك لم تخلوا تعليقات بعض الكتاب في صحيفة لوموند من الإشارة إليها، خاصة وأن

¹ محمد عمارة : مرجع سابق، ص:13.

² Michel Taubmanm : « De la révolution islamique » . **Le Monde**, N° 20041, le 30 juin 2009, P 2.

³ Philippe Boloignon : « 57 pays musulmans veulent faire adopter par l'ONU un texte condamnant " la diffamation des prophètes " » . **Le Monde**, N° 19941, le 18 Mars 2009. P5.

الخطاب الإسلامي آنذاك تلقاها واتخذ منها مادة دسمة للرد والتبرير¹، ولا شك أن هذا يرجع بالدرجة الأولى إلى الاختلاف المرجعي في تلقي الخطاب ابتداءً، إذ أن المصطلح له دلالاته النفسية والاجتماعية في التاريخ الإسلامي، وفي الخطاب الإسلامي على مر العصور، دلالة تختلف عنها في العالم الغربي المتحرر في سياق أحداثه وعلمانيته من رواسب وقيود العصور الوسطى-فيما يدعيه- لذا كانت حجم التغطية ضعيف، وجدير بالذكر أن الصحيفة ركزت على مصطلح "الحرب المقدسة" أكثر من مفهوم "الحرب الصليبية"، كما دافعت على اعتبار مصطلح "الحرب الصليبية" الذي تفوه بها الرئيس الأمريكي (جورج بوش) غداة الأحداث، مجرد زلة لسان لا أكثر ولا أقل، وسعت من خلال التحليلات إلى التماس الأعذار وتبسيط الواقعة، كما كتب الصحفي (Claire Trean) معلقاً على خطاب الرئيس (جورج بوش) الذي وجهه إلى الكونغرس بتاريخ 20 سبتمبر (2001) عقب الأحداث "أكد (جورج بوش) أنه ليس لديه الرغبة في أن تخوض الولايات المتحدة حرباً دينية صليبية جديدة ضد الإسلام، فالإسلام دين يدعو إلى السلام والإيمان، والمسلمون مسالمون في طبيعتهم وتدينهم، ورحب السيد الرئيس بروح التعاون بين باكستان والولايات المتحدة، مشدداً على التصريحات الباكستانية "الجريئة" للرئيس الباكستاني (برويز مشرف) في مكافحة الإرهاب.² وجعل من جهته الصحفي (Mezri Haddad) "تصريحات الرئيس الأمريكي (جورج بوش)، البابا (بينديكت السادس عشر)، وإعادة نشر الرسوم المسيئة للإسلام ردود فعل طبيعية لما أنتجته الوهاية السعودية، التي هي من الإسلام بمثابة محاكم التفتيش المسيحية".³

¹ - Sans Signature : « Djihadisme : Ayman Zawahiri " Préparez-vous en vous entraînant (...) pour une longue guerre de guérilla, parce que la Croisade des temps modernes vous montre ses crocs " ». **Le Monde**, N° 19958, Le 26 Mars 2009, p1.

- Sans Signature : « Pour une longue guerre de guérilla, parce que la Croisade des temps modernes vous montre ses crocs ». **Le Monde**, N° 19958, Le 26 Mars 2009. p7.

² Claire Trean: « La planète se met en ordre de bataille pour combattre le terrorisme ». **Le Monde**, N° 17628, le 21 Septembre 2001. p 13.

³ Mezrie Hadadde : Op Cite, p 18.

3-6 التحليل الكيفي المقارن لنتائج المسلمون وقيم الحضارة الغربية.

تهدف إلى مجرد رصد ومعرفة اتجاه وحجم التغطية الذين أولتهما الصحيفة لفئة " المسلمون وقيم الحضارة الغربية " فقط، بل إلى محاولة فهم فلسفتها ورؤيتها للإسلام في ظل استحقاقات الحضارة الغربية من جهة، والصور النمطية المتداولة في الوعي الغربي من جهة ثانية، وفي هذا السياق بداية تشير نتائج المعاملات الإحصائية إلى ثبات حجم المعالجة للفئات خلال فترتي الدراسة (2001 و2009)، بما يفسر إحصائياً أن ليست ثمة فروق ذات دلالة إحصائية تعزى إلى تغير فترة المعالجة سنيتي (2001) و(2009)، مع ضرورة الإشارة والتأكيد على غلبة التغطية السلبية النمطية المشوهة تماماً كما قررتها مدارس الاستشراق وكرستها وسائل الاعلام قبل وبعد الحادي عشر من سبتمبر، من دون تفريق بين إسلام معتدل وإسلام متطرف في الغالب، وتفصيل ذلك كما سيأتي :

1.3-6 الأصولية الإسلامية، تشكل تهديداً لحضارة الغرب ومستقبله .

ومصطلح " الأصولية " بهذا المعنى والاشتقاقات المقاربة له في اللغة الفرنسية¹ يستصحب في المخيال الغربي، الإزعاج والتوتر والخوف، خاصة حين يربط بالإسلام، لذلك كلما تحدثت الصحيفة عن " الأصولية الإسلامية " إلا وصاحبها الحديث عن التهديد أو الخطر الإسلامي القادم في شكل منعكس شرطي غير قابل للاستثناء، وبخاصة عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر.² والأصولية من خلال تحليلات الصحيفة مرفوضة جملة وتفصيلاً، والملاحظ أن الصحيفة لا تضع حدوداً فاصلة، تميز الأصولي المتعصب من غيره، بل نجد لها في ذلك خلط كبير يجمع المقاوم الفلسطيني مع السني الوهابي، والطالبي والحماسي، والشيعي الإيراني والباكستاني مع الأفغاني، وكل من يمثل الشر والشيطنة مع غيرهم في العالم من أعداء الحضارة الغربية والإنسانية كما يصفهم (Mezri Haddad)³ فالأصولية الإسلامية، كما يقررها كلا من (Daniel Bensaid et Willy Pelletier) " حركة ثورية عدائية يماثل عنفها وتشدها الحركات البلشفية والفاشية والنازية في الماضي، وهي حركة استبدادية و ضد الديمقراطية و ضد العلمانية، لذلك لا يمكن

¹ Fondamentalisme, intégrisme, Le salafisme, L'intolérance, militantisme, extrémisme djihadist, holiganze ... ect.

² Gilles Paris : « Le salafisme en questions ». **Le Monde**, N°20177, 11 Novembre 2009.p 12.

³ Mezrie Hadadde : Op Cite, p18.

استيعابها في العالم المسيحي العلماني، وبما أن هدفها إنشاء الدولة الإسلامية المستبدة فلا بد من أن تقوم الولايات المتحدة بوأدها عند الولادة".¹

6-3-2 الربط بين الإسلام والرجعية والتخلف .

هنا ينبغي الإشارة إلى أن جمع هذه المترادفات كان محتما بسبب تداخل المفاهيم والاشتقاقات المصاحبة لها في اللغة الفرنسية من جهة، وبسبب التوظيف غير المنهج لكتاب الصحيفة لمثل هذه المصطلحات من جهة ثانية، لقد توصلت الدراسة التحليلية إلى أن الصحيفة في مقالاتها التي تتحدث عن الإسلام والمسلمين كثيرا ما تربط الإسلام بالرجعية والتخلف، وبالأخص في الصور والكاريكاتوريات أين نجد المسلم يقابله اللحية الطويلة والأنف العريض أو اللباس العربي والعمامة أو الطربوش، وكومة من السواد إلى جانبه تجسد المرأة، وصورة البداوة والخيام والجمال، والجهل والصحراء والغباء... ، وإلى جنبه أوراق الدولارات.² وهذا ما يعني أن الصحيفة تساهم في تكريس الصور النمطية المشوهة عن الإسلام والمسلمين من خلال مثل هذا الربط المنهج، وبخاصة في الرسوم الكاريكاتورية، التي تضعها الصحيفة بصفة قارة في الركن الأيسر السفلي من كل عدد، وعلى الصفحة الأولى.

6-3-3 وصف المسلمين بالأغبياء الأغبياء محي الجنس .

وتتجلى غالب تكرارات هذه الفئة كذلك مثل سابقتها في الصور والكاريكاتوريات التي صاحبت العديد من المقالات أو افردت في واجهة الصحيفة ، على غرار ما كتبه (Abdelwahab Meddeb) بطريقة ساخرة مشوهة ومستفزة جدا، وتحت عنوان " البرقع ودائرة الغباء "،³ وما نشرته الصحيفة دون توقيع عن رئيس الجمعية الوطنية (Jean-François) ناقدا وساخر من مسألة النقاب التي طرحت بشكل معقد وكبير جدا في فرنسا قائلًا، " لا يمكن أن نقبل بنساء تعيش بيننا سجينات القضبان، ومحرومة من كل مكاسب الحياة المدنية ومسلوبة الهوية، أهما ليست مسألة نقاب وإنما مسألة كرامة المرأة وحرمتها التي حرمت منها بسبب التعصب والجهل الإسلامي، ... وأضاف " إن البرقع غير مقبول أصلا، ومظهر مهين ومسيء جدا للمرأة، إنه

¹ Daniel Bensaid Et Willy Pelletier : « Dieu, que ces guerres sont saintes » . Le Monde, N° 17681, Le 22 Novembre 2001, p 12.

² ينظر على سبيل المثال كاريكاتور العدد : 20027، والعدد 20025، والعدد 20016، والعدد 19956 من سنة 2009، وقد أُنشأت وسائل الإعلام الفرنسية بما فيها le Monde مسألة اللباس والرموز الدينية بمقاربات أو شكت ان تجعل منها الحرب التي ستقسم ظهر فرنسا.

³ Voir Abdelwahab Meddeb : « La burqa et le cercle des idiots » . Le Monde, N° 20028, le 27 Juin 2009 .p1/4.

علامة تجارية مسجلة للمتطرفين [الذين] يريدون اختراق قوة جمهوريتنا ". "ونحن في طريقنا للرد، ولكن بطريقة ذكية، ومن غير وحشية، ولا تسرع".¹

والصحيفة في هذا السياق تساير دعايات العديد من الصحف الأخرى الفرنسية : مما يجعلنا نؤكد أن الصحف الفرنسية على رأسها لوموند - وإن بشكل غير مكثف - لازالت تصدر للقارئ الفرنسي وتغذي المخيال الأوروبي بصور قائمة وسوداوية، تقوم على اختزال المسلمين في أوصاف وقوالب نمطية محددة، شهوانيون، مبذروا المال، معددي الزوجات، أصحاب البترول والمال، فاقدى الأهلية... وغيرها. وهذه النتيجة في واقع الحال توصل إليها الباحث (محمد بشاري) في تحليله لصحيفتي " L'express et le Nouvelle Observateur"²، والباحثة (عائشة كعباش) في تحليلها لصحيفتي " Le Monde et Le Figaro"³.

6-3.4 قيم الإسلام غربية عن قيم الحضارة الغربية .

عند هذه النقطة بالذات من المهم الإشارة إلى الاحتراز الذي أخذته الدراسة بعين الاعتبار في مدلول القيمة، ذلك أنه مفهوم معقد، حساس وتتجاذبه تخصصات علمية مختلفة، وكان القصد من المفهوم في الدراسة، ضبط قيم الإسلام من خلال ما تتميز به من ارتباط بأصول الوحي (القرآن والسنة)، وخصوصية في التصور للحياة والكون، ثم تحليلها في حياة المسلم لتبرز من خلال قيم الاعتقاد وقيم السلوك الفردية والجماعية والقيم الجمالية، مقابل ذلك القيم الغربية التي أملت بها البيئة والفلسفة الغربية المعاصرة وفرضتها ضرورات المجتمع وتنظيم الحياة وانعكست على الأفراد والمجتمع في اعتقاداتهم وسلوكياتهم وجمالياتهم. وفي هذا كشفت الدراسة التحليلية أن الصحيفة ترى في قيم الإسلام وخاصة تلك المتعلقة باللباس⁴ حرية الاعتقاد، الدعوة إلى الدين⁵، الجهاد،

¹ Sans Signature : « Burqa : des " femmes – relais " pour nouer le dialogue ? » . **Le Monde**, N° 20029, le 28 juin 2009, p 1/4 .

² محمد بشاري : مرجع سابق ص ص. 95-102.

³ عائشة كعباش : مرجع سابق، ص ص. 201-205.

⁴ Jean Pierre Stroobants : « En Belgique, le débat sur la laïcité est bousculé par le vote suisse sur les minarets » . **Le Monde**, N° 20027, le 26 juin 2009. Abdelwahab Meddeb : Op cite.

⁵ Michel Taubmann : « 1978 - 2009 : de la révolution islamique » . **Le Monde**, N° 20031, 30 juin 2009.

ممارسة العبادات، الموقف من الفن¹، قيم غربية عن منجزات الحضارة الغربية، بل نجدها تتكلم كثيرا وخاصة عقب الأحداث عن البربرية والمجحية الإسلامية،² مع ذلك ينبغي الإشارة رغم الاستهجان والاستغراب الذي تشيعه وسائل الإعلام المختلفة وسائرته عن قصد أو غير قصد صحيفة لوموند في تحليلاتها وبخاصة غداة الأحداث، إلا أن ثمة مجال من التقبل الغربي للقيم الإسلامية، ففلسفة الحياة الغربية ليست رفضا كلها بل فيها من قيم التسامح والحرية ما تستوعب به الثقافات والعقائد الأخرى، وإن وقعت ولا زالت في التجاوز والتعدي بحكم الخلفيات والصور الذهنية التي تروجها وسائل الإعلام والجماعات المختلفة في المجتمع الغربي. ولا أدل على ذلك مسألة الرموز الدينية في المؤسسات الرسمية الفرنسية، وما أثارته من زوبعة إعلامية جعلت منها الخطر المهدد للعلمانية، وكان لصحيفة "لوموند" حظا وفيرا في ذلك، وليست (لوموند) وحدها بل سايرها في ذلك العديد من الصحف والمجلات كما أشارت دراسة الباحث (محمد بشاري) هذه المسألة تحت "الحجاب الشبح الذي قد يهدد باندلاع حرب أهلية" وهي حملة ودعاية وموجة تقف من ورائها مجموعة من التنظيمات، بحسب مايروق للمسؤولين عن المجلتين (الإكسبرس ولونوفيل أوبسرفاتور) أن يستشهدوا به، كأن نقرأ عن "الجماعات الموالية للسعودية" أو "التنظيمات الموالية لإيران"، "الحركات الشيعية"، "الزمر الأفغانية"، "الشبكات الإيرانية"، "الجماعات المتطرفة"، "التجمعات الأصولية"، "المحرضون المواليون للسعودية أو المواليون لإيران"، "التأثير السعودي"، وغيرها من المسميات التي يتعمد من ورائها المحررون توريط بعض الدول الإسلامية.³

6-3.5 الإسلام يصادر الحريات العامة وحقوق الإنسان.

تؤكد التغطيات الصحافية في هذا السياق وبصفة سلبية في الغالب على فكرة معارضة الإسلام للحريات العامة وحقوق الإنسان، كما تروج لفكرة رفض الدين وخطر الدين والمتدينين، وبالأخص عند التطرق إلى قضايا وموضوعات بالغة الحساسية - في التصور الغربي - على غرار دور الدين والعادات والتقاليد والأعراف في تأطير المفاهيم والقيم الاجتماعية، ومكانة المرأة في المجتمع المسلم، ومجال الحريات ... وهي فكرة

¹ Mounir Aberkane : « Je suis Jean Mohammed de la Bastille ! ». Le Monde, N° 20031, 30 juin 2009.

² Jean Pierre Stroobants : « En Belgique, le débat sur la laïcité est bousculé par le vote suisse sur les minarets ». Op cite.

³ ينظر محمد بشاري : مرجع سابق.

لها جذورها الراسخة في المخيال الغربي نتيجة شيوع ما أسماها (الجابري) بالجهل المتبادل، فكرة صنعها اللاهوتيون المسيحيون المتعصبون في العصور الوسطى، ورسخها في الوجدان الغربي غلاة الصليبيين و المستشرقين والمنصرين من خلال أبحاثهم ودراساتهم وجهودهم العملية لتثبيتها في العقل الاستعماري للغرب¹(...). من هنا تكون تحليلات الصحيفة جزء لا يتجزأ من الكل الغربي الذي يتعامل مع الإسلام والمسلمين بصفة واعية ولاواعية - تلقائية- أحيان أخرى، إذ صعب عليها التحرر من تلك الرواسب والخلفيات الثقافية الدينية رغم الشعارات البراقة التي تدعيها على غرار الموضوعية، الاستقلالية، العقلانية، الليبرالية...

6-3-6 الإسلام يرفض العقلانية وكل قيم الحداثة الغربية .

وقد أشارت نتائج الدراسة التحليلية إلى أن الصحيفة لم تول اهتماما بالغا لهذه الفئة، وما وجد فرصد بصفة محايدة او ايجابية، ما يؤشر إلى أن الصحيفة وإن ركبت موجة تنمية الإسلام وفق القوالب الذهنية المتداولة في وسائل الإعلام المختلفة في التغطيات السلبية، إلا أنها نأت بنفسها عن إفصاح الخوض في دعاية مغرضة، مباشرة عالية الصيت ضد الإسلام وقضايا المسلمين، وما سيق في هذا الإطار ، غالبه محاييد وضني، وغير صريح يستوحي من القراءة المتفحصة، أو هو نقل لتصريحات يمينيين متطرفين، أو مغالين لهم أجندتهم الخاصة تجاه الإسلام والمسلمين، نقلت الصحيفة أخبارهم وأحاديثهم عبر صفحاتها للتعليق والتحليل وربما الموافقة وذلك قليل نسبيا²، أو ربما للنقد والاعتراض كما في الغالب.

وتذهب الصحيفة أبعد من ذلك في بعض تحليلاتها المتعلقة بموقف الغرب من الإسلام وموقف الإسلام من الغرب، إلى طرح إشكالات عميقة جدا تغوص في الحفر في أصول الشريعة الإسلامية لمحاولة إيجاد تفسير منطقي، وعملي لفهم الإسلام، إذ تشير إلى أن الجهل المتبادل كان الحلقة الاضعف في ربط جسور التواصل الثقافي بين العالمين ورسم حدود تقبله في الثقافة الغربية، زيادة على أن الإسلام - كما كتب (Henri Tincq) - هو في حد ذاته وتراثه يحتاج إلى قراءة جديدة مستقلة، كما لا ينبغي أن يبق حبيس أفراد او جماعات معينة أو دول بحذ ذاتها وتستحوذ على التفسير دون سواها، نعم الإصلاح ممكن، لكن بشرط إذا ما قبلنا إزالة الغموض عن دراسة النصوص التي حولت بإسم الشريعة الإسلامية المجتمعات إلى مجتمعات أبوية، ودفعت بها

¹ عبد القادر طاش: صورة الإسلام في العلام الغربي . ط2، دار الزهراء للإعلام الغربي، 1994، ص:8.

² Henri Tincq : « Ou l'islam marche avec son siècle, ou il reste à la marge de la société moderne » . Le Monde, N° 17639, le 20 Novembre 2001, p15 .

نحو الإرهاب الإسلامي، وذلك بالتأكيد فهم لم يرد في القرآن، بالنظر إلى العديد من الآيات، بما فيها آيات الجهاد والحرب.¹

6-3.7 الإسلام لا يحض على احترام معتقدات الأديان الأخرى .

لم تحظ هذه الفئة على حجم كبير في تغطيات ومعالجات الصحيفة لموضوع الإسلام بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، سواء غداة الأحداث أو بعد مرور ثمان سنوات من الأحداث، وما وجد فغطي بصفة محايدة في الغالب، إلا إذا تعلق الأمر بالحديث عن بعض الموضوعات التي تتحسس منها الصحيفة وترفضها في إطار سياستها العامة على غرار ما تعتبره الصحيفة إسلاما سياسيا، التشدد والتطرف والإرهاب الإسلامي، أما باقي التغطيات فسبقت في إطار الإسلام من حيث العموم كدين تعبدية، له أنصار وتبع كثيرون في العالم، وحاولت الصحيفة من خلالها التورع عن التورط في إصدار اتهامات صريحة ومباشرة، أو شن حملة إعلامية ودعائية صريحة ضد المسلمين أو ضد قضاياهم الدولية والوطنية الفرنسية، لما قد ينجر عليها بالسلب سواء في الداخل الفرنسي الذي يشكل المسلمون فيه نسبة لا يستهان بها وبالتالي من الجمهور العريض من القراء، فضلا على المسلمين العاملين في الصحيفة، وعلى المستوى الدولي الخارجي من جهة ثانية، مستخدمة في ذلك التغطية المحايدة في الغالب وان استبطنت بعض الجوانب السلبية كالعادة، ولم تهمل الصحيفة معالجة أبعاد ما تسميه أحيانا عنصرية الإسلام، وعدم إنفتاحه وقبوله الآخر، وذلك نتيجة تحجر بعض الأنظمة والشعوب الإسلامية، جراء بيئتها الجغرافية ونفسياتها وطبيعتها تشكلها، وتضرب لذلك مثلا المجتمع السعودي، الذي عدته من أكثر الشعوب بدائية وحساسية وتقوفا على نفسه ورفضاً للإنفتاح والتطوير إذا ما قورن بشعوب دول إسلامية أخرى محايدة له.²

ونذكر في السياق أن الصحيفة تحاول التمييز - وإن بشكل غير كاف، وموضوعي تماما- بين الإسلام التعبدية والإسلام السياسي، وبين الإسلام كديانة جاءت بقيم إنسانية نبيلة وراقية،³ وبين منتمي ومريدي هذا

¹ Henri Tincq : « Ou l'islam marche avec son siècle, ou il reste à la marge de la société moderne » . Op cite.

² Jean - Pierre Langellier : « L'Arabie saoudite, prisonnière de sa géographie » . **Le Monde**, N° 176 31, le 07 Octobre 2001. P11.

³ Henri Tincq : « Ou l'islam marche avec son siècle, ou il reste à la marge de la société moderne » . **Le Monde**, N° 17679, le 20 Novembre 2001, p9.

الدين من جماعات وتنظيمات إسلامية أصولية راديكالية وبمبينة متطرفة تريد أن تزحزح الغرب من مركزيته قصرا عن طريق الإرهاب والعنف كما تسميهم الصحيفة.

6-3.8 العالم الإسلامي يعتبر نفسه في حرب ضد الحضارة الغربية.

حجم معالجة هذه الفئة وطبيعته، يكملان الرؤية التي تميز الصحيفة في التعامل مع الإسلام والمسلمين، ذلك أن الإسلام في تصور الصحيفة، ومن خلال المعالجة والاهتمام يظل حقيقة ينبغي التعامل معها واستيعابها برؤية علمانية تحايد السياسة وأعمال الجهاد والتخريب، والمسلمون بشر يمكن التعايش معهم ودمجهم في سياق المواطنة، بل وينبغي دعم قضاياهم الداخلية والخارجية، من دون اعتبارهم مصدرا للتهديد والقلق، لان ذلك من شأنه أن يعمق الهوية ويؤجج الصراع¹، وهي رؤية منطقية - إلى حد ما بالنظر إلى خصوصية الفكر الغربي، التاريخية والاجتماعية والعقيدية - ساهم في تشكيلها العديد من الأسباب والمتغيرات الدولية والقطرية، ما لم تعصف بهذه الرؤية الحظوظ النفسية ورواسب التاريخ وأطماع الجغرافيا السياسية والاقتصادية والإعلامية الغربية المهينة. وهي الاسباب الحاضرة في غالب التغطيات المتعلقة بالموضوع، وخاصة مع الاسلام السياسي والجماعات الاصولية². لكن ما ينبغي التنويه به في الدراسة، طالما أن بعضا من جوانب الايجاب لهذه الفئة موجود في تغطيات الصحيفة وتحليلاتها، فمن الواجب علينا في عالمنا العربي والإسلامي عل الصعيدين الرسمي والشعبي، السعي لرفع التهم وتصحيح الصورة.

6-3.9 المسلمون المغتربون غير مواليين (من الولاة) لبلدان المهجر.

حازت هذه الفئة آخر مراتب الاهتمام والتغطية في تحليلات الصحيفة لموضوعات الإسلام بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وبنسب ضعيفة جدا تكشف مدى حرص الصحيفة على تفادي توجيه خطاب عدائي ضد المسلمين الذين يعيشون على الأراضي الفرنسية، والدخول معهم في متهاتمات المد والجزر كما تفعل ذلك الصحف اليمينية المتطرفة في فرنسا، سواء ذلك عقب الأحداث مباشرة أو بعدها بسنوات، وكأنها تدعم قيم المواطنة والسلم الاجتماعي وبذلك تقر بالاختلاف والتنوع الذين يميز الجمهورية الفرنسية عن باقي جمهوريات وممالك أوروبا والعالم الغربي أجمع، وهو ما يجب أن يتعايش به الفرنسيون فيما بينهم، فالمغتربون

¹ Henri Tincq : « Un dialogue est-il possible entre islam et christianisme ? » . **Le Monde**, N° 17682, le 23 Novembre 2001, P3.

² Francois Chipaux : « Si l'Amérique nous pousse dans des caves, nous ferons tout pour la combattre, pour l'islam » . **Le Monde**, N° 17683, le 24 Novembre 2001, p1/4.

بغض النظر عن ديانتهم وأعراقهم وأوطانهم هم مواطنون فرنسيون، من غير الممكن الطعن في وطنيتهم وولائهم للبلد الذي احتضنهم، وكأما بذلك تكرر مقالة الرئيس الفرنسي السابق (جاك شيراك) في كتابه "فرنسا جديدة...فرنسا للجميع"¹ وإن وجهت بعض التغطيات السلبية للمسلمين وابنائهم المتواجدين في الضواحي والذين كثيرا ما تسببوا في توترات ومآسي هزت الشعب الفرنسي .

6-4 التحليل الكيفي المقارن لنتائج فئة " الاسلاموفوبيا أو الخوف المرضي من الإسلام "

يرجى من هذه الفئة معرفة مدى مساهمة الصحيفة في دعم مضامين الإسلاموفوبيا (الخوف المرضي من الإسلام) لدى القارئ من خلال تغطياتها، وفي هذا أشارت الدراسة التحليلية إلى أن الصحيفة من خلال طبيعة تغطياتها المتميزة بالسلبية وعدم الحياد مع مضامين هذه الفئة، تساهم إلى حد بعيد بصفة مقصودة و/أو غير مقصودة أحيانا في دعم العديد من المضامين المغلوطة والمشوهة عن الإسلام والمسلمين، بما ينشر الشك والريبة والخوف من الإسلام ومن المسلمين في أوساط المجتمعات الغربية، وبينت نتائج معاملات الاختبارات الإحصائية إلى عدم وجود فروق بين فترتي الدراسة (2001 و2009) في اتجاه وطبيعة الاهتمام والمعالجة لمضامين هذه الفئة، وإن يظهر من المراجعة العابرة للنسب وترتيبها بعض التفاوت البسيط بين الفترتين، لكنه غير دال إحصائيا، وأولى فئات الاهتمام والتغطية كان لصالح فئة :

6-4.1 الحركات الإسلامية تهدد استقرار العالم.

للصحيفة موقفها الصريح المعارض، والمعادي لكل أشكال تنظيمات وحركات العمل السياسي الإسلامي، وفي هذا لم يختلف موقف الصحيفة لتحليلات سنة (2001)، عن تحليلات سنة 2009، وركزت غالب اهتماماتها وتحليلاتها خلال فترتي الدراسة بصفة سلبية على اعتبار-الحركات الإسلامية- مصدر تهديد وخطر على الاستقرار العالمي سواء في العالم العربي والإسلامي أو في الغرب، وفي هذا كتبت (Mouna Naim) مبررة سعي الكيان الصهيوني إنشاء مناطق عازلة في الأراضي المحتلة قائلة " لقد تكاثرت في الأشهر الأخيرة من الانتفاضة العمليات الانتحارية للحركات الإسلامية، مما استدعى لإسرائيل إنشاء مناطق عسكرية عازلة في الضفة الغربية، والقدس والمدن المجاورة، للتقليل من الأعمال الإرهابية، وقد أعلنت حركة المقاومة الإسلامية

¹ جاك شيراك : فرنسا جديدة ... فرنسا للجميع . ط1، منشورات عويدات للنشر والتوزيع ، بيروت لبنان، 1996.

(حماس) مسؤوليتها عن التفجير الانتحاري للخميس الفارط من تاريخ السادس من سبتمبر في القدس الغربية¹، حتى الحركات المحسوبة على الحركات السلمية في البلاد الإسلامية، عدتها الصحيفة من الحركات الإرهابية الخطيرة التي ينبغي الحذر منها، وتهدد امن الغرب، ونعني بهذا ما كتبه عن حركة " الدعوة والتبليغ " وهي من الحركات السلمية الناشطة في الدعوة إلى الإسلام عن طريق الذكر والتسييح والخروج² ... إذ كتب صاحب المقال " محذرا من حركات هذه الدعوة السرية في الغرب وخطورتها، لا شيء ينبئ عن وجود مسجد في حي (السنادوني)، محلا لبيع الزهور تخفيه واجهة بيضاء وستار من الحديد، يصعب عليك الدخول حتى تتحول في شارع صغير عمودي لاكتشاف الباب الخشي البسيط، والذي يفتح ويغلق على فترات منتظمة، وممنوع دخوله لغير المسلمين ... - ليستمر متسائلا - عن دور الأمن والدولة في الكشف عن مثل هذه الجيوب الإرهابية النائمة في قلب فرنسا"³.

6-2. المسلمون لهم مطامح سياسية وعسكرية.

في المرتبة الثانية من الاهتمام وبصفة سلبية ومشوهة ركزت الصحيفة على هذه الفئة، وبرؤية ثابتة خلال فترتي التحليل، مع ضرورة الإشارة إلى أن الصحيفة في غالب التحليلات تقصد بالمسلمين في سياق هذه الفئة، الناشطون في مجال العمل السياسي، والتنظيمي والجماعات التي تسميها المتشددة والمعادية للغرب في منهجها وخطابها، أكثر من أنها تعني الشعوب أو المواطنين المسلمين سواء في بلدانهم الأصلية أو يعيشون في الغرب، كما أعلنت الصحيفة باستمرار منذ هجمات الحادي عشر من سبتمبر، موقفها الثابت تجاه مخاوف اعتلاء المسلمين سدة الحكم، وفتح مجال المشاركة السياسية لهم في الغرب أو في البلاد الإسلامية، وحذرت منذ أولى الهجمات من الطموحات العسكرية للإرهابيين المتطرفين المسلمين الذين يريدون استعمار العالم، وفي هذا يشير كلا من :

¹ Mouna Naim : « Enquête sur les kamikazes palestiniens, terroristes par désespoir » . **Le Monde**, N° 17617, le 18 Septembre 2001, p1-3.

² هي جماعة إسلامية صوفية مسالمة نشأت في الهند عن طريق مؤسسها المعروف بالشيخ محمد إلياس الكاندهلوي (1364 - 1303 هـ) ، يقوم منهجها على الدعوة بالحسن والزهدي في الدنيا، وأسلوبها يعتمد على الترغيب والترهيب والتأثير العاطفي. وهي تقوم بأمرين أساسيين : الأول هو تبليغ من لم تبلغه الدعوة الإسلامية، والثاني هو دعوة العاصين من المسلمين إلى الصلاة أولا بوصفها عماد الدين، ينظر : محمد جند عبد الحميد : **جماعة التبليغ في الهند دراسة وتقييم** . مذكرة ماجستير (غير منشورة)، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1431/06/06، ص ص 85-88.

³ Xavier Ternisien : « Le Daawawa Tabligh, un mouvement missionnaire soupçonné d'être un vers l'islam radical ». **Le Monde**, N°17625, le 26 Septembre 2001, p9."sas

(Recueillis Sylvain Cypel Et Daniel Vernet) غداة الأحداث مباشرة " لقد غيرت الهجمات الإرهابية الإسلامية على الأراضي الأميركية عالمنا، ولكن كيف وإلى أي مدى؟ ماهي أسباب الإرهاب وسبل مكافحته؟ وهل يتعين على أوروبا أن تقف إلى جانب الأميركيين؟ ويجب أصحاب المقال بعد تقديمهم مناظرة مطولة بين خبراء بارزين... يجب أن يقف كل الغرب الديمقراطي الليبرالي الحر لصد طموحات الغزاة الإسلاميين السياسية والعسكرية، والبحث عن الإسلام النموذج، الموافق لسياسات الغرب ويتماشى وسياساته"¹، جدير بالذكر أن الصحيفة في هذا السياق لا تفرق بين فرد أو جماعة، بين و حركة، بين دولة أو حكومة... فطالما أن مضمون الخطاب هو الإسلام والسياسية، فالموقف الطبيعي القدرى هو المعادة والحذر والتخوف.

عند ثالث مراتب الاهتمام لهذه الفئة نلمح تغيرا بسيطا في طبيعة اتجاه واهتمامات الصحيفة إذ نجد أنها في سنة (2001)، وجهت اهتمامها في سياق هذه الفئة نحو ضرورة مواجهة موجة التطرف والعنف الإسلامي لأنه " بعد أمريكا الدور على أوروبا " في المحجوم، وهو ما أوقع الصحيفة في كثير من التعميمات والأخطاء والتجاوزات في حق الإسلام وكثير من قضايا المسلمين نتيجة صدمة الأحداث، بل نجدها في العديد من التحليلات تحض أوروبا وبخاصة فرنسا على إعداد العدة الأمنية والعسكرية والإستراتيجية، مخافة وقوع هجمات وشيكة من جماعات إرهابية وخلايا نائمة داخل أوروبا، على غرار ما كتبه (jacques Isnard) تحت عنوان (فرنسا تريد " تعزيز " قواها الخاصة)²، وما كتبه كلاً من (Alima Boumediene-Thiery, Alain Krivine Et Giuseppe Di lello Finuoli) تحت عنوان (أوروبا: هل هي حالة استثناء؟) في إشارة مهمة إلى أن أوروبا لا تشكل استثناء في الهجمات وبالتالي في ما يجب عليها اتخاذها من تدابير أمنية وعسكرية، وتحالفات دولية "³، ومع ذلك لم تبق الصحيفة على هذا الكم من الاهتمام والتركيز في الخوف من الدور القادم، بل نجدها سنة (2009)، عدلت أوشكت أن تغض الطرف تماما عن موضوع، وجعلت من فئة " بعد أمريكا الدور على أوروبا " آخر اهتماماتها، ربما لأنه انتقل فعلا كما في تفجيرات مدريد سنة

¹Sylvain Cypel Et Daniel Vernet : « Le syndrome post - 11 septembre » . Le Monde, N° 17620, le 23 Septembre 2001, p 5.

²Jacques Isnard : « La France veut " muscler " ses forces spéciales » . Le Monde, N° 17689, le 29 Novembre 2001, P 12.

³Alima Boumediene Et Autres : « Europe : " vers l'état d'exception ? " » . Le Monde, N° 17689, le 29 Novembre 2001.p 15.

2004، أو لأنه لن ينتقل بنفس القوة نحو أوروبا نظرا لخصوصية هذه الأخيرة في إستراتيجيتها الأمنية والسياسية وفي علاقتها مع العرب والمسلمين، أو لأن مقاربة الموضوع لم تعد أصلا ذات أهمية وبالتالي التعامل مع العنف الإسلامي أو الإرهاب كحقائق تقتضيها المرحلة، مقابل ذلك نجد أن الصحيفة، وجهت اهتمامها نحو فئة ضرورة "سن تشريعات صارمة ضد الأصوليين المسلمين" والملمح البارز أن هذا النوع من الاحتياط القانوني الذي تصدر اهتمامات الصحيفة في فترة التحليل لسنة (2009)، لم يحظ بنفس الاهتمام غداة الأحداث، بل نجده تأخر إلى اضعف النسب، وغطي بصفة سلبية في الغالب بما يؤكد أن الصحيفة تستبطن رفضا مطلقا لما تسميهم بالاسلاميين او الاصوليين، وذلك لاشك متوقع طالما أن الصحيفة غداة الأحداث ركزت على دعم المقاربة الأمنية والعسكرية في تغطية أخبار وقضايا المسلمين، أكثر من المقاربة القانونية والمؤسسية التي ظهرت فيما بعد مع تزايد التداعيات السلبية للاستراتيجية السابقة.

6-3.4 الحد من حقوق وحرريات المسلمين في الغرب.

إندرجت غالب تغطيات مضامين هذه الفئة باتجاه محايد وسليبي عموما، ضمن دعم المقاربة القانونية والدبلوماسية في التعامل مع الإسلام وقضايا المسلمين بدل المقاربة العسكرية والأمنية التي روجت لها غداة الأحداث خاصة، ما يكشف خوف الصحيفة الثابت، والمتنامي من المد الإسلامي في الغرب، وقد كثرت معالجات هذه الفئة على وجه اخص مع موضوع "تشريعات الحجاب والبرقع في المجتمع الفرنسي"، إذ ركزت التغطيات في هذا السياق على ضرورة رفض البرقع جملة وتفصيلا، ورفض الزي الإسلامي في المؤسسات الرسمية الفرنسية بصفة قانونية، من خلال تشريعات صارمة،¹ وأراحت أبعد من ذلك في تحليلات تجعل من الزي الإسلامي والبرقع طبائع وعادات خارجة عن تعاليم الإسلام أصلا، بل عن ابسط حقوق الإنسانية وكرامتها². وليس مضامين الزي فقط بل تحدثت الصحيفة في هذا السياق كذلك مطولا عن سن تشريعات فيما يتعلق

¹ Jean-Pierre Stroobants : « La polémique sur le voile à l'école ravivée en Belgique ». **Le Monde**, N° 19975, le 23 Avril 2009.

Stephanie Le Bras : « Des députés ouvrent le débat sur le port de la burqa ». **Le Monde**, N°19971, le 19 Juin 2009.

² Dounia Bouzar : « La burqa, un signe sectaire et non religieux ». **Le Monde**, N° 20036, le 23 Juin 2009.

بالتمثيل السياسي للمسلمين، ودور العبادة، والعلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغيرهم¹، وهجرة المسلمين .. وغيرها.

كما تعرضت الصحيفة في سياق هذه الفئة إلى إجراءات وسبل إدماج المسلمين في المجتمع الفرنسي وبالأخص من خلال دعم الاتحادات اللائكية، على غرار اتحاد الوطني العلماني للمواطنين المسلمين، للجراح (Marouane Bouloudhine)².

6-4.4 المدارس والجامعات الإسلامية تصنع الإرهاب/ سن تشريعات صارمة ضد الأصوليين المسلمين .

وشكلا خامس مراتب وقع فيها الاختلاف في طبيعة واتجاهات التحليل فترتي التحليل، إذ نجد سنة (2001)، انصب نحو فئة " سن تشريعات صارمة ضد الأصوليين المسلمين" - كما أسلفنا الذكر أعلاه - بينما جاءت فئة سنة (2009) عند المرتبة الخامسة مع فئة " المدارس والجامعات الإسلامية تصنع الإرهاب"، بنسب وإن لم ترتفع إلا أن وجودها له ما يعكسه من خوف وقلق أثارته الصحيفة من الإسلام والمسلمين غداة الأحداث. جعلت منها تبني خطابا وقائيا وتحفظيا ضد التواجد الإسلامي عموما و ضد من تصفهم بالأصوليين خصوصا، كما تبنت مضامين الإستراتيجية الأمريكية في التعامل مع الإرهاب الدولي بحذافرها دونما تحفظ وخاصة فترة التحليل الأولى، معتبرة مذكرات التوقيف وإجراءات الردع سبيلا مشروعا للحد من الأصولية في العالم، مع ضرورة متابعة منابعها التي تتفرخ منها، في إشارة إلى المدارس والجامعات الإسلامية التي تنتشر في ربوع العالم، جدير بالذكر ان كلتا الحالتين غطيتا في اتجاه سلبية يكاد يخلو من الضوابط الموضوعية والمنطقية خلال فترتي التحليل، وذلك لموقف الصحيفة المحسوم سلفا من كل اشكال الحركات الأصولية، أو الجامعات والمدارس التي تصفها بمنايع تفريخ الإرهاب الدولي، لذا تكلمت بحدة عن ضرورة السعي لتخفيف منابيع الإرهاب، مركزة في ذلك على النظام التربوي والتعليمي في البلاد العربية وعلى رأسها النظام التربوي السعودي، - باعتبار أن سبعة من منفي هجمات الحادي عشر من سبتمبر جنسيتهم سعودية - والافغاني والجزائري، والنظم السياسية المناوئة للغرب، وثقافات الممانعة .

6-4.5 المهاجرون المسلمون يشكلون خطرا على الغرب.

¹ Sans Signature : « Le mariage d'une hindoue et d'un musulman conquiert Bollywood » . **Le Monde**, N° 20028, le 15 Juin 2009

² Stéphanie Le Bars : « Une fédération " laïque et apolitique " pour les " musulmans modérés " » . **Le Monde**, N° 20027, le 14 Juin 2009.

احتلت هذه الفئة سادس مراتب الاهتمام خلال فترتي التحليل، وهي الأخرى بحجم تغطية ضعيف ومتواضع وبتجاه في التغطية يغلب عليه التحفظ، ما يدفع التأكيد أن الصحيفة تنأى بنفسها عن التورط في الاتهام والتحريض أو التخويف من المهاجرين المواطنين بصفة مباشرة، بل العكس نجدها تحرص أحيانا على تبني خطاب استعطافي ومتفهم يحاول استيعاب المهاجرين وقضايا إدماجهم وتقبلهم في المجتمع الفرنسي،¹ مع أن هذا لا يعفي في واقع الحال من الكشف عن ما استبطنته بعض التحليلات من دعاوى محرضة وناقذة ورافضة، بل وعنصرية أحيانا تجاه المهاجرين المسلمين، وبالأخص عند موضوعات مثل: الزي الإسلامي في فرنسا، المشاركة السياسية للمسلمين في الغرب، السماح للتنظيمات والأحزاب والجمعيات ذات الطابع الديني، النشاط والحركة في أوروبا، وقضايا "الهوية الفرنسية الجديدة" ما أثير حولها من إشكاليات عميقة تتعلق في جوانب كثيرة منها بالإسلام في المجتمع الفرنسي، فكرة الخوف والحذر والدعوة إلى الصرامة في التعامل القانوني والأمين مع الإسلام والمسلمين في الغرب.

جدير بالذكر أن هذه الفئة تنشط حضورا كلما تعالت أحداث الضواحي الباريسية ومشكلاتها الأمنية والسياسية، إذ معروف أنها أهلة بالمغاربة والعرب والأفارقة والمسلمين، بل وتضم حتى المنظمات الإسلامية الفرنسية المختلفة على حد وصف وتأکید (فانسان جيسيير) وأي حركة فيها، هي حركة للإسلام في فرنسا كما تعمل على تكريس ذلك وإشاعته العديد من الدوائر الإعلامية والسياسية وحتى الدينية، بما فيها الإسلامية.²

¹Maurice T.Maschino : « Je ne suis français ». Le Monde, le 31 Décembre 2009, p12.

² ينظر فانسان جيسيير : مرجع سابق، ص 47.

6-5 التحليل الكيفي المقارن لنتائج فئة " الإسلام وقضايا المسلمين في فرنسا " .

بينت نتائج الدراسة التحليلية بداية من خلال المعالجة الإحصائية للفروق ودلالاتها، أن ثمة فروقا في حجم التغطية وطبيعة الاتجاه، وإن كان عديمة الدلالة الإحصائية، إذ أن قيمتي اختبار الفروق أو شكتنا أن تتساويا عند مستوى الثقة من التحليل، مما يعني أن الفروق موجودة ومتفاوتة بين فترتي الدراسة، وتندر بوجود تغيير في مركز وموضع اهتمام الصحيفة تجاه هذه الفئة، ويزيد ذلك وضوحا ضعف الارتباط بين فترتي الدراسة، كما بينت قيمة معامل الارتباط، والملاحظ من خلال مراجعة الفئات الفرعية والقراءة العامة للنسب المؤوية، أن طبيعة الاتجاه والاهتمام والمعالجة في الصحيفة سنة (2001) ركز على خطاب التحذير والخوف ورد الفعل العنيف والمباشر ضد المسلمين وقضاياهم المختلفة، بدل موضوعات خطاب العقلانية والحوار والاستيعاب والتعايش والاندماج في فرنسا، مقابل العكس من ذلك تماما سنة (2009)، مما يعني أن الصحيفة عدلت كثيرا من طبيعة خطابها التحذيري والخوف إلى خطاب التعايش والتواصل والإدماج، وإن بقت ثابتة على التغطية السلبية في العموم الغالب، وتفيد المقارنات بين الفئات في هذا السياق مايلي :

6-5. 1 الإسلام خطر يهدد فرنسا/المسلمون جزء من التنوع الثقافي والاجتماعي في فرنسا. وتشير هذه المفارقة الأولى إلى ما أشير إليه من تباين اتجاه وطبيعة التغطيات وتحول خطاب الخوف الى خطاب التعايش، لقد اثر هول الأحداث على طبيعة الخطاب وإتجاهه فكان غذاها سلبيا قائما رافضا معتبرا التواجد الاسلامي في فرنسا خطرا يهدد حياة الفرنسيين والجمهورية، ثم تراجع هذا الخطاب ليرز من جديد التفهم وقابلية التعايش مع المسلمين فهم في الاخير جزء من التنوع الاجتماعي والثقافي الفرنسي، ولا شك أن ذلك - إذا ما استصحبنا السياق الحضاري والتاريخي والسياسي للصحيفة- يعد ردا طبيعيا، يدخل في ما افترضه المؤرخ الفرنسي (Fernand Braudel)، القائم على التمييز بين "التاريخ الحداثي" "الآني ذي الإيقاع السريع، و" التاريخ اللاحداثي " ذي الإيقاع البطيء، أي زمن البنيات العميقة والتحويلات الهيكلية للظاهرة، فضخامة الأحداث وشدة وقعها وتسارع تداعياتها الإقليمية والدولية في شتى المجالات جعل جل مضامين هذه الفئة تنحى إتجاهها سلبيا متحاملا وعدائيا ومتشوها في غالب الأحيان لقضايا الاسلام والمسلمين، ولعل من مثل ذلك ما كتبه الصحيفة على احد أعمدها الدائمة، بعنوان (أسامة بن لادن : امتداداته الفرنسية / وعلاقتها المالية) وهو مقال يتقاطر حقدا وتشويها للعديد من حقائق الاسلام، فضلا على ان كاتبه

ينوه بالخطر الإسلامي، داعيا فرنسا نحو ضرورة الوقوف ودعم سياسة الولايات المتحدة في تجميد أصول سبع وعشرين منظمة وأفراد لهم صلة بالإرهاب الإسلامي، ومهددة بخطر الغفلة عن مواجهة هذه الجيوب والخلايا النائمة في الضواحي الباريسية، والمدعومة من البنوك والدول المارقة الداعمة لكل أشكال الإرهاب والتطرف الإسلامي¹، وبنبرة أكثر حدة وتطرفا كتب المستشرق الكبير على صفحات الجريدة (Bernard Lewis) مقالة جد عدائية عن (تنامي المشاعر الدينية للمسلمين الحاقدة على الغرب جراء ردة الفعل الدولي ضد الهجمات، ليؤكد من خلالها أن سبب بلاء الغرب ومعاناته هم أولئك البرابرة القادمون من ارض العرب، ودينهم ... وأجيالهم القادمة خطر يواجه الغرب، وبخاصة فرنسا موطن الجاليات المسلمة الأكبر على وجه التحديد.²

ومع ذلك ورغم دعايتها السلبية والمعرضة غداة الأحداث ضد الخطر الإسلامي الذي يهدد الغرب وفرنسا بالتحديد، أشارت نتائج التحليل من خلال فئة : **المسلمون جزء من التنوع الثقافي والاجتماعي في فرنسا** - التي تصدرت فئات فترة (2009) من التحليل، وترتبت الثانية مع فئات سنة (2001) - أن الصحيفة بقت مقرة بالوجود الإسلامي على الأراضي الفرنسية في العديد من التحليلات، وإن فضلت دعم اتجاه الإسلام الحدائي العلماني الذي يتماشى وثقافة المجتمع الفرنسي ومؤسساته التعليمية والاجتماعية ويتوافق مع سياسة الجمهورية، ويتعايش من خلاله المسلمون مع غيرهم في إطار جغرافية الدولة الفرنسية، رافضة كل الرفض لباقي أنواع الاسلام الممانع على حد وصفها له في العديد من المقالات، كما أن الصحيفة في السياق تكثر من التغطية المحايدة في تستر واضح عن الرفض للإسلام، ومستبطنة كما بينت تحليلات الاتجاه الصورة المشوهة والمغلوبة في السياق، وذلك من أجل تفاديا لمواجهة المباشرة والتصريح بالمعاداة، وخاصة حين يتعلق بقضايا وخصوصيات المواطنين الفرنسيين المسلمين، لذلك نجدها تدعو بعد ذلك علانية إلى ضرورة المحافظة على قيم ومبادئ علمانية الدولة، وقيم الجماهيرية. من خلال فئة : **ضرورة احترام مبادئ العلمانية**، هذه الفئة التي ترتبت ثاني الفئات فترة التحليل (2009)، وثالث الفئات سنة (2001)، مما يؤكد في المجموع أن الصحيفة تأثرت بالأحداث تأثرا بالغا، بالأحداث وتصاعدت وتيرة حساسيتها، وتقبله على مضمض بشرط الحفاظ على خصوصية الثقافة

¹ Jospin Diplome : « Ben Laden sa filière française, ses liens financiers » . **Le Monde**, N° 17625, le 26 septembre 2001, p1.

² Bernard Lewis : « La montée des passions religieuses ». **Le Monde**, N° 17620, le 21 Octobre 2001, p3.

السياسية والاجتماعية الفرنسية، والدفاع عن التوجه والمبدأ الأعلى وهو علمانية الحياة الفرنسية، بغض النظر عن خصوصيات الجماعات الدينية المختلفة المقيمة في فرنسا بما فيها الإسلام.¹

6-5. 2. الاقرار بالحقوق الاجتماعية والسياسية للمسلمين الفرنسيين/ المسلمون وراء الاضطرابات : تشير

هذا امقارنة الثانية كذلك في هذا السياق الى مفارقة عكس ماسبق وقرر مع الفئات الاربعة الاولى، ففترة التحليل من سنة (2001) أبانت تقدم فئة : الاقرار بالحقوق الاجتماعية والسياسية للمسلمين الفرنسيين، في إشارة مهمة وقوية الى عدم انعدام خطاب التعايش والتقبل نتيجة تفجر الأحداث وتداعيتها، وتعالى صيحات المعارضين للحقوق الإسلامية في الغرب، كالمآذن في سويسرا، والحجاب والمساجد والمؤسسات التعليمية الدينية والخيرية والمقابر وغيرها من الحقوق التي لا تزال تلقى أخذاً ورداً في كثير من البلاد الغربية، والتي شهدت تحقياً لها في دول أخرى على خلاف فرنسا، وإن تأخر كونه جاء في رابع المراتب إلا أنه يعد مؤشراً إيجابياً يحسب للصحيفة في علاقتها مع مسلمي المهجر وحقوقهم، لكن ما نلمحه بعد ذلك إذ المفترض أن الصحيفة تثبت على هذا النهج التآلفي في خطابها حتى سنة (2009)، لكن سرعان ما تنازلت من عرشها الدفاعي والتآلفي الى لغة الخوف والتهديد من جديد، فحملت المسلمين مسؤولية الاضطرابات الداخلية في فرنسا، وذلك من خلال مضامين فئة : المسلمون وراء الاضطرابات في فرنسا، بدل التعايش، ولا شك أن ذلك راجع إلى طبيعة الفترة التاريخية، لقد شهدت فرنسا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر العديدي من الاضرابات الداخلية التي تورط أو ورت فيها المسلمون نتيجة الظروف الاجتماعية او الاقتصادية أو حتى السياسية التي يعانها المهاجرون المسلمون وغيرهم في فرنسا، وخاصة ما عرف باضطرابات الضواحي الباريسية سنة 2003، هذه الأخيرة التي اوشكت ان تشكل أزمة تعصف بالاستقرار الفرنسي لولا تدخل القرارات السياسية والاقتصادية حينها للتخفيف من حدة المشكلة، وما يجدر الاشارة إليه دائما غلبة التغطية السلبية المغلوطة والمشوهة والطامسة لجوهر الاسلام، ويتأكد ما يسميه الجابري بغلبة الجهل المتبادل والانفعال على الحقيقة والموضوعية.

¹ Voir Farhad Khosro khavar : « Ce que la loi sur la burqa nous voile » . **Le Monde**. N° 20043, le 30 juin 2009, p1.

-Sans Signature : « Le port de la burqa divise les politiques français » . **Le Monde**. N° 20037, le 24. juin.2009, p2.

6-5. 3. حصر الحجاب والرموز الدينية في المؤسسات الرسمية الفرنسية /صعوبة التعايش مع المسلمين في

فرنسا : ويلاحظ أنها فئات تعكس في مجموعها توجس وحذر الصحيفة مما يتعلق بالإسلام والمسلمين سواء فترة التحليل الأولى غداة الأحداث، أو بعد ثمان سنوات من الأحداث، ووجدت هذه الفئات ظالتها في الصحيفة وتغطياتها، لعدة عوامل وأسباب يمكن حصرها في سببين، أولها القناعة المستمرة التي تزداد تاكدا من خلال تحليلات الدراسة ان الصحيفة رافضة ومعادية في الجوهر للإسلام ومظاهره واتباعه، وقبولها له إنما على أساس التعايش مع الواقع المفروض، وثانيها وهو السبب الظاهر الموضوعي المتعلق بالسياق الزمني، فأعداد التحليل خلال الفترتين رافقتا وجود اضطرابات داخلية او خارجية تسبب فيها المهاجرون المسلمون، أو ألصقت بهم على غرار ما اشير إليه سلفا باضطرابات الضواحي الباريسية التي تفجرت نتيجة الضغوط الاجتماعية والقانونية وكذا الزخم الإعلامي التي حازته بعض القضايا الاجتماعية الحساسة للمسلمين في فرنسا.¹

6-5. 4. رفع شعارات العنصرية : وشكلت هذه الاخيرة خلال فترتي التحليل آخر المراتب حضورا

واهتماما، وبنسب ضعيفة كادت أن تكون منعدمة تماما فترة التحليل الثانية من سنة (2009)، ما يؤشر إلى انتهاج الصحيفة تغطية متحفظة، وملترحة بخطها الإعلامي والفلسفي المعروف باليساري المصبوغ بصبغة الاعتدال والحياد ظاهرا، كما توضح تحليلات فئة الاتجاه ضمن مضامين هذه الفئة، ويعد ذلك مؤشر مهم في صالح علاقات الصحيفة مع المسلمين ومع الإسلام، وفي هذا السياق لا تفوت الإشارة الى ما كتبه الصحفي (Xavier Filet) خلال تعليقه في مقال تحليلي عن " دعاة تدنيس مسجد كاستريس"، وهي الدعوة من عنصريين فرنسيين مناهضين للإسلام والمسلمين، جاءت بالموازاة مع الدعوة التي اطلقتها في الولايات المتحدة القسالمستشرق "تيري جونز"، الذي دعا إلى إحراق قرآن الكريم في ذكرى هجمات لا يمكننا كفرنسيين قبول دعوة هؤلاء، والسير في ظلالاتهم وخطابهم المتحرش والعنصري ضد المسلمين، يجب ان نفتح صفحة الحوار الوطني، وإنقاذ الهوية الوطنية، ونلتقي على الفور بالمسلمين ونكشف لهم رفضنا ومساندتنا لهم ووقوفنا إلى

¹ ينظر على سبيل المثال لا الحصر مقتل الطبيب والروفسير في الجامعة الفرنسية :

- Poul Benkimoun : « Robert Slama » . **Le Monde**, N° 19964, le 10 Avril 2009, p1.

- Jacques Follorou : « Une Affaire de vol de yachts trouble la relation paris-tunis » . **Le Monde**, N° 20034, le 21 juin 2009, p1.

جانبيهم¹، وجمعت لذلك الصحيفة تعاطف العديد من المفكرين ونشطاء الحرية كـ (Marcelle Pierrot)، والبرلمانيين والمسؤولين، دفاعا عن دعاوى العنصرية².

6-6 التحليل الكيفي المقارن لنتائج فئة " قيم الاسلام ومبادئه الأصيلة " .

بينت نتائج المعالجة الإحصائية لفئة " الإسلام وقيمه الأصيلة " إلى وجود فروق كبيرة جدا بين الفترتين المخصصتين للدراسة في حجم المعالجة، كما تؤكد ذلك دلالة قيمة معامل الارتباط التي عكست وجود ارتباط أو توافق في الاهتمام بين الفترتين (2001 و2009)، وكذا قيمة معامل اختبار-ت- للفروق، فرغم أن الصحيفة ركبت موجة العداة والتحاميل ضد الإسلام والمسلمين، كما كشفت المعالجات السابقة إلا أن الدراسة التحليلية لهذه الفئة " قيم الإسلام ومبادئه النبيلة " بداية أن للصحيفة تصور خاص حين تتكلم عن الإسلام، وأنها تتكلم عن إسلامين، إسلام مقبول تغطيه بصيغة دبلوماسية متحفظة وإيجابية أحيانا، تبرز فيه معالم هذه الديانة وما تضمنته من قيم وأخلاق إنسانية سامية، بل المقابل هناك إسلام مرفوض جملة وتفصيلا، يثير الرعب والهلع والتوتر وهذا من الواجب في منظرها دحضه والقضاء عليه وتخفيف منابعه، والظاهر في تحليلات هذه الفئة ان النوع الثاني ساد كثيرا في تغطيات الفترة الاولى من التحليل لسنة (2001)، نتيجة هول الأحداث وتدايعاتها اما الأول منهما فقد غلب على تحليلات الفترة الثانية من سنة (2009)، فان كانت ترفض بعض اعتقادات الإسلام، وموضوعاته الحساسة، خاصة الجهاد، السياسة، المرأة، تعدد الزوجات، وبعض فهوم أنصاره ومريديه، نجدها لا تتوانى في إظهار احترامها وإعلان تقبلها للإسلام، وقد تقدمت في هذا السياق على مدار فترتي التحليل (2009/2001) فئات " الاحترام والإقرار بعظمة الإسلام وقيمه " رغم حساسية الفترة وغلبة خطاب رد الفعل على جميع الأصعدة السياسية والثقافية والإعلامية وفي المجتمعات الغربية، وباتجاهات محايدة وإيجابية في العديد من الأحيان لولا ان الجهل بأصول الإسلام وغياب الفهم الصحيح دائما يورط الصحيفة في متهات الترميط والاختزال والتشويه. ومن أجل التمثيل على ذلك نورد مضامين واتجاهات الفئات الآتية خلال فترتي التحليل:

¹ Xavier Filet : « La mosquée de Castres profanée » . Le Monde, N° 20042, le 29 juin 2009, p1.

² Rémy Maucourt: « Le concept de diffamation des religions répond à des objectifs politiques » . Le Monde, N° 19941, le 19 mars 2009, p13.

6-6. 1. الإسلام يدعو إلى التسامح/ الدعوة إلى الإسلام الحداثي، العلماني، المعتدل : وتوضح المقارنة بين

هذين الفئتين - الأولى تبوّأت صدارة التحليل في الفترة الأولى والثانية تبوّأت الصدارة في الفترة الثانية - مدى تقبل الصحافة من حيث المبدأ العام إلى الإسلام كدين من الأديان التي تليق بالاحترام والتقدير، رغم هول الأحداث وتصاعد تداعياتها على الداخل الفرنسي وخارجه، فالصحيفة تعتقد أن ديانة الإسلام تدعو إلى التسامح وتزيد التأكيد أنها لا ترى فيه من منطلق أنه دين تعبدى، ما يعارض العلمانية وقيم الحداثة الغربية،¹ وما يدعوا فيه إلى العنف بل هو دين مليء بالقيم الإيجابية السامية التي تدعوا إلى الإقرار بحق الآخر، وظلت على ذلك، إلا أن فترة التحليل من سنة (2009)، كشفت بتفصيل عن نوعية الإسلام الذي تتقبله الصحيفة وتفهمه وتدعمه وتحاول أن تتعايش معه، ألا وهو الإسلام الحداثي، العلماني على حد وصف صحفييها، والذي تراه رمز الاعتدال كونه يتقبل القيم العلمانية الغربية، ويتعايش معها بعيدا عن الأصولية والراديكالية التي ترفض العلمانية كمنهج حياة وتعتبرها كفرا، وقد نشرت في هذا السياق تحليلا مطولا للرئيس الفرنسي حول الموضوع دفاعا عن الجمهورية وقيم العلمانية والحداثة الغربية، أشار من خلاله إلى أن فرنسا لن تتسامح مع من يחדش مبادئها، وتدعم كل الفئات والأطياف والجمعيات في إطار مبادئ الجمهورية،² والصحيفة بهذا متشددة في تمسكها برفض الإسلام السياسي والجهادي والتنظيمي، وأتباعه ونجد لها اهتماما ملحوظا بالمفكرين العلمانيين، والحداثيين الذين خصصت لهم فضاء واسعا لرصد أفكارهم ورؤيتهم للإسلام ومكانته في الثقافة الغربية المعاصرة، لعل من أبرزهم المفكر ذو الأصل الجزائري (محمد أركون) الذي اعتمدته الصحيفة عقب الأحداث كمرجع مهم لفهم الإسلام الصحيح المعتدل³، ولا تكتفي الصحيفة في وصف هؤلاء كرموز للتيار المعتدل المطلوب غربيا بل تشير كذلك إلى المؤسسات الرسمية الدينية المعتدلة التي تمثل الإسلام الصحيح "كالأزهر"⁴،

¹Henri Tincq : « Les appels à la " guerre sainte " n'ont aucune chance d'être entendus en France. Ils n'ont aucun sens ». **Le Monde**, N° 17643, le 14 Octobre 2001, p 4.

² Nicolas Sarkozy : « Le modèle français a de nouveau sa chance » . **Le Monde** le 24 Juin 2009, p 2.

³ Mohammed Arkoun : « Islam Et Europe : Mortelle Amnésie ». **Le Monde**, N° 17974, le 14 décembre 2001 ,p3.

Henri Tincq : « Enseigner l'islam a l'école, Comment s'étonner que l'islam soit si mal connu, alors qu'il est si peu enseigné ? » . **Le Monde**, N° 17653, le 24 octobre 2001 . P22.

⁴ "Sawt al Azhar qui représente pourtant l'islam officiel modéré, n'échappe pas ... " voir Alexandre Bucciatti : «La presse arabe dénonce un parti pris antimusulman depuis les attentats » . **Le Monde**, 15 Septembre 2001, p12 .

والأنظمة الرسمية الأعمدج على غرار النظام " التركي"، وقد يرجع ذلك إلى تنامي وتيرة الحديث عن العلمانية والحادثة في فرنسا لدى الطبقة السياسية وبخاصة مع العودة القوية للتيار المحافظ مع قدوم الرئيس الفرنسي نيكولا سركوزي، الذي فتح الباب على مصراعيه للحديث عن الهوية و المهاجرين والإسلام والعلمانية، وقد سايرت الصحيفة كغيرها من الصحف الفرنسية هذا التوجه، فضلا على أنها ثابت من ثوابت الصحيفة التي تسعى إلى الدفاع عنها وتعميمها، وقد جندت لذلك الأقلام السياسية والأكاديمية والثقافية لبلورة فكرة الدفاع عن الإسلام الحداثي العلماني الذي تريده فرنسا، ودعمت جل مبادرات التأسيس لهيكل إسلامي بديل يسند خصوصيات الجمهورية الفرنسية، على غرار لجنة " الدفاع عن العلمانية في الجمهورية " التي ترأسها آنذاك (Bernard Stasi)¹

6-6. 2. الإسلام رسالة تحترم الإنسانية / الإسلام دين سلام / الإسلام يدين العنف وقتل الأبرياء: يلاحظ في السياق الموالي للفئات المذكورة أنفا تعاق الفئات الثلاث المذكورة في المراتب الثانية والثالثة خلال فترتي التحليل ما يؤكد التوجه والاستنتاج الذي وصلت إليه مقارنت الدراسة فترتي التحليل، فالصحيفة اها اتجاهها الخاص في فهم الاسلام وتفهم قضايا المسلمين الدولية والمحلية، وهي في الغالب تتحاشى تقصد الإسلام كدين، بل تسعى من خلال كتابات بعض العرب والمسلمين وحتى غير المسلمين على إبراز ودها وتقبلها للإسلام، وفي كل الحالات المرصدة في هذا السياق الصحيفة تحكي عن الاسلامي العلماني الذي يعزل السياسة وباقي مناحي الحياة العامة عن الدين، والعبادة، وتدافع عن هذا التوجه داعية الغرب الى ضرورة التقرب من هذا النمط من الاسلام ودعمه وغدماجه في الهيئات والمؤسسات الدينية في الغرب، وفي هذا نشرت الصحيفة مقالا مطولا عن (فهم أوروبا للإسلام).²

6-6. 3. الإسلام يدين العنف وقتل الأبرياء / الاسلام دين سلام : وهذه المجموعة الثالثة من الفئات الموالية في الترتيب، تؤكد ما سبق وأن قررته الفئات السابقة، وتزيد التأكيد وضوحا كونها سيقت من أجل الحصول على تصريحات مباشرة ظاهرة وغير مستترة تنم عن الإقرار بدين الإسلام، وجل التغطيات التي سيقت خلال

¹ Béatrice Gurrey : « Jacques Chirac installe la commission Stasi sur la laïcité dans la République » . **Le Monde**, N° 17664, le 04 novembre 2001, p02 .

² Roger-Pol Droit : « Et si l'Europe ne devait pas ses savoirs à l'islam ? » . **Le Monde**, N° 19956, le 04 Avril 2009, p16.

فترتي الدراسة والتحليل تعكس بالمواقبلرفض الصحيفة الدائم للإسلام السياسي، الأصولي، الجهادي، المتطرف، التنظيمي، مقابل تفهم الإسلام العلماني التعبدي والقيمي المعتدل من -وجهة نظرها طبعاً- وفي هذا نذكر ما ورد على صفحات الجريدة مما كتبه الصحفي المتخصص في الشأن الإسلامي (Henri Tincq) في عرضة لكتاب (محمد اركون) المعنون بـ (Intelligences de l'islam) وقدم له الخبير الفرنسي (Jacques Le Goff)، وقدم الصحفي أهم أفكار الكتاب، وقد جاءت منتقصة وناقدة نقدا لاذعا لكل أشكال العمل السياسي الاسلامي، وحركات الجهاد والتنظيمات ومدافعة في ذات الوقت عن الأنموذج الإسلامي الذكي، الذي يمكن من التعايش والإدماج في الثقافة الغربية بسلاسة ويسر.¹ ومن أكد ما ينبغي الإشارة إليه في السياق أيضا ما كتبه الصحفي (Jean-Pierre Langellier) دفاعا عن الإسلام ومجرحا للغرب وأخطائه وتجاوزاته في سياق تعليقه على ظاهر الرسومات المسيئة للنبي الكريم «صلى الله عليه وآله وسلم»، متسائلا عن سر غضب جماهير المسلمين مشرقا ومغربا، وتجاهل الغرب أسباب ذلك، وأين هي الحلول وسبل الحوار الفعال؟ ومن المستفيد وراء كل ذلك؟ منوها في الأخير بما توصلت إليه أعمال المؤتمر العالمي لاحترام الأديان الذي عقد بالعاصمة الماليزية " كوالالمبور " بمشاركة فرنسية أمريكية، وهي توصيات سامية وراقية تكمل فرص الحوار وتدعم السلام العالمي بين الأديان، مشيرا امتعاضه دائما أن الغرب السياسي والاقتصادي يأبى ويتجاهل مثل هذه التوصيات في الأخير، والمسلمون هم أنفسهم كذلك سرعان ما يعطوا أظهرهم لمثل هذه التوصيات العالمية السامية بمواقفهم المتصلبة، وغير المسؤولة- من وجه نظره -.²

6-4. محمد رسول الإسلام : وكانت هذه آخر فئات الترتيب فترتي التحليل، وأول ما نلمحه في سياق هذه الفئة بداية، تجاهل الصحيفة شبه التام لنبوة (محمد) «صلى الله عليه وآله وسلم»، معتبرة إياه الرجل الذي اخضع فئات كبيرة من العالم لأفكاره ومذهبه الديني، كما تربط بين إسم النبي (محمد) «صلى الله عليه وآله وسلم» والأعمال الإرهابية واعمال العنف والتخريب، وتركز في حياته على بعد حياة البداوة وتلقي الحكمة والقرءان من الرهبان النصرى في بلاد الشام، وتعدد الوجات، هذا لايعني أنهما لم تتطرق إلى جوانب الإيجاب في شخصيته وحياته، ورسالته، لذا ذكرته في سياقات متعددة امتزج فيها الإقرار والقبول تارة بالتعصب والرفض والتنميط تارة أخرى، وإن غلب الشق الثاني أكثر على اتجاه التغطية، ويلاحظ ان التغطيات المتعلقة بنبي الاسلام

¹Henri Tincq : « Intelligences de l'islamle » . Le Monde, N° 19923, le 01 mars 2009, p 23.

²Jean-Pierre Langellier : « Islam et Occident : vérités amères » . Le Monde, N° 19950, le 28 Mars 2009, p1/5.

لم تستقل في طبيعة معالجتها عما قرره المستشرقون قبل قرون، وما كرسته تراكمات القرون الوسطى في المخيال الغربي، كما نلمح تزايد التغطية كما ونوعا في الفترة الثانية من التحليل مقارنة بسابقتها بفعل للمشكلات التي طرحت خلال السنوات السابقة لسنة (2009)، تلك المتعلقة بنبي الإسلام وعلى رأسها "مشكلة الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للنبي محمد" «صلى الله عليه وآله وسلم»، والتي كان للصحيفة دور وموقف بارز في عولمتها من خلال إعادة نشرها على صفحاتها دفاعا عن ما اعتبرته حرية الفكر والتعبير.¹

6-7 التحليل الكيفي المقارن لنتائج فئة " الإسلام وقضايا المسلمين الدولية " .

تجدر الإشارة بداية إلى إن قائمة " قضايا الإسلام والمسلمين الدولية " المقترحة للتحليل تم إعدادها على مرحلتين مرحلة أولى من اقتراح الباحث والمشرف ثم تحكيم المحكمين، الذين بدورهم عدلوا واقترحوا قضايا جديدة قابلة للتحليل في سياق الموضوع العام للإشكالية، ومرحلة ثانية متأخرة فرضتها إجراءات التحليل، ونوعية القضايا المقترحة، وطبيعة وحجم معالجة الصحيفة لها، ما أزم الدراسة بالعمل على عزل بعض القضايا نظرا لتعقيدها وتضمنها العديد من الفئات الفرعية الصالحة للمعالجة مفردة من جهة، وحجم تغطيتها في الصحيفة، إذ نجد لها في كل عدد من أعداد تغطية وربما تغطيات متعددة خاصة كمية ونوعية، لتوزع القضايا في النهاية -بعد التحكيم الثاني- على القضايا العامة، ثم القضية الفلسطينية. وهذه العملية التصنيفية قدمت نتيجة أولى نتيجة أولى مفادها: " القضية الفلسطينية " أكثر القضايا اهتماما ومعالجة من قبل الصحيفة في ما يتعلق بالشأن الإسلامي، سواء غداة أحداث الحادي عشر من سبتمبر أو بعد مرور ثماني سنوات من سبتمبر، لترتب بعد ذلك القضايا الأخرى كل قضية حسب سياقها ومعالجة الصحيفة لها.

القضايا العامة : بينت نتائج المعالجة الإحصائية لفئة " معالجة قضايا الإسلام والمسلمين الدولية " إلى وجود فروق بين فترتين الدراسة في حجم المعالجة وطبيعة إتجاهها، وترتيب الأولويات للقضايا المتعلقة بالشأن الإسلامي، كما تؤكد ذلك قيم المعاملات الإحصائية، غير أن هذه الفروق إحصائية ليس لها دلالة معنوية، بمعنى ضعف الارتباط والفروق نتيجة كثرة القضايا وتشتت النسب، والملمح البارز من خلال اتجاه التغطيات المعالجة غلبة في فترة التحليل الأولى سنة (2001)، غداة الأحداث التغطية السلبية المشوهة والمتحاملة وغير الموضوعية على جل مضامين هذه الفئات، عكس ذلك فترة التحليل الثانية سنة (2009)، التي تراجعت فيها

¹ أكثر من 197 مادة إعلامية بين كاريكاتوري ومقال وخبر وصور خصصتها الصحيفة خلال سنة 2009 لمعالجة قضية الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للنبي صلى الله عليه وسلم .

التغطية السلبية لمضامين هذه الفئة، وظهرت بصفة وإن لم تكن مطلقة التغطية الإيجابية، وهذه النتيجة المبدئية تكشف مدى تأثير الأحداث في المواقف تجاه الاسلام ، ودخول الصحيفة ضمن ما سماه (فردناند بروديل) بضلالات الزمن الحديثي، والصحيفة عدلت في كثير من الأحيان ومع العديد من القضايا اتجاه تغطيتها، من الانفعال السلبي الى الرؤية الواقعية أو المحايدة - على الأقل- وذلك لا يعفي من الإشارة إلى أن الصحيفة تمسكت ببعض الافكار المغلوطة، منها ماهو ناتج عن الجهل أصالة بالاسلام

وشؤون المسلمين، ومنها ماهو مقصود يرمي في مصلحة واستراتيجية الصحيفة، ومثل هذه الأخيرة لا تتوان الصحيفة في نشرها وتعميمها في السياق، ونظرا لكثرة القضايا المطروحة فتركز فيما يأتي على القضايا التي ميزت طبيعة التغطية والتحليل، وأثرت في الاتجاه .

6-7. 1 ظلم المرأة في الإسلام : غالب فئات هذه الفئة تشكلت من قضايا المرأة في أفغانستان والمرأة الإيرانية ومشكلة النقاب في فرنسا، وتعدد الزوجات في بلاد المشرق الاسلامي والمشاركة السياسية للمرأة أبرز مظاهر هذه الفئة، سواء في الصور والكاريكاتوريتها أو في التعليقات والتقارير الصحفية خلال فترة التحليل الأولى، وفي كل الحالات كانت التغطية السلبية المتحاملة والمشوهة الصفة الغالبة، لقد ربطت الصحيفة ربطا وثيقا بين الظلم والمهانة والحيوانية والمرأة في العالم الاسلامي، درجة ان يخيل للقارئ ان المرأة في هذه الديانة والثقافة جنس ومخلوق ثاني أو ثالث أحط من الحيوان شكلا ومضمونا¹، فالشكل هو المرأة المرتدية البرقع، أو تلك التي يغطي لحافها كل جسدها، الجاهلة، الفقيرة، البدوية التي تستغل غالبا للإنجاب وتحرم من أدني حقوق الإنسانية، ويصدق هذا الوصف على حل الصور التي ارفقت بتغطية قضايا الحرب في أفغانستان، أو العرب أو القضية الفلسطينية، كما استغلت الصحيفة موقفها من بعض النظم السياسية في العالم الاسلامي على غرار النظام الايراني لتكشف مدى تعسفه وظلمه وإهانتته للمرأة وحرمانه حقوقها والنظام السعودي، وأغرب من ذلك جعلت مما بررت به الصحيفة موقفها من اتباع الاستراتيجية العسكرية في أول الامر " دعاية الحرب من أجل كرامة المرأة " ووقعت فريسة الاستغلال الامريكى بعد تغطيتها حملة زوجة الرئيس الامريكى(لارا بوش)

¹Robert Belleret : « Les femmes entre le pouvoir et les islamistes » .Le Monde, N° 17671, le 11 Novembre 2001, p1/9.

التي عنونها بمعركة من أجل كرامة المرأة، ومما قالتها في السياق "إن مكافحة الإرهاب أيضا هو الكفاح من أجل حقوق وكرامة المرأة" وعلى العكس، "القمع الوحشي للمرأة هو واحد من الأهداف الرئيسية للإرهابيين".¹

6-7. 2 احتلال العراق : بينت نتائج تحليل اتجاه التغطية في الفترة الأولى من التحليل هيمنة التغطية السلبية على جل المضامين المتعلقة بالشأن العراقي، تناولت دعاية تحريضية للحرب ضد العراق، وتورطت الصحيفة بشكل فاضح في دق طبول الحرب العراق، رافعة دعاية خطر النظام العراقي، وصدام حسين على وجه التحديد، وإمكانية إمتلاكه أسلحة الدمار الشامل وغيرها من الدعايات التي سبقت خلال الفترة، وصورت الصحيفة عملية الاحتلال مع مطلع التغطيات المباشرة للأحداث، أما عملية تحرير للشعب العراقي من ظالم مستبد هم قتل الابرياء وتجويع شعبه،² وفرصة لنشر وإرساء للديموقراطية واسترداد كرامة المواطن العراقي وإنسانيته وحرية، وهي عملية مهمة لمحاربة الدكتاتورية، كما صورت المجتمع العراقي صورة مهينة ومشينة وبخاصة المرأة العراقية التي تداولتها الصور والتغطيات على أنها تلك الأمية المتجلبلة بلحاف أسود والتي تعاني من قهر الاستبداد وعنف الرجال، واستخدمة لغرض ارساء مضمين هذه الدعاية الاستمالات العاطفية بصورة ملفتة إضافة إلى صور الجوع والحرمان والدمار التي تسبب فيها النظام العراقي طيلة الفترة الأخيرة، ولم تتورع الصحيفة في تبني فكرة علاقة النظام السابق بتنظيم القاعدة وأحداث الحادي عشر من سبتمبر، وربطت ربطا مجحفا بين النظام العراقي والاسلام والقاعدة والعنف، بخلاف ذلك تماما شهدت فترة التحليل من سنة (2009) هيمنت التغطية المحايدة والإيجابية على مضامين هذه الفئة، وتعد نتائج هذه الفئة أحد أهم مؤشرات تحول اتجاه الصحيفة تجاه قضايا الإسلام والمسلمين، فبعد أن ركبت الصحيفة موجة العداة والتحامل والدعوة الى تبني الاستراتيجية الأمريكية في محاربة الإرهاب، وملاحقته وأذنابه، محاولة بذلك شرعنة الاحتلال الأمريكي للعراق، وداعية الى دعمه والوقوف في صفه عدة وعتادا غداة الأحداث، نجدها تتحول بعد ثمان سنوات رأسا على عقب لتؤسس خطابها على رفض الاحتلال وتجريمه وفضح تداعيته السلبية أمنيا واقتصاديا وإنسانيا، ولعبت صرعة الأحداث وتداعيها عاملا مهما في هذا التحول، لتبرز تداعييات الحرب الإنسانية والأخلاقية التي تورط فيها حلف شمال الأطلسي والولايات المتحدة على وجه الخصوص، وفي هذا غدا الوجه الموازي للحرب أكبر

¹Jan Krauze : « Laura Bush exalte un combat pour « la dignité de la femme » . **Le Monde**, N° 17680, le 20 Novembre 2001, p 3.

² Voire Afsane Bassir : « Le Conseil de sécurité des Nations unies a adopté à l'unanimité une résolution sur l'Irak » . **Le Monde**, N°17691, le 01 Décembre 2001, p7.

مآسي الإنسانية في هذا العصر على صفحات الصحيفة، فضلا على تداعيات احتدام التنافس الدولي والصراع حول هذه البقعة النفطية الأضخم في العالم، بين الولايات المتحدة، وبريطانيا وفرنسا وإيران وباقي الطامعين، وإفتضاح النوايا لدى الرأي العام الغربي والعالمي بفعل مسيرة الأيام وتوسع الإحتجاجات وغياب المنطق.

6-7. 3 الحرب على أفغانستان : شهدت تغطية مضامين هذه الفئة هي الأخرى تغيرا في الإتجاه من السلبي إلى المحايد والإيجابي أحيانا، فالحرب وإن كانت لم تبدأ بعد في أرض الواقع إلا أن الصحيفة دقت مع الأبواق الأمريكية والغربية طبولها، وساهمت في نشر نذرها لتملأ بها آفاق الخطاب السياسي والإعلامي الدولي وتتحول بقصد أو غير قصد منها إلى بوق إعلامي محرض ضد الإسلام وداعي للحرب،¹ في سابقة كانت تسعى من خلالها الولايات المتحدة حشد تحالف الدولي للحرب على الإرهاب وتنظيم القاعدة، على رأسه كلا من (الولايات المتحدة، بريطانيا، فرنسا) وملاحقة فلوله وبخاصة في عقر داره ومرتعته " أفغانستان "، وكان الشعار الإعلامي آنذاك " تجفيف منابع الإرهاب، وملاحقته أينما كان وحيث وجد "،² ونجد أن الصحيفة من خلال تغطيتها مكنت نفسها وأعلنت صراحة مشاركتها في التحالف الدولي والحرب الإعلامية على الإرهاب، حيث كتب رئيس تحريرها غداة الأحداث " كلنا أمريكيون "،³ وخصصت العديد من الكاريكاتوريهات والتحقيقات والأخبار على صفحاتها، وملاحقها للحرب ولأفغانستان في جغرافيتها وواقعها السياسي والاجتماعي والديني والاقتصادي والأمني، ولا يعني أنها لم تنقل أصوات المعارضين للحرب بالعكس نقلت آراء بعض الخبراء والكتاب والصحافيين والسياسيين الدوليين - عربا ومسلمين وغيرهم - المناهضين للحرب وللخطاب والغطرسة الأمريكية، على رأسهم (نعوم تشومسكي)⁴ كما يلاحظ أن الصحيفة خصصت للحرب على الإرهاب كل جهدها وإمكاناتها من مراسلين مكاتب دائمون في مختلف مناطق أفغانستان، وباكستان، في تغطية مهنية تحسب لها إذا ما قورنت بصحف عربية أخرى.

¹ Frederic Therin : « L'Australie va envoyer 1 550 soldats combattre en Afghanistanle » . **Le Monde**, N° 17647, Le 18 Octobre 2001, p1/3.

² Jacques Isnard : « Washington menace l'Irak et la Somalie » . **Le Monde**, N° 17690, le 30 Novembre 2001

³ Nous sommes tous des Américains, comme nous étions tous des Israéliens en 1972 à ... Frederic Giraut : « Les valeurs de l'Occident » . **Le Monde** , N° 17645, le 16 septembre 2001, p2.

⁴ Service France : « Un débat s'esquisse en France autour de la riposte américaine » . **Le Monde**, N° 17644, le 15 Septembre 2001, p1.

بعد ثمان سنوات من هذه الحملة الإعلامية والدعاية التي تبنتها الصحيفة أباتت الدراسة التحليلية عن موقع متزحج أو لنقل معدل قليلا في طبيعة وإتجاهات التغطية لمضامين هذه الفئة من السلب والتحامل واللاموضوعية إلى الحياد والإيجابية في المعالجة أحيانا أخرى، إن بنسب لم تكن كبيرة جدا وذلك لما حازته التغطية الإخبار لمضامين هذه الفئة من مساحة وحجم اهتمام وحرورية إعلامية غير مسبوقه على مدى عشرية كاملة من الزمن، بل ولا تزال تشكل إلى اليوم في كثير من الأحيان محور الصدارة في التداول الإعلامي العالمي، مقارنة بالتعليق والتحقيقات والمقالات التحليلية التي خصت بها، فضلا على ما أباتته وقائع الحرب على أفغانستان وتداعياتها السياسية والإنسانية والأمنية والجيوستراتيجية من تحفظات ومراجعات دولية رسمية وأمية وإنسانية، ولحت الدراسة التحليلية في هذه الفترة من التحليل بروز العديد من الأعلام المناهضة للحرب، والسياسة الاستعمارية للولايات المتحدة الأمريكية، منها انتقادها اللادعة للسياسة الفرنسية وتبعية (ساركوزي) المفرطة للرئيس الأمريكي (جور دبليو بوش)، مصورة إياه في تعاليق وكاريماتوريهات بالغة في السخرية والإساءة،¹ وشملت في كثير من المرات تغطيات من عين المكان وتحقيقات واستطلاعات واسعة تكشف الوجه الآخر والموازي، واللااخلاقي واللاإنساني لهذه الحرب، خاصة مع تصاعد فاتورة الحرب من الجنود الفرنسيين القتلى، وما ارتسم معها من مأساة في عقول المجتمع الفرنسي والغربي عموما، ما جعلها في كثير من التحليلات المتعلقة بهذه الفئة والدمار الذي خلفته .

6-7. 4 الإسلام السياسي : للصحيفة موقفها الثابت الرفض والمتحامل والمحارب لكل أشكال التحرك الإسلامي السياسي، لذا غلبت التغطية السلبية على حل المضامين الواردة في السياق، وعنيت هذه الفئة برصد كل تحليلات الصحيفة وتغطيتها وصورها المختلفة لموضوعات المتعلقة بالنظم والحركات والتنظيمات والجماعات التي تحمل مشاريع وتخطط لتحقيق طموحات سياسية سواء بطريقة سلمية أو غير سلمية، وقد كشفت هذه الفئة بعمق مدى توحس الصحيفة من التصريحات والمواقف والمشاريع التي تنتهجها كثير من الأنظمة والحركات والتنظيمات في العالمين الغربي والإسلامي، من اجل تحقيق غايات سياسية تحت مسمى وشعارات دينية وأيديولوجية محضة،² والصحيفة بهذا تدافع عن علمانيتها وترى في استخدام الدين مخالف

¹ Voire Sans Signature : « Critiques tchèques contre le président Sarkozy » . Le Monde, N° 19979 , 09 Mai 2009, p23.

² Stéphanie Le Bars et Laetitia Van Eeckhout : « Egalité, laïcité : M. Sarkozy retouche sa conception des valeurs républicaines » . Le Monde, N° 17651, le 24 Juin 2009, p 1/3.

للمنطق البشري وهو جزء من التطرف والأصولية غير المرغوب فيها. وبقيت كذلك على توجسها وترددتها مع هذه الفئة حتى بعد ثمان سنوات من الأحداث ليتبين أن الرفض والتحامل أصيل في فكر الصحيفة وخطها الإعلامي بغض النظر عن الأحداث وتداعياتها، وبقيت كذلك تعترض وتنتقد بشدة كل الحركات والأحزاب والتنظيمات والشخصيات التي تنشط في العمل السياسي تحت غطاء الدين الإسلامي، بل نجدتها تنتقد حتى الحكومات ونظم الحكم التي تسميها بالحكومات الدينية على غرار نظام الحكم في المملكة العربية السعودية وإيران، وترى في ذلك أكبر مظاهر التطرف والتشدد، كما أن هذه الحركات والتنظيمات والنظم والحكومات في منظور الصحيفة تشكل منبع الإرهاب والتطرف الذي يرفض الغرب والغرب يرفضه، وجدير بالذكر أن الصحيفة في ذلك لا تفرق، بل تجعل الحركات والنظم والحكومات الإسلامية في سلة واحدة من الرفض والانتقاد.

6-7. 5 التعاون الأوربي الإسلامي كانت هذه الفئة من أقل الفئات إهتماماً للصحيفة فترتي التحليل، مع ضرورة التفريق أن الصحيفة في تحليلاتها يظهر أنواع من التعاون، التعاون على المستوى الرسمي وتعاون على المستوى الشعبي، والتعاون الأكاديمي والثقافي، والمتغير وكل نوع من هذه الأنواع يظهر ويختفي على صفحات الجريدة إلا النوع الأول وهو التعاون الرسمي السياسي والعسكري الذي نكاد نراه ثابتاً كلما تطرقت الصحيفة للحرب على الإرهاب في دعوة منها للعالم الإسلامي على ضرورة التعاون والمشاركة في هذه الحملة " إستخباراتياً، عسكرياً، لوجستياً ... إلخ " وكانت لهجتها في هذا السياق صريحة وشديدة خاصة في الفترة الأولى من التحليل، أما في الفترة الثانية من التحليل شملت التغطيات إجتماعات وتقارير ومؤتمرات الهيئات الأوربية المختلفة والأكاديمية الرسمية وغير الرسمية والدولية فيما يتعلق بالشأن الإسلامي، وان كان غلبت فيها قضايا الحوار والتبادل الثقافي والعلمي لند في بعض منها إشكالية صورة الإسلام والمسلمين في الغرب، وهذه سابقة على قتلها، لم توجد من قبل في فترة التحليل من سنة (2001)، ومما يجدر التنويه به قلة وضعف هذه المبادرات من الغرب ومن المسلمين من خلال تغطية الصحيفة، المواطنة وإشكالاتها القانونية في ظل العلاقات الدولية الراهنة وتداعيات الدولية للمهاجرين المتعلقة بالإسلام والمسلمين وتداعياتها في الداخل الأوربي والعالمي، ومما أثير خلال هذه الفترة مسألة تدريس القرآن والتعريف بالإسلام وتعاليمه في المؤسسات التربوية الرسمية، وكذا استضافة بعض العلماء والشخصيات الإسلامية البارزة لدول الاتحاد الأوربي، التي أثارَت شوشرة وصخب إعلامي كبيرين في أوروبا.

6-7. السودان : وقد شكل السودان منذ سنوات التسعينيات من خلال موقعه الاستراتيجي وإمكاناته الهائلة وتقلبات مشهده السياسي الداخلي حلقة خاصة جدا في العلاقات الدولية بين الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة من جهة والدول الإفريقية من جهة ثانيا، وبخاصة أن في المشهد السوداني العديد من المتغيرات التي تمم الغرب عموما والدول العظمى على وجه الخصوص سواء إقتصاديا أو جغرافيا أو ثقافيا، وشكل النظام السوداني وعلاقته المشوهة مع تنظيم القاعدة البعبع الذي حركته الصحيفة ويحركه الغرب وبخاصة عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر في الفترة الأولى من التحليل، فالسودان كان نقطة حيوية في مسيرة رأس تنظيم القاعدة (أسامة بن لادن)، وكان يحظى بحماية ودعم وتحفيز من النظام السوداني والحركات الإسلامية والقبائل التي تعيش في السودان، من هنا تحول السودان عقب الأحداث إلى هدف ومحور استراتيجي هام جدا في مخطط التحالف الدولي بقيادة الولايات الأمريكية ، ما جعل منه مادة إعلامية دسمة في المشهد الإعلامي العالمي، والصحيفة خصصت العديد من التحليلات والمقالات والأخبار لتغطية تداعيات الأحداث على الواقع السوداني الداخلي والدولي، ولكن غالبها كان في صورة سلبية تصب في مصلحة الغرب، وتستبطن رفضا وتحاملا على السودان خلال فترتي التحليل.

6-7. الإسلام وحقوق الإنسان : الإسلام وحقوق الإنسان خطان متوازيان هذا ما يمكن إختزاله من خلال تغطيات الصحيفة لمضامين هذه الفئة غداة أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وإن أظهرت في بعض المقالات إبراز بعض الخصائص الإنسانية للإسلام خاصة رفض العنف، ودعوته إلى التسامح واحترام الحريات لكن شاب هذه الفئة وغلبها موضوعات أخرى أشد وأكثر معاداة وتحامل وتشويه لمكانة حقوق الإنسان في الإسلام، ولعب المشهد العربي الساسي وما فيه من ظلم وإستبداد وقهر للشعوب على الصورة، لتجمع في ذلك الصحيفة الإسلام مع النظم السياسية الحاكمة في سلة واحدة، وتصور المشهد العربي أنه هو الإسلام ، وهذا خطأ كبير وقعت فيه الصحيفة، من أجل هذا نلمح فيها وبخاصة عقب الأحداث التطرق لموضوعات قديمة طرحها المستشرقون من قبل وتطرحها الدعاية الغربية من جديد على غرار ظلم الإسلام للمرأة، ضيق فضاء الحريات في الإسلام، التعدي على الغير وغيرها من التهم المغلوطة والمشوهة.

6-7. تركيا والاتحاد الأوربي : من الموضوعات الحساسة التي تأثرت بأحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001)، موضوع تركيا وهو قديم على الأحداث لكن تداعياتها جعلته يبرز في ثوب جديد من خلال تغطيات الصحيفة، ذلك انه لم يعد مفهوما على أنه دعوة من دولة للإنضمام إلى إتحاد ما، بقدر ما أصبح مفهوما من

خلال تغطيات الصحيفة على أنه توسع لحدود الإتحاد ليطماس مع العالم العربي والإسلامي، ويشمل أيضا دخول دولة مسلمة إلى تكتل دول مسيحية، هذان المبدآن شكلا أساس الفهم والتحليل، وإنطعت الصبغة في ذلك بالرفض والتحامل، فغالبا تحليلات الصحيفة وتعليقاتها المكتوبة والمصورة في الواقع الحال تصب في سياق الاستهجان والرفض، وترتكز كذلك على خطورة انفتاح جغرافية الإتحاد الأوربي مع الدول الإسلامية، إسلامية الدولية التركية- رغم أنها في مناحي أخرى تعتبرها النموذج للإسلام المعتدل العلماني الذي يريده الغرب-، ثم تدعوا الصحيفة الإتحاد والدول الغربية إلى ضرورة التشديد في الشروط التي يجب أن تلتزمها تركيا من اجل الاندماج في النادي الأوربي كتعديل الدستور، وحق الأكراد، تأمين الحدود والاقتصاد وغيرها، ومع ذلك يمكن القول أن الموضوع لم يلق اهتماما خاصا ومفردا على صفحات الجريدة، خلال فترة الدراسة الأولى لكونه لم يكن موضوع الساعة غداة الأحداث، بل سيق أغلبه في إطار الحديث عن التدايعيات الأمنية لأحداث الحادي عشر من سبتمبر أو في سياق الحديث عن مشكلات العالم الشرق الوسط ومشكلات الداخل التركي، بينما تناولته الصحيفة وأفرده في الفترة الثانية من التحليل في العديد من المرات وبنفس النبرة من الرفض، ونجد في هذا السيق مقال نشر من غير توقيع تضمن إنتقادات لاذعة للرئيس الفرنسي من تغير موقفه تجاه إنضمام تركيا للإتحاد الأوربي، جاء فيه " ساركوزي يستخدم الكذب في الملف التركي، داعين إياه إعلانها صريحة : فرنسا لا تريد تركيا، خاصة في ظل رئاسة فرنسا لدورة الإتحاد، بل أكثر من ذلك اشارت الصحيفة مباشرة بقولها : سيدي الرئيس قل الحقيقة للفرنسيين، وتوقف عن الكذب عليهم، في مسألة تركيا، وضح موقفك ليس ثمة ما يخشى منه"¹. ولم يكن كان لتغير النظام السياسي في الولايات المتحدة وفرنسا وعودة تركيا إقتصاديا بعد ثمان سنوات من الأحداث ما يميز تغير الخطاب، فجمل المضامين ظلت تتحرك في نفس السيق ما يفسر أن منهج الصحيفة وسياستها الراضية اصلا تتمسك به .

6-7. 9 القاعدة في بلاد المغرب / معتقل غوانتانامو : لم تلقيا هاتين الفئتين تغطية تذكر فترة التحليل الأولى

إلا نادرا - غالب تحليلاتها جاءت في سياق تغطية الصحيفة ما يقع من اعمال عنف في الجزائر، وربط ذلك بتنظيم القاعدة - وذلك نظرا لأن المضامين المتعلقة بهما تاريخيا مازالت لم تبرز إعلاميا وسياسيا، غير ان الفترة الثانية من التحليل أسالت حبرا كبيرا حولهما، ونفس الأمر بالنسبة لما يتعلق " بمعتقل غوانتانامو " إذ غابت تغطية الخبر كلية عن

¹ Sans Signature : « Adhésion turque à l'UE " Hamon reproche à Sarkozy ses volte - face " » .

Le Monde, N° 19989, Le 19 Mai 2009, p 15.

تحليلات سنة (2001)، ولاشك أن ذلك له ما يبرره إذا ما تتبعنا كرونولوجيا أحداث الحادي عشر من سبتمبر، حيث أن العمل به لم يبدأ حتى سنة (2002)، ومع ذلك كانت اشارات له، كون الحديث عنه وإرهاصات استغلاله في الخطاب الأمريكي بدأت تظهر، في الفترة الثانية من التحليل أبانت الدراسة عن عودة بقوة إلى مضامين الفتنتين، وبتغطية سالبة رافضة ومتحاملة سواء بالنسبة لنشاط القاعدة في الشمال الإفريقي وخطرها على المصالح الإستراتيجية للغرب وفرنسا بالتحديد، أو حول معتقل " معتقل غوانتانامو" الذي عدته الصحيفة في غالب تغطياتها أنه أكبر مظاهر العنصرية والإخفاق الغربي في التعامل مع ظاهرة ما سمي بالإرهاب العالمي، مشيرة أن ذلك لا ينطبق عليه أي من قوانين حقوق الإنسان إلى الحد نقلها في مرات مختلفة ومتعددة موقف منظمة العفو الدولية القائل " أن معتقل غوانتانامو الأمريكي يمثل همجية هذا العصر ". وزاد من حجم التغطية والدفاع عن حقوق المسلمين المعتقلين على صفحات الجريدة تعالي صيحات المنظمات والهيئات الإنسانية الدولية الناقدة وبشدة لأحد أكبر مظاهر انتهاك حقوق الإنسان في العشرية الماضية، لهذا لم تشكل الصحيفة الاستثناء بل وقفت موقفها أخلاقيا وإنسانيا يضاف إلى رصيدها، في كثير من المواقف التغطيات والتحليلات الرافض والناقد للإستراتيجية الأمريكية في التعامل مع الإرهاب.

6-8 التحليل الكيفي المقارن لنتائج فئة " القضية الفلسطينية " .

بينت نتائج المعالجة الإحصائية لفئة " القضية الفلسطينية " إلى وجود فروق في حجم معالجة الصحيفة للموضوعات المتعلقة بالقضية بين الفترتين (2001)، و(2009)، لكن هذه الفروق ليست لها دلالة معنوية كما بينت ذلك قيم معاملات الاختبار الاحصائية، مما يفسر إجمالاً بثبات تركيز واهتمام صحيفة لوموند الفرنسية بمعالجة موضوعات القضية الفلسطينية خلال الفترتين (2001) و(2009)، مع وجود بعض التفاوت في أولويات الصحيفة تجاه بعض الموضوعات خلال فترتي الدراسة وفق الآتي:

6-8. 1. الاحتلال الإسرائيلي : من المهم بداية الإشارة إلى في سياق مضامين هذه الفئة الفرعية التي احتلت صدارة الاهتمام خلال فترتي التحليل، أن الصحيفة تعاملت مع موضوع " الاحتلال " كواقع سياسي وتاريخي ينبغي تقبله في إطار الدوليتين، وقرارات السلام، وتجاوزه إلى مضامين أخرى تدخل في سياق المعمول به أو المسكوت عنه، فالكيان الصهيوني لم يعد حسب وصف الصحيفة دولة محتملة، طالما أن الواقع الدولي عملياً تقابلها وتعامل معها في إطار "الدولة " ومضامين الشرعية الدولية، بل هي دولة لها حقها وسيادتها الكاملة التي ينبغي أن تحفظ، مع أن الصحيفة لا تتوان في وصف هذا الكيان بالاحتل عند تجاوز أعمال جيش " الكيان الصهيوني " قطاعي " غزة ورام الله " كما وقع في حرب غزة ديسمبر (2008)، واعتبرت الصحيفة من جهة أخرى " الانتفاضة وأعمال المقاومة " إرهاباً ينبغي أن يضاف إلى لائحة الإرهاب العالمي، ونجدها في العديد من التغطيات السلبية، تتقصد ربطها بالقاعدة و(أسامة بن لادن) وحتى صدام حسين ونقرأ في هذا السياق على -سبيل المثال- ما كتبه (Gilles Paris) " غداة أول هجوم أمريكي في أفغانستان، معادو الولايات المتحدة وأنصار (بن لادن) يعتقدون على مواقع إسرائيلية في الحدود مع قطاع غزة"¹ ولم تر الصحيفة حرجاً في اعتبار الرئيس عرفات راعياً للإرهاب، والعنف الإسرائيلي له ما يبرره في سياق الدفاع عن النفس والحرب على الإرهاب، ولا تخفي تعاطفها مع الكيان الصهيوني عندما يتعلق الأمر بالعمليات الاستشهادية، التي تصنفها بـ "الانتحارية، و الكاميكاكاز " وقد جمع هاتين الخلاصتين

¹Gilles Paris : « L'anti-américanisme mobilise une partie des opinions arabes et musulmanes ». **Le Monde**, N° 17639, 10 octobre 2001, p8.

الصحفي (Miguel Angel Bastenier) في مقال تحليلي له بعنوان : " استقلال الفلسطينيين لا يمكن أن يكون هدية "¹ ووجدت الصحيفة في أحداث الحادي عشر من سبتمبر الذريعة والمبرر والشرعية في تفهم مقاربة (شارون) العسكرية والأمنية، لتجعل من الاحتلال قضية محتمة لمحاربة الإرهاب في إطار التحالف الدولي، وهو ما ركزت عليه الصحيفة خلال هذه الفترة التي كادت أن تخلوا تغطيتها من أي إدانة للاحتلال، فالاحتلال في صفحات الجريدة طيلة هذه الفترة مقرون بالحديث عن محاربة الإرهاب الفلسطيني وتحقيق امن إسرائيل، عدا ما نذر كما نقلت في هذه الفترة من التحليل عن مسؤولية جمعية الفلسطينيين في فرنسا (ليلي جهاد) في تجمع للنشطاء ضد مناهضة " الصمت الرهيب للمجتمع الدولي " جراء القمع اللامحدود والظروف الإنسانية البشعة التي يجيهاها الفلسطينيون²، من جهة أخرى ركزت الصحيفة خلال الفترة الأولى من التحليل، على بعض القضايا الدولية والداخلية التي هزت أركان الكيان الصهيوني، على غرار التوتر بين " حكومة الكيان الصهيوني " ودولة بلجيكا بعد قبول محكمة العدل الدولي دعوى توقيف دولية ضد رئيس الوزراء (آريل شارون)³، والفضائح المالية التي تلحق برئيس الوزراء، والصراع بين شارون في رؤيته الجديدة أحادية الجانب ومقاربتة العسكرية والأمنية في إدارة الصراع من اجل مستقبل إسرائيل، مقابل طروحات وتوجهات حزب العمل، وشاس وباقي أطراف الداخل الإسرائيلي، وما يمكن حوصلته من خلال التغطية أن الصحيفة انحازت انحيازاً واضحاً وغير مبرر في التغطية لصالح الكيان الصهيوني وأخباره، وقناعاته على حساب أخبار ومعاناة الفلسطينيين.

غير أن هذه الدرجة من الإنحياز إلى الكيان الصهيوني والتحامل والتشويه والرفض لقضايا الفلسطينيين، لم تثبت مع الصحيفة بل تراجع نوعاً ما سنة (2009) مع هذه الفتة- الاحتلال الإسرائيلي - ومع تحول ملحوظ في مجالات وموضوعات التغطية لنجدها خلال التحليل وإن تعاملت مع الاحتلال كواقع سياسي وتاريخي له ظروفه وملابساته، إلا أنها حملته وخاصة حكومة الكيان الصهيوني إدانات مختلفة، كما ركزت في العديد من تحليلاتها على فشل وعدم جدوى المقاربة الأمنية العسكرية التي انتهجها شارون وسياسة الحل من

¹Miguel Angel Bastenier : « L'indépendance palestinienne ne peut être un cadeau » . **Le Monde**, N° 17656, le 27 Octobre 2001,P3.

²Leïla Shahid : « Rien ne justifie la silence de la communauté internationale » . **Le Monde**, N° 17655, le 26 octobre 2001, p25.

³ Pierre Stroobants : « La Plante déposée contre M. Sharon envenime les relation Bruxelles – Jérusalem » . **Le Monde**, 17659, le 30 octobre 2001, p1.

جهة واحدة "اليهود أولمرت"، وانتقدت بشدة من خلال مقالاتها سياسات اليمين المحافظ في الكيان الصهيوني، ومع ذلك لم تتوان وتتأخر في تحميل الشق الفلسطيني مسؤوليته على الاحتلال، وتدهور الوضع الأمني في ظل حكومة أصولية متطرفة داعمة للإرهاب كما وصفتها في إحدى تحليلاتها لسنة (2009)،¹ ونالت قضية الجندي المختطف (جلعاد شاليط) حضا لا بأس به من الاهتمام ربما لأصوله الفرنسية كما أشارت إلى ذلك الصحيفة.

6-8. 2. الدعم الأمريكي الصهيوني : شكلت هذه الفئة رأس الاهتمام والتركيز في تحليلات الصحيفة، إذ

نجدها تعتقد أن أن دولة الكيان الصهيوني والولايات المتحدة يشكلان وجهان لعملة واحدة يعسر التفريق بينهما، بل أكثر من ذلك نجدها تبرر الموقف الأمريكي من دعم إسرائيل " بحجة الإرهاب الفلسطيني المتزايد " المسؤول على قتل المدنيين في إسرائيل، والمتسبب في إيصال عملية السلام إلى الباب المغلق، وتنتقد بشدة سياسة الرئيس الفلسطيني (ياسر عرفات)- الذي شبهته في أحد صفحاتها (يحمل شكل أنصار القاعدة إلى جانب الملا عمر وأسامة بن لادن- في إشارة منها إلى التقارب الفكري أو المنهجي أو الإستراتيجي بين الرئيس الراحل (عرفات) ورؤس نظام القاعدة، وتعتقد أن الرئيس الراحل (عرفات) سببا وجيها في الأزمة الفلسطينية لأنه يتساهل من منظورها - مع الإرهاب بعد مرور عام كامل على الانتفاضة، متسائلة كما كتب الصهيوني (Ilan Greilsammer) " مالدور الذي أضحي يقوم به عرفات ؟ في إشارة منه إلى كونه راعيا للإرهاب الفلسطيني لا أكثر " ...وتحاول جاهدة في هذا السياق أن تربط بشدة في تحليلاتها بين هجمات تنظيم القاعدة وما تعتبره إرهابا فلسطينيا، كما تعارض الصحيفة في تحليلاتها انتفاضة الفلسطينيين التي ترى فيها أعمالا للمتشددين، بل نجد الصحيفة تنقل غضب حكومة الكيان الصهيوني وصرها على الولايات المتحدة، التي لا تراعي مصلحة إسرائيل كما كتب رئيس التحرير في إحدى الافتتاحيات، جراء تصاعد موجة العنف الإسرائيلي، بعد مقتل وزير السياحة السابق (Rehavam Zeevi) " إسرائيل نفذ صبرها وهي ترفض بشدة اعتراض الولايات المتحدة الأمريكية على التوغلات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية ..."، من جهة أخرى كانت القضية الفلسطينية برمتها تراوح مكانها بفعل هيمنة اليمين المتشدد الصهيوني على حكومات الفاعلين، وفي الفترة الزمنية الثانية من الدراسة التحليلية يظهر أن الصحيفة أثارت وبصفة غير مسبوقه إشكالية الموقف الأمريكي غير المقنع - والمشبه على حد وصف أحد الصحفيين - في علاقته مع الكيان الصهيوني في العديد من القضايا المتلقنة

¹ Michel Bôle-Richard : « Dans les territoires palestiniens, les divisions entre le Fatah et le Hamas restent très profondes » . **Le Monde** . N° 20029, Le 18 Juin 2009, p19.

بالشأن الفلسطيني داخليا وخارجيا، وقد كان لحرب غزة (2008) الأثر البالغ في هذا التحول، خاصة وأن الاعلام الفرنسي فقد صحفيين فرنسيين أثناء أداء مهامهم الصحافية في قطاع غزة، كما نلمح من خلال هذه الفئة لأول مرة ظهور مواقف النقد والرفض ودعوة الغرب إلى محاسبة " الكيان الصهيوني " على تطرفه ومبالغته في قتل العزل من المدنيين، بل وجاءت تغطيات مستكنة بلهجة شديدة الموقف الأمريكي المشبوه، وتبعية الغرب له، ودعمه اللامحدود للبطش الصهيوني، بل إنها حملته في بعض التحليلات إلى جانب الإرهاب الفلسطيني - كما تصفه - مسؤولية المدنيين الذين سقطوا في حرب غزة الأخيرة، ومسؤولية فشل المفاوضات وتنامي الاستيطان غير الشرعي، وهذا التحول له ما يبرره خاصة بعد تنامي وتيرة الانتقاد العالمي لسياسة (شارون) القمعية، وتعالى صيحات المنظمات والجمعيات الإنسانية الخيرية في العالم، ضد أخطار الحصار الصهيوني وتداعيات الحرب القذرة التي خاضتها قوات الاحتلال الإسرائيلي ضد قطاع غزة، والتي حركت تداعياتها الإنسانية الرأي العام العالمي.

6-8. 3 حركات المقاومة الإسلامية في فلسطين : هذه الفئة هي الأخرى أولتها الصحيفة اهتماما ملحوظا

من جهة لموقف الصحيفة الثابت - كما بينت الفئات السابقة في التحليل - من معاداة الحركات الإسلام السياسي والمقاوم عموما، وحركات الداخل الفلسطيني بشكل خاص، وردة فعل الإعلام الغربي عقب الأحداث على كل حركات التيار الإسلامي عبر العالمي وعلاقتها بالعنف والتطرف والإرهاب من جهة ثانية، من هذا القبيل لا نكاد نجد ذكرا للحركات المقاومة في فلسطين، وعلى رأسها حركة المقاومة الإسلامية " حماس " إلا والى جانبها إدانة أو وصف ولصق لها بالإرهاب والعنف وتعطيل مفاوضات السلام، ولعل ما نشرته الصحيفة تحت عنوان (نداء إستغاثة للسماح للجنة الدولية للدفاع عن حقوق الإنسان بزيارة شاليت) خير دليل وصفت فيه الحركة المقاومة الإسلامية " حماس " بأقبح الأوصاف وأشنعها، معتبرة إياها العدو اللدود لحقوق الإنسان ومشعل فتيل الحرب دائما¹، ولم يتغير في ذلك موقف الصحيفة بل بقي ثابتا طيلة سنوات التحليل، رغم ما شهده الواقع من تغيرات كبيرة تتعلق بهذا الشأن خاصة شرعية حماس التي منحها إياها الشعب الفلسطيني، الحرب التي خاضها شارون ضد القطاع، وتحول الرأي العام العالمي عن إستراتيجيته ودعمه في مقاربتة الأمنية والعسكرية، تعديل الحركات الإسلامية المختلفة في الداخل الفلسطيني من خطابها ومشاركتها في السعي لتحقيق السلام الداخلي، وحتى الخارجي من خلال معاهدات التهدئة والحوار، ومبادلات الأسرى.

¹ Sans Signature : « Appel pour que le Hamas autorise la visite du CICR auprès du soldat Shalit » . Le Monde, N° 20036, Le 25 juin 2009, p 2.

6-8. 4. المستوطنات : رصدت الصحيفة في هذا الشأن خلال فترتي التحليل العديد من الآراء المناوئة والموافقة، المتشددة والمتساهلة، وإن غلب على تغطياتها فكرة الرفض لهذه المستوطنات،¹ جدير بالذكر أنها تسميها بمصطلح (Colonies) وهو مصطلح يتضمن في اللغة الفرنسية إحياء عدم الشرعية، مما يؤشر إلى موقف الصحيفة المناهض لبناء "المستوطنات" لعدم شرعيتها وتعقيدها للوضع القائم أكثر، كما نجد أن الصحيفة خصت العديد من المقالات في هذا السياق لليهود القادمين من بلدان العالم المختلفة لدفع عجلة الاستيطان، مقابل عمليات التهجير القصري وغضب الأراضي التي يتعرض لها أصحاب الأرض.

ومما يميز معالجات سنة (2009) في سياق هذه الفئة هو اعتبار المستوطنات نقطة التوتر ونقطة الخلاف بين الفرقاء وصانعي القرار والحل الشرق أوسطي، لهذا كثرة التغطيات ذات الاتجاه السليبي تجاه التي تدين الحماية الأمريكية لحكومة الكيان، ولمشروع الاستيطان بالذات، فالصحيفة كثيرا مما تنكر على الولايات المتحدة صمتها تجاه الإستهيطان، وتستغرب تدخلاتها في مجلس الأمم المتحدة ضد أي قرار إدانة أو تجريم للإستهيطان، بالمقابل نقلت الصحيفة عدم رضا الكيان الصهيوني عن القرارات العالمية وبالأخص قرارات ومواقف الرئيس الامريكى الجديد، ورؤيته تجاه المسألة الشرق اوسطية وخاصة بعد زيارته القاهرة وإعلانه من على منبر جامعتها معارضته للاستيطان وموافقته على بناء دولة فلسطينية مستقلة تعيش جنبا إلى جنب مع اسرائيل²، مع الإشارة إلى أنه من النادر في تحليلات الصحيفة في هذا السياق أن نجد تفهم وتقبل لموقف الكيان الصهيوني من بناء المستوطنات، باعتبار لا يمكن أن يحدث حل نهائي لمسألة الصراع في الشرق الأوسط ما لم يلتزم كل طرف بالشرعية الدولية والتي منها "المستوطنات".³

6-8. 5. الصراع الفلسطيني الفلسطيني : لم تحظ باهتمام معتبر غداة الاحداث، وذلك يعود لطبيعة المرحلة التي هيمنة عليها تداعيات الاحداث والحرب المزمعة على الإرهاب، من جهة وهيمنة منظمة التحرير على الحكومة الفلسطينية وراثتها تحت قيادة الرئيس الراحل (ياسر عرفات)، والتي كانت تقريبا صمام الأمان

¹ Sans Signature : « Israël et les Etats-Unis n'ont pas trouvé d'accord sur le gel de la colonisation » . **Le Monde**, N° 20037, Le 26 juin 2009, p6.

² Michel Bôle-Richard : « M. Nétanyahou prépare sa réponse aux exigences américaines » . **Le Monde**, N° 20025, le 14 Juin 2009. P3.

³ Sans Signature : « Colonisation : foyer de tension entre Washington et Jérusalem » . **Le Monde**, N° 20014, Le 03 juin 2009, p3.

والرمز الجامع - نسبيا - للتيارات الفلسطينية المختلفة، بعد ثمان سنوات نلمح أن الصحيفة أثارَت بعض القضايا الساخنة المتعلقة بالداخل الفلسطيني، وخاصة بعد صعود - ما نفترض انه يشكل - التشدد الإسلامي في أسمى مظاهره، مما جعلها تبرز مظاهر الصراع الداخلي الفلسطيني الفلسطيني بخلفية أن المسلمين هم المتسبون في تأجيج نار الفتنة الداخلية بين الفرقاء الفلسطينيين، وتركز في هذا السياق الإشارة بالسلب إلى كل أعمال وجهود حكومة حماس، وتبرر بمنطقها كل مواقف الكيان الصهيوني المناوئة، كما ساقَت نبأ إفراج (الدويك) رئيس المجلس التشريعي الذي تهيمن عليه حماس،¹ بين وزراء الحكومة الفلسطينية، النزاع الحمسي الفتحاوي، معارضي الرئيس الراحل ومنافسيه في السلطة، وغيرها من الاختلافات والخلافات الداخلية التي لم تظهر بشكل بارز في المشهد الفلسطيني.²

¹ Sans Signature : « Libération du président du Conseil législatif palestinien » . **Le Monde**, N° 20034, Le 23 juin 2009, p 9.

² Voir Bruno Philip : « Yasser Arafat est de plus en plus critiqué au sein de l'Autorité palestinienne » . **Le Monde** , N° 17619, Le 20 Septembre 2001, p31.

6-9-1 استنتاجات الدراسة

- غداة الأحداث ترحلت الصحيفة من اليسار الوسط إلى أقصى اليمين المتطرف، في التعامل مع مضامين الاسلام والمسلمين، لترجع بعد ذلك إلى خطها اليساري الوسطي بعد مرور ثماني سنوات من الأحداث، مرشدة بعضا من تحليلاتها ومواقفها تجاه الإسلام والمسلمين، ولا يعني هذا أنها تحولت تحولا جذريا، بالعكس، ثوابت الصحيفة تجاه الإسلام في الغالب ثابتة، وبالأخص تجاه الإسلام السياسي والعمل التنظيمي الإسلامي، ومظاهر الالتزام وعلاقة المسلمين بالجهاد، وبعض التصورات الدينية - التي تعتقدها الصحيفة مخالفة ولا إنسانية أو تقاليد موروثة عن عصور بائدة - بقيت على حالها، ولكن قلت حدة التحامل والتشويه والتعميم على ما كانت من قبل من حيث الشكل العام، ليرز وجه آخر يتضمن رؤيتان - على الأقل - يمزجان الفعل ورد الفعل، الأسباب والنتائج، التأييد والمعارضة، التحليل والنقد.

- من حيث طبيعة مضامين واتجاهات فئات التحليل، فقد أبانت الدراسة التحليلية أن صحيفة (لوموند) تنهج نهجا ثابتا سالبا في الغالب عند تغطية مضامين وأخبار الاسلام والمسلمين في فرنسا أو خارجها، وهذا التوجه يزداد حدة ويتناقص من دون أن ينعدم كلما تداعت في السياق مشكلة أو برز متغير داخلي أو خارجي له علاقة بالإسلام والمسلمين.

- أبانت الدراسة التحليلية عن ثبات الصحيفة في اتجاهها السليبي المتحامل والمشوه للإسلام في علاقته مع ظاهرة الإرهاب العالمية، إذ تشكل تغطية أخبار الحروب وساحات الصراع، وأحداث العنف، وحركة الجماعات والتنظيمات الإسلامية السمة الغالبة من موضوعات التغطية، بشكل يوحي للقارئ أن الاسلام والعنف والصراع والإرهاب وجوه لعملة واحدة، وذلك رغم اختلاف وتباعد فترتي التحليل.

- ويؤكد هذا الاستنتاج ما بينته نتائج المعالجة الإحصائية لفئة "علاقة الإسلام والمسلمين بظواهر الإرهاب"، إذ كشفت أن ليست ثمة فروق ذات دلالة إحصائية عالية تعزى إلى طبيعة معالجة صحيفة (لوموند) بين فترتي التحليل (2001 و2009) عند مستوى ثقة (59 %).

- لم تتحفظ صحيفة (لوموند) الفرنسية في تحميل المسلمين مسؤولية أحداث الحادي عشر من سبتمبر منذ الوهلة الأولى لوقوعها، مع وجود صوت خافت بعد ثمان سنوات من الأحداث يحمل الإستراتيجية الأمريكية بعضا من المسؤولية عن الأحداث.

- لم تتوان صحيفة (لوموند) الفرنسية من أجل الإفصاح عن موقفها من " الحرب على الإرهاب"، إذ أعلنت منذ البداية وقوفها إلى جانب الولايات المتحدة في حربها على الإرهاب. وإن خفت حدة الدعم قليلا بعد ثمان سنوات من الأحداث.

- سعت الصحيفة من خلال بعض أشكال وأساليب التغطية إلى محاولة إرجاع أسباب ما سمته بالإرهاب الإسلامي، إلى مصادر التنشئة الدينية (مدارس، مناهج دراسية، جامعات، مؤسسات وجمعيات وجماعات ... في العالم الإسلامي والعالم الغربي) التي توطر فهم الإسلام وحياة المسلمين، وركزت الصحيفة في هذه الفترة بصفة كبيرة جدا على المدارس الإسلامية في باكستان والمملكة العربية السعودية التي عدتها الصحيفة المصدر الأول للإرهاب في العالم، ثم المناهج الدراسية في العالم الإسلامي.

- التغطية الصحافية للصحيفة (لوموند) تتميز بالخلط وتفتقر إلى الدقة والتأصيل، عند توظيف مصطلحات مثل : " الإرهاب، الجهاد، الأصولية والإسلام " سواء مجتمعة أو منفردة، وأظهرت المعالجة الإحصائية من جهتها أن هذا الخلط قائم وثابت خلال فترتي الدراسة، لعدم وجود فارق تذكر بدالاتها الإحصائية.

- صحيفة (لوموند) لا تدقق في ضبط المفاهيم المتعلقة بـ " الإرهاب والمقاومة " وبخاصة في الموضوعات المتعلقة بمناطق الحروب والنزاعات بين المسلمين وغيرهم، على غرار " القضية الفلسطينية"، " احتلال العراق"، " حرب لبنان " و " الحرب في أفغانستان " أو " الشيشان " ... فنجد وصف " الإرهاب" ينطبق على المقاوم في فلسطين، والمدافع عن أرضه في لبنان، العراق، الصومال، وأفغانستان.

- تستنكف صحيفة (لوموند) عن تحميل " مسلمي المهجر" مسؤولية توفير الدعم المادي واللوجستي للإرهابيين الإسلاميين في العالم أو في بلدانهم الأصلية.

- بينت نتائج الدراسة التحليلية أن الصحيفة في مصادر الإسلام الأصلية القرآن والسنة، مرجعا وخلفية لنشوء الفكر المتطرف والإرهابي، خاصة أنهما يقديسان الجهاد ويضيقان فضاء الحرية ويطعنان في الليبرالية والعلمانية وحرية المرأة.

- تعيش صحيفة (لوموند) بحساسية مفرطة، تجاه كل أشكال الإسلام السياسي، والتنظيمي في كل بقاع العالم، وتصور في غالب تحليلاتها أنها مواقفهم وأفكارهم وأعمالهم تلك بغض النظر عن سياقها غير مقبولة جملة وتفصيلا، كونها تشكل الخطر الأكبر في مستقبل العلاقات الإسلامية الغربية وخاصة في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.

- تحاول صحيفة من خلال تغطية مضامين الاسلام والمسلمين تقديم أمودجين من الإسلام، " الإسلام السياسي، الراديكالي " مقابل " الإسلام التعبدي المدني التنويري الحدائي "، فالأول مرفوض وهو سبب ورمز الإرهاب والتطرف والعنف بينما الثاني مرحب به ومدعوم ومنصور، كونه رمز المدنية والتحضر والقيم النبيلة.
- قدمت صحيفة (لوموند) الفرنسية تغطيتها لمضامين الاسلام والمسلمين في قالب " صدام الحضارات " مستبعدة فكرة الحوار والتواصل الحضاري في ظل وجود بون شاسع واختلاف ثقافي وحضاري عميق بين العالم الإسلامي والغرب.
- ركزت صحيفة (لوموند) طيلة فترة الدراسة على فكرة سد الطريق أمام المسلمين إجمالاً، والمتشددين منهم على وجه أخص، مع اليقظة والحيطه من أمن جانبهم فهم بلا شك الخطر القادم لا محالة.
- تؤكد صحيفة (لوموند) على أن الإسلام السياسي والراديكالي واليميني المتطرف يشكل خطراً قادمًا قد يفوق الشيوعية ذاتها، خاصة عقب هول ما وقع في الحادي عشر من سبتمبر.
- ركزت صحيفة (لوموند) على مصطلح "الحرب المقدسة" أكثر من مفهوم " الحرب الصليبية"، كما دافعت على اعتبار مصطلح " الحرب الصليبية " الذي تفوه بها الرئيس الأمريكي (جورج بوش) غداة الأحداث، مجرد زلة لسان لا أكثر ولا أقل.
- كلما تحدثت صحيفة (لوموند) عن " الأصولية الإسلامية " إلا وصاحبها الحديث عن التهديد أو الخطر الإسلامي القادم في شكل منعكس شرطي غير قابل للاستثناء، وبخاصة عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر.
- صحيفة (لوموند) لا تضع حدوداً فاصلة، تميز بها الأصولي المتعصب من غيره، ولها في ذلك خلط كبير يجمع المقاوم الفلسطيني مع السني الوهابي، والطالباني والحماسي، والشيعي الإيراني والباكستاني مع الأفغاني، وكل في منظور تغطيتها يمثل الشر والشيطنة مع غيرهم في العالم من أعداء الحضارة الغربية والإنسانية.
- صحيفة (لوموند) في تغطيتها مضامين الإسلام والمسلمين، كثيراً ما تربط الإسلام بالرجعية والتخلف، وبالأخص في الصور والكاريكاتوريات، أين نجد المسلم تقابله اللحية الطويلة والأنف العريض، أو اللباس العربي والعمامة أو الطربوش، وكومة من السواد إلى جانبه تجسد المرأة، وصورة البداوة والخيام والجمال، والجهل والصحراء والغباء، وإلى جنبه أوراق الدولارات.

- صحيفة (لوموند) - وإن بشكل غير مكثف- تصدر للقارئ الفرنسي، وتغذي المخيال الأوروبي بصور قائمة وسوداوية، تقوم على اختزال المسلمين في أوصاف وقوالب نمطية محددة، شهوانيون، مبذروا المال، معدودو الزوجات، أصحاب البترول والمال، فاقدى الأهلية... وغيرها.
- صحيفة (لوموند) ترى في قيم الإسلام وخاصة تلك المتعلقة باللباس حرية الاعتقاد، الدعوة إلى الدين، الجهاد، ممارسة العبادات، الموقف من الفن، قيم غربية عن منجزات الحضارة الغربية.
- ركزت صحيفة (لوموند) من خلال التغطيات الصحافية على فكرة معارضة الإسلام للحريات العامة وحقوق الإنسان، كما تروج لفكرة رفض الدين أصلاً، وخطر المتدينين، وبالأخص عند التطرق إلى قضايا وموضوعات بالغة الحساسية - في التصور الغربي- على غرار دور الدين والعادات والتقاليد والأعراف في تأطير المفاهيم والقيم الاجتماعية، ومكانة المرأة في المجتمع المسلم، ومجال الحريات.
- تحاول صحيفة (لوموند) من خلالها تغطيتها التحفظ عن التورط في إصدار اتهامات صريحة ومباشرة، أو شن الدخول في حملة إعلامية ودعائية صريحة ضد المسلمين، أو ضد قضاياهم الدولية والوطنية الفرنسية، لما قد ينجر عليها بالسلب سواء في الداخل الفرنسي الذي يشكل المسلمون فيه نسبة لا يستهان بها وبالتالي من الجمهور العريض من القراء. ومع ذلك وقعت في مغبة الدعاية ضد رسول الإسلام بعد أن نشرت الصور الدائرية المسيئة للإسلام.
- الإسلام في تصور الصحيفة، يظل حقيقة ينبغي التعامل معها واستيعابها برؤية علمانية تحايد السياسة وأعمال الجهاد والتخريب، والمسلمون بشر يمكن التعايش معهم ودمجهم في سياق المواطنة، بل وينبغي دعم قضاياهم الداخلية والخارجية، من دون اعتبارهم مصدراً للتهديد والقلق، لان ذلك من شأنه أن يعمق الهوية ويؤجج الصراع.
- كشفت الدراسة التحليلية عن مدى حرص صحيفة (لوموند) تفادي توجيه خطاب عدائي ضد المسلمين الذين يعيشون على الأراضي الفرنسية، أو الدخول معهم في متاهات المد والجزر كما تفعل ذلك الصحف اليمينية المتطرفة في فرنسا، سواء ذلك عقب الأحداث مباشرة أو بعدها بسنوات.
- لا تتورع الصحيفة باستمرار منذ هجمات الحادي عشر من سبتمبر، الإفصاح عن موقفها الثابت تجاه مخاوف اعتلاء المسلمين سدة الحكم، وفتح مجال المشاركة السياسية لهم في الغرب أو في البلاد الإسلامية،

وحذرت منذ أولى الهجمات من الطموحات العسكرية للإرهابيين المتطرفين المسلمين الذين يريدون استعمار العالم.

- ترفض صحيفة (لوموند) مد جغرافية الاتحاد الأوروبي للتماس مع دول العالم الإسلامي في إشارة متكررة منها دعم مبادرات ومواقف رفض انضمام تركيا إلى الاتحاد.

- تستهجن الصحيفة دخول دولة مسلمة مهما كانت صفتها لنطاق الاتحاد الأوربي، وتعتبر ذلك أبرز مظاهر الإخلال بمبادئ العلمانية والتنوير.

- كل التغطيات التي دارت حول " تنظيم القاعدة " سقت باتجاه سلبي رافض وجد عدائي ومتحامل .

- وقفت الصحيفة موقفا أخلاقيا وإنسانيا يضاف إلى رصيدها، من معتقل (غوانتانامو) وحقوق المسلمين المعتقلين فيه، واعتبرته أبرز مظاهر فساد الإستراتيجية الأمريكية في تعاملها مع الإرهاب.

- تعاملت صحيفة (لوموند) مع موضوع " الاحتلال " كواقع سياسي وتاريخي ينبغي تقبله في إطار الدوليتين.

- واعتبرت صحيفة (لوموند) " الانتفاضة وأعمال المقاومة " إرهابا ينبغي أن يضاف إلى لائحة الإرهاب العالمي، كما وأنها في العديد من التغطيات السلبية، تتقصد ربطها بالقاعدة و(أسامة بن لادن) وحتى صدام حسين.

- وجدت صحيفة (لوموند) في أحداث الحادي عشر من سبتمبر الذريعة والمبرر والشرعية في تفهم مقاربة (شارون) العسكرية والأمنية، لتجعل من الاحتلال قضية محتمة لمحاربة الإرهاب في إطار التحالف الدولي خاصة في الفترة الأولى من التحليل.

- صحيفة (لوموند) تعاملت من خلال التغطيات مع الاحتلال كواقع سياسي وتاريخي له ظروفه وملاساته، إلا أنها حملته مسؤولية تدهور الوضع وتوقف المفاوضات وقدمت له إدانات مختلفة، كما ركزت في العديد من تحليلاتها على فشل وعدم جدوى المقاربة الأمنية العسكرية التي انتهجها شارون وسياسة الحل من جهة واحدة "ليهود أولمرت".

- موقف صحيفة (لوموند) ظل مناهضا لبناء "المستوطنات" لعدم شرعيتها وتعقيدها للوضع القائم أكثر.

- اعتبرت الصحيفة المستوطنات نقطة التوتر الحقيقية، وجوهر الخلاف بين الفرقاء وصانعي القرار، لهذا غلبت التغطيات ذات الاتجاه السلبي التي تدين الحماية الأمريكية لحكومة الكيان، ولمشروع الاستيطان بالذات.

6- 9- 2 تحقيق الفرضيات

- الفرضية الرئيسية :

أشارت نتائج الدراسة التحليلية أن الفرضية الرئيسية محققة تماما إذ : ليست هنالك فروق ذات دلالة إحصائية في طبيعة معالجة واتجاهات صحيفة (لوموند) الفرنسية تجاه الإسلام وقضايا المسلمين غداة أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001) بالولايات المتحدة الأمريكية، وبعد مرور ثماني سنوات من الحدث.

- الفرضيات الفرعية :

- تحققت الفرضية الفرعية الأولى، إذ بينت نتائج الدراسة أن موضوعا " علاقة الإسلام بظاهرة الإرهاب " و"قضايا الإسلام السياسي"، قد غلبا على تغطية صحيفة " لوموند " لمضامين الإسلام والمسلمين خلال فترتي التحليل من الدراسة، مع عدم وجود فروق دال إحصائيا تعزى إلى اختلاف فترتي التحليل .

- تحققت الفرضية الفرعية الثانية، وبينت نتائج الدراسة التحليلية فيما يتعلق " بفئة القيم " غلبة القيم السلبية في تغطية الصحيفة لمضامين الإسلام والمسلمين بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وكشفت المعالجة الإحصائية المعالجة الإحصائية المتعلقة بفئة " القيم السلبية " ، أن ليست هناك فروق ذات دلالة إحصائية في المعالجة تعزى إلى اختلاف فترتي التحليل (2001 و2009).

- لم تتحقق الفرضية الفرعية الثالثة، وبينت نتائج الدراسة التحليلية فيما يتعلق " بفئة مكان النشر "، أن غالب المعالجات لموضوعات الإسلام والمسلمين بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ورد في الصفحات الداخلية، وكشفت نتائج المعالجة الإحصائية إلى عدم وجود فروق دالة إحصائية تعزى إلى اختلاف فترتي التحليل في ذلك .

- لم تتحقق الفرضية الفرعية الرابعة، وبينت نتائج الدراسة التحليلية فيما يتعلق بفئة " فئة أساليب الإقناع " أن صحيفة " لوموند " تركز بدرجة أولى في مصادرها عند تغطية موضوعات الإسلام والمسلمين على " التصريحات المباشرة " كما تستخدم " أسلوب " الإحصاءات والأرقام " زيادة على " المصادر والمراجع العلمية " أكثر من اعتمادها على الاستمالات العاطفية، وأشارت نتائج المعالجة الإحصائية إلى عدم وجود فروق دالة إحصائية تعزى إلى اختلاف فترتي التحليل في ذلك .

- تحققت الفرضية الفرعية الخامسة، وبينت نتائج المعالجة الإحصائية فيما المتعلقة بفئة " المصادر " خلال فترتي الدراسة، أن صحيفة " لوموند " تعتمد بدرجة أولى على المصادر الذاتية أثناء معالجتها موضوعات الإسلام والمسلمين، وأشارت نتائج المعالجة الإحصائية إلى عدم وجود هناك فروق ذات دلالة إحصائية تعزى إلى عامل اختلاف فترتي التحليل (2001، و2009).

خاتمة

شكلت أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001) في الولايات المتحدة نقطة تحول هامة وإستراتيجية في مسار العلاقة بين الاسلام والغرب، إذ وفي خضم النشوة الأمريكية بنهاية الحرب الباردة، تصاعدت وحملات التبشير بالأمركة، وعلت صيحات التنظير لنهاية التاريخ، وصدام الحضارات والحديث عن انتصار التكنولوجيا على الايدولوجيا وانتصار الجغرافيا على التاريخ وانتصار الاقتصاد على السياسة والشركات متعددة الجنسيات عن الصواريخ والجيش ... جاءت الأحداث حاملة لواء الإسلام ولمسات المسلمين لتتسلف كل هذه الأدبيات وتدخل العالم الغربي في مرحلة جديدة من التعاطي مع الإسلام والمسلمين، وأصبح الحديث الرائج عبر منابر السياسة ووسائل الإعلام هو المؤامرة التي تستهدف الغرب وقيمه ومنجزاته وحضارته، مما أدى إلى تنامي المقاربات الأمنية والعسكرية تجاه العرب والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وباسم الأحداث التي تفجرت احتلت أراضي المسلمين وانتهكت أعراضهم وسلبت حقوقهم، وضيق على أنظمتهم ومناهجهم وسياساتهم، وغذت المساجد والخطب ولقاءات المسلمين وجمعياتهم، خاضعة لرقابة شديدة من طرف وزارة الداخلية ورجال المخابرات.

وكان لوسائل الإعلام والاتصال الغربية دورا كبيرا في كل هذه الأحداث، بعد أن خاضت حملة دعائية (عن قصد و/أو غير قصد) استهدفت تعريب وأسلمة "الإرهاب"، وبذلك أصبح العالم العربي والإسلامي أي تحويل العرب والمسلمين من دون استثناء الضحية النموذجية لما يطلق عليه بلغة الإعلام "شيطنة العدو"، إلى شر مستطير وإلى مصدر رعب وتخويف، وساهمت من قريب أو بعيد في نشر ثقافة الخوف من الإسلام، أو ما اصطلح عليه بالإسلاموفوبيا، مما زاد في تعميق الصورة المشوهة عن الإسلام والمسلمين، وترويجها بواسطة أحدث تكنولوجيات الإعلام والاتصال، من فضائيات وصحف ومجلات وإنترنت ووسائل متعددة، عارضة إحصاءات مهولة، ورسوم كاريكاتورية مثيرة، وتحقيقات ميدانية في بلدان العالم الإسلامي غريبة، تبعث على تصوير المسلمين متخلفين ومتطرفين وناقمين على الغرب إلى غير ذلك، في صورة نمطية سلبية يقابلها صورة إيجابية للذات الغربية، وبشكل يكرس شعور التفوق والاستعلاء.

ولم تشكل الصحافة الفرنسية في مجملها الاستثناء، وعلى رأسها صحيفة (لوموند Le Monde) محل الدراسة، والتي نجدها منذ تفجر الأحداث ركبت موجة العداوة والتحامل، بتناول مواضيع الإسلام والمسلمين، بنوع من الإثارة والحاذبية والتشويه والتحريف والافتراء، ولتحمل مقالاتها العديدة من الاتجاهات السلبية نحو

الإسلام والمسلمين، ولو أنها بعد سنوات عدلت قليلا من جرأة تحاملها غير أنها بقت تستبطن في كثير من المواقف نوازع التحفظ والاستهجان، بل والرفض المطلق للعديد من قضايا الإسلام والمسلمين على رأسها قضايا الإسلام السياسي، ومظاهر الالتزام والتدين، مع تمسكها الشديد ببعض الأحكام المسبقة المتوارثة والمغلوبة في حق الإسلام والمسلمين كظلم للمرأة، وضيق فضاء الحريات، ورفض المدنية، ومعاداة الديمقراطية، وأصالة العنف، وتقديس الجهاد ...

وعليه توصي الدراسة على الرغم من اعترافها المسبق بصعوبة المهمة، غير أنها ليست مستحيلة فيما إذا تضافرت جهود العرب والمسلمين شعوبا، حكومات، هيئات، مؤسسات وجمعيات من أجل تصحيح وتصويب صورة الإسلام في الإعلام الغربي، انطلاقا من رسم صورة صحيحة للذات أولا، ورد الثقة للعربي والمسلم في ذاته وتاريخه وحضارته وثقافته وقيمه، وولائه وانتمائه، بالموازاة مع التفكير العميق والمتكامل لأجل فهم طبيعة أداء الإعلام الغربي، والسياقات التي يتحرك ضمنها، ثم العمل على رفع التحديات التي تواجه صورة الإسلام والمسلمين في الإعلام الغربي من خلال :

- ✓ تكثيف الجهد العلمي الأكاديمي العربي والإسلامي من اجل تقديم فهم موضوعي، وناقد وأصيل للمصطلحات والمفاهيم والسياقات التي يتناول بها الإعلام الغربي موضوعات الإسلام وقضايا المسلمين.
- ✓ تفعيل دور المنظمات والهيئات والجمعيات والمؤسسات العربية والإسلامية غير الحكومية لتؤدي دورها المنوط في تقريب وتقديم الصورة الحقيقية للعرب والإسلام والمسلمين لدى الآخر.
- ✓ تفعيل الشراكات البنينة (العربية-الإسلامية- الغربية) من اجل وضع إستراتيجيات مشتركة لتجاوز المرحلة، وتصويب الأخطاء وتصحيح التصورات المغلوطة والمشوهة عن الآخر.
- ✓ مضاعفة الجهود الرسمية (حكومات، سفراء وقنصليات، جامعات)، ضمن إستراتيجية شاملة وحضارية تعكس حقيقة العرب والإسلام والمسلمين لدى الآخر .
- ✓ تفعيل الخطاب الإسلام المعاصر، وترشيده، والرفع من مستواه، وإبراز وسطيته واعتداله وواقعيته، وذلك بلا شك مسؤولية مشتركة بين العلماء والدعاة السياسيين والهيئات والمنظمات والمؤسسات الأكاديمية والدينية في العالمين العربي والإسلامي وحتى في العالم الغربي.
- ✓ تفعيل سبل المواجهة والتصحيح والترشيد خاصة منابر الإعلام والاتصال التقليدية والمعاصرة، والتفكير في إقامة صناعة إسلامية وعربية للإعلام والمعلومات، قادرة على إعداد الكوادر الإعلامية المؤهلة علميا وثقافيا ومهنيا، وقادرة على إنتاج مضمون بديل لما يقدم في الإعلام الغربي .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرءان الكريم، رواية ورش عن نافع.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع العربية

- ❖ أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي . جزء 6، ط 1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1998 م.
- ❖ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي: تفسير القرآن العظيم . ج2، ط1، دار الغد الجديد، القاهرة، 2007م.
- ❖ أبي عبد الله محمد ابن إسماعيل بن إبراهيم بن بردزبه الجعفي البخاري : صحيح البخاري . الطبعة ط1، مكتبة الصفا، مطابع دار البيان الحديثة، القاهرة، 1423هـ / 2003 م.
- ❖ أحمد بن مرسلني : مناهج البحث العلمي في علوم الإعلام والاتصال . ط4، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010 م.
- ❖ أحمد بيضون وآخرون : العرب والعالم بعد 11 أيلول سبتمبر . ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2004 م.
- ❖ أحمد عبد اللطيف وحيد : علم النفس الاجتماعي . دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 2001 م.
- ❖ أحمد يوسف احمد وآخرون : احتلال العراق وتداعياته عربيا وإقليميا ودوليا . (بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية)، ط1، الحمراء، بيروت ، لبنان، أوت 2004 م.
- ❖ إدريس لكريني : التداعيات الدولية الكبرى لأحداث 11 سبتمبر (من غزو أفغانستان إلى غزو العراق). ط1، المطبعة والوراقة الوطنية، الدويديات، مراكش، المملكة المغربية، 2005 م.
- ❖ أدير كوهين : وجه قبيح في المرأة . (تر) غازي السعدي، دار الجيل للنشر ، عمان، 1988 م.
- ❖ أسعد رزوق : في المجتمع الإسرائيلي . معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1971 م.
- ❖ أليكس كالينيكوس : الإستراتيجية الكبرى للإمبراطورية الأمريكية . مركز الدراسات الاشتراكية، القاهرة، مصر، (د ت).

- ❖ أليكسي جورافسكي : الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم . (تر) خلف محمد الجراد، ط3، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2005 م.
- ❖ أمين معلوف : الهويات القاتلة . (تر) جبور الدويهي، دار النهار، بيروت، لبنان، 1999م.
- ❖ انتصار إبراهيم عبد الرزاق، صفا حسام الساموك : الاعلام الجديد.. تطور الأداء والوسيلة والوظيفة. ط1، الدار الجامعية للطباعة والنشر والترجمة، جامعة بغداد، العراق، 2011 م.
- ❖ بروس ب. لورانس : تحطيم الأسطورة " تحطيم الاسلام للعنف " . ط1، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، 2004 م.
- ❖ بهجت قرني وآخرون : صناعة الكراهية في العلاقات العربية-الأمريكية . ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2004 م.
- ❖ ثابت عيد : صورة الإسلام في التراث الغربي . (تر) (سلسلة في التنوير الإسلامي) مطبعة نهضة مصر، القاهرة 1999 م.
- ❖ ثامر كامل محمد : تداعيات عاصفة الأبراج (الاستراتيجيات الدولية في عصر العولمة) . ط1، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، 2002 م.
- ❖ جاك شيراك : فرنسا جديدة ... فرنسا للجميع . ط1، منشورات عويدات للنشر والتوزيع ، بيروت لبنان، 1996م.
- ❖ جان شارل بريزار وغيوم داسكيه : بن لادن " الحقيقة المحظورة " . تالة للطباعة و النشر، ليبيا، 2002 م.
- ❖ جلال أمين : عولمة القهر (الولايات المتحدة والعرب والمسلمين قبل وبعد أحداث سبتمبر 2001) . ط2، دار الشروق، القاهرة، 2005 م.
- ❖ جيهان أحمد رشتي : الأسس العلمية لنظريات الإعلام. دار الفكر العربي القاهرة، دت.
- ❖ حامد زهران : علم النفس الاجتماعي . القاهرة : عالم الكتب، 1974م.
- ❖ حسن عزوزي : الإسلام وحملة الإرهاب . مطبوعات رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، 1426هـ/2005 م.
- ❖ حسين اغا وآخرون : إسرائيل والعقيدة العسكرية وشؤون التسليح . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1982 م.

- ❖ حمدي عبد الرحمن : عسكرة العولمة و مخاطر التنافس الدولي في السودان (العالم الإسلامي تحديات الواقع واستراتيجيات المستقبل) . ط1، صادر عن مجلة البيان، الرياض، المملكة العربية السعودية 1427 هـ - 2006 م.
- ❖ حميد محمد السعدون : الغرب والإسلام والصراع الحضاري . دار وائل للنشر، عمان، الأردن، 2002 م.
- ❖ خالد بن عبد الرحمن المشعل، عبد الله بن سليمان الباحث : الآثار الاقتصادية للإرهاب الدولي، مع التركيز على أحداث الحادي عشر من سبتمبر . كلية الشريعة، جامعة الإمام، المملكة العربية السعودية، 2007م.
- ❖ دافيد راي قريفيين : شبهات حول 11 سبتمبر(أسئلة مقلقة حول ادارة بوش و أحداث 09/11). (تر) مركز التعريب والبرمجة، ط1، الدار العربية للعلوم، لبنان، 2005 م.
- ❖ راسم محمد الجمال : مقدمة في مناهج البحث في الدراسات الإعلامية . مركز جامعة القاهرة للتعليم المفتوح، القاهرة، 1999 م.
- ❖ ربحي مصطفى عليان، محمد عثمان غنيم : مناهج وأساليب البحث العلمي . دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2000 م.
- ❖ رجب مصطفى: الإسلام في المناهج الصهيونية والتحديات التعليمي في الصراع العربي الإسرائيلي . ط1، عالم الكتب الحديث، أربد، المملكة الأردنية الهاشمية، 2006 م.
- ❖ رشدي طعيمة : تحليل المحتوى في العلوم الانسانية . ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1987م.
- ❖ رمزي زكي : الليبرالية المستبدة . ط 1، سيناء للنشر ، القاهرة، 1993 م .
- ❖ ريتشارد بن لويس و آخرون : تحليل مضمون الإعلام - المنهج و التطبيقات العربية - . (تر) محمد ناجي الجوهر، مديرية المكتبات والوثائق الوطنية، القاهرة، مصر 1992 م.
- ❖ زايد بن عمر الحارثي : بناء الاستفتاء وقياس الاتجاهات . دار الفنون، جدة، 1992 م.
- ❖ زياد أبو غنيم : السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية . دار عمار، عمان، 1984 م.
- ❖ زينب عبد العظيم : الإستراتيجية الأمريكية بعد 11 سبتمبر . مركز الحضارة للدراسات السياسية، القاهرة، (د ت) .

- ❖ ساري حلمي خضر: صورة العرب في الصحافة البريطانية: دراسة اجتماعية للشباب والتغير في مجمل الصورة . مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1988 م.
- ❖ سعيد اللاوندي : الإسلاموفوبيا لماذا يخاف الغرب من الإسلام ؟. ط2، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2007 م.
- ❖ سليم شاكرا الأمامي: الدفاع والردع، أما زال الدفاع هو الشكل الأقوى للحرب. دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1988م.
- ❖ سمير أمين وآخرون : العولمة والنظام الدولي الجديد . ط1، سلسلة كتب المستقبل العربي 38، مركز دراسات الوحدة العربية، ديسمبر 2004 م.
- ❖ سمير أمين : ما بعد الرأسمالية المتهالكة . (تر) فهيمة صلاح الدين، سناء أبو شقر، ط 1، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2003 م.
- ❖ سمير أمين : سيرة ذاتية فكرية . دار الآداب، بيروت، 1993 م.
- ❖ سمير محمد حسين : تحليل المضمون تعريفاته ومفاهيمه ومحدداته . عالم الكتب ، القاهرة ، 1983 م.
- ❖ سوسن العساف : إستراتيجية الردع (العقيدة العسكرية الأمريكية الجديدة والاستقرار الدولي) . ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت 2008 م.
- ❖ سيد سابق : دعوة الاسلام . دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دت.
- ❖ السيد ولد أباه : عالم ما بعد 11 سبتمبر 2001 (الإشكالات الفكرية والإستراتيجية) . ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، 2004 م.
- ❖ السيد ياسين : الشخصية العربية بين صورة الذات ومفهوم الآخر . ط3، دار التنوير، بيروت، 1983 م.
- ❖ شفيق المصري : النظام العالمي الجديد...ملامح ومخاطر . ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1992 م.
- ❖ الصادق رابع : تجليات خطاب الكراهية في الوسائط الإعلامية الفرنسية: بحث في المصادر . كلية الاتصال، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، 2011 م.
- ❖ صالح محمد العساف : المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية . مكتبة العبيكان ، الرياض، 1989 م.
- ❖ صباح ياسين : الإعلام النسق القيمي وهيمنة القوة . ط1، مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت، لبنان، 2006 م.

- ❖ صفوت مصطفى خليلوفيتش : الإسلام والغرب " رؤيا محمد أسد " . (تر) هدير أبو النجاه، ط1، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة، القاهرة، 2007 م.
- ❖ صلاح الجابري : الاستشراق قراءة نقدية . ط1، دار الأوائل، دمشق، 2009 م.
- ❖ صموئيل هنتغتون : صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي . (تر) طلعت الشايب، ط2، 1999 م.
- ❖ عادل المعلم وآخرون : قارعة سبتمبر . ط1، دار الشروق الدولية للنشر، القاهرة، مصر 2004 م.
- ❖ عامر عبد الله الهمامي : أسلوب البحث الاجتماعي وتقنياته. ط2، منشورات جمعة قاريونس، بن غازي ليبيا، 1994 م.
- ❖ عبد البارئ عطوان : القاعدة، التنظيم السري . ط1، دار الساقى، بيروت، لبنان، 2007 م.
- ❖ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها التبشير - الاستشراق - الاستعمار. ط8، دار القلم، دمشق، دت.
- ❖ عبد الرحمن عيسوي : دراسات في علم النفس الاجتماعي . دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، 1994 م.
- ❖ عبد العزيز عثمان التويجيري : صراع الحضارات في المفهوم الإسلامي . المنظمة العربية للثقافة والعلوم، الرباط، 2002 م.
- ❖ عبد العظيم محمود الديب : المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي . ط1، سلسلة كتاب الأمة، عدد 27، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، الدوحة، قطر، 1411هـ.
- ❖ عبد الفتاح محمد دويدار: سيكولوجية العلاقة بين مفهوم الذات والاتجاهات . دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1992 م.
- ❖ عبد القادر رزيق المخادمي : الشرق الأوسط الجديد بين " الفوضى الخلاقة " و " توازن الرعب " . ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008 م .
- ❖ عبد القادر طاش : صورة الإسلام في العلام الغربي . ط2، دار الزهراء للإعلام الغربي، 1994 م.
- ❖ عبد الله بن بية : الإرهاب التشخيص والحلول . سلسلة محاضرات مجمع الفقه الإسلامي الدولي ، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، 2007 م.

- ❖ عبد الله عثمان عبد الله : أيديولوجيا العولمة (من عولمة السوق إلى تسويق العولمة). ط1، دار المدار الإسلامي ، بيروت، 2003 م.
- ❖ عبد الوهاب المسيري : الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ رؤية حضارية جديدة. ط3، دار الشروق، القاهرة، 2001 م.
- ❖ عبد النور بن عنتر وآخرون : حلف شمال الأطلسي في عامه الستين نظرة استشرافية... في موقع العالم الإسلامي . منشورات مكتب الجزيرة للدراسات، يوليو/تموز 2009 م.
- ❖ عطية محمود هناء : التوجيه التربوي والمهني . مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1995 م .
- ❖ علي بن صالح الخبتي : صورة العرب والمسلمين في مدارس إسرائيل (تحليل المناهج الدراسية في التعليم العام) . مؤسسة العبيكان للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 2009 م.
- ❖ علي خليفة الكواري وآخرون : انعكاسات الحادي عشر من سبتمبر على منطقة الخليج العربي . منتدى التنمية، اللقاء التخصصي الثالث (16-17 ماي 2002)، دبي، الإمارات العربية المتحدة، 2002 م.
- ❖ غريغوار منصور مرشو: مقدمات الاستتباع : الشرق موجود بغيره لا بذاته . ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1996 م.
- ❖ عصام أنور أحمد عيسى : الرحمة المهداة محمد رسول الله ﴿ صلى الله عليه وسلم ﴾ . إصدار شبكة الألوكة، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1432هـ.
- [On-line]http://www.alukah.net, (Le 21.02.2013. 19 : 29h)
- ❖ جمال الشلي وخالد شقران : العلاقات العربية الأوروبية بعد 11 أيلول الواقع والآفاق . ط1، دار ورد للنشر والتوزيع، الأردن، 2010 م.
- ❖ فؤاد كاظم المقدادي : الإسلام وشبهات المستشرقين . سلسلة كتب مجلة (رسالة الثقلين)، المجمع العالمي لأهل البيت، مطبوعات البلاغ، 1996م.
- ❖ فان دالين : مناهج البحث في التربية وعلم النفس . (تر) محمد نبيل نوفل وآخرون، ط5، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1994 م.
- ❖ فانسان جيسير : الإسلاموفوبيا "المخاوف الجديدة من الإسلام في فرنسا" . (تر) محمد صالح ناجي الغامدي، قسم السيد آدم بله، ط1، كتال العربية، الرياض، 1430 هـ، 2009 م.

- ❖ فرانسيس فوكوياما : **نهاية التاريخ وخاتم البشر** . (تر) حسين أحمد حسين، ط1، مركز الاهرام للترجمة، مؤسسة الأهرام للنشر، القاهرة، 1993 م.
- ❖ كاتارينا مومزن : **جوته والعالم العربي** . (تر) عدنان عباس علي ، عدد 194، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والعلوم، الكويت، فبراير 1995 م.
- ❖ كامل محمد المغربي : **أساليب البحث العلمي** . دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، 2007 م .
- ❖ كمال الدين جعفر عباس : **الاتصال السياسي** . ط1، المكتب الإسلامي، دمشق، 2004 م.
- ❖ مالك بن نبي : **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي** . (تر) بسام بركة، أحمد شعبو، ط9، دار الفكر، دمشق، 2009 م.
- ❖ مالك بن نبي : **شروط النهضة** . (تر) عمر كامل مستقاوي ، عبد الصبور شاهين، ط9، دار الفكر، دمشق، 2009 م.
- ❖ المحجوب بن سعيد : **الإسلام والاعلاموفوبيا "الإعلام الغربي والإسلام تشويه وتخويف"** . ط1، دار الفكر، دمشق، 2010 م.
- ❖ محمد أحمد القفاص : **رسالة إلى الشعوب الغربية** . الجزء1، شركة الجزيرة للطباعة والإعلان، بورسعيد، مصر، 2011 م.
- ❖ محمد أركون : **الإسلام، أوروبا، الغرب، رهانات المعنى وإرادات الهيمنة** . (تر) هشام صالح، ط2 ، دار الساقى، بيروت، لبنان، 2001 م.
- ❖ محمد السعيد المحذوب : **الوسيط في القانون الدولي العام** . الدار الجامعية، بيروت، 1999 م.
- ❖ محمد بشاري : **صورة الإسلام في الإعلام الغربي** . ط1، دار الفكر، دمشق، 2004 م.
- ❖ محمد حسنين هيكل : **سلام الأوهام ، أو سلو — ما قبلها وما بعدها** — . ط2، الكتاب الثالث، دار الشروق، القاهرة، 1996 م.
- ❖ محمد صادق الهاشمي : **الاحتلال الأمريكي ومشروع الشرق الأوسط (تداعياته ونتائجه)** . ط1، مركز العراق للدراسات ، بغداد 2005 م.

- ❖ محمد عابد الجابري : مسألة الهوية " العروبة والإسلام والغرب " . ط3، مركز دراسات الوحدة العربية، (سلسلة الثقافة القومية، 27، قضايا الفكر العربي 3)، بيروت، لبنان، 2006 م.
- ❖ محمد عابد الجابري : قضايا في الفكر المعاصر (العولمة - صراع الحضارات- العودة إلى الأخلاق- التسامح-الديمقراطية ونظام القيم الفلسفة والمدينة) . ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1997م.
- ❖ محمد عبد الباسط : أصول البحث الاجتماعي . ط1، دار الشروق، القاهرة، 1980 م.
- ❖ محمد عبد الحميد : البحث العلمي في الدراسات الإعلامية . ط2، عالم الكتب، القاهرة، 2004 م.
- ❖ محمد عبد الحميد : تحليل المحتوى في بحوث الإعلام . دار الشروق ، القاهرة ، 1980 م.
- ❖ محمد عمارة : الإسلام والغرب أين الخطأ وأين الصواب . ط1، منشورات مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة، 2004 م.
- ❖ محمد وقيع الله أحمد : الإسلام في المناهج الغربية المعاصرة(عرض ونقد). ط1، دراسة مقدمة لجائزة نايف بن عد العزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية، 2006 م.
- ❖ محمد يسري : التطاول الغربي على الثوابت الإسلامية . ط1، دار اليسر، القاهرة، 2007 م.
- ❖ مصطفى سلوي : الخطاب الإستشراقي في أفق العولمة . ط1، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، المملكة المغربية، 2003 م.
- ❖ منير محمود، بدوي السيد : الاتجاهات الحديثة في دراسة النظام الدولي، منذ انتهاء الحرب الباردة . دراسة مقدمة إلى اللجنة الدائمة للعلوم السياسية، كلية التجارة ،جامعة أسيوط، منشورات المجلس الأعلى للجامعات، القاهرة، افريل 2004 م.
- ❖ ميخائيل سليمان : صورة العرب في عقول الأمريكيين . مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000م.
- ❖ ناظم عبد الواحد الجاسور : المرجعية الفكرية للخطاب السياسي-والاستراتيجي الأمريكي ما بعد 11 سبتمبر 2001 . ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2006 م.
- ❖ نصر بن محمد الصنقري : الإسلام والغرب شقاق أم وفاق . مكتبة صيد الفوائد.

[On-line] <http://www.saaid.net/book/open>. (Le 15.03.2013.02:32 h).

- ❖ نعوم تشومسكي : أوهام الشرق الأوسط . (تر) شيرين فهمي، ط2، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2006 م.
- ❖ هاشم جاسم السامرائي : المدخل في علم النفس . مطبعة مير، بغداد، 1988م.
- ❖ هانز كشلر : الديمقراطية والنظام العالمي الجديد . (تر) لوني جونسون، ط1، المجلد 19، دراسات في العلاقات الدولية، منظمة التقدم الدولية، فيينا 1993 م.
- ❖ هانس بيتر مارتين، هارالد شومان : فسخ العولمة " الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية " . (تر) عدنان عباس علي، عدد 238، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أكتوبر 1998م.
- ❖ هشام كمال عبد الحميد : 11 سبتمبر صناعة أمريكية . ط1، دار الكتاب العربي للنشر، دمشق، 2006م.
- ❖ هيلرت شيللر : المتلاعبون بالعقول " كيف يجذب محركو الدمى الكبرى في السياسة والإعلان، ووسائل الاتصال الجماهيري خيوط الرأي العام " . (تر) عبد السلام رضوان، عدد 243، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والعلوم، الكويت، مارس 1999 م.
- ❖ هوبرت هيركومر و جيرنوت روتر : صورة الإسلام في التراث الغربي . (تر) ثابت عيد، سلسلة في التنوير الإسلامي، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، 1999 م.
- ❖ وليام بلوم : الدولة المارقة دليل الى القوة العظمى في العالم . (تر) عصام قلاوون، الشركة العالمية للكتاب، ط1، بيروت، لبنان، 2002 م.
- ❖ ياسر أبو شبانة : النظام الدولي الجديد بين الواقع الحالي والتصور الاسلامي . ط3، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، 2004 م.
- ❖ يوسف القرضاوي : خطابنا الإسلامي في عصر العولمة . ط1، دار الشروق، القاهرة، 2004 م.

- ❖ Alain Gresh : **L'islam, La République Et Le Monde** . Edition Casabah , Algérie, 2006 .
- ❖ Al–Ashmawi Fawzia : **Etude Comparative Des Manuels Scolaires D ' Histoire De Pays Des Deux Rives De La Méditerranée**. Publication Institut Robert Schuman pour l'Europe, paris, 1996.
- ❖ Al–Ashmawi Fawzia : **L'islam Dans Les Manuels Scolaire Européenne**. Publication World Islamique Call Society. Edition Tripoli, France, 2004.
- ❖ Audrey Kurth Cronin and Others : **Foreign Terrorist Organizations** . CRS Report for Congress, Congressional Research Service, The Library of Congress , February , 2004.
- ❖ Baker James : **Conflict And Cooperation In The Post–Cold War Era** . Speech delivered at the First Annual Conference of the James A. Baker III Institute for Public Policy, Rice University 13 November, 1995. [On–line] <http://www.princeton.edu/Regionalism/and/Globalism>, (Le 29/12/2012, 11:17 h).
- ❖ Charles Benjamin : **La Théorie De La Guerre Juste Face Au Terrorisme Et A La Lutte Antiterroriste** . Centre d études des politiques étrangers et de sécurité, université du Québec Montréal , Concordia université , Décembre 2007.
- ❖ Christine Boutin : **De La Mondialisation A L'universalisation : Une Ambition Sociale**. Collection des rapports officiels, Rapport intermédiaire au Président de la République, Centre De La Documentation française, Paris, 2010.
- ❖ Dalby Simon : **Geopolitics, Grand Strategy, And The Bush Doctrine**. Institute of Defense and Strategic Studies Working Papers (Singapore), N°. 90, Oct. 2005.
- ❖ Daniel Bell : **The End Of Ideology: On The Exhaustion Of Political Ideas In The Fifties** . The Free Press, Harvard University, USA, 2000.

- ❖ David Frum & Richard Perle : **An End To Evil: How To Win The War On Terror**. 1ST Edition . Random House, New York ,United states, Décembre 2003.
- ❖ David R. Blanks And Michael Frassetto : **Western Views Of Islam In Medieval And Early Modern Europe** . 1ST Edition , Library of Congress Cataloging–in–Publication Data, New York, 1999.
- ❖ David ray Griffin :**The New Pearl Harbour (Distrubing Question About The Bush Administration And 11 /9)** . Arabe Scientifique Publisher , Beirout, Lebanon, 2004.
- ❖ Del pup Henri : **Image D'un Orient Européen Dans Les Manuels D'histoire Français** .IUFM, Toulouse, France, 2002.
- ❖ Del TombeThomas : **L'Islam Imaginaire. La Construction Médiatique De L'islamophobie** . Edition la Découverte, Paris, 2005
- ❖ Derekh Cornwell And Bryan Roberts :**The 9/11 Terrorist Attack And Verseas Travel To The United States. (Initial Impacts And Longer–Run Recovery)** . U S department of Homeland Security, Office of Immigration Statistics, March 2010 .
- ❖ Dominique Maingueneum : **Les Livres D'école De La République (1870–1914)**. « **Discours Et Idéologie** » . Edition le Dycomore, Paris, 1979.
- ❖ Edward Said : **Covering Islam : How The Media And The Expert Determine How We See The Rest Of The World**. Routledge & keganpaul , London,1981.
- ❖ Elizabeth Gaymor Elis And Anthony Esler : **World History Connection To Today** . The Modern Era, Printice Hall, Glenview, 2005.
- ❖ Ellis gel Esler. A : **The World History, Connection To Today** . Upper Saddle RIVER American Textbook Council, Center For Education Studies, American Textbook Concil, 1994.

- ❖ Enzo Traverso : **La Fabrique De La Haine Xénophobie Et Racisme En Europe** . International Institute for Research and Education – Amsterdam , Août 2012 . [On–line] <http://fileserv.iire.org/ys12/D6/6-FR.pdf>, (Le 29/12/2012, 11:17 h).
- ❖ Eric Laurent : **La Face Cachée Du 11 Septembre** . Dar El-Chihab Editions, Alger , 2005.
- ❖ Fernand Braudel : **On History** . Edition Paperback, University of Chicago Press, 1982.
- ❖ Fernand Braudel : **Ecrits Sur L'histoire**. Champ Flammarion, Paris, France, 1993.
- ❖ Francis Fukuyama : **The End Of History And The Last Man. The Free Press**. Division of Macmillan, New York, 1992.
- ❖ Francis Fukuyama : **After The Neocons: America At The Crossroads** . Yale University Press, United states, 2006 .
- ❖ François Soulage : **Le Tourisme A L'âge De La Retraite** . Conseil national Du Tourisme, La République française, 2001.
- ❖ Guy Sorman : **La Révolution Conservatrice Américaine** . Hachette, Paris, France, 1983.
- ❖ Hilde Eliassen Restad : **The War On Terror From Bush To Obama : On Power And Path Dependency** . Norwegian Institute of International Affairs, 2012 .
- ❖ Jack G. Shaheen : **Reel Bad Arabe : How Hollywood Vilifies a People**. Printed and bound, Canada, 2001.
- ❖ James Parrott : **Economic Impact of the September 11 World Trade Center Attack** . Prepared for the New York City Central Labor Council and the Consortium for Worker Education, Fiscal Policy Institute, New York, 2001.
- ❖ Jan Wouters and Tom Ruys : **The Fight Against Terrorism and the European Security Strategy** . Working Paper No 64 , November 2004, Institute for International Law K.U. Leuven, 2004.

- ❖ Joachim Véliocas : **Ces Maires qui courtisent l'Islamisme**. Edition Tatamis, Pais France, 2007.
- ❖ Joseph S . Nye : **The Soft power (the means to success in world politics)** . BBS public affairs, New York , United States , 2004 .
- ❖ Jules Harmand : **Domination Et Colonisation**. Paris, Edition Emets Flammarion. paris, France.
- ❖ Koehler Hans : **The United Nations And The New World Order** . Keynote addresses from the Second International Conference On A More Democratic United Nations. Studies in International Relations, XVIII. Vienna, 1992. [On-line]<http://www.hanskoechler.com>, (Le 11/01/2013, 01:06 h).
- ❖ Kurt m. Campbell And Richard Weitz : **Non Military Strategies For Countering Islamiste Terrorisme : Lessons Learned From Past Counterinsurgencies** . The Woodrow Wilson School of Public and International Affairs, Princeton Project Papers, Priceton University, 2008 .[On-line] <http://wws.princeton.edu/>, (Le 17/02/2013, 15:28h).
- ❖ Laroui Abdallah : **Islam Et Modernité**. Edition la Découverte, Paris, 1987.
- ❖ Marcel Boisard : **L'Islam Aujourd'hui** . Unesco, Paris, France, 1985.
- ❖ Marlin Nasr : **Les Arabes Et l'Islam Vus Par Les Manuels Scolaires Français (1986 Et 1997)**. Edition Karthala, paris.1995.
- ❖ Martin Fish Bein : **Belief, Attitude And Behaviour**. Addison Wesley, co, London 1976.
- ❖ Michel Nesterenko : **Project For A New American Century La Stratégie Des Néoconservateurs Deriere La Guerre Contre La Terreur** . Rapport de recherche N° 2 , Centre Français de Recherche sur le Renseignement , France, Paris , Octobre 2005.
- ❖ Mohamed Arkoun : **Humanisme Et Islam Combats Et Proposition**. librairie philosophique. J. Vrin,Paris , 2005.

- ❖ Naomi Wolf : **The End Of America ; Letter Of Warning To A Young Patriot** . The New York Times Bestseller, publishing chelsea green, United States Of America, 2007 .
- ❖ Norman Daniel : **Islam, Europe And Empire**.1st , Edition Edinburgh University Press, Oxford, London, 1966.
- ❖ Oriana Fallaci : **La Rage Et L'orgueil** . (Tr) Victor France, Edition Plon, Paris, 2002.
- ❖ Pierre Klein : **International Convention For The Suppression Of Terrorist Bombings** . United Nations Audiovisual Library of International Law , Office of Legal Affairs. United Nations, New York, 2008.
- ❖ R. Josef : **America Betrayed** (9-11,Aids, Anthrax, Iraq) . 1st Edition , University Press. Info San Jose, California, 2002.
- ❖ Roger Garaudy : **Les Etats-Unis Avant-Garde De La Décadence (Comment Préparer Le Xxixe Siècle)**. 2^{em}Edition , vent du large , Paris , 2004.
- ❖ Ronal Robertson : **Globalization: Social Theory and Global Culture** . 6nd Edition, SAGE Publication, London , 2000.
- ❖ Saddek Rabah : **L'islam Dans Le Discours Médiatique. Comment Les Médias Se Représentent L'islam En France?**. Edition Albouraq, Paris/Beyrouth, 1998.
- ❖ Sahar Aziz : **Arab And Muslim Civil Rights And Identity: A Selection Of Scholarly Writings From The Decade After 9/11** . Publication by ADC Research Institute Washington, (September 7, 2011) . [On-line] <http://www.adc.org> , (Le 28/10/2012, 17:55h).
- ❖ Said Edward : **L'Orientalisme L'Orient Créé Par l'Occident** . Edition du Seuil, Paris, 1980.
- ❖ Samuel Huntington : **The Clash Of Civilization And The Remaking Of World Order**. 1st Edition, Simon & Schuster, New York, 1997.

- ❖ Johann W. Fuck : **Islam As An Historical Problem In European Historiography Since 1800 In Historians Of The Middle East** . Edition Bernard Lewis and P.M. Holt, London: Oxford University Press, 1962.
- ❖ Tevanian Pierre : **Le Voile Médiatique. Un Faux Débat : “L’affaire Du Foulard Islamique”** . Edition Raison d’Agir, Paris, 2005 .
- ❖ Thomas P. M. Barnett : **The Pentagon’s New Map: War And Peace In The 21st Century**. Berkeley Books, New York, 2004.
- ❖ Walter Leimgruber : **Between Global And Local: Marginality And Marginal Regions In The Context Of Globalization And Deregulation** . 1st Edition, Ashgate Publishing company, Burlington, USA, 2004.
- ❖ Warwick J Mc Kibbin and Andrew Stoecke : **The Global Financial Crisis: Causes And Consequences** . working papers in internationale economics november 2009, CAMA, Australian National University & The Brookings Institution, September 2009.
- ❖ Wilber Schramm : **Mass Media And National devlopment (The Role Of Information In National Development)** . Stanford University press, and Unesco paper cover, California.
- ❖ Yahia El yahyaoui : **La Mondialisation : Communication–Monde, Ultra Libéralisme Planétaire Et Pensée Unique**. 1^{er} Edition, Boukili, Kénitra, Maroc, 1998.

- ❖ أحمد السمان : « مل تمكنت الدبلوماسية العامة من إصلاح الصورة الأمريكية ؟ »، الإصلاح السياسي .. السياسة الأمريكية والاستجابات العربية » . الأهرام للدراسات الإستراتيجية، العدد 129، السنة الحادية عشرة، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، سبتمبر 2005.
- ❖ أحمد السيد النجار وآخرون : تقرير الاتجاهات الاقتصادية الإستراتيجية لسنة 2002 . مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، 2002.
- [On-line] <http://www.imf.org/external/arabic/pubs/ft/weo/2003/01/pdf/texta.pdf>, (Le14/03 /2013, 19: 46h).
- ❖ أحمد خروع : « العولمة والسيادة » . المجلة الجزائرية للعلوم القانونية ، جزء 36، رقم 1، 1998م.
- ❖ أحمد علي سالم : « القوة والثقافة وعالم ما بعد الحرب الباردة : هل باتت المدرسة الواقعية في العلاقات الدولية شيئاً من الماضي » . المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 20، حريف 2008 م.
- ❖ أسعد ملي : « التدايعات الإقصائية المتصاعدة لعولمة الإعلام وأثرها على الهوية الثقافية » . مجلة جامعة دمشق، المجلد 26، العدد الثالث والرابع، سوريا، 2004 م.
- ❖ إسماعيل صبري مقلد : « الإستراتيجية السوفيتية في العصر النووي » . مجلة السياسة الدولية ، السنة الثالثة، العدد 7، مؤسسة الأهرام الدولية، القاهرة، 1967م.
- ❖ بادريس لكريني : « التربية والتعليم في ضوء الاتفاقات الدولية » . مجلة رؤى تربوية، العدد 33، مركز القطان للبحث والتطوير، ديسمبر 2010 م.
- ❖ بهيج ملا حويش : « القرآن الكريم في المراجع والمناهج الدراسية الإسبانية: في المرحلة الشيعوية » . مجلة المعرفة . عدد 92، الرياض، المملكة العربية السعودية. 2003 م.
- ❖ حسن الرشيدى : « الإستراتيجية الأمريكية الجديدة في العالم » . مجلة البيان، السنة 17 ، العدد 179، أكتوبر 2003

<http://www.albayan,Magazine.com/bayan-12htm>, (17/02/2013 17:26h).

[On-line]

- ❖ حسن عزوزي : « متغيرات وتحديات أمام الواقع الثقافي للمسلمين في الغرب » . مجلة الوعي الإسلامي، العدد 532، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 03 سبتمبر 2010 م.
- ❖ حسن نافعة : « سيادة الدول في ظل تحولات موازين القوة في النظام الدولي » . مجلة أفكار الإلكترونية، العدد الرابع، افريل 2003 م.

[On-line] <http://www.afkaronline.org/arabic/archives/mar-avr2003.html>, (Le 02/01/2013, 13:21 h).

- ❖ حسن نافعة : « وجهة نظر في تطور الرؤية الأمريكية تجاه العالم العربي » . مجلة السياسة الدولية، العدد 253 ، مؤسسة الأهرام الدولية، القاهرة، يوليو/جويلية 2003 م.
- ❖ خالد عبد العظيم : « الصراع على النفوذ في الاوراسيا » . مجلة السياسة الدولية، العدد 161، القاهرة، يوليو 2005 م.

❖ زيدك الطاهر ، العربي رزق الله : « العولمة وتقويض مبدأ السيادة » . مجلة الباحث، عدد 2، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2003 م.

❖ سليمان قناوي : « صورة العرب والمسلمين في أمريكا » . مجلة المعرفة، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2003 م.

❖ شفيق المصري : « الإرهاب في ميزان القانون الدولي » . مجلة شؤون الأوسط، العدد 74، مركز الدراسات الاستراتيجية، بيروت، تموز 2002 م.

❖ عبد الله التركماني : « الحرب الوقائية بعد أحداث 11 سبتمبر من وجهة نظر القانون الدولي وحقوق الإنسان - العراق أمودجا - » . الندوة الدولية حول : حقوق الإنسان : المخاطر والتحديات ، الرابطة التونسية للدفاع عن حقوق الإنسان وآخرون، 03 ماي 2003 م.

❖ فهمي هويدي : « جذور العداء الغربي للإسلام » . مجلة المقاومة، العدد التاسع، 30 ديسمبر 2012.

[On- line] <http://yafacenter.com/PublicationsListing>., (Le 25.07.2013 . 05 : 52 h)

❖ عز الدين هلال : « النظام الدولي الجديد : الواقع الراهن واحتمالات المستقبل 3 » . مجلة عالم الفكر، المجلد 23، العددان 3-4، الكويت، يناير/مارس-أبريل/يونيو 1995 م.

❖ عفيف البوني : « صورة العرب في العقل الغربي من خلال الموسوعات العلمية الغربية » . مجلة المستقبل العربي، العدد 101، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، جويلية 1987 م.

❖ علي القريشي : « نحن والغرب، قراءة في التمركز الغربي وتحليلاته في المجال العربي والإسلامي » . مجلة المستقبل العربي، السنة 18، العدد 196، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، جوان 1995 م.

❖ فارس عبيدة : « تداعيات أحداث الحادي عشر من أيلول، حصاد 2001 » . مجلة الدراسات شرق أوسطية، العدد 21، مركز دراسات الشرق الأوسط، الأردن، 2002 م .

❖ محمد الاطرش : « العرب والعمولة، مالمعمل ؟ » . مجلة المستقبل العربي، العدد 229، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998م.

❖ محمد المنسي فنديل : « متى نتخلص من الرؤية المشوهة للذات ولآخر ؟ » . مجلة العربي، عدد 544، وزارة الإعلام بدولة الكويت، الكويت، مارس 2004 م.

❖ محمد جعيجع : « دور الاستشراق الفرنسي في استعمار الجزائر » . مجلة المعيار، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، عدد خاص أعمال الملتقى الوطني حول: المشروع الثقافي الاستعماري في الجزائر 1830-1962، وتأثيراته المعاصرة، أيام 10/08/2005 م، العدد العاشر، سبتمبر 2005 م.

❖ محمد شومان : « عولمة الاعلام ومستقبل النظام الاعلامي العربي » . مجلة الفكر العربي، المجلد الثامن والعشرون، العدد الثاني، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر 1999م.

❖ معتز سلامة : « الإصلاح السياسي .. السياسة الأمريكية و الاستجابات العربية " » . مجلة الأهرام للدراسات الإستراتيجية، العدد 129، السنة الخامسة عشر، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، سبتمبر 2005 م.

❖ منير لحضر : « الخلفية الفكرية لمشروع -الشرق الأوسط الكبير-: رؤية نقدية » . مجلة الحوار المتمدن، عدد 2150، 4 جانفي 2008م.

. (h 10:34 12.03.2013. http://www.ahewar.org) , [On-

[line

❖ نادية محمود مصطفى : « إشكالية العلاقة بين الحضارات في خطابات عربية وإسلامية » . مجلة السياسة الدولية، المجلد 42، العدد 168، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، مصر، أفريل 2007 م.

❖ نواري أحلام : « تراجع السيادة الوطنية في ظل التحولات الدولية » . مجلة دفاتر السياسة والقانون، العدد الرابع، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، جانفي 2011 م.

المقالات الأكاديمية الأجنبية

❖ Boualem Sansal : « La frontière entre islamisme et nazisme est mince » . Le Nouvel Observateur, N° 2252, le 09 janvier 2008.

❖ Boualem Sansal : « Le 11-Septembre a été pour nous tous un choc terrible » . Le Nouvel Observateur, N° 2386, le 09 septembre 2011.

❖ Catherine Guigon : « Moi, femme en pays musulman. Dossier ». Revue de L'Histoire, 2001 N° 260 , le 29 novembre 2001.

❖ Charles Krauthammer : The Unipolar Moment Revisited. The National Interest (magazine) . Décembre 1, 2002 .[On-line] <http://nationalinterest.org/>, (Le 29/12/2012.11:27 h).

❖ Christopher A. Bail : «The Fringe Effect: Civil Society Organizations and the Evolution of Media , Discourse about Islam since the September 11th Attacks » . American Sociological Review, American Sociological Association, SAGE, 2012. [On-line] http://billtammeus.typepad.com/files/asr_dec_2012_bail_study_final.pdf, (Le 17.03.201, 12:24h).

❖ Condoleezza Rice : « Campaign 2000: Promoting the National Interest » . foreign affairs , January/February 2000. [On -Line]<http://www.foreignaffairs.com/articles/55630/condoleezza-rice/campaign-2000-promoting-the-national-interest>, (Le 12 01 2013, 13:02 h).

❖ Condoleezza Rice : « Promoting the national interest » . Foreign Affairs, Jan/ Feb 2000, Volume: 79, Issue: 1. [On- line] http://www.mtholyoke.edu/~jwestern/ir319/condoleezza_rice.htm, (Le 18.07.2013 . 01 : 59 h) .

❖ Debra Merskin : « The Construction of Arabs as Enemies (Post-September 11 Discourse of George W. Bush » . Mass Communication & Society , School of Journalism & Communication, University of Oregon, 2004.

❖ Djamel Kouloughli : « Ernest Renan: un antisémitisme savant » . Revue Histoire Epistémologie, Vol 29/II, Laboratoire d'Histoire des Théories Linguistiques, Université Paris Diderot, 2007.

❖ Edward Saïd : « Special Report: Islam, Orientalisme And the West ». The Time Magazine . Monday, Apr. 16, 1979.

❖ El-Halougi Mostapha : « l'islam dans les manuels scolaire en France » . Le Courrier International, N°568, paris, 2001.

❖ Eric Rouleau : « Dans L'engrenage De La Guerre (De La Propagande Et De Ses Raté) » . Le Monde Diplomatique, Le 02 Mai 2003. [On-line]http://ww.monde-diplomatique.fr/2003/02/ROULEAU, (Le 17 Mars 2013. 10 : 30 h).

❖ Frédéric Charillon : « La politique étrangère de l'Union Européenne à l'épreuve des normes américaines ». Revue Cultures & Conflits, N° 44 , hiver 2001.

❖ Gabriel Martinez-Gros: « L'islam face à la modernité ». Revue de L'Histoire, N° 260 , le 29 novembre 2001.

❖ Hassan Hanafi : « De l'orientalisme à l'occidentalisme ». Peuples Méditerranéens, N° 50, janvier-mars 1990.

❖ Jeremy M. Sharp : « Middle East Policy Analyst Foreign Affairs, Defense, and Trade Division » . CRS Report for Congress, Congressional Research Service , The Library of Congress, February 2005.

❖ Kerrou Mohamed : « Etre sociologue dans le monde arabe ou comment le savant épouse la politique » . Peuples Méditerranéens, N° 54-55, janvier 1991.

❖ Marie-France Et Chegoïn : « Les réseaux du djihad en France » . Le Nouvel Observateur, N° 1928, le 01 octobre 2001.

- ❖ Marlin Indylc : « Watershed in the Middle East » . **Foreign Affairs**, Vol 8, N° 61, "America B the world :1991/1992. [On-line] <http://www.Foreignaffairs.com> , (Le 12/01/2003, 13:08 h).
- ❖ Marlin Nasr : « l'image des Arabes dans les manuels de lecture de l'enseignement primaire » . **Les Langages Du Politique**, N°30, mars 1992.
- ❖ Michael Hirsh : « Bush and the World » . **Foreign Affairs**, September/October 2002, [On-line] <http://www.foreignaffairs.com/articles/58244/michael-hirsh/bush-and-the-world>, (Le 12/01/2003, 13:08 h).
- ❖ Michael Mc Faul : « U.S.–Russia Relations After Septembre 11, 2001 » . **Carnegie Endorment for International peace**, [On-line]<http://carnegieendowment.org/2001/10/24/u.s.-russia-relations-after-september-11-2001/>, (Le 12/01/ 2013, 09:21:31 h).
- ❖ Musarrat Jabeen : « Either You Are with Us or Against Us » . **Journal Of South Asian Studies**,Vol 24, No.2, July–December 2009.
- ❖ Neal Kumar : « US–Russia Relations After September 11, 2001 » . **Vestnik**, issue 2, vol1,summer, 2005,pp 55–73.[On-line][http:// : www .sras .org](http://www.sras.org), (Le 12/01/ 2013, 09:21:31 h).
- ❖ Noam Chomsky : « America in Decline » . **Truth Out**, [On-line], <http://www.truth-out.org/america-decline/1312567242> , Monday, 22 August 2011, (Le 23/02/2013, 09:27:01 h).
- ❖ Patrick Cabanell : « Religion, politique et laïcité : de quelques paradoxes du protestantisme français » . **Sociologie Et Sociétés**, 67 Vol. 38, N° 1, printemps, 2006.
- ❖ Paul M. Sweezy : « More Or Less on Globalization » . **Monthly Review**, Vol 49, N° 4 September 1997.
- ❖ Réne Monzat : « L'étonnant parcours d'Alexander Del valle » . **Revue Ras L'front**, N°82, 2002.

❖ Susan Breau Stephen Livingstone And Rory O'Connell : « Anti-Terrorism Law and Human Rights in the United Kingdom post September 11 » . **Human Rights Centre**, Queens University Belfast.[On-line] http://www.britishcouncil.org/china_society_publications-911.pdf, (Le 13/02/2013, 14:18 h).

❖ Michael C. Hudson : « After the Gulf War : Prospects for Democratization in the Arab » . **World. Middle East Journal** . Vol 45, N° 03 Middle East Institute. Summer, 1991.

❖ Pascal De Lima : « Etats-Unis : la crise de la dette a-t-elle démarré le 11 Septembre ?» . **Le Nouvelle Observateur**, 22/09/2011, [On- line] <http://www.rue89.com/2013/07/11/total-depense-millions-entrer-les-cartables-enfants-244117>, (Le 18.07.2013. 01 : 59 h).

الرسائل الجامعية

الرسائل الجامعية العربية

❖ أميرة حناشي : مبدأ السيادة في ظل التحولات الدولية . مذكرة ماجستير (غير منشورة)، كلية الحقوق، جامعة محمود منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية 2008/2007 م.

❖ ربا قحطان الحمداني : صورة الولايات المتحدة في الصحافة العراقية. رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الإعلام، 2001 م.

❖ سعيد شويل الغامدي : اتجاه المعلمين نحو التقاعد المبكر في مكة المكرمة . رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة أم القرى كلية التربية، قسم علم النفس، مكة المكرمة، 1422هـ.

❖ عائشة كعباش: صورة الإسلام والمسلمين في الصحافة الفرنسية بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 (Le Figaro Et Le Monde) أنموذجا . رسالة ماجستير(منشورة)، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، 2005-2006 م.

❖ علي بن شويل القرني : صورة المملكة العربية السعودية في الصحافة البريطانية بعد الحادي عشر من سبتمبر. رسالة ماجستير، مركز بحث كلية الآداب، جامعة الملك سعود، 1428هـ/2007 م.

- ❖ قيود حكيم : السياسة الأمريكية تجاه قضايا حقوق الإنسان بعد أحداث الحادي عشر سبتمبر ألفين وواحد . مذكرة ماجستير (غير منشورة) ، كلية العلوم السياسية وعلوم الإعلام ، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، الجزائر، السنة الجامعية: 2004/2003 م.
- ❖ محمد جند عبد المجيد : **جماعة التبليغ في الهند دراسة وتقييم** . مذكرة ماجستير (غير منشورة)، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1431/06/06هـ.
- ❖ يوسف العاصي الطويل : **الصراع الحضاري مع الغرب وتداعياته على الأمن القومي العربي في ظل النظام الدولي الجديد " الإسلام عدو بديل** . (رسالة ماجستير منشورة) ، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة الأزهر، قسم العلوم السياسية (الدراسات العليا) فبراير، 2008 م.
- ❖ محمد بشير طعمة : " **الصورة النمطية العدائية للعربي في الصحافة الأمريكية بعد أحداث أيلول** " دراسة تحليلية لمضمون الصحافة الأمريكية " واشنطن بوست ونيويورك تايمز " نموذجاً". رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الإعلام، جامعة دمشق، السنة الجامعية 2009/2008 م.

الرسائل الجامعية الأجنبية

- ❖ Adnan Bouachour : **La Guerre Contre Le Terrorisme**. Thèse pour obtenir le titre de docteur des Arts, Lettres et Langues, Volume 1/2. Ecole doctorale (anglophonie : communauté et écriture) Université de Rennes 2. 2012.
- ❖ Barbara Delcourt : **Théorie De La sécurité**. Thèse présenté Pour obtenir doctorat en Sciences Politiques, Orientation Relations Internationales, l'Université libre de Bruxelles, Année Académique 2006-2007.
- ❖ Brigitte L. Nacos and Oscar Torres-Reyna : **Muslim Americans In The News Before And After 9-11**. Department of Political Science, Columbia University, 2002.
- ❖ Elisabeth Pagnossin : **La Représentation De l'Islam Dans Les Manuels D'histoire En Suisse Romande**. Etude comparative des manuels scolaires dans le cadre du Dialogue Euro-Arabe, coordonnée conjointement par les Commissions française et marocaine pour l'Organisation des Nations Unies pour l'éducation, la science et la culture UNESCO, 2003 .

❖ Mohamad Abdalla and Halim Rane : **The Impact of Media Representations on the Understanding of Islam and Attitudes toward Muslims in Queensland** . Griffith Islamic Research Unit , Griffith University for Multicultural Affairs Queensland, August 2007.

❖ Rachad Antonins : **Les Représentations Des Arabes Et Des Musulmans Dans La Grande Presse Ecrite Du Québec** . Rapport de recherche pour Patrimoine Canadien (PCH) ، Financement : PCH , 2008.

❖ Shahram Akbarzadeh and Bianca Smith : **The Representation Of Islam And Muslims In The Media (The Age And Herald Sun Newspapers)**. School of Political and Social Inquiry, MONASH University, November 2005.

مؤتمرات وندوات

مؤتمرات وندوات عربية

❖ حبيب سليم : « العرب والنظام العالمي الجديد التحديات والرهانات » . الندوة الدولية حول : الثقافة العربية وثقافات العالم حوار الأنداد، المنظمة العربية للتربية والعلوم، تونس 1999م.

❖ حسن عزوزي : « الأسباب التاريخية للصور النمطية السلبية عن الإسلام والمسلمين في الوعي الجمعي للمجتمعات الغربية وسبل تجاوزها ومواجهتها » . ورقة مقدمة للملتقى اجتماع الخبراء. حول : الإسلام والغرب، لندن 19-20 نوفمبر 2008 م.

❖ حسن عزوزي : « دور العلماء في تصحيح صورة الإسلام » . الندوة الدولية حول : " صورة الإسلام في مواقع الانترنت الغربية : الواقع وسبل التصحيح " . فاس، المملكة المغربية، 20/19/18 أكتوبر 2012م.

❖ الداوي الشيخ : « الأزمة المالية العالمية " انعكاساتها وحلولها " » ورقة مقدمة إلى المؤتمر الدولي حول : الأزمة المالية العالمية وكيفية علاجها من المنظور الاقتصادي الغربي و الإسلامي، جامعة الجنان، طرابلس، لبنان، 14/13 مارس 2009 م.

❖ الصادق رابح : « في مصادر الرؤية الإعلامية الفرنسية للإسلام » . الندوة العلمية حول دور الإعلام

في معالجة ظاهرة الخوف من الإسلام (الإسلاموفوبيا)، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة

– إيسيسكو – ، الرباط ، المغرب ، 2008 م.

❖ عبد الله ظافر آل عساف الشهري : « الإسلام في المناهج الدراسية الغربية والأجنبية » . دراسة مقدمة

لندوة، بناء المناهج الأسس والمنطلقات، كلية التربية، جامعة الملك سعود، الرياض، 12/03/1424هـ.

❖ عدلي السيد رضا « دور وسائل الإعلام في تصحيح صورة الإسلام » . ورقة مقدمة للمؤتمر العلمي الثامن

لكلية الإعلام بجامعة القاهرة، الإعلام وصورة العرب والمسلمين، مركز المدينة المنورة دراسات وبحوث

الاستشراق. 29-28 صفر 1423هـ الموافق لـ 11-12 ماي 2002 م.

[On-line] <http://www.madinacenter.com/post.ph>, (Le 21.02.2013.21:34h).

❖ محمد عابد الجابري : « العولمة والهوية الثقافية: عشر أطروحات » . الندوة الدولية حول : العرب

والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، 18 – 20 كانون الأول 1997 م.

مؤتمرات وندوات أجنبية

❖ Daniel Drache : « les relation canado-américaine est les commerce a la frontière dans une ère du sécurité » . Colloque La Sécurité Transfrontalier

Canada/Etats-Unis : Que Nous Réservent Les Quatre Prochaines Années

?. Institut D'études Internationales De Montréal , Montréal, 12 Novembre 2004 .

❖ Pierre Tabatoni : « Note sur l'économie du terrorisme, après les attentats du 11 septembre 2001 » . Forum International Sur La Paix Et De La Sécurité

Internationale " Après Le 11 Septembre 2001" . Académie des Sciences morales et politiques, Monaco, 8 mars 2002.

الموسوعات والقواميس

الموسوعات والقواميس العربية

❖ أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا : معجم مقاييس اللغة . تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، الجزء

الأول، طبعة اتحاد الكتاب العرب، 1423 هـ = 2002 م.

- ❖ أحمد زكي بدوي : معجم مصطلحات الإعلام – انجليزي، فرنسي، عربي- تقديم أحمد خليفة، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1994 م.
- ❖ جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور المصري الإفريقي : لسان العرب . تحقيق عام احمد حيدر، المجلد السابع، دار الكتب العلمية. دت.
- ❖ خالد بن سلطان بن عبد العزيز : موسوعة مقاتل من الصحراء (حقائق وذكريات ودراسة مستقبلية). الإصدار الحادي عشر، 2010 م.
- ❖ عبد الوهاب الكيلاني: الموسوعة السياسية . ج 3، ط2، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1993 م.
- ❖ محمد مرتضى الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس . المجلد السابع، منشورات مكتبة دار الحياة، بيروت، 1965م.
- ❖ محمد منير حجاب : الموسوعة الإعلامية . المجلد الرابع، دار الفجر للنشر والتوزيع. دت.

الموسوعات والقواميس الأجنبية

- ❖ دائرة المعارف البريطانية.

[On Line] <http://www.britannica.com>, (Le 12/01/ 2013, 09:21:31 h).

- ❖ الموسوعة العالمية الحرة.

[On Line]<http://en.wikipedia.org>, (Le 12/01/ 2013, 09:21:31 h).

- ❖ Jean Louis Lisinmashio Et Autres : « **Tout L Univers Encyclopédie De L'âge Scolaire** » . Vol 03 , livre de paris, HACHETTE , Paris, France.

صحف ومجلات.

الصحف والمجلات العربية

- ❖ أسعد حيدر : « أزمة " لوموند " عامة ». المستقبل ، عدد 1766، الخميس 2 كانون الأول 2004.
- ❖ دون توقيع : « الاتحاد الأوروبي يتخذ إجراءات ضد ألمانيا بسبب عدم تخزين بيانات الاتصالات ». الاقتصادية ، العدد 6463، المملكة العربية السعودية، رجب 1432 هـ الموافق يونيو 2011 م.

❖ دون توقيع : « انعكاسات اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر على الشركات العالمية الكبرى » . صحيفة الشرق الأوسط ، العدد 8418 ، 5 ديسمبر 2001 م.

❖ عبد الباري عطوان : « أنظمة العرب وفوز حماس » . القدس العربي ، السنة الثامنة عشرة ، العدد 4620 ، الموافق لـ السبت/الأحد 31 جانفي 2006.

❖ غاريس جونلويس : « السياسة الخارجية الأمريكية بعد سبتمبر 2001 » ، ترجمة : طلال الساحلي ، جريدة السفير اللبنانية ، العدد 9396 ، 2003/1/13.

❖ ممدوح عبد الرؤوف : « التجارة الإلكترونية تواجه خسائر فادحة بسبب الجمرة الخبيثة والفاكس والبريد الإلكتروني أكثر القطاعات ازدهارا » . جريدة الشرق الأوسط ، 27 أكتوبر 2001 ،

[On- line] <http://www.mafhoum.com/press2/68T42.htm> , (Le 25.07.2013 . 05: 52 h).

❖ هشام محمد الحراك : « بداية النهاية لطغاة العالم » . شبكة النبا المعلوماتية .

[On-line] <http://www.annabaa.org/nbanews/27/100.htm> , (Le 14/03/2013, 23:17h).

صحف ومجلات أجنبية

❖ Gabi Logan : « The Effects of 9/11 on the Airline Industry » . USA Today , [On-line]<http://traveltips.usatoday.com/effects-911-airline-industry-63890.html> , (Le 25/07/2013, 14: 32 h).

❖ Arnaud Le Parmentier Et Laurent Zecchini : « Unsommet extraordinaire des Quinze contre le terrorisme » . Le Monde , N°17618 ,le 19 Septembre 2001 .

❖ Beatrice Gurrey : « Le PCF tire un trait sur quatre-vingts ans d'antiaméricanisme » . Le Monde , N° 17616, Le 15 September 2001.

❖ Condoleezza Rice : « Pas de fossé entre l'Europe et les Etats-Unis » . Le Monde , N° 17707, Le 10 juin 2001.

❖ David D. Kirkpatrick : « Anger Over a Film Fuels Anti-American Attacks in Libya and Egypt » . The New York Times , September 17, 2012.

- ❖ Francis Fukuyama : « l'Etats-Unis » . Le Monde , N° 17620 , Le 19 septembre 2001.
- ❖ George W. Bush : « " The National Security Strategy of the United States » . The New York Times, 20 September 2002.
- ❖ Henri Tincq : « la guerre sainte,"selon la loi musulmane" » . Le Monde, N° 17621. Le 22 Septembre 2001.
- ❖ Jean marie Colombani : « Nous sommes tous Américains » . Le Monde , N° 17611 , 12 Septembre 2001.
- ❖ Jean-Marie Colombani:« Nous sommes tous Américains» .Le Monde, N°17612, le 13 septembre 2001.
- ❖ Patrick Jarreau : « Les Américains face à " un ennemi différent de ceux qu'ils ont connus" » . Le Monde, N° 17615, Le 14 Septembre 2001.
- ❖ Patrick Jarreau : « Zbigniew Brzezinski passe au crible la diplomatie de Jacques Chirac » . le Monde , N° 17710, 13 Juillet 2004.
- ❖ Patrick Gareau Et Raphae El Bacque : « Jacques Chirac réaffirme à Washington l'offre de coopération de la France » . Le Monde, N° 17619, 20 September 2001.
- ❖ Richard Perle : «Thank God for the death of the UNIts abject failure gave us only anarchy. The world needsorde » . The Guardian, Friday 21 March 2003, [On- line] http://www.guardian.co.uk/politics/2003/mar/21/foreign_policy.iraq1, (le 17/02/2013, 14: 09h).
- ❖ Sans Signature: « Nicolas Sarkozy propose de créer un ministère de l'immigration » . Le Monde, 11 Décembre 2006 [On line] <http://www.lemonde.fr/societe/article/nicolas-sarkozy-propose-de-creer-un-ministere-de-immigration.html>, (Le 21/12/2013, 21: 34h).
- ❖ Service France : «Un débat s'esquisse en France autour de la riposte américaine » . Le Monde, N° 17614, le 15 Septembre 2001.

- ❖ Susan B. Glasser and Walter Pincus : « Seized Letter Out lines Al Qaeda's Goals in Iraq » . Washington Post, October 12, 2005, [On- line] <http://www.washingtonpost.com/content/article/2005/10/11/AR-2005-101101353.html>, (Le 27/02/2013, 23: 35h).
- ❖ Thomas Ferenczi : « La " guerre : juste " contre le terrorisme » . Le Monde, N° 17619, le 10 Octobre 2001.
- ❖ Thomas Ferenczi : « La " guerre : juste " contre le terrorisme » . Le Monde, N° 17621, Le 20 Septembre 2001.
- ❖ Thomas L. Friedman : « Marking Down Bin Laden » . The New York Times, February 6, 2005.
- ❖ Umber To Ecoa : « propos de la " supériorité " occidentale » . Le Monde, N° 17640, le 10 Octobre 2001.
- ❖ Umberto Eco : « A propos de la supériorité occidentale » . Le Monde , N° 17640, Le 10 Octobre 2001.
- ❖ Xavier Ternisien : « Plus pratiquants, les musulmans de France sont aussi mieux intégrés » . Le Monde, N° 17814, 03 avril 2002.p 13.

مؤسسات وهيئات دولية

❖ الجامعة العربية .

[On-line] <http://www.arableagueonline.org> , (Le 12 /01/ 2013, 09:21:31 h).

❖ صندوق النقد الدولي : آفاق الاقتصاد العالمي أبريل 2007.

[On-line] <http://www.imf.org/external/pubs/ft/weo/2003/.pdf>, (Le 14/03/2013, 19:46 h).

❖ مؤسسة الأهرام : التقرير الاستراتيجي العربي، « الولايات المتحدة وبناء تحالف دولي ضد الإرهاب ».

مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية.

[On-line]<http://acpss.ahram.org.eg/ahram/2001/1/1/r1rb13.htm>, (Le 27/02/2013,10:56 h).

❖ مؤسسة الأهرام : التقرير الاستراتيجي العربي، « السياسة الأمريكية تحت سطوة اليمين الديني والسياسي
مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، 2003.

❖ هيئة الأمم المتحدة .

[On-line]http://www.un.org/ar/documents/charter, (Le 02/O1/2013,10:04 h).

❖ Amnesty International : **Rapport, From2001 To 2011**, [On-line] http:// www .
amnesty.org/ar/news-and-updates/usa-u-turn-trial-forum-911-suspects-betrays-human-
rights-2011-04-05-1, (Le 17/02/2013, 14:14 h).

❖ BBC News: **Iraq War Illegal, Says Annan**. [On-line] http://news.bbc.co.uk/go
/pr/fr/ middle_east.stm, (Le 6/09/2004, 09:21:31 h).

❖ Commission Européenne : **L'Union Européenne Et Les Etats-Unis Des
Partenaires Mondiaux, Des Responsabilités Mondiales** . [On- line]http:// eeas.
europa .eu/us/docs/infopack_06_fr.pdf, (Le 18/07/2013, 01:59 h).

❖ FAM : Fédération des Amis de la Morale Laïque asbl, [On-line].
http://www.faml.be, (Le 19/02/2013, 23:23 h).

❖ Organisation Internationale Du Travail: **L'aviation civile : Un Monde Du
Travail En Mutation**. Publication O I T , département des activités sectorielles,
bureau international du Travail, Genève 2013 .

❖ The International Bank : **Global Development Finance, Financing The
Poorest Countries(Analysis And Summary Tables)**. World Bank Photo
Library, Washington, 2002.

❖ The International Bank : **La Pauvreté En Augmentation Au Lendemain
Des Attentats Terroristes Aux Etats-Unis**. [On- line] http://web.worldbank.
org/wbsite/external.html , (Le 23/07/2013, 15 : 22 h) .

❖ The National Archives: **Toward a New World Order** .[On-line]http://
www.sweetliberty.org/issues/war/bushsr.htm, (Le 29/12/2012, 11 : 27 h) .

- ❖ The World Trade Organization : **International Trade Statistics 2001**.
World Trade Organization, Geneva, 2001 .
- ❖ International Council on Human Rights Policy (I.C.H.R.P.) :**Human Rights After September 11**. a Report ,Genève, Suisse, 2002. pp 25-28.[On-line] www.moqatel.com/openshare/indexf.html, (Le 12/01/2013, 09 : 21 h) .
- ❖ International Monetary Fund : **World Economic Outlook (Growth And Institutions)**. Library of Congress, Washington, 2003.
- ❖ NATO : **The North Atlantic Treaty Organization : e_library Official texts [On-line]**http://www.nato.int/cps/en/natolive/official_texts_17120.htm/, (Le 18/02/2005, 17 : 23 h) .
- ❖ The White Hous :**The National Security Strategy of the United States of America . Washington**. [On-line] <http://www.informationclearinghouse.info/article/2320.htm>, (Le 17/02/2013, 16 : 15 h) .
- ❖ **USA Patriot : Uniting And Strengthening America Appropriate Tools Required To Intercept And Obstruct Terrorism.[On-Line]** http://www.Fincen.gov/pa_main.html, (Le 17/02/2013, 16 : 15 h).

مقابلات، حوارات وخطب

مقابلات، حوارات وخطب (عربية) .

- ❖ بشير غضبان : **العلاقات الدولية في طريق التعليم والبحث** . (محاضرات غير منشورة)، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة المسيلة، السنة الجامعية 2005/2004.
- ❖ مقابلة مع الدكتورة فوزية العشموي (رئيسة منتدى المرأة الأوروبية المسلمة بجنيف) : حول «الإسلاموفوبيا» . جريدة الشرق الأوسط، عدد 11158، الثلاثاء 22 جمادى الثاني 1430 هـ / 16 يونيو 2009.
- ❖ مقابلة مع فرانكلين غراهام : على قناة NBC الأمريكية .
[On-line] <http://www.youtube.com/watch>, , (Le 05/03 /2013, 19 : 20 h).

مقابلات، حوارات وخطب (أجنبية).

- ❖ Condoleezza Rice « Anticipatory Defence in the war on terror » . **Interview** , [On-line] <http://www.npq.org/archive/2002-fall/rice/html>, (Le 22/02 /2013, 01 : 18 h).
- ❖ Donald Rumsfeld : « Secretary of Defense Address to Town Hall Meeting, Baghdad, Iraq 30 April 2003 » . [On-Line] <http://www.defenselink.mil/transcripts/html>, (Le 27/02 /2013, 23 : 35 h).
- ❖ George W. Bush : « Address To The Nation » . **the White House archive**, September 20, 2001.[On-line] <http://www.presidentialrhetori.com/speeches/09.20.01.html>, (Le 17/03 /2013, 11 : 00 h).
- ❖ George H. W. Bush : Address Before a Joint Session of Congress on the End of the Gulf War (March 6, 1991) . **Presidential Speech Archive**, [On-line]. <http://millercenter.org/president/speeches/detail/3430>, (Le 11/01 /2013, 01 : 16 h).
- ❖ George W. Bush : **Speech National security strategy** . [On-line] http://www.archive.org/details/george_bush_archive,sept_2002, (Le 17/02 /2013, 15 : 28 h).
- ❖ Kofi Annan : **Speech Address To The World Economic Forum Davos**, 23 January 2004. [On-line] <http://un.by/en/news/quotes/peace/>, (Le 22/02/2013, 00:49 h).

مواقع الويب

- ❖ أيمن محروس : الآثار الاقتصادية لهجمات 11 سبتمبر . [On-line] <http://islamtoday.net/files/september11/eco1.html>, (Le 13/03/2013, 23:44 h).
- ❖ غازي الصوراني : العولمة والعلاقات الدولية الراهنة . [On-line] <http://www.kantakji.com/economics/4013.doc>. (Le 11/01/2013, 01:06 h).
- ❖ نظام بركات : تداعيات أحداث سبتمبر على النظام الدولي. [On-line] <http://www.aljazeera.net/NR/exeres/.htm>, (Le 17.03.2013.11:45h).

❖ مالك بن إبراهيم الأحمد : المسلمون في الغرب قبل وبعد الحادي عشر من سبتمبر.

[On-line] <http://faculty.ksu.edu.sa/malik/Documents>, le 21.02.2013.19:29 h .

❖ محمد عابد الجابري :

[On-line] <http://www.sudaneseonline.com>, (Le 02/01/2013, 18:16h).

❖ Alexandre Del Valle : **Printemps Arabes, Hiver Islamiste, Les Leçon De-
Là Victoire Des Islamistes d'Annahda Au Elections Du 23 Octobre 2011
En Tunisie**. Site officiel. [On-line] <http://www.alexandredelvalle.com/>, (Le
10/09/2013, 10:37 h).

❖ Elio Comarin : **Pour Berlusconi L'occident Est Supérieur A L'Islam**.
[On-line] www.orphelineatpattaya.org/, (Le 27/09/2001, 06:57h).

❖ Kursbuch Religion Neuausgabe 7/8, Verlag Moritz Diesterweg Verlag,
Frankfurt am Main, 1991, [On-line] [http://www.dwi.uni-heidelberg.de/personen/
schmidt_publicationen.html](http://www.dwi.uni-heidelberg.de/personen/schmidt_publicationen.html), (Le 08 /10/ 2012, 14:59 h).

❖ Jill Mc Cracken : **History Of The World Trade Center** . [On- line]
http://www.911memorial.org/sites/all/files/VII_History, (Le 22 /07/ 2013, 14:59 h h).

❖ The Journal of the Supreme Court of the United States : [On- line]
<http://www.supremecourt.gov/orders/journal.aspx>, (Le 18 /07/ 2013, 01 : 59 h).

❖ Al-Ashmawi Fawzia : **L'image de l'autre dans les manuels d'histoire de
certains pays méditerranéens (Espagne, France, Grèce, Egypte,
Jordanie, Liban et Tunisie** . [On-line] <http://www.isesco.org.ma/Islam.Today>
/FR/1?/P6.htm, (Le 26 /10/ 2007, 00 : 15 h).

❖ **Les Etats-Unis Réponse De Gouvernement Aux Attaques Du 11
Septembre 2001**. [On-line] [http://www.worldlingo.com/ma/enwiki/fr/U.S._
government_response_to_the_September_11,_2001_attacks](http://www.worldlingo.com/ma/enwiki/fr/U.S._government_response_to_the_September_11,_2001_attacks), (Le 12 /01/ 2013, 09:21:31
h) .

❖ [On- line] <http://www.amnesty.org/ar/region/usa/report-7>, (Le 22 /02/ 2013,00 : 15
h).

- ❖ [On– line]<http://hem.bredband.net/.mkala.syr.torkman.htm>, (Le 22 /02/ 2013,00:15 h).
- ❖ [On–line] <http://www.maghress.com/almassae/7910>, , (Le 22 /10/ 2013, 22:15).
- ❖ [On–line]<http://infowww.Antisemitisme,Israël .com>, (Le 21 /02/ 2013, 21 : 27h).
- ❖ [On–line]<http://www.historyplace.com/speeches/gw-bush-9-11>, (Le 22 /02/ 2013, 23 : 12 h).
- ❖ [On–line]<http://www.saaid.net/book/open>, (Le 19 /02/ 2013, 07 : 08 h).
- ❖ **[On–line]<http://www.UN.org/Arabic/terrorism/.html>, (Le 12 /01/ 2013, 13 : 56 h).**
- ❖ [On–line][http:// Le_Monde.fr/les chiffres](http://Le_Monde.fr/les%20chiffres) , (22/10/2013, 22:15h).

الملاحق

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر 3

كلية علوم الإعلام والاتصال
قسم علوم الإعلام

استمارة تحليل محتوى

اتجاهات الصحافة الفرنسية نحو
الاسلام والمسلمين

بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001)
بالولايات المتحدة الأمريكية

دراسة تحليلية لصحيفة " لوموند Le Monde " الفرنسية، غداة الأحداث (2001) وبعد ثمان سنوات
منها (2009).

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في علوم الإعلام والاتصال

إعداد
إشراف الأستاذ

الدكتور محمد الطاهر بن خرف الله

محمد البشير بن طبة

السنة الجامعية : 2013,2014 م - 1433,1434 هـ

استمارة التحليل

فئات التحليل

1- الفئات الخاصة بالمضمون (ماذا قيل؟)

أ/ فئة الموضوع

8- علاقة الإسلام والمسلمين بظاهرة الإرهاب

1- المسلمون هم من نفذ الحادي عشر من سبتمبر (2001) في الولايات المتحدة.

2- المسلمون وراء أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001)، (تمويلا و تدريبا).

- 3- المسلمون أبرياء من هجمات الحادي عشر من سبتمبر (2001).
- 4- التنشئة الدينية للمسلمين مسؤولة عن أحداث الإرهاب في العالم.
- 5- صادر الإسلام الأساسية (القرآن، السنة) تقدر الجهاد وتدعو له.
- 6- المهاجرون المسلمون يوفرون الدعم المادي للمجاهدين في العراق، و أفغانستان، وفلسطين.
- 7- الإسلام يشجع على العنف ضد غير المسلمين.
- 8- الخلط بين الإرهاب والجهاد والأصولية والإسلام .
- 9- الخلط بين الإرهاب والمقاومة .
- 10- ربط الإسلام بمصطلح الإرهاب.
- 11- هجمات الحادي عشر من سبتمبر (2001) صناعة أمريكية.

9- المسلمون وأطروحة صراع الحضارات .

- 1- أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001) تؤكد صدام الحضارات .
- 2- الهجمات الإرهابية في العالم بداية صراع أكبر بين الإسلام والغرب .
- 3- الإسلام والغرب على طريق تصادم حتمي .
- 4- الحرب الصليبية الجديدة.
- 5- الإسلام هو العدو الجديد لمرحلة ما بعد الحرب الباردة.
- 6- التهديد الإسلامي حقيقة يجب مجابته.
- 7- الإسلام يقف سدا منيعا أمام المدينة الغربية.
- 8- حركات الإسلام السياسي تشكل تحديا في وجه التواصل الحضاري الإسلامي الغربي.

10- المسلمون وقيم الحضارة الغربية .

- 1- قيم الإسلام غربية عن منجزات الحضارة الغربية.
- 2- الإسلام يصادر الحريات العامة وحقوق الإنسان.
- 3- الإسلام يرفض العقلانية و كل قيم الحداثة الغربية.
- 4- الأصولية الإسلامية، تشكل تهديداً لحضارة الغرب ومستقبله.
- 5- الإسلام لا يحض على احترام معتقدات الأديان الأخرى.
- 6- المسلمون المغتربون غير موالين (من الولاء) لبلدان المهجر.
- 7- العالم الإسلامي يعتبر نفسه في حرب ضد الحضارة الغربية.
- 8- الربط بين الإسلام والرجعية والتخلف.
- 9- وصف المسلمين بالأغبياء والأغبياء ومحبي الجنس .

11- الاسلامو فوبيا أو الخوف المرضي من الإسلام

- 1- بعد أمريكا الدور على أوروبا .
- 2- المهاجرون المسلمون يشكلون خطراً على الغرب.
- 3- الحركات الإسلامية تهدد استقرار العالم .
- 4- المدارس والجامعات الإسلامية تصنع الإرهاب.
- 5- الحد من حقوق وحريات المسلمين في الغرب.
- 6- سن تشريعات صارمة ضد الأصوليين المسلمين.
- 7- المسلمون لهم مطامح سياسية وعسكرية .

12- الإسلام والمسلمون في فرنسا

- 1-الإسلام خطر يهدد فرنسا.
- 2-يصعب التعايش مع المسلمين في فرنسا.
- 3-حضر الحجاب والرقع وباقي الرموز الدينية في المؤسسات الرسمية فرنسا.
- 4- تزايد المسلمين خطر على مستقبل فرنسا .
- 5-المسلمون وراء الاضطرابات في فرنسا.
- 6-رفع الشعارات العنصرية.
- 7-التمكين السياسي للمسلمين في فرنسا.
- 8- المسلمون جزء من التنوع الثقافي والاجتماعي في فرنسا.
- 9- الإقرار بالحقوق الاجتماعية والسياسية والثقافية للمسلمين في فرنسا.
- 10- احترام مبادئ العلمانية .

13- مبادئ الإسلام وقيمه الأصيلة.

- 1-الإسلام رسالة تحترم الإنسانية .
- 2-محمد رسول عظيم.
- 3-الإسلام دين سلام .
- 4-الإسلام يدعو إلى التسامح .
- 5-الإسلام يدين العنف و قتل الأبرياء.
- 6- الدعوة إلى الاسلام الحدائي العلماني المعتدل.

14- الموقف من بعض قضايا المسلمين العالمية .

- 1- حوار الأديان
- 2- احترام حقوق الإنسان في الإسلام
- 3- الإسلام وقضايا المرأة
- 4- الإسلام السياسي
- 5- إيران
- 6- تركيا والاتحاد الأوروبي
- 7- احتلال العراق
- 8- الحرب على أفغانستان
- 9- المسلمون في أوروبا الشرقية
- 10- المسلمون في القرن الإفريقي
- 11- السودان
- 12- غواتاناموا
- 13- باكستان
- 14- القاعدة في بلاد المغرب

ب/ فئة الاتجاه

تم تقسيم هذه الفئة ضمن الحدود الموضوعية و الزمنية للبحث إلى مستويات ثلاثة :

- 1- الاتجاه الايجابي .
- 2- الاتجاه المتوازن .
- 4- الاتجاه السلبي .

من جهة أخرى نكر أننا حصرنا بلورة هذه الفئات الواصفة أو الكاشفة عن «الاتجاه» للحدث في معالجات :

موضوع المادة الإخبارية المنتقاة.

ج/ فئة القيم

تم تصنيف هذه المهمة إلى فئتين أساسيتين :

(قيم ايجابية-قيم سلبية)

أما الأولى القيم الايجابية وحاولنا حصرها في :

التقبل - التعاون - الاحترام - الإقرار بإيجابية الإسلام - التفهم - الصدق.

أما الثانية القيم السلبية و حاولنا حصرها في :

الرفض - التمييز - التعصب - الغضب - التحيز - التحامل.

هـ/ فئة المصدر

وارتأينا حصرها في :

وكالات الأنباء- المراسل الصحفي- شخصيات- صحف أخرى - قراء - محطات تلفزيونية - دون توقيع.

2- فئات الشكل (كيف قيل)

أ/ فئة أسلوب الإقناع

وهي الوسائل التي يوظفها المرسل من أجل تأكيد أقواله و أفكاره، أو تحقيق أهدافه، و بث قيمه، وحددناها كالاتي :

الأسلوب المباشر .(التصريحات المباشرة للقادة والسياسيين)

أسلوب الإحصاءات و الأرقام، والتواريخ.

أسلوب الاستمالات العاطفية

أسلوب الاستدلال بالمصادر والمراجع، والدراسات المتخصصة.

ب/ فئة موقع النشر

تم تصنيفنا للصفحات على النحو الآتي :

الصفحة الأولى.

الصفحة الأخيرة.

الصفحات الداخلية.

صفحة مفردة (خاصة).

فهرس الجداول

| الصفحة | عنوان الجدول | الرقم |
|--------|--|-------|
| 26 | يوضح قائمة بأسماء الأساتذة الذين أشرفوا على تحكيم الاستمارة، ورتبهم العلمية وتخصصاتهم .. | 01 |
| 27 | Cronbach Alpha يوضح دلالة ثبات محاور الاستمارة باستخدام معادلة (ألفا كرونباخ | 02 |
| 50 | جدول ملخص لأنواع الحجج المستخدمة في الصحف عينة الدراسة . | 03 |
| 274 | توزيع الصحف الوطنية الفرنسية الرئيسية من سنة (2000 إلى سنة 2011) . | 04 |
| 275 | توزيع مفردات العينة حسب تاريخ الصدور. | 05 |
| 282 | توزيع فئات (علاقة الإسلام والمسلمين بظاهرة الإرهاب) خلال فترتي التحليل (2001-2009) | 06 |
| 285 | توزيع فئات (المسلمون وأطروحتي نهاية التاريخ وصراع الحضارات) فترتي التحليل (2001-2009) | 07 |
| 287 | توزيع فئات (الإسلام والمسلمون وقيم الحضارة الغربية) خلال فترتي التحليل (2001-2009) . | 08 |
| 289 | توزيع فئات (الاسلامو فوبيا) خلال فترتي التحليل (2001-2009) . | 09 |
| 291 | توزيع فئات (لإسلام والمسلمون في فرنسا) خلال فترتي التحليل (2001-2009) . | 10 |
| 294 | توزيع فئات (مبادئ الإسلام وقيمته الأصيلة) خلال فترتي التحليل (2001-2009) . | 11 |
| 296 | توزيع فئات (معالجة قضايا المسلمين الدولية) خلال فترتي التحليل (2001-2009) . | 12 |
| 301 | توزيع فئات (القضية الفلسطينية) خلال فترتي التحليل (2001-2009) . | 13 |
| 303 | توزيع فئات (القيم) خلال فترتي التحليل (2001-2009) . | 14 |
| 304 | توزيع فئات (القيم السلبية) خلال فترتي التحليل (2001-2009) . | 15 |
| 306 | توزيع فئات (القيم الايجابية) خلال فترتي التحليل (2001-2009) . | 16 |
| 308 | توزيع فئات (فئة المصادر) خلال فترتي التحليل (2001-2009) . | 17 |
| 310 | توزيع فئات (موقع النشر) خلال فترتي التحليل (2001-2009) . | 18 |
| 311 | توزيع فئة (أساليب الإقناع) خلال فترتي التحليل (2001-2009) . | 19 |
| 315 | توزيع نتائج تحليل اتجاه مضامين فئة " علاقة الإسلام والمسلمين بظاهرة الإرهاب " | 20 |
| 320 | توزيع نتائج تحليل اتجاه مضامين فئة " المسلمون وأطروحتي نهاية التاريخ وصراع الحضارات " | 21 |
| 325 | توزيع نتائج تحليل اتجاه مضامين فئة " المسلمون وقيم الحضارة الغربية " | 22 |
| 331 | توزيع نتائج تحليل اتجاه مضامين فئة " الاسلاموفوبيا أو الخوف المرضي من الإسلام " | 23 |
| 335 | توزيع نتائج تحليل اتجاه مضامين فئة " الإسلام والمسلمون في فرنسا " | 24 |
| 340 | توزيع نتائج تحليل اتجاه مضامين فئة " مبادئ الاسلام وقيمته الأصيلة " | 25 |
| 343 | توزيع نتائج تحليل اتجاه مضامين فئة " قضايا المسلمين الدولية " | 26 |
| 347 | توزيع نتائج تحليل اتجاه مضامين فئة " القضية الفلسطينية " | 27 |

فهرس الموضوعات

| الصفحة | الموضوع | الرقم |
|--|--|-------|
| 01 | مقدمة | |
| الفصل الأول : الإطار المنهجي للدراسة | | |
| 10 | إشكالية الدراسة وتساؤلاتها | 1-1 |
| 14 | فرضيات الدراسة | 2-1 |
| 15 | ضبط مفاهيم الدراسة | 3-1 |
| 15 | ضبط مفهوم الاتجاه | 1-3-1 |
| 18 | ضبط مفهوم الصحافة الفرنسية | 2-3-1 |
| 19 | ضبط مفهوم الاسلام | 3-3-1 |
| 20 | أهمية الدراسة وأهدافها | 4-1 |
| 23 | نوع الدراسة ومنهجها وأسلوبها | 5-1 |
| 25 | أداة جمع بيانات الدراسة | 6-1 |
| 28 | فئات التحليل | 1-6-1 |
| 32 | وحدات التحليل | 2-6-1 |
| 34 | وحدات العد والقياس | 3-6-1 |
| 34 | أسلوب العد والقياس | 4-6-1 |
| 35 | مستويات العد والقياس | 5-6-1 |
| 36 | الدراسات السابقة | 7-1 |
| 36 | الدراسات السابقة العربية | 1-7-1 |
| 47 | الدراسات السابقة الأجنبية | 2-7-1 |
| الفصل الثاني : المتغيرات الدولية قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر | | |
| 65 | اقترابات نظرية | 1-2 |
| 68 | ميلاد النظام الدولي الجديد | 2-2 |
| 76 | النظام الدولي الجديد والافتراضات النظرية المصاحبة | 3-2 |
| 90 | النظام الدولي الجديد " نهاية الدولية وتقويض مبدأ السيادة الوطنية " | 4-2 |
| 97 | السمة العسكرية والجيوسراتيجية للنظام الدولي الجديد | 5-2 |

| | | |
|-----|--|-------|
| 102 | النظام العالمي الجديد وتحولات العولمة الإعلامية والاتصالية والاقتصادية | 6-2 |
| 109 | العالمين العربي والإسلامي في ظل التغيرات الدولية الجديدة | 7-2 |
| 114 | الفوضى العالمية الجديدة وتنامي تيار الجهاد الإسلامي | 8-2 |
| | الفصل الثالث : أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وتداعياتها الدولية | 1-3 |
| 124 | السمات العامة لأحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001) | 1-3 |
| 129 | المقاربات التحليلية في تفسير أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001) | 2-3 |
| 129 | المقاربة الأولى، الأحداث انعكاس للقوة وفرصة للهيمنة الأمريكية على العالم | 1-2-3 |
| 130 | المقاربة الثانية، الأحداث أنموذج واقعي وعملي لصراع الحضارات | 2-2-3 |
| 132 | المقاربة الثالثة، الأحداث مؤشر لنهاية الأحادية القطبية | 3-2-3 |
| 135 | التداعيات الفكرية والإستراتيجية للسياسة الدولية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001) | 3-3 |
| 147 | المقاربة الثقافية في الحرب على الإرهاب | 4-3 |
| 155 | التداعيات المؤسسية والقانونية لأحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001) على العالم | 5-3 |
| 166 | التداعيات العسكرية والأمنية لأحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001) | 6-3 |
| 178 | التداعيات الاقتصادية لأحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001) | 7-3 |
| | الفصل الرابع : الإسلام في الإعلام الغربي قبل وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر . مقارنة في ميلاد وتطور صورة الإسلام في الإعلام الغربي | |
| 194 | الشرق والغرب " تجاذبات المد والجزر... وميلاد المركزية الغربية " | 1-4 |
| 194 | بدايات الشرق والغرب | 1-1-4 |
| 198 | الاستشراق وميلاد المركزية الغربية | 2-1-4 |
| 208 | مؤسسات الاستشراق والسياسة الاستعمارية الغربية لبلاد العرب والمسلمين | 2-4 |
| 214 | صورة الاسلام والمسلمين في التراث المسيحي الغربي | 3-4 |
| 225 | صورة الاسلام في المقررات والكتب المدرسية الغربية | 4-4 |

| | | |
|---|---|---------|
| 242 | صورة الاسلام والمسلمين في العلام الغربي قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001) | 5-4 |
| 242 | دور الإعلام الغربي في تشكيل القوالب الذهنية عن الاسلام والمسلمين | 1-5-4 |
| 249 | خصائص صورة الاسلام في الإعلام الغربي قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001) | 2-5-4 |
| 254 | صورة الاسلام والمسلمين في العلام الغربي بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001) | 6-4 |
| 263 | سبل تجاوز الصور النمطية عن الاسلام والمسلمين وتصحيحها | 7-4 |
| الفصل الخامس : الدراسة التحليلية ونتائجها الكمية (العرض الكمي المقارن لنتائج تحليل المضامين والاتجاه) | | |
| 272 | مجتمع الدراسة وعينتها | 1-5 |
| 272 | مجتمع الدراسة | 1-1-5 |
| 272 | عينة الدراسة | 2-1-5 |
| 279 | تشخيص الصحيفة عينة الدراسة | 3-1-5 |
| 281 | الأساليب الإحصائية | 4-1-5 |
| 282 | القراءة الكمية المقارنة لنتائج فئة الموضوع (ماذا قيل ؟) | 2-5 |
| 282 | القراءة الكمية المقارنة لنتائج فئة الموضوع | 1-2-5 |
| 282 | القراءة الكمية المقارنة لنتائج فئة " علاقة الاسلام والمسلمين بظاهرة الإرهاب " | 1.1-2-5 |
| 285 | القراءة الكمية المقارنة لنتائج فئة " المسلمون وأطروحتي نهاية التاريخ وصراع الحضارات " | 2.1-2-5 |
| 287 | القراءة الكمية المقارنة لنتائج فئة " الإسلام والمسلمون وقيم الحضارة الغربية " | 3.1-2-5 |
| 289 | القراءة الكمية المقارنة لنتائج فئة " الاسلاموفوبيا " | 4.1-2-5 |
| 291 | القراءة الكمية المقارنة لنتائج فئة " الاسلام وقضايا المسلمين في فرنسا " | 5.1-2-5 |
| 294 | القراءة الكمية المقارنة لنتائج فئة " مبادئ الاسلام وقيمه الأصيلة " | 6.1-2-5 |
| 296 | القراءة الكمية المقارنة لنتائج فئة " معالجة قضايا المسلمين الدولية " | 7.1-2-5 |
| 301 | القراءة الكمية المقارنة لنتائج فئة " القضية الفلسطينية " | 8.1-2-5 |
| 303 | القراءة الكمية المقارنة لنتائج فئة " القيم " | 3-5 |
| 303 | القراءة الكمية المقارنة لنتائج فئة " القيم الإيجابية والسلبية " خلال فترتي | 1-3-5 |

| | | |
|---|--|-------|
| | الدراسة (2001-2009) | |
| 304 | القراءة الكمية المقارنة لنتائج فئة " القيم السلبية " | 2-3-5 |
| 306 | القراءة الكمية المقارنة لنتائج فئة " القيم الإيجابية " | 3-3-5 |
| 308 | القراءة الكمية المقارنة لنتائج فئة " المصادر " | 4-5 |
| 310 | القراءة الكمية المقارنة لنتائج فئة الشكل (كيف قيل ؟) | 5-5 |
| 310 | القراءة الكمية المقارنة لنتائج تحليل فئة " موقع النشر " | 1-5-5 |
| 311 | القراءة الكمية المقارنة لنتائج تحليل فئة " أسلوب الإقناع " | 2-5-5 |
| 314 | القراءة الكمية المقارنة لنتائج تحليل اتجاه مضامين فئة " الموضوع " | 6-5 |
| 314 | القراءة الكمية المقارنة لنتائج اتجاه فئة " علاقة الاسلام والمسلمين بظاهرة الإرهاب " | 1-6-5 |
| 319 | القراءة الكمية المقارنة لنتائج اتجاه مضامين فئة " المسلمون وأطروحتي نهاية التاريخ وصراع الحضارات " | 2-6-5 |
| 324 | القراءة الكمية المقارنة لنتائج اتجاه مضامين فئة " الإسلام والمسلمون وقيم الحضارة الغربية " | 3-6-5 |
| 330 | القراءة الكمية المقارنة لنتائج اتجاه مضامين فئة " الاسلاموفوبيا " | 4-6-5 |
| 334 | القراءة الكمية المقارنة لنتائج اتجاه مضامين فئة " الاسلام وقضايا المسلمين في فرنسا " | 5-6-5 |
| 339 | القراءة الكمية المقارنة لنتائج اتجاه مضامين فئة " مبادئ الاسلام وقيمه الأصيلة " | 6-6-5 |
| 342 | القراءة الكمية المقارنة لنتائج اتجاه مضامين فئة " معالجة قضايا المسلمين الدولية " | 7-6-5 |
| 346 | القراءة الكمية المقارنة لنتائج اتجاه مضامين فئة " القضية الفلسطينية " | 8-6-5 |
| الفصل السادس : التحليل الكيفي المقارن لنتائج دراسة (المضامين والاتجاه) فترتي التحليل (2001/2009) | | |
| 351 | التحليل الكيفي المقارن لنتائج فئة " علاقة الإسلام والمسلمين بظاهرة الإرهاب " | 1-6 |
| 367 | التحليل الكيفي المقارن لنتائج فئة " المسلمون وأطروحتي نهاية التاريخ وصراع " | 2-6 |

| | | |
|---------|---|-----|
| | الحضارات " | |
| 378 | التحليل الكيفي المقارن لنتائج فئة "المسلمون وقيم الحضارة الغربية | 3-6 |
| 386 | التحليل الكيفي المقارن لفئة "الاسلاموفوبيا أو الخوف المرضي من الاسلام " | 4-6 |
| 392 | التحليل الكيفي المقارن لنتائج فئة " الاسلام وقضايا المسلمين في فرنسا " | 5-6 |
| 396 | التحليل الكيفي المقارن لنتائج فئة " قيم الإسلام ومبادئه الأصيلة " | 6-6 |
| 401 | التحليل الكيفي المقارن لنتائج فئة " الاسلام وقضايا المسلمين الدولية " | 7-6 |
| 410 | التحليل الكيفي المقارن لنتائج فئة " القضية الفلسطينية " | 8-6 |
| 416 | استنتاجات الدراسة وتحقيق الفرضيات | 9-6 |
| 457-426 | المصادر والمراجع | |
| 459 | فهرس الجداول | |
| 466-460 | فهرس الموضوعات | |
| | الملاحق | |